

حيدرآباد سنڌي ڪتابچو

في
عصو القريش الزاهرة

العصر الاموي

ماليق

احمد زكي قاسم

المكتبة العلمية

بنيان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فِي
عُصُورِ الْعَرَبِيَّةِ الزَّاهِرَةِ

الجزء الثاني

العصر الأموي

تأليف

أحمد زكي صفوت

وكيل كلية دار العلوم جامعة القاهرة سابقا

المكتبة العلمية

بيروت - لبنان

مُقَدِّمَةٌ

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

باسمك ربى أبتدى ، وبحولك أستعين ، وبتوفيقك أسدّد ، وعلى صفّيك المختار
سيدنا ومولانا محمد ، وعلى آله ، وصحبه الأبرار ، أصلّى أفضل صلاة ، وأسلم
أزكى سلام .

وبعد : فهانذا أقدم بين يدي القراء الجزء الثانى من « جمهرة رسائل العرب » .
حاويا ما استوعبه جهدى من الرسائل فى العصر الأموى ، وسيرونه حافلا مُتمّعا
كما رأوا سابقه . وكذلك سيرون تالّيته إن شاء الله .

وكان من بين المآخذ التى نقلت عنها رسائل هذا العصر ، كتاب : « اختيار المنظوم
والمنثور ، لأبى الفضل أحمد بن أبى طاهر طيفور ، المتوفى سنة ٢٨٠ هـ . وقد ذكره
ابن النديم فى الفهرست فى أثناء ترجمة صاحبه - ص ٢٠٩ - قال : « وله من الكتب المصنفة ،
كتاب المنظوم والمنثور ، أربعة عشر جزءا ، والذى بيد الناس ثلاثة عشر جزءا » .

وقد أكلت ضبّاع الضبّاع جُلّ هذا الكتاب ، ولم يصل إلينا منه إلا أجزاء
ثلاثة : الحادى عشر ، والثانى عشر ، والثالث عشر ، ومن تلك الأجزاء نسختان
خطيتان محفوظتان فى دار الكتب المصرية ، إحداهما رقم ٥٨١ أدب ، والأخرى
رقم ١٨٦٠ أدب .

وفي الجزأين الأخيرين قليل من رسائل الأمويين ، وبحر زاخر من رسائل العباسيين - وسترد في الجزء الثالث إن شاء الله - وينفرد ذلك الكتاب بأن معظم ما ورد فيه لم يرد فيما بين أيدينا في عصرنا هذا من كتب الأدب والتاريخ .

وأودّ أن أنبه هنا إلى أن أرقام الصفحات التي ذبّلتُ بها الرسائل المنقولة عنه ، في هذا الجزء وما بعده ، هي صفحات النسخة الثانية ، إذ نسختُ منها - بيدي - ابتداءً ، لكبر خطها وانفراج سطورها ، ثم عارضتُ ما نسخته بالنسخة الأولى .

ومن الكتب الأدبية النفيسة التي اطاعت عاينها في دار الكتب المصرية أيضا ، كتاب : « نثر الدرر للوزير زين الكفاة أبي سعد منصور بن الحسين الآبي^(١) المتوفى سنة ٤٢٢ هـ » . وهو في سبعة أجزاء ، تقع في ٨٣٢ صفحة ، ومنه نسخة بالدار مصورة بالتصوير الشمسي رقم ٤٤٢٨ أدب^(٢) ويحيل إلى أن أبا إسحق الحصري القيرواني المتوفى سنة ٤٥٣ هـ قد وضع كتابه : « زهر الآداب » . على غرار هذا الكتاب .

وفيه رسائل قليلة للأمويين والعباسيين ، وقد أشرت إلى نبذة يسيرة وردت فيه ، في أواخر رسالة مروان بن محمد إلى بعض الخوارج ، وكان بودّي أن أنقل ما حواه من الرسائل ، بيّداً أنه حال بيني وبين ذلك حائلان : رداءة الخط ، وسوء التصوير ، فقد غشى أكثر صفحاته بظلمة أسود كثيف من أثر التصوير ، مما حَسَرَ معه بصري عن تبين الحروف بجلاء ووضوح ، ولما كان ديدني أن أباشر عملي بنفسى ، دون أن أركن فيه إلى أحد سواى ، لم يسعنى أن أعهد إلى النساخ بنسخها منه ، إذ كانت عاقبة الاستنساخ أن أعتمد ما نسخ ، وأراجعه ثانية في دقة واستقبات ، وأرجو أن

(١) الآبي نسبة إلى آبه قرية من قرى ساوة بفارس ، قال ياقوت في معجم البلدان ١ : ٥٣ هـ ولى

أعمالا جالبة ، وصحب صاحب بن عباد ، ثم وزير لمجد الدولة رستم بن نحر الدولة بن ركن الدولة بن بويه»

(٢) ومنه بالدار أيضا بعض نسخ خطية غير أنها ليست تامة الأجزاء .

تتاح لبعض أدبائنا الأماثل فرصة موفقة ، فينشر للناس هذا السفر الجليل ، مُمِيطاً عنه اللثام ، معبداً إليه السبيل .

والله أسأل أن يمنحنا شرفَ الدُّعْوَى على خدمة لغة قرآنه ونبيّه ، وأن يزويَ عنا ما قد يفتورُنا من اللال والمكلال ، في إحياء كنوزها الدفينة ، واجتلاء جواهرها المستجينة ، وأن يرزقنا ثوابَ الدنيا وحُسنَ ثوابِ الآخرة ، عليه توكلنا ، وإليه أنبنا ، وإليه المصير .

أحمد زكي صفوت

وحرر بالقاهرة في { رجب ١٣٥٦ هـ
سبتمبر ١٩٣٧ م

فہرس

ماخذ الرسائل في هذا الجزء

- الأغاني : لأبي الفرج الأصبهاني : الجزء الثاني - الخامس - السادس - الثامن -
الحادي عشر - السادس عشر - الثامن عشر
تاريخ الأمم والملوك: لأبي جعفر بن جرير : الجزء الرابع - السادس - السابع - الثامن
الطبري : التاسع
تاريخ الكامل : لعز الدين بن الأثير : الجزء الثالث - الرابع
صبح الأعشى : لأبي العباس القلقشندي : الجزء الأول - السادس - التاسع - العاشر
الكامل : للمبرد : الجزء الأول - الثاني
العقد الفريد : لابن عبد ربه : « الأول - الثاني الثالث
زهر الآداب : لأبي إسحق الحصري : « الأول - الثالث
البيان والتبيين : للجاحظ : « الأول - الثاني - الثالث
وفيات الأعيان لابن خلكان : « الأول - الثاني
شرح نهج البلاغة : لابن أبي الحديد : المجلد الأول - الثالث - الرابع
صحيح الإمام البخاري : الجزء الأول
مروج الذهب : للمسعودي : « الثاني
معجم البلدان : لياقوت الحموي : « الثاني - السادس
الإمامة والسياسة : لابن قتيبة : « الأول - الثاني
نهاية الأرب : لشهاب الدين النويري : الجزء السابع
الأمالي لأبي علي القالي : الجزء الثاني - ذيل الأمالي
مجمع الأمثال : لأبي الفضل الميداني : « الثاني
جمهرة الأمثال : لأبي هلال العسكري : « »

- عمیون الأخبار : لابن قتیبة : الجزء الخامس
تہذیب تاریخ ابن عساکر : « الأول
المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار :
« « للمقریزی
اختیار المنظوم والمنثور لابن طیفور : « الثاني عشر - الثالث عشر
نثر الدرر : منصور بن الحسین الآبی : « الثالث
غرر الخصاص الواضحة وعرر النقائص :
الفاضحة للوطواط
المنیة والأمل : لأحمد بن یحیی المرتضی :
ثمرات الأوراق : لابن حجة الحموی :
: کتاب الخراج : لأبی یوسف :
: شرح العیون ، شرح رسالة ابن زیدون :
لأبن نباتة المصری
أدب الکتاب : لأبی بکر محمد بن یحیی الصولی :
سیرة عمر بن عبد العزیز : لابن الجوزی :
الحسن البصری : « « :
فتوح البلدان : للبلاذری :
الفخری : لابن طباطبا :
: کتاب الوزراء والکتاب :
: لابن عبدوس الجهتیاری :
: مقدمة ابن خلدون :
: خاص الخاص : للثعالبی :
: مفتاح الأفكار : للشیخ أحمد مفتاح :
: رسائل البلغاء : لمحمد کرد علی بنک :

الباب الثالث

الرسائل

في

العصر الأموي

خلافة الحسن ومعاوية

١ - كتاب عبد الله بن عباس إلى الحسن بن علي -

رضي الله عنهما

كتب عبد الله بن عباس إلى الحسن بن علي رضي الله عنهما إذ وآاه الناس أمرهم بعد الإمام علي كرم الله وجهه في رمضان سنة ٤٠ هـ .

« أما بعد ، فإن المسلمين ولوك أمرهم بعد علي عليه السلام ، فشمّر للحرب^(١) ، وجاهد عدوك ، وقارب أصحابك ، واشتر من الظنين ذنبه بما لا يثلم دينك^(٢) ، وول^(٣) أهل البيوتات والشرف ، تستصلح بهم عشائرهم ، حتى يكون الناس جماعة ،

(١) وفي رواية : « إن الناس قد ولوك أمرهم بعد علي فاشدد عن عينك ... » .

(٢) الظنين : المتهم ، من ظننته إذا اتهمته فهو فعيل بمعنى مفعول ، ويثلم : يعيب وينقص ، وأصله من ثلم الإباء إذا كسر حرفه وبابه ضرب وفرح « ويروي « واشتر من الضنين دينه بما لا يثلم دينك » والضمنين الدخيل (٣) وفي رواية « واستعمل » وفي أخرى « ووال » .

فإن بعض ما بكره الناس - ما لم يتعد الحق ، وكانت عواقبه تؤدي إلى ظهور العدل ، وعز الدين - خير من كثير مما يحبه الناس ، إذا كانت عواقبه تدعو إلى ظهور الجور ، وذلك المؤمنين ، وعز الفاجرين ، واقتد بما جاء عن أئمة العدل ، فقد جاء عنهم : « إنه لا يصلح الكذب إلا في حرب أو إصلاح بين الناس ، فإن الحرب خدعة ^(۱) » ولك في ذلك سعة ، إذا كنت محارباً ، ما لم تبطل حقاً .

واعلم أن علياً أبانك إنما رغب الناس عنه إلى معاوية أنه آسى ^(۲) بينهم في الفناء ، وسوى بينهم في العطاء ، فثقل عليهم . واعلم أنك تحارب من حارب الله ورسوله في ابتداء الإسلام ، حتى ظهر أمر الله ، فلما وحد الرب ، ومحق الشرك ، وعز الدين ، أظهروا الإيمان ، وقرأوا القرآن مستهزئين بآياته ، وقاموا إلى الصلاة وهم كسالى ، وأدوا الفرائض وهم لها كارهون ، فلما رأوا أنه لا يعز في الدين إلا الأتقياء الأبرار ، توسموا بسمى الصالحين ، ليظن المسلمون بهم خيراً ، فما زالوا بذلك حتى شرّكهم في أماناتهم ، وقالوا حسابهم على الله ، فإن كانوا صادقين فإخواننا في الدين ، وإن كانوا كاذبين كانوا بما اقرّفوا هم الأخصرين ، وقد منيت بأولئك وبأبنائهم وأشباهم ، والله ما زادهم طول العمر إلا غيباً ، ولا زادهم ذلك لأهل الدين إلا مقتاً ، فجاهدتم ولا ترض دنيّة ، ولا تقبل خسفاً ^(۳) ، فإن علياً لم يجب إلى الحكومة حتى غلب على أمره فأجاب ، وإنهم يعلمون أنه أولى بالأمر إن حكموا بالعدل ، فلما حكموا بالهوى رجع إلى ما كان عليه حتى أتى عليه أجله ، ولا تخرجن من حق أنت أولى به ، حتى يحول الموت دون ذلك ، والسلام .

(شرح ابن أبي الحديد م ۴ ص : ۸ ، والفقه العرید ۱ : ۹ ، ۲ : ۲۴۴)

(۱) الحرب خدعة مثلثة الحاء ، وبضمها مع فتح الدال أى تنفض بخدعة .

(۲) آسى بينهم: أى سوى . (۳) ذلاً .

۲ - کتاب الحسن إلى معاوية

ودس معاوية رجلا من خمير إلى الكوفة ، ورجلا من بني القين إلى البصرة :
يكتبان إليه بالأخبار فدل على الحميرى وعلى القينى فأخذا وقتلا ، وكتب الحسن
عليه السلام إلى معاوية :

« أما بعد : فإنك دسنت إلى الرجال ، كأنك تحب اللئام ، لا أشك في ذلك ،
فتوقعه إن شاء الله ، وبلغنى أنك شمت بما لم يشمت به ذوو الحجبى^(۱) ، وإنما مثلك
في ذلك كما قال الأول :

فإننا ومن قد مات منا لكالذى يروح فيمسي في المبيت ليغتدى
فقل للذى يبغى خلاف الذى مضى تجهز لأخرى مثلها فكان قد
(شرح ابن أبي الحديد م ۴ : ص ۱۱)

۳ - رد معاوية على الحسن

فأجابه معاوية :

أما بعد : فقد وصل كتابك ، وفهمت ما ذكرت فيه ، ولقد علمت بما حدث فلم أفرح
ولم أحزن ، ولم أشمت ولم أص^(۲) ، وإن عليا أباك لكما قال أعشى بن قيس بن ثعلبة :

فأنت الجواد وأنت الذى إذا ما القلوب ملآن الصدورا
جدير بطعنة يوم اللقا يضرب منها النساء النحورا
وما مزبد من خليج البحأ ريعلو الإكام ويعلو الجسورا^(۳)
بأجود منه بما عنده فيعطى الألوفا ويعطى البدورا^(۴)
(شرح ابن أبي الحديد م ۴ : ص ۱۱)

(۱) أى شمت بموت أبى ، والعاقل لا يثمت بالموت (۲) أى ولم أحزن وفعله كفرح .

(۳) أزبد البحر إذا بدأ فهو مزبد أى مائج يقذف بالزبد (بالتحريك) وهو كالرغوة . والإكام جمع

أكمة كقصة : وهى التل (۴) البدره كورده : كيس فيه ألف أو عشرة آلاف درهم أو سبعة

آلاف دينار وجمعه بدر كغيب وبدور كجنود .

۴ - کتاب ابن عباس إلى معاوية

وكتب عبد الله بن عباس من البصرة إلى معاوية :

« أما بعد : فإنك ودسك أخا بني القين إلى البصرة تلتمس من غفلات قريش

مثل ما ظفرت به من يمانيتك لكما قال أمية بن الأسكر^(۱) :

لعمرك إني وألخزاعي طارقاً كنعجة غادت حثفها تحفر^(۲)

أثارت عليها شفرة بكراعها فظلت بها من آخر الليل تنحر^(۳)

سميت بقوم هم صديقك أهلكوا أصابهم يوم من الدهر أعسر

(الأغاني ۱۸ : ۱۶۲ ، وشرح ابن أبي الحديد م ۴ : ص ۱۲)

۵ - رد معاوية على ابن عباس

فأجابه معاوية :

« أما بعد : فإن الحسن بن علي قد كتب إلى بنحو مما كتبت به ، وأنبني بما لم

يحقق سوء ظن ورأي في ، وإنك لم تصب مثلي ومثلكم ، وإنما مثلنا كما قال طارق

ألخزاعي يجيب أمية عن هذا الشعر :

(۱) في شرح ابن أبي الحديد « أمية بن أبي الصلت » وهو خطأ ، روى صاحب الأغاني قال : أصيب

قوم من بني جندع (كبرقع) بن ليت بن بكر بن هوازن رهط أمية بن الأسكر يقال لهم بنو زينة (كصحيفة)

ابن جندع ، أصحاب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يوم المريسيع في غزوته بي المصطلق وكانوا جيرانه

يومئذ ومعهم ناس من بني لحيان (بالكسر) من هذيل ، ومع بني جندع رجل من خزاعة يقال له طارق ،

فاتمه بنو ليت بهم وأنه دل عليهم ، وكانت خزاعة مسلها ومشركها يتلون إلى النبي صلى الله عليه وسلم

على قريش ، فقال أمية بن الأسكر : لعمرك إني وألخزاعي في أبيات ، فأجابه طارق ألخزاعي :

لعمرك ما أدري »

(۲) غادت : باكرت ، والحنف : الموت ، ومنع نعجة من الصرف للضرورة .

(۳) الشفرة : السكين العظيم ، والكراع من الغنم والبقر : مستدق الساق وهو بمنزلة الوظيف من

الفرس ، وجاء في المثل : « كالباحث عن المدينة » ويروى « عن الشفرة » وفي آخر : « كباحث عن حثفها

بظلفها » وأصله أن رجلاً كان جائعاً بالفلاة نفر ، فوجد شاة ولم يكن معه ما يذبحها به فبحثت الشاة الأرس

بأظلافها ، فسقطت على شفرة فذبحها بها ، يضرب لكل من أعان على نفسه بسوء تدبيره .

فوالله ما أدري (وإني لصادق) إلى أي من يظنني أتعدّر^(۱)
 أعنف أن كانت زبيبة أهليكت ونال بني لحيان شرًّا فانفروا^(۲)
 (الأغانى ۱۸ : ۱۶۲ ، وشرح ابن أبي الحديد م ۴ : ص ۱۲)

۶ - كتاب الحسن إلى معاوية

وكتب الحسن عليه السلام إلى معاوية :

« من عبد الله الحسن أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان ، أما بعد : فإن الله
 بعث محمداً صلى الله عليه وآله رحمة للعالمين ، فأظهر به الحق ، وقمع به الشرك ،
 وأعز به العرب عامة ، وشرف به قريشاً خاصة ، فقال : « وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ »
 فلما توفاه الله تنازعت العرب في الأمر بعده ، فقالت قريش : نحن عشيرته وأولياؤه ،
 فلا تنازعونا ساطنانه ، فعرفت العرب لقريش ذلك ، وجاحدتنا قريش ما عرفت لها
 العرب ، فهيهات ! ما أنصفتنا قريش ، وقد كانوا ذوى فضيلة في الدين ، وسابقو
 في الإسلام ، ولا غرو^(۳) إلا منازعتك إيانا الأمر بغير حق في الدنيا معروف ،
 ولا أثر في الإسلام محمود ، فالله الموعِد ، نسال الله معروفه أن لا يؤتينا في هذه الدنيا
 شيئاً ينقصنا عنده في الآخرة .

إن علياً لما توفاه الله ولأنى المسلمون الأمر بعده ، فاتق الله يا معاوية ، وانظر
 لأمة محمد صلى الله عليه وآله ما تحمقن به دماءها ، وتصلح به أمرها ، والسلام .
 وبعث بالكتاب مع الحارث بن سويد التميمي (نيم الرباب) وجندب الأزدى ،
 فتدما على معاوية ، فدعواه إلى بيعة الحسن عليه السلام ، فلم يجبهما . وكتب جوابه :
 (شرح ابن أبي الحديد م ۴ : ص ۹)

(۱) أظنه وأظنه : بالطاء والطاء مشددتين : آتاه ، وهو افتعل من لظنة بالكسر أى التهمة ،
 فأصله أظتن ، ثم أبدل وأدغم .
 (۲) انفروا : شردوا .
 (۳) لا غرو ولاغروى : أى لا عجب .

۷ - رد معاوية على الحسن

« أما بعد : فقد فهمتُ ما ذكرتَ به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو أحق الأولين والآخرين بالفضل كله ، وذكرتَ تنازعَ المسلمين الأمرَ بعده ، فصرَّحتَ بتهمته أبي بكر الصديق وعمر وأبي عبيدة الأمين وصلحاء المهاجرين ، فكرهتَ لك ذلك . إن الأمة لما تنازعت الأمرَ بينها ، رأت قريشاً أخلقها به ، فرأت قريش والأنصار وذوو الفضل والدين من المسلمين أن يؤثروا من قريش أعلمها بالله ، وأخشاهاله ، وأقواها على الأمر ، فاختروا أبا بكر ولم يأتوا^(۱) ، ولو علموا مكان رجل غير أبي بكر يقوم مقامه ويذبُّ عن حرم الإسلام ذبَّهُ ، ما عدلوا بالأمر إلى أبي بكر ، والحال اليوم بيني وبينك على ما كانوا عليه ، فلو علمتُ أنك أضبطُ لأمر الرعية ، وأحوطُ على هذه الأمة ، وأحسنُ سياسةً ، وأكيدُ للعدو ، وأقوى على جمع النوى ، لسأمتُ لك الأمر بعد أبيك ، فإن أباك سعى على عثمان حتى قُتل مظلوماً ، فطالب الله بدمه ، ومن يطلبه الله فلن يفوته ، ثم ابتز الأمة أمرها ، وفرَّق جماعتها ، فخالفه نظراؤه من أهل السابقة والجهاد والقدم في الإسلام ، وادعى أنهم نكثوا بيعته ، فقاتلهم ، فسفكت الدماء ، واستحلَّت الحُرْم ، ثم أقبل إلينا لا يدعى عاينا بيعة ، ولكنه يريد أن يمتدِّكنا اغتراراً ، فحاربنا وحاربنا ، ثم صارت الحرب إلى أن اختار رجلاً واخترنا رجلاً ليحكمنا بما تصلح عليه الأمة ، وتعود به الجماعة والألفة ، وأخذنا بذلك عليهما ميثاقاً ، وعليه مثله ، على الرضا بما حكماً ، فأمضى الحكمان عليه الحكم بما علمت وخلفاه ، فواته ما رضى بالحكم ، ولا صبر لأمر الله ، فكيف تدعونى إلى أمر إننا نطلبه بحق أبيك وقد خرج منه ، فانظر لنفسك ولدينك ، والسلام . »

ثم قال للحارث وجندب : ارجعا فليس بيني وبينكم إلا السيف .

(شرح ابن أبي الحديد ۴ : ص ۹)

(۱) الأيألو : نصر وأبطأ .

صورة أخرى لكتاب الحسن إلى معاوية

وروى كتاب الحسن السابق إلى معاوية بصورة أخرى وهي :

كتب الحسن عليه السلام إلى معاوية مع جندب بن عبد الله الأزدي :

« من الحسن بن علي أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان ، سلام عليك فإني
أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد : فإن الله جل جلاله بعث محمداً رحمة للعالمين
ومنة للمؤمنين ، وكافة للناس أجمعين « لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحَقِّقَ الْقَوْلَ عَلَى
الْكَافِرِينَ » فبلغ رسالات الله ، وقام بأمر الله ؛ حتى توفاه الله غير مقصر ولا وان ،
بعد أن أظهر الله به الحق ومحق به الشرك ، وخص به قريشاً خاصة ، فقال له : « وَإِنَّهُ
لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ » فلما توفى تنازعت سلطانه العرب ، فقالت قريش : نحن قبيلته
وأمرته وأولياؤه ، ولا يحل لكم أن تنازعونا سلطان محمد وحقه ، فرأت العرب أن
القول ما قالت قريش ، وأن الحجة في ذلك لهم على من نازعهم أمر محمد ، فأنعمت^(١) لهم
وسلمت إليهم ، ثم حاجبنا نحن قريشاً بمثل ما حاجبت به العرب ، فلم ننصفنا قريش
إنصاف العرب لها ، إنهم أخذوا هذا الأمر دون العرب بالإنصاف والاحتجاج ، فلما
صرنا أهل بيت محمد وأولياؤه إلى محاجبتهم وطالب النصف^(٢) منهم ، باعدونا واستولوا
بالاجتماع على ظلمنا ومراغمتنا^(٣) ، والعنت منهم لنا ، فالوعد الله ، وهو الولي النصير .
ولقد كنا نعجبنا لتوثب المتوثبين علينا في حقنا وسلطان بيتنا ، وإن كانوا
ذوي فضيلة وسابقة في الإسلام ، وأمسكنا عن منازعتهم مخافةً على الدين أن يجد
المنافقون والأحزاب^(٤) في ذلك مغمزاً يثامونه به ، أو يكون لهم بذلك سبب إلى

(١) أنعم له : قال له نعم . (٢) النصف : الإنصاف .

(٣) راغمهم : نابذهم وعاداهم ، والعنت : المشقة . (٤) هي الأحزاب التي تحزبت وتظاهرت
على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش وخطفان وبنو مرة وبنو أشجع وبنو سليم بنو أسد (في غزوة
الأحزاب ، وهي غزوة الخندق سنة ٥ هـ) وكان قائدهم العام أبا سفيان .

ما أرادوا من إفساده ، فالיום فإيتعجب المتعجب من توثبك يا معاوية على أمر لست من أهله ، لا بفضل في الدين معروف ، ولا أثر في الإسلام محمود ، وأنت ابن حزب من الأحزاب ، وابن أعدى قريش لرسول الله صلى الله عليه وآله ولكتابه ، والله حسيبك ، فسترد وتعلم لمن عقي الدار ، وبالله لتلقين عن قليل ربك ، ثم ليجزينك بما قدمت يدك ، وما الله بظلام للعبيد .

إن علياً لما مضى لسبيله - رحمة الله عليه يوم قبض ، ويوم من الله عليه بالإسلام ، ويوم يُبعث حياً - ولأني المسلمون الأمر بعده ، فأسأل الله أن لا يُوتينا في الدنيا الزائلة شيئاً ينقصنا به في الآخرة مما عنده من كرامة ، وإعما حملني على الكتاب إليك الإعذار فيما بيني وبين الله عز وجل في أمرك ولك في ذلك إن فعلته الحظ الجسم ، والصلاح للمسلمين ، فدع التماذي في الباطل ، وادخل فيما دخل فيه الناس من بيعتي ، فإنك تعلم أني أحق بهذا الأمر منك عند الله وعند كل أوَّاب^(١) حفيظ ومن له قلب مُنيب ، واتق الله ودع البغي واحقن دماء المسلمين ، فوالله مالك خير في أن تلقى الله من دماهم بأكثر مما أنت لاقيه به ، وادخل في السلم والطاعة ، ولا تُنازع الأمر أهله ، ومن هو أحق به منك ، ليطفي الله النائرة^(٢) بذلك ، ويجمع الكلمة ، ويصلح ذات البين ، وإن أنت أبيت إلا التماذي في غيبيك ، سرت إليك بالمسلمين ، فما كمتك حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين .

(شرح ابن أبي الحديد ٤ : ص ١٢)

صورة أخرى لرد معاوية على الحسن

وروى أيضاً : رد معاوية على الحسن بصورة أخرى وهي :

فكتب معاوية إليه :

من عبد الله معاوية أمير المؤمنين إلى الحسن بن علي : سلام عليك فإني أُحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد : فقد بلغني كتابك ، وفهمت ما ذكرت به

(١) آب لك الله تعالى: رجع عن ذنبه وتاب، فهو أوَّاب، مبالغة. (٢) النائرة: العداوة والشحناء.

محمدًا وسول الله من الفضل ، وهو أحق الأولين والآخريين بالفضل كله ، قديمه وحديثه ، وصغيره وكبيره ، وقد والله بلغ وأدى ، ونصح وهدى ، حتى أنقذ الله به من الهلكة ، وأبار به من العمى ، وهدى به من الجهالة والضلالة ، فجزاه الله أفضل ما جزى نبيا عن أمته ، وصلوات الله عليه يوم ولد ، ويوم بُعث ، ويوم قبض ، ويوم يُبعث حيا ، وذكرت وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، وتنازع المسلمين الأمر بعده ، وتغليبهم على أبيك ، فصرت بتبته أبي بكر الصديق ، وعمر الفاروق ، وأبي عبيدة الأمين ، وحوارى^(۱) رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلاح المهاجرين والأنصار ، فكرهت ذلك لك ، إنك امرؤ عندنا وعند الناس غير الظنين ولا المسى ولا اللئيم ، وأنا أحب لك القول السديد ، والذكر الجميل .

إن هذه الأمة لما اختلفت بينها ، لم تجهل فضاكم ولا سابقكم ولا قرابتكم من نبيكم ، ولا مكانكم في الإسلام وأهله ، فرأت الأمة أن تخرج من هذا الأمر لتريش لمكانها من نبيها ، ورأى صلاحها الناس من قريش والأنصار وغيرهم من سائر الناس وعوامهم أن يؤثروا هذا الأمر من قريش أقدمها إسلامًا ، وأعلمها بالله ، وأحبها له ، وأقواها على أمر الله ، فاختروا أبا بكر ، وكان ذلك رأى ذوى الدين والفضل والناظرين للأمة ، فأوقع ذلك فى صدوركم لهم التهمة ، ولم يكونوا متهمين ، ولا فيما أتوا بالمخطئين ، ولو رأى المسلمون أن فيكم من يُغني غناه^(۲) . ويقوم مقامه ، ويذنب عن حريم الإسلام ذنبه ، ما عدلوا بالأمر إلى غيره رغبة عنه ، ولكنهم عملوا فى ذلك بما رأوه صلاحًا للإسلام وأهله ، والله يجزيهم عن الإسلام وأهله خيرًا .

وقد فهمت الذى دعوتنى إليه من الصالح ، والحال فيما بينى وبينك اليوم مثل الحال التى كنتم عليها أتم وأبو بكر بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، فلو علمت أنك أضبط منى الرعية ، وأحوط على هذه الأمة ، وأحسن سياسة ، وأقوى على جمع الأموال ،

(۱) هو الزبير بن العوام ، والحوارى : الناصر أو ناصر الأنبياء .

(۲) الغناه : النفع ، وأغنى غناه : أجزأ عنه وقام مقامه .

وأکید للعدو ، لأجبتك إلى ما دعوتني إليه ، ورأيتك لذلك أهلاً ، ولكن قد علمت
أنی أطول منك ولاية ، وأقدم منك بهذه الأمة تجربة ، وأكبر منك سناً ، فأنت أحقُّ
أن تُجيبني إلى هذه المنزلة التي سألتني ، فادخل في طاعتي ولك الأمر من بعدى ، ولك
ما في بيت مال العراق من مالٍ ، بالغاً ما يبلغ تحمله إلى حيث أحببت ، ولك خراج أى
كُورِ العراق شئت ، معونةً لك على نفقتك ، يجيبها أمينك ، ويحملها إليك في
كل سنة ، ولك ألا يستولى عليك بالإساءة ، ولا تُقضى دونك الأمور ، ولا تُعصى
في أمر أردت به طاعة الله ، أعاننا الله وإياك على طاعته ، إنه سميع مجيب الدعاء ،
والسلام . (شرح ابن أبي الحديد م ۴ : ص ۱۳)

۸ - كتاب معاوية إلى الحسن

وكتب معاوية إلى الحسن رضى الله عنه :

« أما بعد : فإن الله يفعل في عباده ما يشاء لا معقب لحكمه وهو سريع
الحساب ، فاحذر أن تكون منبتك على أيدي رعاع من الناس ، وأبس من
أن تجد فينا غميرةً ، وإن أنت عرضت عما أنت فيه وبايعتني ، وقيت لك بما
وعدت ، وأجريت لك ما شرطت ، وأكون في ذلك كما قال أعشى بنى قيس
ابن ثعلبة :

وإن أحد أسدى إليك أمانةً فأوف بها ، تدعى إذا مت وافيًا

ولا تحسد الموتى إذا كان ذا غنى ولا تجفئه إن كان في المال فانيًا^(۱)

ثم الخلافة لك من بعدى ، فأنت أولى الناس بها ، والسلام .

(شرح ابن أبي الحديد م ۴ : ص ۱۳)

(۱) الأولى : الصاحب والقريب كابن العم ونحوه .

(۲ - جبهة رسائل العرب - تانى)

محمدًا وسوال الله من الفضل ، وهو أحق الأولين والآخرين بالفضل كله ، قدومه وحديثه ، وصغيره وكبيره ، وقد والله بلغ وأدّى ، ونصح وهدى ، حتى أنقذ الله به من الهلكة ، وأنار به من العمى ، وهدى به من الجهالة والضلالة ، فجزاه الله أفضل ما جزى نبيًا عن أمته ، وصلوات الله عليه يوم ولد ، ويوم بُعث ، ويوم قبض ، ويوم بُعثت حيا ، وذكرت وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، وتنازع المسلمين الأمر بعده ، وتغلبهم على أبيك ، فصرت بتبتهمة أبي بكر الصديق ، وعمر الفاروق ، وأبي عبدة الأمين ، وحوارى^(۱) رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبا المهاجرين والأنصار ، فكرهت ذلك لك ، إنك امرؤ عندنا وعند الناس غير الظنن ولا المسمى ولا اللثيم ، وأنا أحب لك القول السديد ، والذكر الجميل .

إن هذه الأمة لما اختلفت بينها ، لم تجهل فضلكم ولا سابقكم ولا قرابتكم من نبيكم ، ولا مكانكم في الإسلام وأهله ، فرأت الأمة أن تخرج من هذا الأمر لتريش لمكانها من نبيها ، ورأى صلحاء الناس من قريش والأنصار وغيرهم من سائر الناس وعوامهم أن يؤثروا هذا الأمر من قريش أقدمها إسلامًا ، وأعلمها بالله ، وأحبها له ، وأقواها على أمر الله ، فاختاروا أبا بكر ، وكان ذلك رأى ذوى الدين والفضل والناظرين للأمة ، فأوقع ذلك فى صدوركم لهم التهمة ، ولم يكونوا متهمين ، ولا فيما أتوا بالمخطئين ، ولو رأى المسلمون أن فيكم من يُغنى غناه^(۲) ، ويقوم مقامه ، ويذب عن حريم الإسلام ذبه ، ما عدلوا بالأمر إلى غيره رغبةً عنه ، ولكنهم عملوا فى ذلك بما رأوه صلاحًا للإسلام وأهله ، والله يجزيهم عن الإسلام وأهله خيرًا .

وقد فهمت الذى دعوتنى إليه من الصلح ، والحال فيما بينى وبينك اليوم مثل الحال التى كنتم عليها أتم وأبو بكر بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، فلو عدت أنك أضبط منى الرعية ، وأحوط على هذه الأمة ، وأحسن سياسة ، وأقوى على جمع الأموال ،

(۱) هو الزبير بن العوام ، والحوارى : الناصر أو ناصر الأنبياء .

(۲) الغناء : النفع ، وأغنى غناه : أجزأ عنه وقام مقامه .

وأكيد للعدو ، لأجبتك إلى ما دعوتني إليه ، ورأيتك لذلك أهلاً ، ولكن قد علمت
أنى أطول منك ولاية ، وأقدم منك بهذه الأمة تجربة ، وأكبر منك سناً ، فأنت أحقُّ
أن تُجيبني إلى هذه المنزلة التي سألتني ، فادخل في طاعتي ولك الأمر من بعدى ، ولك
ما فى بيت مال العراق من مالٍ ، بالغاً ما يبلغ تحمله إلى حيث أحببت ، ولك خراج أى
كُورِ العراق شئت ، معونةً لك على نفقتك ، يجيبها أمينك ، ويحملها إليك فى
كل سنة ، ولك ألا يُستولى عليك بالإساءة ، ولا تُقضى دونك الأمور ، ولا تُعصى
فى أمر أردت به طاعة الله ، أعاننا الله وإياك على طاعته ، إنه سميع مجيب الدعاء ،
والسلام . (شرح ابن أبى الحديد م ٤ : ص ١٣)

٨ - كتاب معاوية إلى الحسن

وكتب معاوية إلى الحسن رضى الله عنه :

« أما بعد : فإن الله يفعل فى عباده ما يشاء لا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ
الْحِسَابِ ، فاحذر أن تكون منبتك على أيدى رعاع من الناس ، وأبسن من
أن تجد فينا غميرةً ، وإن أنت أعرضت عما أنت فيه وبايعتني ، وفيت لك بما
وعدتُ ، وأجريتُ لك ما شرطتُ ، وأكون فى ذلك كما قال أعشى بنى قيس
ابن ثعلبة :

وإن أحدٌ أشدَّ إليك أمانةً فأوفِ بها ، تدعى إذا ميتٌ وافية
ولا تحسدِ المولى إذا كان ذا غنى ولا تجفهُ إن كان فى المال فانياً^(١)

ثم الخلافة لك من بعدى ، فأنت أولى الناس بها ، والسلام .

(شرح ابن أبى الحديد م ٤ : ص ١٣)

(١) الأولى : الصاحب والقريب كابن العم ونحوه .

(٢ - جبهة رسائل العرب - ثانى)

۹ - رد الحسن علی معاویة

فأجابه الحسن :

« أما بعد : فقد وصل إلى كتابك تذكري فيه ما ذكرت ، وتركت جوابك خشيّة النبي عليك ، وبالله أعوذ من ذلك ، فأتبع الحق تعلم أني من أهله ، وعلى إثم أن أقول فأكذب ، والسلام . » (شرح ابن أبي الحديد م ٤ : ص ١٢)

۱۰ - كتاب معاوية إلى عماله

فلما وصل كتاب الحسن إلى معاوية قرأه ، ثم كتب إلى عماله على النواحي بنسخة واحدة :

« من عبد الله معاوية أمير المؤمنين إلى فلان بن فلان ، ومن قبله من المسلمين ، سلام عليكم ، فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد : فالحمد لله الذي كفاكم مؤنة^(١) عدوكم ، وقتلة خليفتم ، إن الله بلطفه وحسن صنعه أتاح لعملي بن أبي طالب رجلا من عباده فاغتاله فقتله ، فترك أصحابه متفرقين مختلفين ، وقد جاءتنا كتب أشرفهم وقادتهم يلتمسون الأمان لأنفسهم وعشائرهم ، فأقبلوا إلى حين يأتيكم كتابي هذا بجهدكم وجندكم ، وحسن عدتكم ، فقد أصبتم بحمد الله الثار ، وباقم الأمل ، وأهلك الله أهل النبي والعدوان ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . »

وأقبل معاوية بجيشه قاصداً إلى العراق . (شرح ابن أبي الحديد م ٤ : ص ١٣)

(١) المؤنة : النقل ، وفيها لغات لإحداها . مؤنة على وزن فعولة بفتح الفاء وبهجرة مضمومة ، والثانية :

مؤنة بهجرة ساكنة كغرفة ، والثالثة : مؤنة كسورة .

۱۱ - الصلح بين الحسن و معاوية

وتجهز الحسن عليه السلام للقاء معاوية ، وخرج بأصحابه إلى المدائن ، ولكنهم رأوا منه أنه ينجح إلى موادعة معاوية ومصالحته ، فثاروا به وأساءوا إليه^(۱) ، فازداد لهم بغضا ، وازداد منهم ذعرا ، ورأى الأمر قد تفرق عنه ، فبعث إلى معاوية يطلب الصلح ، وبعث معاوية إليه رسولين قديما عليه المدائن ، فاعطياه ما أراد ، وصالحاه على أن يأخذ من بيت مال الكوفة خمسة آلاف ألف في أشياء اشترطها .

قال الطبري : « كاتب الحسن معاوية وأرسل إليه بشروط ، قال : إن أعطيتني هذا فأنا سامع مطيع ، وعليك أن تني لي به ، ووقعت صحيفة الحسن في يد معاوية ، وقد أرسل معاوية قبل هذا إلى الحسن بصحيفة بيضاء مختوم على أسفلها ، وكتب إليه : أن اشترط في هذه الصحيفة التي ختمت أسفلها ما شئت فهو لك ، فلما أتت الحسن اشترط أضعاف الشروط التي سأل معاوية قبل ذلك وأمسكها عنده ، وأمسك معاوية صحيفة الحسن عليه السلام ، التي كتب إليه بسأله ما فيها .

(۱) وذلك أن الحسن عليه السلام لما أتى ساباط ، أقام بها أياما ، فلما أراد أن يرحل إلى المدائن ، قام فخطب الناس . فقال : « أيها الناس إنكم بايعتموني على أن تسلموا من سالت ، وتجاربوا من حاربت ، وإني والله ما أصبعت محتملا على أحد من هذه الأمة ضغينة في شرق ولا غرب ، ولما تكروهون في الجماعة والألفة والأمن وصلاح ذات البين ، خير مما تحبون والفرقة والخوف والتباغض والعداوة ، وإن علياً أبي كان يقول : لا تكروهوا إمارة معاوية ، فإنكم لو فارقتموه لرأيتم الرهوس تنذر عن كواهلها كالخنظل » ثم نزل فنظر الناس بعضهم إلى بعض ، وقالوا : ما قال هذا القول إلا وهو خالغ نفسه ومسلم الأمر لمعاوية ، كفر والله الرجل : ثم نشدوا على فضاطه فاتهموا متاعه حتى أخذوا مصلاه من تحته ، وانزعوا مضره عن عاتقه ، وأخذوا جارية كانت معه فدعا بفرسه فركبه ، وأحرق به طوائف من خاصته وشيعته ، ومنعوا منه من أراده ، ولأموه وضعفوه لما تكلم به ، فلما مر في مظلم ساباط ، قام إليه رجل يقال له جراح بن سنان ويده معول ، فأخذ بلبجام فرسه وقال : الله أكبر يا حسن ! أشرك أبوك ثم أشرك أنت ! وطمعته بالمعول فوقعت في فخذه فشقتها حتى بلغت أربيته (أصل الفخذ) وسقط الحسن إلى الأرض بعد أن ضرب الذي طمعه بسيف كان بيده ، واعتنقه فغصا جميعاً إلى الأرض ، وابتدر أصحاب الحسن جراح ابن سنان فقتلوه وحمل الحسن على سرير إلى المدائن وبها سعد بن مسعود النقي (عم المختار ابن أبي عبيدة) والياً عليها من قبله فأقام عنده حتى برئ من جرحه (شرح ابن أبي الحديد م ٤ : ص ١٠ - ١٥) .

فلما التقى معاوية والحسن عليه السلام ، سأله الحسن أن يعطيه الشروط التي شرط في السَّجِلِّ الذي ختم معاوية في أسفله، فأبى معاوية أن يعطيه ذلك ، فقال : لك ما كنت كتبت إلى أوليائي أن أعطيكه ، فأبى أن يعطيك حين جاءني كتابك ، قال الحسن عليه السلام : وأنا قد أشرت حين جاءني كتابك ، وأعطيتني العهد على الوفاء بما فيه ، فاختلنا في ذلك فلم ينفذ للحسن عليه السلام من الشروط شيئاً .

وسلم الحسن عليه السلام الأمر إلى معاوية ، ودخل معاوية الكوفة وبايعه أهلها بالخلافة لخمس بقين من ربيع الأول ، ويقال من جمادى الأولى سنة ٤١ هـ .
(تاريخ الطبري ج : ٦ ص ٩٢ - ٩٣)

١٢ - كتاب الحسن إلى معاوية بعد الصلح

ولما سلم الحسن بن علي رضي الله عنه الأمر إلى معاوية ، سار يريد المدينة ، فكتب إليه معاوية يدعو إلى قتال الخوارج ، فكتب إليه :
« لو آثرت أن أقاتل أحداً من أهل القبلة لبدأت بقتالك ، فأبى تركتك لصلاح الأمة ، وحقن دماؤها . »
(الكامل لابن الأثير ٣ : ١٦٣)

* * *

وروى أبو العباس المبرّد قال :

دخل معاوية الكوفة مع الحسن بن علي صلوات الله عليه بعد أن بايعه الحسن والحسين عليهما السلام ، وقيس بن سعد بن عبادة ، ثم خرج الحسن يريد المدينة ، فوجه إليه معاوية ، وقد تجاوز في طريقه ، يسأله أن يكون المتولّي لمحاربة الخوارج^(١) ، فقال الحسن : « والله لقد كفت عنك لحقن دماء المسلمين ، وما أحسب ذلك يسعني ، أفأقاتل عنك قوماً أنت والله أوّل بالقتال منهم . »
(الكامل للمبرّد ٢ : ١٥٦)

(١) وكان أول من خرج منهم بعد قتل علي عليه السلام حوثة الأسدي، فإنه كان متنجساً بالبندنجين فكتب إلى حابس العطائي يسأله أن يتولى أمر الخوارج حتى يسير إليه بجمعه ، فيتعاضدا على مجاهدة معاوية ، فأجابه فرجعاً إلى موضع أصحاب النخيلة ، فلما رجع جواب الحسن إلى معاوية وجه إليهم جيشاً أكثرهم من أهل الكوفة فهزمهم .

۱۳ - کتاب معاویة إلى ابن عباس

وكتب معاویة إلى ابن عباس رضی اللہ عنہ ، عند صلح الحسن علیہ السلام له کتاباً يدعوہ فیہ إلى بیعتہ ، ویقول له فیہ :

« وَلَعَمْرِي لو قتلْتُكَ بعثان رجوتُ أن يكون ذلكِ لله رِضًا ، وأن يكون رأياً صواباً ، فإنك من السَّاعين عليه ، والخاذلين له ، والسَّافكين دَمَهُ ، وما جرى بيني وبينك صلحٌ فيمنعك مني ، ولا بيدك أمان » .

(شرح ابن أبي الحديد م ۴ : ص ۵۸)

۱۴ - رد ابن عباس على معاویة

فكتب إليه ابن عباس جواباً طويلاً يقول فيه :

« وأما قولك : إني من الساعين على عثمان ، والخاذلين له ، والسافكين دَمَهُ ، وما جرى بيني وبينك صلح فيمنعك مني ، فأقسم بالله لأنك المتربصٌ بقتله ، والمحبُّ لهلاكه ، والحابِسُ الناسَ قبلك عنه على بصيرة من أمره ، ولقد أتاك كتابه وصريحه^(۱) يستغيث بك ويستصرخ ، فما حَفَلتَ به^(۲) ، حتى بعثتَ إليه مُعذراً بأخرة^(۳) ، أنت تعلم أنهم لن يتركوه حتى يُقتلَ ، فقتل كما كنت أردت ، ثم علمت عند ذلك أن الناس لن يُعَدِلُوا^(۴) بيننا وبينك ، فطفقتَ تمنى عثمان وتلزمنا دَمَهُ ، وتقول : قتل مظلوماً ، فإن بك قتل مظلوماً فأنت أظلم الظالمين ، ثم لم تزل مُصَرِّباً ومُصَعِّداً^(۵) ،

(۱) الصريح : المستغيث (والفتى أيضاً ، ضد) واستصرخ : استغاث ، تقول ، استصرخه فاستصرخه . (۲) انظر ص ۲۷۷ من الجزء الأول .

(۳) المعذر : القصر بتعذر بغير عذر ، بوم أن له عذراً ولا عفر له ، وجاء أخرة وبأخرة محركتين وقد يضم أولهما : أي آخر كل شيء ، وفي الأصل (بأجرة) وهو تحريف .

(۴) أي لن يسووا . (۵) التصويب : خلاف التصعيد ، يقال صوب رأسه : إذا خففه .

وَجَانِمًا وَرَائِبًا^(۱) ، تستغوي الجُهال ، وتنازعنا حقنا بالسفهاء ، حتى أدركت ما طلبت ،
وَإِنْ أُدْرِى كَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ » . (شرح ابن أبي الحديد م ۴ : ص ۵۸)

۱۵ - كتاب معاوية إلى الحسين بن علي

قال صاحب زهر الآداب :

وكان معاوية بن أبي سفيان عَيْنَ بالمدينة يكتب إليه بما يكون من أمور الناس
وقريش ، فكتب إليه أن الحسين بن علي رضي الله عنه أعتق جارية له وتزوجها ،
فكتب معاوية إلى الحسين :

« من أمير المؤمنين معاوية إلى الحسين بن علي :

أما بعد ، فإنه بلغني أنك تزوجت جاريته ، وتركت أ كفاءك من قريش ،
من تستحسنه للولد ، وتمجدُ به في الصَّهر ، فلا لنفسك نظرت ، ولا لولدك انتقيت » .

۱۶ - رد الحسين على معاوية

فكتب إليه الحسين بن علي رضي الله عنه :

أما بعد ، فقد بلغني كتابك وتعبيرك إيماي باني تزوجت مولاتي ، وتركت
أ كفاي من قريش ، فليس فوق رسول الله صلى الله عليه وسلم مُنتَهَى في شرفٍ ،
ولا غاية في نَسَبٍ^(۲) ، وإنما كانت ملكَ يميني ، خَرَجَتْ عن يدي بأمرٍ التَمَسْتُ فيه
نوابَ الله تعالى ، ثم ارتجعتها على سنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وقد رفع الله بالإسلام
الخصية ، ووضع عنا به النقيصة فلا لومَ على امرئٍ مُسلمٍ إلا في أمرٍ مَأْتَمٍ ، وإنما اللومُ
لَوْمُ الجاهلية » .

(۱) جَم الطائر والإنسان كضرب ونصر جَمًا وجثوما: تلبد بالأرض، وربضت الشاة كضرب ربضا وربوضاً ، وهو مثل جنوم الطير وبروك الإبل .

(۲) وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا يهود خيبر (سنة ۷ هـ) وهزمهم وسبهم ، وكان في السبي صفية بنت حيي بن أخطب سيد بني النضير، فتزوجها عليه الصلاة والسلام وأصدقها عتقها، وقد أسلمت.

فلما قرأ معاوية كتابه نبذه إلى يزيد فقراه وقال : لَشَدَّ مَا فَخَّرَ عَلَيْكَ الْحُسَيْنُ ا
قال : لا ، ولكنها أَلْسِنَةُ بَنِي هَاشِمِ الْحِدَادِ ، التي تَفَلِقُ الصَّخْرَ ، وتغْرِفُ من البحر .
(زهر الآداب ۱ : ۷۲)



وروى صاحب العقد هذا الخبر قال :

تزوج عليّ (زين العابدين) بن الحسين جارية له وأعتقها ، فبلغ ذلك عبد الملك
ابن مروان ، فكتب إليه يؤنبه ، فكتب إليه عليّ :
« إن الله رفع بالإسلام الخسيّة ، وأتمّ به النقيصة ، وأكرم به من اللؤم ،
فلا عارَ على مسلم ، وهذا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قد تزوج أمته ^(۱) ، وأمراً
عَبْدِهِ ^(۲) . »

(۱) هي صفة اليهودية كما قدمنا .

(۲) يشير إلى زواجه صلى الله عليه وسلم من زينب بنت جحش - وأما أمية عمته - بعد أن طلقها
مولاه زيد بن حارثة ، وذلك أن رسول الله كان خطبها له ، فتأنف أهلها من ذلك لشرفها ورفع
حسبها - وكان العرب يأبون أن يزوجوا بناتهم من الموالى - وزيد وإن كان قد تبناه الرسول - لا يلحقه
ذلك بالأشراف ، فلما نزل قوله تعالى « وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ
أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً
مُبِيناً » لم يروا بدا من القبول فلما دخل بها زيد أرتته من كبريائها ودالتها ما لم يحمله ، فشكاه الرسول الله
فأمره باحتلالها والصبر عايتها ، إلى أن ضاق بها ذرعاً ، فأخبره بعزمه على طلاقها وكرر ذلك ، فأمر الله نبيه
أن يتزوج زينب بعد طلاقها ، حسماً لهذا الشقاق من جهة ، وحفظاً لشرفها أن يضيع بعد زواجها بولي من
جهة أخرى ، ولكن رسول الله خشي لوم اليهود والعرب عليه في زواجه بزواج ابنة . فقال لزيد
أمسك عليك زوجك واتق الله ، وأخني في نفسه ما أبداه الله فبت الله حكمه بإبطال هذه القاعدة وهي تحريم زوج
التي بى بقوله تعالى : « وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ
زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ
فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَا كَمَا لَمْ يَكُنْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ
أَدْعِيائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً » .

فقال عبد الملك : إن علي بن الحسين يشرف من حيث يتضع الناس .

(العقد الفريد ٣ : ٢٤٣)

١٧ - كتاب الحسين بن علي إلى معاوية

وروى ابن أبي الحديد عن المدائني قال :

قال معاوية يوماً لعقيل بن أبي طالب : هل من حاجة فأقضيها لك ؟ قال : نعم ،
جارية عرّضت علي وأبي أصحابها أن يبيعوها إلا بأربعين ألفاً ، فأحبّ معاوية أن يمازحه
فقال : وما تصنع بجارية قيمتها أربعون ألفاً ، وأنت أعمى تجتري بجارية قيمتها خمسون
درهماً ؟ قال : أرجو أن أطأها فتلد لي غلاماً إذا أغضبتك يضرب عنقك بالسيف ،
فضحك معاوية وقال : ما زحناك يا أبا يزيد ، وأمر فابنيت له الجارية التي أولدها ابنه
« مُسَلِّماً » ، فلما أنت علي مُسَلِّم ثمانى عشرة سنة ، وقد مات عقيل أبوه ، قال لمعاوية :
يا أمير المؤمنين إن لي أرضاً بمكان كذا من المدينة ، وإني أُعْطيتُ بها مائة ألف ،
وقد أحببت أن أبيعك إياها ، فادفع إليّ تمناها ، فأمر معاوية بقبض الأرض ودفع الثمن
إليه ، فبلغ ذلك الحسين عليه السلام ، فكتب إلى معاوية :

« أما بعدُ : فإنك غرّرت غلاماً من بني هاشم ، فابتعت منه أرضاً لا يملكها ،
فأقبض من الغلام ما دفعته إليه ، واردد إلينا أرضنا » .

١٨ - رد معاوية على الحسين

فبعث معاوية إلى مسلم فأخبره ذلك وأقرأه كتاب الحسين عليه السلام ، وقال :
اردد علينا مالنا وخذ أرضك ، فإنك بعت مالاً تملك ، فقال مسلم : أمّا دون أن
أضرب رأسك بالسيف فلا ، فاستلقى معاوية ضاحكاً يضرب برجليه ، وقال : يا بني
هذا والله كلام قاله لي أبوك حين ابتعت له أمك ، ثم كتب إلى الحسين :

« إني قد رددتُ عليكم الأرض ، وسوَّغتُ^(١) مسفاً ما أخذ » فقال الحسين عليه السلام : « أبيتُم يا آلَ أبي سفيانَ إلا كرمًا » .

(شرح ابن أبي الحديد م ٣ : ص ٨٢)

١٩ - كتاب الحسين بن علي إلى معاوية

وكان مالُ حِمْلٍ من اليمن إلى معاوية ، فلما مرَّ بالمدينة وثب عليه الحسين بن علي عليه السلام ، فأخذه وقسه في أهل بيته ومواليه ، وكتب إلى معاوية :
« من الحسين بن علي إلى معاوية بن أبي سفيان :

أما بعد : فإن عِيراً^(٢) مرَّت بنا من اليمن تحمل مالاً وحُللاً ، وعَنْبِراً وطِيباً إليك ، لِأُودِعَها خزائن دِمَشقَ ، وتُعلِّبَها بعد النَهْلِ^(٣) بني أبيك ، وإني أحتجت إليها فأخذتها ، والسلام » .
(شرح ابن أبي الحديد م ٤ : ص ٣٢٧)

٢٠ - رد معاوية على الحسين

فكتب إليه معاوية :

« من عبد الله معاوية أمير المؤمنين إلى الحسين بن علي :
سلام عليك ، أما بعدُ : فإن كتابك ورد عليّ ، تذكر أن عِيراً مرت بك من اليمن ، تحمل مالاً وحُللاً ، وعَنْبِراً وطِيباً إلىّ ، لِأُودِعَها خزائن دمشق ، وأعلِّبَها بعد النَهْلِ بني أبي ، وأنتك احتجت إليها فأخذتها ، ولم تكن جديراً بأخذها ، إذ نسبتها إلىّ ، لأن الوالي أحق بالمال ، ثم عليه المَخْرَجُ منه ، وإيَّمُ الله لو تركت ذلك حتى صار إلىّ ، لم أبخسك حظك منه ، ولكني قد ظننت يا ابن أخي أن في رأسك نزوة^(٤) ،

(١) صوغه ما أصاب : تركه له خالصاً .

(٢) العير : الإبل تحمل البيرة ، بلا واحد من لفظها ، أو كل ما امتير عليه إبلا كانت أوحباً أو بغلاً

(٣) العل والعلل محرّكة : الشربة الثانية أو الشرب بعد الشرب تبعاً ، عل كضرب ونصر ، وعله كضرب ونصر أيضاً وأعله ، والنهل محرّكة ، أول الشرب . نهلت الإبل كفرح ، وقد أنهلها .

(٤) النزوة : الوثبة ، من نزا نزوا ونزوانا إذا وثب ، يريد أنه يتوثب لطلب الخلافة .

وَبُودَى أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ فِي زَمَانِي ، فَأَعْرَفَ لَكَ قَدْرَكَ ، وَأَتَجَاوَزَ عَنْ ذَلِكَ ، وَلَكِنِّي
وَاللَّهِ أَتَخَوَّفُ أَنْ تُبْتَلَى بَيْنَ لَا يُنْظَرُكَ فُوقَ^(۱) نَاقَةٍ ، وَكُتِبَ فِي أَسْفَلِ كِتَابِهِ :

يَا حُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ : لَيْسَ مَا جِئْتَ بِالسَّائِغِ يَوْمًا فِي الْعِلَلِ^(۲)

أَخَذَكَ الْمَالَ وَلَمْ تُؤْمَرْ بِهِ إِنَّ هَذَا مِنْ حُسَيْنٍ لَعَجَلٌ

قَدْ أَجَزْنَاهَا وَلَمْ نَقْضِبْ لَهَا وَاحْتَمَلْنَا مِنْ حُسَيْنٍ مَا فَعَلَ

يَا حُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ ذَا الْأَمَلِ لَكَ بَعْدِي وَثَبَةٌ لَا تُحْتَمَلُ

وَبُودَى أَنِّي شَاهِدُهَا فَأَلِيهَا مِنْكَ بِالْخَلْقِ الْأَجَلِ^(۳)

إِنِّي أَرْهَبُ أَنْ نَصَلِّيَ بَيْنَ عِنْدَهُ قَدْ سَبَقَ السِّيفُ الْعَدْلَ^(۴)

(شرح ابن أبي الحديد م ۴ : من ۳۲۷)

۲۱ - كتاب محمد بن الحنفية إلى الحسين بن علي

وجرى بين الحسين بن علي وبين أخيه محمد^(۵) بن الحنفية رضي الله عنهما كلام ،
وافترقا متغاضبين ، فلما وصل محمد إلى منزله كتب إلى الحسين بهد البسطة :

(۱) أنظره : أمهله ، والفوق كمراب ويفتح : ما بين الملبتين من الوقت ، أو ما بين فتح يدك وقبضها
على الضرع . (۲) السائغ : الجائر . (۳) أليها : أي أتولاها وأعالجها .

(۴) سبق السيف العدل : مثل معناه قد فرط من الفعل مالا سبيل إلى رده (والعدل : اللوم)
وأول من قال هذا المثل ضبة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر ، وكان له ابنان يقال لأحدهما سعد وللآخر
سعيد ، فنفرت لبل لضبة تحت الليل ، فوجه ابنه في طلبها ، فوجدها سعد فردها ، ومضى سعيد في طلبها
فلقية الحارث بن كعب ، وكان على الغلام بردان ، فسأله الحارث إياها ، فأبى عليه ، فقتله وأخذ برديه ،
فكان ضبة إذا أمسى فرأى تحت الليل سوادا قال : أسعد أم سعيد (فذهبت مثلا يضرب في النجاح والحياة)
فكث ضبة بذلك ما شاء الله أن يمكث ، ثم إنه حج فواري عكاظ ، فاقى بها الحارث بن كعب ورأى عليه
بردى ابنه سعيد ، فعرفهما فقال له : هل أنت مجبري ما هذان البردان اللذان عليك ؟ قال : بلى ، لقيت
غلاما وها عليه ، فسألته إياها فأبى علي فقتلته وأخذت برديه هذين ، فقال ضبة : بسيفك هذا ؟ قال :
نعم ، فقال . فأعطنيه أنظر إليه فإني أظنه صارما ، فأعطاه الحارث سيفه ، فلما أخذه من يده هزه وقال :
الحديث ذوشجون (أي ذو طروق جمع شجن كشمس) ثم ضربه به حتى قتله ، فقيل له يا ضبة ، أفي الشهر
الحرام ؟ فقال : سبق السيف العدل .

(۵) هو محمد بن علي بن أبي طالب ، والحنفية أمه ، وهي من بني حنيفة بن لجم ، واسمها خولة بنت
جعفر ، وتوفي محمد سنة ۸۱ - انظر ترجمته في وفيات الأعيان ۱ : ۴۴۷ .

« من محمد بن علیّ إلى أخیه الحسین بن علیّ ، أما بعد ، فإن لك شرفاً لا يبلغه ،
وفضلاً لا أدركه ، فإن أُمّی امرأة من بنی حنیفة ، وأمّك فاطمة بنت رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، ولو كان من الأرض نساء مثل أُمّی ما وقین بأمّك ، فإذا قرأت
رُفعتی هذه فالبس رداءك ونعليك ، وسِرْ إلى لترضینى ، وإياك أن أسبِکَ إلى هذا
الفضل الذى أنت أوّلى به منى ، والسلام . »

فلبس الحسین رداءه ونعليه وجاء إليه وترضاه (۱) .

(غرر الحقائق الواضحة : ص ۳۸۳)

۲۲ - كتاب الحسن بن علیّ إلى أهل البصرة

وكتب الحسن بن علیّ علیهما السلام إلى أهل البصرة كتاباً قال فيه :

« من لم يؤمن بالله وقضائه وقدره فقد كفر ، ومن حمل ذنبه على ربه فقد فجر ،
إن الله لا يطاع استكراها ، ولا يُعصى لِنَلْبَةِ ، لأنه المليك لما ملكهم ، والقادر على
ما أقدرهم عليه ، فإن عملوا بالطاعة لم يحل بينهم وبين ما فعلوا ، وإن عملوا بالمعصية فلو
شاء حال بينهم وبين ما فعلوا ، فإذا لم يفعلوا فليس هو الذى أجبرهم على ذلك ، فلو أجبر
الله الخلق على الطاعة لأستقط عنهم الثواب ، ولو أجبرهم على المعاصى لأسقط عنهم العقاب ،
ولو أهلهم لكان عجزاً فى القدرة ، ولكن له فيهم المشيئة التى غيَّبها عنهم ، فإن عملوا
بالطاعات كانت له المنّة عليهم ، وإن عملوا بالمعصية كانت له الحجّة عليهم . »

(المنية والأمل ص ۱۰)

(۱) وفى رواية زهر الآداب (۱ : ۷۱) :

وقع بين الحسن بن علیّ ومحمد بن الحنفية رضى الله عنهما لقاء (أى منازعة) ومضى الناس بينهما
بالتمام ، فكتب إليه محمد بن الحنفية :

« أما بعد ، فإن أبى وأباك على بن أبى طالب « لا تفضلنى فيه ولا أفضلك ، وأُمّی امرأة من
بنی حنیفة ، وأمّك فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلو ملئت الأرض بمنزل أُمّی ، لكانت
أمّك خيراً منها ، فإذا قرأت كتابى هذا ، فاقدم حتى ترضانى ، فإنك أحق بالفضل منى . »

٢٣ - كتاب ابن عباس إلى مجبرة الشام

وكتب عبد الله بن عباس إلى مجبرة^(١) الشام :

« أما بعد ، أتأمرون الناس بالتقوى وبكم ضلّ المتقون ، وتنهون الناس عن المعاصي وبكم ظهر العاصون ؟ يا أبناء سلفِ المقاتلين ، وأعدوان الظالمين ، وخزان مساجد الفاسقين ، وعمّار سلف الشياطين ، هل منكم إلا مُفترٍ على الله بحملِ أجرّامه^(٢) عليه ، وبنسبها علانيةً إليه ، وهل منكم إلا من السيفِ قِلاَدتهُ ، والزور على الله شهادته ؟ أعلّى هذا توأليتم ، أم عليه تمأليتم^(٣) ؟ حظكم منه الأوفر ، ونصيبكم منه الأكبر ، عمدتم إلى موالاة من لم يدعُ الله ما لا إلا أخذه ، ولا مناراً إلا هدمه ، ولا ما لا لينتم إلا سرّقه أو خانته ، فأوجبتم لإخبت خلقِ الله أعظمَ حقٍّ الله ، وتخاذلتم أهل الحق حتى ذلّوا وقلّوا ، وأعنتم أهل الباطل حتى عزّوا وكثروا ، فأنيبوا إلى الله وتوبوا ، تاب الله على من تاب ، وقبل من أناب » . (النية والأمل ص ٩)

٢٤ - كتاب معاوية إلى عمرو بن العاص

وكتب معاوية إلى عمرو بن العاص - وبلغه عنه أمر - :

« وفقك الله لرشدك ، بلغني كلامك فإذا أوله بَطْرٌ وآخره خورٌ ، ومن أبطره الغنى أذله الفقرُ ، وهما ضدّان مُخادعان للمرء عن عقله ، وأولى الناس بمعرفة الدواء من يبين له الداء ، والسلام » .

(١) المجبرة أو الجبرية : فرقة تقول بأن الإنسان لا يقدر على شيء ولا يوصف بالاستطاعة ، وإنما هو مجبور في أفعاله لا قدرة له ولا إرادة ولا اختيار ، وإنه كالريشة في مهب الرياح ليس له كسب فيما يأتيه

(٢) الأجرام : جمع جرم بالضم وهو الجريمة . (٣) مخفف عن تعاليم أي اجتمعتم .

۲۵ - رد عمرو على معاوية

فأجابه عمرو :

« طاولتُك النعم ، وطاولتُ بك ، علوُ إنصافك يؤمن سطوبة جورك ، ذكرتُ
أنى نطقتُ بما تكبره ، وأنا مخدوع ، وقد علمتُ أنى ملتُ إلى محبتك ولم أخدع ،
ومثلك شكرٌ منعى معتذر ، وعفا زلةٌ مُعترفٌ » .

(العقد الفريد ۲ : ۲۰۱)

۲۶ - كتب بين معاوية وبسر بن أبي أرطاة

وبين زياد ابن أبيه

روى الطبرى قال :

« صالحَ الحسن عليه السلام معاوية ، وشخصَ إلى المدينة ، فبعث معاوية بُسرَ
ابن أبي أرطاة إلى البصرة في رجب سنة ۴۱ هـ ، وزيادٌ متحصنٌ بفارس^(۱) ، فكتب
معاوية إلى زياد : « إن في يدك مالاً من مال الله ، وقد وليت ولايةً ، فاد ما عندك
من المال » :

فكتب إليه زياد :

« إنه لم يبقَ عندي شيء من المال ، وقد صرفتُ ما كان عندي في وجهه ،
واستودعتُ بعضه قوماً ، لِنازلةٍ إن نزلتُ ، وحمَلتُ ما فضلَ إلى أمير المؤمنين^(۲)
رحمةُ الله عليه . »

فكتب إليه معاوية « أن أقبِلُ إلى نَظَرُ فيما وليتَ وجَرَى على يدك ، فإن
أستقام بيننا أمر فهو ذاك ، وإلا رجعتُ إلى مأمِنِكَ » .

(۱) وكان والياً عليها من قبل الإمام على كرم الله وجهه كما قدمنا في الجزء الأول .

(۲) يعنى الإمام علياً رضى الله عنه .

فلم يأت به زياد ، فأخذ بُسْرُ بنى زياد الأكبرَ منهم فحبسهم (عبد الرحمن وعبيد الله وعبادا) وكتب إلى زياد :

« لَتَقْدَمَنَّ عَلَى أمير المؤمنين أو لأَقْتُلَنَّ بَنِيكَ » فكتب إليه زياد :

« لستُ بَارِحًا من مكاني الذي أنا بهِ حتى يَحْكَمَ اللهُ بيني وبين صاحبك ، فإن قتلَ مَنْ في يدك من ولدي ، فالصيرُ إلى الله سبحانه ، وَمِنْ وراثتنا ووراثكم الحسابُ ، وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مَنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ » .

فهمَّ بقتلهم ، فاتاه أبو بكر^(۱) فقال : أخذتَ ولدي وولدَ أخي غلمانا بلا ذنب ، وقد صالح الحسن معاوية على أمان أصحاب عليّ حيث كانوا ، فليس لك على هؤلاء ولا على أبيهم سبيل ، فقال : إنَّ عليّ أخيك أموالاً قد أخذها ، فامتنع من أدائها ، قال : ما عليه شيء ، فاكف عن بني أخي حتى آتيك بكتاب من معاوية بتخليتهم ، فأجَّله أياما ، قال له : إن آتيتني بكتاب معاوية بتخليتهم ، وإلا قتلهم ، أو يُقبِلَ زياد إلى أمير المؤمنين ، فأتى أبو بكر معاوية فكلمه في زياد وبنيه ، وكتب معاويةُ إلى بُسر بالكف عنهم وتخليتهم سبيلهم بخلام .

وفي رواية أخرى للطبري أيضا قال :

كتب بُسرُ إلى زياد : « لئن لم تقدم لأصلبني بنيك » فكتب إليه : « إن تفعل فأهلُ ذاك أنت ، إنما بعث بك ابن آكلةِ الأكباد^(۲) » فركب أبو بكر معاوية فقال : يا معاوية إن الناس لم يعطوك ببيعتهم على قتل الأطفال ، قال : وما ذاك

(۱) هو أخو زياد لأمه ، وأبوه الحارث بن كلدة .

(۲) هي هند أم معاوية وذلك أن حمزة بن عبدالمطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يوم بدر قد قتل عمها شيبة بن ربيعة بن عبد شمس ، واشترك هو والإمام علي وعبيدة بن الحارث بن المطلب في قتل أبيها عتبة بن ربيعة ، واشترك هو والإمام علي وزيد بن حارثة في قتل ابن زوجها حنظلة بن أبي سفيان ، فلما كانت غزوة أحد قتل حمزة رضي الله عنه (قتله وحشى مولى جبير بن مطعم ، دعاه سيده وقال له اخرج مع الناس فإن أنت قتلت حمزة بعى طعيمة فأنت حر) ومثل المشركون بقتلى المسلمين ، وبقرت هند بطن حمزة وأخذت كبده لنا كلها انتقاما منه فلا كتبها ثم أرسلتها .

يا أبا بكرة؟ قال : بُسْرٌ يريد قتل أولاد زياد ، فكتب معاوية إلى بسر أن خلّ من بيدك من ولد زياد ، وكان معاوية قد كتب إلى زياد بعد قتل عليّ عليه السلام بتوعدده .
(تاريخ الطبري ۶ : ۹۶)

۲۷ - كتاب معاوية إلى زياد

وروى ابن أبي الحديد قال :

كان عليّ عليه السلام قد ولّى زياداً قطعة من أعمال فارس ، واصطنعه لنفسه ، فلما قتل عليّ عليه السلام بقي زياد في عمله ، وخاف معاوية جانبَه ، وعلم صعوبة ناحيته ، وأشفق من ممالآته الحسن بن عليّ عليه السلام ، فكتب إليه :

« من أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان إلى زياد بن عبّيد^(۱) ، أما بعد : فإنك عبّد قد كفرت النعمة ، واستدعيت الفقمة ، ولقد كان الشكرُ أوّلَى بك من الكفر ، وإن الشجرة لتضربُ بعرقها ، وتتفرّع من أصلها ، إنك - لا أمّ لك^(۲) بل لا أب لك - قد هلكت وأهلكت^(۳) ، وظننت أنك تخرج من قبضتي ،

(۱) ذكروا أن سمية أم زياد كانت قد وهبها أبو الخير بن عمرو الكندي للحارث بن كلدة - وكان طبيباً يعالجه - فولدت له علي فراشه نافعاً ، ثم ولدت أبا بكرة فأنكر لونه ، وقيل له : إن جاريتك بغى ، فأتى من أبي بكرة ومن نافع ، وزوجها عبّيدا - وكان عبدا لابنته - فولدت علي فراشه زيادا (المقد الفريد ۳ : ۲) .

(۲) يقول الرجل للرجل « لا أم لك » وهو شتم وسب ، ومعناه : ليس لك أم حرة . وذلك أن بني الإمام عند العرب مذمومون ليسوا بمرضيين ولا لاحقين ببني الحرائر ، وقيل معناه : أنت لقيط لا تعرف لك أم ، ولا يقول الرجل لصاحبه « لا أم لك » إلا في غضبه عليه مقصرا به شامتا له (وربنا وضع موضع المدح بمعنى التعجب منه) .

وأما إذا قال « لا أبا لك » - ويقال أيضا لا أب لك ولا أباك ولا أبك بغير لام - فلم يترك له من الشقمة شيئا ، وإذا أراد كرامة قال « لا أبا لثانيك » « ولا أب لثانيك » .

وجاء في كتب اللغة أيضا وأكثر ما يذكر « لا أبا لك » في المدح ، أي لا كافي لك غير نفسك وقد يذكر في معرض الذم كما يقال لا أم لك ، وقد يذكر في معرض التعجب ودفعا لعين كقولهم لله درك ، وقد يذكر بمعنى جد في أمرك ونهر ، لأن من له أب انكسر عليه في بعض شأنه .

وجاء فيها « لا أبا لك : دعاء ، في المعنى لا عمالة ، وفي اللفظ خبر ، يقال لمن له أب ولن لا أب له ، وقيل لا أباك : كلمة تفصل بها العرب كلامها .

(۳) أي وأهلكك أسرتك لأن خروجك على يرضها لبطشى بها .

ولا ينالك سلطانى ا هيات ا ما كل ذى لب يصيب رأيه ، ولا كل ذى رأى
 ينصح فى مشورته، أمس عبد ، واليوم أمير ! خُطَّة ما ارتقاها مثلك يا ابن سُمِّيَّة !
 وإذا أتاك كتابى هذا فخذ الناس بالطاعة والبيعة ، وأسرع الإجابة ، فإنك إن
 تفعل فدمك حَمَمْت ، ونفسك تداركت ، وإلا اختطفتك بأضعف ريش^(۱) ، ونلتك
 بأهون سعى ، وأقسم قسماً مبروراً أن لا أوتى بك إلا فى زَمَّارَة^(۲) ، تمشى حافياً من
 أرض فارس إلى الشام ، حتى أفيئك فى السوق ، وأبيئك عبداً ، وأردك إلى حيث
 كنت فيه ، وخرجت منه ، والسلام . (شرح ابن أبي الحديد م : ٤ ص ٦٨)

٢٨ - رد زياد على معاوية

فلما ورد الكتاب على زياد غضب غضباً شديداً ، وكتب إلى معاوية :
 « أما بعد : فقد وصل إلى كتابك يا معاوية ، وفهمت ما فيه ، فوجدتك كالغريق
 يغطيه الموج فيتشبث بالطحلب^(۳) ، ويتعلق بأرجل الضفادع ، طمعاً فى الحياة ، إنما بكفر
 النعم ، ويستدعى النقم من حاد^(۴) الله ورسوله وسعى فى الأرض فساداً .
 فأما سبك لى فلولا حلم ينهى عنك ، وخوفى أن أدعى سفياً ، لآثرت^(۵) لك
 مخازى لا يفسلها الماء ، وأما تعيرك لى بسُمِّيَّة ، فإن كنت ابن سُمِّيَّة فانت ابن حمامة^(۶)
 وأما زعمك أنك تحتظنى بأضعف ريش ، وتتناولنى بأهون سعى ، فهل رأيت بازياً

(١) يريد بأضعف قوة ، وكانوا يلزقون الريش على السهم ليقووه ويسددوه ، ومنه قالوا: راش
 السهم يرشه إذا ركب عليه الريش، فهو مريش .
 (٢) أى فى جماعة زمارة تزر حولك بالترامير لتشهيرك والتشجيع عليك .
 (٣) الطحلب بضم اللام وفتحها: خضرة تعلق الماء الزمن .
 (٤) أى غاضبه وخالفه وعاداه . (٥) لأبرزت وأظهرت .
 (٦) روى ابن أبي الحديد فى شرحه (م ١ : ص ١٥٧) أن حمامة جدة معاوية أم أبيه ابن سفيان
 وأنها كانت بغياً فى الجاهلية صاحبة راية .

يُفَزِعُهُ صَغِيرُ الْقَنَائِرِ^(۱) ؟ أم هل سمعتَ بِذئبٍ أَكَلَهُ خُرُوفٌ ؟ فامضِ الْآنَ لِطَيْبَتِكَ^(۲) ،
وَأَجْهَدْ جَهْدَكَ^(۳) ، فَلَسْتُ أَنْزِلُ إِلَّا بِحَيْثُ تَكَرَّرَ ، وَلَا أَجْتَهِدُ إِلَّا فِيمَا يَسُوءُكَ ،
وَسَتَعَلَّمُ أَيُّنَا الْخَاضِعُ لِصَاحِبِهِ ، الطَّالِعُ إِلَيْهِ ، وَالسَّلَامُ ۝ .

(شرح ابن أبي الحديد م ۴ : ص ۶۸)

۲۹ - رد معاوية على زياد

فلما ورد كتاب زياد على معاوية غمّه وأحزنته^(۴) ، ثم كتب إليه مع المغيرة
ابن شعبه :

(۱) البازي : واحد البزاة التي تصيد ، ضرب من الصقور ، القبر ككبر : ضرب من العصافير واحدته قبرة
والقبراء بضم الباء وفتحها لغة فيها والجمع القنابر ، والعامّة تقول القبرة بالضم ، وقد جاء ذلك في الرجز
* جاء الشتاء واحشال القنبر * (اجشال الطائر : نفس ريشه) .

(۲) الطية : الناحية ، والحاجة والوطر ، فهي تكون منزلا وتكون متوى ، ومضى اطيته أي لوجهه
وقصده الذي يريد ولنته التي اتواها .

(۳) الجهد بالفتح ويضم : الطاقة ، واجهد جهداً : ابلغ غايةك .

(۴) روى ابن أبي الحديد قال : « وبعث إلى المغيرة بن شعبه فخلابه وقال : يا مغيرة ، لاني أريد
مشاورتك في أمر أهني ، فانصحنى فيه وأشر على برأى الحثهد ، وكن لي أكن لك ، فقد خصصتك
بسرى وآثرتك على ولدي ، قال المغيرة : فاذاك ؟ والله اتجدني في طاعتك أمضى من الماء في الحدور ،
ومن ذى الرونق في كف البطل الشجاع ، قال : يا مغيرة إن زيادا قد أقام بفارس يكش لنا كيش الأباغى
(كيش الأفي : صوتها من جلدها لا من فيها ، وفعله كضرب) وهو رجل ناقب الرأي ماضى العربته
جوال الفسك مصيب إذا رمى ، وقد خفت منه الآن ما كنت آمنه إذ كان صاحبه حيا ، وأخشى مما لانه
حسنا فكيف السبيل إليه ، وما الخباة في إصلاح رأيه ؟ قال المغيرة : أنا له إن لم أمت ، إن زيادا رجل يحب
الشرف والذكر وصعود المنابر ، فلولا طفته المرأة وألنت له الكتاب ، لكان لك أميل ولك أوثق ،
فاكتب إليه وأنا الرسول ، ورحل المغيرة بالكتاب حتى قدم فارس ، فلما رآه زياد قربه وأدناه واطف
به فدفع إليه الكتاب فجعل يتأمله ويضحك ، وكان مما قاله له المغيرة : دع عنك اللجاج يرحمك الله وارجم
إلى قومك وصل أخاك وانظر انفسك ولا تفتطم رحمك ، قال زياد : لاني رجل صاحب أمانة ولي في أمرى روية ،
فلا تعجل على ولا تبدأني بشئ حتى أبدأك » وقال صاحب العقد : (۳ : ۳) وكان المغيرة لزياد صديقا ،
وذلك أن زيادا كان أحد الشهود الأربعة الذين شهدوا على المغيرة (أي بالزنا) وهو الذي تلجلج في شهادته
عند عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فتجا المغيرة وجلد الثلاثة من الشهود وفيهم أبو بكره أخو زياد . . .
قال زياد للمغيرة : أشر على وارم الفرس الأقصى ، فإن المستشار مؤتمن ، قال أرى أن تصل جملك بجعله
وتسير إليه وتسير الناس أدنا صماء وعيناعمياء . . . وقد عمل بمشورة المغيرة وسار إلى معاوية .

(۳ - جبهة رسائل العرب - ثانياً)

« من أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان إلى زياد بن أبي سفيان^(۱) ، أما بعدُ :
 فإن الرء ربما طرَحَه الهوى في مطارح العطب ، وإنك لتمره المضروبُ به المثلُ : قاطعُ
 الرَّحِمِ ، وواصلُ العدو ، حَمَلَك سوء ظنِّكَ بي ، وبُغضك لي على أن عَقَّتَ قرابتي ،
 وقطعت رَحِمِي ، وَبَنَّتَ^(۲) نَسَبِي وَحُرِّمَتِي ، حتى كأنك لست أخى ، وليس صخرُ
 ابن حرب أباك وأبى ! وشتان ما بيني وبينك ، أطلب بدم ابن أبي العاص^(۳) وأنت
 تقانني ، ولكن أدركك عِرْقُ الرَّخَاوَةِ من قِبَلِ النساءِ ، فكنت كتاركةٍ بيصها
 بالعرَاءِ^(۴) : وَمُحِقَّةِ بِيضِ أُخْرَى جَنَاحِهَا ، وقد رأيتُ أن أعطِفَ عليك ، ولا أوأخذك
 بسوء سعيك ، وأن أصِلَ رَحِمَكَ ، وأبتغى الثواب في أمرك ، فاعلم أبا المغيرة أنك
 لو خضتَ البحرَ في طاعةِ التَّوَمِ فتضرب بالسيف حتى يفتقع مَتْنُهُ ، كما أزددتَ منهم
 إلا بُعْدًا ، فإن بني عبد شمس أبغضُ إلى بني هاشمٍ من الشَّفْرَةِ إلى الثور الصَّرِيعِ
 وقد أوثقَ للذبح ، فارجعَ رحمتك الله إلى أصلك ، واتصل بِقَوْمِكَ ، ولا تكن

(۱) ذكروا أن البغايا في الجاهلية كانت لهن رايات يعرفن بها وينتجها الفتيان ، فيقال إن أباسفيان
 خرج يودا وهو نمل إلى تلك الرايات ، فقال لصاحبه الراية هل عندك من بغى ؟ فقالت : ما عندي إلا
 سمية ، قال : هاتها على نتن لبطيتها ، فوقع بها ، فولدت له زيادا على فراش عبيد (العقد الفريد ۳ : ۲)
 وقد شهد أبو مريم السلولى حين استلحق معاوية زيادا قال : أشهد أن أبا سفيان قدم علينا بالطائف ،
 وأنا خازن الجاهلية ، فاشتريت له لحما وخرا وطعاما ، فلما أكل قال : يا أبا مريم ابني بغيا ، فخرجت
 فأنتيت سمية ، فقلت لها : إن أبا سفيان من قد عرفت شرفه وجوده ، وقد أمرنى أن أصيب له بغيا ، فهن
 لك ؟ فقالت : نعم يجيى . الآن عبيد بغنمه - وكان راعيا - فإذا تعتى ووضع رأسه أنتنه ، فرجعت إلى
 أبى سفيان فقلت : لم أجد إلا جازية الحارث بن كلدة : سمية ، فقال : ائني بها على ذفرها وقذرها ، وأخذتكم
 درعها ، وأغلقت الباب عليهما ، فلم ألبث أن خرج على يسح جبينه ، فقلت : مه يا أبا سفيان ، فقال :
 ما أصبت منها يا أبا مريم ، لولا لسرخاء من نديها وذفر في لبطيتها (شرح ابن أبي الحديد ۴ : ۷۰)
 ومروج الذهب ۲ : ۵۶) (الدفر بالتجريك ويسكن : التتن ، والدفر بالتجريك : كل ربيع ذكية من
 طيب أو تن ، أو يخص برائحة الإبط المنتنة) .

وكان يقال له : زياد بن عبيد ، وزياد بن أبيه ، وزياد بن سمية ، وزياد بن أمه ، ولما استلحق
 (سنة ۵۴ هـ) قيل له زياد بن أبي سفيان .

(۲) قطعت . (۳) أى عثمان وهو عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية .

(۴) العراء : الفضاء لا يستر فيه بشىء .

كالوصول يطير بريح غيره ، فقد أصبحت ضالَّ النسب ، ولعمري ما فعل بك ذلك
إلا اللجاج ، فدأه عنك فقد أصبحت على بينة من أمرك ، ووضوح من حجتك ،
فإن أحببت جاني ووثقت بي فإمرأة بأمرة ، وإن كرهت جاني ولم تثق بقولي ،
ففعل جميل ، لا على ولا لي ، والسلام . (شرح ابن أبي الحديد م ۴ : س ۶۹)

۳۰ - رد زياد على معاوية

فكتب إليه زياد جواب كتابه :

« أما بعدُ : فقد وصل كتابك يا معاوية مع المغيرة بن شعبة وفهمت ما فيه ،
فالحمد لله الذي عرفك الحقَّ وردَّك إلى الصلَّة ، ولست ممن يجهل معروفًا ، ولا يُغفل
حسبًا ، ولو أردت الآن أن أجيبك بما أوجبته الحجَّة ، واحتمله الجواب ، اطال
الكتاب ، وكثر الخطاب ، ولكنك إن كنت كتبت كتابك هذا عن عقد صحيح
ونية حسنة ، وأردت بذلك برًا ، فستزرع في قلبي مودة وقبولًا ، وإن كنت إنما
أردت مَكيدة ومكرًا وفساد نية ، فإن النفس تأبى ما فيه العطب ، ولتدقت يوم
قرأت كتابك تمامًا بعيا به الخطيب المذره^(۱) ، فتركت من حضر لا أهل ورد
ولا صدر^(۲) ، كالتحيرين بمهمه^(۳) صل بهم الدليل ، وأنا على أمثال ذلك قدير . »

(۱) وذلك أنه لما ورد عليه المغيرة بكتاب معاوية ، جمع الناس بعد يومين أو ثلاثة خضعهم فقال
أيها الناس: اذهبوا البلاء ما اندفع عنكم، وارغبوا إلى الله في دوام العافية لكم، فقد نظرت في أمور الناس
منذ قتل عثمان ، وفكرت فيهم فوجدتهم كالأضاحي في كل عيد يذبحون ، ولقد أفي هذا اليوم أن يوم
الجل و صفيين ما ينيف على مائة ألف كلهم يزعم أنه طالب حق وتابع إمام وعلى بصيرة من أمره ، وإن كان
الأمر هكذا فالقاتل والمقتول في الجنة ، كالأبليس كذلك ، ولكن أشكل الأمر ، واليس على القوم ،
وإن لحائف أن يرجع الأمر كما بدأ ، فكيف لامرئ بسلامة دينه ، وقد نظرت في أمر الناس فوجدت
أحمد العاقبتين العافية ، وسأعمل في أموركم ما تحدون عاقبته ومغبته ، فقد حدث طاعتكم إن شاء الله .

والمذره : المقدم في اللسان عند الحصومة ، فهو لسان القوم والتمكلم عنهم الذي يرجعون إلى رأيه .

(۲) الورد : الإشراف على الماء وغيره دخله أو لم يدخله ، والصدر : الرجوع .

(۳) المهمة : المفازة البعيدة والبلد المنفر .

وكتب في أسفل الكتاب :

« إذا مَعَشَرِي لم يُنصِفوني وَجَدتني أَدافِعُ عني الضَّيْمَ ما دمت باقيا
وكم مَعَشَرِ أُعَيَّتْ قَنائِي عليهم فلاموا وألْفوني لدى العزم ما ضيا
وهمُّ به ضاقت صدورٌ فرَجَّتُهُ وكنت بطبي للرجال مُداويا
أَدافِعُ بالحلم الجُهولَ مَكِيدَةَ وَأخْفِي له تحت الضلوع الدَّواهيَا^(۱)
فإن تدنُ مني أدنُ منك ، وإن تبينُ تجِدْني إذا لم تدُنْ مني نائيا^(۲) »

فأعطاه معاوية جميع ماله، وكتب إليه بخط يده ما وثق به فدخل إليه الشام، فقر به وأدناه وأقره على ولايته، ثم استعمله على العراق . (شرح ابن أبي الحديد ۴ : ص ۶۹)

۳۱ - كتاب الحسن بن علي إلى زياد ابن أبيه

وكان سعيد بن أبي سرح مَوْلَى حَبِيب بن عبد شمس شِيعَةً لعلَى بن أبي طالب عليه السلام ، فلما قَدِمَ زياد الكوفة^(۳) طلبه وأخافه ، فأتى الحسن بن عليّ عليه السلام مستجيراً به ، فوثب زياد على أخيه وولده وأمرأته فحبسهم ، وأخذ ماله ونقض داره ، فكتب الحسن بن عليّ عليه السلام إلى زياد :

من الحسن بن علي إلى زياد :

« أما بعدُ ، فإنك عمَدتَ إلى رجل من المسلمين ، له ما لهم ، وعليه ما عليهم ، فهدمتَ داره ، وأخذت ماله ، وحبست أهله وعياله^(۴) ، فإن أتاك كتابي هذا فابن له داره ، وارزُدْ عليه عياله وماله ، وشفّعي فيه فقد أجرته ، والسلام^(۵) . »

(۱) في الأصل « تحت العصاة » وأرى أنه تحريف والأقرب إلى المعنى « تحت الضلوع » كما أثبتته .

(۲) وإن تبين : أي وإن تفارق وتبعد .

(۳) ولاء معاوية البصرة سنة ۴۵ هـ ، ثم ضم إليه الكوفة بعد موت أميرها المغيرة بن شعبه سنة ۵۰ هـ .

(۴) العيال جمع عيل (كجواد جمع جيد) وهو من يلزم الاتفاق عليه ، ويكون اسماً للواحد .

(۵) وفي رواية أخرى أن نص الكتاب :

« أما بعد فقد علمت ما كنا أخذنا من الأمان لأصحابنا ، وقد ذكر لي فلان أنك تعرضت له فأحب أن لا تعرض له إلا بخير والسلام . »

۳۲ - رد زياد على الحسن

فغضب زياد إذ قدّم نفسه عليه ولم ينسبه إلى أبي سفيان ، وكتب إليه :
« من زياد بن أبي سفيان إلى الحسن بن فاطمة ، أما بعد : فقد أتاني كتابك تبدّأ
فيه بنفسك قبلي وأنت طالبُ حاجة ، وأنا سلطان وأنت سُوقة^(۱) ، وتأمرنى فيه بأمر
المطاع المُسلّط على رعيتك ، كتبت إلى في فاسقٍ آوَيْتَهُ إقامةً منك على سوء الرأي ،
ورضاً منك بذلك ، وأيمُ الله لا تسبيني به ولو كان بين جلدك ولحمك ، وإن نلتُ
بعضك غيرَ رفيقٍ بك ، ولا مُرّيعٍ عليك ، فإن أحبَّ لحم على أن آكلهُ للحم
الذي أنت منه ، فسلمهُ بجريرته^(۲) إلى من هو أولى به منك ، فإن عفوتُ عنه لم أكن
شفتك ، وإن قتلته لم أقتله إلا لحبّه أباك الفاسق ، والسلام^(۳) . »

۳۳ - رد الحسن على زياد

فلما ورد الكتاب على الحسن عليه السلام قرأه وتبسم ، وكتب بذلك إلى
معاوية ، وجعل كتاب زياد عِطْفَةً^(۴) ، وبعث به إلى الشام ، وكتب جواب كتابه
كلمتين لائتلهما :

« من الحسن بن فاطمة إلى زياد بن سُمَيّة ، أما بعدُ : فإن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال : « الولد لأفراش ، وللعاهر الحَجَر »^(۵) ، والسلام . »

(۱) السوقة : الرعية ، للواحد والجمع والمذكر والمؤنث ، وربما جمع على سوق بفتح الواو .
(۲) الجريرة : الذنب .
(۳) وفي رواية أخرى . « أما بعد فإنك كتبت إلى في فاسق لا يؤويه إلا الفاسق من شيعتك وشيعة
أبيك ، وإيم الله لأطلبه ولو بين جلدك ولحمك فإن أحب أن آكل لحماً أنت منه . »
(۴) أي جانبه ، ومطفا كل شيء : جانبه .
(۵) العاهر : الزاني . والمعنى أن الزاني لاحق له في النسب ولا حظ له في الولد ، وإنما هو لصاحب
أفراش أي لصاحب أم الولد وهو زوجها أو مولاها ، وهو كقوله الآخر : له التراب أي لاشيء له ،
أراد الحسن عليه السلام بذلك أن يبين لزياد أن استلحاق معاوية إياه مخالف لما تنقض به الشرعة ،
وأنه يجب أن يدعى لعبيد لا لأبي سفيان .

۳۴ - کتاب معاویة إلى زیاد

فلما قرأ معاویة کتاب زیاد إلى الحسن ضاقت به الشام ، وكتب إلى زیاد :
 « أما بعد ، فإن الحسن بن علیّ بعث إلى بکتابک إلیه ، جواباً عن کتاب کتبه
 إلیک فی ابن أبی سرح ، فأ کثرت العجب منک ، وعلمت أن لك رأین ، أحدهما من
 أبی سفیان ، والآخر من سُمیة ، فأما اللّی من أبی سفیان فحلم وحزم ، وأما اللّی من
 سُمیة فما یكون من رأى مثلها ، من ذلك کتابک إلى الحسن تشتم أباه وتعرض له
 بالفسق ، ولعمری إنک لأولى بالفسق من أبیه ، فأما أن الحسن بدأ بنفسه ارتفاعاً
 علیک ، فإن ذلك لا یضعک لو عقلت ، وأما تسلطه علیک بالأمر فحق لمثل الحسن أن
 یتسلط ، وأما ترکک تشفیعه فيما شفع فيه إلیک ، فحظ دفته عن نفسك إلى من هو
 أولى به منک ، فإذا ورد علیک کتابی فخل ما فی یدیک لسعيد بن أبی سرح ، وأبن
 له داره ، وأردد علیه ماله ، ولا تعرض له ، فقد كتبت إلى الحسن « علیه السلام »
 أن یخیره : إن شاء أقام عنده ، وإن شاء رجع إلى بلده ، ولا سلطان لك علیه لا یدر ولا
 لسان ، وأما کتابک إلى الحسن « علیه السلام » باسمه وأسم أمه ، ولا تنسبه إلى أبیه ،
 فإن الحسن ویحک من لا یرمى به الرجوان^(۱) ، وإلى أى أم وکلته لا أم لك ؟

== وقد حدث أنه لما شهد الشهود بحضرة معاویة أن زیادا ینسب إلى أبی سفیان ، قام یونس بن عبید
 الثقفی فقال : یا معاویة قضی رسول الله صلى الله علیه وسلم أن الولد للفراش وللعاشر الحجر ، وقضیت أنت
 أن الولد للعاشر ، وأن الحجر للفراش ، مخالفة لکتاب الله تعالى وانصرافاً عن سنة رسول الله صلى الله
 علیه وسلم ، بشهادة أبی مریم علی زنا أبی سفیان ، فقال معاویة : والله یا یونس لنتهین أو لأطیرن بك
 طيرة بطیثاً وقوعها ، فقال یونس : هل إلا إلى الله ثم أقم ؟ قال : نعم وأستغفر الله ، فقال عبد الرحمن بن
 أم الحکم فی ذلك - ویقال إنه لیزید بن مفرغ الحمیری :

ألا أبلغ معاویة بن حرب مغلطة عن الرجل الیمانی
 أنفضب أن یقال أبوک عف وترضی أن یقال أبوک زانی !

(مروج الذهب ۲ : ۵۷) .

(۱) الرجوان : منی رجاً کعصى : وهو ناحية البئر من أعلاها إلى أسفلها ، ورمى به الرجوان :
 استهين به واستهزی كأنه رمى به رجوا بئر ، أرادوا أنه طرح فی المهالك .

أما علمت أنها فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فذاك أنخر له لو كنت تعلم .
وتعقله^(۱) ! ، وكتب في أسفل الكتاب شعراً من جملة :

أما حسنٌ قابنٌ الذي كان قبله إذا سار سار الموتُ حيث يسير
وهل يلدُ الرِّيبالُ إلا نظيره . وذا حسنٌ شبهةٌ له ونظير^(۲)
واكفنه لو يؤزن الحلم والحجا بأمرٍ لقالوا يذبلُ ونظير^(۳)

(شرح ابن أبي الحديد م : ٤ ، ص ٧٢ ، و ص ٧ ، والعقد الفريد ٣ : ٥)

٣٥ - كتاب زياد إلى معاوية

وقال زياد : ما غلبني أمير المؤمنين معاوية في شيء من السياسة إلا مرة واحدة :
استعملت رجلاً فكسر خراجَه نحشي أن أعاقبه ، ففرَّ إليه واستجار به فأمنه ،
فكتبتُ إليه : « إن هذا فساد لعملى إذا طلبتُ أحداً لجأ إليك فتحرَّم بك^(٤) » .

٣٦ - رد معاوية عليه

فكتب إلى : « إنه لا ينبغي لنا أن نسوس الناس بسياسة واحدة ، فيكون
مقامنا مقام رجل واحد ، لا نلن جميعاً قيودَ الناس في المعصية ، ولا نشد جميعاً ،
فتحمّل الناس على المهالك ، ولكن تكون أنت للشدة والغاظة ، وأكون أنا للرافة
والرحمة فيستريح الناس فيما بيننا » .
(العقد الفريد ١ : ١٥ ، و ٣ : ٥)

(١) وفي رواية أخرى : « أما بعد فإن لك رأيين أحدهما من أبي سفيان والآخر من سمية ، فأما
الذي من أبي سفيان فمزم وعزم ، وأما الذي من سمية فكما يكون رأى مثلها ، وإن الحسن بن علي
كتب إلى يذكر أنك عرضت لرجل من أصحابه ، وقد حجزناه عنك ونهراوه ، فليس لك على واحد منهم
حسب ولا عليه حكم ، وعجت منك حين كتبت إلى الحسن لا تنسبه إلى أبيه ، أفأبى أمه وكانه لا أم لك ،
هو ابن فاطمة الزهراء ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فالآن حين اخبرت له » .

(٢) الرِّيبال : الأسد وقد لا يهزم . (٣) يذبل : جبل ببلاد نجد . ونظير : جبل بمكة .

(٤) وفي رواية أخرى : « إن هذا أدب سوء لمن قبل » .

٤٣ - رد معاوية عليه

فكتب إليه معاوية :

« أما ما ذكرت من كبر سنك فانت أكلت شبابك ، وأما ما ذكرت من اقتراب أجلك ، فإني لو أستطيع دفع المنية لدفعتها عن آل أبي سفيان ، وأما ما ذكرت من سفهاء قريش نحكواؤها أحلوك ذلك المحل ، وأما ما ذكرت من العمل : فصح رويدا يدرك الهيجا حمل ^(١) . (العقد الفريد ١ : ٢٦)

٤٤ - بين معاوية والمغيرة بن شعبة

وكتب معاوية إلى المغيرة بن شعبة أن « آكتب إلى بشيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم » :

فكتب إليه : « سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : إن الله كره لكم ثلاثاً : قيل وقال ، وإضاعة المال ، وكثرة السؤال » . (صحيح البخاري ١ : ١٧٧)

(١) هو مثل ، معناه لا تعجل في الأمر وتأن وارفق ، ضحى الإبل : غذاها في الضحى ، فتضحت هي : أي أكلت في الضحى . وأصله أن العرب كانوا يسرون في البادية يوم ظعنهم ، فإذا مروا ببقعة من الأرض فيها كلاً وعشب ، قال قائلهم : ألا ضحوا رويدا : أي ارفقوا بالإبل حتى تنضح : أي تنال من هذا المرعى ، ثم وضعت التضحية مكان الرفق ، لتصل الإبل إلى المنزل ، وقد شبت . والهيجا بالقصر والمد : الحرب ، وحمل : هو حمل بن سعدانة الصحابي ، وقد قدمنا في الجزء الأول ص ٤٠١ كلمة مطولة في هذا المنل ، فارجع إليها .

قال صاحب العقد : فلما انتهى الكتاب إلى المغيرة كتب إليه يستأذنه في القدوم عليه فأذن له ، فلما دخل عليه قال له : يا مغيرة ، كبرت سنك ، وورق عظمتك ولم يبق منك شيء ، وما أراي إلا مستبدلاً بك ، قال المحدث عنه : فانصرف إلينا ، ونحن نرى الكتابة في وجهه ، فأخبرنا بما كان من أمره ، قلنا له فما تريد أن تصنع ؟ قال : ستملون ذلك ، فأني معاوية فقال له : يا أمير المؤمنين إن الأنفس ليغدى عليها ويراوح ، ولست في زمن أبي بكر وعمر ، فلو نصبت لنا علما من بعدك نصير إليه فإني قد دعوت أهل العراق إلى بيعة يزيد ، فقال : يا أبا محمد ، انصرف إلى عملك ورم هذا الأمر لابن أخيك ، فأقبلنا نركض على النجب ، فالتفت فقال : والله لقد وضعت رجله في ركاب طويل ألقى عليه أمة محمد صلى الله عليه وسلم .

٤٥ - كتاب المستورد بن علفة الخارجي

إلى سماك بن عبيد

واجتمعت الخوارج بالكوفة - إبَّانَ ولاية المغيرة بن شعبة عليها - وولَّوا عليهم المستورد بن علفة التميمي وبايعوه ، واتعدوا أن يخرجوا هلال شعبان سنة ٤٣ هـ ، ونمى إلى المغيرة أنهم خارجون عليه ، فحذر أهل الكوفة إيواهم ونصرتهم ، فخرجوا منها ، فوجه في أثرهم معقل بن قيس الرياحي :

وسارت الخوارج حتى باغوا المدائن ، وكان سماك بن عبيد العنبي عاملاً للمغيرة عليها ، فكتب إليه المستورد :

« من عبد الله المستورد أمير المؤمنين إلى سماك بن عبيد :

أما بعدُ : فقد نقمنا على قومنا الجور في الأحكام ، وتعطيل الحدود ، والاستئثار بالنفوس ، وإنا ندعوك إلى كتاب الله عز وجل ، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وولاية أبي بكر وعمر رضوان الله عليهم ، والبراءة من عثمان وعلي ، لأحداثهما في الدين ، وتركهم حكم الكتاب ، فإن تقبل فقد أدركت رشدك ، وإلا تقبل فقد أبلغنا في الإعداء إليك ، وقد آذناك بحرب فنبتنا إليك على سواء^(١) ، إن الله لا يحب الخائنين .

وتبعهم معقل حتى لحقهم بالمدار^(٢) ، ودارت بينهما رحى الحرب بشدة ، ودعا المستورد معقلاً للمبارزة ، وطعنه المستورد حتى خرج سنان الرمح من ظهره ، وضربه معقل بالسيف حتى خالط سيفه أم الدماغ ، فوقع ميتاً وقتل معقل ، وشدة أصحابه على الخوارج ، فما لبثوهم أن قتلوهم .

(تاريخ الطبري ٦ : ١٠٩)

(١) اقتباس من قوله تعالى « فَأَنْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنْ أَلَّ اللَّهُ لَآيْحِبُّ الْخَائِنِينَ » ومعناه إذا

هادنت قوما فعلت منهم النقض للعهد ، فلا توقع بهم سابقاً إلى النقض حتى تعلمهم أنك تقضت العهد ، فتكونوا في علم النقض مستوين ثم أوقع بهم .

(٢) بلد في ميسان بين واسط والبصرة .

٤٦ - كتاب حبيب بن مسلمة إلى أهل تَفْلِيس

روى الطبرى قال :

« وَكَفَرُ أَهْلُ أَرْمِينِيَّةَ زَمَانَ مَعَاوِيَةَ ^(١) ، وَقَدْ أَمَرَ حَبِيبُ بْنُ مَسْلَمَةَ عَلَى الْبَابِ وَحَبِيبٌ يَوْمَئِذٍ بِجُرْزَانَ ^(٢) ، وَكَاتَبَ أَهْلَ تَفْلِيسٍ وَتِلْكَ الْجِبَالِ ، ثُمَّ نَاجَزَهُمْ حَتَّى اسْتَجَابُوا ، وَاعْتَقَدُوا مِنْ حَبِيبٍ ، وَكَتَبَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ كِتَابًا بَعْدَ مَا كَاتَبَهُمْ .

وَكَانَ كِتَابُهُ إِلَيْهِمْ :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، مِنْ حَبِيبِ بْنِ مَسْلَمَةَ إِلَى أَهْلِ تَفْلِيسٍ مِنْ جُرْزَانَ أَرْضِ الْهَرَمُزِ ، سَلِّمُ أَنْتُمْ ، فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكُمْ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، فَإِنَّهُ قَدْ قَدَّمَ عَلَيْنَا رَسُولَكُمْ « تَفْلَى » فَبَلَّغَ عَنْكُمْ وَأَدَّى الَّذِي بَعَثْتُمْ ، وَذَكَرَ « تَفْلَى » عِنْدَكُمْ أَنَا لَمْ نَكُنْ أُمَّةً فِيمَا تَحْسَبُونَ ، وَكَذَلِكَ كُنَّا حَتَّى هَدَانَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَعَزَّنَا بِالْإِسْلَامِ بَعْدَ قِلَّةٍ وَذِلَّةٍ وَجَاهِلِيَّةٍ ^(٣) ، وَذَكَرَ « تَفْلَى » أَنْكُمْ أَحْبَبْتُمْ سَلْمَنَا ، فَمَا كَرِهْتُمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعِيَ ، وَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكُمْ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ جَزْءِ الشُّلَمِيِّ ، وَهُوَ مِنْ أَعْلَانِنَا ، مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ بِاللَّهِ ، وَأَهْلِ الْقُرْآنِ ، وَبَعَثْتُ مَعَهُ بِكِتَابِي بِأَمَانِكُمْ ، فَإِنْ رَضِيْتُمْ دَفَعَهُ إِلَيْكُمْ ، وَإِنْ كَرِهْتُمْ آذَنَّاكُمْ بِحَرْبٍ عَلَى سِوَاهِ إِنْ لَمْ يَلَيْحِ الْخَائِنِينَ . (تَارِيخُ الطَّبْرِيِّ ٤ : ٢٦)

٤٧ - عهد حبيب بن مسلمة لأهل تَفْلِيس

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، هَذَا كِتَابٌ مِنْ حَبِيبِ بْنِ مَسْلَمَةَ لِأَهْلِ تَفْلِيسٍ مِنْ جُرْزَانَ أَرْضِ الْهَرَمُزِ بِالْأَمَانِ عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَصَوَامِعِكُمْ وَبَيْعِكُمْ ^(٤) وَصَلَوَاتِكُمْ ،

(١) أى تقضوا الأمان الذى كان كتبه لهم سراقه بن عمرو فى خلافة عمر بن الخطاب (انظر جهرة رسائل العرب ج ١ : ص ٢٤٧) .

(٢) اسم لناحية بأرمينية ، وكانت فصبتها تفلّيس .

(٣) الجاهلية: هى الحال التى كانت عليها العرب قبل الإسلام من الجهل بالله سبحانه ورسوله وشرائع الدين والمفاخرة بالأنساب والكبر والتجبر ، وغير ذلك .

(٤) الصومعة : متعبد النصرانى ، وكذا البيعة بالكسر ، والصنار : الذل .

على الإقرار بصغار الجزية ، على كل أهل بيت ديناراً وافٍ ، ولنا نصحكم ونصركم على عدو الله وعدونا ، وقرى^(١) المجتاز ليلةً من خلال طعام أهل الكتاب ، وحلال شرابهم ، وهداية الطريق في غير ما يضر فيه بأحد منكم ، فإن أسلتم ، وأتمتم الصلاة ، وآتيتم الزكاة ، فأخواننا في الدين وموالينا^(٢) ، ومن تولى عن الله ورسله وكتبه وحزبه فقد آذناكم بحرب على سواء ، إن الله لا يحب الخائنين .

شهد عبد الرحمن بن خالد والحجاج وعياض ، وكتب رباع ، وأشهد الله وملائكته والذين آمنوا ، وكفى بالله شهيداً^(٣) . (تاريخ الطبري ٤ : ٢٦٠)

٤٨ - كتاب زياد إلى معاوية في شأن حجر بن عدى

ولما مات المغيرة بن شعبه والى الكوفة سنة ٥٥٠ هـ وكان زياد على البصرة ، ضم معاوية الكوفة إلى زياد ، وكان من كبراء الشيعة بها حجر بن عدى الكندي ، فبلغ زياداً أن حجراً يجتمع إليه الشيعة ويظهرون لعن معاوية والبراءة منه ، فكتب إلى معاوية في أمره وكثر عليه . فكتب إليه معاوية أن شدّه في الحديد ثم أحمله إلى ، فشده في الحديد وحمله هو ورموس أصحابه إلى معاوية ، وكانوا أربعة عشر رجلاً ، وكتب إليه كتاباً فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم : لعبد الله معاوية أمير المؤمنين من زياد بن أبي سفيان : أما بعد : فإن الله قد أحسن عند أمير المؤمنين البلاء^(٤) ، فكاد له عدوه ، وكفاه مؤنة من بغي عليه ، إن طواغيت^(٥) من هذه الترابية السبئية ، رأسهم حجر

(١) القرى : ما يقدم للضيف

(٢) أي أصحابنا وخلفاؤنا . (٣) انظر ما قدمناه في الجزء الأول من هامش ص ١٨٥ .

(٤) البلاء : الإنعام (والبلاء يكون منحة ويكون عنة) .

(٥) طواغيت : جمع طاغوت ، وهو الشيطان ، وكل رأس ضلال ، والذابية : الشيعة ، نسبة إلى أبي تراب كنية الإمام على كرم الله وجهه ، كناه بها رسول الله صلى الله عليه وسلم حدث عمار بن ياسر قال : كنت أنا وعلى رفيقين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى غزوة العشرة (بجهينة ، وهي من ناحية ينبع =

بين مكة والمدينة وكانت الغزوة سنة ٢ هـ) فنزلنا منزلاً فرأينا رجلاً من بني مدلج يعملون في نخل لهم ، فانطلقنا فنظرنا إليهم ساعة ، ثم غشينا النعاس ، فعمدنا إلى صور من النخل (الصور بالفتح: النخل المجتمع) فمنا تحته في دفء من التراب ، فإيقظنا إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أتانا وقد تتربنا في ذلك التراب فجلس عند رأس علي وأيقظه وجعل يتسح التراب عن ظهره ويقول : قم يا أبا تراب فكانت من أحب كناه إليه ، وكان يفرح إذا دعى لها ، ودعت بنو أمية خطباءها أن يسبوه بها على المنابر وجعلوها نقيصة له ووصمة عليه (انظر تاريخ الطبري ٢ : ٢٦١ وسيرة ابن هشام ١ : ٣٦٥ وشرح ابن أبي الحديد م ١ . ص ٤) والسبئية : فرقة من غلاة الشيعة نسبة إلى عبد الله بن سبأ وهو يهودي من أهل صنعاء أمه سوداء ، أسلم زمن عثمان - علي دخل - ثم جعل ينتقل في بلدان المسلمين يحاول ضلالتهم ، وهو رأس الغلاة من الشيعة ، ومنه انشعبت أصنافها وهو الذي وضع للمسلمين مبدأ الرجعة فكان يقول : لعجب ممن يزعم أن عيسى يرجم ، ويكذب بأن محمداً يرجع ، وقد قال الله عز وجل : « إِنْ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ » فمحمد أحق بالرجوع من عيسى ، ثم قال لهم بعد ذلك إنه كان ألف نبي ، ولكل نبي وصي ، وكان علي وصي محمد ، ثم قال محمد خاتم الأنبياء وعلي خاتم الأوصياء ، ثم قال : من أظلم ممن لم يجر وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم ووثب علي وصي رسول الله وتناول أمر الأمة ، ثم قال لهم : إن عثمان أخذها بغير حق ، وهذا وصي رسول الله فانهضوا في هذا الأمر خركوه

وقد غلا في علي فزعم أنه نبي ، ثم غلافه حتى زعم أنه إله ، ودعا إلى ذلك قوماً من غواة الكوفة ، وقد أتى قوم منهم إلى علي ، فقالوا له مشافهة : أنت هو ، فقال لهم ومن هو ؟ قالوا : أنت الله أنت خالقنا ورازقنا ، فاستجابهم وتوعدهم ، فأقاموا على قولهم ، فاستعظم الأمر وأمر بنار فأججت في حفرتين ودخن عليهم فيها طمعا ورجوعهم فبوا خرقهم بالنار حتى قال بعض الشعراء في ذلك :

لترم بي الحوادث حيث شاءت إذا لم ترم بي في الحفرتين

جعلوا يقولون وهم يرمون في النار : الآن صح عندنا أنه الله ، لأنه لا يعذب بالنار إلا الله ، وفي ذلك يقول رضي الله عنه :

لما رأيت الأمر أمراً منكراً أجمت نارا ودعوت قبراً

• يريد قبراً مولاه ، وهو الذي تولى طرحهم في النار .

ثم إن علياً خاف من إحراق الباقيين منهم ثمانمائة أهل الشام وخاف اختلاف أصحابه عليه ، وشفع جماعة من أصحابه منهم عبد الله بن عباس في عبد الله بن سبأ خاصة ، وكان علي قد هم بقتله ، وقالوا : يا أمير المؤمنين إنه قد تاب فاعف عنه فأطلقه بعد أن اشترط عليه أن لا يقيم بالكوفة ونفاه إلى المدائن ، فلما قتل علي عليه السلام وبلغ ابن سبأ قتله ، قال : لو أتيتمونا بدماعه سببنا مرة ما صدقنا موته ، وزعم أن المقتول لم يكن علياً ، وإنما كان شيطاناً تصور للناس في صورة علي ، وأن علياً صعد إلى السماء كما صعد إليها عيسى بن مريم ، وزعموا أنه حي في السحاب ، فإذا أظلمت سحابة قالوا : السلام عليك يا أبا الحسن وزعموا أن الرعد صوته والبرق سوطه ، وأنه سينزل بعد ذلك إلى الأرض فيملؤها عدلاً كما ملئت جوراً . (انظر تاريخ الطبري ٥ : ٩٨ والفرق بين الفرق ص ٢٢٣ والمثل والنجل للشهرستاني ٢ ، ١٢ والفصل لابن حزم ٤ : ١٣٨ و ١٤٢ وشرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٤٢٥) .

وقد أراد زياد من وصف الشيعة بالسبئية أن يتقصهم ويترى بهم ، لما عرف عن السبئية من المعتقادات الفاسدة والمبادئ الباطلة .

ابن عدی خالفوا أمير المؤمنين . وفارقوا جماعة المسلمين ، ونصبوا لنا الحرب ، فأظهرنا الله عليهم وأمكننا منهم ، وقد دعوتُ خيارَ أهلِ المِصرِ وأشرفهم وذوى السِّنِّ والدين منهم ، فشهِدوا عليهم بما رأوا وعملوا ، وقد بعثت بهم إلى أمير المؤمنين ، وكتبت شهادةً صالحةً أهلِ المِصرِ وخيارهم في أسفل كتابي هذا .

وكانت الشهادة عليهم :

« بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ما شهد عليه أبو بُرْدَةَ بن أبي موسى الأشعري لله رب العالمين : شهد أن حُجْرَ بن عدى خَاع الطاعة ، وفارق الجماعة ، ولعن الخليفة ودعا إلى الحرب والفتنة ، وجمع إليه الجوع يدعوهم إلى نكث البيعة ، وخطع أمير المؤمنين معاوية ، وكفر بالله عز وجل كفره صلحاء^(١) .

وشهد رهوس الأرباع^(٢) ووجوه من أهل الكوفة على مثل شهادة أبي بردة ،

وأمر معاوية بالتموم فحبسوا . (تاريخ الطبري ٦ : ص ١٥٠ و ص ١٥٢)

٤٩ - كتاب شريح بن هاني إلى معاوية

وكان زياد قد كتب في الشهود شريح بن هاني الحارثي ، فكتب شريح إلى معاوية

كتاباً فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، لعبد الله معاوية أمير المؤمنين من شريح بن هاني ، أما بعد : فإنه باغى أن زياداً كتب إليك بشهادتي على حُجْرَ بن عدى ، وإن شهادتي

(١) أي مكشوفة بارزة ، أخذت من الأرض الصلحاء : وهي التي لا نبات فيها . وأرأس الأصابع : الذي انحسر شعر مقدمه . والصلحاء أيضاً الداهية والأمر الشديد ، ومن كلامهم « ركبت الصليحاء » والصلحاء كخميراء : السوءة الشنيعة البارزة المكشوفة ، أو الداهية الشديدة .

(٢) وكانت الكوفة يومئذ مقسمة أرباعاً ، ورهوس الأرباع عمرو بن حريث على ربع أهل المدينة ، وخالد بن عرفطة على ربع تميم وهمدان ، وقيس بن الوليد بن عبد شمس بن المغيرة على ربع ربيعة وكندة ، وأبو بردة بن أبي موسى غلى مدحج وأسد .

على حجر أنه ممن يُقيم الصلاة ، ويؤتي الزكاة ، ويُديم الحج والعمرة ، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، حرامُ الدّمِ والمال ، فإن شئتَ فاقتله ، وإن شئتَ فدعه .
(تاريخ الطبري ٦ : ١٥٢ ، والأغانى ١٦ : ٨)

٥٠ - كتاب معاوية إلى زياد

فكتب معاوية إلى زياد :

« أما بعد ، فقد فهمت ما اقتضت به في أمر حجر وأصحابه ، وشهادة من قبلك عليهم ، فنظرت في ذلك : فأحيانا أرى قتلهم أفضل من تركهم ، وأحيانا أرى العفو عنهم أفضل من قتلهم ، والسلام .
(تاريخ الطبري ٦ : ١٥٣)

٥١ - رد زياد على معاوية

فكتب إليه زياد :

« أما بعد : فقد قرأت كتابك وفهمت رأيك في حجر وأصحابه ، فمَجِبْتُ لاشْتِباهِ الأمر عليك فيهم ، وقد شهد عليهم بما قد سمعتَ مَنْ هو أعلم بهم ، فإن كانت لك حاجة في هذا المصْر فلا تَرُدَّنْ حجراً وأصحابه إلىّ .
وشُفِعَ في ستة من أصحاب حجر نَحْلِي معاوية سبيلهم ، وأُوفِدَ إلى حجر وسائر أصحابه رسولاً ، فقال لهم الرسول : إنا قد أمرنا أن نعرض عليكم البراءة من عليّ واللعن له ، فإن فمتم تركناكم ، وإن أبيتُم قتلناكم ، فابروا من هذا الرجل نُحْلُ سبيلكم ، فأبوا وقالوا : بل نتولاه ، ونتبرأ ممن تبرأ منه ، فأقبل أصحاب معاوية يقتلونهم واحداً واحداً حتى قتلوا ستة (منهم حجر) .
(تاريخ الطبري ٦ : ١٥٣)

٥٢ - كتاب معاوية إلى زياد

وبقي من أصحاب حجر اثنان : هما عبد الرحمن بن حسان العنزى وكريم بن عفيف الخثعمي ، فقالا : ابعثوا بنا إلى أمير المؤمنين فنحن نقول في هذا الرجل مثل مقالته : فلما دخلا على معاوية قال للخثعمي : ما تقول في عليّ ؟ قال : أقول فيه قولك ، قال :

أتبرأ من دين علي الذي كان يدين الله به؟ فكت وكره معاوية أن يجيبه وشفع فيه فحلى سبيله .

ثم أقبل على عبد الرحمن العنزي ، فسأله فلم يرّقه جوابه^(١) ، فبعث به إلى زياد ، وكتب إليه :

أما بعد : فإن هذا العنزي شرٌّ من بعثت ، فعاقبه عقوبته التي هو أهلها ، واقتله شرّاً قتالته .

فبعث به زياد إلى قسّ الناطف^(٢) ، فدفن به حياً ، وكان ذلك سنة ٥١ هـ
(تاريخ الطبري ٦ : ١٥٥٠ ، والأغانى ١٦ : ١٠)

٥٣ - كتاب معاوية إلى زياد

وأوفد زياد ابنه عبيد الله إلى معاوية ، فكتب إليه معاوية :
« إن ابنك كما وصفت ، ولكن قومٌ من لسانه^(٣) . »

(البيان والتبيين ٢ : ١٠٩)

(١) قال له معاوية : إبه يا أخا ربيعة ، ما قولك في علي ؟ قال : دعى ولا تسألني فإنه خير لك ، قال والله لا أدعل حتى تجربني عنه ، قال : أشهد أنه كان من الداكرين الله كثيرا ، ومن الأمرين باحق والقائمين بالقسط ، والعاقبين عن الناس ، قال : فما قولك في عثمان ؟ قال : هو أول من فتح باب الظلم وأرتج أبواب الحق ، قال : قتلت نفسك ، قال : بل إياك قتلت ، ولا ربيعة بالوادي (يريد لأنه ليس له أحد من قومه يكلمه فيه كما شفّع في المنعمي) .

(٢) موضع قريب من الكوفة على شاطئ الفرات الشرقي .

(٣) قال الجاحظ : وكانت في عبيد الله لكنة ، لأنه نأ بالأساورة مع أمه مرجانة (والأساورة قوم من المعجم نزلوا بالبصرة كالأحامرة بالكوفة) وكان زياد تزوجها من شيرويه الأسواري ، وكان قال مرة : « انتجوا سيوفكم » يريد « سلوا سيوفكم » فقال يزيد بن مفرغ :

ويوم فتحت سيفك من عبيد أضمت وكل أمرك للضباع

وقال لسويد بن منجوف : « اجلس على إسط الأرس » فقال سويد : « ما كنت أحب أن للأرض إسطا . »

وقال المبرد : وكان عبيد الله الكن يرتضخ لغة فارسية ، وقال لرجل مرة واتهمه برأى الخوارج : أهروري منذ اليوم ! (يريد أحروري . وكانت الخوارج تسمى الحرورية) - الكامل للمبرد ٢ : ١٦٥ -

(٤ - - جبهة رسائل العرب - - ثاني)

٥٤ - كتاب زياد إلى معاوية

وكتب زياد إلى معاوية :

« إني قد ضَبَطْتُ لك العراق بيمينى ، وبقيت شمالي^(١) فارغة » يُعْرَضُ له

بالحجاز .

فبلغ ذلك عبد الله بن عمر بن الخطاب ، فرفع يده إلى السماء وقال : اللهم اكفنا

شمال زياد ، فخرجت في شماله قرحة فقتلته ، وكانت وفاته سنة ٥٣ هـ

(العقد الفريد ١ : ٢٦ ، ٣ : ٥ ، وتاريخ الطبرى : ٦ : ١٦٢ ، ومروج الذهب ٢ : ٦٨)

٥٥ - كتاب السيدة عائشة إلى معاوية

وكتبت السيدة عائشة رضى الله عنها إلى معاوية :

« أما بعد : فإنه من يعمل بِمَسَاطِطِ اللَّهِ بِصَيْرٍ حَامِدِهِ مِنَ النَّاسِ دَامًا لَهُ وَالسَّلَامُ . »

(العقد الفريد ١ : ٢٠)

وفى رواية البيان والتبيين :

كتب معاوية إلى عائشة أن اكتبى إلى بشىء سمعته من أبى القاسم صلى الله تعالى

عليه وسلم ، فكتبت إليه : « سمعت أبا القاسم صلى الله تعالى عليه وسلم يقول :

« من عمل بما يُسَخِّطُ الله عاد حامدُهُ مِنَ النَّاسِ لَهُ دَامًا . »

(البيان والتبيين ٢ : ١٦١)

٥٦ - كتاب عبد الله بن الزبير إلى معاوية

وكان لعبد الله بن الزبير أرض قريبة لأرض معاوية ، فيها عبيد له من الزنوج

يَعْمُرُونَهَا ، فدخلوا فى أرض عبد الله ، فكتب إلى معاوية :

(١) ورواية الطبرى « قد ضبطت لك العراق بشمالى ويعنى فارغة فاشغلها بالحجاز » .

« أما بعد : فإنه يا معاوية إن لم تمنع عبيدك من الدخول في أرضي ، وإلاّ كان لي ولك شأن » .

۵۷ - رد معاوية على ابن الزبير

فلما وقف معاوية على الكتاب دفعه إلى ابنه يزيد ، فلما قرأه قال له : ما ترى ؟ قال : أرى أن تُنفذ إليه جيشاً أوّله عنده وآخره عندك بأتونك برأسه ، فقال : يا بني ، عندي خير من ذلك ، على بدواة وقرطاس ، وكتب :

« وقفتُ على كتابك يا بنَ حواريِّ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وساءني والله ما ساك ، والدنيا هيئة عندي في جنب رضاك ، وقد كتبت على نفسي رقماً^(۱) بالأرض والتعبيد ، وأشهدتُ علىّ فيه ، ولتُضفِ الأرض إلى أرضك ، والتعبيد إلى عبيدك ، والسلام » .

۵۸ - رد ابن الزبير على معاوية

فلما وقف عبد الله على كتاب معاوية كتب إليه :

« وقفت على كتاب أمير المؤمنين - أطال الله بقاءه - فلا عديم الرأي الذي أحاله من قريش هذا المحلّ والسلام » .

فلما وقف معاوية على كتاب عبد الله ، رماه إلى ابنه يزيد ، فلما قرأه أسفر وجهه ، فقال : يا بني ، إذا رُميت بهذا الداء ، فدأوه بهذا الدواء .

(ثمرات لأوزان ص ۱۱۷)

(۱) الرقم : الكتابة والحتم ، وهو هنا فعل بمعنى مفعول أي كتبت مرقوماً أي مكتوباً ، وربما كان الأصل « رقماً » والرقم : الكتاب : وهو فعيل بمعنى مفعول أيضاً .

۵۹ - کتاب سعید بن العاص إلى معاوية

وذكروا أن معاوية كان يُفرض بين مروان بن الحكم وسعيد بن العاص ، وكان قد عزل مروان بن الحكم عن المدينة وولى عليها سعيد بن العاص (سنة ۴۹ هـ) . وكتب إليه يأمره بقبض أموال مروان كلها فيجعلها صافيةً ، ويقبض فذلك^(۱) منه - وكان وهبها له - فراجعته سعيد في ذلك وقال : قرأته قريبة^(۲) ، فكتب إليه ثانية أمره باصطفاء أموال مروان فأبى ، وأخذ سعيد الكتابين فوضعهما عند جارية ، ثم عزل عن المدينة سنة ۵۴ هـ ، ووليتها مروان بن الحكم ، فكتب إليه معاوية يأمره بقبض أموال سعيد بالحجاز ، وأرسل مروان إليه بالكتاب مع ابنة عبد الملك ، فخبّره أنه لو كان شيئاً غير كتاب أمير المؤمنين لتجافيتُ ، فدعا سعيد بالكتابين اللذين كتب بهما معاوية إليه في أموال مروان يأمره فيهما بقبض أمواله ، فذهب بهما إلى مروان ، فقال : هو كان أوصلَ لنا مِنَّا له ، وكفَّ عن قبض أموال سعيد ، وكتب سعيد إلى معاوية :

« العجبُ مما صنعَ أمير المؤمنين بنا في قرابتنا أن يُضغن بعضنا على بعض ، فأمر المؤمنين في حمله ، وصبره على ما يكره من الأخبثين ، وعفوه ، وإدخاله القطيعة بيننا والشحناء ، وتوارث الأولاد ذلك^(۳) ، فوالله لو لم نكن بنى أب واحد إلا لما جَمعنا الله عليه من نصر الخليفة المظلوم وباجتماع كلمتنا ، لكان حقاً علينا أن نرعى ذلك ، والذي أدركنا به خير . »

(۱) فذلك : قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان ، أفاءها الله على رسوله صلى الله عليه وسلم في غزوة خيبر سنة ۷ هـ وسيأتي فصل مطول عنها بعد (في شرح كتاب عمر بن عبد العزيز إلى ابن حزم)
(۲) ثلاثتهم مجتمعون في جدهم أمية ، فهم : معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمية ، ومروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية ، وسعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية .
(۳) خبر قوله « فأمر المؤمنين » محذوف ، أى غير محق فيما يفعله بنا من ذلك .

فكتب إليه بتفصيل من ذلك وأنه عائد له إلى أحسن ما يعهده .

(تاريخ الطبری ۶ : ۱۶۵)

۶۰ - كتاب معاوية إلى مروان بن الحكم

وكتب معاوية إلى مروان بن الحكم وهو والي المدينة :

« أما بعدُ : فإن أمير المؤمنين أحبَّ أن يرُدَّ الألفه ، ويسلَّ السخيمة^(۱) ، ويصلَّ الرَّحِمَ ، فإذا وصل إليك كتابي فاخطبُ إلى عبد الله بن جعفر ابنته أمَّ كلثوم على يزيد ابن أمير المؤمنين ، وارغبْ له في الصِّداق^(۲) . »

(الكامل للبرد ۲ : ۱۴۱ ، ومعجم البلدان ۲ : ۲۴۸)

۶۱ - كتاب سعيد بن العاص إلى معاوية

وذكروا أن معاوية كتب إلى سعيد بن العاص وهو على المدينة بأمره أن يدعو أهل المدينة إلى البيعة ليزيد ، ويكتب إليه بمن سارع ممن لم يسارع ، فلما أتى سعيد بن العاص الكتابُ ، دعا الناس إلى البيعة ليزيد ، وأظهر الغاظة وأخذهم بالعزم والشدة ، وسطا بكل من أبطأ عن ذلك ، فأبطأ الناس عنها إلا اليسير ، لاسيما بنى هاشم ، فإنه

(۱) السخيمة : المقد والصفينة .

(۲) فوجه مروان إلى عبد الله بن جعفر فقرأ عليه كتاب معاوية وأعلمه بما في رد الألفه من صلاح ذات البين واجتماع الدعوة ، فقال عبد الله : إن خالها الحسين يتبع ، وليس ممن يفتات عليه بأمر ، فأنظرني إلى أن يقدم ، وكانت أمها زينب بنت علي بن أبي طالب صلوات الله عليه ، فلما قدم الحسين ذكر ذلك له عبد الله بن جعفر ، فقام من عنده ، فدخل إلى الجارية فقال : يا بنية إن ابن عمك القاسم ابن محمد بن جعفر ابن أبي طالب أحق بك ، ولعلك ترغبين في كثرة الصداق ، وقد نحلكت البغيضات (انظر ص ۵۲۹ من الجزء الأول) فلما حضر القوم للإملاك تكلم مروان بن الحكم فذكر معاوية وما قصده من صلة الرحم وجمع الكلمة ، فتكلم الحسين فزوجها من القاسم ، فقال له مروان : أغدرا يا حسين ؟ فقال : أنت بدأت ، خطب أبو محمد الحسن بن علي عليه السلام عائشة بنت عثمان بن عفان ، واجتمعنا لذلك ، فتكلمت أنت فزوجتها من عبد الله بن الزبير ، فقال مروان ما كان ذلك ، فالتفت الحسين إلى محمد بن حاطب فقال : أنت ذلك الله أكان ذلك ؟ قال : اللهم نعم .

لم يُجِبْهُ مِنْهُمْ أَحَدٌ ، وَكَانَ ابْنُ الزَّيْبِرِ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ إِسْكَارًا لِذَلِكَ وَرَدًّا لَهُ ، فَكَتَبَ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ إِلَى مَعَاوِيَةَ :

« أَمَا بَعْدُ : فَإِنَّكَ أَمَرْتَنِي أَنْ أَدْعُوَ النَّاسَ لِبَيْعَةِ يَزِيدَ ابْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَنْ أَكْتُبَ إِلَيْكَ بِمَنْ سَارَعَ مِنْ أَبْطَاءٍ ، وَإِنِّي أَخْبَرْتُكَ أَنَّ النَّاسَ عَنْ ذَلِكَ بِطَاءٍ^(١) ، لِأَسِيَا أَهْلَ الْبَيْتِ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ ، فَإِنَّهُ لَمْ يُجِبْنِي مِنْهُمْ أَحَدٌ ، وَبَلَّغَنِي عَنْهُمْ مَا أَكْرَهُ ، وَأَمَّا الَّذِي جَاحَرَ بَعْدَاوَتَهُ وَإِبَائِهِ لِهَذَا الْأَمْرِ فَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّيْبِرِ ، وَلَسْتُ أَقْوَى عَلَيْهِمْ إِلَّا بِالْخَيْلِ وَالرِّجَالِ ، أَوْ تَقَدَّمَ بِنَفْسِكَ فَتَرَى رَأْيَكَ فِي هَذَا ، وَالسَّلَامُ » .

(الإمامة والسياسة ١ : ١٢٥)

٦٢ - رد معاوية على سعيد

فَكَتَبَ مَعَاوِيَةَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ ، وَإِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّيْبِرِ ، وَإِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ ، وَإِلَى الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كُتُبًا ، وَأَمَرَ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ أَنْ يَوْصِيَهُمْ إِلَيْهِمْ ، وَيَبْعَثَ بِجَوَابَاتِهَا ، وَكَتَبَ إِلَى سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ :

« أَمَا بَعْدُ : فَقَدْ أَتَانِي كِتَابُكَ ، وَقَهَمْتُ مَا ذَكَرْتَ فِيهِ مِنْ إِبْطَاءِ النَّاسِ عَنِ الْبَيْعَةِ ، وَلَا سِيَا بَنِي هَاشِمٍ ، وَمَا ذَكَرَ ابْنُ الزَّيْبِرِ ، وَقَدْ كَتَبْتُ إِلَى رُؤَسَائِهِمْ كُتُبًا ، فَسَلَّمَهَا إِلَيْهِمْ ، وَتَنَجَّزْتُ جَوَابَاتِهَا ، وَابْعَثْتُ بِهَا إِلَى حَتَّى أَرَى فِي ذَلِكَ رَأْيِي ، وَلِتَشْتَدَّ عَزِيمَتُكَ ، وَلِتَصْلُبَ شَكِيمَتُكَ^(٢) ، وَتَحْسَنَ نَيْتُكَ ، وَعَلَيْكَ بِالرَّفْقِ ، وَإِيَّاكَ وَالْخُرْقَ^(٣) ، فَإِنَّ الرَّفْقَ رَشَدٌ ، وَالْخُرْقَ نَكَدٌ ، وَانظُرْ حُسَيْنًا خَاصَّةً فَلَا يَنَالُهُ مِنْكَ مَكْرُوهٌ ، فَإِنَّ لَهُ قَرَابَةً وَحَقًّا عَظِيمًا لَا يُنْكَرُهُ مُسْلِمٌ وَلَا مُسْلِمَةٌ ، وَهُوَ كَيْثُ عَرِينٍ ، وَلَسْتُ أَمْنُكَ

(١) بطاء : جمع بطيء ، كطوال وقصار جمع طويل وقصير .

(٢) الشكيمة : الأنفة ، وأصلها في اللجام الحديدية المعترضة في فم الفرس ، وهو شديد الشكيمة : أي أنف أبي لا ينقاد .

(٣) الخرق : ضد الرفق ، وأن لا يحسن الرجل العمل والتصرف في الأمور . والحق : وهو بفتحين مصدر ، وبالضم اسم .

إِنْ شَادَدْتَهُ^(۱) أَنْ لَا تَقْوَى عَلَيْهِ ، فَأَمَّا مَنْ يَرُدُّ مَعَ السَّبَاعِ إِذَا وَرَدَتْ ، وَيَكِينِ إِذَا كَدَّتْ^(۲) ، فَذَلِكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ الزَّيْبِرِ ، فَاحْذَرَهُ أَشَدَّ الْحَذَرِ ، وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ، وَأَنَا قَادِمٌ عَلَيْكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَالسَّلَامُ . (الإمامة والسياسة ۱ : ۱۲۹)

۶۳ - كتاب معاوية إلى ابن عباس

وكتب إلى ابن عباس :

« أما بعد : فقد بلغني إبطاؤك عن البيعة ليزيد ابن أمير المؤمنين ، وإني لو قتلتك بعثان لكان ذلك إليّ ، لِأَنَّكَ مِمَّنْ أَلْبَ^(۳) عَلَيْهِ وَأَجْلَبَ ، وَمَا مَعَكَ مِنْ أَمَانٍ فَتَطْمَئِنِّ بِهِ وَلَا عَهْدٌ فَمَسْكُنَ إِلَيْهِ ، فَإِذَا أَتَاكَ كِتَابِي هَذَا فَاخْرُجْ إِلَى الْمَسْجِدِ ، وَالْعَيْنَ قِتْلَةَ عُمَانَ ، وَبَايِعْ عَامِلِي ، فَقَدْ أَعْذَرَ مِنْ أَنْذَرِ^(۴) ، وَأَنْتَ بِنَفْسِكَ أَبْصِرُ ، وَالسَّلَامُ . (الإمامة والسياسة ۱ : ۱۳۰)

۶۴ - كتاب معاوية إلى عبد الله بن جعفر

وكتب إلى عبد الله بن جعفر :

« أما بعد : فقد عَرَفْتُ أَثَرَتِي^(۵) إِيَّاكَ عَلَى مَنْ سِوَاكَ ، وَحَسُنَ رَأْيِي فِيكَ وَفِي أَهْلِ بَيْتِكَ ، وَقَدْ أَتَانِي عَنْكَ مَا أَسْرَهُ ، فَإِنْ بَايَعْتَ تُشْكِرُ ، وَإِنْ تَأَبَّ جُنْبَرُ ، وَالسَّلَامُ . (الإمامة والسياسة ۱ : ۱۳۰)

(۱) في الأصل « شاورته » وهو محريف .

(۲) أي يستتر ويختبئ ، من كفس الظبي كضرب دخل في كذابه (والكناس كتاب : مستتره

في الكجر) . (۳) ألب: حرض ، وأجلب وجلب (كضرب ونصر) وجاب : أحدث جنبه ، وهي

اختلاط الأصوات ، والمعنى ثار عليه . (۴) أعذر : صار ذا عذر .

(۵) آثره إثاراً : فضله ، والآثره اسم منه .

٦٥ - كتاب معاوية إلى الحسين

وكتب إلى الحسين :

« أما بعدُ : فقد انتهت إلى عنك أمور لم أكن أظنك بها ، رغبةً بك عنها ،
وإن أحقَّ الناس بالوفاء لمن أعطى بيعته من كان مثلك في خطرك^(١) وشرفك
ومنزلتك التي أنزلك الله بها ، فلا تنازعْ إلى قطيعتك ، واتق الله ولا تردنْ هذه
لأمة في فتنه ، وانظر لنفسك ودينك وأمة محمد «وَلَا يَسْتَخِفُّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ» .
(الإمامة والبيعة ١ : ١٣٠)

٦٦ - كتاب معاوية إلى ابن الزبير

وكتب إلى عبد الله بن الزبير :

« رأيتُ كرامَ الناسِ إن كُفَّ عنهم
ولا سيما إن كان عَفْوًا بِقُدْرَةٍ
ولستَ بذي لَوْمٍ فتُعذَّرَ بالذي
والكنَّ غِشًّا لستَ تَعْرِفُ غيرَه
فأغشَّ إلا نَفْسَه في فِعَالِه
وإني لأخشى أن أتالك بالذي
بِحِلْمٍ ، رأوا فضلًا من قد تحمًا
فذلك أحرى أن يُجَلَّ وبعظما
أتاه من الأخلاق من كان الأما^(٢)
وقد شئ قبل اليوم إبليسُ آدمًا
فأصبح ملعونًا وقد كان مُكرما
أردت ، فيخزي الله من كان أظلمًا
(الإمامة والبيعة ١ : ١٣٠)

(١) الخطر : القدر .

(٢) في الأصل ، « أتيت من أخلاق من كان ألومًا ، وهو تحريف ، وقد صحته كما ترى .

۶۷ - رد ابن عباس علی معاویة

فكان أول من أجابه عبد الله بن عباس ، فكتب إليه :
« أما بعد : فقد جاءني كتابك ، وفهمت ما ذكرت ، وأن ليس معي منك
أمان ، وإنه والله ما منك يُطلبُ الأمان يا معاوية ، وإنما يُطلبُ الأمانُ من الله رب
العالمين ، وأما قولك في قتلي : فوالله لو فعلتَ لَلَقِيتَ اللهَ ، ومحمدٌ صلى الله عليه وسلم
خَصْمُكَ ، فما إخاله أفلحَ ولا أنجحَ^(۱) مَنْ كان رسول الله خَصْمَهُ ، وأما ما ذكرتَ
من أني من آلِ علي عثمان وأجلبَ ، فذلك أمرٌ غِبتَ عنه ، ولو حَضَرْتَهُ ما نَسِبتَ
إليَّ شيئاً من التاليب عليه ، وأيمُ الله ما أرى أحداً غَضِبَ لعثمان غَضِبي ، ولا أعظمَ
أحدٌ قتله إعظامي ، ولو شهدهُ لنصرتهُ أو أموتَ دونه ، ولقد قلتُ وتمنيتُ يوم
قُتِلَ عثمان : ليت الذي قَتَلَ عثمانَ لَقِيتُني فقتلني معه ولا أبقى بعده ، وأما قولك لي :
العن قتلة عثمان ، فلعثمانَ ولدٌ خاصة وقرابةٌ هم أحقُّ بلعنهم مني ، فإن شاءوا أن يلعنوا
فأيلعنوا ، وإن شاءوا أن يمسكوا فليمسكوا ، والسلام .
(الإمامة والسياسة ۱ : ۱۳۰)

۶۸ - رد عبد الله بن جعفر علي معاوية

وكتب إليه عبد الله بن جعفر :
« أما بعد : فقد جاءني كتابك ، وفهمت ما ذكرتَ فيه من أثرتك إياي
على من سواي ، فإن تفعل فبحظك أصبتَ ، وإن تأبَ فبنفسك قصرتَ ، وأما
ما ذكرتَ من جَبْرِكَ إياي على البيعة يزيد ، فلعمري لئن أجبرتنني عليها لقد أجبرناك
وأباك على الإسلام حتى أدخلنا كما كارهين غير طائعين ، والسلام .
(الإمامة والسياسة ۱ : ۱۳۱)

(۱) أنجح : صار ذا نجح .

٦٩ - رد عبد الله بن الزبير على معاوية

وكتب إليه عبد الله بن الزبير :

« أَلَا سَمِعَ اللهُ الَّذِي أَنَا عَبْدُهُ فَأَخَذَى إِلَهُ النَّاسِ مَنْ كَانَ أَظْلَمًا
وَأَجْرًا عَلَى اللهِ الْعَظِيمِ بِحِلْمِهِ وَأَمْرَعَهُمْ فِي الْمُوبِقَاتِ تَقَحُّمًا^(١)
أَغْرَكَ أَنْ قَالُوا حَلِيمٌ بَعِزَّةٌ وَلَيْسَ بِنَدَى حِلْمٍ وَلَكِنْ تَحَمُّلًا
وَلَوْ رُمْتَ مَا إِنْ قَدْ عَزَمْتَ وَجَدْتَنِي هِزْبُ عَرِينٍ يَتْرِكُ الْقِرْنَ أَكْتَمًا^(٢)
وَأُقْسِمُ لَوْلَا بَيْعَةُ لَكَ لَمْ أَكُنْ لِأَنْقَضَهَا ، لَمْ تَنْجُ مِنِّي مُسَلِّمًا »

(الإمامة والسياسة ١ : ١٣١)

٧٠ - رد الحسين على معاوية

وكتب إليه الحسين رضى الله عنه :

« أما بعد : فقد جاءنى كتابك تذكر فيه أنه انتهت إليك عنى أمور لم تكن
تظننى بها رغبةً بى عنها ، وإن الحسنات لا يهْدِي لها ولا يُسَدِّد إليها إلا الله تعالى ،
وأما ما ذكرت أنه رُقِيَّ^(٣) إليك عنى ، فإنما رَقَاءُ الْمَلَأَقُونَ^(٤) ، المشاءون بالنسيمة
المفرقون بين الجمع ، وكذب الغاؤون المارقون ، ما أردتُ حربًا ولا خلافاً ، وإنى

(١) « أجرا » مسهل عن « أجرا » وهو معطوف على « أظلماء » اقتحم الإنسان الأمر وتحممه :

رمى نفسه فيه بغير روية .

(٢) الهزير : الأسد ، والعرين : بيته ، والقرن : كفؤك في الشجاعة أوعام ، والأكتم والأكتم

العظيم البطن . والمعنى : يتركه صريحا منتفعا بطنه .

(٣) رقى عليه كلاما ترقية : رفعه ، ولينبه إلى أن هذه العبارة لم ترد في كتاب معاوية إلى الحسين ،

ولعلها سقطت من الأصل .

(٤) علقه وعلق له علقا وعلقا (بكسر التاء واليم في هذه) وملقه وملق له كفرح ملقا : تودد إليه

وتلطف له ، فهو متملق وملق (كفرح) وملاق .

لأخشى الله في ترك ذلك منك ومن حزبك القاسطين^(۱)، المحلین^(۲)، حزب الظالم، وأعوان الشيطان الرجيم، ألت قاتل حُجْرٍ وأصحابه العابدین المُنْحَبِین^(۳)، الذين كانوا يستفظعون البدعَ، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، فقتلتهم ظُلماً

(۱) قسط كضرب قسطاً بالفتح وقسوطاً، فهو قاسط : جار وهذل عن الحق قال تعالى : « وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا » وقسط كضرب ونصر قسطاً بالكسر فهو قاسط، وأقسط إقسطاً فهو مقسط : عدل، قال تعالى : « وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ » وقال « وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ » أي ذوات القسط - والقسط من المصادر الموصوف بها كالمعدل يستوى فيه الواحد والجمع - وقد تبين مما تقدم أن العدل فيه لفتان قسط وأقسط، وأن الجور فيه لفة واحدة، قسط بغير ألف .

(۲) قال صاحب القاموس « ورجل محل : منتهك للحرام، أو لا يرى للشهر الحرام حرمة، وجاء في اللسان « ويقال : المحل الذي يحل لنا قتاله، والمحرم : الذي يحرم علينا قتاله، ويقال : المحل : الذي لا عهد له ولا حرمة، والمحرم الذي له حرمة » وقد قدمنا في الجزء الأول ص ۳-۴ أن الإمام علياً كرم الله وجهه كتب كتاباً إلى مخنف بن سليم جاء فيه « لعلك تلقى معنا هذا العدو المحل » وكتاباً إلى أخيه عقيل جاء فيه « فإن رأيت قتال المحلین » وأن ابن أبي الحديد فسره (م : ۴ ص : ۵۷) قال : « أي المحارحين من الميثاق والبيعة يعني البيعة ومخالق الإمام، ويقال لكل من خرج من إسلام، أو حارب في الحرم، أو في الأشهر الحرم، محل، وعلى هذا فسر قول زهير : « وكم بالفتان من محل ومحرم » أي من لازمة له ومن له ذمة، وكذلك قول خالد بن يزيد بن معاوية في زوجته رملة بنت الزبير بن العوام :

ألا من لقلب معنى غزل بحب المحلة أخت المحل

أي ناقضة العهد أخت المحارب في الحرم، أو أخت ناقض بيعة بني أمية « وقال المبرد في الكامل أيضاً (ج ۲ : ص ۱۶۸) « كان عبد الله بن الزبير يدمي المحل لإحلاله القتال في الحرم، وفي ذلك يقول رجل في رملة بنت الزبير . . . الخ » وكذا في العقد الفريد (ج ۲ : ص ۲۶۸) .

وكان العلويون والحوارج يصفون الأمويين « بالمحلين » كما ترى في كتاب الحسين عليه السلام، وكما ورد في كلام سليمان بن مرد لأصحابه : « وإن تستشهدوا فإنا قاتلم المحلین، وما عند الله خير للأبرار والصدیقین » انظر تاريخ الطبري ۷ : ۶۸ - وقال الصلت بن مرة شاعر الحوارج . لما كثر بينهم الخلاف وخلقوا قطري بن الفجاءة وولوا عبد ربه الصفر :

قل للمحلین قد قرت عيونكم
بفرقة القوم والبضاء والهرب
كنا أناساً على دين فقيرنا
طول الجدال وخلق الجمد باللعب

(انظر الكامل للمبرد ۲ : ۲۲۷)

(۳) أخبت : خشم وتواضع .

وعدوانا من بعد ما أعطيتهم المواثيق الغليظة ، والعهود المؤكدة^(١) ، جراءة على الله واستخفافاً بهذه ، أو لست بقاتل عمرو بن الحِقِّق^(٢) الذي أخلقت وأبليت وجهه العبادة ، فقتلته من بعد ما أعطيته من العهود ما لو فهمته العَصَم^(٣) نزلت من سَقْف^(٤) الجبال ؟ أو لست المدعى زياداً في الإسلام ، فرعمت أنه ابن أبي سفيان ، وقد قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الولد للفراش وللعاهر الحجر ، ثم سلطته على أهل

(١) يشير إلى ما كان أخذه الحسن عليه السلام من معاوية من كتاب الأمان لشيعته .

(٢) هو عمرو بن الحِقِّق الخِزاعي : صحابي هاجر بعد الحديبية ، وكان ممن دخل الدار على عثمان ، ثم صار من شيعة علي ، وشهد معه وقعة الجمل وصفين والنهروان ، ولما طلب زياد رؤساء أصحاب حجر ابن عدى ، خرج عمرو بن الحِقِّق ورفاعة بن شداد حتى نزلا المدائن ، ثم ارتحلا حتى أتيا أرض الموصل فأتيا جبلا فكنا فيه ، وبلغ عامل ذلك الرستاق (الرستاق : يستعمل في الناحية التي هي طرف الإقليم ، فارسي معرب) أن رجلين قد كُنا في جانب الجبل ، فاستنكر شأنهما - وهو رجل من همدان يقال له : عبد الله بن أبي بلتعة - فسار إليهما في الخيل نحو الجبل ومعه أهل البلد ، فلما انتهى إليهما خرجا ، فأما عمرو بن الحِقِّق فكان مريضاً ، وكان بطنه قد سقى (السقي كشمس وحمل : ماء أصفر يقع في البطن ، وقد سقى بطنه كرمى) فلم يكن عنده امتناع . وأما رفاعة بن شداد - وكان شاباً قويا - فوثب على فرس له جواد ، فقال له : أقاتل عنك ، قال : وما ينفعني أن تقاتل ، أنج بنفسك إن استطعت فحمل عليهم فأفروا له ، فخرج تنفر به فرسه ، وخرجت الخيل في طلبه وكان رامياً ، فأخذ لا يلحقه فارس إلا رماه جرحه أو عقره ، فأنصرفوا منه .

وأخذ عمرو بن الحِقِّق ، فسأله من أنت ؟ فقال : من إن تركتموه كان أسلم لكم ، وإن قتلتموه كان أضر لكم ، فسأله فأبى أن يخبرهم ، فبعث به ابن أبي بلتعة إلى عامل الموصل - وهو عبد الرحمن بن عبد الله ابن عثمان الثقفي - فلما رأى عمرو بن الحِقِّق ، عرفه وكتب إلى معاوية بخبره ، فكتب إليه معاوية : أنه زعم أنه طعن عثمان بن عفان تسع طعنات بشاقص كانت معه (الشاقص جمع مشقص كبير وهو النصل الطويل أو سهم فيه ذلك يرمى به الوحش) وإنما لا تريد أن تمتدى عليه ، فاطعنه تسع طعنات كما طعن عثمان ، فأخرج فطعن تسع طعنات فأت في الأولى منهن أو الثانية (سنة ٥١ هـ) وبعت عبد الرحمن الثقفي برأسه إلى معاوية ، وهو أول رأس أهدى في الإسلام . وقيل إنه لما هرب بالموصل دخل غارا فنهشته حية فأت فأخذ عامل الموصل رأسه فأرسله إلى زياد فبعث به زياد إلى معاوية ، وقيل إنه عاش إلى أن قتل في وقعة الحرة سنة ٦٣ هـ (انظر تاريخ الطبري ٦ : ١٤٨ وخلاصة تهذيب الكمال في أسماء الرجال ص ٢٤٤ وأسد الغابة في معرفة الصحابة ٤ : ١٠٠ والإصابة في تمييز الصحابة ٤ : ٢٩٤) . وقد جاء في تاريخ الطبري أيضا (٥ : ١٣٢) أن عمرو بن الحِقِّق كان مع محمد بن أبي بكر حين تسور على عثمان الدار ، فلما قتله كنانة بن بشر بن عتاب التجيني ، وثب عمرو بن الحِقِّق على عثمان فحس على صدره وبه رمق ، فاطعنه تسع طعنات ، قال عمرو : فأما ثلاث منهن فإني طعنتن إياه لله . وأما ست فإني طعنتن إياه لما كان في صدري عليه .

(٣) العَصَم : جمع أعصم ، وهو الوعل في ذراعيه أو في إحداهما بياض وصائره أسود أو أحمر .

(٤) لعله « من شم الجبال » جمع أشم . والجبل الأشم : المرتفع .

الإسلام : يقتلهم، ويقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف، ويصلبهم على جذوع النخل^(١)، سبحان الله يا معاوية! لكأنك لست من هذه الأمة، وليسوا منك، أو لست قاتل

(١) جاء في شرح ابن أبي الحديد (م ٣ : ص ١٥) .

روى أن أبا جعفر محمد علي الباقر عليه السلام قال لبعض أصحابه - في كلام له - : « ثم لم نزل أهل البيت نستذل وننتظام ونقصى ونتمهن ونحرم ونقتل ونخاف ، ولا نأمن على دمانا ودماء أوليانا ، ووجد الكاذبون الجاحدون لكذبهم وجعودهم موضعا يتقربون به إلى أوليائهم وقصاة سوء وعمال سوء في كل بلدة ، فحدثهم بالأحاديث الموضوعة المكذوبة ، ورووا عنا ما لم نقله وما لم نفعله ليغضونا إلى الناس ، وكان عظم ذلك وكبره زمن معاوية بعد موت الحسن عليه السلام ، فقتلت شيعةنا بكل بلدة وقطعت الأيدي والأرجل على الظنة ، وكان من يذكر بحبنا والانتظام إلينا سجن أو نهب ماله أو هدمت داره ، ثم لم يزل البلاء يشتد ويزداد إلى زمان عبيد الله بن زياد قاتل الحسين عليه السلام ، ثم جاء الحجاج فقتلهم كل قتلة وأخذهم بكل ظنة وتهمة ، حتى إن الرجل يقال له زنديق أو كافر أحب إليه من أن يقال من شيعة علي . »

وروى المدائني في كتاب الأحداث قال : « كتب معاوية نسخة واحدة إلى عماله بعد عام الجماعة أن برئت الذمة ممن روى شيئا من فضل أبي تراب وأهل بيته » فقامت الخطباء في كل كورة ، وعلى كل منبر يلصون عليا ويبرهون منه ويقعون فيه وفي أهل بيته ، وكان أشد الناس بلاء حينئذ أهل الكوفة ، لكثرة من بها من شيعة علي عليه السلام ، فاستعمل عليهم زياد بن سمية ، فكان يتبع الشيعة وهو بهم عارف لأنه كان منهم أيام علي عليه السلام ، فقتلهم تحت كل حجر ومدبر وأخافهم ، وقطع الأيدي والأرجل ، وسمل العيون ، وصلبهم على جذوع النخل ، وطردهم وشردهم عن العراق فلم يبق بها معروف منهم ، وكتب معاوية إلى عماله في جميع الآفاق « ألا يجيزوا لأحد من شيعة علي وأهل بيته شهادة » وكتب إليهم « أن انظروا من قبلكم من شيعة عثمان وحبيه ، وأهل ولايته والدين يروون فضائله ومناقبه ، فأدنوا مجالسهم وقربوهم وأكرموهم واكتبوا لي بكل ما يروى كل رجل منهم واسمه واسم أبيه وعشيرته » ففعلوا ذلك حتى أكثروا في فضائل عثمان ومناقبه ، لما كان بيعته إليهم معاوية من الصلاب والكساء والهباء والقطائع ، ويفيضة في الحرب منهم والموالي ، فنكث ذلك في كل مصر ، وتنافوا في المنازل والديار ، فليس يجي أحد مردود من الناس عاملا من عمال معاوية ، فيروي في عثمان فضيلة أو ممنة إلا كتب اسمه وقربه وشفعه ، فلبثوا بذلك حيناً ، ثم كتب إلى عماله : « إن الحديث في عثمان قد كثروفتنا في كل مصر ، وفي كل وجه وناحية ، فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الأولين ، ولا تتركوا خبرا يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب إلا أتوني بتناقص له في الصحابة مفتعلة ، فإن هذا أحب إلي وأقر ليني ، وأدحض لحجة أبي تراب وشيعته ، وأشد عليهم من مناقب عثمان وفضله » فقرئت كتبه على الناس ، فرويت أخبار كثيرة في مناقب الصحابة مفتعلة لا حقيقة لها ، وجد الناس في رواية ما يجري هذا الجري حتى أشادوا بذكر ذلك على المنابر ، وألقت إلى مملئ الكتائب فعلموا صبيانهم وغلانهم من ذلك الكثير الواسع ، وحتى رووه وتعلموه كما يتعلمون القرآن ، وحتى علموه بناتهم ونساءهم وخدمهم وحشمهم ، فلبثوا بذلك ما شاء الله .

ثم كتب إلى عماله نسخة واحدة إلى جميع البلدان : « انظروا إلى من قامت عليه البينة أنه يحب عليا وأهل بيته فاعموه من الديوان وأسقطوا عطاءه ورزقه » وشفع ذلك بنسخة أخرى : من اتهموه بموالاة =

الحضرمي^(١) الذي كتب إليك فيه زياد أنه على دين علي كرم الله وجهه ، ودين علي هو دين ابن عمه صلى الله عليه وسلم الذي أجسك بمجسك الذي أنت فيه ، ولولا ذلك كان أفضل شرفك وشرف آبائك تجشم الرحلتين : رحلة الشتاء والصيف^(٢) ، فوضعها الله عنكم بنا ، مئة عليكم ، وقلت فيما قلت : لا تردن هذه الأمة في فتنة ، وإني لا أعلم لها فتنة أعظم من إمارتك عليها ، وقلت فيما قلت : انظر نفسك ولديك ولأمة محمد ، وإني والله ما أعرف أفضل من جهادك ، فإن أفعل فإنه قرابة إلى ربي ، وإن لم أفعله فأستغفر الله لديني ، وأسأله التوفيق بما يحب ويرضى ، وقلت فيما قلت :

= هؤلاء القوم فنكلوا به واهدموا داره» فلم يكن البلاء أشد ولا أكثر منه بالعراق ، ولا سيما بالكوفة حتى إن الرجل من شيعة علي عليه السلام ليأتيه من يثق به ، فيدخل بيته فيلقى إليه سره ويخاف من خادمه ومملوكه ، ولا يتحدث به حتى يأخذ عليه الأيمان الغليظة ليكتمن عليه ، فظهر حديث كثير موضوع وبهتان متشهر ، ومضى على ذلك الفقهاء والقضاة والولاة ، وكان أعظم الناس في ذلك بلية القراء المرءون والمستضعفون الذين يظهرون الحشوع والنسك ، فيفتلون الأحاديث ليحطوا بذلك عند ولائهم ، ويقربوا محالهم ، ويصيروا به الأموال والضياح والمنازل . حتى انتقلت تلك الأخبار والأحاديث إلى أيدي الديانين الذين لا يستحلون الكذب والبهتان ، فقبلوها ورووها وهم يظنون أنها حق ، ولو علموا أنها باطلة لما رووها ولا تدنوا بها .

فلم يزل الأمر كذلك حتى مات الحسن بن علي عليه السلام (سنة ٥٠) فزاد البلاء والفتنة ، فلم يبق أحسن من هذا القبيل إلا وهو خائف على دمه ، وأوطريد في الأرض ، ثم تفاقم الأمر بعد قتل الحسين عليه السلام ، وولى عبد الملك بن مروان ، فاشتد على الشيعة وولى عليهم الحجاج بن يوسف ، فتقرب إليه أهل النسك والصلاح والدين يفض على وموالاه أعدائه وموالاة من يدعى قوم من الناس أنهم أيضا أعداؤه ، فأكثروا في الرواية في فضلمهم وسوابقهم ومناقبهم ، وأكثروا من النض من علي عليه السلام وعيبه والظعن فيه والشتان له ، حتى إن إنسانا وقف للحجاج ، ويقال إنه جد الأصمعي عبد الملك بن قريش ، فصاح به أيها الأمير إن أهلي عقوني فسموني عليا ، وإني فقير بائس ، وأنا إلى صلة الأمير محتاج ، فتضاحك له الحجاج ، وقال : لا تطم ما توسلت به ، قد وايتك موضع كذا « اه . ولا تنس أن الشيعة وضعوا أحاديث مختلفة في صاحبهم ، حملهم على وضعها عداوة خصومهم - انظر ابن أبي الحديد م ٣ ص ١٧ .

(١) يعني شريك بن شداد الحضرمي ، وكان من أصحاب حجر بن عدي الذين بعث بهم زياد إلى معاوية وقتل مع حجر .

(٢) كان للقرشيين في الجاهلية رحلتان كل عام : رحلة في الشتاء إلى اليمن ، ورحلة في الصيف إلى الشام ، فيمنارون ويتجرون ، وكانوا يخرجون بتجارهم قوافل عظيمة وقد ذكر الطبري أن إحدى هذه القوافل بلغت خمسمائة وألف بعير ، وكانوا في رحلتهم آمنين لأنهم أهل حرم الله وولادة بيته ، ذلك إلى ما أخذه لهم بنو عبد مناف من الإيلاف أي العهد بتأمين التجارة ، وكان هاشم بن عبد مناف قد خرج إلى الشام =

متى تكِدني أكِدك^(١) ، فكِدني يا معاوية ما بدالك ، فاعمرى لَمَدِيما يُكاد
الصالِحون ، وإني لأرجو أن لاتضرَّ إلا نَفْسك ، ولا تَمَحَقَ إلا عَمَلك ، فكِدني
ما بدالك ، واتق الله يا معاوية . واعلم أن الله كتاباً لا يُفادر صغيرةً ولا كبيرةً
إلا أحصاها ، واعلم أن الله ليس بناسٍ لك قَتَلَكَ بِالظُّنَّةِ ، وأخذك بالثُّمَّةِ ،
وإمارتك صَدِيماً يَشْرَبُ الشَّراب ، ويلعب بِالكِلاب^(٢) ، ما أراك إلا قد

= وأخذ إيلافاً منها ابن تاجر إليها من قريش ، وخرج الطلب بن عبد مناف فأخذ إيلافاً من اليمن ، وأخذ
عبد شمس بن عبد مناف إيلافاً من الحيثة ، وأخذ نوفل بن عبد مناف إيلافاً من فارس (انظر ذيل
الأمالي ص ٢٠٤) ، فكان تجار قريش يختلفون إلى هذه الأقطار آمينين في امتيازهم وانتقالهم شتاءً وصيفاً
لا يتعرض لهم ، على حين أن الناس كانوا يتخطفون من حولهم وينار عليهم ، وكان أبو سفيان يرأس العير
التي تتردد بين مكة والشام ، ولا يغيب عنك ما روى في كتب السيرة في غزوة بدر من : « أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم سمع بأبي سفيان بن حرب مقبلاً من الشام في عير لقريش عظيمة فيها أموال لقريش وتجارة
من تجاراتهم » . (١) وهذه العبارة أيضاً لم ترد في كتاب معاوية إليه .

(٢) روى المسعودي في مروج الذهب (ج ٢ : ص ٩٤) قال :

« وكان يزيد صاحب طرب وجوارح و كلاب وقرود وفهود ومنادمة على الشراب ، وجلس ذات
يوم على شرابه ، وعن يمينه ابن زياد - بعد قتل الحسين - فأقبل على ساقه فقال :

اسقني شربة . تروى مشاشي ثم صل فاسق مثلها ابن زياد

صاحب السر والأمانة عندي ولتسديد مفضي وجهادي

« والمشاش كغراب : النفس والطبيعة » ثم أمر الغنمين فغنوا ، وغلب على أصحاب يزيد وعماله ما كان
يفعله من الفسوق ، وفي أيامه ظهر القناء بكة والمدينة واستعملت اللاهي ، وأظهر الناس شرب الشراب
وكان له قرد يكي بأبي قيس ، يحضره مجلس منادمته ، وي طرح له متكاً ، وكان قرداً خبيثاً ، وكان يحمله
على أتان وحشية ، قد ربيضت وذلك لذلك بسرج ولجام ، ويسابق بها الخيل يوم الحلبة ، فحاء في بعض الأيام
سابقاً ، فتناول القصبه ودخل الحجره قبل الخيل ، وعلى أبي قيس قباء من الحرير الأحمر والأصفر مشهر
(مخطط) وعلى رأسه قلنسوة من الحرير ذات ألوان بشقائق (أي مصبغة بمثل الشقائق) وعلى الأتان سرج
من الحرير الأحمر منقوش ملحم بأنواع من الألوان ، فقال في ذلك بعض شعراء الشام في ذلك اليوم :

تمسك أبا قيس بفضل عنانها فليس عليها إن سقطت صمان

ألا من رأى القرد الذي صبغت به جواد أمير المؤمنين أتان

وروى ابن طباطبغا في الفخرى ص ٤٩ : قال :

« كان يزيد بن معاوية أشد الناس كلفاً بالصيد لا يزال لأهياجه ، وكان يلبس كلاب الصيد الأساور
من الذهب ، والجلال المنسوجة منه » الجلال بالكسر جمع جل بالفم والفتح : ما تلبسه الدابة لضمان به
ويهب لكل كلب عبداً يخدمه ، قيل إن عبيد الله بن زياد أخذ من بعض أهل الكوفة أربع مائة ألف دينار
جناية ، وجعلها في خزائن بيت المال ، فرحل ذلك الرجل من الكوفة وقصد دمشق ليشكو حاله إلى يزيد
وكانت دمشق في تلك الأيام فيها سرير الملك - فلما وصل إلى ظاهر دمشق ، سأل عن يزيد فعرفوه أنه =

أَوْبَتَ^(١) نَفْسَكَ ، وَأَهَاكَ دِينَكَ ، وَأَضَعْتَ الرِّعْيَةَ ، وَالسَّلَامَ » .
(الإمامة والسياسة ١ : ١٣١)

٧١ - بين معاوية وسعيد بن العاص

فلما جاوب القوم معاوية بما جاوبوه من الخلاف لأمره والكرَاهِيَةَ لبيعة ليزيد ،
كتب إلى سعيد بن العاص بأمره أن يأخذ أهل المدينة بالبيعة ليزيد أخذا بغلظة وشدة ،
ولا يدع أحداً من المهاجرين والأنصار وأبنائهم حتى يبايعوا ، وأمره أن لا يحرك هؤلاء
النَّفَرَ ولا يهيجهم ، فلما قَدِمَ كتاب معاوية ، أَخَذَهُمُ بالبيعة أعنفَ ما يكون من
الأخذ وأغاظَهُ ، فلم يبايعه أحد منهم ، فكتب إلى معاوية :
« إنه لم يبايعني أحد ، وإنما الناس تَبَعَ لهُؤَلاءِ النَّفَرَ ، فلو بايعوك بايعك الناس جميعاً ،
ولم يتخلف عنك أحد » .

فكتب إليه معاوية بأمره أن لا يحركهم إلى أن يقدّم ، ثم قَدِمَ معاوية

= في الصيد ، فكره أن يدخل دمشق ، وليس يزيد يحاضرا فيها ، فضرب بحيمه ظاهر المدينة ، وأقام به
ينتظر عود يزيد من الصيد ، فبينا هو في بعض الأيام جالس في خيمته لم يشعر ، إلا بكلبة قد دخلت عليه ، وفي
قوائمها الأصاور من الذهب ، وعلمها جل يساوي مبلغا من المال كبيرا ، وقد بلغ منها العطش والتعب ،
وكادت تموت ، فعلم أنها ليزيد وأنها قد شفت منه ، فقام إليها وقدم لها ماء ، وتهديها بنفسه ، فما شعر
إلا بثبات حسن الصورة على فرس جميل ، وعليه زى الملوك ، وقد علت غيرة ، فقام إليه وسلم عليه ، فقال له
أرأيت كلبة عابرة بهذا الموضع ؟ فقال : نعم يا ولانا ، هاهي في الخيمة ، قد شربت ماء واستراحت ، وقد
كانت على غاية من العطش والتعب ، فلما سمع يزيد كلامه نزل ودخل الخيمة ونظر إلى الكلبة وقد استراحت
فجذب بحبلها ليخرج ، فشكا الرجل إليه حاله وعرفه ما أخذ منه ابن زياد ، فطلب دواة وكتب إليه برد
ماله وخلعة سنية ، وأخذ الكلبة وخرج ، فرد الرجل من ساعته إلى الكوفة ولم يدخل دمشق .

وقال الحسن البصري : « أربم خصال كن في معاوية ، لو لم يكن فيه منهن إلا واحدة لكانت موبقة :
انراؤه على هذه الأمة بالسفهاء حتى ابتزها أمرها بغير مشورة منهم وفيهم بقايا الصحابة وذوو الفضيلة ،
واستخلافه ابنه بعده سكيما خيرا ، يلبس الحرير ، ويضرب بالطنابير ، وادعائه زيادا وقد قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : الولد للفراش وللعاهر الحجر ، وقتله حجرا ، ويلا له من حجر وأصحاب حجر
مرتين » - انظر تاريخ الطبري ٦ : ١٥٧ والمنية والأمل ص ١٥ .

(١) أوبت أهلك .

المدينة حاجا ، وكان من أمره معهم ما كان^(١) (الإمامة والسياسة ١ : ١٢٢)

(١) وذلك أنه لما دنا منها استقبله أهلها ، منهم : عبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير ، والحسين ابن علي ، وعبد الرحمن بن أبي بكر ، فأقبل على ابن أبي بكر ، فسبه وقال : لامرحبا بك ولا أهلا ، فلما دخل الحسين عليه قال : لا مرحبا بك ولا أهلا ، بدنة يترقرق دمها والله مهريقه • والبدنة بالتحريك من الإبل والبقر كالأضحية من الغنم تهدي إلى مكة ، للذكر والأثني • فلما دخل عليه ابن الزبير ، قال : لامرحبا بك ولا أهلا ، ضب تلعة ، فسخل رأسه تحت ذنبه «والتلعة كوردة: ما ارتفع من الأرض وما انهبض منها» فلما دخل عبد الله بن عمر ، قال : لامرحبا بك ولا أهلا ، وسبه ، فقال : إني لست بأهل لهذه المقالة ، قال : بلى ، ولما هو بشر منها ، فدخل معاوية المدينة وأقام بها ، وخرج هؤلاء الرهط متعربين ، فلما كان وقت الحج خرج معاوية حاجا ، فأقبل بعضهم على بعض ، فقالوا : لعله قد ندم فأقبلوا يستقبلونه ، فلما دخل ابن عمر ، قال : مرحبا بصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن الفاروق ، هاتوا لأبي عبد الرحمن دابة ، وقال لابن أبي بكر : مرحبا بشيخ قريش وسيدها وابن الصديق ، هاتوا له دابة ، وقال لابن الزبير : مرحبا بابن حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته ، هاتوا له دابة ، وقال للحسين : مرحبا بابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيد شباب المسلمين قريبا لأبي عبد الله دابة ، وجعلت الطافة « جمع لطف بالتحريك وهو الهدية » تدخل عليهم ظاهرة يراها الناس ، ويحسن لادتهم وسفاهتهم ، وحلمهم على الدواب . وخرج حتى أتى مكة ففضى حجه ، ولما أراد الشخوص أمر بأنثاله فقدمت وأمر بالنبير فقرب من الكعبة ، ثم أرسل إليهم ، فاجتمعوا وقالوا: من يكلمه ؟ فأقبلوا على الحسين فأبى ، فقالوا لابن الزبير : هات فأت صاحبنا ، فدخلوا عليه ، فرحب بهم وقال : قد علمت نظري لكم ، وتعطى عليكم ، وصانئ أرحامكم ، ويزيد أخوكم وابن عمكم ، ولإنا أردت أن أقدمه باسم الخلافة ، وتكونوا أنتم تأمرون ونهون ، فسكوا ، فقال : أجيئوني ، فسكتوا ، فقال : أجيئوني ، فسكتوا ، فقال لابن الزبير : هات فأت صاحبهم ، قال : تخيرك بين إحدى ثلاث ، أيها أخذت فهي لك رغبة ، وفيها خيار : إن شئت فاصنع فيما صنعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تجزه الله ولم يستخاف أحدا ، فرأى المسلمون أن يستخفوا أبا بكر ، فدفع هذا الأمر ، حتى يختار الناس لأنفسهم ، وإن شئت فما صنع أبو بكر ، عهد إلى رجل من قاصبة قريش ، وترك من ولده ومن رهطه الأذن من كان لها أهلا ، وإن شئت فما صنع عمر ، جعلها شورى في ستة نفر من قريش يختارون رجلا منهم ، وترك ولده وأهل بيته ، وفيهم من لو وليها لكان لها أهلا ، فقال معاوية : هل غير هذا؟ قال لا ، ثم قال للآخرين : ما عندكم ؟ قالوا: نحن على ما قال ابن الزبير ، فقال معاوية إن أقدم إليكم وقد أعذر من أئذ ، إني قائم فقاتل مقالة فإياكم أن تعرضوا على حتى أئتمها ، فإن صدقت فعل صدقي ، وإن كذبت فعلي كذبي ، وأقسم بالله لئن رد على رجل منكم كلمة ومقامي هذا لا ترجع إليه كامنه حتى يضرب رأسه ، فلا ينظر امرؤ منكم إلا إلى نفسه ، ولا يبقى إلا عليها ، وأمر أن يقوم على رأس كل رجل منهم رجلان بسيفيهما ، فإن تكلم بكلمة يرد بها عليه قوله قتلاه ، وخرج وأخرجهم معه ، حتى رقى المنبر ، وحف به أهل الشام ، واجتمع الناس ، فقام خطيباً . فقال بعد حمد الله والثناء عليه : إنا وجدنا أحاديث الناس ذات عوار « العوار مثلثة : العيب » قالوا إنا حسينا وابن أبي بكر وابن عمر وابن الزبير لم يبايعوا ليزيد ، وهؤلاء الرهط سادة المسلمين وخيارهم ، لا نرم أمرآدوتهم ، ولا تقضى أمرآ إلا عين مشورتهم ، وإني دعوتهم فوجدتهم سامعين مطيعين ، فبايعوا وسلحوا وأطاعوا . =

(٥ - جمهرة رسائل العرب - ثاني)

٧٢ - كتاب معاوية إلى ابنه يزيد

وكتب معاوية إلى ابنه يزيد - وقد بلغه مُقَارَفَتُهُ اللذاتِ ، واتهما كهُ في الشهوات - :

« من معاوية بن أبي سفيان أمير المؤمنين إلى يزيد بن معاوية :
أما بعدُ : فقد أدَّتُ ألسنةُ التَّصْرِيحِ إلى أذنِ العناية بك^(١) ما فَجَعَ الأملَ فيك ،
وباعدَ الرَّجاءَ منك ، إذ^(٢) ملأتَ العيونَ بهجةً ، والقلوبَ هيبةً ، وترامتْ إليك
آمالُ الراغبين ، وهَمُّ المتنافسين ، وشحَّتْ بكِ فتيانُ قريشٍ وكُهولُ أهلك ، فما
يسوغُ لهم ذِكْرُكَ إلا على الجِرةِ المهُوَّعة^(٣) ، والكظِّ : الجشء^(٤) .
أفتحمتَ البوائقَ^(٥) ، وأتقدتَ للمعاري^(٦) ، وأعتضتَها من سُمِّو الفضل ، ورفيعِ
القدر ، فليتك (يزيدُ) إذ كنتَ لم تكن ، سررتَ يافعا^(٧) ناشئاً ، وأشكلتَ

= فقال أهل الشام : وما يعظم من أمر هؤلاء؟ إذن لنا فنضرب أعناقهم ، لانرضى حتى يبايعوا علانية ،
فقال معاوية : سبحان الله ! ما أسرع الناس إلى قريش بالشر ، وأحلى دماءهم عندهم ، أنصتوا فلا أسمع
هذه المنالة من أحد ، ودعا الناس إلى البيعة فبايعوا ، ثم قربت رواحله فركب ومضى . فقال الناس للحسين
وأصحابه : قلم لا نبايع ، فلما دعيتهم وأرضيتهم بايعتم . قالوا : لم نعمل ، قالوا بلى قد فعاتم وبايعتم ،
أفلا أنكرتم ؟ قالوا : خفنا النزل ، وكادكم بنا وكادنا بكم - انظر ذيل الأمل ١٧٧ والعقد الفريد
٢ : ٢٤٨ والإمامة والسياسة ١ : ١٣٨

(١) أي إلى أذن ذي العناية بك - يريد به معاوية نفسه - والمعنى : لقد أفصت بأنيائك السنة الرقباء
عليك إلى مسامع أبيك ذي العناية الشديدة بشأنك ، وصرحت له بما تقارفه من التكرات والمثالب .
(٢) إذ هنا ظرفية . (٣) الجرة : ما يفيض به البعير فبأ كنه ثانية ، وهو ع ما أكل : قياه
إياه ، والمراد أنهم يستنقلون ذكره . (٤) كظه الطعام كظا : ملاء حتى لا يطبق النفس ، والجشء
كشمس : الكثير .

(٥) البوائق : الدواهي جمع بائقة ، والمعنى اقتدرت الآثام والمعاصي .

(٦) المعاري : المعايير ؛ قالت ليلي الأخيلية :

لعمرك ما بالموت عار على امرئ إذا لم تصبه في الحياة المعاري

(٧) أيفع الغلام ويفم كفتح يفوعا : شب ، فهو يافع ولم يستعمل اسم الفاعل من الرباعي ، وثكلت
المرأة ولدها (كتب) : فقدته ، وأنكلها الله وادها : أفقدها إياه ، والمعنى : وأفقدتنا الأمل فيك
وأحزنتنا ، والكهل : من جاوز الثلاثين ، أو أربعاً وثلاثين إلى إحدى وخمسين ، والضالع : المائل ، ضلع
هنا كفتح ضلما بالتسكين . مال ، أي مائلا إلى الهوى منحرفا عن طريق الرشاد .

كَهَلًا ضَالِعًا، فَوَاحِرَ نَاهُ^(١) عَلَيْكَ (يَزِيدُ) ! وَيَاحِرَ صَدْرِ الْمُشْكَلِ بِكَ ، مَا أُشْمِتَ
فَتِيَانَ بَنِي هَاشِمٍ ! وَأَذَلَ فِتْيَانَ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ^(٢) عِنْدَ تَفَاوُضِ الْمَفَاخِرِ وَدِرَاسَةِ الْمَنَاقِبِ !
فَمَنْ لِصِلَاحٍ مَا أَفْسَدْتَ ، وَرَتَقَ مَا فَتَقْتَ ؟ هَيْهَاتَ ! خَشْتِ^(٣) الدُّرْبَةَ وَجَهَ
التَّصْبُرِ بِكَ ، وَأَبَتِ الْجِنَايَةَ إِلَّا تَمُدُّرًا عَلَى الْأَلْسِنِ ، وَحِلَاوَةً عَلَى الْمَنَاطِقِ ، مَا أُرْبِحُ
قَائِدَةً نَالُوهَا ، وَفُرْصَةً انْتَهَزُوهَا !

انْتَبِهْ (يَزِيدُ) لِلْفَلِظَةِ^(٤) ، وَشَاوِرِ الْفِكْرَةَ ، وَلَا تَكُنْ إِلَى سَمْعِكَ أَمْرِعَ مِنْ
مَعْنَاهَا إِلَى عَمَلِكَ وَاعْلَمْ أَنَّ الَّذِي وَطَّأكَ^(٥) وَسُوسَةَ الشَّيْطَانِ ، وَزَخْرَفَةَ السُّلْطَانَ ،
مِمَّا حَسُنَ عِنْدَكَ قُبْحُهُ ، وَاحْلَوْلَى عِنْدَكَ مَرُّهُ ، أَمْرٌ شَرِكَكَ فِيهِ السُّوَادُ^(٦) ، وَنَافَسَكَهُ
الْأَعْبُدُ ، لَا لِأَثَرَةٍ تَدَّعِيهَا أَوْجِبَتْهَا لَكَ الْإِمْرَةَ ، وَأَضَعْتَ بِهَا مِنْ قَدْرِكَ ، فَأَمَكَنْتَ
بِهَا مِنْ نَفْسِكَ ، فَكَأَنَّكَ شَانِيٌّ^(٧) نَفْسِكَ ، فَمَنْ لِهَذَا كَلَهُ ؟

(١) جاء في شرح التبيان للعكبري على ديوان المتنبي ج ٢ ص ٢٥٥ عند الكلام على قوله :

واحر قلباه ممن قلبه شيم ومن يحسى وحالي عنده سقم

واستجلب هاه السكت (في واحر قلباه) ونبتها في الوصل كما تنبت في الوقف ، والعرب تفعل
ذلك كقراء: ابن ذكوان « فبهذا هم اقتدemy » بكسر الهاء وإنبات الياء وصلًا ، وكقراءة هشام بكسر
الهاء . وحرك الهاء أبو الطيب لكونها وسكون الألف قبلها ، وللعرب في ذلك أمران: منهم من حرك بالضم
تشبيهاً بهاء الضمير ، وأنشدوا : « يا مرحبا به بخمار أعمر » ومنهم من يحرك بالكسر على ما يوجد كثيراً
والكلام عند النقاء الساكنين ، وأنشدوا :

يارب يارباه لياك أسل عفره يارباه من أقبل الأجل

في كلام كثير أرجع إليه هنالك ، وانظر أيضاً خزائن الأدب للدمادى ج ٤ : ص ٥٩٢ ولسان
العرب ج ٢٠ : ص ٣٧٠ ، ومما أورده صاحب اللسان في ذلك قول فيس العامري في ليلي :

فناديت يارباه أول سألت نفسي ليلي ثم أنت حسيها

قال وهو كثير في الشعر ، وليس شيء منه بحجة عند أهل البصرة .

(٢) يعني قومه ، فهو معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس ، والتفاوض الاشتراك
في كل شيء ، والمجازاة في الأمر . والمناقب : المفاخر جمع منقبة بفتح الميم والقاف .

(٣) خشت : خدشت ، والدربة : العادة والجرأة على الأمر ، والمعنى دربتك على اجتراح المعاصي
والسيئات . (٤) هكذا في الأصل ، وربما كانت « للفظه » .

(٥) أي لينك وسهل عليك الانقياس في الشهوات . (٦) السواد من الناس : عامتهم .

(٧) شاني : مبغض .

اعلم يا يزيد أنك طريد الموت وأسير الحياة ، بلغني أنك اتخذت المصانع^(١) والمجالس للملاهي والمزامير ، كما قال الله تعالى : « أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيحٍ^(٢) آيَةً تَعْبَثُونَ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ » وأجهرت^(٣) الفاحشة حتى اتخذت سريرتها عندك جهراً .

اعلم (يا يزيد) أن أول ما سلبه الشكر معرفة مواطن الشكر لله على نعمه المتظاهرة^(٤) ، والآية المتواترة ، وهي الجرححة العظمى ، والفجعة الكبرى : ترك الصلوات المفروضات في أوقاتها ، وهو من أعظم ما يحدث من آفاتنا ، ثم استحسان العيوب ، وركوب الذنوب ، وإظهار العورة ، وإباحة السر ، فلا تأمن نفسك على ميرك ، ولا تعقد على فعلك ، فما خير لذة تعقب الندم ، وتعنى^(٥) الكرم .

وقد توقف أمير المؤمنين بين شطرين من أمرك ، لما يتوقعه من غلبة الآفة ، واستهلاك الشهوة ، فكن الحاكم على نفسك ، واجعل المحكوم عليه ذمتك ، ترشد إن شاء الله تعالى .

وليتبلغ أمير المؤمنين ما يرُدُّ شارداً من نومه ، فقد أصبح نصب الاعتزال من كل مؤانس ، ودريئة^(٦) الألسن الشامته ، وفقك الله فأحسن .

(صبح الأعشى ٦ : ٢٨٧)

(١) المصانع : المباني من القصور - والحصون .

(٢) الريح : المرتفع من الأرض ، آية : أي أبنية وقصوراً يفخرون بها ، ويعبثون بالفقراء ويتطاولون عليهم من أجلها ، والمصانع في الآية قيل : الأبنية ، وقيل : هي أحباس تتخذ الماء واحداً مصنعة ومصنع ، وهذه الآية نزلت في عاد قوم هود .

(٣) جهر بالكلام وأجهر به ، ويعديان بغير حرف فيقال جهر الكلام وأجهره : أعلنه وأظهره

(٤) المتظاهرة المتوالية المترادفة ، وأصله من ظاهر بين الثوبين : إذا لبس أحدهما على الآخر ، والآلاء :

النعم ، جمع إلى كحمل وألو وألى كشمس وألى كعصا وإلى كرضا .

(٥) تعنى وتزبل ، وأصله من عفت الريح المنزل : إذا درسته .

(٦) الدريئة : الحلقة بتعلم عليها الطعن والرمي ، وفي الأصل «ودرأة» وهو تحريف .

خلافة يزيد بن معاوية

٧٣ - كتاب يزيد إلى الوليد بن عتبة

وبويع ليزيد بن معاوية بالخلافة بعد وفاة أبيه في رجب سنة ٦٠ هـ، وأمير المدينة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، ولم يكن ليزيد هم حين ولي إلا بيعة النفر الذين أبوا الإجابة إلى بيعته حين دعاهم إليها أبوه، فكتب إلى الوليد:

« بسم الله الرحمن الرحيم، من يزيد أمير المؤمنين إلى الوليد بن عتبة:

أما بعد: فإن معاوية كان عبداً من عباد الله، أكرمه الله واستخلفه وخوله^(١) ومكّن له، فعاش بتدبر، ومات بأجل، فرحمه الله، فقد عاش محموداً، ومات برّاً تقيّاً والسلام.»

وكتب إليه في صحيفة كأنها أذن قارة:

« أما بعد: فخذ حُسَيْنًا، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير بالبيعة أخذنا شديداً ليست فيه رخصة^(٢) حتى يبايعوا، والسلام.»

وأبى الحسين عليه السلام أن يبايع ليزيد وخرج إلى مكة.

(تاريخ الطبري ٦ : ١٨٨)

(١) خوله الله تعالى المال: أعطاه إياه منفضلاً. (٢) الرخصة: التسهيل.

صورة أخرى

وروى ابن قتيبة في الإمامة والسياسة ، قال :

مات معاوية وكان يزيد غائباً ، فلما قدم دمشق بعد موت أبيه كتب إلى عامل المدينة^(١) :

« أما بعد : فإن معاوية بن أبي سفيان كان عبداً استخلفه الله على العباد ، وممكن له في البلاد ، وكان من حادث قضاء الله « جَلَّ ثَنَاؤُهُ ، وَتَمَدَّ سَتُّ أَسْمَاؤِهِ » فيه ما سبق في الأولين والآخرين ، لم يدفع عنه ملكٌ مُتَرَبِّبٌ ، ولا نبي مُرْسَلٌ ، فعاش حميداً ، ومات سعيداً ، وقد قلَّدنا الله عزَّ وجل ما كان إليه ، فيالها مصيبةٌ ما أجلها ! ونعمةٌ ما أعظمها ! نقل الخلافة ، وفقد الخليفة ، فَنَسْتَوِزِعُهُ^(٢) الشكر ، ونَسْتَلْهِمُهُ^(٣) الحمد ، ونسأله الخيرة^(٣) في الدارين . ما ، ومحمود العقبى في الآخرة والأولى ، إنه وليُّ ذلك ، وكلُّ شيء بيده لا شريك له .

وإن أهل المدينة قومنا ورجالنا ومن لم نزل على حُسنِ الرأي فيهم ، والاستعداد بهم ، واتباع أئمة الخليفة فيهم ، والاحتذاء على مثاله لديهم ، من الإقبال عليهم ، والتقبُّل من مُحْسِنِهِمْ ، والتجاوز عن مسيئتهم ، فبايع لنا قومنا ومن قبلك من رجالنا

(١) نص عبارته « كتب إلى خالد بن الحكم وهو عامل المدينة » وهو خطأ ، إذا لا يعرف من ولاية المدينة في هذا العهد والى بذلك الاسم ، ولعل الأصل « إلى مروان بن الحكم » وهذا خطأ أيضاً ، أجل إن مروان ولي المدينة في خلافة معاوية ، ولكن وليها حين وفاته هو الوليد بن عتبة بن أبي سفيان كما تقدم لك في الكتاب السابق - عن تاريخ الطبري - وجاء أيضاً في صبيح الأعشى ج ٤ : ص ٢٩٥ « ولي معاوية على المدينة سنة ٤٢ هـ مروان بن الحكم ، ثم عزله سنة ٤٩ هـ وولى مكانه سعيد بن العاص ، ثم عزله سنة ٥٤ هـ ورد إليها مروان بن الحكم ، ثم عزله سنة ٥٩ هـ وولى مكانه الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ثم عزله يزيد عن المدينة والحجاز ، وولى مكانه عمرو بن سعيد الأشدق ، ثم عزله سنة ٦١ هـ وعاد الوليد بن عتبة » .

(٢) أستوزع الله تعالى شكره : استناهمه .

(٣) تخير الشيء : اختاره ، والاسم الخيرة بسكون الياء وفتحها والأخيرة أعرف وهي الاسم ،

من قولك اختاره الله تعالى .

بنيهم منشرح بها صدوركم ، طيبةً عليها أنفسكم ، وليكن أول من يباعدك من قومنا وأهلنا الحسين ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الله بن جعفر ، ويحلفون على ذلك بجميع الأيمان اللازمة ، ويحلفون بصدقته أموالهم غير عشرها ، وحرية^(١) رقيقهم ، وطلاق نسائهم ، بالثبات على الوفاء بما يعطون من بيعتهم ، ولا قوة إلا بالله والسلام .

(الإمامة والسياسة ١ : ١٤٩)

٧٤ - كتاب أهل الكوفة إلى الحسين بن علي

واجتمعت الشيعة بالكوفة في منزل سليمان بن صرد ، فذكروا هلاك معاوية ، فحمدوا الله عليه ، فقال سليمان : إن معاوية قد هلك ، وإن حسيناً قد تقبض على القوم ببيعتهم ، وقد خرج إلى مكة ، وأنتم شيعته وشيعة أبيه ، فإن كنتم تعلمون أنكم ناصروه ومجاهدو عدوه فاكتبوا إليه ، وإن حفتم الوهل^(٢) والفشل فلا تغرؤوا الرجل من نفسه « قالوا : لا ، بل نقاتل عدوه ، ونقتل أنفسنا دونه ، قال : فاكتبوا إليه ، فكتبوا إليه :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، حسين بن علي من سليمان بن صرد ، والمسديب ابن نجبة ، ورفاعة بن شداد ، وحبيب بن مظاهر ، وشيعته من المؤمنين والمسلمين من أهل الكوفة .

سلام عليك ، فإننا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد : فالحمد لله الذي قسم عدوك الجبار العنيد الذي انتزى^(٣) على هذه الأمة ، فابتزها أمرها ، وغصبها قبيتها ، وتأمر عليها غير رضى منها ، ثم قتل خيارها ، واستبقى شرارها ، وجعل مال الله

(١) في الأصل « وجزية » وهو تصحيف . (٢) الوهل : الضعف والزرع والفشل .

(٣) انتزى . وثب ، وابتزها : سلبها .

دولة^(١) بين جبارتها وأغنيائها ، فبعداً له كما بعثت^(٢) ثود .

إنه ليس علينا إمام فاقدم علينا لعل الله أن يجمعنا بك على الهدى ، والنعان بن بشير في قصر الإمارة ، لسنا نجتمع معه في الجمعة ، ولا نخرج معه إلى عيد ، ولو قد بلغنا أنك قد أقبات إلينا أخرجناه من الكوفة حتى نلحقه بالشام ، والسلام ورحمة الله عليك .

ثم سرّحوا بالكتاب مع عبد الله بن سبع الهمداني ، وعبد الله بن وائل ، وأمروها بالنجاء^(٣) ، فخرج الرجلان مسرعين حتى قدما على حسين لعشر ماضين من رمضان بمكة ، ثم سرّحوا إليه قيس بن مشير الصيداوي ، وعبد الرحمن بن عبد الله الأرحبي ، وعمارة بن عبيد السلولي ، فحملوا معهم نحواً من ثلاث وخمسين صحيفة ، من الرجل والاثنتين والأربعة .

(تاريخ الضرى ٦ : ١٩٧ ، والإمامة والسياسة ٢ : ٣ ، وتاريخ الكامل لابن الأثير ٤ : ٨)

٧٥ - كتاب ثان

ثم سرّحوا إليه هاني بن هاني السبيعي ، وسعيد بن عبد الله الحنفي ، وكتبوا معهما :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، حسين بن علي من شيعته من المؤمنين والمسلمين :

أما بعد : فحى هلاً^(٤) ، فإن الناس ينتظرونك ، ولا رأى لهم في غيرك ، فالمجل العجل ، والسلام عليك . »

(تاريخ الطبري ٦ : ١٩٧)

(١) الدولة بالضم في المال ، يقال : صار القوم دولة بينهم : يتداولونه يكون مرة لهذا ومرة لهذا والدولة بالفتح في الحرب : أن تدال إحدى الفئتين على الأخرى ، يقال : كانت لنا عليهم الدولة ، وقيل هما سواء فهما يضمنان ويفتتحان ، قال الفراء في قوله تعالى « كى لا يكون دولة بين الأغنياء

منكم » قرأها الناس برفع الدال لإلا السلى فيما أعلم فإنه قرأها بنصب الدال .

(٢) البعد بالضم والبعد بحركة : النأي والهلاك ، وفعلها ككرم وكفرح .

(٣) البجاء الإسراع .

(٤) حى هلاً (بدون تنوين وبه) على كذا وإلى كذا : أى أقبل وأسرع .

۷۶ - کتاب ثالث

وكتب شَبَث بن رِبْعِي، وَحَجَّار بن أُنْجَر، ويزيد بن الحارث، ويزيد بن رُوَيْم،
وعزرة بن قيس، وعمرو بن الحجاج الزُبَيْدِي، ومحمد بن عمير التميمي :

« أما بعد : فقد اخضر الجَنَابُ ، وأينعت الثَّار ، وطمت الجِمام^(۱) ، فإذا شئتَ
فاقدمْ على جُندٍ لك مُجَنَّد ، والسلام عليك » . (تاريخ الطبري ۶ : ۱۹۷)

۷۷ - رد الحسين على أهل الكوفة

وتلاقت الرُّسُل كلها عنده ، فقرأ الكتب ، وسأل الرسل عن أمر الناس ،
ثم كتب مع هاني بن هاني السُّبَيْعِي ، وسعيد بن عبد الله الحنفي - وكانا
آخر الرسل - :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من حسين بن علي إلى المَلَأ من المؤمنين والمسلمين ،
أما بعدُ : فإن هانئاً وسعيداً قدما علي بكتبكم ، وكانا آخر مَنْ قدِم علي من رُسُلِكُم ،
وقد فهمتُ كل الذي اقتصصتم وذكركم ومقالة جُلُكُم : « إنه ليس علينا إمامٌ فأقبلُ
لعن الله أن يجمعنا بك على الهدى والحق » وقد بعثت إليكم أخي وابن عمي^(۲) ، وثقتي
من أهل بيتي ، وأمرته أن يكتب إلي بحالكم وأمرِك ورأيكم ، فإن كتب إلي أنه قد
أجمع رأي مَلَئِكُم ، وذوى الفضل والحجاء منكم على مثل ما قدِمْتُ علي به رُسُلِكُم ،
وقرأتُ في كتبكم ، أقدَمَ عليكم وشيكا^(۳) إن شاء الله ، فلعمري ما الإمامُ إلا العاملُ
بالكتاب ، والآخذ بالتيسر ، والدائن بالحق ، والحابِسُ نفسه على ذاتِ الله ، والسلام .
(تاريخ الطبري ۶ : ۱۹۷ ، وتاريخ الكامل لابن الأثير ۴ : ۸)

(۱) الجمام : جمع جم بالفتح ، وهو معظم الماء . وطى الماء : علا . وطم : نمر .

(۲) بعث إليهم ابن عمه سلم بن عقيل . (۳) سريماً .

٧٨ - كتاب مسلم بن عقيل إلى الحسين

وبعث الحسين عليه السلام إلى ابن عمه مُسَلِّم بن عَقِيل بن أبي طالب ، فقال له . سر إلى الكوفة فانظر ما كتبوا به إلى ، فإن كان حقاً خرجنا إليهم ، فخرج مسلم حتى أتى المدينة ، واستأجر دليان من قيس ، فأقبلا به فضلاً الطريق وجارا ، وأصابهم عطش شديد ، فكتب مسلم مع قيس بن مُسَهِّر الصَّيْدَاوِي إلى الحسين :

« أما بعد : فإني أقباتُ من المدينة ، معي دليان لي ، فجارا عن الطريق وضلاً ، واشتد علينا العطشُ ، فلم يابثنا أن ماتا ، وأقبلنا حتى انتهيا إلى الماء ، فلم نَنجُ إلا بِحُشَاشَةٍ^(١) أنفسنا ، وذلك الماء بمكان يُدعى المَضِيقَ من بطن الخُبَيْتِ ، وقد تطيرت من وجهي هذا ، فإن رأيتَ أعفيتني منه وبعثتَ غيري ، والسلام » . (تاريخ الطبري ٦ : ١٩٨)

٧٩ - رد الحسين على مسلم

فكتب إليه الحسين :

« أما بعد : فقد خَشِيتُ ألا يكونَ حَمَلَكُ على الكتابِ إلىَّ في الاستعفاء من الوجه الذي وجهتُك له إلا الجبنُ ، فامضِ لوجهك الذي وجهتُك له ، والسلام عليك » . (تاريخ الطبري ٦ : ١٩٨)

٨٠ - كتاب عبد الله بن مسلم الحضرمي إلى يزيد

ثم أقبل مسلم حتى دخل الكوفة ، فنزل دار المختار بن أبي عبيد ، وأقبلت الشيعة تختلف إليه ، فباع ذلك النعمان بن بشير والى الكوفة فخطب الناس وحثهم ألا يسارعوا إلى الفتنة والفرقة ، فقام إليه عبد الله بن مُسَلِّم الحضرمي حليف بني أمية وضعفه^(٢) ، وخرج عبد الله وكتب إلى يزيد بن معاوية :

(١) الحشاشة : بقية الروح في الرئس والجريح .

(٢) نسه إلى الضعف .

« أما بعد : فإن مسلم بن عقيل قد قدم الكوفة ، فبايعته الشيعة للحسين بن علي ، فإن كان لك بالكوفة حاجة فابعث إليها رجلاً قوياً ، ينفذ أمرك ، ويعمل مثل عمالك في عدوك ، فإن النعمان بن بشير رجل ضعيف ، أو هو يتضعف » :
فكان أول من كتب إليه ، ثم كتب إليه عمارة بن عتبة بنحو من كتابه ، ثم كتب إليه عمر بن سعد بن أبي وقاص بمثل ذلك . (تاريخ الطبري، ٦ : ١٩٩)

٨١ - كتاب يزيد إلى عبيد الله بن زياد

فلما اجتمعت الكتب عند يزيد ، بعث إلى عبيد الله بن زياد بعهدته على الكوفة ، وكان عاملاً له على البصرة ، فصح إليه المصيرين ، وكتب إليه :
« أما بعد : فإنه كتب إلى شيعتي من أهل الكوفة ، يخبرونني أن ابن عقيل بالكوفة يجمع الجموع لشق عصا^(١) المسلمين ، فسر حين تقرأ كتابي هذا ، حتى تأتي أهل الكوفة ، فتطلب ابن عميل كطلب الحرزة حتى تشقه^(٢) فتوثقه ، أو تقتله ، أو تنفيه ، والسلام » .

فاستخلف عبيد الله أخاه عثمان بن زياد على البصرة وأقبل إلى الكوفة » .

(تاريخ الطبري ٦ : ٢٠٠)

٨٢ - كتاب الحسين إلى أهل البصرة

وقد كان الحسين كتب مع مولى لهم يقال له سليمان كتاباً إلى أهل البصرة إلى رموس الأحماس ، وإلى الأشراف ، فكتب إلى مالك بن مسعم البكري ، وإلى الأحنف بن قيس ، وإلى المنذر بن الجارود ، وإلى مسعود بن عمرو ، وإلى قيس بن

(١) شق فلان العصا : مثل يضرب لفارقة الجماعة ومخالفتهم ، والأصل في العصا الاجتماع والائتلاف وذلك أنها لاتدعى عصا حتى تكون جميعاً ، فإن انشقت لم تدع عصا ، قالوا وأصل هذا أن الحاديين يكونان في رفقة ، فإذا فرقهم الطريق شقت العصا التي معها فأخذ هذا نصفها وهذا نصفها .

(٢) ثقفه كسمه سادفه أو أخذه أو ظفر به أو أدركه .

الهيثم ، وإلى عمر بن عبید الله بن مَعْمَرٍ ، فجاءت منه نسخة واحدة إلى جميع أشرافها ، وهي :

« أما بعد : فإن الله اصطفى محمداً صلى الله عليه وسلم على خلقه ، وأكرمه بنبوته ، واختاره لرسالته ، ثم قبضه الله إليه ، وقد نصح لعباده ، وبلغ ما أُرْسِلَ به صلى الله عليه وسلم ، وكنا أهله وأولياءه وأوصيائه وورثته ، وأحقَّ الناس بمقامه في الناس ، فاستأثر علينا قومنا بذلك ، فرضينا ، وكرهنا الفرقة ، وأحببنا المافية ونحن نعلم أننا أحقُّ بذلك الحق المستحق علينا ممن تولاه ، وقد أحسنوا وأصلحوا وتمحروا الحق فرحمهم الله ، وغفر لنا ولهم .

وقد بعثتُ رسولي إليكم بهذا الكتاب ، وأنا أدعوكم إلى كتاب الله ، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، فإنَّ السُّنَّةَ قد أُمِيتَتْ ، وإنَّ البِدْعَةَ قد أُحْيِيَتْ ، وإن تسموا قولي وتطيعوا أمرى أهدىكم سبيلَ الرشاد ، والسلام عليكم ورحمة الله » :

فكل من قرأ ذلك الكتاب من أشراف الناس كتبه غير المنذر بن الجارود ، فإنه خشيَ بزعمه أن يكون دسيساً من قبل عبید الله ، فجاءه بالرسول من العسيرة التي يريد صديقتها أن يسبق إلى الكوفة ، وأقرأه كتابه ، فقدم الرسول ف ضرب عنقه .
(تاريخ الطبري ٦ : ٢٠٠)

٨٣ - كتاب مسلم بن عقيل إلى الحسين

ودخل عبید الله بن زياد الكوفة ، فتهدّد الناس وتوعدهم ، وأخذهم أخذاً شديداً ، وبلغ ذلك مسلم بن عقيل فخرج من دار المختار ، ولاذ بدار هاني بن عروة المرادي ، وقد كتب مسلم حيث تحول إلى دار هاني كتاباً إلى الحسين مع عابس ابن أبي شبيب الشاكري :

« أما بعد : فإن الرائد^(۱) لا يكذبُ أهله ، وقد بايعني من أهل الكوفة ثمانية عشر ألفاً ، فعجل الإقبالَ حين يأتيك كتابي ، فإن الناس كلهم معك ، ليس لهم في آل معاوية رأيٌ ولا هوى والسلام » :

وجدَّ ابنُ زيادٍ في طلبِ مسلمِ بنِ عقيلٍ حتى ظفِرَ به فضرب عنقه ، وعنق هاني .

(تاريخ الطبري ۶ : ۲۱۱)

۸۴ - كتاب عبيد الله بن زياد إلى يزيد

ولما قتل ابن زياد مسلماً وهانثاً بعث برءوسهما مع هاني بن أبي حية الوادعي ، والزبير بن الأرواح التميمي إلى يزيد بن معاوية ، وأمر كاتبه عمرو بن نافع أن يكتب إلى يزيد بما كان من مسلم وهاني ، فكتب إليه كتاباً أطال فيه - وكان أول من أطال في الكتب - فلما نظر فيه عبيد الله بن زياد كرهه وقال : ما هذا التطويل ، وهذه الفضول^(۲) ؟ اكتب :

« أما بعد : فالحمد لله الذي أخذ لأمير المؤمنين بحقه ، وكفاه مؤنة عدوه ، أخبر أمير المؤمنين - أكرمه الله - أن مسلم بن عقيل لجأ إلى دار هاني بن عروة المرادي ، وأني جعلت عليهما العيون ، ودسستُ إليهما الرجال^(۳) ، وكدثتهما حتى استخرجتهما ،

(۱) الرائد : المرسل و طلب الكلاء .

(۲) جمع فضل ، وهو الزيادة .

(۳) دعا ابن زياد مولى له يقال له معقل ، فقال : خذ ثلاثة آلاف درهم ، ثم اطلب ابن عقيل وأصحابه وأعظم إياها فقل لهم : استعينوا بها على حرب عدوكم ، وأعلمهم أنك منهم ، فإياك ، لو قد أعطيتها لإياهم اطمانوا ، ليك ووثقوا بك ، ولم يكتفوا شيئاً من أخبارهم ، ثم اغد عليهم ورح ، ففعل معقل ما أمره ، وتلطف حتى دخل على ابن عقيل ، فبايعه وأعطاه المال ، وجعل يخدب لأهم ، فهو أول داخل وآخر خارج ، بدم أخبارهم ، ويعلم أسرارهم ، ثم ينطلق بها حتى يقرها في أدن ابن زياد .

وكان هاني يهدو ويروح إلى عبيد الله ، فلما نزل به مسلم انقطع من الاختلاف وتنافس جمل لا يخرج ، فقال عبيد الله لجلسائه : مالي لا أرى هانثاً ؟ فقالوا : هو شك ، فقال : لو علمت برصه امدته ، وجاءه بعض أصحابه فقالوا : ما يمنعك من لقاء الأمير ، فإنه قد ذكرك ؟ وأقسموا عليه لما ركب معهم ، فأجابهم ، فلما دخل على ابن زياد قال له : ليه يا هاني ما هذا الأمر التي تربص في دارك لأمر المؤمنين وعامة المسلمين؟ جئت =

وأمكن الله منهما ، فقدّمتهما فصربتُ أعناقهما ، وقد بعنتُ إليك برءوسهما مع هاني^(١)
 ابن أبي حية الهمداني والزيير بن الأرواح التميمي ، وهما من أهل السمع والطاعة
 والنصيحة ، فليستألهما أمير المؤمنين عما أحبّ من أمر ، فإنّ عندهما علماً وصدقاً ، وفيهما
 وورعاً ، والسلام . (تاريخ الطبري ٦ : ٢١٤)

٨٥ - رد يزيد على ابن زياد

فكتب إلى ابن زياد :

« أما بعد : فإنك لم تعدّ أن كنت كما أحبّ ، عملت عمل الحازم ، وصلت
 صولة الشجاع الرابط الجأش^(١) ، فقد أغنيت وكفيت ، وصدقت ظني بك ، وراي
 فيك ، وقد دعوت رسوليك فسألتها وناجيتها فوجدتهما في رأيها وفضلها كما
 ذكرت ، فاستوص بهما خيراً .

وإنه قد باغنى أن الحسين بن عليّ قد توجه نحو العراق ، فضع المناظر^(٢) والمسالح ،
 واحترس على الظن ، وخذ على التهمة ، غير أن لا تقتل إلا من قاتلك ، واكتب إلى
 في كل ما يحدث من الخبر ، والسلام عليك ورحمة الله . (تاريخ الطبري ٦ : ٢١٣)

٨٦ - كتاب عبد الله بن جعفر إلى الحسين

ولما جاء الحسين عليه السلام كتاب مسلم بن عقيل ، يدعوه فيه إلى تعجيل
 الإقبال ، خرج من مكة قاصداً إلى الكوفة :

مسلم بن عقيل فأدخلته دارك ، وجمعت له السلاح والرجال في الدور حواك ، وظننت أن ذلك يخفى على لك !
 قال : ما فعلت وما علم عندي ، قال : بل قد فعلت ، قال : ما فعلت ، قال بلى ، فلما كثر ذلك ، بينهما ،
 وأبي هاني ، إلا محادثته ومناكرته ، دعا ابن زياد معقلاً ، فحماه حتى وقف بين يديه ، فقال : أتعرف
 هذا ؟ قال : نعم ، وعلم هاني ، عند ذلك أنه كان عينا عليهم وأنه قد أتاه بأخبارهم .

(١) الجأش : النفس أو القلب ، وربط جأشه رباطة (ككتابة) : اشتد قلبه ، وهو رابط الجأش
 وربطه : شجاع ، يربط نفسه عن الفرار يكفها لجرأته وشجاعته ، وقيل يربط نفسه عن الفرار لشناعته
 (٢) المناظر جمع منظره وهي المرقبة : موضع في رأس جبل فيه رقيب ينظر العدو ، والم الح جمع ملحقة
 وهي الرقبة أيضاً والقوم ذوو سلاح .

وقد كتب إليه حين خرج من مكة عبد الله بن جعفر بن أبي طالب مع ابنه
عَوْن ومحمد :

« أما بعدُ : فإني أسألك بالله لَمَّا انصرفتَ حين تنظرُ في كتابي إني مُشْفِقٌ
عليك من الوجه الذي تَوَجَّهَ له أن يكون فيه هلاكك واستئصالُ أهل بيتك ،
إن هلكتَ اليومَ طَفِيءٌ^(١) نورُ الأرض ، فإنك عَلمُ المهتدين ، ورجاءُ المؤمنين .
فلا تعجلُ بالسَّيرِ فإني في إثرِ الكتابِ والسلام . »

(تاريخ الطبري ٦ : ٢١٩ ، وتاريخ الكامل لابن الأثير ٤ : ٧)

٨٧ - كتاب من عمرو بن سعيد بن العاص إلى الحسين

وقام عبد الله بن جعفر إلى عمرو بن سعيد بن العاص - وكان عامل يزيد على مكة -
فقال له : اكتب إلى الحسين كتاباً : تجعل له فيه الأمان ، وتمنَّيه فيه البرَّ والصلةَ ،
وتوثق له في كتابك ، وتسأله الرجوع ، لعله يطمئن إلى ذلك فيرجع ، فقال له عمرو :
اكتب ما شئت وأتني به أختمه ، فكتب عبد الله بن جعفر الكتاب ، ثم أتى به عمرو
ابن سعيد ، فقال له : أختمه وابعث به مع أخيك يحيى بن سعيد ، فإنه أحرى أن
يطمئن نفسه إليه ، ويعلم أنه الجِدُّ منك ففعل ، وكان كتابه إليه :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من عمرو بن سعيد إلى الحسين بن علي . »

أما بعدُ : فإني أسألك اللهُ أن يبصرَ فك عما يُوبِقُك^(٢) ، وأن يهدَّ بك لما يُرشدك ،
بلفظي أنك قد توجَّهت إلى العراق ، وإني أعيذك بالله من الشَّقاق ، فإني أخاف عليك
فيه الهلاك ، وقد بعثت إليك عبد الله بن جعفر ، ويحيى بن سعيد ، فأقبل إلى معهما ،
فإن لك عندي الأمان والصلةَ والبر ، وحسنَ الجوار ، لك الله على بذك شهيد وكفيل
ومُراعٍ ووكيل ، والسلام عليك . »

(١) طفت النار كسم انطفات . (٢) أوبقه : اهلكه .

ولحقه يحيى بن سعيد ، وعبد الله بن جعفر ، ودفعوا إليه الكتاب ، وجهدا به أن يرجع ، فأبى عليهما .
(تاريخ الطبري ۶ : ۲۱۹)

۸۸ - رد الحسين بن عليّ على عمرو بن سعيد

وكتب إلى عمرو بن سعيد :

« أما بعدُ : فإنه لم يشاقق الله ورسوله من دعا إلى الله عز وجل : وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وقد دعوت إلى الأمان والبر والصلة ، فخير الأمان أمان الله ولن يؤمن الله يوم القيامة من لم يخفه في الدنيا ، فنسأل الله مخافة في الدنيا توجب لنا أمانة يوم القيامة ، فإن كنت نويت بالكتاب صلتى وبرى فجزيت خيراً في الدنيا والآخرة والسلام » .
(تاريخ الطبري ۶ : ۲۱۹)

۸۹ - كتاب الحسين إلى أهل الكوفة

وأقبل الحسين عليه السلام حتى إذا بلغ « الحاجر » بعث قيس بن مشير الصيداوى إلى أهل الكوفة ، وكتب معه إليهم :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من الحسين بن عليّ إلى إخوانه من المؤمنين والمسلمين ، سلام عليكم ، وإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو .

أما بعد : فإن كتاب مسلم بن عقيل جاءنى يخبرنى فيه بحسن رأيكم ، واجتماع مئذنتكم على نصرنا ، والطاب بحقنا ، فسألت الله أن يحسن لنا الصنع ، وأن يثيبكم على ذلك أعظم الأجر ، وقد شخّصت إليكم من مكة يوم الثلاثاء لثمان مَضَيْن من ذى الحجة يوم التزوية^(۱) ، فإذا قدّم عليكم رسولى فاكشوا^(۲) فى أمركم وجدّوا ، فإنى قادمٌ

(۱) هو ثامن ذى الحجة ، سمي بذلك لأن الماء كان قليلاً بمنى فكانوا يرتوون فيه من الماء لما بعد .

(۲) كَشَوْا أمره كفرح وكرم : جد .

عليكم في أيامي هذه إن شاء الله ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته^(۱) .

(تاريخ الطبری ۶ : ۲۲۳)

۹۰ - کتاب ابن زیاد إلى الحر بن يزيد

ولما بلغ ابن زياد إقبال الحسين ، بعث الحُصَيْن بن مُنَمَّر التيمي ، فأمره أن ينزل القادسية ، وأن يضع المسالِح ، وقدم الحر بن يزيد التيمي بين يديه في ألف فارس من القادسية ، فيستقبل حسيناً ، وكان الحسين قد سبقه إلى ذي حُسم ونزل به ، فسار إليه الحر حتى وقف مقابله ، وكثر بينهما الكلام ، ثم سار الحسين في أصحابه ، والحر يسيره ، فلم يزالوا يتسايرون حتى انتهوا إلى نينوى ، فإذا رسول مقبل من الكوفة ، فلما انتهى إليهم دفع إلى الحر كتاباً من عبيد الله بن زياد ، فإذا فيه :

« أما بعد : فجعجج^(۲) بالحسين حين يبلغك كتابي ، وبقدم عليك رسولي ، فلا تنزله إلا بالعمراء^(۳) في غير حِصن ، وعلى غير ماء ، وقد أمرت رسولي أن يآزمك ولا يفارقك حتى يأتيني بإفادك أمري ، والسلام . »

ونزل الحسين قرية تسمى القفر ، وذلك في الثاني من المحرم سنة ۶۱ هـ .

(تاريخ الطبری ۶ : ۲۳۲)

۹۱ - كتاب عمر بن سعد إلى ابن زياد

فلما كان من القدر قدم عليهم عمر بن سعد بن أبي وقاص من الكوفة في أربعة آلاف ، فبعث إلى الحسين عليه السلام رسولا ، فقال : أتت فسله ما الذي جاء به ، وماذا يريد ؟

(۱) وأقبل قيس بن مسهر إلى الكوفة بكتاب الحسين ، حتى إذا انتهى إلى القادسية ، أخذه الحسين بن عمر ، فبعث به إلى ابن زياد ، فقال له : اصعد الفصر فبالكذاب ابن الكذاب ، فصعد من آل : أيها الناس : إن هذا الحسين بن علي خير خلق الله ، ابن فاطمة بنت رسول الله ، وأنا رسوله إليكم ، وقد فارقت بالهاجر فأجيبوه ، ثم لمن عبيد الله بن زياد وأباه ، واستغفر لعلي بن أبي طالب ، فأمر به ابن زياد أن يرمى به من فوق الفصر فرمى به فتطم فأت .

(۲) أي أحبه وضييق عليه ، والجمعجة : الحبس والتضييق ، وقيل معناه : أزعجه وأخرجه ، وجعجج به أيضاً : أناخ به وألزمه الجمعجاء . وكان جمعجج وجمعجج : ضيق خشن غليظ .

(۳) العمراء : القضاء لا يبتز فيه بشيء .

(۶ - - جمهرة رسائل العرب - - ثاني)

فأبغى الرسول رسالة عمر إليه ، فقال له الحسين : كتب إلى أهل مِصرِكم هذا أن أقدم ،
فأما إذ كرهوني فأنا أنصرف عنهم ، فكتب عمر بن زياد :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد فإني حيث نزلت بالحسين بعثتُ إليه رسولي فسألته
عما أقدمه وماذا يطلب ويسأل ، فقال : كتب إلى أهل هذه البلاد ، وأتقني رسلكم فسألوني
التمدوم ، ففعلت ، فأما إذ كرهوني ، فبدا لهم غير ما أتقني به رسلكم ، فأنا منصرف عنهم .
فلما قرئ الكتاب على ابن زياد قال :

الآنَ إِذْ عَاقَمْتَ مَخَالِبِنَا بِهِ يَرْجُو النِّجَاةَ وَلَا تَحِينَ مَنَاصِرِ^(۱)

(تاريخ الطبری ۶ : ۲۳۴)

۹۲ - رد ابن زياد على عمر بن سعد

وكتب إلى عمر بن سعد :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعدُ : فقد باغى كتابك ، وفهمت ما ذكرت ،
فأعرض على الحسين أن يباع ليزيد بن معاوية هو وجميع أصحابه ، فإذا فعل ذلك رأينا
رأينا والسلام . »
(تاريخ الطبری ۶ : ۲۳۴)

۹۳ - كتاب آخر من ابن زياد إلى عمر

وجاء من عبيد الله بن زياد كتاب إلى عمر بن سعد :

« أما بعدُ : فحل بين الحسين وأصحابه وبين الماء ، ولا يذوقوا منه قطرة ،
كما صنيع بالتقي الزكي^(۲) المظلوم أمير المؤمنين عثمان بن عفان .
فبعث عمر بن سعد عمرو بن الحجاج على خمسمائة فارس ، فنزلوا على الشريعة^(۳) ، وحالوا
بين حسين وأصحابه ، وبين الماء أن يسقوا منه قطرة ، وذلك قبل قتل الحسين بثلاث .
(تاريخ الطبری ۶ : ۲۳۴)

(۱) أي فرار ، ناصر نوصا ومناصا . (۲) أي الصالح من زكا يزكو زكاه : إذا صالح .

(۳) الشريعة والشريعة (بالكسر) والمشرعة : مورد الشريعة .

۹۴ - کتاب عمر بن سعد إلى ابن زياد

والتقى الحسين عليه السلام ، وعمر بن سعد مرارا ثلاثا أو أربعاً ، ثم كتب عمر
إلى ابن زياد :

«أما بعدُ: فإن الله قد أطفأ النائرة^(۱)، وجمع الكلمة، وأصلح أمر الأمة، هذا حسينٌ
قد أعطاني أن يرجع إلى المكان الذي منه أتى، أو أن نسيره إلى أي ثغر من ثغور المسلمين
شئتنا، فيكون رجلاً من المسلمين له ما لم وعليه ما عليهم، أو أن يأتي يزيدَ أمير المؤمنين،
فيضع يده في يده، فيرى فيما بينه وبينه رأيه، وفي هذا لكم رضاً، وللأمة صلاحٌ» .

فلما قرأ عبید الله الكتاب قال : هذا كتاب رجل ناصحٍ لأميره ، مُشفقٍ على
قومه، نعم قد قبلتُ، فقام إليه شمير بن ذى الجوشن فثناه عن القبول^(۲) ، فدعاه عبید الله
فقال له : اخرج بهذا الكتاب إلى عمر بن سعد فليعرض على الحسين وأصحابه النزولَ على
حكى ، فإن فعلوا فليبعث بهم إلى سيما ، وإن هم أبوا فليقاتلهم ، فإن فعل فاسمع له وأطع ،
وإن هو أبى فقاتلهم فانت أمير الناس ، وثب عليه فاضرب عنقه ، وابعث إلى برأسه .
(تاريخ الطبرى ۶ : ۲۳۵)

۹۵ - کتاب ابن زياد إلى عمر بن سعد

وكان كتاب عبید الله بن زياد إلى عمر بن سعد :

«أما بعدُ: فإنى لم أبعثك إلى حسين لتكف عنه ، ولا لتطاوله ، ولا لتمنيته
السلامة والبقاء ، ولا لتمتد له عندى شافعاً ، انظر فإن نزل حسين وأصحابه على الحكم

(۱) النائرة : العداوة والشحناء .

(۲) إذ قال له : أتقبل هذا منه وقد نزل بأرضك إلى جنبك ؟ والله إن رجل من بلدك ولم يضع
يده في يدك ، إكون أولى بالقوة والعز ، واتكون أولى بالضعف والمعز ، فلا تمطه هذه المنزلة فإنها
من الوهن ، ولكن لينزل على حكمك هو وأصحابه ، فإن عاقبت فانت ولي العقوبة ، وإن غفرت كان ذلك
لك ، فقال له ابن زياد : نعم مارأيت . الرأي رأيك .

وَاسْتَسَلَمُوا، فابعث بهم إلى سِلْمَا، وإن أبواً فازحف إليهم حتى تقتلهم وتمثل بهم، فإنهم لذلك مستحتمون، فإن قُتِلَ حَسِينٌ فَأَوْطِ الخيلَ صدره وظهره، فإنه عاقٌ مُشَاقٌّ قاطع ظُلوم، وليس دَهْرِيٌّ^(١) في هذا أن يُضَرَ بعد الموت شيئاً، ولكن على قول^(٢) لو قد قتلته فعلتُ هذا به، إن أنت مضيت لأمرنا فيه جزأينك جزاء السامع المطيع، وإن أبيت فاعتزل عملنا وجُندنا، وخَلَّ بين شمر بن ذى الجوشن وبين العسكر، فأما قد أمرناه بأمرنا، والسلام». فأقبل شمر بن ذى الجوشن بكتاب ابن زياد إلى عمر بن سعد فقراء عليه وقال له: أخبرني ما أنت صانع؟ أتمضي لأمر أميرك وتقتل عدوه؟ وإلا نخلَّ بيني وبين الجند قال: لا، ولا كرامة لك وأنا أتولى ذلك، قال فدونك فهض إليه عشية الخميس لتسع مضين من المحرم وزحف عليه، وعبأ الحسين أصحابه، ونشب القتال بين الفريقين، واستمات أصحاب الحسين في القتال حتى فنوا، وقتل الحسين عليه السلام قتله سنان بن أنس لعنه الله - وكان قتله بالطف^(٣) يوم عاشوراء سنة ٦١ هـ، وأمر ابن سعد أصحابه أن يوطئوا خيلهم الحسين، فوطئوه بخيلهم، ثم حمل النساء، ورأسه إلى يزيد بن معاوية بدمشق.

(تاريخ الطبري ٦ : ٢٣٦)

٩٦ - كتاب عبد الله بن عمر إلى يزيد

وكان عبید الله بن زياد قد أمر بالمختار بن أبي عبید الثقفي أن يُسَجَّنَ، لما كان من مناصرته لمُسَلِّمِ بن عَمِيلٍ، فلم يزل في السجن حتى قتل الحسين رضى الله عنه، ثم إن

(١) يقال: مادهرى بكذا ومادهرى كذا: أى ماهمى وغابى.

(٢) معناه: ولكن لى رأى واعتقاد، قال واللسان « ويتجوزون في تسميتهم الاعتقادات والآراء قولاً، لأن الاعتقاد يخفى فلا يعرف إلا بالقول، أو بما يقوم مقام القول من شامد المال، فلما كانت لا تظهر إلا بالقول سميت قولاً إذ كانت سبباً له، وكان القول دليلاً عليها كما يسمى الشيء باسم غيره إذا كان ملابساً له » وقال في اللسان أيضاً: قال ابن الأثير: « العرب تجعل القول عبارة عن جميع الأفعال، وتطلقه على غير الكلام واللسان، فتقول: قال بيده أى أخذ، وقال برجله أى مشى، وقال الشاعر:

* وقالت له العيان سمعا وطاعة * أى أومأت، وقال بالماء على يده: أى قلب، وقال بنوب: أى رفعه، وكل ذلك على المجاز والاتساع ».

(٣) أرض من ضاحية الكوفة في طريق البرية.

المختار بعث إلى عبد الله بن عمر بن الخطاب بالمدينة ، يسأله أن يكتب له إلى يزيد ابن معاوية ، فيكتب إلى ابن زياد بتخليية سبيله ، وعلت صَفِيَّةَ أخت المختار بمحبس أخيها ، وهي تحت عبد الله بن عمر ، فبكت وجزعت ، فلما رأى ذلك ابن عمر كتب إلى يزيد :

« أما بعد : فإن عبيد الله بن زياد حبس المختار وهو صهرى ، وأنا أحبُّ أن يُعافى ويُصالح من حاله ، فإن رأيتَ « رَحِمَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ » أن تكتب إلى ابن زياد فتأمره بتخلييته ففعلت ، والسلام عليك . » (تاريخ الطبرى ۷ : ۵۹)

۹۷ - كتاب يزيد إلى ابن زياد

فلما قرأ يزيد كتاب ابن عمر ضحك ثم قال : يشفع أبو عبد الرحمن ، وأهل ذلك هو ، وكتب إلى ابن زياد :

« أما بعد : فخلِّ سبيل المختار بن أبي عبيد حين تنظر فى كتابى والسلام عليك . »
فدعا ابن زياد بالمختار فأخرجه ، ثم قال له قد أجلتك ثلاثاً ، فإن أدركتك بالكوفة بعدها ، فقد برئت منك الذمة ، فخرج إلى الحجاز .
(تاريخ الطبرى ۷ : ۵۹)

۹۸ - كتاب عبد الله بن الزبير إلى يزيد

وعزل يزيد بن معاوية عمرو بن سعيد بن العاص عن الحجاز^(۱) ، وولى الوليد ابن عتبة (سنة ۶۱ هـ) فكتب عبد الله بن الزبير إلى يزيد :

(۱) وذلك أنه لما قتل الحسين عليه السلام ، قام عبد الله بن الزبير فى أهل مكة وعظم مقتله ، فثار إليه أصحابه ، فقالوا له : أظهر بيعتك ، فإنه لم يبق أحد ، إذ هلك حسين ، يزارعك هذا الأمر - وقد كان يبايع الناس سرا ، ويظهر أنه عائد بالبيت - فقال لهم : لا تمجلوا ، وعمرو بن سعيد بر العاص يومئذ عامل مكة ، وقد كان أشد شىء عليه وعلى أصحابه ، وكان معشدته عليهم يدارى ويرفق ، ثم إن الوليد بن عتبة وناسا معه من بنى أمية قالوا ليزيد : لو شاء عمرو بن سعيد لأخذ ابن الزبير وبعث به إليك ، فشرح الوليد بن عتبة على الحجاز أميرا وعزل عمرو بن سعيد .

« إنك بعثت إلينا رجلاً أخرج لا يتجه لأمر رُشد ، ولا يرعوى لعظة الحكيم ، ولو بعثت إلينا رجلاً سهلاً الخلق ، لئن الكفف^(۱) ، رجوت أن بسهل من الأمور ما استوعر^(۲) منها ، وأن يجتمع ما تفرق ، فانظر في ذلك فإن فيه صلاح خواصنا وعوامنا ، إن شاء الله ، والسلام . »

فعل يزيد الوليد بن عتبة ، وبعث عثمان بن محمد بن أبي سفيان .

(تاريخ الطبري ۷ : ۳)

۹۹ - كتاب يزيد إلى أهل المدينة

وكره أهل المدينة خلافة يزيد ، وأجمعوا على الخلف عليه^(۳) ، فكتب إليه عثمان ابن محمد بن أبي سفيان بذلك ، فكتب يزيد إليهم :

« أما بعد فإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له وما لهم من دونه من والٍ ، وإني والله قد لبستكم فأخلفتكم^(۴) ، ورفعتكم على رأسي ، ثم على عيني ، ثم على فمي ، ثم على بطني ، وآيم الله لئن وضعتكم تحت قدمي لأطأنكم وطأة أقل بها عددكم ، وأترككم بها أحاديث ، تُنسخ أخباركم مع أخبار عاد وثمود . » (صبح الأعشى ۶ : ۳۹۰ ، والعقد الفريد ۲ : ۲۵۶)

(۱) الكفف : الجانب . (۲) ماصب .

(۳) وذلك أن عثمان بن محمد أمير المدينة بعث إلى يزيد وفداً من أهل المدينة فيهم عبد الله بن حنظلة الأنصاري ، فقدموا على يزيد ، فأكرمهم وأحسن إليهم وأعطم جوائزهم ، فلما قدم الوفد المدينة ، قاموا فيهم فأظهروا شتم يزيد وعيبه ، وقالوا : قد قدمنا من عند رجل ليس له دين ، يشرب الخمر ، ويعزف بالطناير ، ويضرب عنده بالقيان ، ويلعب بالكلاب ، ويسامر الخراب (أي ذوى الحرب بالتحريك وبالضم وهو الفساد في الدين) والفتيان ، ولنا نشهدكم أنا قد خلعنا ، فتابعهم الناس فلاموه وأتوا عبد الله ابن حنظلة فبايعوه وولوه عليهم .

وذكروا أن عبد الله بن حنظلة لما وفد على يزيد كان معه ثمانية بنين له ؛ فأعطاه يزيد مائة ألف درهم ، وأعطى بنيه كل واحد منهم عشرة آلاف سوى كسوتهم وحملاتهم ، فلما قدم المدينة أتاه الناس فقالوا : ما وراءك؟ قال : جئتكم من عند رجل والله لو لم أجد إلا بني هؤلاء لجاهدته بهم ، قالوا : قد بلعنا أنه أجدك وأعطاك وأكرمك ، قال : قد فعل ، وما قبلت ذلك منه إلا لأتقوى به عليه ، وحضض الناس فبايعوه . (۴) أي أبلتكم ، خلق الثوب كنصر وكرم وسمح ؛ بلى ، فهو خلق كسب ، وأخلق بالآلف لغة وأخلفه أبلاه ، والمراد زهدت فيكم .

۱ - کتاب بنی أمیة بالمدينة إلى یزید

وخلع أهل المدينة یزید ، وبايعوا عبد الله بن حنظلة الأنصاری ، ووثبوا علی من كان بالمدينة من بنی أمیة وحصروهم وأخافوهم ، فكتب هؤلاء إلى یزید :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعدُ : فإننا قد حُصِرنا فی دار مروان بن الحكم ، ومُنِعنا العذاب^(۱) ، ورُمينا بالجُبُوب^(۲) ، فیاغوثاه ، یاغوثاه . »

(تاریخ الطبری ۷ : ۵)

۱۰۱ - کتاب مسلم بن عقبة إلى یزید

فَوَجَّهَ یزید مُسْلِمَ بن عُقْبَةَ المرئی إلى المدينة ، فتمتع ففتنتها ، وأخذ ثورتها ، ثم كتب إلى یزید :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، لعبد الله یزید بن معاوية أمير المؤمنين من مُسْلِمِ بن عُقْبَةَ ، سلام عليك یا أمير المؤمنين ورحمة الله ، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعدُ : تولى الله حِفْظَ أمير المؤمنين والكِفايةَ له ، فإني أخبر أمير المؤمنين - أبتاه الله - أنني خرجت من دَمَشِقَ ، ونحن على التَّعبئة التي رأى أمير المؤمنين يومَ فِرَاقِنَا بِيَوَادِي القُرَى^(۳) ، فرجع معنا مروانُ بن الحكم^(۴) ، وكان لنا عَوْنًا على عدونا ، وأنا انتهينا إلى المدينة ، فإذا أهأها قد خَنَدَقُوا عليها بالخنادق ، وأقاموا على

(۱) العذب من الشراب والطعام : كل مستاغ والجمع عذاب وعذوب .

(۲) الجبوب : الأرض والزراب ، وفي الأصل « بالحبوب » بالماء وهو تسحيف .

(۳) وادی القرى : واد بين الشام والمدينة ، كثير القرى .

(۴) وذلك أن أهل المدينة حين بلغهم إقبال مسلم بن عقبة بالجيش ، قالوا لمن معهم من بنی أمیة - وكانوا قد حصروهم فی دار مروان - : والله لا نكف عنكم حتى نستزلك ونضرب أعناقكم ، أو تعطونا عهد الله وميثاقه لا تبغونا غائلة ، ولا تدلوا لنا على عورة ، ولا تظاهروا علينا عدوا . فنكف عنكم ونخرجكم عنا ، فأعطوهم عهد الله وميثاقه لا نبغيم غائلة ، ولا ندل لكم على عورة ، فأخرجوهم من المدينة ، وخرجت بنو أمیة بأنفاسهم حتى لقوا مسلم بن عقبة بوادى القرى فرجع مروان معه .

أَنْقَابِهَا^(۱) الرِّجَالَ بِالسَّلَاحِ، وَأَدْخَلُوا مَا شِئْتُمْ، وَمَا يَحْتَاجُونَ لِحِصَارِهِمْ سَنَةً فِيمَا يَقُولُونَ، وَأَنَا أَعْذَرْنَا إِلَيْهِمْ وَأَخْبَرْنَا بِبِعْدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَمَا بَدَلَ لَهُمْ فَأَبَوْا، فَفَرَّقْتُ أَصْحَابِي عَلَى أَفْوَاهِ الْخَنَادِقِ، فَوَلَّيْتُ الْخَصِيْنَ بْنَ مُنَمَّرِ نَاحِيَةَ زِنَابِ، وَمَا وَالَاهَا عَلَيْهَا الْوَالِي، وَوَجَّهْتُ حُبَيْشَ بْنَ دَبْلَجَةَ إِلَى نَاحِيَةِ بَنِي سَلَمَةَ، وَوَجَّهْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودَةَ إِلَى نَاحِيَةِ بَقِيْعِ الْفَرَقَدِ، وَكُنْتُ وَمَنْ مَعِيَ مِنْ قَوَادِمِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَرِجَالِهِ فِي وَجْهِ بَنِي حَارِثَةَ، فَأَدْخَلْنَا الْخَيْلَ عَلَيْهِمْ حِينَ ارْتَفَعَ النَّهَارُ مِنْ نَاحِيَةِ عَبْدِ الْأَشْمَلِ، بِطَرِيقِ فَتَحِهِ لَنَا رَجُلٌ مِنْهُمْ^(۲)، مِمَّا دَعَاهُ إِلَيْهِ مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ إِلَى صَنْبَعِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَقَدْ تَضَمَّنَ^(۳) لَهُ عَنْهُ مِنْ قُرْبِ الْمَكَانِ، وَجَزَيْلِ الْعَطَاءِ، وَإِيجَابِ الْحَقِّ، وَقَضَاءِ الذَّمَامِ^(۴)، وَقَدْ بَعَثَ بِهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَرْجُو مِنْ اللَّهِ عِزًّا وَجَلًّا أَنْ يُلْهِمَ خَلِيفَتَهُ وَعَبْدَهُ عِرْقَانَ مَا أَوْلَى مِنَ الصُّنْعِ، وَأَسْدَى مِنَ الْفَضْلِ، وَكَانَ - أَوْ كَرَّمَ اللَّهُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ - مِنْ مَحْمُودِ مَقَامِ مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ، وَجَمِيلِ مَشْهُدِهِ، وَشَدِيدِ بَأْسِهِ، وَعَظِيمِ نِكَائِهِ لِعَدُوِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، مَا لَا إِخَالَ ذَلِكَ ضَائِعًا عِنْدَ إِمَامِ الْمُسْلِمِينَ، وَخَلِيفَةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

وَسَلَّمَ اللَّهُ رِجَالَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَلَمْ يُصَبْ أَحَدٌ مِنْهُمْ بِمَكْرُوهِ، وَلَمْ يُقِمْ لَهُمْ عَدُوْمٌ سَاعَةً مِنْ سَاعَاتِ نَهَارِهِمْ، فَمَا صَلَّيْتُ الظُّهْرَ - أَصْلَحَ اللَّهُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ - إِلَّا فِي مَسْجِدِهِمْ بَعْدَ الْقَتْلِ الذَّرِيعِ^(۵)، وَالْإِتِّهَابِ الْعَظِيمِ، وَأَوْقَعْنَا بِهِمُ السُّيُوفَ، وَقَتَلْنَا مِنْ أَشْرَفِ لَنَا مِنْهُمْ، وَأَتْبَعْنَا مُذْبِرَهُمْ، وَأَجْهَزْنَا عَلَى جَرِيحِهِمْ، وَاتَّبَعْنَا ثَلَاثًا كَمَا قَالَ

(۱) جمع نقب: وهو الثقب والنفر.

(۲) وذلك أن مروان جاء بني حارثة فكلهم رجلا منهم ورغبه في الصنعة، وقال افتح لنا طريقا فأنا أكتب بذلك إلى أمير المؤمنين ومتضمن لك عنه شرط ما كان بذل لأهل المدينة من العطاء وتضعيفه، ففتح له طريقا ورغب فيما بذل له فاقتحمت الخيل.

(۳) أي التزمه وضمنه. (۴) العهد. (۵) السريم.

أمير المؤمنين^(۱) - أعز الله نصره - وجعلتُ دُورَ بنى الشهيد المظلوم عثمان بن عفان في حرز وأمان ، فالحمد لله الذي شفى صدرى من قتل أهل الخلف القديم ، والنفاق العظيم ، فطالما عتوا ، وقديماً ما طغوا ، وكتبتُ إلى أمير المؤمنين ، وأنا في منزل سعيد ابن العاص مُدَنِّفاً مريضاً ، ما أراى إلا لما بي ، فا كنت أبالي متى ميتٌ بعد يومى هذا .

وكتب لهلal الحرم سنة أربع وستين^(۲) هـ . (الإمامة والسياسة ۱ : ۱۵۰)

(۱) وكان يزيد حين ودعه قال له : ادع القوم ثلاثا ، فإن هم أجابوك وإلا فقاتلهم ، فاذا ظهرت عليهم فأبجها ثلاثا فا فيها من مال أو رقة أو سلاح أو طعام فهو للجند ، فاذا مضت الثلاث فا كفف عن الناس ، ولما دخل مسلم المدينة دعا أهلها إلى البيعة هي أنهم خول يزيد يحكم في دماهم وأموالهم وأهليهم ماشاء ، وكانت هذه الوقعة تسمى وقعة المرة بالفتح لأن مسلما حاصر المدينة من جهة المرة ، موضع بظاهر المدينة ، ووقعت في ذى الحجة من سنة ۶۳ هـ ، قيل وكان الرجل من أهل المدينة بعد ذلك إذ زوج ابنته لا يضمن بكارتها ويقول لعلها اقتضت في وقعة المرة .

(۲) في الأصل سنة ثلاث وستين وهو خطأ ، لأن وقعة المرة كانت في ذى الحجة من سنة ۶۳ هـ للبتين بقينا منه .

بعد موت يزيد

الخوارج وابن الزبير

١٠٢ - كتاب نجدة بن عامر إلى نافع بن الأزرق

وسار الخوارج بعد أن نصرُوا ابن الزبير بمكة إلى الأهواز^(١)، وقد أمرُوا عليهم نافع ابن الأزرق الحنفي، ثم شَجَرَ بينهم الخلفاء، فنفر عنه جماعة منهم بزعامة نجدة بن عامر^(٢).

(١) كور بين البصرة وفارس .

(٢) لما فرغ مسلم بن عتبة من قتال أهل المدينة ، شخص إلى مكة للحرب عبد الله بن الزبير - وكان قد امتنع على يزيد ، ودعا إلى نفسه ، وبابيه أهل مكة والحجاز - وعاجلت المنية مسلما في الطريق ، وكان قد استخلف على الجيش قبل موته حصين بن نمير الكوفي ، وقدم حصين مكة فحاصرها وقذف البيت بالمجانيق « جمع منجنيق بفتح الميم وتكسر : آلة ترمى بها الحجارة » وحرقه بالنار ، وبينما هو يقاتل ابن الزبير إذ أتى نعي يزيد ، فقتل بالجند إلى الشام .

وكان الخوارج حين علموا بمسير جيش الشام إلى مكة ، خرجوا إليها لينعوا الحرم منهم ، فسر ابن الزبير بتقدمهم ونبأهم أنه على رأيهم ، فقاتلوا معه أهل الشام حتى انصرفوا عن مكة ، ثم ناظروه فلم يرقهم قوله ، فتفرقوا عنه وصاروا إلى البصرة ، ونظروا في أمورهم فأمرُوا عليهم نافع بن الأزرق الحنفي ، وأجمع القوم على الخروج فضى بهم نافع إلى الأهواز سنة ٦٤ هـ وطرردوا عمال السلطان عنها ووجبوا اليه .

ولم يزالوا على رأي واحد ، حتى جاء مولى لبي هاشم إلى نافع ، فقال له إن أطفال المشركين في النار ، وإن من حالفنا مشرك ، فدماء هؤلاء الأطفال لنا حلال ، فقال له نافع : كفرت ، قال له : إن لم آتتك

بهذا من كتاب الله فاقتلى ، قال نوح : « رَبِّ لَا تَذَرُ عَلَيَّ الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ

دِيَارًا إِنَّكَ إِنْ تَذَرْتَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فِاجِرًا كَفَّارًا » فهذا أمر الكافرين

وأمر أطفالهم ، فشهد نافع أنهم جميعا في النار ورأى قتلهم ، وقال : الدار دار كفر إلا من أظهر إيمانه ، ولا يحل أكل ذبائحهم ولا تنال كعبهم ولا ثمارهم ، ومتى جاء منهم جاء فؤلمينا أن ننتحنه ، وهم ككفار العرب لا تقبل منهم إلا الإسلام أو السيف ، والقدم بعزلتهم ، والتقية لا تحمل والتقية : هي المحافظة على النفس أو العرس أو المال من شر الأعداء ، إذا كانت العداوة بسبب الدين « فإن الله تعالى يقول :

« إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً » وقال عز وجل فيمن كان =

ومضوا إلى اليمامة^(۱) ، وكتب نجدة وهو باليمامة إلى نافع :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد : فَإِنَّ عَهْدِي بِكَ وَأَنْتَ لِلْيَقِيمِ كَالْأَبِ الرَّحِيمِ ،
وَاللَّضَعِيفِ كَالْأَخِ الْبَرِّ ، لَا تَأْخُذُكَ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَأَثْمٍ ، وَلَا تَرَى مَعُونَةَ ظَالِمٍ ،
كَذَلِكَ كُنْتَ أَنْتَ وَأَصْحَابُكَ ، أَمَا تَذَكُرُ قَوْلَكَ : « لَوْلَا أَنِّي أَعْلَمُ أَنَّ لِلْإِمَامِ الْعَادِلِ
مِثْلَ أَجْرِ جَمِيعِ رَعِيَّتِهِ ، مَا تَوَلَّيْتُ أَمْرَ رَجُلَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ » ، فَلَمَّا شَرَّيْتُ^(۲) نَفْسَكَ
فِي طَاعَةِ رَبِّكَ ابْتِغَاءَ رِضْوَانِهِ ، وَأَصَبْتَ مِنَ الْحَقِّ فَصَّهُ^(۳) ، وَرَكِبْتَ مُرَّةً ، تَجَرَّدَ لَكَ
الشَّيْطَانُ ، وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَثَمَلَ عَلَيْهِ وَطَأَةً مِنْكَ وَمِنْ أَصْحَابِكَ ، فَاسْتَمَلَكَ وَاسْتَهْوَاكَ ،
وَاسْتَفْوَاكَ وَأَغْوَاكَ ، فَغَوَيْتَ^(۴) فَأَكْفَرْتَ الَّذِينَ عَذَّرَهُمُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ مِنْ

= على خلافهم « يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَأَثْمٍ » ففر جماعة من الخوارج عنه
منهم نجدة بن عامر واحتج عليه بقول الله عز وجل : « إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً » وبقوله عز وجل
« وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ » فالتقيد منا ، والجهاد إذا أمكن أفضل ،
لقوله عز وجل : « وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا » ثم مضى نجدة بأصحابه
إلى اليمامة .

(۱) من بلاد نجد .

(۲) أى بعث ، ويسمى الخوارج أنفسهم « الشعراة » جمع شار كقاص وقضاه من شرى بشرى
كرى : بمعنى باع ، لقولهم شربنا أنفسنا في طاعة الله : أى بعناها ووهناها ، أخذنا من قوله تعالى :
« وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ » أو من شرى بمعنى اشترى لقولهم : شربنا
الآخرة بالدنيا أى اشتريناها . قال عمران بن حصان :

إني أدين بما دان الشراء به يوم النخيلة عند الجوسق الحرب

« والجوسق كجفر : القصر » يشير إلى قيام المنور الخارجي بالنخيلة بعد وقعة النهروان . وقال
الطرماح بن حكيم :

لله در الشعراة أنهم إذا الكرى مال بالضلا أرقوا
« والطلا : الأعناق أو أصولها جمع طلبة أو طلاة ، وكلها باضم » وقال أيضا :

والنار لم ينج من روعها أحد إلا النبي بقلب المجلس الشارى

وقال معاذ بن جوين :

ألا أيها الشارون قد حان لامرى شرى نفسه لله أن يرحلا

(۳) فص الأمر : مفعله . (۴) غوى بالفتح غبا وغوى بالكسر غواية .

قَعْدٍ^(۱) الْمُسْلِمِينَ وَضَعْفَتِهِمْ، فَقَالَ جَلِ ثَنَاؤُهُ، وَقَوْلُهُ الْحَقُّ، وَوَعْدُهُ الصِّدْقُ: «لَيْسَ عَلَى الضُّعْفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ» ثُمَّ سَمَّاهُمْ أَحْسَنَ الْأَسْمَاءِ، فَقَالَ: «مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ»^(۲).
 ثُمَّ اسْتَحَلَّتْ قَتْلَ الْأَطْفَالِ، وَقَدْ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ قَتْلِهِمْ، وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ ذِكْرُهُ: «وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى»^(۳) وَقَالَ سُبْحَانَهُ فِي الْقَعْدِ خَيْرًا، وَفَضَّلَ اللَّهُ مِنْ جَاهِدِ عَلَيْهِمْ، وَلَا تَدْفَعُ مِزْلَةَ أَكْثَرِ النَّاسِ عَمَلًا مِزْلَةَ مَنْ هُوَ دُونَهُ^(۴)، أَوْ مَا سَمِعْتَ قَوْلَهُ عَزَّ وَجَلَّ: «لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ»^(۵) فُجِّلَهُمُ اللَّهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَفَضَّلَ عَلَيْهِمُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَعْمَالِهِمْ.
 وَرَأَيْتَ أَلَّا تُؤَدِّيَ الْأَمَانَةَ إِلَى مَنْ خَالَفَكَ، وَاللَّهُ بِأَمْرٍ أَنْ تُؤَدِّيَ الْأَمَانَاتُ إِلَى أَهْلِهَا^(۶)، فَاتَّقِ اللَّهَ وَانظُرْ لِنَفْسِكَ، وَاتَّقِ يَوْمَ لَا يُجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ، وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ ذِكْرَهُ بِالرِّصَادِ، وَحُكْمِهِ الْعَدْلِ، وَقَوْلُهُ الْفَصْلُ، وَالسَّلَامُ.»

(الكامل للمبرد ۲: ۱۷۷، وشرح ابن أبي الحديد ۱ ص ۳۸۲، والعقد الفريد ۱: ۲۱۴)

(۱) القعد: اسم جمع قاعد كخدم وخادم، ويروى القعدة وهو جمع قاعد ككتبة وكاتب، ورجل ضعيف وضعف وضعمان والجمع ضعاف وضعفاء وضعفة (بالتجريك) وضعفي (كقتلي) وضعاف بالفتح.
 (۲) أي ليس عليهم جناح ولا إلى معانيتهم سبيل، وإنما وضع المحسنين موضع الضمير للدلالة على أنهم منخرطون في سلك المحسنين غير معانين لذلك.

(۳) وزر يزر كوعد: أم، والوزر: الإثم، أي ولا تحمل نفس آثمة إثم نفس أخرى.
 (۴) وفي رواية ابن أبي الحديد: «ففضيله للمجاهدين على القاعدين لا يرفع منزلة من هو دون المجاهدين» والعقد الفريد: «ولا يرفع أكثر الناس عملاً منزلة ممن هو دونه إلا إذا اشتراك في أصل».
 (۵) أي من عمى أو زمانة أو غيرها، وتام الآية: «وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ، فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ» (أي لضرر) دَرَجَةً، وَكَلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى، وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ (أي لغير ضرر) أَجْرًا عَظِيمًا.»

(۶) قال تعالى: «إِنَّ اللَّهَ بِأَمْرِكُمْ أَنْ تُوَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا.»

۱۰۳ - رد نافع علی نجدة

فكتب إليه نافع :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعدُ : فقد أتاني كتابك تعظني فيه وتذكرني ،
وتنصح لي وتزجرني ، وتصيف ما كنت عليه من الحق ، وما كنت أوتره من
الصواب ، وأنا أسأل الله جلَّ وعزَّ أن يجعلني من « الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ
أَحْسَنَهُ » وَعَيْتَ عَلَى مَا دِنْتُ بِهِ مِنْ إِكْفَارِ الْقَعْدِ وَقَتْلِ الْأَطْفَالِ وَاسْتِحْلَالِ الْأَمَانَةِ ،
فَسَأْفِرُ لَكَ لِمَ ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ :

أما هؤلاء القعد : فليسوا كما ذكرت ممن كان بعهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
لأنهم كانوا بمكة مقهورين محصورين ، لا يجدون إلى الهرب سبيلاً ، ولا إلى الاتصال
بالمسلمين طريقاً ، وهؤلاء قد فقهوا في الدين ، وقرءوا القرآن ، والطريق لهم نهج
واضح ، وقد عرفت ما قال الله عز وجل فيمن كان مثلهم ، إذ « قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ
فِي الْأَرْضِ » فتميل لهم « أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا » وقال « فَرَحَ
الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ ^(۱) » وقال « وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ
لِيُؤْذِنَ لَهُمْ ^(۲) » فغبر بتمذيرهم وأنهم كذبوا الله ورَسُولَهُ ، وقال : « سَيُصِيبُ
الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ^(۳) » فانظر إلى أسمائهم وسماتهم ^(۳) .

(۱) أي فرحوا بعودهم عن الغزو بعد رسول الله - وذلك في غزوة تبوك وتنام الآية الكريمة :
« وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرْبِ
قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ » .

(۲) يعني أسداً وغطفان ، استأذنوا في الخلف معتذرين بالجهد وكثرة العيال ، وقيل هم رهط
عامر بن الطفيل ، قالوا : إن غزونا معك أغارت طي على أهلينا ومواسينا . والمعذر : إما من عذر
في الأمر إذا قصر فيه موهماً أن له عذراً ولا عذر له ، فالعذر : المقصرون الذين لا عذر لهم - وهذا ما يعنيه
نافع في كتابه - وإما من اعتذر فأصله المعتذرون ، ألقيت فتحة التاء على العين وأبدل منها ذال وأدعت
في اللدال التي بعدها ، ومعناه : الذين يعتذرون ، كان لهم عذر أو لم يكن ، وقرأ ابن عباس المعتذرون
بكون العين - وهم الذين لهم العذر - وكان يقول : والله لكذا أنزلت ، وقال : لعن الله المعتذرين (بالتشديد) .

(۳) جمع سمة ، وهي العلامة .

وأما أمرُ الأطفار . فإن نبي الله نُوحًا عليه السلام كان أعلمَ باللهِ يا مجدةً مني
ومعك فقال . « رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَيَّ الْأَرْضَ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ^(۱) ، إِنَّكَ إِنْ تَذَرْتَهُمْ
يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا » فسامهم بالكفر وهم أطفال وقيل أن
يولدوا ، فكيف كان ذلك في قوم نوح ، ولا نكون نقوله في قومنا؟ والله يقول :
« أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أَوْلَائِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ^(۲) » ، وهؤلاء
كشركي العرب لا تقبل منهم جزية ، وليس بيننا وبينهم إلا السيف أو الإسلام .

وأما استحلال أمانات من خالفنا ، فإن الله عز وجل أحلَّ لنا أموالهم كما أحلَّ لنا
دماءهم ، فدمائهم حلالٌ طلق ^(۳) ، وأموالهم في؛ للسلطين ، فاتق الله وراجع نفسك ،
فإنه لا عُذْرَ لَكَ إِلَّا بِالتَّوْبَةِ ، وَلَنْ يَسْعَكَ خِذْلَانُنَا ، وَالْقَعُودُ عِنَّا ، وَتَرَكَ مَا نَهَجْنَاهُ لَكَ
مِنْ طَرِيقَتِنَا وَمَقَالَتِنَا ، وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مِنْ أَقْرَبَ بِالْحَقِّ وَعَمِلَ بِهِ .

(الكامل ۲ : ۱۷۸ ، وشرح ابن أبي الحديد ۱ : ص ۳۸۲ ، والعقد الفريد ۱ : ۲۱۴)

۱۰۴ - كتاب ابن عباس إلى نجدة بن عامر

وكتب نجدة بن عامر إلى ابن عباس يسأله عن ستم ذوى القربى : لمن هو ؟
فكتب إليه ابن عباس :

« كتبت إلى تسألني عن ستم ذوى القربى لمن هو ، وهو لنا ، وإن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه دعانا إلى أن نُنكح منه أئمتنا ^(۱) ، وَنَقْضِي مِنْهُ مَفْرَمَنَا ، وَنُحْدِمَ مِنْهُ عَائِلَتَنَا ،
فَأَيْنَا إِلَّا أَنْ يَسْمَهُ لَنَا : وَأَبَى ذَلِكَ عَائِمًا . » (كتاب المراج لأبي يوسف ص ۲۴)

(۱) أحدا . (۲) الزبر جمع زبور كصبور : وهو الكتاب - فعول بمعنى مفعول : أى أم
نزل لكم في الكتب السماوية أن من كفر منكم فهو في أمان من عذاب الله ؟
(۳) طلق : حلال ، فهو تأكيد على حد قولهم : قفل راجعا .
(۴) الأيم : العزب رجلا كان أو امرأة سواء تزوج من قبل أو لم يتزوج .

١٠٥ - كتاب نافع إلى خوارج البصرة

وكتب نافع إلى من بالبصرة من المحكّمة^(١) :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد : « فَإِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ، والله إنكم لتعلمون أن الشريعة واحدة ، والدين واحد ، فقيم المقام بين أظهر الكفار ، تروون الظلم ليلاً ونهاراً ؟ وقد ندبكم الله إلى الجهاد ، فقال : « وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً » ولم يجعل لكم في التخلف عذراً في حال من الأحوال فقال : « انْفِرُوا^(٢) خِفَافًا وَثِقَالًا » وإنما عذر الضعفاء والمرضى والذين لا يجدون ما ينفقون^(٣) ، ومن كانت إقامته لعلّة ، ثم فضل عليهم مع ذلك المجاهدين فقال :

(١) يسمى الخوارج « المحكّمة » لأنهم أنكروا أمر الحكّمين ، وقالوا : لا حكم إلا لله ، ولا حكم إلا لله وكان هذه التسمية على السبب ، لأنهم ينفون الحكم وينكرون التحكيم ، وطير ذلك تسمية جماعة القدرية (بالتحريك) بهذا الاسم ، مع أن الأساس الذي قام عليه مذهبهم هو « لا قدره » فهم يذكرون قدر الله ، ويقولون في إثبات القدرة للإنسان ، وأنه حر الإرادة في أعماله . وكان الأولى أن تسمى جماعة الخيرة بالقدرية لإسنادهم جميع أفعال العبد إلى القدر .

وذكروا أن أول من حكم ولفظ بالمحكومة رجل يقال له الحاج بن عبد الله ويعرف بالبرك - وهو أحد الخوارج الثلاثة الذين انفقوا على قتل علي ومعاوية وعمرو بن العاص - فإنه لما سمى بذكر الحكّمين قال : أبحكم في دين الله ؟ لا حكم إلا لله ، فسمه سامع فقال : طعن والله فأنفذ ، وقيل إن أول من حكم عروة بن أدية ، وأول سيف سل من سيوف الخوارج سيفه وذلك أنه لما كتبت صحيفة التحكيم بين علي ومعاوية خرج الأشعث بن قيس الكندي بها يفرؤها على الناس ، حين مر على طائفة من بني تميم فيهم عروة ، فقرأها عليهم ، فقال عروة تحمكون في أمر الله عز وجل الرجال ؟ لا حكم إلا لله ، ما هذه الدنيا بأشعث وما هذا التحكيم ؟ ثم شبر عليه السيف والأشعث مول فضرب به عجز البغلة فثبتت البغلة ، فنفرت البغلة وكانوا جل أصحاب علي ، فلما رأى ذلك الأحنف بن قيس قصد هو وأصحابه إلى الأشعث فدألوه الصفع فقبل وصفح .

(٢) انفروا : اخرجوا ، وتام الآية الكريمة : « وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، ذَالِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ » .

(٣) يشير إلى قوله تعالى « لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ ، وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ » .

« لَا يَتَتَوَى الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ »
 فلا تفتروا ، ولا تطمئنوا إلى الدنيا ، فإنها غرارة مكاراة ، لذتها نافذة^(١) ، ونعمتها
 بائدة ، حفت بالشهوات أعتارها ، وأظهرت حبرة^(٢) ، وأضمرت عبوة^(٣) ، فليس آكل
 منها أكلة^(٤) نسرته ، ولا شارب شرربة تؤثقه^(٥) ، إلا دنا بها درجة إلى أجله ،
 وتباعد بها مسافة من أمته ، وإنما جعلها الله داراً لمن تزود منها إلى النعيم المقيم ،
 والعيش السليم ، فلن يرضى بها حازم داراً ، ولا حلیم^(٥) بها قراراً ، فاتقوا الله
 « وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى » والسلام على من اتبع الهدى .

(الكامل للبرد ٢ : ١٧٩ ، وشرح ابن أبي الحديد ١ ، ص ٣٨٢)

١٠٦ - كتاب نافع إلى عبد الله بن الزبير

وكتب نافع إلى عبد الله بن الزبير يدعو به إلى أمره :

« أما بعد : فإني أحذرك من الله « يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ
 مُحْضَرًا ، وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ، وَيَحْذَرُ كُمُ اللَّهِ
 نَفْسَهُ » فاتق الله ربك ولا تتول الظالمين ، فإن الله يقول : « وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ
 فَإِنَّهُ مِنْهُمْ » وقال « لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ
 يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ » وقد حضرت عثمان يوم قتل ، فلعمرى لئن كان
 قتلَ مظلوماً لقد كفر قاتلوه وخاذلوه ولئن كان قاتلوه مهتدين - وإنهم لمهتدون -
 لقد كفر من يتولاه وينصره ويفضده ، ولقد علمت أن أباك وطلحة وعلياً كانوا
 أشد الناس عليه ، وكانوا في أمره من بين قاتلٍ وخاذلٍ ، وأنت تتولى أباك وطلحة

(١) ذاهبة فانية (٢) الحبرة : السرور كالخبور ، وفي الأصل « حبرة » وهو تصحيب .
 (٣) الأكلة بالفتح : المرة ، وبالضم : اللقمة والطعمة . والشربة بالفتح : المرة ، وبالضم : مقدار
 الري من الماء كالحسوة .

(٤) آفقه الشيء : إنافقا : أعجبه ، وفي رواية « توافقه » .

(٥) حلیم : عاقل ، من الحلم بالكسر وهو العقل ، وفي رواية « حكيم » .

وعثمان ، وكيف ولاية قاتل مُتعمدٍ ومقتولٍ في دين واحد ؟ واقدملك عليّ بعدّه ،
فنى الشُّبّهاتِ ، وأقام الحدودَ ، وأجرى الأحكامَ تجاريهاً ، وأعطى الأمورَ حقائقها
فيما عليه وله ، فبايعه أبوك وطلحةُ ، ثم خأماه ظالمين له ، وإن القول فيك وفيهما لكما
قال ابن عباس : « إن يكن عليّ في وقت معصيتكم ومُحاربتكم له كان مؤمناً ، أما لقد
كفرتُم بقتال المؤمنين وأئمة العدل ، ولئن كان كافراً كما زعمتم ، وفي الحكم جائراً ،
لقد بؤتُم بفضب من الله لفراركم من الزحف » ولقد كنت له عدوّاً ، واسيرته عائباً ،
فكيف توليته بعد موته ؟ » . (الكامل للبرد ۲ : ۱۷۵ ، والعقد الفريد ۱ : ۲۱۴)

۱۰۷ - كتاب من عبد الله بن الزبير إلى المهلب بن أبي صفرة

واشتدت شوكة الخوارج الأزارقة بالأهواز ، وخشى أهل البصرة أن يجتاحوا
مصرهم ، فهبوا لمدافعتهم ، ونشبت بين الفريقين عدة وقعات^(۱) .

(۱) لما غلب نافع على بلاد الأهواز أقام بها يعرض الناس ويقتل الأطفال ، فإذا أجيب إلى المقالة جي
الخراج ، وفشا عماله في السواد ، فارتاع لذلك أهل البصرة ، فاجتمعوا إلى الأحنف بن قيس فشكوا ذلك إليه ،
وقالوا : ليس بيننا وبين العدو إلا ليلتان ، وصيرتهم ما ترى ، قال الأحنف : إن فعلهم في مصركم إن ظفروا
به كقطعهم في سوادكم ، فجدوا في جهاد عدوكم ، فاجتمع إليه عشرة آلاف فأتى عبد الله بن الحرث بن نوفل
ابن الحرث بن عبد المطلب (وهو بية) أمير البصرة من قبل ابن الزبير فسأله أن يؤمر عليهم ، فاختر
لهم مسلم بن عيسى فأمره عليهم ، والتقى نافع في «دولاب» فاقتلوا قتالا شديداً ، وقتل أبو العريضة ابن عيسى
ونافع . ثم عزل ابن الزبير عبد الله بن الحرث عن البصرة وولاهها عمر بن عبيد الله بن معمر ، وولى بصر
أخاه عثمان بن عبيد الله محاربة الأزارقة . فلما عبروا إليهم دجبلاتهم إليهم الخوارج - وذلك قبيل الظهر -
فقال عثمان لحارثة بن بدر : أما الخوارج إلا ما أرى ؟ فقال له حارثة : حبيك هؤلاء ، فقال : لا جرم ،
والله لا أتعدى حتى أناجزهم ، فقال له حارثة : إن هؤلاء لا يقاتلون بالتعسف فأبق على نفسك وجندك ،
فقال : أبيتهم أهل العراق إلا جبا . وحاربهم عثمان يومه إلى أن غابت الشمس ، فأجبت الحرب عنه
قتيلاً ، وانهمز الناس .

وعزل ابن الزبير عمر بن عبيد الله وولى الحرث بن عبدالله بن أبي ربيعة - وهو أخو عمر بن عبد الله
ابن أبي ربيعة الخزومي الشاعر - وأقام حارثة بن بدر يدافع الخوارج فهزموه ، فهرب يركض حتى أتى دجبلًا ،
جلس في سفينة واتبعه جماعة من أصحابه ، وأناه رجل من بني تميم وعليه سلاحه ، والخوارج وراءه ، مصاح
به : يا حارث ايس مثل ضيع ، فقال للملاح : قرب ، فحرف إلى جرف ، فظفر بسلاحه في السفينة ، فساخت
بالقوم جميعاً ، وماتوا غرقاً ، وتوجه الخوارج نحو البصرة ، فضج الناس إلى الأحنف ، فأتى الحرث بن عبد الله
فقال : أصاح الله الأمير ، إن هذا العدو قد غلبنا على سوادنا وفيتنا ، فلم يبق إلا أن يحصرنا في بلدنا حتى
نموت هزلاً ، قال فسموا رجلاً ، فقال الأحنف : ما أرى لها إلا المهلب بن أبي صفرة ، فولاه قتالهم .

(۷ - جبهة رسائل العرب - ثاني)

ثم أجمع رأى القوم على أنه ليس لهذا الأمر إلا المهلب بن أبي صفرة فكلموه أن يتولى قتال الخوارج - وكان ابن الزبير قد كتب له عهداً على خراسان - فقال لهم : لا أفل ، هذا عهد أمير المؤمنين معى على خراسان ، فلم أكن لأدعَ عهده وأمره ، فدعاه أمير البصرة الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة المعروف بالتباع ، فكلمه فى ذلك ، فقال له مثل ذلك ، فاتفق رأى الأمير ورأى أهل البصرة على أن كتبوا على لسان ابن الزبير :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله بن الزبير إلى المهلب بن أبي صفرة ، سلام عليك ، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو ، أما بعد : فإن الحارث بن عبد الله كتب إلى أن الأزارقة المارقة أصابوا جنداً للسلدين كان عددهم كثيراً ، وأشرفهم كثيراً ، وذكر أنهم قد أقبلوا نحو البصرة ، وقد كنت وجهتك إلى خراسان ، وكتبت لك عليها عهداً ، وقد رأيت حيث ذكر أمر هذه الخوارج أن تكون أنت تلى قتالهم ، فقد رجوت أن يكون ميموناً طائراً ، مباركاً على أهل مصرك ، والأجر فى ذلك أفضل من المسير إلى خراسان ، فسر إليهم راشداً ، فقاتل عدو الله وعدوك ، ودافع عن حتمك وحقوق أهل مصرك ، فإنه لن يفوتك من سلطاننا خراسان ولا غير خراسان إن شاء الله ، والسلام عليك ورحمة الله . (تاريخ الطبرى ٧ : ٨٦)

١٠٨ - كتاب المهلب إلى الحارث بن عبد الله

ونهض المهلب لقتال الخوارج ، ومضى يوم سوق الأهواز^(١) فدخلها ، وكتب بذلك إلى الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة أمير البصرة كتاباً يقول فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد : فإننا منذ خرجنا نؤم هذا العدو ، فى نعم من الله متصلة علينا ، ونعمة من الله متتابعة عليهم ، نقدم ويحجمون ، ونحمل ويرتحلون ،

(١) مدينة بالأهواز .

إلى أن حَلَلْنَا سُوقَ الْأَهْوَازِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، الَّذِي مَنَّ عَلَيْنَا بِالنَّصْرِ وَهُوَ
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ .

۱۰۹ - رد الحارث بن عبد الله عليه

فكتب إليه الحارث :

« هنيئاً لك « أخوا الأزد »^(۱) الشرف في الدنيا ، والذخر في الآخرة إن شاء الله .
(الكامل للبرد ۲ : ۱۸۹)

۱۱۰ - كتاب المهلب إلى الحارث بن عبد الله

وكانت وقعة سِليّ وسَلْبَرِيّ^(۲) من أشدّ الوقعات بين المهلب والحوارج ، دارت
عليهم فيها الدائرة ، وقتل أميرهم عبيد الله بن بشير بن الماحوز .

وكتب المهلب بن أبي صفرة إلى الحارث بن عبد الله بعد الوقعة :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعدُ : فإننا لقينا الأزارقة المارقة بحمدٍ وجدٍ ، فكانت
في الناس جولةً ، ثم تاب^(۳) أهل الحفاظ والصبر بنياتٍ صادقة ، وأبذان شدادٍ ،
وسيوف حدادٍ^(۴) ، فأعقب الله خير عاقبةً ، وجاوز بالنعمة مقدار الأمل ، فصاروا
درية^(۵) رماحنا ، وضرائب^(۶) سيوفنا ، وقتل الله أميرهم ابن الماحوز ، وأرجو أن
يكون آخر هذه النعمة كأولها ، والسلام . »
(الكامل للبرد ۲ : ۱۹۵)

(۱) وقد استجفاه المهلب لمخاطبته إياه بقوله : « أخوا الأزد » فقال لأصحابه : ما أجنى أهل الحجاز !
أما ترونه يمرق اسمي واسم أبي وكنيتي ؟

(۲) مجموع اللفظين موضع واحد بالأهواز قرب جنديسابور . (۳) رجع .

(۴) وكان الحوارج قد نادى مناديتهم في أثناء المعركة ألا إن المهلب قد قتل ، فأقبل المهلب يركض
بين الصفيين وهو يصيح : أنا المهلب ، فكمن الناس بعد أن كانوا قد ارتاعوا وظنوا أن أميرهم قد قتل

(۵) الدرية : الحلقة يتعلم الطعن والرمي عليها .

(۶) ضرائب : جمع ضريبة ، وهي ما يضرب بالسيف .

۱۱۱ - رد الحارث بن عبد الله على المهلب

فكتب إليه الحارث :

« قد قرأت كتابك يا أبا الأزد ، فرأيتك قد وهب الله لك شرف الدنيا وعزها ،
وذاخر لك ثواب الآخرة إن شاء الله وأجرها ، ورأيتك أوثق حصون المسلمين ، وهادئ
أركان المشركين ، وأخا السياسة ، وذا الرئاسة ، فاستدیم الله بشكره ، يتمم عليك
نعمة والسلام^(۱) . »
(الكامل للبرد ۲ : ۱۹۶)

صورة أخرى لكتاب المهلب إلى الحارث

وروى الطبري كتاب المهلب السابق إلى الحارث بن عبد الله بصورة أخرى قال :
ولما ظهر المهلب على الأزارقة « في وقعة سيلى وسيلبرى » كتب إلى
الحارث بن عبد الله :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، للأمر الحارث بن عبد الله من المهلب بن أبي صفرة ،
سلام عليك : فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد : فالحمد لله الذي نصر
أمير المؤمنين ، وهزم الفاسقين ، وأنزل بهم نعمته ، وقتلهم كل قتلة ، وشردهم
كل مشرد . »

أخبر الأمير « أصلحه الله » أننا لقينا الأزارقة بأرض من أرض الأهواز يقال لها
« سيلى وسيلبرى » فزحفنا إليهم ، ثم ناهضناهم ، فاقتننا كأشد القتال ملياً^(۲) من
النهار ، ثم إن كتائب الأزارقة اجتمع بعضها إلى بعض ، ثم حملوا على طائفة من

(۱) وكتب إليه أهل البصرة يهتونه ولم يكتب إليه الأخنف ولكن قال : اقرءوا عليه السلام
وقولوا له : أنالك على ما فارقتك عليه ، فلم يزل يقرأ الكتب ويلتمس في أضعافها كتاب الأخنف ،
فلما لم يره قال لأصحابه : أما كتب إلينا ؟ فقال له الرسول : حملني إليك رسالة وأبلغه ، فقال : هذه أحب
إلينا من هذه الكتب .

(۲) طويلاً .

المسلمين فهزموهم ، وكانت في المسلمين جَوَلَةٌ قَد كُنْتُ أَشْفَقْتُ أَنْ تَكُونَ هِيَ إِلَّا صِرِّي^(١) مِنْهُمْ ، فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ عَمَدْتُ إِلَى مَكَانِ يَفَاعٍ^(٢) فَعَلَوْتُهُ ، ثُمَّ دَعَوْتُ إِلَى عَشِيرَتِي خَاصَّةً وَالْمُسْلِمِينَ عَامَةً ، فَنَابَ إِلَى أَقْوَامٍ شَرَّوْا أَنْفُسَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ ، مِنْ أَهْلِ الدِّينِ وَالصَّبْرِ وَالصَّدْقِ وَالْوَفَاءِ ، فَصَدَّتْ بِهِمْ إِلَى عَسْكَرِ الْقَوْمِ ، وَفِيهِ جَمَاعَتُهُمْ وَحَدَّثُهُمْ ، وَأَمِيرُهُمْ قَدْ أَطَافَ بِهِ أَوْلُو فَضْلِهِمْ فِيهِمْ وَذَوُو النَّيَاتِ^(٣) مِنْهُمْ ، فَاقْتَتَلْنَا سَاعَةً ، رَمِيًّا بِالْفَيْلِ وَطَمَنًا بِالرَّمَاحِ ، ثُمَّ خَلَصَ الْفَرِيقَانِ إِلَى السِّيُوفِ ، فَكَانَ الْجَلَادُ بِهَا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ مُبَالِطَةً^(٤) وَمُبَالِدَةً ، ثُمَّ إِنْ لَمْ يَنْزِلْ نَصْرُهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ، وَضَرَبَ وَجُوهَ الْكَافِرِينَ ، وَنَزَلَ طَائِعِيَّتُهُمْ فِي رِجَالٍ كَثِيرٍ مِنْ حِمَاتِهِمْ وَذَوِي نِيَاتِهِمْ ، فَقَتَلَهُمُ اللَّهُ فِي الْمَعْرَكَةِ ، ثُمَّ أَتَبَعْتُ الْخَيْلَ شُرَّادَهُمْ ، فَقَتَلُوا فِي الطَّرِيقِ وَالْإِخَاذِ^(٥) وَالْقَرَى ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ .

فلما أتى هذا الكتاب الحارث بن عبد الله بعث به إلى ابن الزبير فتمرى على الناس بمكة .

(تاريخ الطبري ٧ : ٨٩)

صورة أخرى لرد الحارث على المهلب

وروى الطبري أيضاً رد الحارث بن عبد الله على كتاب المهلب بصورة أخرى، وهي:
وكتب الحارث بن أبي ربيعة إلى المهلب :

« أما بعد : فقد باغنى كتابك تذكري فيه نصر الله إياك وظفر المسلمين ، فهنيئاً لك يا أخا الأزد بشرف الدنيا وعزها ، وثواب الآخرة ، وفضلها ، والسلام عليك ورحمة الله . »

(تاريخ الطبري ٧ : ٨٩)

(١) أصرع على الأمر : عزم ، وهو منى صرى ، أي عزيزة قاطعة وجد .

(٢) اليفاع واليفع بالتحريك : التل .

(٣) أي وذوو النيات الصادقة منهم ، وربما كان الأصل « وذوو النيات منهم » .

(٤) المبالطة والتباط : التجالد بالسيوف ، وكذا المبالدة : المبالطة بالسيوف والمعنى .

(٥) الإخاذ : القدران جمع إخاذة ، والقرى : ميل الماء من التلاع .

۱۱۲ - كتاب مصعب بن الزبير إلى المغيرة بن المهلب

ولم يزل المهلب يقاتل الخوارج في ولاية الحارث بن عبد الله حتى عزل الحارث وولي مُصعب بن الزبير ، فكتب إليه : أن اقدم على واستخلف ابنك المغيرة ، ففعل ثم مضى إلى مُصعب فولاه الموصل .

وكتب مصعب إلى المغيرة بن المهلب بولايته : كتب إليه :

« إنك إن لم تكن كأبيك فإنك كإبائنا ولبيتك ، فشمّر وانزِر^(۱) ، وجدّ

واجتهد » . (الكامل للبرد ۲ : ۱۹۸)

۱۱۳ - كتاب عمر بن عبيد الله إلى مصعب بن الزبير

وولي مُصعب بن الزبير عمر بن عبيد الله بن معمر قتال الخوارج بعد المهلب ، فزحف إليهم فقاتلهم قتالا شديداً قتل فيه ابنه عبيد الله ، فحمل عليهم حملة هزمهم فيها ، واتبهم ، ثم كتب إلى مصعب :

« أما بعد : فإني قد لقيت الأزارقة ، فرزق الله عبيد الله بن عمر الشهادة ، ووهب له السعادة ، ورزقنا عليهم الظفر ، ففرقوا شذر مذر^(۲) ، وباغتني عنهم عودة^(۳) فيمعتهم^(۳) ، وبالله أستعين ، وعليه أتوكل » . (الكامل للبرد ۲ : ۱۹۹)

(۱) يقال : انزرت بالإزار وتأزر به : أى لبسه ، وانزرت أيضا وأصله انزرت. أدغمت الهمزة في التاء والمعنى استعد .

(۲) تفرقوا شذر مذر بفتح الشين والميم وكسرهما : ذهبوا في كل وجه .

(۳) أى قصت إليهم .

طلب التوايين بدم الحسين

رضي الله عنه

وفي سنة ٦٥ هـ تحركت الشيعة بالكوفة ، واتعدوا الاجتماع بالنخيلة للمسير إلى أهل الشام ، للطلب بدم الحسين بن علي رضي الله عنهما ، وذلك أنهم بعد مقتله تلاقوا بالتلاوم والتندم ، ورأوا أنهم قد أخطأوا خطأ كبيراً بدعائهم إياه إلى التصرة وتركهم إجابته ، ومقتله إلى جانبهم لم ينصروه ، ورأوا أنه لا يفصل عارهم والإثم عنهم في مقتله إلا بتل من قتله أو القتل فيه ، وتابوا مما فرط منهم في ذلك - فسموا التوايين ، وولوا أمرهم سليمان بن صرد الخزاعي .

١١٤ - كتاب سليمان بن صرد

إلى سعد بن حذيفة بن اليمان

وكتب سليمان إلى سعد بن حذيفة بن اليمان بالمدائن كتابا يقول فيه :
« بسم الله الرحمن الرحيم ، من سليمان بن صرد إلى سعد بن حذيفة ومن قبله من المؤمنين ، سلام عليكم ، أما بعد : فإن الدنيا دارٌ قد أدبرَ منها ما كان معروفاً ، وأقبلَ منها ما كان منكراً ، وأصبحت قد تشنأت^(١) إلى ذوى الألباب ، وأزمت^(٢) الترحالَ منها عبادُ الله الأخيار ، وباعوا قليلاً من الدنيا لا يبقى ، بجزيلٍ مَنُوبَةٍ عند الله لا يفنى ، إن أولياء الله من إخوانكم وشيعة آل نبيكم ، نظروا لأنفسهم فيما ابتلوا به من أمر ابن بنت نبيهم الذي دُعِيَ فأجاب ، ودعا فلم يُجب ، وأراد الرجعة فُجِس ، وسألَ

(١) يريد أنها قد صارت مشنوءة : أى مكروهة مبغضة ، من شنه كسع ومنع إذا كرهه .

(٢) أزمت الأمر وعليه : أجمت أو تبت عليه .

الأمانَ فَمَنِعَ ، وترك الناس فلم يتركوه ، وعدوا عليه فقتلوه ، ثم سلبوه وجردوه ظلماً وعدواناً ، وغيرة بالله وجهلاً ، وبعين الله ما يعملون ، وإلى الله ما يرجعون ، « وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ » فلما نظر إخوانكم ، وتدبروا عواقب ما استقبلوا ، رأوا أن قد خطبوا بخذلان الزكي الطيب ، وإسلامه^(۱) ، وترك مواساته ، والنصر له خطأ كبيراً ، ليس لهم منه مخرج ولا توبة دون قتل قائله أو قتلهم ، حتى تفتى على ذلك أرواحهم ، فقد جد إخوانكم ، فجدوا وأعدوا واستعدوا ، وقد نمر بنا لإخواننا أجلاً يوافوننا إليه وموطننا يلتقوننا فيه ، فأما الأجل ففُرَّة^(۲) شهر ربيع الآخر سنة ۶۵ ، وأما الموطن الذي يلتقوننا فيه فالنخيلة ، أتم الذين لم تزالوا لنا شبيعة وإخواناً وإلاً^(۳) ، وقد رأينا أن ندعوكم إلى هذا الأمر الذي أراد الله به إخوانكم فيما يزعمون ويظهرون لنا أنهم يتوبون ، وإنكم جدراء^(۴) بتطلب الفضل والتماس الأجر ، والتوبة إلى ربكم من الذنب ، ولو كان في ذلك حز الرقاب ، وقتل الأولاد ، واستيفاء الأموال ، وهلاك العشائر ، ما ضرَّ أهل عذراء^(۵) الذين قتلوا ألا يكونوا اليوم أحياء وهم عند ربهم يرزقون ، شهداء قد لقوا الله صابرين محتسبين ، أنابهم ثواب الصابرين - بمعنى حجراً وأصحابه - وما ضرَّ إخوانكم المقتلين صبراً^(۶) ، والمصابين ظلماً ، والممشول بهم ، المعتدى عليهم ، ألا يكونوا أحياء مُبْتَلِينَ بخطاياكم ، قد خير^(۷) لهم فلقوا ربهم ووفاهم الله « إن شاء الله » أجرهم ، فاصبروا « رَحِمَكُمُ اللَّهُ » على البأساء والضراء وحين البأس ، وتوبوا إلى الله عن قريب ، فوالله إنكم لأحرى به^(۸) أن لا يكون أحد من إخوانكم ، صبر على شيء من البلاء إرادة ثوابه ،

(۱) أسلمه : خفله . (۲) النرة من الشهر وغيره : أوله .

(۳) الإل : القرابة . (۴) جمع جدير : أي حقيق .

(۵) عذراء : قرية بنوطة دمشق قتل بها معاوية حجر بن عدي وأصحابه .

(۶) قتل صبراً : هو أن يحبس ويرى حتى يتوت .

(۷) خار الله له في الأمر : جعل له فيه الخير . (۸) جمع حري : أي جدير وحقيق .

إلا صَبَرْتُمْ التماسَ الأجر فيه على مثله ، ولا يَطْلُبَ رضاءَ الله طالبٌ بشئٍ من الأشياء - ولو أنه التملُّ - إلا طَلَبْتُمْ رضاءَ الله به ، إن التقوى أفضلُ الزاد في الدنيا ، وما سوى ذلك يَبُورُ^(۱) وَيَفْنَى ، فَتَعْرِضُ^(۲) عنها أنفسكم ، ولتكن رغبَتُكم في دار عافيتكم ، وجهادِ عدوِّ الله وعدوِّكم ، وعدوِّ أهل بيت نبيكم ، حتى تَقْدَمُوا على الله تائبين راغبين ، أحيانا الله وإياكم حياةً طيبةً ، وأجارنا وإياكم من النار ، وجعل منايانا قَتْلًا في سبيله على يدَي أبغض خلقه إليه ، وأشدَّهم عداوةً له ، إنه القدير على ما يشاء ، والصانع لأوليائه في الأشياء ، والسلام عليكم .

فقرأ سعد بن حذيفة كتب سليمان بن صرد على الشيعة بالمدائن ، وقال لهم : إن إخوانكم قد بعثوا إليكم يستنجدونكم ويستمدونكم ، فماذا ترون؟ وماذا تقولون؟ فقال القوم بأجمعهم : نجيبهم ونقاتل معهم ، ورأينا في ذلك مثل رأيهم . (تاريخ الطبري ۷ : ۴۹)

۱۱۵ - رد سعد بن حذيفة على ابن صرد

فكتب سعد بن حذيفة إلى سليمان بن صرد :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، إلى سليمان بن صرد من سعد بن حذيفة ومن قبله من المؤمنين ، سلام عايكم ، أما بعد : فقد قرأنا كتابك ، وفهمنا الذي دعوتنا إليه ، من الأمر الذي عليه رأى اللأئ من إخوانك ، فقد هَدَيْتَ لِحِطِّكَ ، وَيَسَّرْتَ لِرُشْدِكَ ، وَنَحْنُ جَادُونَ مُجِدُّونٌ^(۳) ، مُعِدُّونٌ مُسْرِجُونَ مُلْجِمُونَ ، ننتظر الأمر ونستمع للداعي فإذا جاء الصَّريخُ^(۴) أقبلنا ولم نمرِّج إن شاء الله والسلام .

فلما قرأ كتابه سليمان بن صرد قرأه على أصحابه فسُرُّوا بذلك .

(تاريخ الطبري ۷ : ۵۱)

(۱) يهلك . (۲) عزفت عنه كضرب عزوفاً : زهدت فيه وانصرفت عنه .
(۳) يقال جد الأمر يجبد بكسر الجيم وضماً ، وأجد : أى اجتهد ، وأسرج الدابة : شد عليها السرج ، وألجها : ألبسها اللجام .
(۴) الصريخ : للتفتيت (والفتيت أيضاً : ضد) .

۱۱۶ - كتاب المثنى بن مخرّبة إلى ابن سرد

وكتب ابن سرد إلى المثنى بن مخرّبة العبدي نسخة الكتاب الذي كتب به إلى سعد بن حذيفة ، فكتب إليه المثنى :

« أما بعد : فقد قرأت كتابك ، وأقرأته إخوانك ، فحمدوا رأيك ، واستجابوا لك ، فنحن موافوك « إن شاء الله » للأجل الذي ضربت ، وفي الموطن الذي ذكرت والسلام عليك . »

وكتب في أسفل كتابه :

تبصّر كأتى قد أتيتك معلماً
على أتلع الهادي أجش هزيم^(۱)
طويل القرائه السواء مقلص^(۲)
مليح على فأس اللجام أزوم^(۳)
بكل فتى لا يملأ الرّوع نحره
محسّ لعضّ الحرب غير سثوم^(۳)
أخي ثقة بنوي الإله بسعيه
ضروب بنصل السيف غير أئيم^(۳)

(تاريخ الطبري ۷ : ۵۱)

(۱) أعلم نفسه فهو معلم : وسما يسمى الحرب ، وأعلم فرسه : علق عليه صوقاً ملوناً في الحرب ، على أتلع الهادي : أي على فرس أتلم الهادي ، والهادي : العنق ، وأتلع وتليح : طويل العنق ، وصف من التلع بالتحريك وهو طول العنق ، وفعله كفرح وكرم ، والأجش : الفليظ الصوت من الخيل (ومن الإنسان ومن الرعد وغيره) والهزيم : الفرس الشديد الصيت (أي القوي الصوت) .

(۲) القرا : الظهر . والتهد : الفرس الحسن الجميل الجسم اللحم المشرف . وسواء الجبل : فروته ، فمعى نهدي السواء : مشرف الذروة ، وفي الأصل « السواء » بالسين وهو تصحيف ، وإنما الوارد في كتب اللغة « الشوي » مقصوراً ، وشوي الفرس قوائمه ، وفرس مقلص : مشرف طويل القوائم منضم البطن ، الفأس من اللجام : الحديد القاعمة في المنك ، وأزم الفرس على فأس اللجام كضرب أزماء وأزوما فهو آزم وأزوم : عض عليه وقبض .

(۳) الروع : الفرع ، عس لعض الحرب : معناه أنه مدرب عليها قد اعتاد أن يخوض غمارها ، وأن يعضه نابها ، والثوم : الكثير السامة .

۱۱۷ - کتاب عبد الله بن يزيد إلى ابن سرد

فما استهلَّ هلال ربيع الآخر سنة ۶۵ هـ خرج سليمان بن سرد في أصحابه إلى النخيلة، وبلغ ذلك عبد الله بن يزيد الأنصاري أمير الكوفة من قبل ابن الزبير - وكان ابن الزبير ولأه أميراً عليها على حربها وثغرها، وولى إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله أميراً على خراجها - فخرجوا إليه، وحاولوا أن يثنياه عن رأيه فأبى، وأجمع القوم على الشُّخص واستقبال عبيد الله بن زياد.

ثم أدلج^(۱) ابن سرد عشيّة الجمعة لخمس مضيّن من ربيع الآخر، وقد كتب إليه عبد الله بن يزيد:

« بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله بن يزيد إلى سليمان بن سرد ومن معه من المسلمين، سلام عليكم، أما بعد: فإن كتابي هذا إليكم كتابٌ ناصح ذي إرغاء^(۲)، وكم من ناصح مُستَفَش، وكم من غاشٍ مستنصَح مُحَبَّب، إنه بلغني أنكم تريدون المسير بالعدد اليسير إلى الجَمع الكثير، وإنه من يُرد أن ينقل الجبال عن مرآئبها^(۳) تَكِيلَ مَعَاوِلِه، ويُنزِع وهو مذموم العقل والفعل، يا قومنا لا تظمِعوا عدوكم في أهل بلادكم، فإنكم خيارٌ كالكم، ومتى ما يُصَبِّكم عدوكم يعلموا أنكم أعلام^(۴) مِصرم فيطمعهم ذلك فيمن وراءكم، يا قومنا «إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا^(۵) عَلَيْكُمْ بِرُجُومِكُمْ أَوْ يُبْعِدُوكُمْ فِي مَاتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذْ أَنْ أَبَدْنَا» يا قومنا إن أيدنا وأيديكم اليوم واحدة، وإن عدونا وعدوكم واحد، ومتى تجتمع كلتنا نظهر^(۶) على

(۱) أدلج: صار من أول الليل، فإن صار من آخره فادلج بالتشديد.

(۲) أرعى على أخيه: أبقى عليه.

(۳) المراتب: جمع مرتبة، وهي المنزلة، من رتب رتوبا إذا ثبت واستقر ولم يتحرك: أي عن أما كتبها التي رتب بها، وربما كان الأصل «من مراسيها».

(۴) جمع علم بالتحريك، وهو سيد القوم. (۵) ظهر عليه: غلبه.

عدونا ، ومتى تحتمف تهن^(۱) شوکتنا علی من خالفنا ، یا قومنا لاتستغشوا نصحی ،
ولا تخالفوا امری ، وأقبلوا حين یقرأ علیکم کتابی ، أقبل الله بکم إلى طاعته ، وأدبر
بکم عن معصيته ، والسلام . (تاریخ الطبری ۷ : ۷۱)

۱۱۸ - رد ابن سرد علیه

فکتب إليه ابن سرد :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، للأمیر عبد الله بن یزید من سلیمان بن سرد ومن معه
من المؤمنین ، سلام عليك ، أما بعدُ : فقد قرأنا کتابك ، وفهمنا ما نويت ، فنعم
والله الوالی ، ونعم الأمير ، ونعم أخو العشيرة ، أنت والله من تأمنه بالغيب ،
ونستنصحه في المشورة ، ونحمده على كل حال ، إنا سمعنا الله عز وجل يقول
في كتابه : « إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ
يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ
وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بَبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ
هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ، التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ^(۲) الرَّا كِعُونَ
السَّاجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ
وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ » :

إن القوم قد استبشروا ببيعهم التي بايعوا ، إنهم قد تابوا من عظيم جرمهم ،
وقد توجهوا إلى الله ، وتوكلوا عليه ، ورضوا بما قضى الله ، « رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا
وَإِلَيْكَ أُنْبَأْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ » والسلام عليك .

(۱) تهن : تضاف ، والشوكة : شدة البأس .

(۲) السائح : القائم الملازم للمساجد .

وسار ابن صرد بأصحابه حتى انتهى إلى عين الورد^(۱) فنزل في غريبها ، وأقبل
عبيد الله بن زياد بجيشه ، ودارت رحى الحرب بين الفريقين ، واستشهد^(۲) في المعركة
سايان بن صرد بعد أن قتل من القوم مقتلة عظيمة ، وقتل أيضاً كثير من رهوس
أصحابه ، فلما رأى من بقي من التوابين أن لا طاقة لهم بمن إزائهم من أهل الشام
انحازوا عنهم وارتحلوا وعليهم رفاعه بن شداد البجلي ، وكان ذلك في ربيع الآخر

(تاريخ الطبري ۷ : ۷۲)

سنة ۶۵ هـ .

(۱) هي رأس العين : بلد في وسط الجزيرة . (۲) استشهد : قتل في سبيل الله .

طلب المختار بن أبي عبيد الثقفي

بدم الحسين رضى الله عنه

١١٩ - كتاب المختار إلى عبد الله بن عمر

وقدم المختار بن أبي عبيد الثقفي^(١) الكوفة في رمضان سنة ٦٤ هـ ، فاتاه بعض الشيعة ليلاً ، فسألهم عن أمر الناس ، وعن حال الشيعة ، فقالوا له : إن الشيعة قد اجتمعت لسليمان بن صرد الخزاعي ، وإنه لن يلبث يسيراً حتى يخرج ، فجعل يزعم لهم أن محمد بن الحنفية قد بعثه إليهم أميناً ووزيراً ، وأنه أمره بقتال الملحدين والطلب بدماء أهل بيته ، وما زال حتى استمال طائفة من الشيعة ، وعظّمهم يومئذ مع ابن صرد :

(١) هو المختار بن أبي عبيد بن مسعود الثقفي ، وقد كان لأبيه أبي عبيد شأن عظيم في فتح فارس ، فإن عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين ولي الخلافة ، كان أول ما عمل به أن ندب الناس مع المنى بن حارثة الشيباني لقتال أهل فارس ، وجعل يندبهم ثلاثة أيام فلا ينتدب أحد إلى فارس - وكان وجه فارس من أكرم الوجوه إليهم وأتقها عليهم فلما كان اليوم الرابع عاد فندب الناس ، فكان أول منتدب أبو عبيد والد المختار ، وقد أبلى أبو عبيد في فتح فارس بلاء حسناً حتى مات في وقعة الجسر وولد ابنه المختار في السنة الأولى من الهجرة ، ولم يكن المختار في تشييعه لآل علي بالخلص ، وكانت الشيعة تنقم عليه ما كان منه وأمر الحسن بن علي رضى الله عنه يوم طعن في مظلم ساباط وحمل إلى المدائن - وكان عم المختار وهو سعد بن مسعود عاملاً له على المدائن - فقال المختار لعمه : هل لك في القنى والشرف ؟ قال : وما ذاك ؟ قال : توثق الحسن وتأنم به إلى معاوية ، فقال له سعد : عليك لعنة الله ، أتب على ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأوثقه ! نس الرجل أنت ! ولما قدم مسلم بن عقيل الكوفة من قبل الحسين رضى الله عنه ، نزل دار المختار ، فبايعه المختار فبمن بايعه من أهل الكوفة وناصحه ودعا إليه ، ثم ظفر ابن زياد بتسلم وقتله ، وأمر بالمختار فجن ، فبعث المختار إلى عبد الله بن عمر بالمدينة ، يسأله أن يشفع له عند يزيد بن معاوية : - وكانت صفيّة أخت المختار تحت عبد الله بن عمر - فكتب ابن عمر إلى يزيد يشفع فيه فشفعه ، وخطى ابن زياد سبيله ، وأخرجه من الكوفة ، فقدم الحجاز وبايع عبد الله بن الزبير ، وقاتل معه حين حاصر مكة جيش يزيد تحت إمرة الحصين بن نمير ، وأقام مع ابن الزبير بعد مهلك يزيد ، حتى قدم الكوفة في منتصف رمضان سنة ٦٤ هـ .

فلما خرج ابن سرد نحو الجزيرة - خاف عبد الله بن يزيد الأنصاري وإبراهيم ابن محمد بن طلحة أميرا الكوفة أن يثبت عليهما المختار ، فزجّاه^(۱) في السجن ، فكتب المختار إلى صهره عبد الله بن عمر بن الخطاب .

« أما بعد : فإني قد حبستُ مظلوماً ، وظن بي الولاية ظنوناً كاذبة ، فاكذب في رحمتك الله » إلى هذين الظالمين كتاباً لطيفاً ، عسى الله أن يخلصني من أيديهما ، بلطفك وبرّكك ويمنك ، والسلام عليك . (تاريخ الطبري ۷ : ۹۳)

۱۲۰ - كتاب ابن عمر إلى عبد الله بن يزيد

وإبراهيم بن طلحة

فكتب عبد الله بن عمر إلى عبد الله بن يزيد ، وإبراهيم بن محمد بن طلحة :
« أما بعد : فقد علمتُما الذي بيني وبين المختار بن أبي عبيد من الصهر ، والذي بيني وبينكما من الود ، فأقسمتُ عليكما بحق ما بيني وبينكما لئلا خائتُما سبيليه حين تنظران في كتابي هذا ، والسلام عليكما ورحمة الله . »

فلما أتاهما كتابُ ابن عمر ، دَعَوَا للمختار بكُملاء يَضْمَنُونَهُ بنفسه ، فأقاه أناس من أصحابه كثير فضمنوه ، فدَعَوَاهُ بِخلفائه بالله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم : لا يَبْغِيهِمَا غَائِلَةٌ ، ولا يَخْرُجُ عليهما ما كان لهما سلطان ، فإن هو فعل فعليه ألف بدنة بَنَحْرَها لذي رِتَاج^(۲) الكعبة ، ومماليكهم ذكرهم وأتباعهم أحرار ، خلف لهما بذلك^(۳) ، فأطلقاه من السجن . (تاريخ الطبري ۷ : ۹۳)

(۱) زجه : رماه . (۲) الرتاج : الباب العظيم .

(۳) وكان المختار بعد ذلك يقول : « قاتلهم الله ما أحبهم حين يرون أني أتى لهم بأيمانهم هذه ؟ أما خلق لهم بالله فإنه ينبغي لي إذا حلفت على يمين فرأيت ما هو خير منها أن أدع ما حلفت عليه وآتي الذي هو خير وأكفر بيمينى ، وخروجي عليهم خير من كفى عنهم وأكفر بيمينى ، وأما هدى ألف بدنة ، فهو أهون على من بصقة ، وما ثمن ألف بدنة فيهولني ؟ وأما عتق ممالئكي فواقفه لوددت أنه قد استتب لي أمرى ، ثم لم أملك مملوكاً أبداً . »

۱۲۱ - کتاب المختار إلى أصحاب ابن سرد

وكتب المختار وهو في سجنه إلى أصحاب سليمان بن سرد حين قدموا من قتال
عبيد الله بن زياد :

« أما بعد ، فإنَّ اللهَ أعظمَ لكم الأجرَ ، وخطأَ عنكم الوزرَ ، بفارقة القاسطين ،
وجهادِ المُجَلِّين ، إنكم لم تُنفقوا نفقةً ، ولم تقطعوا عقبةً^(۱) ، ولم تخطوا خطوةً ،
إلا رفع الله لكم بها درجةً ، وكتبَ لكم بها حسنةً ، إلى ما لا يُحصيه إلا اللهُ من التضعيف ،
فأبشروا ، فإنى لو قد خرجتُ إليكم قد جرَّدتُ فيما بين المشرق والمغرب في عدوكم السيف
بإذن الله ، فجعلتهم بإذن الله رُكَّامًا^(۲) ، وقتلتهم فذًا وتوَّما^(۳) ، فرحب الله بمن قاربَ
منكم واهتدى ، ولا يُبعد الله إلا من عمى وأبى ، والسلام بأهل الهدى » .

فبعثوا إليه رسولاً منهم فقالوا : قر له قد قرأنا الكتاب ، ونحن بحيث يسرك ،
فإن شئت أن نأتيك حتى نخرجك فعلنا ، فأتاه فدخل عليه السجن فأخبره بما أرسل به
إليه ، فسرَّ باجتماع الشيعة له ، وقال لهم : لا تريدوا هذا ، فإنى أخرج في أيامى هذه .
(تاريخ الطبرى ۷ : ۹۳)

۱۲۲ - كتاب إلى إبراهيم بن مالك الأشتر

افتعله على محمد بن الحنفية

واختلفت الشيعة إلى المختار بعد خروجه من السجن ، واجتمعت عليه ، وانفق
رأيها على الرضا به ، ولم يزل أصحابه يكثرُونَ ، وأمره يقوى ويشتد حتى عزل ابن الزبير
عبد الله بن يزيد وإبراهيم بن طلحة عن الكوفة ، وبعث على عملهما عبد الله بن مطيع
العدوى ، لخمس بقين من رمضان سنة ۶۵ هـ .

(۱) العقبة : المرقى الصعب في الجبل .

(۲) متراكبين بعضهم ملقن فوق بعض .

(۳) أى فردا وزوجا .

وساورت الشيعة ربيبة فيما ادعاه المختار من أن ابن الحنفية بعث به إليهم ، فأوفدوا وفداً منهم إلى ابن الحنفية يستنبت منه ، فقالوا له : إن المختار قد قدم علينا وهو يزعم أنه جاءنا من تلقائكم ، وقد دعانا إلى الطلب بدماء أهل البيت ، فبايعناه على ذلك ، فإن أمرتنا باتباعه اتبعناه ، وإن نهيتنا عنه اجتنبناه ، فقال لهم : أما ما ذكرتم من دعاه من دعائكم إلى الطلب بدمائنا ، فوالله لو ددت أن الله انتصر لنا من عدونا بمن شاء من خلقه ، فخرجوا من عنده وهم يقولون ، قد أذن لنا ، قد قال : لوددت أن الله انتصر لنا ولو كره لقال : لاتفعلوا ، وجادوا المختار فقالوا : قد أمرنا بنصرتك ، فكبر واستبشر ، واستجمعت له الشيعة وحديث^(۱) عليه :

ودعا أصحاب المختار إبراهيم بن الأشتر أن ينضم إلى زمرة بهم ، فقال لهم : إني قد أحببتكم إلى ما دعوتهموني إليه من الطلب بدم الحسين وأهل بيته ، على أن تولوني الأمر ، فقالوا : هذا المختار قد جاءنا من قبل المهدي ، وهو الرسول ، والمأمور بالقتال ، وقد أمرنا بطاعته فلم يجبههم ابن الأشتر ، فانصرفوا إلى المختار ، فأخبروه بما رآه عليهم ، فسار المختار إلى ابن الأشتر فقال له : هذا كتاب إليك من المهدي محمد ابن أمير المؤمنين الوصي يسألك أن تنصرنا وتوازرنا ، فإن فعلت آغتبطت ، وإن لم تفعل فهذا الكتاب حجة عليك ، ود . إليه الكتاب ، فقبض خاتمه وقرأه فإذا فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد المهدي إلى إبراهيم بن مالك الأشتر ، سلام عليك ، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو . أما بعد : فإني قد بعثت إليك بوزيري ، وأمييني ونجيبين^(۲) الذي ارتضيتهم لنفسي ، وقد أمرته بقتال عدوي ، والطلب بدماء أهل بيتي ، فانهض معك بنفسك وعشيرتك ومن أطاعك ، فإنك لو نصرته ، وأجبت دعوتي ، وساعدت وزيري ، كانت لك عندي بذلك فضيلة ، ولك بذلك أمانة

(۱) عطف .

(۲) النجيب : المنجب أي المختار ، انتجب فلان إذا استخاضه واستظناه اختياراً على غيره .

(۸ - جبهة رسائل العرب - ثاني)

الخيال^(۱) وكل جيش غازي، وكل مضر، ومنبر، وثغر، ظهرت عليه فيما بين الكوفة وأقصى بلاد أهل الشام، على الوفاء بذلك، على عهد الله، فإن فعلت ذلك نلت به عند الله أفضل الكرامة، وإن أبيت هلكت هلاكاً لا تستقيله أبداً، والسلام عليك» .

فلما قضى إبراهيم قراءة الكتاب قال: قد كتب إلى ابن الحنفية، وقد كتبت إليه قبل اليوم، فما كان يكتب إلى إلا باسمه واسم أبيه، قال له المختار: إن ذلك زمان وهذا زمان، قال إبراهيم: فمن يعلم أن هذا كتاب ابن الحنفية إلى؟ فقال أصحاب المختار: شهد أن هذا كتاب محمد بن عليّ إليك، فقال إبراهيم للمختار: ابسط يدك أبايعك، فبسط المختار يده، فبايعه إبراهيم .

وجعل المختار وأصحابه يدبرون أمورهم حتى اجتمع رأيهم على أن يخرجوا ليلة الخميس لأربع عشرة من ربيع الأول سنة ۶۶ هـ، فتاروا بالكوفة وقاتلوا جند ابن مطيع فهزموهم، وحاصروا ابن مطيع حتى اشتد عليه الحصار فهرب إلى البصرة، وخلص الأمر للمختار فبايعه الناس، وغلب على الكوفة^(۲) .

(تاريخ الطبري ۷ : ۹۹ ، وتاريخ الكامل لابن الأثير ۴ : ۸۴)

۱۲۳ - كتاب عبد الرحمن بن سعيد بن قيس إلى المختار

وكان مروان بن الحكم قد بوع بالخلافة بالشام « لثلاث خلون من ذي القعدة سنة ۶۴ هـ » فلما استوثقت له الشام بالطاعة، بعث جيشاً إلى العراق عليه عبيد الله بن زياد، وجعل له إذ وجهه إلى العراق ما غلب عليه، وأمره أن ينهب^(۳) الكوفة إذا هو

(۱) أي وليت القيادة .

(۲) قال المسعودي في مروج الذهب (ج ۲ : ص ۹۸) « وأخرج المختار بن مطيع وغلب على الكوفة، وابتقى لنفسه داراً، واتخذ بيتاناً أنفق عليه أموالاً عظيمة أخرجها من بيت المال، وفرق الأموال على الناس بها نفقة واسعة، وكتب إلى الزبير يعلمه أنه إنما أخرج ابن مطيع عن الكوفة لمجزه عن القيام بها، ويسوم ابن الزبير أن يمنح له بما أنفق من بيت المال، فبني ابن الزبير ذلك عليه، ونزع المختار طاعته وجحد بيئته» . (۳) أي يجعلها نهباً يفر عليه .

ظفر بأهلها ثلاثاً ، وكان من أمره وأمر التوابين بعين الورد ما قدمنا ، ثم إنه أقبل إلى الموصل ، فكتب عبد الرحمن بن سعيد بن قيس عامل المختار على الموصل إلى المختار :
« أما بعدُ : فإني أخبرك أيها الأمير أن عبيد الله بن زياد قد دخل أرض الموصل ، وقد وجه قبلي خيله ورجاله ، وإني انحزْتُ إلى « تكريت » حتى يأتيني رأيك وأمرك ، والسلام عليك . »
(تاريخ الطبري ۷ : ۱۱۳)

۱۲۴ - رد المختار على عبد الرحمن بن سعيد

فكتب إليه المختار :
« أما بعدُ : فقد باغنى كتابك ، وفهمتُ كل ما ذكرت فيه ، فقد أصبتُ بانحيازك إلي « تكريت » فلا تبرحنَّ مكانك الذي أنت به حتى يأتيك أمرى إن شاء الله ، والسلام عليك . »
(تاريخ الطبري ۷ : ۱۱۳)

۱۲۵ - كتاب المختار إلى عبد الرحمن بن سعيد

ودعا المختار يزيد بن أنس ، فوجهه إلى الموصل ، وكتب إلى عبد الرحمن بن قيس ابن سعيد :
« أما بعدُ : فخلَّ بين يزيد وبين البلاد إن شاء الله ، والسلام عليك . »
وقصَلَ يزيدُ بن أنس من الكوفة على رأس جيش انتخبه . وسار إلى الموصل ، فقاتل جيش ابن زياد وهزمه .
ثم سَير المختار إلى ابن زياد جيشاً عليه إبراهيم بن الأشتر ، فالتقى به على شاطئ نهر خازر من أرض الموصل ، ودارت الدائرة على ابن زياد ، وقتله ابن الأشتر ، وكان ذلك سنة ۶۷ هـ .

۱۲۶ - کتاب المختار بالأمان لعمر بن سعد بن أبي وقاص

ووثب المختار سنة ۶۶ هـ بمن كان بالكوفة من قتل الحسين رضي الله عنه
والمشايخين على قتله ، فقتل من قدر عليه منهم ، وهرب من الكوفة بعضهم
فلم يقدر عليه .

وكان عبد الله بن جعدة بن هبيرة أكرم خالق الله على المختار لقرابته بعلی^(۱) ،
فكلم عمر بن سعد بن أبي وقاص عبد الله بن جعدة ، وقال له : إني لا آمن هذا
الرجل - يعني المختار - نخذ لي منه أماناً ففعل ، وكتب له :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا أمان من المختار بن أبي عبيد لعمر بن سعد بن
أبي وقاص ، إنك آمن بأمان الله على نفسك ومالك ، وأهلك وأهل بيتك وولدك ،
لا تؤاخذ بحدث كان منك قديماً ، ما سمعت وأطعت ، ولزمت رحلك وأهلك ، ومصرحك ،
فمن لقي عمر بن سعد من شرطة^(۲) الله وشيعة آل محمد ، ومن غيرهم من الناس ،
فلا يعرض له إلا بخير . »

شهد السائب بن مالك ، وأحر بن شميظ ، وعبد الله بن شداد ، وعبد الله
ابن كامل ، وجعل المختار على نفسه عهداً الله وميثاقه كيفين لعمر بن سعد بما أعطاه
من الأمان ، إلا أن يحدث حدثاً^(۳) ، وأشهد الله على نفسه ، وكفى
بالله شهيداً .

(۱) كانت أم جعدة أم هاني بنت أبي طالب أخت علي بن أبي طالب عليه السلام : (تاريخ
الطبري ج ۷ : ص ۱۵۱) .

(۲) شرط السلطان : نخبة أصحابه الذين يقدمهم على غيرهم من جنده ، والمعنى هنا : من أولياء الله
وأنصار دينه الذين يقدمهم على غيرهم من عباده .

(۳) وكان أبو جعفر محمد بن علي يقول : « أما أمان المختار لعمر بن سعد إلا أن يحدث حدثاً ،
فإنه كان يريد به إذا دخل الملاء فأحدث . »

۱۲۷ - کتاب المختار إلى محمد بن الحنفية

ولم يرع المختار هذا العهد ، قتل عمر بن سعد وابنه حفص بن عمر ، وبعث برأسيهما إلى محمد بن الحنفية وكتب إليه :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، للمهدى محمد بن علي من المختار بن أبي عبيد ، سلام عليك بأيتها المهدي ، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد : فإن الله بعثني نعمة على أعدائكم ، فهم بين قتيل وأسير وطريد وشريد ، فالحمد لله الذي قتل قاتليكم ، ونصر مؤازريكم^(۱) ، وقد بعثت إليك برأس عمر بن سعد وابنه ، وقد قتلنا من شرك في دم الحسين وأهل بيته « رحمة الله عليهم » كل من قدرنا عليه ، ولن يعجز الله من يقي ، ولست بمنجم^(۲) عنهم حتى لا يبلغني أن على أديم الأرض منهم إرمياً^(۳) ، فاكتب إلى أيتها المهدي برأيك أتبعه وأكون عليه ، والسلام عليك أيتها المهدي ورحمة الله وبركاته . »

(تاريخ الطبري ۷ : ۱۲۷)

۱۲۸ - كتاب المختار إلى مالك بن مسمع وزياد بن عمرو

وكان المثنى بن مخزبة العبدي من بايع المختار ، فقال له المختار : ائتني ببغداد بالبصرة ، فاذع الناس ، وأمير أمرك ، فقدم البصرة فدعا ، فأجابه رجال من قومه وغيرهم ، فوجه إليهم أمير البصرة الحارث بن عبد الله عبادة بن حصين ، فهزمهم وحوى ما كان في ممتكرهم ، ولاذ المثنى وأصحابه بعبد القيس فنعوهم وأبوا أن يسلموهم ، فأرسل الأمير الأحنف بن قيس ليصلح أمر الناس ، فأتى عبدة القيس فقال لهم : ألتتم

(۱) المؤازر : الساعد والمعين . (۲) أنجم : أفلح .

(۳) أي أحداً ، يقال ما بالدار أرم بالتحريك ، وأريم : كأمير . وإرمي كعني ، وبمرك ، أو يرمي ، وبكسر أوله : أي أحد .

على بيعة ابن الزبير؟ قالوا: بلى، ولكننا لا نسلم إخواننا، قال: فمروهم فليخرجوا إلى أي بلاد أحبوا، ولا يُفَسِدُوا هذا إضر على أهله، وهم آمنون فليخرجوا حيث شاءوا، فمشى مالك بن مسمع، وزيايد بن عمرو، ووجوه أصحابهم إلى المشي، فأشاروا عليه أن يلحق بصاحبه المختار، فقبل قولها، وشخص إلى المختار بالكوفة، وأخبره حين قدم عليه بما كان من أمر مالك بن مسمع، وزيايد بن عمرو، ومسيرهما إليه وذبيهما عنه حين شخص عن البصرة، فطمع المختار فيهما، فكتب إليهما:

« أما بعد: فأسمما وأطيعا أوتسكما من الدنيا ما شئتما، وأضمن لكما الجنة » .

فقال مالك لزياد: يا أبا المغيرة، قد أكره لنا أبو إسحاق^(۱) إعطاءنا الدنيا والآخرة، فقال زياد مازحا لمالك: يا أبا غسان، أما أنا فلا أقاتل نسيئة^(۲)، من أعطانا الدراهم قاتلنا معه .

(تاريخ الطبري ۷ : ۱۰۱)

۱۲۹ - كتاب المختار إلى الأحنف بن قيس

وكتب المختار إلى الأحنف بن قيس:

« بسم الله الرحمن الرحيم، من المختار بن أبي عبيد إلى الأحنف بن قيس، ومن قبله، فسلم أتم، أما بعد: فويل أم^(۳) ربيعة من مضر، فإن الأحنف مؤرد قومه

(۱) كنية المختار .

(۲) النسيئة: التأخير، يقال: بعته بنسيئة: أي بأخرة، ونسأته البيع وأنسأته: أخرته .

(۳) يقال في المستجاد: « ويله » . تمجبا منه، وأصله ويل لأنه حذف اللام لسكزته في الكلام

وحذفت الهمزة من أمه تخفيفا وأقيت حركاتها على اللام، ثم ركبه وجعلوه كالشيء الواحد وهو مدح خرج بلفظ الدم، كما يقولون: أخزاه الله ما أشمره، ولعنه الله ما أسمعه، وفي الحديث قوله لأبي بصير: « ويله مسر حرب » . تمجبا من شجاعته وجراته وإقدامه - وسر حرب كمنبر أي موقد نارها، من سر النار والحرب كمن: أوقدها - وقول المختار: « ويل أم ربيعة » . يقصد به مدح عبد القيس، وهم من ربيعة - فهم بنو عبد القيس بن جديلة بن أسد بن ربيعة - لما كان منهم من إيواء داعية النبي بن محربة الدري والذب عنه، وقوله « من مضر » يعني أنه مدح ربيعة، وبفضلها على مضر، يقصد الأحنف بن قيس، وهو من تميم وتيمم من مضر: فهم بنو تميم بن طابخة بن إلياس بن مضر - لما كان من الأحنف في أمر النبي .

سَقَرٌ^(۱) ، حيث لا يستطيع لهم الصَّدْرُ^(۲) ، وإني لا أملي ما خُطَّ في القَدَرِ ، وقد بلغني
أنكم تسمونني كذاباً ، وإن كُذِّبْتُ فقد كُذِّبْتُ رُسُلٌ من قبلي ، ولست بخير
من كثير منهم^(۳) » . (تاريخ الطبري ۷ : ۱۴۱ - ۱۴۲ ، والعقد الفريد ۲ ، ۲۶۵)

(۱) سقر : جهنم . (۲) الصدر : الرجوع .

(۳) قال ابن عبد ربه في العقد الفريد ج ۲ : ص ۲۶۵ : « وجعل المختار يتبع قتلة الحسين بن
علي ومن خذله ، فقتلهم أجمعين ، فلما أفناهم دانت له العراق ، ولم يكن صادق النية ولا صحيح المذهب ،
ولمّا أراد أن يتأصل الناس ، فلما أدرك بغيته أظهر للناس قبح نيته » فادعى أن جبريل ينزل عليه ،
ويأتيه بالوحي من الله وكتب إلى أهل البصرة : « بلغني أنكم تكذبونني وتكذبون رسلي ، وقد كذبت
الأنبياء من قبلي ، ولست بخير من كثير منهم » . وقال : « ج ۲ : ص ۲۷۰ » . لنا قتل الحجاج ابن
الزبير ومنع أمه أسماء أن تدفنه . قالت : أما إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يخرج
من تقيف رجلان : الكذاب والمبير » . (أي المهلك) فأما الكذاب فالمختار ، وأما المبير فأتت ، فقال
الحجاج : اللهم مبير لا كذاب . وقال المبرد في الكامل : « ج ۲ ص ۱۶۷ » . وكان المختار لا يوقف له
على مذهب ، كان خارجياً ، ثم صار زبيرياً ، ثم صار رافضياً في ظاهره ، وكان يدعى أنه بلهم ضرباً من
السجاعة لأمر تكون ، ثم يحتال فيوقعها ، فيقول للناس : هذا من عند الله عز وجل ، فمن ذلك قوله
ذات يوم « لتخران من السماء نار دهما ، فلتحرقن دار أسماء » فذكر ذلك لأسماء بن خارجة ، فقال :
أوقد سجع بن أبو إسحاق ! هو والله محرق داري ، فتكره والدار وهرب من الكوفة ، وقال في بعض
سجعا : أما والذي شرع الأديان ، وجنب الأوثان ، وكره العصيان لأقنان أزد عمان ، وجل قيس عيلان ،
وتعيا أولياء الشيطان ، حاشا النجيب ظيان » . فكان ظيان النجيب يقول : لم أزل في عمر المختار أنقلب آمناً .

وخرج يشيع إبراهيم بن الأشتر حين شخم لقتال عبيد الله بن زياد ، فقال للناس : « إن استقمتم
فبصر الله ، وإن عصتم حيصه ، فإنني أجد في محكم الكتاب ، وفي اليقين والصواب ، أن الله مؤيدكم
بلائكة غضاب ، تأتي صور الحمام دون السحاب » أي قريباً منه ، وكان قد دفع إلى قوم من خاصته حماماً
بيضا ضخماً ، وقال لهم : « إن رأيتم الأمر لنا فدعوها ، وإن رأيتم الأمر علينا فأرسلوها » . فلما التقوا
كانت على أعاب إبراهيم الدائرة في أول النهار ، فأرسل أصحاب المختار الطير فتصايح الناس : الملائكة !
فترجعوا واقتتل الناس حتى اختلط السلام ، وأسرع القتل في أصحاب ابن زياد ثم انكشفوا ، ووضع السيف
فيهم حتى أفنوا : « الكامل للمبرد ج ۲ : ص ۱۶۹ » .

وقال الشهرستاني في الملل والنحل : « ۱ : ۱۵۳ » . ومن مذهب المختار أنه يجوز البده على الله
تعالى ، والبده له معان : البده في العلم ، وهو أن يظهر له خلاف ما علم ، والبده في الإرادة ، وهو أن
يظهر له صواب على خلاف ما أراد وحكم ، والبده في الأمر ، وهو أن يأمر بشيء ، ثم يأمر بعده بخلاف
ذلك ، ولما صار المختار إلى اختيار القول بالبده ، لأنه كان يدعى علم ما يحدث من الأحوال ، إما بوحى
يوحى إليه ، وإما برسالة من قبل الإمام (ابن الحنفية) فكان إذا وعد أصحابه بكون شيء وحدوث حادثة ،
فإن وافق كونه قوله جعله دليلاً على صدق دعواه ، ولقد لم يوافق قال قد بدا لربكم ، وقد تبرأ ابن الحنفية
منه حين وصل إليه أنه قد لبس على الناس بأنه من دعائه ورجاله ، وتبرأ من الضلالات التي ابتدعتها من التأويلات
الفاصلة ، والمخاريق الموهبة ، فمن مخاريقه أنه كان عنده كرسي قديم قد غشاه بالدياج وزينه بأنواع الزينة =

۱۳۰ - کتاب المختار إلى ابن الزبير

ولما استجمع الأمر للمختار بالكوفة - وهو عند الشيعة إنما يدعو إلى ابن الحنفية «
والطلب بدماء أهل البيت - أخذ يخادع ابن الزبير ، فكتب إليه :
« أما بعد : فقد عرفت مناصحتي إياك ، وجهدي على أهل عداوتك ، وما كنت
أعطيني - إذا أنا فعلت ذلك - من نفسك ، فلما وقفت لك وقضيت الذي كان لك
على ، خست^(۱) بي ولم تف بما عاهدتني عليه^(۲) ، ورأيت مني ما قدر رأيت ، فإن ترد
مراجعتي أرجعك ، وإن ترد مناصحتي أنصح لك » :

= وقال : هذان أمير المؤمنين علي عليه السلام ، وهو همدنا بمنزلة التابوت لبني إسرائيل ، فكان
إذا حارب خصومه يضعه في براح الصف ، ويقول : « قاتلوا ولحم الظفر والنصرة ، وهذا الكرسي محله فيكم
محل التابوت في بني إسرائيل ، وفيه السكينة والبقية ، والملائكة من فوقكم ينزلون مددا لكم » . - أخذ
من قوله تعالى : « وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ
سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ، وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ » . ويقال إنه اشتراه من نجار
بدرهمين - انظر قصته في تاريخ الطبري : (۷ : ۱۴۰) . والكامل للمبرد : (۲ : ۱۷۰) .
(۱) خاس بالمهد يحبس : غدر ونكت .

(۲) وذلك أن المختار لما أطلقه ابن زياد سجنه خرج إلى الحجاز ، فلقى ابن الزبير ، فقال له : إن
قد جئتك لأباعدك ، على أن لا تقضى الأمور دوني ، وعلى أن أكون في أول من تأذن له ، وإذا ظهرت
استعنت بي على أفضل عملك ، فقال له ابن الزبير : أباعدك على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم
فقال : وشرف غلماني أنت مبايعه على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ! لا والله لا أباعدك أبداً إلا
على هذه الحصال ، قال عباس بن سهل : فالتقت أذن الزبير ، فقلت له : اشتر منه دينه حتى ترى من
رأيتك ، فقال له ابن الزبير : فإن لك ما سألته ، فيبسط يده فإيمه وقاتل معه جند حصين بن نمير حين حاصر
مكة ، فكان أحسن الناس بلاه ، وأعظمهم غناء . (تاريخ الطبري ج ۷ : ص ۶۱) .

وأقام المختار مع ابن الزبير حتى هلك يزيد وانقضى الحصار ، ورجم جند حصين إلى الشام ، واصطاح
أهل الكوفة على عامر بن مسعود بعد ما هلك يزيد يهمل بهم حتى يجتمع الناس على إمام يرضونه ،
لم يابث عامراً إلا شهراً حتى بعث ببيعتهم وبيعة أهل الكوفة إلى ابن الزبير ، فبعث عبد الله بن يزيد الأنصاري
وإبراهيم بن محمد بن طلحة أميرين على الكوفة ، ثم عبد الله بن مطيع ، وكذلك ولي على البصرة ولاة كما
قدها ، ولم يول المختار كما كان ينتظر .

وهو يريد بذلك كفه عنه حتى يستجمع له الأمر ، وهو لا يُطلع الشيعة على شيء من هذا الأمر ، وإذا بلغهم شيء منه أراهم أنه أبعد الناس عن ذلك .

(تاريخ الطبرى ۷ : ۱۳۳)

۱۳۱ - كتاب المختار إلى ابن الزبير

وقال أبو العباس المبرّد في الكامل :

« وروى أن المختار بن أبي عبيد حيث كان والياً لابن الزبير على الكوفة^(۱) ، أتته ابن الزبير ، فولى رجلاً من قريش الكوفة ، فلما أطلّ قال لجماعة من أهلها : اخرجوا إلى هذا المغرور فردوه ، فخرجوا إليه فقالوا : أين تريد ؟ والله لئن دخلت الكوفة ليقطنك المختار ، فرجع ، وكتب المختار إلى ابن الزبير : « إن صاحبك جاءنا ، فلما قاربنا رجع ، فما أدري ما الذى رده ؟ » .

فغضب ابن الزبير على القرشى وعجزه وردّه إلى الكوفة ، فلما شارفها قال المختار : اخرجوا إلى هذا المغرور فردوه ، فخرجوا إليه ، فقالوا : إنه والله قاتلك ، فرجع ، وكتب المختار إلى ابن الزبير بمثل كتابه الأول ، فلام القرشى ، فلما كان فى الثالثة فطن^(۲) ابن الزبير ، وعلم بذلك المختار^(۳) .

(۱) هكذا يروى أبو العباس ، ولكن المختار لم يكن والياً لابن الزبير على الكوفة ، وإنما غلب عليها وأخرج منها عبد الله بن مطيع عامل ابن الزبير كما قدمنا .

(۲) فطن به وإليه وله كبرج ونصر وكرم .

(۳) وروى الطبرى فى هذا الصدد قال :

وأراد ابن الزبير أن يعلم أسلم هو أم حرب ؟ (أى المختار) : فدعا عمر بن عبد الرحمن بن الحارث ابن هشام المخزومى ، فقال له : تجهز إلى الكوفة فقد وليناها ، فقال : كيف وبها المختار ؟ قال : إنه يزعم أنه سامع مطيع ، فتجهز بما بين الثلاثين ألف درهم إلى الأربعين ألفاً ، ثم خرج مقبلاً إلى الكوفة ، وجاء عين المختار من مكة فأخبره الخبر ، فقال له : بكم تجهز ؟ قال بما بين الثلاثين ألفاً إلى الأربعين ألفاً ، فدعا المختار زائدة بن قدامة ، وقال له : احمل معك سبعين ألف درهم ، ضعف ما أنفق هذا فى مسيره إلينا ، وتلقه فى الفاو ، وأخرج معك مسافر بن سعيد الناعلى فى خمسمائة فارس دارع راحع عليهم البيض ، ثم قل له : خذ هذه النفقة فأتها ضعف نفقتك ، فإنه قد بلغنا أنك تجهزت وتكلفت قدر ذلك ، فكررنا

فلما رأى المختار أن ابن الزبير قد فطن لما أراد ، كتب إليه .
من المختار بن أبي عبيد التثني خليفة الوصي محمد بن علي أمير المؤمنين ، إلى
عبد الله بن أسماء .

ثم ملأ الكتاب بسبه وسب أبيه . (الكامل للبرد ۲ : ۱۶۷)

۱۳۲ - كتاب المختار إلى ابن الزبير

وأخبر المختار أن أهل الشام قد أقبلوا نحو العراق ، فخشى أن يأتيه أهل الشام
من قبل المغرب ، ويأتيه مُصعب بن الزبير من قبل البصرة ، فوادع ابن الزبير ،
وداراه وكأيد .

وكان عبد الملك بن مروان - وقد بويع بالخلافة في غرة رمضان سنة ۶۵ هـ -
بعث عبد الملك بن الحارث بن الحكم بن أبي العاص إلى وادي القرى ، والمختار
لابن الزبير مكابيد مَوادِع ، فكتب المختار إلى ابن الزبير :
« أما بعدُ : فقد بلغني أن عبد الملك بن مروان قد بعث إليك جيشاً ، فإن
أحببت أن أميدك بمدد أمددتك » .

۱۳۳ - رد ابن الزبير على المختار

فكتب إليه ابن الزبير :
« أما بعدُ : فإن كنت على طاعتي فليست أكره أن تبعث الجيش إلى بلادى ،
وتبائع لي الناس قبلك ، فإذا أتني ببعثك صدقتُ مقاتلك ، وكففتُ جنودي عن

= أن تفرم نغذها وانصرف ، فإن فعل ، وإلا فأره الخيل ، وقل له : إن وراء هؤلاء مثلهم مائة كتيبة ،
فأخذ زائدة المال ، وأخرج معه الخيل وتلقاه بالمفاوز ، وعرض عليه المال وأمره بالانصراف ، فقال له :
إن أمير المؤمنين قد ولاني الكوفة ، ولا بد من إنفاذ أمره ، فدعا زائدة الخيل ، وقد أكنها في جانب ،
فلما رآها قد أقبلت . قال : هذا الآن أعذر لي ، وأجل بي ، هات المال ، فقال له زائدة ، أما لأنه لم يبعث
به إليك إلا لما بينك وبينه ، فدفعه إليه فأخذه ، ثم مضى راجعاً نحو البصرة - تاريخ الطبري ۷ : ۱۳۳ .

بلادك ، وعجل عليّ بقسريح الجيش الذي أنت باعته ، ومُرهم فليسيروا إلى من
بوادى القرى من جند ابن مروان ، فليقاتلهم ، والسلام .

فسرّح المختار شَرَحْبِيل بن وَرْس في جيش ، وقال له : سر حتى تدخل المدينة ،
فإذا دخلتها فاكتب إلىّ بذلك حتى يأتيك أمرى - وهو يريد إذا دخلوا المدينة أن يبعث
عليهم أميراً من قبله ، ويأمر ابن ورس أن يمضي إلى مكة حتى يحاصر ابن الزبير
ويقاتله - وخشيَ ابن الزبير أن يكون المختار إنما يكيدُه ، فبعث من مكة إلى المدينة
عباس بن سهل بن سعد في جيش ، وقال له : إن رأيت القوم في طاعتي فاقبل منهم ،
وإلا فكايدهم حتى تهلكهم ، فاقبل ابن سهل حتى لقي ابن ورس بالرقم^(۱) ، فدعاه
أن يسير معه لئلا جند ابن مروان بوادى القرى ، فأبى وقال : إنما أمرتُ أن أسير حتى
آتي المدينة ، فإذا نزلتها رأيت رأيي ، فكايدَه ابن سهل حتى أخذه على غيرة وقتله ،
وأخن أصحابه وأوسمهم قتلاً^(۲) .

(تاريخ الطرى ۷ : ۱۲۴)

(۱) موضع بالمدينة .

(۲) وذلك أن عباس بن سهل لما وافى الرقم ، وجد ابن ورس على الماء قد عي أصحابه تعبياً القتال ،
فدنا منهم فلم عليهم ، ثم قال : اخل معي ها هنا بخلاجه ، فقال له : رحك الله ، ألسنت في طاعة ابن الزبير؟
فقال له ابن ورس : بلى ، قال : فسرتنا إلى عدوه هذا الذي بوادى القرى ، فإن ابن الزبير حدثني أنه
لما أشخصكم صاحبكم إليهم ، قال ابن ورس : ما أمرت بطاعتك ، إنما أمرت أن أسير إلى المدينة ، فإذا
نزلتها رأيت رأيي ، قال له ابن سهل : فإن كنت في طاعة ابن الزبير فقد أمرني أن أسير بك وبأصحابك
إلى عدونا الذين بوادى القرى ، فقال له ابن ورس : ما أمرت بطاعتك وما أنا بتبعك دون أن أدخل
المدينة، ثم أكتب إلى صاحبي فيامرني بأمره ، فلما رأى عباس بن سهل لجأته عرف خلافه، فكره أن يعلمه
أنه قد فعلن له ، فقال : فرأيك أفضل ، اعمل بما بدالك ، فأما أنا فاسألي وادى القرى ، ثم جاء ابن
سهل فنزل بالماء ، وبعث إلى ابن ورس بجزائر كانت معه (جمع جزور) فأهداها له ، وبعث إليه بدقيق
وغنم مساخته ، وكان ابن ورس وأصحابه قد هلكوا جوعاً، فبعث عباس بن سهل إلى كل عشرة منهم شاة .
فدبحوها واشتغلوا بها واختلطوا على الماء ، وترك القوم تعبيتهم ، وأمن بعضهم بعضاً ، فلما رأى ابن سهل
مام فيه من الشغل جمع من أصحابه نحواً من ألف رجل من ذوى البأس والنجدة، ثم أقبل نحو فسطاط ابن ورس،
فلما رآهم ابن ورس متقبلين إليه نادى في أصحابه . فلم يتواف إليه مائة رجل ، فاقبلوا إلا شيئاً لبس بشيء
حتى قتل ابن ورس وكثير من أصحابه .

۱۳۴ - كتاب المختار إلى ابن الحنفية

فلما بلغ المختار أمرهم كتب إلى ابن الحنفية :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعدُ : فإني كنت بعثتُ إليك جنداً ، لئذِ لولا لك الأعداء ، ولِيَحُوزُوا لك البلادَ ، فساروا إليك حتى إذا أطلُّوا على طَيْبَةِ^(۱) ، لقيهم جندُ المُلجِدِ^(۲) ، فخدعوهم بالله ، وغرُّوهم بعهد الله ، فلما اطمانوا إليهم ، ووَثِقُوا بذلك منهم ، وثبوا عليهم فقتلوهم ، فإن رأيتَ أن أبعثَ إلى أهل المدينة من قبلي جيشاً كَثِيفاً ، وتبعثَ إليهم من قبلك رُسُلاً ، حتى يعلمَ أهلُ المدينة أني في طاعتك ، وإنما بعثتُ الجندَ إليهم عن أمرِك ، فافعلْ ، فإنك ستجدُ عَظَمَهُم بِحَقِّكُمْ أَعْرَفَ ، وبكم - أهلَ البيت - أَرَأَفَ منهم بآل الزبير الظَّالِمَةِ المُلجِدِينَ ، والسلام عليك . »

(تاريخ الطبري ۷ : ۱۳۵)

۱۳۵ - رد ابن الحنفية على المختار

فكتب إليه ابن الحنفية :

« أما بعدُ : فإن كتابك لما بلغني قرأته ، وفهمت تعظيمك لحيي ، وما تنوى به من سروري ، وإن أحبَّ الأمور كلها إلى ما أطيعَ الله فيه ، فأطيعَ الله ما استطعتَ فيما أعلنتَ وأسررتَ ، واعلم أني لو أردت القتال لوجدتُ الناسَ إلى سِراءِنا ، والأعوانَ لي كثيراً ، ولكنني أعتزُّ لهم ، وأصبرُ حتى يحكم الله لي وهو خير الحاكمين^(۳) . »

(تاريخ الطبري ۷ : ۱۳۵)

(۱) المدينة المنورة . (۲) يزيد ابن الزبير .

(۳) وكان محمد بن الحنفية قد أبى أن يبايع ابن الزبير، إذ كره البيعة لمن لم تجتمع عليه الأمة ، وكان ابن الزبير يفضله ويحسده على أيده وقوته، فبسه مع بضعة عشر رجلاً من بني هاشم منهم عبد الله بن عباس والحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب في سجن عارم، وقال: لتبايعن أو لأحرقنكم، وأعطى الله عهداً إن لم يبايعوا أن ينفذ فيهم ما نودعهم به ، وضرب لهم في ذلك أجلاً ، فكتب ابن الحنفية إلى المختار وأهل الكوفة =

۱۳۶ - کتاب ابن الحنفیة إلى الشيعة بالكوفة

وأخبر ابن الحنفیة بخبر نفر من غلاة الشيعة بالكوفة ، فكتب إلى الشيعة يحذّره
هؤلاء الغلاة :

« من محمد بن علی إلى من بالكوفة من شیعتنا ، أما بعدُ : فأخرجوا إلى المجالس
والمساجد ، فاذكروا الله علانية ومیرًا ، ولا تتخذوا من دون المؤمنین بطانة ، فإن
خشیتم علی أنفسكم فأحذروا علی دینکم الكذابين ، وأكثروا الصلاة والصیام
والدعاء ، فإنه ليس أحدٌ من الخلق یملك لأحد ضرًا ولا نفعًا إلا ما شاء الله ، وكل
نفس بما كسبت رهينة ، وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ، والله قائم علی كل نفس
بما كسبت ، فاعملوا صالحًا وقدّموا لأنفسكم حسنًا ، ولا تكونوا من الغافلين ،
والسلام علیکم » .

ثم إن ابن الزبير عزل الحارث بن عبد الله عن البصرة ، وولّاهم أخاه مصعب
ابن الزبير (سنة ۶۷) وقدم علی مصعب أشرف الكوفة ، فألوه أن يسير معهم
إلى المختار ، فسار إليه وقاتله ، وانهمز أصحاب المختار ، وقتل (في رمضان سنة ۶۷ هـ) .
(تاریخ الطبری ۷ : ۱۵۳)

== يعلم حاله وحال من معه ، وماتوا عنهم به ابن الربيع من القتل والتجريق بالنار ، وبألمهم ألا يخذلوه كما خذلوا
الحسين وأهل بيته ، فوجه إليه جماعة من أصحابه عليهم أبو عبد الله الجدلي ، وكانوا يسرون الليل ويكنون
النهار ، حتى انتهوا إلى مكة ، وقد أعد ابن الزبير الخطب ليعرقهم ، وكان قد بقي من الأجل يومان ،
فكسروا سجن عارم واستخرجوا منه ابن الحنفیة ومن معه ، وقالوا له : حل بيننا وبين عدو الله ابن
الزبير ، فقال لهم : إني لا أستحل القتال في حرم الله ، وخرج هو وأصحابه إلى شعب علی .

- انظر تاریخ الطبری ۷ : ۱۳۶ والكامل للمبرد ۲ : ۱۶۸ والعقد الفريد ۲ : ۲۶۸ وشرح
ابن أبي الحديد ۴ : ص ۴۸۷ ومروج الذهب ۲ : ۱۰۰ .

۱۳۷ - کتاب عبد الله بن الزبير إلى عبد الله بن عباس

وروی المدائنی قال :

لما أخرج عبدُ الله بن الزبير عبدَ الله بن عباس من مكة إلى الطائف ، تلقاه أهلها ، فقالوا : مَرَّحَبًا بابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله ، أنت والله أحبُّ إلينا وأكرم علينا مِمَّنْ أخرجك ، هذه منازلنا تخيرها ، فانزل منها حيث أحببت ، فنزل منزلاً ، فكان يجلس إليه أهلُ الطائف بعد الفجر وبعد العصر ، فيتكلم بيدهم ، كان يحمدهم ، ويذكر النبي صلى الله عليه وآله والخلفاء بعده ، ويقول : ذهبوا فلم يدعوا أمثالهم ، ولا أشباههم ، ولا من يُدانيهم ، ولكن بقي أقوام يطلبون الدنيا بعمل الآخرة ، ويطلبسون جلود الضأن تحتها قلوبُ الذئاب والنمور ، ليظن الناس أنهم من الزاهدين في الدنيا ، يُراءون الناس بأعمالهم ، ويسخطون الله بسرايرهم ، فادعوا الله أن يقضي لهذه الأمة بالخير والإحسان ، فيوَلِّي أمرها خيارها وأبرارها ، ويُهْلِك فُجَّارها وأشرارها ، ارفعوا أيديكم إلى ربكم وسلِّموا ذلك ، فيعلمون ، وبلغ ذلك ابنَ الزبير ، فكتب إليه :

« أما بعدُ : فقد بلغني أنك تجلس بالطائف العَصْرَيْن^(۱) ، فتفتقيرهم بالجهل ، تعيب أهلَ العقل والعلم ، وإن حِلْمِي عليك ، واستدامتي قَيْتِكَ ، جَرَّ آكَ عَلِيٌّ ، فَكَتُفٌ - لَا أَبَا لِفَيْرِكَ - مِنْ غَرْبِكَ^(۲) ، وَأَرْبَعٌ عَلَى ظَلَمِكَ^(۳) ، وَأَعْقِلْ إِنْ كَانَ

(۱) العصران : الغداة والعشي ، ومنه حديث علي رضي الله عنه « ذكرهم بأيام الله واجلس لهم العصرين » أي بكرة وعشيا . وفي الحديث : « حافظ على العصرين » يريد صلاة الفجر وصلاة عصر سماها العصرين لأنهما يتعان في طرفي العصرين وهما الليل والنهار ، والأشبه أنه غلب أحد الاسمين على الآخر ، كالعمرين لأبي بكر وعمر ، والقمرين للشمس والقمر .

(۲) الغرب : الحدة .

(۳) أربع كنع : وقف وانتظر وتحمس ، وظلم البعير كنع ظلماً : غمز في مشبه ، ويقال : أربع على ظلمك : أي إنك ضعيف فانتبه عما لا تطيقه .

لك معقول^(۱) ، وأكرم نفسك ، فإنك إن تُهِنها تجدها على الناس أعظم هواناً ،
ألم تسمع قول الشاعر :

فنفستك أكرمها فإنك إن تهينُ عليك فان نلتقى لها الدهر مُكرماً
وإني أقسم بالله لئن لم تنته عما بلغني عنك ، لتجدن جاني خسناً ، ولتجدنني إلى
ما برَدَعك عني سجلاً فإن أشقى^(۲) بك شقاؤك على الردى ، فلا تلم إلا نفسك .
(شرح ابن أبي الحديد م ۴ : ص ۴۸۷)

۱۳۸ - رد ابن عباس عليه

فكتب إليه ابن عباس :

« أما بعد فقد بلغني كتابك ، قلت : إني أفتي الناس بالجهل ، وإتما يقتي بالجهل
من لم يعرف من العلم شيئاً ، وقد آتاني الله من العلم ما لم يؤتِكَ ، وذكرت أن
حلمك عني واستدامتك فني جرءاًني عليك ، ثم قلت : اكف من غربك ، وأربع
على ظلك ، وضربت لي الأمثال « أحاديث الضبع^(۳) » متى رأيتني لعرامك^(۴)
هابياً ، ومن حدك ناكلاً^(۵) ؟ قلت : لئن لم تكف لتجدن جاني خسناً ،
فلا أبق الله عليك إن أبيت ، ولا أرعى عليك إن أرعيت^(۶) ، فوالله
لا أنتهي عن قول الحق ، وصفة أهل العدل والفضل ، وذم الأخسرين أعمالاً
الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، والسلام .
(شرح ابن أبي الحديد م ۴ : ص ۴۸۸)

(۱) معقول : عقل . (۲) أشقى : أشرف .

(۳) في الأمثال « أحاديث الضبع استها » يزعمون أن الضبع تترغ والذاب ، ثم تقى . « أقمى
الكلب : جلس على استه » فتنفى بما لا يفهمه أحد ، فذلك أحاديث استها ، وهو مثل يضرب
للمخاطب في حديثه .

(۴) عرام الجيش : حديثهم وشدتهم وكثرتهم .

(۵) نكل عنه كضرب ونصر وعلم نكولا : فكس وجن .

(۶) أرعى عليه : أبق .

خلافة عبد الملك بن مروان

(سنة ٦٥ - ٨٦ هـ)

١٣٩ - كتاب عبد الملك إلى عمرو بن سعيد بن العاص

ولما خرج عبد الملك بن مروان سنة ٦٩ هـ لقتال زفر بن الحارث الكلابي^(١) بقرقيسيا^(٢)، غلب عمرو بن سعيد بن العاص^(٣) على دمشق، ودعا الناس إلى بيعته^(٤)، وكتب عبد الملك إليه حين خرج عليه :

(١) وذلك أنه لما مات معاوية الثاني بايع أهل دمشق الضحاك بن قيس الفهري على أن يصلى بهم، ويقيم لهم أمرهم، حتى يجتمع أمر الأمة، وكان يهوى هوى ابن الزبير ويعمل لنصرته سرا إذ كان بنو أمية بحضرته، وكذلك كان النعمان بن بشير الأصباري وهو على حمص، وزفر بن الحارث الكلابي وهو على قنسرين، وناتل بن قيس وهو على فلسطين يدعون إلىبيعة ابن الزبير، ثم نشبت الحرب بين جيش الضحاك وجيش مروان ابن الحكم في مرج راهط (سنة ٦٤ هـ) ودارت الدائرة على جيش الضحاك وقتل هو وعامة أصحابه وانهمزم بقتلهم ففرقوا وفر زفر بن الحارث هاربا إلى قرقيسيا فأجتهت عت إليه قيس فرأسوه عليهم .

(٢) قرقيسيا بباءين ويقال بباء واحدة (قرقيساء) : بلد على الفرات .

(٣) هو عمرو بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الملقب بالأشدق لفصاحته، وولاه معاوية مكة، وولاه يزيد مكة والمدينة .

(٤) وذلك أنه لما كانت الفتنة بعد موت معاوية الثاني، وانحاز الضحاك بن قيس عن مروان بن الحكم واستمال الناس ودعا إلى ابن الزبير، التقى مروان وعمرو بن سعيد بن العاص، فقال عمرو لمروان هل لك فيما أقوله لك؟ فهو خير لي ولك، فقال مروان: وما هو؟ قال: أدعو الناس إليك وآخذها منك على أن تكون لي من بعدك، فقال مروان: لا، بل بعد خالد بن يزيد بن معاوية. فرضى عمرو بذلك، ودعا الناس إلىبيعة مروان فأجابوا، وبايع مروان بعده لخالد بن يزيد، ولعمرو بن سعيد بعد خالد، ثم مات مروان وخلفه عبد الملك. ولما اعتزم عبد الملك أن يخرج إلى العراق لقتال زفر بن الحارث سنة ٦٩ هـ وقيل لقتال مصعب بن الزبير سنة ٧٠ هـ - قال له عمرو: إنك تخرج إلى العراق وقد كان أبوك وعدن هذا الأمر من بعده، وعلى ذلك جاهدت معه، وقد كان من بلائي ما لم يخف عليك، فأجعل لي هذا الأمر من بعدك، فلم يجبه عبد الملك إلى شيء، فلما خرج عبد الملك أغلق عمرو بن سعيد دمشق وخالف عليه، - قيل: كان عبد الملك قد استخلفه عليها، وقيل: لأنه خرج مع عبد الملك ثم عاد إلى دمشق ليلا فغاب عليها - ففكر عبد الملك راجعا إلى دمشق وحاصرها حتى صالح عمرا على أنه الخليفة بعده ففتح له دمشق، ثم إن عبد الملك احتال له حتى قتله .

« أما بعد : فإن رحمتي لك ، تصرفني عن الغضب عليك ، لتمسكن الخدع منك ،
 وخذلان التوفيق إياك ، نهضت بأسباب وهمتك أطعائك أن تستفيد بها عزاً ، وكنت
 جديراً - لو اعتدلت - أن تدفع^(۱) بها ذلاً ، ومن رحان عنه حُسن النظر ، واستوطنته
 الأمانى ، ملك الحين^(۲) تصرفه ، واستترت عنه عواقب أمره ، وعن قاييل يقبين من
 سلك سبيلك ، ونهض بمنال أسبابك ، أنه أسير غفلة ، وصريع خدع ، ومغيب ندم ،
 والرحيم^(۳) تحمل على الصفح عنك ، ما لم تحلل بك عواقب جهلك ، وتزجر عن الإيقاع
 بك ، وأنت إن ارتدعت كنت في كنفٍ ومسترٍ ، والسلام » .

وقال المسعودى : وكان فيما كتب إليه عبد الملك :

« إنك لتطمع نفسك بالخلافة ، ولست لها بأهل » :

۱۴۰ - رد عمرو بن سعيد على عبد الملك

فكتب إليه عمرو :

« استدراج النعم إياك أفادك البغى ، ورائحة القدرة أوزمتك الغفلة ، رجرت
 عما وافقت عليه ، وندبت إلى ما تركت سبيله ، ولو كان ضعف الأسباب يؤيس
 الطلأب ، ما أنتقل سلطان ولا ذلَّ عزيز ، وعن قريب تنبئ : من أسير الغفلة ،
 وصريع الخدع ، والرحيم تعطف على الإبقاء عليك مع دفعك عما غيرك أقوم به منك ،
 والسلام » ،

(البيان والنبين ۳ : ۲۲۹ ، مروج الذهب ۲ : ۱۱۶)

(۱) فى الأصل « أن لا تدفع » وهو خطأ .

(۲) الحين : الملاك . (۳) الرحيم : القراية .

(۹ - مجلة رسائل العرب - نانى)

حروب الخوارج الأزارقة

١٤١ - كتاب خالد بن عبد الله بن أسيد إلى

عبد الملك بن مروان

ولما دانت العراق لعبد الملك بن مروان بعد مقتل مصعب بن الزبير سنة ٥٧١ هـ ،
وُلِّيَ على الكوفة أخاه بشر بن مروان ، وولِّيَ على البصرة خالد بن عبد الله بن خالد
ابن أسيد^(١) ، وخرج خالد إلى الأهواز ، وندب للناس رجلاً يقاتل الأزارقة ، فجعلوا
يطلبون المهلب ، فقال خالد : ذهب المهلب بحظ هذا المصر ، إني قد وليت أخى قتال
الأزارقة ، فوُلِّيَ أخاه عبد العزيز بن عبد الله ، وجعل المهلب على خراج الأهواز ، ومضى
عبد العزيز في ثلاثين ألفاً ، فجعل يقول في طريقه : يزعم أهل البصرة أن هذا الأمر
لا يتم إلا بالمهلب ! فسيعلمون ، ثم ناهض الأزارقة فكأيدوه^(٢) وهزموه ، واتبعوا جنده
يقتلونهم كيف شاءوا ، وسبوا امرأته ، ثم قتلوها^(٣) ، وبلغ خالداً خبر الهزيمة فكتب
إلى عبد الملك بن مروان :

(١) هو خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ،
ولاه عبد الملك البصرة سنة ٥٧١ هـ وعزله عنها سنة ٥٧٤ هـ .
(٢) وذلك أنهم واقفوه ساعة ثم انهزموا عنه مكيدة ، فاتبعهم ، فقال له الناس : لا تتبعهم فإننا على
غير تعبئة فأبى ، فلم يزل في آثارهم حتى اقتحموا عقبة فافتحمها وراءهم ، والناس ينهونه ويأبى ، وكان لهم
في بطن العقبة كمين ، فلما صاروا وراءهم خرج عليهم الكمين ، وانحاز عبد العزيز واتبعهم الخوارج
يقتلونهم كيف شاءوا .

(٣) وكان عبد العزيز قد خرج بامرأته أم حفص بنت المنذر بن الجارود ، فسي الخوارج النساء
يومئذ ، وكانت أم حفص بمن سبين ، فأقاموها في السوق حائرة بادية الخاسن ، فاعترضوها وقلبوها ،
وكانت من أكل الناس كمالاً وحسناً ، فترأيت فيها العرب والموالي ، وغوى بها حتى بلغوها تعين ألفاً =

« أما بعد ، فإني أخبر أمير المؤمنين - أكرمه الله - أني بعثتُ عبد العزيز ابن عبد الله في طلب الخوارج ، وأنهم لقوه بفارس ، فاقتتلوا قتالا شديداً ، فانهزم عبد العزيز لما انهزم عنه الناس ، وقتل مقاتل بن مسمع^(۱) ، وقدم البتل^(۲) إلى الأهواز ، فأحببتُ أن أعلم أمير المؤمنين ذلك ، ليأتيني رأيه وأمره أنزل عنده إن شاء الله ، والسلام عليك ورحمة الله » . (تاريخ الطبري ۷ : ۱۹۳)

۱۴۲ - رد عبد الملك عليه

فكتب إليه عبد الملك بن مروان :

« أما بعد ، فقد قدم رسولك في كتابك^(۳) ، تعلمني فيه بمشك أخاك على قتال الخوارج ، وهزيمة من هزم ، وقتل من قتل ، وسألت رسولك عن مكان المهلب ، فحدثني أنه عامل لك على الأهواز ، فبيع الله رأيك ! حين بعثت أخاك أعرابيا من أهل مكة على القتال ، وتدع المهلب إلى جنبك يجي الخراج ، وهو الميمون النقيبة^(۴) ، الحسن السياسة ، البصير بالحرب ، المقاسي لها ، ابنها وابن أبنائها ، انظر أن تنهض بالناس ، حتى تستقباهم بالأهواز ومن وراء الأهواز ، وقد بعثتُ إلى بشر أن يمدك بجيش من أهل الكوفة ، فإذا أنت لقيت عدوك فلا تعمل فيهم برأى ، حتى تحضره المهلب وتستشيره فيه إن شاء الله ، والسلام عليك ورحمة الله » .

== فقار رجل من قومها « عبد النيس » وكان من رهوس الخوارج يقال له أبو الحديد العدي ، فقال : تنحوا هكذا ، ما أرى هذه المشركة إلا قد فتنكم ، فضرب عنقها ، فأخذوه إلى أميرهم قطري بن الفخاءة فقالوا : يا أمير المؤمنين ، إن هذا استهاك تسعين ألفاً من بيت المال ، وقتل أمة من إمام المؤمنين ، فقال : يا أمير المؤمنين إنني رأيت هؤلاء تنازعوا عليها حتى ارتفعت الأصوات ، واحمرت الحدق ، فلم يبق إلا الحط بالسيوف ، فرأيت أن تسعين ألفاً في جنب ما خشيت من الفتنة بين المسلمين هينة ، فقال قطري : قد أصبت وأحسنت ، خلوا عنه ، عن من عيون الله أصابتها .

(۱) وكان خالد بن عبد الله بنه على جيش وألقه بناحية عبد العزيز . (۲) أي المنهزمون .

(۳) في هنا المصاحبة كما في قوله تعالى « قال ادخلوا في أمم » .

(۴) النقيبة : الدهس والمشورة .

فَشَقَّ عَلَيْهِ أَنْ فَيَّلَ^(۱) رَأْيَهُ فِي بَعْثَةِ أَخِيهِ وَتَرَكَ الْمُهَلَّبَ ، وَفِي أَنَّهُ لَمْ يَرْضَ رَأْيَهُ خَالصًا حَتَّى قَالَ : أَحْضِرْهُ الْمُهَلَّبَ ، وَاسْتَشِرْهُ فِيهِ . (تاريخ الطبري ۷ : ۱۹۳)

۱۴۳ - كتاب عبد الملك بن مروان إلى أخيه بشر

وكتب عبد الملك إلى أخيه بشر بن مروان :

« أما بعدُ فإني قد كتبت إلى خالد بن عبد الله أمرُهُ بالتهوض إلى الخوارج ، فسرَّح إليه خمسة آلاف رجل ، وابتعث عليهم رجلاً من قبلك ترضاه ، فإذا قضوا غزاتهم^(۲) تلك ، صرفتهم إلى « الرمي »^(۳) فقاتلوا عدوهم ، وكانوا في مسألهم^(۴) وجبوا قبيتهم ، حتى تأتي أيام عقيهم ، فتعفيهم وتبعث آخرين مكانهم .
فقطع على أهل الكوفة خمسة آلاف ، وبعث عليهم عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ، وقال : إذا قضيت غزاتك هذه فانصرف إلى « الرمي » وكتب له عليها عهداً .

(تاريخ الطبري ۷ : ۱۹۳)

۱۴۴ - كتاب خالد بن عبد الله بن أسيد إلى عبد الملك

وخرج خالد بأهل البصرة حتى قدم الأهواز ، وجاء عبد الرحمن بن الأشعث يبعث^(۵) أهل الكوفة حتى وافاهم بالأهواز ، وجاءت الأزارقة حتى دنوا من مدينة الأهواز ومن معسكر القوم ، فزحف إليهم خالد فرأوا أمرهم من عدد الناس وعدتهم ، فانهزموا مولين ، وأتبعهم خالد داود بن قحذم في جيش من أهل البصرة ، وانصرف هو إلى البصرة ، وكتب إلى عبد الملك بن مروان :

« أما بعدُ ، فإني أخبر أمير المؤمنين - أصلحه الله - أنني خرجت إلى الأزارقة الذين مرقوا من الدين ، وخرجوا من ولاية السهين ، فالتقينا بمدينة الأهواز ،

(۱) فيل رأيه : قبجه وخطاه . (۲) الغزاة : اسم من غزا العدو غزوا .

(۳) مدينة كبيرة في فارس وكانت قسبة بلاد الجبال . (۴) جمع ملاحاة بالفتح ، وهي الثغر .

(۵) البعث ويمحرك : الجيش .

فتناهضنا فافتتنا كأشد قتال كان في الناس ، ثم إن الله أنزل نصره على المؤمنين والمسلمين ، وضرب الله وجوه أعدائه ، فاتبعهم المسلمون يقتلونهم ولا يُمنعون ولا يمتنعون ، وأفاء الله ما في عسكرهم على المسلمين ، ثم أتبعتم داود بن قحذم ، والله - إن شاء الله - مُهْدِكهم ومُستأصِلهم ، والسلام عليك . (تاريخ الطبري : ۷ : ۱۹۴)

۱۴۵ - كتاب عبد الملك إلى أخيه بشر

فلما قَدِمَ هذا الكتاب على عبد الملك كتب إلى أخيه بشر :
« أما بعدُ ، فابعث من قبلك رجلاً شجاعاً بصيراً بالحرب في أربعة آلاف فارس ، فليسيروا إلى « فارس » في طلب المارقة ، فإن خالداً كتب إليّ يخبرني أنه قد بعث في طلبهم داود بن قحذم ، فمرُّ صاحبك الذي تبعثُ أن لا يخالف داود بن قحذم إذا ما التقيا ، فإن اختلاف القوم بينهم عمونٌ لعدوهم عليهم ، والسلام عليك . »

فبعث بشر عتَّاب بن ورقاء في أربعة آلاف فارس من أهل الكوفة ، فخرجوا حتى التَقوا هم وداود بن قحذم بأرض فارس ، ثم اتبعوا القوم يطلبونهم حتى نفقت^(۱) خيول عامتهم ، وأصابهم الجهد والجوع ، ورجع عامة ذينك الجيشين مُشاةً إلى الأهواز . (تاريخ الطبري : ۷ : ۱۹۴)

هذه رواية الطبري في هذا الصدد ، وروى أبو العباس المبرد في الكامل كتاب عبد الملك الذي ردَّ به على خالد بن عبد الله بن أسيد بصورة أخرى قال :

صورة أخرى لرد عبد الملك على خالد

وكتب خالد إلى عبد الملك بُذِر عبد العزيز ، وقال للمهَّاب : ما تُرى عبد الملك صانعاً بي ؟ قال : يعزلك ، قال : أتراه قاطعاً رَحْمِي ؟ قال : نعم ، أنته هزيمة أمية أخيك

(۱) ماتت .

من البَحْرين^(۱)، وتأتيه هزيمة أخيك عبد العزيز من فارس! فكتب عبد الملك إلى خالد: «أما بعدُ، فإني كنت حَدَدْتُ لكَ حَدًّا في أمر المهلب، فلما ملكتَ أمرَكَ نَبَذْتَ طاعتي واستبددت برأيتك، فوليتَ المهلبَ الجلبايةَ، ووليتَ أخاك حربَ الأزارقةَ، فقبح اللهُ هذا رأيا! أتبعثُ غلاما غيرًا لم يجرب الحروبَ، وتترك سيدا شجاعا مدبرًا حازما قد مارس الحروبَ فَفَاجِح^(۲)، تشغله بالجلبية؟ أما لو كافأناكَ على قدر ذنبك لَأَتَاكَ من نَكِيرِي مَالًا بَقِيَّةَ لكَ معه، ولكن تَذَكَّرْتُ رَحِمَكَ^(۳) فَلَقَمْتَنِي عنك، وقد جعلتُ عقوبتَكَ عزلك، والسلام.»

(الكامل للبرد: ۲۱۰، وشرح ابن أبي الحديد م: ۱: ص ۳۹۵)

۱۴۶ - كتاب عبد الملك إلى أخيه بشر

قال أبو العباس: وولى بشر بن مروان وهو بالكوفة، وكتب إليه: «أما بعدُ، فإنك أخو أمير المؤمنين يجمعك وإياه مروان بن الحكم، وإن خالدًا لا يجتمع له مع أمير المؤمنين دون أمية^(۴)، فانظر المهلب فواله حرب الأزارقة، فإنه سيد بطل مجرب، فأمدده من أهل الكوفة بثمانية آلاف رجل، والسلام.»

(الكامل للبرد ۲: ۲۱۱ وشرح ابن أبي الحديد م: ۱: ص ۳۹۵)

(۱) وذلك أن أبا فديك الخارجي وهو من بني قيس بن ثعلبة غلب على البحرين سنة ۷۲ هـ وقتل نجدة بن عامر الحنفي (زعيم فرقة النجدات الماذرية من الخوارج) فاجتمع على خالد بن عبد الله نزول قطري ابن الفجاءة (زعيم الأزارقة) الأهواز وأمر أبي فديك، فبعث أخاه أمية بن عبد الله على جند كثيف إلى أبي فديك فهزمه أبو فديك، وأخذ جارية له فاتخذها لنفسه، وسار أمية على فرس له حتى دخل البصرة في ثلاثة أيام فكتب خالد إلى عبد الملك بحاله وحال الأزارقة. (انظر تاريخ الطبري ۷: ۱۱۹۵.)

(۲) فاز وظفر.

(۳) الرحم: القرابة، وافتقني أي صرفتني ورددتني، وفي رواية ابن أبي الحديد «فكفنتني عنك»

(۴) قدمنا أن خالدًا هو ابن عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، وعبد الملك هو ابن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية الخ

۱۴۷ - کتاب عبد الملك إلى أخيه بشر

وننعد إلى رواية الطبري ، قال :

« وفي سنة ۷۴ هـ عزل عبد الملك خالد بن عبد الله عن البصرة وولاهم أخاه بشر بن مروان ، فصارت ولايتها وولاية الكوفة إليه ، فشخص بشر إلى البصرة ، واستخلف على الكوفة عمرو بن حريث .

فلما صار بشر بالبصرة كتب عبد الملك إليه :

« أما بعد ، فابعث المهلب في أهل مصره إلى الأزارقة ، ولينتخب من أهل مصره وجوهمهم وفرسانهم وأولى الفضل والتجربة منهم ، فإنه أعرف بهم ، وخله ورأيه في الحرب ، فإني أوثقُ شيء بتجربته ونصيحته للمسلمين ، وابعث من أهل الكوفة بعثاً كثيفاً ، وابعث عليهم رجلاً معروفاً شريفاً حسيباً صليباً يُعرف بالبأس والنجدة والتجربة للحرب ، ثم أنهيض إليهم أهل المصريين فليتبعوهم أي وجه ما توجهوا ، حتى يُبيدهمُ اللهُ ويستأصلهم ، والسلام عليك . »

فدعا بشر المهلب فأقرأه الكتاب وأمره أن ينتخب من شاء ، وشقَّ على بشر أن يُمرَّه المهلب جاءت من قبل عبد الملك ، فلا يستطيع أن يبعث غيره ، فأوغرت صدره عليه حتى كأنه كان له إليه ذنب ، ودعا بشر عبد الرحمن بن مخنف ، فبعثه على أهل الكوفة ، وأمره أن ينتخب فرسان الناس ووجوهمهم ، وأولى الفضل منهم والنجدة .

(تاريخ الطبري ۷ : ۲۰۷)

۱۴۸ - کتاب خالد بن عبد الله بن أسيد إلى

المرفضين من الجند

وخرج المهلب بأهل البصرة حتى نزل رامهرمز فلقى بها الخوارج ، وأقبل عبد الرحمن بن مخنف بأهل الكوفة ، فلم يلبث الناس إلا عشرًا^(۱) حتى أتاهم نعي بشر ابن مروان ، وتوفي بالبصرة ، وكان قد استخلف خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد ، فارفض^(۲) ناس كثير من أهل البصرة وأهل الكوفة ، فبلغ ذلك خالدًا ، فكتب إلى الناس كتابًا ، وبعث رسولاً يضرب وجوه الناس ويردهم ، فقدم بكتابه مؤثلي له ، فقرأه على الناس وقد جمعوا له ، وفيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من خالد بن عبد الله إلى من بلغه كتابي هذا من المؤمنين والمسلمين ، سلام عليكم ، فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد : فإن الله كتب على عباده الجهاد ، وفرّض طاعة ولاة الأمر ، فمن جاهد فإنما يجاهد لنفسه ، ومن ترك الجهاد في الله كان الله عنه أغنى ، ومن عصى ولاة الأمر والقوام بالحق أسخط الله عليه ، وكان قد استحق العقوبة في بشره^(۳) ، وعرض نفسه لاستفاءة^(۴) ماله ، وإتلاء عطائه ، والقسير إلى أبعـد الأرض وشر البلدان .

أيها المسلمون : اعلوا على من اجترأتم ، ومن عصيتم ؟ إنه عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين الذي ليست فيه غمزة^(۵) ، ولا لأهل المعصية عنده رخصة^(۶) ، سوطه على

(۱) وفي رواية الكامل « إلا شهرا » .

(۲) تفرق ، قال المبرد : « حمل الجند من أهل الكوفة يتسللون حتى اجتمعوا بسوق الأهواز ، وأراد أهل البصرة الانسلا من المهلب فخطبهم فقال : إنكم لستم كأهل الكوفة ، إنما تذبون عن مصركم وأموالكم وحرمةكم ، فأقام منهم قوم ، وتسل منهم ناس كثير » .

(۳) البشر : ظاهر الجلد مع بشرة أي استحق الجلد والضرب .

(۴) أي الاستيلاء عليه ، يقال : فاه الغنجة واستفاهها .

(۵) يقال : فيه غمزة وغمزة : أي مطعن أو مطعم . (۶) الرخصة : التسهيل .

من عَصَى ، وعلى من خالف سيفه ، فلا تجعلوا على أنفسكم سبيلا ، فإنى لم آلكم نصيحة^(۱) .

عباد الله : ارجعوا إلى مكاتبكم^(۲) ، وطاعة خليفتم ، ولا ترجعوا عاصين مخالفين فيأتىكم ما نكرهون ، أقسم بالله لا أثقف^(۳) عاصياً بعد كتابى هذا إلا قتلته ، إن شاء الله ، والسلام عليكم ورحمة الله .

فلما فرغ من قراءته لم يلتفت الناس إلى ما فى كتابه . (تاريخ الطبرى ۷ : ۲۰۸)

۱۴۹ - كتاب المرفضين إلى عمرو بن حريث

وأقبل فريق منهم حتى نزلوا قرية لآل الأشعث إلى جانب الكوفة ، وكتبوا إلى عمرو بن حريث :

« أما بعد : فإن الناس كئنا بلغهم وفاة الأمير - رحمة الله عليه - تفرقوا ، فلم يبق معنا أحد ، فأقبلنا إلى الأمير وإلى مضرنا ، وأحببنا ألا ندخل الكوفة إلا بإذن الأمير وعلمه . » (تاريخ الطبرى ۷ : ۲۰۸)

۱۵۰ - رد عمرو بن حريث عليهم

فكتب إليهم :

« أما بعد : فإنكم تركتم مكاتبكم وأقبلتم عاصين مخالفين ، فليس لكم عهدنا إذن ولا أمان . »

فانتظروا حتى إذا كان الليل دخلوها بغير إذن ، فلم يزل المهلب فى عدد قليل حتى ولى الحجاج بن يوسف العراق (سنة ۷۵ هـ) . (تاريخ الطبرى ۷ : ۲۰۸)

(۱) ألا يالو : قصر ، أى لم أقصر فى نصيحتكم .
(۲) ضبط فى الأصل كقعد ، وأرى أنه إما اسم فاعل من كتب بالشديد ، كتب الكتيبة : مياها ، والكتيبة : اللطعة من الجيش مجتمعة ، أى ارجعوا إلى قائدكم ، وإما مصدر ميمي أو اسم مكان بمعنى اجتماعكم أو مكان اجتماعكم ، كتبهم فتكتبوا : أى جمعهم فتجمعوا .
(۳) أثقفه كسعه : صادفه أو أخذه أو ظفر به أو أدركه .

۱۵۱ - كتاب عبد الملك بن مروان إلى

أخيه عبد العزيز

وروى ابن قتيد في الإمامة والسياسة أن بشر بن مروان ولي البصرة أولاً ، ثم ضمت إليه الكوفة ، قال :

لما أراد عبد الملك بن مروان أن يولي أخاه بشر بن مروان على العراق ، كتب إلى أخيه عبد العزيز بن مروان وهو بمصر ، وبشر معه يقود الجنود ، وكان يومئذ حديث السن : « إني قد وليت أحاك بشرا البصرة فأشخص معه موسى بن نصير وزيراً ومشيراً ، وقد بعثت إليك بديوان العراق فادفعه إلى موسى وأعلمه أنه المأخوذ بكل خالٍ وتقصير . » فشخص بشر من مصر إلى العراق ، ومعه موسى بن نصير حتى نزل البصرة ، فلما نزلها دفع إلى موسى بن نصير خاتمه ، وتحلّى عن جميع العمل ، حتى أتته ولاية الكوفة ، وقد ضمت إليه مع البصرة . (الإمامة والسياسة ۲ : ۴۲)

۱۵۲ - كتاب عبد الله بن عمر إلى عبد الملك بن مروان

وكان عبد الملك قد وجه الحجاج إلى الحجاز لقتال عبد الله بن الزبير فحاصره بمكة ، وما زال ابن الزبير يقاتل حتى قتل سنة ۷۳ هـ ، وبعث عبد الملك إلى الحجاج عهده بولاية الحجاز ، واليمن ، واليمامة ، وكتب عبد الله بن عمر إلى عبد الملك يبيعه لما قتل ابن الزبير ، وكان كتابه إليه يقول :

« لعبد الملك بن مروان من عبد الله بن عمر ، سلام عليك ، فإني أقررت لك بالسمع والطاعة على سنة الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وبيعة نافع مولاى على مثل ما بايعتك عليه . » (العقد الفريد ۲ : ۲۶۶)

وروی صاحب صبح الأعشى هذا الكتاب قال :

كتب عبد الله بن عمر رضی اللہ عنہما إلى عبد الملك بن مروان في خلافته :
 « أما بعدُ : لعبد الله عبد الملك أمير المؤمنين من عبد الله بن عمر ، سلام عليك ،
 فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، وأمرى السمع والطاعة على كتاب الله ،
 وسنة نبيه فيما استطعت » .
 (صبح الأعشى ۶ : ۴۸۰)

۱۵۳ - كتاب محمد بن الحنفية إلى عبد الملك بن مروان

وكتب محمد بن الحنفية يبيعه لياقتل ابن الزبير ، وكان في كتابه :
 « إني اعتزلت الأمة ، عند اختلافها ، ففقدت في البلد الحرام الذي من دَخَه
 كان آمناً ، لأحرز ديني ، وأمنع دمي ، وتركت الناس ، « قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ
 عَلَىٰ شَأْنِهِ » (۱) فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا » وقد رأيتُ الناس قد
 اجتمعوا عليك ، ونحن عصاة من أمتنا لا نفارق الجماعة ، وقد بعثت إليك منا
 رسولا لياخذ لنا منك ميثاقا ، ونحن أحق بذلك منك ، فإن أبيت فأرض الله
 واسعة ، والعاقبة للمتقين » .
 (العقد الفريد ۲ : ۲۶۲)

۱۵۴ - رد عبد الملك على ابن الحنفية

فكتب إليه عبد الملك :
 « قد بلغني كتابك بما سألته من الميثاق لك وللعصاة التي معك ، فلك عهد الله
 وميثاقه أن لا تُهاجِرَ وسلطاننا : غائبا ولا شاهداً ، ولا أحدًا من أصحابك ، ما وقوا
 بيعتهم ، فإن أهدبت المقام بالحجاز فأقيم ، فلو ندع صلتك وبرك ، وإن أحببت
 المقام عندنا فاشخص إلينا فلو ندع مواساتك ، ولعمري لئن أجانك إلى الذهاب

(۱) الشاكلة : الطريقة والمذهب ، والنية .

في الأرض خائفاً لقد ظلمناك وقطعنا رحمتك ، فأخرج إلى الحجاج قبایع ، فإنك أنت الحمودُ عندنا ديناً ورأياً ، وخيراً من ابن الزبير ، وأرضى وأتقى .

(العقد الفريد ۲ : ۲۶۲)

۱۵۵ - كتاب عبد الملك إلى الحجاج

وكتب إلى الحجاج بن يوسف :

« لا تعرض لِحَمْدٍ وَلَا لِأَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِهِ » وكان في كتابه :

« جَنَّبَنِي دِمَاءَ بَنِي عَبْدِ الْمَطْلَبِ ، فَلَيْسَ فِيهَا شِفَاءٌ مِنَ الْحَرْبِ ^(۱) ، وَإِنِّي رَأَيْتُ

بَنِي حَرْبٍ ^(۲) سَلَبُوا مُلْكَهُمْ لَمَّا قَتَلُوا الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ .

فلم يتعرض الحجاج لأحد من الطالبين في أيامه ^(۳) .

(العقد الفريد ۲ : ۲۶۳ ، ۲۵۵)

۱۵۶ - كتاب الحجاج إلى عبد الملك

وكتب الحجاج إلى عبد الملك يقول :

« إِنِّي حَزْتُ الْحِجَازَ بِشَمَالِي ، وَبَقِيتُ يَمِينِي فَارِغَةٌ ^(۱) - يَعْرِضُ بِالْعِرَاقِ - » فبعث

إليه بعهدته على العراق ، فوليه بعد بشر بن مروان . (شرح العيون ص ۱۱۴)

۱۵۷ - كتاب خالد بن أبان إلى موسى بن نصير

وكان عبد الملك قد أراد موسى بن نصير لأمر عتب عليه منه ، فكتب خالد بن أبان

من الشام إلى موسى بن نصير :

(۱) الحرب : شدة الغضب .

(۲) يعني معاوية وعقبه « وهو معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمية » .

(۳) وفي رواية السعدي في مروج الذهب ج ۲ : ص ۱۵۹ :

« وكتب عبد الملك إلى الحجاج : « جنبتني دماء آل أبي طالب ، فإن رأيت الملك استوحش من آل

حرب حين سفكوا دماءهم » فكان الحجاج يتجنبها خوفاً من زوال الملك عنهم ، لا خوفاً من الخالق

عز وجل » . (۴) أخذ ذلك من زياد - انظر ص ۵۰ - .

« إنك معزول ، وقد وُجِّه إليك الحجاجُ بن يوسف ، وقد أمر فيك بأغلظِ أمر ،
فالنجاةَ النجاةَ ، والوَحَى الوَحَى ^(۱) ، فإما أن تَلْحَقَ بالقرس فتأمنَ ، وإما أن تَلْحَقَ
بعبد العزيز بن مروان مستجيراً به ، ولا تَمَكِّنْ ملعوناً ثَقِيفٍ من نفسك
فيحكّم فيك » .

فلما أتاه الكتاب ركب النجائبَ وِلْحَقَ بالشَّامَ وبها يومئذ عبد العزيز بن مروان
قد وَفَدَ بأموال مصر » . (الإمامة والسياسة ۲ : ۴۳)

۱۵۸ - كتاب الحجاج إلى عبد الملك

وكتب الحجاج من العراق :

« يا أمير المؤمنين ، إنه لاقدراً لما اقتطعه موسى بن نصير من أموال العراق ،
وليس بالعراق فابعث به إلى » .

وكانت لموسى يدٌ عظيمة عند عبد العزيز بن مروان فأدخله عبد العزيز على عبد الملك ،
فقرّره عبد الملك بأنه اقتطع النقيء ، وتنفصل موسى من تلك التهمة ، فأقسم عبد الملك ليُغْرَمَنَهُ ،
فأعانه عبد العزيز بخمسين ألفاً ، وأدّى خمسين ألفاً في ثلاثة أشهر نجماً ^(۲) عليه » .
(الإمامة والسياسة ۲ : ۴۳)

۱۵۹ - كتاب موسى بن نصير إلى عبد العزيز بن مروان

ورجع عبد العزيز بن مروان إلى مصر وسار موسى معه فكان من أشرف الناس
عنده ، فأقام بها ما أقام حتى قَدِمَ حَسَّانُ بن الثَّعْمَانِ من إفريقية يريد الشام إلى عبد الملك
وقد فتح له بها فتحاً ، فأجازه عبد الملك وزاده « بَرَقَّة » وردّه إلى إفريقية والياً ،

(۱) الوحي : العجلة والإسراع ، ويعد .

(۲) نجم الدين : أداء نجومًا جمع نجم كشمس ، وكانت العرب تؤقت بطلوع النجوم لأنهم ما كانوا
يعرفون الحساب ، وإنما يحفظون أوقات السنة بالأقوال ، وكانوا يسمون الوقت الذي يحمل فيه الأداء نجماً
مجازاً ، لأن الأداء لا يعرف إلا بالنجم ، ثم توسعوا حتى سمو الوظيفة نجماً ، لوقوعها في الأصل في الوقت
الذي يطلع فيه النجم ، واشتقوا منه فقالوا نجت الدين إذا جعلته نجومًا .

فأقبل حتى نزل مصر ، وبلغ عبد العزيز أن عبد الملك ولأه برقة ، فبعث إليه وأراده على أن ينزل عنها فأبى فقال له : اقعدي بيتك وسيؤلى هذا الأمر من هو خير منك ، وأولى به منك في تجربته ومعرفته وسياسته ، ويغني الله أمير المؤمنين عنك ، وأخذ عهده ومزقه ، ودعا بموسى بن نصير فعقد له على إفريقية سنة ۷۹ هـ فقدمها والياً عليها .

وكان بزغوان^(۱) قوم من البربر عليهم عظيم من عظماهم ، فكانوا يغيرون على سرح^(۲) المسلمين ويرصدون غرقتهم - والذي بين زاغون وبين القيروان يوم إلى الليل - فوجه إليهم موسى خمسمائة فارس فقاتلوهم وهزمهم الله وقتل صاحبهم ، وفتحها الله على موسى ، فبلغ سديهم يومئذ عشرة آلاف رأس - وكان أول سبي دخل القيروان في ولاية موسى - ثم وجه ابنه عبد الرحمن إلى بعض نواحيها فأتاه بمائة ألف رأس ، ثم وجه ابنه مروان فأتاه بمثلها ، فكان الخمس يومئذ ستين ألف رأس .

وكتب موسى بن نصير إلى عبد العزيز بن مروان بمصر « يخبره بالذي فتح الله عليه ، وأمكن له ؛ ويعليه أن الخمس بلغ ثلاثين ألفاً » وكان ذلك وهما من الكتاب .

۱۶۰ - رد عبد العزيز على موسى

فلما قرأ عبد العزيز الكتاب دعا الكاتب فقال له : ويحك ، اقرأ هذا الكتاب ا فلما قرأه قال : هذا وهم من الكاتب فراجعته ، فكتب إليه عبد العزيز : « إنه بلغني كتابك تذكر فيه أنه قد بلغ خمس ما أفاء الله عليك ثلاثين ألف رأس ، فاستكثرت ذلك ، وظننت أن ذلك وهم من الكاتب ، فاكتب إلى بعد ذلك ، على حقيقة واحذر الوهم » .

(۱) زغوان : جبل بإفريقية بالقرب من تونس .

(۲) السرح : المال السام .

۱۶۱- رد موسى على عبد العزيز

فلما قَدِمَ الكتاب على موسى كتب إليه :
« بلغني أن الأمير - أبقاه الله - يذكر أنه استكثر ما جاءه من العِدَّة التي أفاها
الله على ، وأنه ظن أن ذلك وهم من الكاتب ، فقد كان ذلك وهماً على ما ظنَّه الأمير ،
والخمس أيها الأمير ستون ألفاً ، حقاً ثابتاً بلا وهم .
فلما أتى الكتاب إلى عبد العزيز وقرأه ، ملأه سروراً .

(الإمامة والسياسة ۲ : ۶-۵)

۱۶۲- كتاب عبد الملك إلى عبد العزيز

وذكروا أن عبد العزيز بن مروان لما عزل حسان بن النعمان ، وولى موسى
ابن نصير ، وفتح الله لموسى ، بلغ ذلك عبد الملك بن مروان ، فكره ذلك وأنكره ،
ثم كره ردَّ رأى عبد العزيز ، ثم همَّ بعزل موسى لسوء رأيه فيه ، ثم رأى أن لا يردَّ
ما صنع عبد العزيز ، فكتب عبد الملك إلى عبد العزيز :

«أما بعدُ : فقد بلغ أمير المؤمنين ما كان من رأيك في عزل حسان وتوليتك
موسى مكانه ، وعلم الأمر الذي له عزَّلتَه ، وقد كنتُ أنتظرُ منك مثلها في موسى ،
وقد أمضى لك أمير المؤمنين من رأيك ما أمضيتَ وولَّيتك من وَّلَّيتَ ، فاستوص
بِحسان خيراً فإنه ميمون الطائر ، والسلام .» (الإمامة والسياسة ۲ : ۶)

۱۶۳- رد عبد العزيز على عبد الملك

فلما قدم الكتاب على عبد العزيز كتب إلى أخيه عبد الملك :
« أما بعدُ : فقد بلغني كتابُ أمير المؤمنين في عزل حسان ، وتوليتي موسى
ابن نصير ، وقد كان ليثلها مني منتظراً في موسى ، ويعلني أنه قد أمضى لي من رأبي

ما أمضيتُ : وولایتی مَن وُلِّیتُ ، وقد علمتُ أن أمير المؤمنين يتفاهل بحسان للذي فتح الله على يديه ، ولم أَعُدْ مع نظري لأمر المؤمنين بأن عزَّلتُ حسانَ وولَّيتُ موسى في يمن طائره وحسن أثره ، فأما قولُ أمير المؤمنين « قد كنت أنتظرها منك في موسى » فلعمري لقد كنتُ لها فيه مُرْصِداً ، ولأمر المؤمنين أن يسبق بها إليه منتظراً ، حتى حَضَرَ أمرُ جَهْدَتُ فيه نفسي لأمر المؤمنين ولنفسى الرأى والنصيحة ، والسلام .
(الإمامة والسياسة ۲ : ۲۶)

۱۶۴ - كتاب عبد العزيز إلى عبد الملك

وكتب عبد العزيز إلى عبد الملك :

« أما بعدُ : فإني كنت وأنت يا أمير المؤمنين في موسى وحسان ، كالمتراهنين أرسلنا فرسَينهما إلى غابتهما ، فأتيا معا ، وقد مَدَّتْ الغايةُ لأحدهما ، ولك عنده مَزِيدٌ إن شاء الله ، وقد جاءني يا أمير المؤمنين كتاب من موسى ، وقد وجَّهته إليك لتقرأه ، وتحمد الله عليه ، والسلام .
(الإمامة والسياسة ۲ : ۲۷)

۱۶۵ - رد عبد الملك على عبد العزيز

فكتب إليه عبد الملك :

« أما بعدُ : فقد بلغ أمير المؤمنين كتابك ، وفهم المثل الذي مثلته في حسان وموسى ، ويقول لك : عند أحدهما مزيدٌ ، وكلٌّ قد عرَّفَ الله على يده خيرا ونصرا ، وقد أجريتُ وحدك ، وكلُّ مُجْرٍ بالخلاء مسرور^(۱) ، والسلام .
(الإمامة والسياسة ۲ : ۴۷)

(۱) هو مثل ، ورواه المبداني في مجمع الأمثال « كل مجر في الخلاء يسر » قال ويروي : « كل مجر بخلاء مجيد » قال : ويقال أيضا : « كل مجر بخلاء سابق » وقال صاحب اللسان في مادة « سرور » وقد -ررته أسره . أي فرحته ، والمثل الذي جاء « كل مجر بالخلاء مسرور » إنما جاء على توهم أسره .

١٦٦ - كتاب الحجاج إلى المهلب

ولما ولي الحجاج العراق، قَدِمَ الكوفةَ فخطبَ أهلها خطبته المشهورة ، واستنفرهم لقتال الخوارج مع المهلب ، وتوعدَّ من تخلفَ ، ثم خرج إلى البصرة ، فقام فيها بخطبة مثل التي قام بها في أهل الكوفة ، وتوعدهم مثل وعيده إياهم ، فتدفقَ الناس على المهلب فقال: جاء الناس رجل ذكره^(١)، وكتب الحجاج إلى المهلب ، وإلى عبد الرحمن بن مخنف « أما بعدُ : إذا أتاكم كتابي هذا فناهضوا الخوارج ، والسلام » .

(تاريخ الطبري ٧ : ٢١٥)

١٦٧ - كتاب الحجاج إلى المهلب

وكتب الحجاج إلى المهلب :

« أما بعدُ : إن بشرًا - رحمه الله - امتكره^(٢) نفسه عليك ، وأراك غناه عنك ، وأنا أريك حاجتي إليك ، فأرني الجدَّ في قتال عدوك ، ومَن خفته على المعصية ممن قبلك فاقتله ، فإني قاتلٌ مَن قبلي ، ومن كان عندي مَن وليٍّ مَن هربَ عنك فأعلمني مكانه ، فإني أرى أن آخذ الوليَّ بالوليِّ^(٣) ، والسَّميَّ بالسَّميِّ »

١٦٨ - رد المهلب على الحجاج

فكتب إليه المهلب :

« ليس قبلي إلا مطيعٌ ، وإن الناس إذا خافوا العقوبةَ كبرُوا الذنبَ ، وإذا أمنوا العقوبةَ صغروا الذنبَ ، وإذا يئسوا من العفو أكَفَرَهُمْ ذلك ، فهَبْ لي هؤلاء الذين سميتهم عُصاةً ، فإنما هم فرسان أبطال ، أرجو أن يقتل الله بهم العدوَّ ، ونادِمٌ^(٤) على ذنبه » .

(١) أي قوى شجاع أبي . (٢) أي حمل نفسه على كراهيتك .

(٣) ومن قبله زياد يقول في خطبته البتراء : « وإني أَلَسَمُ بالله لاأخذن الولي بالمولى » وسببك : من

أسمه اسمك ونظيرك . (٤) معطوف على فرسان أبطال ، بمعنى الجمع : أي نادمون .

(١٠ - حمرة رسائل العرب - ثاني)

فما رأى المهلب كثرة الناس عليه قال : اليوم قوتل هذا العدو .
(الكامل للمبرد ۲ : ۲۱۴ ، وشرح ابن أبي الحديد ۱ : ص ۳۹۷)

۱۶۹ - كتاب الحجاج إلى المهلب

وخرج المهلب في آثار الخوارج ، ونشِبَ بينه وبينهم القتال ، فانكشفوا ، وقد
كثر فيهم القتل والجراح ، وكتب الحجاج إلى المهلب من قبل الواقعة :
« أما بعدُ : فإنه بلغني أنك أقبلت على جباية الخراج ، وتركت قتال العدو ،
وإني وليتكَ وأنا أرى مكان عبد الله بن حكيم الجاشي ، وعباد بن حصين الحبطي ،
واخترتك وأنت من أهل عُمان ، ثم رجل من الأزد ، فالتهم يوم كذا في مكان كذا ،
وإلا أشرعت^(۱) إليك صدرَ الرمح » :
فشاور بنيه فقالوا : إنه أمير ، فلا تغلظْ عليه في الجواب :

۱۷۰ - رد المهلب على الحجاج

فكتب إليه المهلب :

« وَرَدَ عَلَيَّ كِتَابُكَ تَزْعُمُ أَنِّي أَقْبَلْتُ عَلَى جَبَايَةِ الْخِرَاجِ ، وَتَرَكْتُ قِتَالَ الْعَدُوِّ ،
وَمَنْ عَجَزَ عَنِ جَبَايَةِ الْخِرَاجِ فَهُوَ عَنِ قِتَالِ الْعَدُوِّ أَعْجَزُ ، وَزَعَمْتَ أَنَّكَ وَلَّيْتَنِي وَأَنْتَ
تَرَى مَكَانَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَكِيمِ الْجَاشِيِّ ، وَعَبَّادِ بْنِ حُصَيْنِ الْحَبْطِيِّ ، وَلَوْ وَلَّيْتَهُمَا
لَكُنَّا مُسْتَحَقِّينَ لِذَلِكَ ، فِي فَضْلِهِمَا وَغَنَائِهِمَا^(۲) وَبَطْشِهِمَا ، وَاخْتَرْتَنِي وَأَنَا رَجُلٌ مِنَ
الْأَزْدِ ، وَلِعَمْرِي إِنْ شَرَا مِنَ الْأَزْدِ لِقَبِيلَةٍ تَنَازَعَهَا ثَلَاثُ قَبَائِلَ لَمْ تَسْتَقِرَّ فِي وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ^(۳) ،

(۱) أي صددت . (۲) كفايتهما .

(۳) يعني قبيلة ثقيف قبيلة الحجاج فهي متنازعة بين هوازن وإياد وشمود ، وهاك كلمة عن نسبها :
اختلف النسابون في نسب ثقيف على ثلاثة أقوال :

فقال قوم لأنهم من هوازن ، وهو القول الذي يزعمه الثقبون ، قالوا إن جدم ثقيفا هو ثقيف (واسمه
قسي) بن منبة بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن غيلان بن مضر بن نزار =

== ابن سعد بن عدنان، وعلى هذا القول جمهور الناس. ويزعم آخرون أن ثقيفاً من إبياد بن نزار بن معد ابن عدنان، ويقولون هو قسي بن منبه بن النبيت بن منصور بن يقدم بن أفصى بن دعمي بن إبياد، وإن النخعي أخوه لأبيه وأمه، ثم افترقا، فصار أحدهما في عداد هوازن، والآخر في عداد مذحج بن مالك بن زيد بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، قالت أخت الأشتر وهو مالك بن لميث النخعي تبكيه :

ابعد الأشتر النخعي نرجو مكأثرة ونقطع بطن وادي
ونصحب مذحجا بإخاء صدق وإن نسب فنحن ذرا لإياد
تقيف عمنا وأبو أبينا وإخوتنا نزار أولو السداد

وروى أن المغيرة بن شعبة وهو والي الكوفة صار إلى دير هند بنت النعمان بن المنذر في الحيرة، وهي فيه عمياء مترهبة، فاستأذن عليها، فقيل لها أمير هذه المدرة بالباب (والمدرة بالتحريك : المدينة) فقالت : قولوا له : أمن ولد جيلة بن الأيهم أنت ؟ قال : لا، قالت : أمن ولد المنذر بن ماء السماء ؟ قال : لا، قالت : فن أنت ؟ قال : المغيرة بن شعبة الثقيف، قالت : فما حاجتك ؟ قال : جئتك خاطباً، قالت : لو كنت جئتني لجمال أو لمال لأطلبتك، (أي أعطيتك ما طلبت) ولكنك أردت أن تتشرف بي في المحافل فتقول : نكحت ابنة النعمان بن المنذر، وإلا فأى خير في اجتماع أعور وعمياء ؟ (وكانت عينه قد ذهبت في وقعة اليرموك - انظر ترجمته في أسد الغابة) فبعت لإيها : كيف كان أمركم ؟ فقالت : سأختصر لك الجواب : أمسينا وليس في الأرض عربي إلا وهو يرغب إلينا ويرهبنا، ثم أصبحنا وليس في الأرض عربي إلا ونحن نرغب إليه ونرهبه، قال : فما كان أبوك يقول في تقيف ؟ قالت : اختصم إليه رجلان منهم أحدهما ينسبها إلى إبياد والآخر إلى بكر بن هوازن ففضى بها للإبيادي، وقال :

إن ثقيفاً لم يكن هوازنا ولم يناسب عامراً ومازنا

(يريد عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور ومازن بن منصور) فقال المغيرة : أما نحن فمن بكر بن هوازن . فأيقل أبوك ما شاء ثم انصرف .

وقال قوم آخرون إن ثقيفاً من بقايا ثمود من العرب القديمة التي بادت وانقرضت قيل : كان عبداً لأبي رغال (ككتاب) وكان أصله من قوم نجوا من ثمود فأتى بعد ذلك إلى قيس بن عيلان، روى عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه مر بثقيف فتفامزوا به فرجع إليهم فقال لهم : يا عبيد أبي رغال إنما كان أبوك عبداً له فهرب منه فنفقه (كسم : أي ظفر به) بعد ذلك، ثم أتى إلى قيس، وروى أيضاً أن علياً قال على المنبر بالكوفة - وذكر ثقيفاً - لقد هممت أن أضغ على ثقيف الجزية، لأن ثقيفاً كان عبداً لصالح نبي الله عليه السلام، وأنه سرحه إلى عامل له على الصدقة فبعت العامل معه بها، فهرب واستوطن الحرم، وإن أولى الناس بصالح محمد صلى الله عليهما وسلم - وسرد عليك قريباً أن عبد الملك ابن مروان كتب في إحدى رسائله إلى الحجاج يقول : « لقد جالت البصرة في ثقيف بصالح النبي صلى الله عليه وسلم، إذ اثمنتته على الصدقات، وكان عبده، فهرب بها عنه » وقال شبيب بن يزيد الشيباني المارجي حين دخل الكوفة في عهد الحجاج سنة ۷۶ هـ :

عبد دعمي من ثمود أصله لا بل يقال أبو أيهم يقدم =

وزعمت أني لم ألقهم في يوم كذا في مكان كذا، أشرعت إلى صدر الرمح، فلو فطت لقلبت إليك ظهر المجن^(۱)، والسلام.»

(الكامل للمبرد ۲ : ۲۱۵، وشرح ابن أبي الحديد ۱ : ص ۳۹۷ ونهاية الأرب ۷ : ۲۴۶)

۱۷۱ - كتاب الحجاج إلى المهلب

ووجه الحجاج البراء بن قبيصة إلى المهلب يستحثه في مناجزة القوم وكتب إليه :

« إنك لتحب بقاءهم لنا. كل بهم.»

فقال المهلب لأصحابه: حرّ كوهم^(۲)، فشهد البراء من جلدهم وثباتهم ما أدهشه، فرجع إلى الحجاج، فقال له: مهيم^(۳)، قال: « رأيت أيها الأمير قوما لا يعين عليهم إلا الله.»

۱۷۲ - رد المهلب على الحجاج

وكتب المهلب جواب الحجاج :

« إني منتظر بهم إحدى ثلاث: موت ذريع^(۴)، أو جوع مضر، أو اختلاف

من أهوائهم^(۵) . (الكامل للمبرد ۲ : ۲۱۷، وشرح ابن أبي الحديد ۱ : ص ۳۹۸)

(ويقدم كينصر من أبناء إباد وجد ثقيف - على رأى كما قدمنا) وقد قال الحجاج على المنبر: يزعمون أنا من بقايا ثمود فقد كذبهم الله بقوله: « وَثَمُودَ كَمَا أَبْقَى » وقال مرة أخرى: ولئن كنا من بقايا ثمود لما نجا مع صالح إلا خيارهم.

انظر شرح ابن أبي الحديد ۲ : ص ۳۹۲ والكامل للمبرد ۱ : ۲۲۴ ومروج الذهب ۲ : ۶۸ والأغانى ۴ : ۷۴ وتاريخ الطبرى ۷ : ۲۳۳ والعقد الفريد ۳ : ۸.

(۱) المجن: الترس، وقلب له ظهر المجن: كلمة تضرب مثلا لمن كان لصاحبه على مودة أو رعاية ثم حال عن ذلك، أى أسقط الحياء وفعل ماشاء.

(۲) قال أبو العباس: « فخرج فرسان من أصحابه إليهم فخرج إليهم من الخوارج جمع، فاقتلوا إلى الليل، فقال لهم الخوارج، ويلكم، أما تعلمون؟ فقالوا: لا، حتى آملوا. قالوا: فن أنتم؟ قالوا: نعم، قالت الخوارج: ونحن بنو تميم، فلما أمسوا افترقوا، فلما كان الفد خرج عشرة من أصحاب المهلب، وخرج إليهم عشرة من الخوارج، فاحترق كل واحد منهم حفيرة وأثبت قدمه فيها، فسكما قتل رجل جاء رجل من أصحابه فاجتره ووقف مكانه حتى أهنموا، فقال لهم الخوارج: ارجعوا. فقالوا: بل ارجعوا أنتم، فقالوا: ويلكم، من أنتم؟ فقالوا: تميم، قالوا: ونحن تميم.

(۳) كلمة يمانية. استفهام معناه: ما الخبر وما الأمر.

(۴) الموت الذريع: الفاشى.

(۵) وقد بذر المهلب بينهم بذور الشقاق والاختلاف حتى اضطرب أمرهم وانتكث قتلهم كما صببته بمد.

صورة أخرى لكتاب الحجاج إلى المهلب

وقال الطبري في هذا الصدد :

وبعث الحجاج إلى المهلب البراء بن قبيصة وكتب إلى المهلب :
« أما بعد ، فإنك والله لو شئت فيما أرى لقد اضطلمت^(۱) هذه الخارجة المارقة ،
ولكنك تحب طول بقائهم لنا كل الأرض حوالك ، وقد بعثت إليك البراء بن قبيصة
لتنهضك إليهم فانهض إليهم إذا قدم عليك بجميع المسلمين ، ثم جاهدكم أشد الجهاد ،
وإياك والعيل والأباطيل^(۲) والأمور التي ليست لك عندي بسائفة ولا جائزة ،
والسلام^(۳) » .

صورة أخرى لرد المهلب على الحجاج

فكتب المهلب إلى الحجاج :

« أما بعد : فقد أتاني كتاب الأمير - أصلحه الله - واتهامه إياي في هذه
الخارجة المارقة ، وأمرني الأمير بالنهوض إليهم ، وإشهاد رسوله ذلك ، وقد فعلت ،
فليسألني عما رأي ، فأما أنا فوالله لو كنت أقدر على استئصالهم ، أو إزالتهم عن مكائهم
ثم أصكت عن ذلك ، لقد غششت المسلمين ، وما وفيت لأمر المؤمنين ، ولا نصحت »

(۱) اضطلته : استأصله .

(۲) الأباطيل : جمع أبطولة بضم الهمزة ، أو جمع إبطالة بالكسر ، أو جمع باطل على غير قياس .
(۳) قال : فأخرج المهلب بنه ، كل ابن له في كتيبة ، وأخرج الناس على راياتهم ومصافهم وأخاسمهم ،
وجاء البراء بن قبيصة فوقفه على نل قريب منهم حيث برأهم ، فأخذت الكتائب تحمل على الكتائب والرجال
على الرجال ، فيقتلون أشد قتال رآه الناس من صلاة الغداة إلى انتصاف النهار ثم انصرفوا ، فغاب البراء إلى
المهلب فقال له لا والله ما رأيت كذبك فرسانا قط ، ولا كفرسانك من العرب فرسانا قط ، ولا رأيت مثل
قوم يقاتلونك قط أصبر ولا أبأس ، أنت والله المعذور ، فرجع بالناس المهلب حتى إذا كان عند العصر خرج
إليهم بالناس وبنه في كتائبهم فقاتلوه كقتالهم في أول مرة ، حتى حجز الليل بينهم فانصرفوا عند الماء ،
قال المهلب للبراء . كيف رأيت ؟ قال : رأيت قوما والله . إيعينك عليهم لا الله ، فأحسن إلى البراء وأجازته
وحله وكساه وأمر له بعشرة آلاف درهم ، ثم انصرف إلى الحجاج فأتاه بعذر المهلب وأخبره بما رأى .

للأمير - أصلحه الله - فعادَ اللهُ أن يكون هذا من رأي ، ولا مما أُدينُ اللهُ به ،
والسلام . (تاريخ الطبري ۷ : ۲۶۹)

۱۷۳ - كتاب الحجاج إلى المهلب

ووجه الحجاج الجراح بن عبد الله إلى المهلب يستبطنه في مناخزة القوم ،
وكتب إليه :

« أما بعدُ : فإني جَبَيْتُ الخراج بالعلل ، وتحصَّنت بالخنادق ، وطاولت القوم ،
وأنت أعزُّ ناصراً ، وأكثرُ عدداً ، وما أظنُّ بك مع هذا مَفْصِيَةً ولا جُبناً ولكنك
اتخذتهم أُكلاً^(۱) ، وكان بقاؤهم أيسرَ عليك من قتالهم ، ففاجزهم وإلا أنكرتني ،
والسلام^(۲) » .

۱۷۴ - رد المهلب على الحجاج

فكتب المهلب إلى الحجاج .

« أتاني كتابك تستبطنني في لقاء القوم ، على أنك لا تظنُّ بي معصية ولا جُبناً ،
وقد عاتبني معانبة الجبان ، وأوعدتني وعميد العاصي ، فاسأل الجراح ، والسلام^(۳) » .
(الكامل للمبرد ۲ : ۲۱۸ ، وشرح ابن أبي الحديد م ۱ : ص ۳۹۹ ، ونهاية الأرب ۷ : ۱۴۷)

(۱) الأكل كقفل وعنق : ما يؤكل والرزق والحظ من الدنيا .

(۲) فقال المهلب للجراح : يا أبا عقبة والله ما تركت حيلة إلا احتلتها ، ولا مكيدة إلا عملتها ،
وما العجب من إيطاء النصر وتراخي الفلقر ، ولكن العجب أن يكون الرأي لمن يملكه دون من يبصره ،
ثم ناهض الخوارج ثلاثة أيام يفاديهم القتال ، ولا يزالون كذلك إلى العصر ، وينصرف أصحابه وبهم قرح ،
وبالخوارج قرح وقتل ، فقال له : قد أعذرت .

(۳) فلما قدم الجراح على الحجاج ، قال له : كيف رأيت أخاك ؟ قال : والله ما رأيت أيها الأمير
مثله قط ، ولا ظننت أن أحداً يبقى على مثل ما هو عليه ، ولقد شهدت أصحابه أياماً ثلاثة يفتدون إلى الحرب
ثم ينصرفون عنها ، وهم بها يتطاعنون بالرماح ، ويتجالدون بالسيوف ، ويتخابطون بالعمد ، ثم يروحون
كأن لم يصنعوا شيئاً ، رواح قوم تلك عادتهم وتجارتهم ، فقال الحجاج : لشد ما مدحت أبا عقبة !
قال : الحق أولي .

۱۷۵ - كتاب الحجاج إلى عتاب بن ورقاء

وكتب الحجاج إلى عتاب بن ورقاء الرياحي من بني رباح بن يربوع ابن حنظلة ، وهو والي أصبهان « يأمره بالمسير إلى المهلب ، وأن يضم إليه جند عبد الرحمن ابن مخنف ، فكل بلد تدخلانه من فتوح أهل البصرة ، فالمهلب أمير الجماعة فيه ، وأنت على أهل الكوفة ، فإذا دخلتم بلدا فتجّه لأهل الكوفة فأنت أمير الجماعة ، والمهلب على أهل البصرة »

فقدم عتاب في إحدى جماديين من سنة ۷۶ على المهلب .

(الكامل للبرد ۲ : ۲۱۹ ، وشرح ابن أبي الحديد ۱ : ص ۴۰۰)

۱۷۶ - كتاب المهلب إلى الحجاج

قال ابن نباتة في سرح العيون :

« وكتب الحجاج إلى المهلب يستبطنه في مناجزة الأزارقة ويستعجزه ، فحبس المهلب رسول الحجاج أيما حتى رأى صنع الخوارج وجأدهم وثباتهم ، وكتب إلى الحجاج يقول :

« إن الشاهد يرى مالابراه الغائب ، فإن كنت نصبتني لحرب هؤلاء القوم ، على أن أدبرها كما أرى ، فإن أمكنتني فرصة اتهمتها ، وإن لم تمكني ترفقت ، فأنا أدبر ذلك بما يصلحه ، وإن أردت مني أن أعمل وأنا حاضر ، برأيك وأنت غائب ، فإن كان صواباً فلك ، وإن كان خطأ فعلى ، فابعث من رأيت مكاني ، والسلام^(۱) .»

(سرح العيون ص ۱۳۴)

(۱) ورواية أبي الفرج الأصبهاني : « كتب الحجاج إلى المهلب يأمره بمناجزة الأزارقة ويستبطنه ويضعفه ويعجزه في تأخيره أمرهم ومطاولته لهم ، فقال المهلب لرسوله : قل له إنما البلاء أن الأمر إلى من يملكه لا إلى من يعرفه ، فإن كنت نصبتني لحرب هؤلاء القوم . . . الخ » - الأغانى ۱۳ : ۵۷ -

۱۷۷ - کتاب عبد الملك إلى الحجاج

وكتب المهلب من فوره إلى عبد الملك ، فكتب إليه عبد الملك :
« لا تعارض المهلب فيما يراه ، ولا تُعجِلْهُ ، ودَعَهُ يدبر أمره » .

(الأغانى ۱۳ : ۵۸ ، وشرح ابن أبي الحديد م ۱ : ص ۴۰۷)

۱۷۸ - کتاب عبد الملك إلى الحجاج

وكتب الحجاج إلى عبد الملك بن مروان يُغلظُ له أمرَ الخوارج مع قَطْرِى ، فكتب
إليه عبد الملك :

« أمّا بعدُ ، فإنى أحمدُ إليك السيفَ ، وأوصيك بما أوصى به البكرىُ زيدًا » .
فلم يفهم الحجاج ما عناه عبد الملك . وقال لحاجبه : نادِ فى الناس : من أخبر
الأمير بما أوصى به البكرى زيدًا فله عشرة آلاف درهم ، فورَدَ رجل من الحجاز
يتظلم من بعض عماله ، فقال للحاجب : أنا أخبره ، فأدخله عليه فقال له : ما قال البكرىُ
لزيد ؟ قال : قال لابن عمه زيد : والشعر لموسى ابن جابر الحنفى :

أقول لزيدٍ لا تُتَرْتِرْ^(۱) فإنهم —————
فإن وضعوا حربًا فضعها ، وإن أبوا فشبَّ وقودَ الحربِ بالخطبِ الجزلِ^(۲)
فإن عَضَّتِ الحربُ الضَّرُوسُ بنايها فعرُضةُ نارِ الحربِ مثلك أو مثلى^(۳)

فقال الحجاج : صدق أمير المؤمنين ، عُرُضةُ نارِ الحربِ مثلى أو مثاه ، وصدق البكرى .

(مروج الذهب ۲ : ۱۵۹ ، وذيل الأمانى ص ۷۳)

(۱) الترترة بالنساء وبالثناء : لا كثار الكلام وترديده ، والبربرة بالباء أيضا : كثرة الكلام
والجلبية والصباح .

(۲) الجزل : الخطب اليابس ، أو الغليظ العظيم منه .

(۳) حرب ضروس : أ كول عضوض ، وأصده من الناقة الضروس ، وهى الشيثة الملقى العضوض
لحالبها .

۱۷۹ - كتاب الحجاج إلى المهلب

وكتب إلى المهلب :

« إن أمير المؤمنين أوصاني بما أوصى به البكرى زيدا ، وأنا أوصيك به وبما أوصى به الحارث بن كعب^(۱) بنيه .

فأتى المهلب بوصيته ، فإذا فيها :

« يا بني كونا جميعاً ولا تكونوا شتى^(۲) ففترقوا ، وبزوا^(۳) قبل أن تبزوا ، فوت في قوة وعز خير من حياة في ذل وعجز » .

فقال المهلب : صدق البكرى ، والحارث بن كعب .

(مروج الذهب ۲ : ۱۵۹)

۱۸۰ - كتاب أبي خالد القناني إلى قطري بن الفجاءة

وقال أبو العباس المبرّد : من طريف أخبار الخوارج قول قطري بن الفجاءة المازني لأبي خالد القناني^(۴) - وكان من قعد الخوارج - :

أبا خالد يا أنفِرُ فلست بخالدٍ وما جعل الرحمن عُذْرًا لِقَاعِدِ^(۵)
أترعّمُ أن الخارجميَّ على الهدى وأنت مُقيمٌ بين لُصٍّ وجاحِدِ ؟
فكتب إليه أبو خالد :

« لقد زاد الحياةَ إلى حُبًّا بنايَ إني من الضُفّافِ
أحاذِرُ أن يرينَ الفقرَ بعدى وأن يشربنَ رَنقًا بعد صافي^(۶)»

(۱) هو أحد الجاهلين المعمرين .

(۲) أي متفرقين ، جم شتيت .

(۳) بزّه : سلبه وفي المثل : « من عز بزّه أي من غلب سلب .

(۴) نبيه إلى قنان كعاب : وهو جبل لأسد .

(۵) يالائنيه ، ونفر للقتال كضرب : ذهب . (۶) الرنق : الكمر .

وَأَنْ يَعْرِينَ إِنْ كَسَى الْجَوَارِي فَتَنْبُو الْعَيْنُ عَنْ كَرَمٍ عِجَافٍ^(۱)
ولولا ذلك قد سَوَّمتْ مُهْرِي وفي الرحمن للضعفاء كافي^(۲)
أباناً ، مَنْ لَنَا إِنْ غَبَّتْ عَنَا وصار الحى بعدك في اختلاف؟»

(الكامل للمبرد ۲ : ۱۲۱)

۱۸۱ - كتاب قطري إلى سبرة بن الجعد

وروى المسعودي في مروج الذهب أيضا قال :

واتخذ الحجاجُ سَبْرَةَ بن الجعد الشيباني سميرا ، فلم يك يطلب شيئا من الحديث إلا وجد عنده منه علما ، وكان يرى رأى الخوارج من أصحاب قطري بن الفُجاءة التميمي (والفُجاءة أمه ، وكانت من بني شيبان ، وإنما هو رجل من تميم) وكان قطري يومئذ يحارب المهلب ، فبلغ قطريا مكان سَبْرَةَ من الحجاج ، فكتب إليه بأبيات منها :

لَشَتَّانَ مَا بَيْنَ ابْنِ جَعْدٍ وَبَيْنَنَا إِذَا نَحْنُ رُحْنَا فِي الْحَدِيدِ الْمُظَاهِرِ^(۳)
نُجَاهِدُ فُرْسَانَ الْمُهَلَّبِ ، كُلُّنَا صَبُورٌ عَلَى وَنْعِ السُّيُوفِ الْبَوَاتِرِ
وَرَا حَ يَجْرُ الْخَزْرُ عِنْدَ أَمِيرِهِ أَمِيرٌ بِتَقْوَى رَبِّهِ غَيْرُ أَمِيرِ
أَبَا الْجَعْدِ ، أَيْنَ الْعِلْمُ وَالْحِلْمُ وَالنُّهَى وَمِيرَاثُ آبَاءِ كِرَامِ الْعُنَاصِرِ^(۴)
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَوْتَ لَأَشْكُ نَازِلٌ وَلَا بَدَّ مِنْ مَثِ الْأَلَى فِي الْقَابِرِ
حُفَاةً عُرَاةً وَالتَّرَابُ لَدَيْهِمْ فَمِنْ بَيْنِ ذِي رِيحٍ وَآخِرَ خَامِرِ
فَإِنَّ الَّذِي قَدْ نَلْتَ يَفْنَى ، وَإِنَّمَا حَيَاتُكَ فِي الدُّنْيَا كَوَقْعَةِ طَائِرِ

(۱) يقال: رجل كرم: أي كريم ، وكذا المؤنث والجمع لأنه مصدره ، وعجاف جمع عجفاء ، وهي المهزولة . (۲) سومت: أرسلت .

(۳) عني بالحديد الدرع ، وظاهر الدرع: لأم بعضها على بعض ، وظاهر بين درعين: طابق وجم وليس إحداهما فوق الأخرى ، ومثله قول ورقاء بن زهير :

فثلث يميني يوم أضرب خالدا ويمنه عني الحديد المظاهر

(۴) النهى: العقل ، وهو يكون جمع نهي (كفرصة) أيضا ، وهي العقل .

فراجع أبا جعدٍ ، ولا تكُ مُغضِبًا
 وتُبْ توبةً تُهْدِي إليك شهادةً
 وميرٌ نحونا نلقَ الجهادَ غنيمَةً
 هي الغايةُ التَّصَوُّى الرَّغِيبُ ثوابها
 على ظُلْمَةٍ أَعَشَتْ جميعَ النواظِرِ
 فإنك ذو ذنبٍ ولستَ بكافرٍ
 تُفِدُكُ ابنياعاً راجحاً غيرَ خاسِرِ
 إذا نال في الدنيا الغنى كلُّ تاجرٍ (۱)
 فلما قرأ كتابه بكى ، وركب فرسه ، وأخذ سلاحه ، ولحق بقطرى ، وطلبه
 الحجاج فلم يقدر عليه .

۱۸۲ - كتاب سيرة بن الجعد إلى الحجاج

ولم يرُج الحجاجَ إلا كتابَ قد بَدَرَ منه فيه شعر قطرى الذى كان كتب به
 إليه ، وفي أسفل الكتاب إلى الحجاج أبيات منها :

فمن مُبْلِغُ الحِجَّاجِ أن سَمِيرَه
 رأى الناسَ (إلا مَنْ رأى مثلَ رأيه)
 فأقبلتُ نحوَ اللهِ بالله واثمًا
 إلى عَصَبَةٍ أمّا النهارَ فإنهم
 وأما إذا ما الليلَ جنَّ فإنهم
 ينادون للتحكيم ، تالله إنهم
 وحكمَ ابنِ قيسٍ مثلَ ذاك فأعصموا

قلَى كلِّ دينٍ غيرَ دينِ الخوارجِ (۲)؟
 مَلَاعِينِ تَرَ كَيْنَ قَصْدَ المَخَارِجِ (۳)
 وما كُرْبَتِي غيرُ الإلهِ بفارجِ
 هم الأَسْدُ أَسْدُ الفِئْلِ عندَ التهاجِ (۴)
 قِيَامٌ بأنواحِ النساءِ النواشِجِ (۵)
 رأوا حُكْمَ عَمْرٍو كالرياحِ المَوَاجِجِ (۶)
 بحبلٍ شديدِ المَتَنِ ليس بنَاهِجِ (۷)

(۱) الرغيب ثوابها : أى المرغوب فى ثوابها .

(۲) قلاه كرماء ورضيه : أبغضه وكرهه غاية الكراهة فزكه .

(۳) القصد : استقامة الطريق . (۴) الفيل بالكسر : الشجر الكثير اللدغ ، ويفتح .

(۵) جن الليل : أقبل . والنواشج : جمع ناشجة ، نشج الباكي كضرب نسيجا : غص بالبكاء فى

حلفه من غير انتخاب .

(۶) ينادون للتحكيم : كان شعار الخوارج : « لا حكم إلا لله » ولذا سموا « المحكمة » ، وعمرو :

وهو عمرو بن العاص .

(۷) ابن قيس هو أبو موسى الأشعري واسمه عبد الله بن قيس ، وأعصه : هيا له شيئاً يعنصم

به . ونهج الثوب والحبل مثلثة الهاء : بلى .

فطرح الحجاج هذا الكتاب إلى عَنبَسَةَ بن سعيد ، فقال : هذا من سميرنا الشيباني وهو من الخوارج ولا نعلم به ! .
(مروج الذهب ۲ : ۱۳۸)

۱۸۳ - كتاب الحجاج إلى قطري بن الفجاءة

وروى أبو العباس المبرّد في الكامل قال :

قال الحجاج يوماً لعمّار^(۱) العرب ، وهم في مجلسه : ما أحسب هذا المزون^(۲) يباحثنا في حربنا - يعني المهلب - والرأي مشترك ، فقالوا : الرأي للأمير - أصلحه الله - أن يكتب إلى ابن الفجاءة بإطعامه بعض الأَرْضِين ، فإذا هو نَحَعَ^(۳) بطاعته ، وأظهر الدعوة له . سَهَلت الحيلة فيه ، فقال : وَقَمَّكُمْ اللهُ ، وكتب إلى ابن الفجاءة ، وأنفذه على يد الفضبان بن القَبَعَثَرِيِّ الشَّيْبَانِي ، ونسخة الكتاب :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من الحجاج بن يوسف إلى قطري بن الفجاءة ، سلام عليك ، المُوَحَّدَ اللهُ ، والمصلّى عليه محمد عليه السلام ، أما بعد ، فإنك كنت أعرابياً بدوياً ، تستطعم الكِثْرَةَ ، وتَحِفُّ إلى التمرة ، ثم خرجت تحاول ما ليس لك بحق ، واعترضت على كتاب الله ، ومررت من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فارجع عما أنت عليه بما زُيِّن لك ، وأدعنى فقد آن لك » .

(۱) الصائر : جمع عمارة بالفتح ويكسر ، وهي أصغر من القبيلة ، وطبقات النسب ست ، أعلاها : الشعب بالفتح ، وهو يجمع القبائل ، ثم القبيلة وتجمع المائر ، ثم العبارة وتجمع البطون ، ثم البطن ويجمع الأفضاد ، ثم الفخذ ، وتجمع الفصائل ، ثم الفصيلة ، فخرجة مثلاً شب ، وكنانة قبيلة ، وقريش عمارة ، وقصى بطن ، وهاشم فخذ ، والعباس فصيلة .

(۲) نسبة إلى مزون كصبور ، وهي قرية من قرى عمان (كراب) باليمن ، كان يسكنها اليهود والملاحون ليس بها غيرهم ، وكان الفرس يسمون عمان المزون ، وكان أزد عمان - وهم رهط المهلب - يكرهون أن يسموا المزون .

(۳) نَحَعَ له بمعنى كنم : أقر (ونحع بالحق أيضاً : أقربه وخضع له) .

فلما أوصل الغضبان الكتاب إلى قطري: قال: يا غلام، أزر^(۱) هذه الصحيفة، فتلا عليه ما فيها، فتنهد قطري الصعداء^(۲)، فقال: يا غضبان أليتني محزوناً، وأنشأ يقول:

فيا كبدًا من غير جوع ولا ظمًا ووا كبدًا من وجدٍ أم حكيم
فلو شهدتني يوم دولابٍ أبصرتُ طعان فتى في الحرب غير لثيم^(۳)
غداة طفتُ علماء بكر بن وائلٍ وعجنا صدور الخيل نحو تميم^(۴)
وكان بعبد القيس أولُ حدنا وآب عميد الأزد غير ذميم

يعني المهلب - وأم حكيم هذه: امرأة من الخوارج قتلت بين يديه^(۵) - ثم قال:

يا غلام اكتب:

۱۸۴ - رد قطري بن الفجاءة على الحجاج

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من قطري بن الفجاءة إلى الحجاج بن يوسف ، سلام على من اتبع الهدى ، ذكرت في كتابك أني كنت بدويًا أستطعم الكثرة ، وأبدر^(۶) إلى التمرة ، وبالله لقد قلت زورا ، بل الله بصّرني من دينه ما أعماك عنه ،

(۱) زير الكتاب (وزيره أيضا) قرأه . (۲) الصعداء: تنفس طويل .

(۳) دولاب: قرية بينها وبين الأهواز أربعة فراسخ ، وقعت فيها وقعة بين أهل البصرة بقيادة مسلم ابن عيسى وبين الأزارقة بقيادة نافع بن الأزرق ، وقتل ابن عيسى وابن الأزرق في المعركة (سنة ۶۵ هـ) انظر هامش ص ۹۷ .

(۴) علماء: أي على الماء ، قال البرد « إن العرب إذا التقت في مثل هذا الموضع لآمان استجازوا حذف إحداهما استئقالا للتخفيف ، لأن ما بقي دليل على ما حذف ، وكذلك كل اسم من أسماء القبائل تظهر فيه لام المعرفة ، فإنهم يجيزون معه حذف النون التي في قولك بنو لقر بن مخرج النون من اللام وذلك قولك فلان من بلعارث وبلعبر وبلهجم » - الكامل ۲ : ۱۸۳ - وعجنا: عطفنا .

(۵) روى أبو الفرج الأصبهاني عن ميمون بن هرون قال: « حدثت أن امرأة من الخوارج كانت مع قطري بن الفجاءة يقال لها أم حكيم ، وكانت من أشجع الناس وأجلهم وجهاً وأحسنهم بدنيهم تمسكا ، وخطبها جماعة منهم فردتهم ولم تجب إلى ذلك ، فأخبرني من شهدها أنها كانت تحمل على الناس وترتجز:

أحل رأسا قد سئمت حمله وقد ملكت دهنه وغله

ألا فتى يحمل عنى قله ؟

قال: وهم يقدونها بالآباء والأمهات ، فأرأيت قلبها ولا بعدها مثلها - الأغانى ۶ : ۶ .

(۶) بدر إليه: عجل إليه واستبق .

إذ أنت سائح في الضلالة ، غرق في غمرات الكفر ، وذكرت أن الضرورة طالت بي
فهلأ برز لي من حزبك من نال الشبّع ، واتكأ فاندع^(۱) ؟ أما والله لن أبرز الله
صفحتك ، وأظهر في صلعتك^(۲) لتُنكرنَّ شبعك ، ولتعلننَّ أن مقارعة الأبطال ،
ليس كتسفير الأمثال . (الكامل للبرد ۱ : ۱۸۰)

وروى الجاحظ في البيان والتبيين هذين الكتابين بصورة أخرى قال :

صورة أخرى لكتاب الحجاج إلى قطري

كتب الحجاج بن يوسف إلى قطري بن الفجاءة :

« سلام عليك ، أما بعد ، فإنك مرقت من الدين مروق السهم من الرمية^(۳) ،
قد علمت - حيث تجرمت^(۴) ذلك - أنك عاصي لله ولولاة أمره ، غير أنك أعرابي
جلف^(۵) أُمِّي ، تستطعم الكسرة ، وتشتقي بالتمر ، والأمر عليك حسرة ، خرجت
لتناول شعبة ، فلحق بك طعام^(۶) صلوا بمثل ما صليت به من العيش ، يهزون
الرياح ، ويستنشثون^(۷) الرياح ، على خوف وحهد من أمورهم ، وما أصبحوا ينتظرون
أعظم مما جهلوا معرفته ، ثم أهلكهم الله بنزحتين والسلام . »

(۱) اندع وودع : سكن واستقر .

(۲) الصلعة بالضم والصلعة بالتحريك : موضع الصلع من الرأس .

(۳) الرمية ما يرمى .

(۴) تجرمت الشيء : أخذ معظمه .

(۵) الجلف : الجاق . (۶) الطعام : أوغاد الناس ، وصلى النار وبها : قاسى حرها . والمعنى

أنهم قاسوا من شطف العيش ما قاسيت .

(۷) أى ينشمونها ، والذئب يستنشى ، الريح أى ينشمها ، ونشيت الريح غير مهوز أى شممتها

والاستنشاء يهز ولا يهز ، ومنه فلان يستنشى الأخبار : أى يبحث عنها ويتبعها .

صورة أخرى لرد قطري عليه

فأجابه قَطْرِيُّ بن الفجاءة :

« من قطري بن الفجاءة إلى الحجاج بن يوسف ، سلام على الهداة من الولاية الذي يرعون حريم الله ، ويرهبون نعمه ، فالحمد لله على ما أظهر من دينه ، وأظلم^(١) به أهل السفالة ، وهدى به من الضلالة ، ونصر به عند استخفافك بحقه .

كتبت إلى تذكر أني أعراني جلف أُمي ، أستطعم الكسرة ، وأشتفي بالتمر ، ولعمري يا ابن أم الحجاج إنك ليئت في جيلتك ، مُطْلَخِم^(٢) في طريقتك ، واه في وثيقتك ، لا تعرف الله ولا تجزع في خطيبتك ، يئست واستيأست من ربك ، فالشيطان قرينك لا تجاذبه وثاقتك^(٣) ، ولا تنازعه خفاقتك^(٤) ، فالحمد لله الذي لو شاء أبرز لي صفحتك ، وأوضع لي طلعتك^(٥) ، فوالذي نفس قطري بيده تعرفت أن مقارعة الأبطال ليس كتصدير المقال ، مع أني أرجو أن يدحض الله حججتك ، وأن يمتعني بمهجتك^(٦) .

(البيان والتبيين ٢ : ١٦٥)

١٨٥ - كتاب عبد الملك إلى الحجاج

قال الطبري :

ولما صارت فارس كلها في يدي المهلب ، بعث الحجاج عليها عماله^(٧) وأخذها من المهلب ، فباع ذلك عبد الملك ، فكتب إلى الحجاج :

- (١) من طلع البعير كنع : غمز في مشبه .
 (٢) اطلغم الرجل : تكبر ، واطلغم الليل : أظلم .
 (٣) الوثاق بالفتح ويكسر : ما يشد به .
 (٤) الخناق بالكسر : الجبل يخنق به .
 (٥) الظاهر أنها صلعتك ، كما تقدم .
 (٦) في الأصل مهجتك ، ولكن الذي في كتب اللغة أن الفعل يتعدى إلى الثاني بالياء ، يقال : أمتعته بالشيء ، وتمعته : ملاه إياه .
 (٧) وقال الجرد : « وولى الحجاج كردما فارس ، فكتب المهلب إلى الحجاج يسأل أن يتجاف له عن إصطخر ودرا بجرد لأرزاق الجند ففعل ، وكان قطري هدم مدينة إصطخر لأن أهلها كانوا يكتبون المهلب بأخباره وأراد مثل ذلك بمدينة فسا فاشتراها منه آزاد مرد بن الهربد بمائة ألف درهم فلم يهدمها » - الكامل للجرد ٢ : ٢٢٥ - .

« أما بعدُ فدَعُ بيد المهلب خراج جبال فارس، فإنه لا بد للجيش من قوة، ولصاحب الجيش من معونة، ودع له كورة فسَا وَدَرًا بِجَرْدٍ^(۱)، وكورة إصطخرَ »
فتركها للمهلب، فبعث المهلب عليهما عماله، فكانت له قوة على عدوه وما يصلحه.
(تاريخ الطبري ۷ : ۲۶۹)

۱۸۶ - كتاب المهلب إلى الحجاج

ولما وقع الاختلاف بين الأزارقة وخلعوا قطري بن الفجاءة، وولوا عبد ربه الكبير^(۲)، كتب المهلب إلى الحجاج :

« أما بعدُ فإن الله قد ألقى بأس الخوارج بينهم، فنخلع عظمهم^(۳) قطرياً وبايعوا عبد ربه الكبير، وبقيت عصابة منهم مع قطري، فهم يقاتل بعضهم بعضاً غدواً وعشياً^(۴)، وقد رجوت أن يكون ذلك من أمرهم سبب هلاكهم إن شاء الله، والسلام » .

۱۸۷ - رد الحجاج على المهلب

فكتب إليه الحجاج :

« أما بعدُ، فقد بلغني كتابك تذكر فيه اختلاف الخوارج بينها، فإذا أتاك كتابي هذا فناهضهم على حال اختلافهم وافتراقهم قبل أن يجتمعوا، فتكون مؤنتهم^(۵) عليك أشدَّ والسلام »

(۱) درا بجرد : كورة بفارس ، وفسا : أكبر مدن تلك الكورة .

(۲) هكذا في تاريخ الطبري ، وفي الكامل للبرد أنهم ولوا عبد ربه الصغير - ج ۲ : ص ۲۲۶ - قال ابن أبي الحديد : « وكان عبدي الصغير معلم كتاب ، وكان عبدي الكبير بائع رمان ، وكلاهما من موالى قيس بن ثعلبة » م ۱ : ص ۴۰۳ .

ولما وهى أمر قطري توجه إلى طبرستان ، فوجه الحجاج إليه سفيان بن الأبرد في جيش من أهل الشام ، فسار في طلبه حتى لحقوه في شعب من شعاب طبرستان ، فقاتلوه ففرق عنه أصحابه ، ووقم عن دابته في أسفل الشعب ، فتدهدى حتى خر إلى أسفله ، واثاه حيث تدهدى عالج من أهل البلد ، فحدر عليه خجرا عظيما من فوقه ، فأصاب لإحدى رجليه ، وصاح بالناس فجاءوا إليه فقتلوه سنة ۷۷ هـ .

(۳) عظم الأمر بالضم والفتح : مظهره . (۴) أي أول النهار وآخره .

(۵) المؤنة : الثقل وفيها لعات : مشونة بفتح الميم كركوبة ، ومؤنة كغرفة ، ومؤنة كسورة .

۱۸۸ - رد المهلب على الحجاج

فكتب إليه المهلب :

« أما بعد ، فقد بلغني كتابُ الأمير ، وكلّ ما فيه قد فهمتُ ، ولستُ أرى أن أقاتلهم ما داموا يَقْتُلُ بعضهم بعضا وينقُصُ بعضهم عددَ بعض ، فإن سَمَّوْا^(۱) على ذلك فهو الذي نريد ، وفيه هلاكُهم ، وإن اجتمعوا لم يجتمعوا إلا وقد رَقَّ^(۲) بعضهم بعضا ، فأناهِضُهم على تَفِئَةٍ^(۳) ذلك ، وهم أهونُ ما كانوا ، وأضعفه شوكة إن شاء الله والسلام »^(۴) فكف عنه الحجاج .

(تاريخ الطبری ۷ : ۲۷)

(۱) يقال : تم على الأمر وتم عليه بإظهار الإدغام : أى استمر عليه .

(۲) رققه : جعله رقيقا . والمعنى أضعف بعضهم بعضا .

(۳) على تَفِئَةٍ ذلك : أى على إثره ، وحكى فيه الهمز والبدل .

(۴) وهالك كلمة عما شجر بين الأزارقة من الخلاف والشقاق ، وكان بعض ذلك من كيد المهلب وعظيم دهائه . قال أبو العباس : « وكان سبب اختلافهم أن رجلا حدادا من الأزارقة كان يعمل نصالا مسمومة ، فبرى بها أصحاب المهلب ، فرفع ذلك إلى المهلب ، فقال أنا أكفيكموه إن شاء الله فوجه رجلا من أصحابه بكتاب وألف درهم إلى عكر قطرى ، فقال: أتى هذا الكتاب في عكر قطرى واحذر على نفسك ، وكان الحداد يقال له (أبزى) فضى الرسول ، وكان في الكتاب : « أما بعد ، فإن نصالك قد وصلت إلى ، وقد وجهت إليك بألف درهم ، فاقبضها ، وزدنا من هذه النصال » فوق الكتاب والدرهم إلى قطرى ، فدعا بأبزى ، فقال ما هذا الكتاب ؟ قال : لا أدري ، قال : فهذه الدراهم ؟ قال : ما أعلم علمها ، فأمر به فقتل ، فحماه عبد ربه الصغير مولى بنى قيس بن ثعلبة فقال له : أقتات رجلا على غير ثقة ولا تبين ! فقال له : ما حال هذه الدراهم ؟ قال : يجوز أن يكون أمرها كذبا ، ويجوز أن يكون حقا ، فقال له قطرى : قتل رجل في صلاح الناس غير منكر ، وللإمام أن يحكم بما رآه صلاحا ، وليس للرعية أن تعترض عليه ، فتنكر له عبد ربه في جماعة ولم يفارقوه ، فبلغ ذلك المهلب فندس إليه رجلا نصرانيا فقال له : إذا رأيت قطريا فاسجد له ، فإذا نهاك فقل إنما سجدت لك ، ففعل النصراني ، فقال له قطرى : إنما السجود لله ، فقال ما سجدت إلا لك ، فقال له رجل من الحوارج : قد عبدك من دون الله وتلا : « إِنَّكُمْ

وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ » فقال قطرى : إن هؤلاء النصارى

قد عبدوا عيسى بن مريم فاضر ذلك عيسى شيئا ، فقام رجل من الحوارج إلى النصراني فقتله ، فأكر ذلك عليه وقال : أقتلت ذميا ، (وكانوا يوصون بالنصراني خيرا ويقولون : احفظوا ذمة نبيكم) فاختلفت الكلمة . فبلغ ذلك المهلب ، فوجه إليهم رجلا يسألهم عن شيء . فقدم به إليه فأناهم الرجل فقال رأيتم رجلين =

(۱۱ - جبهة رسائل العرب - تانى)

خرجا مهاجرين إليكم ، فأت أحدهما في الطريق ، وبلغكم الآخر فامتحنتموه فلم يجز المحنة ما تقولون فيهما ؟ فقال بعضهم : أما البيت فؤمن من أهل الجنة ، وأما الآخر الذي لم يجز المحنة فكافر حتى يجيزها ، وقال قوم آخرون : بل هما كافران حتى يجيزا المحنة ، فكثرت الاختلاف ، فخرج قطري إلى حدود إسطنخر فأقام شهرا والقوم في اختلافهم . ثم أقبل ، فقال لهم صالح بن محراق : يا قوم إنكم قد أقررتم أعين عدوكم ، وأطمعتموهم فيكم ، لنا ظهر من اختلافكم ، فعودوا إلى سلامة القلوب واجتماع الكلمة . وخرج عمرو القنادي : يا أيها المخلون ، هل لكم في الطراد فقد طال العهد به ؟ فتهايج القوم وأسرع بعضهم إلى بعض « الكامل للبرد ۲ : ۲۲۱ - وقال أيضا :

« فخاربهم المهلب حتى نفاعم إلى جيفت (وهي مدينة كبيرة من أعيان مدن كرمان ، وكرمان إقليم بين فارس وسجستان) وان بهم فترل قريبا منهم واختلفت كلماتهم وكان سبب ذلك أن عبيدة بن هلال اليشكري اتهم بامرأة رجل حداد ، وأوه مرارا يدخل منزله بغير إذن . فأتوا قطريا فذكروا ذلك له ، فقال لهم : إن عبيدة من الدين بحيث علمتم ، ومن الجهاد بحيث رأيتم ، فقالوا : إنا لا نقاره على الفاحشة ، فقال : انصرفوا ، ثم بعث إلى عبيدة فأخبره وقال ، إنا لا نقار على الفاحشة ، فقال : بهتوني يا أمير المؤمنين (أي ادعوا على) ما لم أفعل (فأتري ؟ قال : لئى جامع بينك وبينهم ، فلا تخضع خضوع المذنب ، ولا تتناول تناول البرى) ،

فجمع بينهم فتكلموا ، فقام عبيدة فقال : « بسم الله الرحمن الرحيم ، « إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ، لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ ، وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ . . . الآيات » فبكوا وقاموا إليه فاعتنقوه ، وقالوا : استغفر لنا ، ففعل ، فقال لهم عبد ربه الصغير : والله لقد خدعكم ، فبايع عبد ربه منهم ناس كثير لم يظهروا ولم يجدوا على عبيدة في إقامة الحد ثبنا .

وكان قطري قد استعمل رجلا من الدهاقين (جمع دهقان بكسر الدال وضمها وهو رئيس الإقليم وزعيم فلاحى العجم) فظهرت له أموال كثيرة فأبوا قطريا فقالوا : إن عمر بن الخطاب لم يكن يقار عماله على مثل هذا ، فقال قطري . لئى استعملته وله ضياع وتجارا ، فأوغر ذلك صدورهم ، وبلغ ذلك المهلب فقال : إن اختلافهم أشد عليهم منى .

وقالوا لقطري : ألا تخرج بنا إلى عدونا ؟ فقال : لا ، ثم خرج ، فقالوا : قد كذب وارتد (وكانت الخوارج في حيم أصنافها تراء من الكاذب ، ويرى بعضهم أن الكذبة الحقيفة على سبيل المزاح شرك بالله) فاتبعوه يوما ، فأحس بالشر ، فدخل دارا مع جماعة من أصحابه ، فصاحوا به : يا دابة اخرج إلينا ، فخرج إليهم فقال : رجعتم بعدى كفارا ، فقالوا : أو است دابة ! قال الله عز وجل : « وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا » ولكنك قد كفرت بقولك : إنا قد رجعنا كفارا ، فتب إلى الله عز وجل ، فشاور عبيدة فقال : إن ثبت لم يقبلوا منك ، ولكن قل : إنا استفهمت فقلت : أرجعتم بعدى كفارا ؟ فقال ذلك لهم ، فقبلوه منه فرجع إلى منزله .

وعزم أن يبايع المقطر العبدى ، فكروه القوم وأبوه فقال له صالح بن محراق عنه وعن القوم : ابغ لنا غير المقطر ، فقال قطري : أرى طول العهد قد غيركم ، وأنتم بصدد عدوكم ، فاتقوا الله وأقبلوا على شأنكم واستعدوا للقاء القوم ، فقال له صالح بن محراق : إن الناس قبلنا ساموا عثمان بن عفان أن يعزل عنهم سعيد بن العاص (انظر الجزء الأول ص ۲۷۰) ففعل ، ويجب على الإمام أن يعنى الرعية بما كرهت =

۱۸۹ - كتاب الحجاج إلى المهلب

وكتب الحجاج إلى المهلب يستحثه مع عبيد بن موهب ، وفي الكتاب :
« أما بعد ، فإنك تراخى عن الحرب ، حتى يأتيك رُسُلي ، فيرجعون بعذرِكَ ،
وذلك أنك تُمسِكُ حتى تَبْرَأَ الجِراحَ ، وَتُنْسِيَ القَتْلَ ، وَيَجْمَعُ^(۱) الناسَ ، ثم تلقاهم ،
فتحتل منهم مثل ما يَحتملون منك من وَحْشَةِ القَتْلِ وَأَلْمِ الجِراحِ ، ولو كنت تلقاهم
بذلك الجِدُّ لكان الداءُ قد حُسِمَ ، والقَرْنُ^(۲) قد قُصِمَ ، ولعمري ما أنت والقومُ سَوَاءٌ ،
لأن من ورائك رجالاً ، وأمامك أموالاً ، وليس للقوم إلا مامعهم ، ولا يُدْرِكُ الوَجِيفُ^(۳)
بالدَّيْبِ^(۴) ، ولا الظَّفَرُ بالتَّعْذِيرِ^(۵) . »

== فأبى قضى أن يعزله ، فقال له القوم : إنا خلعتك وولينا عبد ربه الصغير ، فانفصل إلى عبد ربه أكثر
من الشطر وجارم الموالى والمجم . الكامل ۲ : ۲۲۵ .
وقال الطبرى :

« وخرج رجل منهم كان عاملاً لقطرى على ناحية من كرمان في سرية لهم يدعى المقطر من بني ضبة
قتل رجلاً قد كان ذا بأس من الخوارج ودخل منهم في ولاية . فقتله المقطر ، فوثبت الخوارج إلى قطرى
ذكروا له ذلك . وقالوا : أمكننا من الضي فقتله بصاحبنا ، فقال لهم : ما أرى أن أفعل ، رجل تأون
فأخطأ في الأوبيل ، ما أرى أن تقتلوه ، وهو من ذوى الفضل منكم والسابقة فيكم ، قالوا : بلى قال لهم :
لا ، فوقع الاختلاف بينهم ، فولوا عبد ربه الكبير وخلصوا قطرباً وبايع قطرباً منهم عصابة نحو من ربهم
أو خمسهم ، فقاتلهم نحو من شهر غدوة وعشية » - تاريخ الطبرى ۷ : ۲۷ - .

(۱) أى يترجموا من تعبهم ويعود إليهم نشاطهم ، من جم الماء يجم بالضم والكسر جوما : أى كثر
واجتمع ، والبئر : تراجع ماؤها ، والفرس جما بالفتح : ترك الضراب فتجمع ماؤه ، وجا وحاماً : ترك
فلم يركب ففعا من تعبه .

(۲) يصح أن يكون « القرن » بالفتح ، وهو الجانب الأعلى من الرأس : أى قصمت قرن الأعداء
كما يقال كسر شوكتهم ، وأن يكون بالكسر وهو الكف في الشجاعة أو عام وهو الأطهر لما شبر
إليه كلام المهلب الآتى .

(۳) الوجيف : ضرب من سير الخيل والإبل .

(۴) التعذير : التصير في الأمر .

فلما جاء المهلب هذا الكتاب قال لأعباه : إن الله عز وجل قد أراحكم من أقران أربعة : قطرى
ابن الفجاءة ومالح بن مخراق وعبيدة بن هلال وسعد الطلائع ، وإنما بين أيديكم عبد ربه في خشار من خشار
الشیطان تقتلونهم إن شاء الله (والخشار والمشاراة بضم الماء : الردىء من كل شئ ، وسفلة الناس) فكانوا
يتفادون القتال ويتراوحون ، فتصيبهم الجراح ، ثم يتعاجزون ، كأنما انصرفوا من مجلس كانوا
يتحدثون فيه ، فيضحك بعضهم إلى بعض ، فقال عبيد بن موهب للمهلب : قد بان عذرِكَ وأنا مخبر الأمير .

۱۹۰ - رد المہلب علی الحجاج

فكتب المہلب إليه :

« أما بعد ، فإنی لم أعطِ رُسُلَكَ علی قول الحق أجراً ، ولم أحتج منهم مع المشاهدة إلى تلقين ، ذكرت أنى أجيم^(۱) القوم ، ولا بد من راحة يستريح فيها الغالب ، ويحتال فيها المقلوب ، وذكرت أن فى ذلك الجمام ما ينسى القتل وتبراً منه الجراح ، وهيات أن ينسى ما بيننا وبينهم ، تأبى ذلك قتلى لم تجن^(۲) ، وقروح لم تتعرف ، ونحن والقوم على حالة وهم يرقبون منا حالات ، إن طمعوا حاربوا ، وإن ملوا وقفوا ، وإن يشوا انصرفوا ، وعلينا أن نقاتلهم إذا قاتلوا ، وتحرز إذا وقفوا ، ونطلب إذا هربوا ، فإن تركتني والرأى ، كان القرن مقصوماً ، والداء بإذن الله محسوماً ، وإن أعجبتني لم أطعك ولم أعص ، وجعلت وجهي إلى بابك ، وأنا أعوذ بالله من سخط الله ومقت الناس . »

(الكامل للبرد ۲ : ۲۲۷ ، وشرح ابن أبي الحديد ۱ : ۱ ص ۴۰۳)

ونهاية الأرب ۷ : ۲۴۸ ، وصبح الأعشى ۶ : ۵۵۹

۱۹۱ - كتاب المہلب إلى الحجاج

ولما تمت الغلبة للمہلب على الأزارقة ، وقتل آخر زعمائهم عبد ربه الصغير سنة ۷۸ هـ أوفد المہلب إلى الحجاج كعب بن معدان الأشقرى ومرة بن تليد الأزدي ليخبراه بالفتح ، وكتب إليه :

« بسم الله الرحمن الرحيم : الحمد لله الكافي بالإسلام فقد ما سواه ، المعجل النعمة لمن بقاء ، الذى حكم بأن لا ينقطع المزيد منه حتى ينتطح الشكر من عباده^(۳) ، أما بعد :

(۱) من أجم الماء : أى تركه مجتمع .

(۲) أجنه : كفته ، أى قتل دفنت دون أن تكفن ، وفى رواية « قتل من لم يجن ، وتعرفت الفرحة فقنرت ، وذلك إذا يبست : أى وقروح لم تبرأ ، وفى صبح الأعشى « لم تعرف » وهو تحريف .

(۳) وفى أدب الكتاب : « الذى يزيد من شكره ، ويرزق من كفره » .

قد كان من أمرنا ما قد بلغك^(۱) ، وكنا نحن وعدونا على حالين مختلفين .
 يبرئنا منهم أكثر مما يسودنا ، ويسودهم منا أكثر مما يسرهم ، على اشتداد شوكتهم
 واجتماع كلمتهم ، وانزعاج القلوب اخافتهم ، فقد كان عان^(۲) أمرهم ، حتى ارتفعت له
 الفتاة ، ونوم بذكرهم الرضيع ، وصم لخوفهم السميع ، فانتهزت منهم الفرصة في وقت
 إمكانها ، وأدبت السواد^(۳) من السواد حتى تعارفت الوجوه ، فلم نزل كذلك حتى بلغ
 الكتاب^(۴) أجله « فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين » .

(الكامل المبرد ۲ : ۲۳۲ وشرح ابن أبي الحديد ۱ : ص ۴۰۷)
 وشرح العيون ص ۱۳۵ وأدب الكتاب ص ۲۳۵)

۱۹۲ - رد الحجاج على المهلب

فكتب إليه الحجاج :

« أما بعد فإن الله عز وجل قد فعل بالمسلمين خيرا ، وأراحهم من حدّ الجهاد ،
 وكنت أعلم بما قبلك ، والحمد لله رب العالمين ، فإذا ورد عليك كتابي هذا ، فاقسم
 في المجاهدين قيتهم ، ونقل^(۵) الناس على قدر بلائهم ، وفضل من رأيت تفضيله ،
 وإن كانت بنت من القوم بنية تخلف خيلا تقوم بإزائهم ، واستعمل على كرمان^(۶)
 من رأيت ، وول الخيل شهبا من ولدك ، ولا ترخص لأحد في اللحاق بمنزله .
 دون أن تقدم بهم على ، وعجل القدوم إن شاء الله » .

(۱) وفيه : « فقد كان من أمرنا ما أغتت جمته عن تفضيله ، وكنا نحن وعدونا في مدة هذا النزاع
 على حالين . . . » .

(۲) عان الأمر كسر وضرب وكرم وفرح علنا بالتحريك وعلاية واعلان : ضمير .

(۳) السواد : العدد الكثير ، ومن الناس عامتهم .

(۴) وفي أدب الكتاب : « فانتهزت منهم الفرصة عند إمكانها ، بعد أن نظرت وقت إبانها ،
 واستدعى النهل عليه ، وبلغ الكتاب أجله ، فقطع . . . » .

(۵) النقل بالتحريك : النسيبة ، ونقله النقل ونقله بالتشديد وأنقله : أعطاه إياه .

(۶) إقليم بين فارس وسجستان .

فولى المهلب ابنه يزيد كرماني ، وقدم على الحجاج فأجلسه إلى جانبه وأظهر إكرامه وبره ، وقال : يا أهل العراق أنتم عبيد المهلب .

وكان أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد عاملاً على خراسان وسجستان ، فعزله عبد الملك سنة ۷۸ هـ وجمع سلطانه للحجاج ، فبعث المهلب على خراسان ، وعبيد الله ابن أبي بكره على سجستان .

الكامل للبرد ۲ : ۲۳۲ ، وشرح ابن أبي الحديد م ۱ : ص ۴۰۷ ، وشرح العيون ص ۱۳۵

حروب الخوارج الشيبية

١٩٣ - كتاب شبيب بن يزيد إلى صالح بن مسرح

وفي سنة ٧٦ هـ تحرك صالح بن مسرح^(١) زعيم فرقة الصالحية - إحدى فرق الخوارج الصفرية^(٢) - وكان يداراً^(٣) وأرض الموصل والجزيرة، له أصحاب يُقرئهم القرآن، ويفقههم، ويتصون عليهم، فخرجهم على الخروج محتجاً بأن الجور قد فشا، وأن العدل قد عفا، وأن الولاية لا يزدادون إلا غلواً وعتواً، وتباعداً عن الحق وجرأةً على الرب ودعاهم أن يستعدوا ويبعثوا إلى إخوانهم لياتوهم وينظروا فيما هم صانعون، فتراسل أصحابه وتلاقوا، فبيناهم في ذلك إذ قدم عليهم رسول بكتاب من شبيب بن يزيد الشيباني إلى صالح بن مسرح، وفيه:

«أما بعد، فقد علمت أنك كنت أردت الشخوص، وقد كنت دعوتني إلى ذلك فاستجبت لك، فإن كان ذلك اليوم من شأنك فأنت شيخ المسلمين، ولن نمدل بك منا أحداً، وإن أردت تأخير ذلك اليوم أعلمتني، فإن الآجال غادية ورائحة، ولا آمن أن تخترمني^(٤) المنية وأنا أجاهد الظالمين، فيآله غبنا، ويا له فضلا متروكا! جعلنا الله وإياك ممن يريد بعمله الله ورضوانه والنظر إلى وجهه ومراقبة الصالحين في دار السلام، والسلام عليك.»

(١) هو أحد بني امرئ القيس.

(٢) الصفرية: فرقة من الفرق الرثبية للخوارج، وهم أصحاب ريباد بن الأصغر، وقيل نسبوا إلى عبد الله بن صفار، وقيل لأنهم نهكتم العبادة فاصفرت وجوههم فنسبوا إلى صفرة ألوانهم، وقال الأصمعي: الصواب الصفرية بالكسر، قال: وخاصم رجل منهم صاحبه في السجن فقال له: أنت والله صفر من الدين، فسما الصفرية.

(٣) دارا: بلد بين نصيبين وماردين من أرض الجزيرة. (٤) اخترمته المنية: أخذته.

۱۹۴ - رد صالح بن مسرح على شبيب

فكتب إليه صالح :

« أما بعد ، فقد كان كتابك وخبرك أبطأ عني حتى أهمني ^(۱) ذلك ، ثم إن أمراً من المسلمين نبأني بنبا مخرجك ومقدمك ، فنحمد الله على قضاء ربنا ، وقد قدم على رسولك بكتابك ، فكل ما فيه قد فهمته ، ونحن في جهاز واستعداد للخروج ، ولم يمنعني من الخروج إلا انتظارك ، فأقبل إلينا ثم اخرج بنا متى أحببت ، فإنك ممن لا يستغنى عن رأيه ، ولا تقضى دونه الأمور ، والسلام عليك . »

وبالغ مخرجهم محمد بن مروان وهو يومئذ أمير الجزيرة فبعث إليهم جيشاً بقيادة عدى بن عدى بن عميرة ، فهزمه صالح ونزل عسكره وحوى ما فيه ، فبعث إليهم محمد بن مروان جيشاً آخر فقاتلهم فخرجوا من أرض الجزيرة إلى الموصل ، وبالغ ذلك الحجاج فسرح إليهم جيشاً يقوده الحرث بن عميرة بن ذى الشعار ، فحاربهم وقتل صالح في المعركة ، فبايع أصحابه شبيب بن يزيد (فسَمُوا الشيبية) فحمل على جيش الحرث فهزمه ، وضارب الحرث حتى صرع واحتمله أصحابه وانهمزوا وخلوا لهم العسكر وما فيه ومضوا حتى نزلوا المدائن .

(تاريخ الطبري ۷ : ۲۱۹ ، وشرح ابن أبي الحديد ۱ ص ۴۰۹)

۱۹۵ - كتاب الحجاج إلى سفيان بن أبي العالية

وتجهز شبيب للخروج ، ومضى في أداني أرض الموصل ثم ارتفع نحو أذربيجان ، فكتب الحجاج إلى سفيان بن أبي العالية الخثعمي - وكان أتيل في خيل أمير أن يدخل بها طبرستان :

(۱) أدلتي .

« أما بعد ، فسير حتى تنزل الدشكرة^(۱) فيمن معك ، ثم أقيم حتى يأتيك جيش الحارث بن عميرة الهمداني بن ذى المشاعر وخيل المناظر^(۲) ، ثم سير إلى شبيب حتى تناجزه . » (تاريخ الطبری ۷ : ۲۲۴ ، وشرح ابن أبي الحديد ۱ : ۴۱۱)

۱۹۶ - کتاب سفیان بن أبی العالیة إلى الحجاج

فأقبل سفیان حتى نزل الدشكرة ، ووافاه بها جيش الحارث بن عميرة ، وكان على خيل المناظر سورة بن أبحر التميمي ، فسار إليه وبعث إليه أن لا تبرح العسكر حتى آتيتك ، فعجل سفیان فارتحل في طلب شبيب فأحرقه بخانقين^(۳) في سفح جبل ، وكاده شبيب^(۴) فأوقع بحيشه الهزيمة ، وقاتله سفیان حتى خرَّ بين القتلى وحمل مرتشاً^(۵) ، وأتى به بابل مهروود^(۶) فنزل بها ، وكتب إلى الحجاج :

« أما بعد ، فإني أخبر الأمير - أصلحه الله - أني اتبعت هذه المارقة حتى لحقتهم نخائين ، فقاتلتهم فحرب الله وجوههم ونصرنا عليهم ، فبينما نحن كذلك إذ أتاهم قوم كانوا غيباً عنهم ، فحملوا على الناس فهزموهم ، فنزلت في رجال من أهل الدين والصبر فقاتلتهم حتى خررت بين القتلى فحملت مرتشاً ، فأتى بي بابل مهروود ، فهأنا بها ، والجند الذين وجههم إلى الأمير وافوا ، إلا سورة بن أبحر ، فإنه لم يأتني ولم يشهد معي ، حتى إذا ما زلت بابل مهروود أناني يقول ما لا أعرف ويعتذر بغير العذر ، والسلام . »

فلما قرأ الحجاج الكتاب قال : من صنع كما صنع هذا ، وأبلى كما أبلى ، فقد أحسن . (تاريخ الطبری ۷ : ۲۲۵)

(۱) قرية كبيرة غربى بغداد .

(۲) المناظر جمع منظرة بالفتح : وهي الرقبة (موضع في رأس جبل فيه رقيب ينظر العدو)

(۳) بلد بسواد بغداد .

(۴) وذلك أن شيبيا أصغر لهم ثم ارتفع عنهم حتى كأنه يكره لقاءه ، وقد أكن له أخاه مصاد بن يزيد في كمين معه ، فلما رأوه جمع أصحابه ثم مضى في سفح الجبل مشرفاً ، قالوا : حرب عدو الله فاتبعوه ، فلما رأى شبيب أنهم قد جازوا الكمين عطف عليهم ، ولما رأى الكمين أن قد جازوه خرجوا إليهم فحمل عليهم شبيب من أمامهم ، وصاح بهم الكمين من ورائهم ، وكانت الهزيمة .

(۵) ارتث : حمل من المعركة رثينا أى جريحاً وبهرق . (۶) بلد بسواد بغداد .

۱۹۷ - رد الحجاج على ابن أبي العالية

ثم كتب إليه :

« أما بعد ، فقد أحسنت البلاء ، وقضيت الذي عليك ، فإذا خفَّ عنك الوجعُ فاقبل ما جوراً إلى أهلِكَ والسلام » . (تاريخ الطبري ۷ : ۲۲۵)

۱۹۸ - كتاب الحجاج إلى سورة بن أبحر

وكتب إلى سورة بن أبحر :

« أما بعد ، فيا ابن أمِّ سورة ما كنتَ خليقاً أن تجترئَ على ترك عهدي ، وخذلان جندي ، فإذا أتاك كتابي فابعث رجلاً ممن معك صلياً ، إلى الخيل التي بالمدائن ، فلينتخب منهم خمسمائة رجل ، ثم ليقدّم بهم عليك ، ثم يسر بهم حتى تلتقي هذه المارقة ، واحزم في أمرك ، وكِدْ عدوك ، فإن أفضل أمر الحرب حُسن المكيدة ، والسلام » .

فعل سورة ما أمر به ولقي شيبياً ، فحمل عليه شبيب ودخره .

(تاريخ الطبري ۷ : ۲۲۵ وشرح ابن أبي الحديد ۱ : ص ۲۱۱)

۱۹۹ - كتاب الحجاج إلى الجزل بن سعيد

وقدم الفلّ على الحجاج فسرح إليهم الجزل بن سعيد^(۱) ، فجعل يتبعهم فلا يسير إلا على نمبية ، ولا ينزل إلا على خندق ، وكان شبيب يدعه ويضرب في أرض جوخي^(۲) وغيرها يكسر الخراج ، وطال ذلك على الحجاج ، فكتب إليه :

(۱) وكان من كلماته الحكيمة أن قال له حين دعاه : « تيسر للخروج إلى هذه المارقة ، فإذا لقيتهم فلا تعجل عجلة الخرق ، ولا تهجم لإحجام الوائي الفرق » .

(۲) جوخي بالضم والقصر وقد يفتح : كورة واسمة في سواد بغداد .

« أما بعدُ ، فإنی بعثتک فی فرسانِ أهلِ البصرِ ووجوهِ الناسِ ^(۱) ، وأمرتک باتباعِ هذه المارقة الضالة المضلة حتى تلقاها ، فلا تقلع عنها حتى تقتلها وتفنيها ، فوجدت التَّعْرِيسَ ^(۲) فی القرى ، والتَّخِيمَ فی الخنادق ، أهونَ عليك من المضى بنا . أمرتک به من مناهضتهم ومناجزتهم والسلام . »

فشقَّ ذلك على الجزل ، وأمر الناس بالسير ، فخرجوا فی طلب الخوارج جادين .

وبعث الحجاج سعيد بن مجالد على ذلك الجيش وعهد إليه :

« إن لبيت المارقة فازحف إليهم ولا تناظرهم ولا تطاولهم وواقفهم واستعن بالله عليهم ، ولا تصنع صنيع الجزل ، واطلبهم طلب السبع ، وحذ عنهم حيدان الضبع . »
(تاريخ الطبري ۷ : ۲۲۸ ، وشرح ابن أبي الحديد م ۱ ص ۴۱۳)

۲۰۰ - كتاب الجزل بن سعيد إلى الحجاج

وجاء سعيد بن مجالد ، فأخرج الناس معه وجمع إليه خيول أهل العسكر ليقاتل شيبيا ، فنصح له الجزل ألا يقاتله إلا في جماعة الناس عامة ، فأبى ، فقال له : ليس لي فيما صنعت رأى ، أنا برىء من رأبك هذا ، سمع الله ومن حضر من المسلمين ، فقال هو رأبي ، إن أصبتُ فالله وقتني له ، وإن يكن غير صواب فأنتم منه براء ، وخرج للقاء شبيب ، فحمل عليهم شبيب فهزمهم وشدَّ على سعيد فصرَّ به نحرًا ميتا ، وانهمزم ذلك الجيش وقتلوا كل قتلة حتى انتهوا إلى الجزل ، فقاتل الجزل قتالا شديدا حتى أُحْمِلَ من بين القتلى ، ونزل إلى المدائن مُرْتَثًا ، وَقَدِمَ قَلَّ أهل ذلك العسكر الكوفة .

(۱) وذلك أن الجزل حين دعى للخروج قال للحجاج : أصلح الله الأمير ، لا تبعثن معي أحدا من أهل هذا الجند المفعول المهزوم ، فإن الرعب قد دخل قلوبهم ، وقد خشيت أن لا ينفعك والمسلمين منهم أحد ، فقال له : فإن ذلك لك ولا أراك إلا قد أحسنت الرأي ووفقت ، وأمر فاختر له بعث آخر .
(۲) عرس القوم وأعرسوا : نزلوا في آخر الليل للاستراحة .

وكتب الجزل إلى الحجاج :

« أما بعدُ : فإني أخبر الأمير - أصلحه الله - أني خرجتُ فيمن قبلي من الجند الذي وجهني فيه إلى عدوه ، وقد كنتُ حفظتُ عهدَ الأمير إلىَّ وبهم ورأبهُ ، فكنتُ أخرج إليهم إذا رأيتُ الفرصةَ ، وأحْبِسُ الناسُ عنهم إذا خَشِيتُ الوَرْطَةَ ، فلم أزل كذلك أدبِرُ الأمرَ وأرفُقُ في التدبير ، ولقد أَرادني العدوُّ بكلِّ مَكِيدَةٍ ، فلم يُصِبْ مِنِّي عِرَّةً ، حتى قَدِمَ عليَّ سعيد بن مجالد - رحمة الله عليه - ولقد أمرته بالتَّؤدَّة ونَهَيْتَهُ عَنِ العَجَلَةِ ، وأمرته ألا يَقَاتِلَهُمْ إِلَّا فِي جمَاعَةِ النَّاسِ عَامَّةً ، فعصاني وتَعَجَّلَ إِلَيْهِمْ فِي الخَيْلِ ، فَأَشْهَدْتُ عَلَيْهِ أَهْلَ المِصْرِينَ أَنِي بَرِيءٌ مِنْ رَأْيِهِ الَّذِي رَأَى ، وَأَنِي لَا أَهْوَى مَا صَنَعَ ، فَضَيَّ فَأَصِيبَ ، تَجَاوَزَ اللهُ عَنْهُ ، وَدَفَعَ^(۱) النَّاسُ إِلَى قَبْزَتِي وَدَعَوْتِهِمْ إِلَيَّ ، وَرَفَعْتُ لَهُمْ رَأْيِي ، وَقَاتَلْتُ حَتَّى صُرِعْتُ ، فَحَمَلَنِي أَصْحَابِي مِنْ بَيْنِ النَّتْلِ ، فَمَا أَفَقْتُ إِلَّا وَأَنَا عَلَى أَيْدِيهِمْ عَلَى رَأْسِ مَيْلٍ مِنَ المَعْرَكَةِ ، فَأَنَا الْيَوْمَ بِالمَدَائِنِ فِي حِرَاحَةِ تَدْيُوتِ الرَّجْلِ مِنْ دُونِهَا وَبُعَافِي مِنْ مِثْلِهَا ، فَلَيْسَ أَلِ الأَمِيرُ - أَصْلَحَهُ اللهُ - عَنِ نَصِيحَتِي لَهُ وَجُنْدِهِ ، وَعَنِ مَكَايِدَتِي عَدُوَّهُ ، وَعَنْ مَوْقِفِي يَوْمَ البَاسِ ، فَإِنَّهُ يَسْتَبِينُ لَهُ عِنْدَ ذَلِكَ أَنِي قَدْ صَدَّقْتُهُ وَنَصَحْتُ لَهُ ، وَالسَّلَامُ . »

(تاريخ الطبري ۷ : ۲۳۱ ، وشرح ابن أبي الحديد م ۱ ص ۴۱۳)

۲۰۱ - رد الحجاج على الجزل بن سعيد

فكتب إليه الحجاج :

« أما بعدُ ، فقد أتاني كتابك وقرأته وفهمتُ كلَّ ما ذَكَرْتَ فِيهِ ، وَقَدْ صَدَّقْتُكَ فِي كُلِّ مَا وَصَفْتَ بِهِ نَفْسَكَ ، مِنْ نَصِيحَتِكَ لِأَمِيرِكَ ، وَحَيِّطْنَاكَ عَلَى أَهْلِ مِصْرِكَ ، وَشَدِّتْنَاكَ عَلَى عَدُوِّكَ ، وَقَدْ فَهَمْتُ مَا ذَكَرْتَ مِنْ أَمْرِ سَعِيدٍ وَعَجَلَتِهِ إِلَى

(۱) أَي اتَّهَمُوا لِي .

عدوه ، فقد رضيتُ عَجَلَتَهُ وتُوَدَّتْكَ ، فأما عَجَلَتُهُ فإنها أفضتُ به إلى الجنة ، وأما تُوَدَّتْكَ فإنها لم تدع الفرصة إذا أمكنتُ ، وترَكَ الفرصة إذا لم تُمكن حَزْمٌ ، وقد أصبتُ وأحسنَتُ البلاءَ وأجرتُ^(۱) ، وأنت عندي من أهل السمع والطاعة والنصيحة ، وقد لَسَخَصْتُ إليك حَيَّانَ ابْنِ أَيْمَرٍ لِيُدَاوِيَكَ ويعالج جِرَاحَكَ ، وبعثتُ إليك بالفي درهم فأنفتمها في حاجتك وما ينوبك ، والسلام .

(تاريخ الطبري ۷ : ۲۳۱ ، وشرح ابن أبي الحديد م ۱ : ص ۴۱۴)

۲۰۳ - كتاب ماذر واسب إلى عروة بن المغيرة بن شعبة

وخرج الحجاج إلى البصرة واستخلف على الكوفة عروة بن المغيرة بن شعبة ، فاشعر الناس بشيء حتى جاء كتاب من « ماذر واسب » دِهْتَانِ « بابل مهروذ » وعظيمها إلى عروة بن المغيرة :

« إن تاجرا من تجار الأنبار من أهل بلادى أتانى فذكر أن شبيبا يريد أن يدخل الكوفة في أول هذا الشهر المستقبل ، فأحبيتُ إعلامك ذلك لترى رأيك » .

(تاريخ الطبري ۷ : ۲۳۲ ، وشرح ابن أبي الحديد م ۱ : ص ۴۱۴)

۲۰۳ - كتاب عروة بن المغيرة بن شعبة إلى الحجاج

فكتب عروة إلى الحجاج :

« إن شبيبا قد أقبل مسرعا يريد الكوفة ، فاعجل العجل » .

فطوى الحجاج المنازل ، واستبق هو وشبيب إلى الكوفة ، فنزلها فالحجاج صلاة الظهر ، ونزل شبيب السبخة صلاة المغرب ، ثم دخل الكوفة حتى انتهى إلى السوق ،

(۱) أى نك الأجر ، أجره وآجره : جراه .

وشد حتى ضرب باب القصر بعموده ، واقتحموا المسجد الأعظم . وقتلوا جماعة ممن صادفهم ثم خرجوا منها^(۱) .
(تاريخ الطبری ۷ : ۲۳۲)

۲۰۴ - کتاب الحجاج إلى جند عبد الرحمن بن الأشعث

ودعا الحجاج عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس الكِنْدِي فقال له : انتخب الناس وأخرج في طلب هذا العدو، فانتخب فرسان الناس ووجوههم ، فلما أراد الحجاج إشغاصهم كتب إليهم :

« أما بعد ، فقد اعتدتم عادة الأذلاء ، ووليتم الدُّبْرَ يوم الزحف ، وذلك دأب الكافرين ، وإني قد صفحتُ عنكم مرّةً بعد مرة ، ومرة بعد مرة ، وإني أقسم لكم بالله قسماً صادقاً : لئن عدتم لذلك لأوقعنَّ بكم إيقاعاً يكون أشدَّ عليكم من هذا العدو الذي تهربون منه في بطون الأودية والشعاب^(۲) ، وتستترون منه بأثنا^(۳) الأنهار والوادي الجبال ، تخاف من له معقول^(۴) على نفسه ، ولم يجعل عليها سبيلاً ، وقد أعذر من أنذر^(۵) .
وقد أسمعتَ لو ناديت حياً ، ولكن لا حياة إن تُنادي
والسلام عليكم » .

نخرج ابن الأشعث في الناس نحو شيب ، فلما دنا منه ارتفع عنه شيب ، فسار ابن الأشعث في طلبه ، حتى إذا كان على التُّخوم أقام وقال : إنما هو في أرض الموصل فليقاتلوا عن بلادهم أو ليدعوه .
(تاريخ الطبری ۷ : ۲۳۸ ، وشرح ابن أبي الحديد م ۱ : ص ۴۱۶)

(۱) ووجه الحجاج زحر بن قيس في جيش ، وأمره أن يتبع شيباً حتى يواقعه حيثما أدركه . وبلغ شيباً مسيره إليه فأقبل نحوه فالتقيا ، فقاتل زحر حتى صرع وانهمزم أصحابه وعبا الحجاج جيشاً فيه سبعة أمراء ، كل أمير على أصحابه وأمير الجميع زائدة بن قدامة ، ودارت رحى الحرب بينه وبين جيش شيب ، وانجلت عن هزيمة جيش زائدة وقتله .

(۲) جمع شعب بالكسر : وهو الطريق في الجبل ، وميل الماء في بطن أرض ، أو ما انفرج بين الجبلين
(۳) جمع ثني بالكسر . وثني النهر والوادي : منعطفه . والألواذ : جمع لوذ بالفتح وهو جانب الجبل ومنعطف الوادي .

(۴) معقول : عقل . (۵) أعذر : تبت له عذر .

۲۰۵ - كتاب الحجاج إلى ابن الأشعث

فكتب إليه الحجاج :

« أما بعدُ : فاطلب شبيباً واسلُك في أثره أين سَلَكَ حتى تدركه فتقتله أو تنفيه ، فإنما السلطان سلطان أمير المؤمنين ، والجندُ جندهُ ، والسلام . »
نخرج في طاب شبيب ، وكان شبيب لا يصيب له غيرةً ولا يصل إليه لشدة حذره منه^(۱) . (تاريخ الطبري ۷ : ۲۳۸ ، وشرح ابن أبي الحديد م ۱ : ص ۱۷)

۲۰۶ - كتاب عثمان بن قطن إلى الحجاج

وأرسل شبيب إلى عبد الرحمن يسأله الموادعة حتى تمضي أيام العيد (عيد الأضحى سنة ۷۶ هـ) فأجابه ، ولم يكن شيء أحبَّ إلى عبد الرحمن من المطاولة والموادعة ، فكتب عثمان بن قطن عامل المدائن إلى الحجاج :

« أما بعدُ فإني أخبر الأمير - أصلحه الله - أن عبد الرحمن بن محمد قد حفر جُوحى كلها خندقاً واحداً ، وخبَّى شبيباً وكثراً خراجها ، وهو يأكل أهلها والسلام . »
(تاريخ الطبري ۷ : ۲۳۹)

۲۰۷ - رد الحجاج على ابن قطن

فكتب إليه الحجاج :

« أما بعدُ : فقد فهمتُ ماذا كرتَ لي عن عبد الرحمن ، وقد لَعَمْرِي فعل ماذا كرتَ فسر إلى الناس فانت أميرهم ، وعاجل المارقة حتى تلقاهم فإن الله - إن شاء الله - ناصرك عليهم ، والسلام . »

(۱) كان شبيب يدعه حتى إذا دنا منه بيته فيجده قد خندق على نفسه وحفر ، فيمضي وبدعه ، فينبه عبد الرحمن فإذا بان له أنه قد تحمل وأنه يسير أقبل في الخيل ، فإذا انتهى إليه وجده قد صف الخيل والرجال وأدى الرامية ، فلا يصيب له غيرة ولا له علة ، فيمضي وبدعه .

وبعث الحجاج إلى المدائن مُطَرِّف بن المغيرة بن شعبة ، وقدم عثمان بن قطن
على ابن الأشعث ومن معه ، فخرج بهم للقاء شبيب ، فقتله شبيب وهزم جنده .
(تاريخ الطبري ۷ - ۲۳۹ ، وشرح ابن أبي الحديد ۱ - ص ۲۱۷)

۲۰۸ - كتاب مطرف بن المغيرة بن شعبة إلى الحجاج

وأقبل شبيب نحو المدائن ، فكتب مُطَرِّف إلى الحجاج :
« أما بعدُ فإني أخبر الأمير - أكرمه الله - أن شيبيا قد أقبل نحونا ، فإن رأى
الأمير أن يُعِدَّنِي برجال أضيِّط بهم المدائن فعل ، فإن المدائن باب الكوفة وحِصْنُهَا .
وفي رواية أخرى للطبري أيضا أنه كتب إليه : « إن شيبيا قد أطل على ، فابث
إلى المدائن بعثاً » فأمدته الحجاج بما طلب . (تاريخ الطبري ۷ : ۲۴۹ - ۲۵۹)

۲۰۹ - كتاب ماذرواسب إلى الحجاج

وجاء شبيب حتى نزل قناطر حَدَيْفَةَ بن اليماني ، فكتب ماذر واسب عظيم بابل
مَهْرُود إلى الحجاج :

« أما بعدُ ، فإني أخبر الأمير - أصلحه الله - أن شيبيا قد أقبل حتى نزل قناطر
حَدَيْفَةَ ، ولا أدري أين يريد . »

فقام الحجاج في الناس فقال : « أيها الناس ، والله لتقاتلنَّ عن بلادكم وعن فيثكم ،
أو لَأَبْعَثَنَّ إلى قوم هم أطوعُ وأسمعُ وأصبرُ على اللأواءِ (۱) والفيظِ منكم ، فيقاتلون
عدوَّكم ويأكلون فيثكم . »

فقاموا إليه من كل جانب فقالوا : نحن نقاتلهم ، ونعتب (۲) الأمير ، فليندُبنا
إليهم فإننا حيث سره .

(تاريخ الطبري ۷ : ۲۵۳)

(۱) الشدة . (۲) نرضى .

۲۱۰ - كتاب الحجاج إلى عبد الملك بن مروان

وكتب الحجاج إلى عبد الملك بن مروان :

« أما بعدُ فإني أخبر أمير المؤمنين - أكرمه الله - أن شيبا قد شارف المدائن ، وإننا يريد الكوفة ، وقد عجز أهل الكوفة عن قتاله في مواطن كثيرة ، في كلِّها يقتل أمراءهم ويقتل جنودهم ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يبعث إلى أهل الشام ، فيقاتلوا عدوهم ، وبأكلوا بلادهم فليعمل ، والسلام . »

فبعث إليه عبد الملك سُفيان بن الأبرد الكلبي في أربعة آلاف ، وحبيب بن عبد الرحمن الحكمي في ألفين .

(تاريخ الطبري ۷ : ۱۴۳ ، وشرح ابن أبي الحديد ۱ : ص ۴۱۹)

۲۱۱ - كتاب الحجاج إلى جند الشام

وخاف الحجاج غارة شبيب على من أقبل إليه من أهل الشام ، فبعث إليهم رسولا بكتاب فيه :

« أما بعدُ ، فإذا حاذيتم هيت^(۱) فدعوا طريق الفرات والأنبار ، وخذوا على عين التمر^(۲) حتى تقدّموا الكوفة إن شاء الله ، وخذوا حذرَكم ، وعجلوا السير ، والسلام . »
وجهاز الحجاج جيشا عظيما من أهل الكوفة ، واستقدم عتاب بن رزقاء الرياحي - وكان مع المهلب بن أبي صفرة على قتال الأزارقة - فبعثه على ذلك الجيش ، فسار عتاب لقتال شبيب ، وحمال عليه شبيب فتفرق عنه كثير من أصحابه وخذلوه ، وثبت في عصابة قليلة صبرت معه وقاتل حتى قتل .

ثم قدّم جيش الشام فشدوا للحجاج ظهره ، فاستغنى بهم عن أهل الكوفة .

(۱) بلدة على الفرات فوق الأنبار . (۲) بلدة قريبة من الأنبار .

(۱۲ - جبهة رسائل العرب - ثاني)

وجد شبيب حتى دخل الكوفة دخلته الثانية ، ومعه زوجته غزالة^(۱) - وقد كانت نذرت أن تصلي في مسجد الكوفة ركعتين تقرأ فيهما البقرة وآل عمران ففعلت - وتحصن الحجاج في دار الإمارة ، ثم هبّ لمدافة شبيب ، وخرج إليه بنفسه ، فانهزم شبيب وقتلت زوجته وانصرف عن الكوفة .

(تاريخ الطبري ۷ : ۲۴۴ ، وشرح ابن أبي الحديد ۱ : ۴۱۹)

۲۱۲ - كتاب الحجاج إلى الحكم بن أيوب

وأتبعه الحجاج جيشاً يقوده سفیان بن الأبرد ، وكتب إلى الحكم بن أيوب بن الحكم بن أبي عقيل - وهو زوج ابنة الحجاج ، وعامله على البصرة - :

« أما بعد فابعث رجلاً شجاعاً شريفاً من أهل البصرة في أربعة آلاف إلى شبيب ، ومثمه فليتلحق بسفيان بن الأبرد ، وليسمع له وليطع . »

فبعث إليه زياد بن عمرو العتكي في أربعة آلاف ، فلم ينته إلى سفيان حتى التقى سفيان وشبيب على جسر دجيل^(۲) ، وحجى بينهما وطيس^(۳) القتال حتى جن الليل ، فقال شبيب لأصحابه : اعبروا معاشر المسلمين ، فإذا أصبحنا باكرناهم ، فعبروا أمامه ، وزل حافر فرسه عن حرف السفينة فسقط في الماء ، فقال : ليقضى الله أمراً كان مفعولاً ، فارتس^(۴) في الماء ، ثم ارتفع فقال : ذلك تقدير العزيز العليم ، وكان هلاكه

سنة ۷۷ هـ . (تاريخ الطبري ۷ : ۲۵۶)

(۱) هكذا ذكر الطبري وكذا المسعودي في مروج الذهب ۲ : ۱۴۰ فقالا : إن غزالة زوجته ، وذكر عبد الفاهر البغدادي في الفرق بين الفرق ص ۹۰ أن غزاة أمه وأن امرأته جهيزة ، وقال الفيروزآبادي في القاموس : وجهيزة امرأة حمقاء أم شبيب الخارجي ، وكان أبوه اشتراها من السبي فواقعها فحملت فتحرك الولد فقالت : في بطني شيء ينقر ، فقالوا : أحق من جهيزة ، وكذلك ذكر صاحب اللسان والميداني في مجمع الأمثال .

(۲) نهر بالأهواز . (۳) الوطيس : الثنور . (۴) انغمس .

۲۱۲ - کتاب عمران بن حطان إلى الحجاج

وروی صاحب الأغانی قال :

« لما دخلت غزاة الخروبية^(۱) على الحجاج هي وشبيب الكوفة ، تحصن منها
وأغلق عليه قصره ، فكتب إليه عمران بن حطان^(۲) - وقد كان الحجاج لج
في طلبه - قال :

أسدُّ عليَّ وفي الحروب نعمةً ربداء تجفُّ من صفير الصَّافِرِ^(۳)
هالاً برزت إلى غزاة في الوغى بل كان قلبك في جناح طائر
صدعت غزاة قلبه بفوارس تركت كتابه كأس الدابر^(۴)

ثم لحق بالشام فنزل على روح بن زنباع . (الأغاني ج ۱۶ : ص ۱۵۰)

(۱) يسمى الخوارج بالخرورية نسبة إلى حروراء ، وهي قرية بظاهر الكوفة ، سماهم بذلك الإمام
على كرم الله وجهه ، وذلك أنه لما رجع من صهين إلى الكوفة اعتزله جماعة ممن رأوا التحكيم ضللاً ونزلوا
حروراء ، فسار إليهم وناظرهم فأغضبهم ، فرجع معه بعضهم ، فقال لهم علي : ما نسبكم ؟ ثم قال أنتم الخروبية
لاجتماعكم بحروراء - الكامل ۲ : ۱۲۹ - .

(۲) أحد رهوس الخوارج الصفرية .

(۳) الريدة كجمرة : لون إلى القبرة ، وهو أريد ، وهي ريداء وجفت النعامة : كضرب وقع
وأجفت : أسرعت وذهبت في الأرض .

(۴) في الأغاني « تركت مداره » وقد وردت هذه الأبيات في العقد الفريد ج ۳ : ص ۱۷ ،
وروايته للبيت الثالث :

صدعت غزاة جمعه بعاكر تركت كتابه كأس الدابر

فتنة مطرف بن المغيرة بن شعبة

٢١٤ - كتاب مطرف إلى أخيه حمزة

وفي سنة ٧٧ هـ خرج مطرف بن المغيرة بن شعبة على الحجاج ، وخلع عبد الملك ابن مروان ، ومضى فيمن بايعه من أصحابه حتى دنا من همدان ، وكان أخوه حمزة بن المغيرة على همدان - فكره أن يدخلها فيتهم أخوه عند الحجاج ، فتركها وأخذ ذات اليسار إلى ماه دينار ، وكتب إلى أخيه حمزة :

« أما بعد ، فإن النفقة قد كثرت ، والمؤنة قد اشتدت ، فأمدد أخاك بما قدرت عليه من مال وسلاح » فسرّح إليه بمال وسلاح . (تاريخ الطبري ٧ : ٢٦٣)

٢١٥ - كتاب مطرف إلى سويد بن سرحان الثقفي

وبكير بن هرون البجلي

وكتب مطرف بن المغيرة إلى سويد بن سرحان الثقفي ، وإلى بكير بن هرون البجلي بالرى :

« أما بعد فإننا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه ، وإلى جهاد من عند^(١) عن الحق ، واستأثر بالقي ، وترك حكم الكتاب ، فإذا ظهر الحق ودُمِغ^(٢) الباطل ، وكانت كلمة الله هي العليا ، جعلنا هذا الأمر شورى بين الأمة يرتضى المسلمون لأنفسهم

(١) عند عن الطريق كنصر وسم وكرم : مال .

(٢) أصله من دمغه ، إذا كسر عظم دماغه ، فالشجة دامغة : وهي التي تخف الدماغ ولا حياة معها

وفعله كنم ونصر .

الرِّضَا ، فَمَنْ قَبِلَ هَذَا مَا كَانَ أَخَانًا فِي دِينِنَا ، وَوَلِينًا^(۱) فِي مَحْيَانَا وَوَمَاتَنَا ، وَمَنْ رَدَّ عَلَيْنَا جَاهِدَنَا وَاسْتَنْصَرْنَا اللَّهُ عَلَيْهِ ، فَكَفَى بِنَا عَلَيْهِ حُجَّةً ، وَكَفَى بِتَرْكِهِ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ غَنَبًا ، وَبِدَاهِنَةَ الظَّالِمِينَ فِي أَمْرِ اللَّهِ وَهِنًا^(۲) ، إِنْ اللَّهُ كَتَبَ الْقِتَالَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَسَمَّاهُ كُرْهًا^(۳) ، وَلَنْ يُنَالَ رِضْوَانُ اللَّهِ إِلَّا بِالصَّبْرِ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ ، وَجِهَادِ أَعْدَاءِ اللَّهِ فَاجِيبُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - إِلَى الْحَقِّ ، وَادْعُوا إِلَيْهِ مَنْ تَرَجُّونَ إِجَابَتَهُ ، وَعَرِّفُوهُ مَا لَا يَعْرِفُهُ ، وَتُقْبِلُ إِلَى كُلِّ مَنْ رَأَى رَأَيْنَا ، وَأُجَابَ دَعْوَتَنَا ، وَرَأَى عَدُوَّهُ عَدَوْنَا ، أُرْسَدْنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ ، وَتَابَ عَلَيْنَا وَعَلَيْكُمْ ، ، إِنَّهُ هُوَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ ، وَالسَّلَامُ .

فلما قدم الكتاب على ذينك الرجلين دَبًّا في رجال من أهل الري، ودعوا من تابعيهما، ثم خرجوا سرا لا يُفطن بهم حتى وافوا مطرفًا .

(تاريخ الطبري ۷ : ۲۴۶)

۲۱۶ - كتاب البراء بن قبيصة إلى الحجاج

وكتب البراء بن قبيصة ، وهو عامل الحجاج على أصبهان إليه :

« أما بعد ، فإن كان الأمير أصلحه الله - حاجة في أصبهان ، وغير أصبهان ، فليبعث إلى مطرف جيشا كثيفا يستأصله ومن معه ، فإنه لا تزال عصابة قد انتفجت^(۴) له من بلدة من البلدان ، حتى توافيه بمكانه الذي هو به ، فإنه قد استكثف وكثرتبعه ، والسلام . »

(تاريخ الطبري ۷ : ۲۶۵)

۲۱۷ - رد الحجاج على البراء

فكتب إليه الحجاج :

« أما بعد ، إذا أتاك رسولي فعنكر بمن معك ، فإذا مرَّ بك عديُّ بن وتاد فإخرج معه في أصحابك واسمع له وأطع والسلام . »

(تاريخ الطبري ۷ : ۲۶۴)

(۱) الولي : المحب والصديق والنصير . (۲) الوهن : الضعف .

(۳) يشير إلى قوله تعالى : « كَتَبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالَ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ » .

(۴) أي تارت ووثبت . وفي الأصل « انتفجت » وهو تصحيف .

۲۱۸ - كتاب الحجاج إلى قيس بن سعد العجلي

وبلغ الحجاج ما أتاه حمزة بن المغيرة من إمداده أخاه بالمال والسلاح، وكان قيس بن سعد العجلي يومئذ على شرطة حمزة، ولبنى عجل وربيعة عدد بهمدان، فبعث الحجاج إلى قيس بعهدته على همدان، وكتب إليه أن :

« أوثق حمزة بن المغيرة في الحديد، واحبس قِبَلَك حتى يأتيك أمرى » فأقرأه قيس كتاب الحجاج إليه وأراه عهده، فقال حمزة : سمعنا وطاعة، فأوثقه وحبسه في السجن، وتولى أمر همدان وبعث عماله عليها . (تاريخ الطبري ۷ : ۲۶۵)

۲۱۹ - كتاب قيس بن سعد إلى الحجاج

وكتب إلى الحجاج :

« أما بعد، فإني أخبر الأمير - صاحبه الله - أني قد شددت حمزة بن المغيرة في الحديد، وحبسته في السجن، وبعثت عمالي على الخراج، ووضعت يدي في الجباية فإن رأى الأمير - أبقاه الله - أن يأذن لي في السير إلى مطرف أذن لي، حتى أجاهده في قومي ومن أطاعني من أهل بلادى، فإني أرجو أن يكون الجهاد أعظم أجراً من جباية الخراج، والسلام » : (تاريخ الطبري ۷ : ۲۶۵)

۲۲۰ - كتاب الحجاج إلى عدى بن وتاد

وكتب الحجاج إلى عدى بن وتاد الإيادي وهو على الرى :

« أما بعد، فإذا قرأت كتابي هذا، فانفض بثلاثة أرباع من معك من أهل الرى ثم أقبِلْ حتى تمر بالبراء بن قبيصة بجي، ثم سيراً جميعاً، فإذا التميماً فانت أمير الناس حتى يقتل الله مطرفاً، فإذا كفى الله المؤمنين مؤنته، فانصرف إلى عمك في كنف^(۱) من الله وكلاءته^(۲) وستره » .

(۱) أى في حرزه وسره . (۲) أى حراسته .

وفعل عدی ما أمر به وسارا حتى انتهى إلى جبي، ووافاه بها قبضة وسارا إلى مطرف، ثم نشب القتال بين الفريقين، ودارت الدائرة على جيش مطرف فما زال يقاتل حتى قتل .
(تاريخ الطبری ۷ : ۲۶۷)

۲۲۱ - كتاب الحجاج إلى عدی بن وتاد

وكان على ميمنة جيش مطرف الحجاج بن جارية، فكتب الحجاج بن يوسف إلى عدی بن وتاد :

« أما بعد، فإن كان الله قتل الحجاج بن جارية فبعداً له، فذاك ما أهوى وأحب، وإن كان حياً فاطلبه قبلك حتى توثقه، ثم سرّح به إلى إن شاء الله، والسلام .
فلم يزل الحجاج بن جارية خائفاً حتى عزل عدی بن وتاد، وقدم خالد بن عتاب ابن ورقاء، فكلّم فيه فأمنه .
(تاريخ الطبری ۷ : ۲۶۸)

۲۲۲ - كتاب الحجاج إلى خالد بن عتاب

وروى أبو الفرج الأصبهاني في الأغاني قال :

وكان الحجاج قد استعمل على الرمي خالد بن عتاب الرياحي، وكانت أمه أم ولد، فكتب إليه الحجاج يُلخّن^(۱) أمه، ويقول : « يا ابن اللخناء، أنت الذي هربت عن أبيك^(۲) حتى قتل .
(تاريخ الطبری ۷ : ۲۶۷)

۲۲۳ - رد خالد على الحجاج

وقد كان حاف أن لا يسب أحد أمه إلا أجابه كأننا من كان، فكتب إليه خالد :
« كتبت إلى تاخني، وتزعم أنني قررت عن أبي حتى قتل، ولعمري لقد فررت عنه، ولكن بعد أن قتل، وحين لم أجد مقاتلاً، ولكن أخبرني عنك يا ابن اللخناء

(۱) أي يسبها ويصفها باللخن بالتحريك وهو قبح ربح الفرج . وأمه لخناء، ومن شتم العرب: يا ابن اللخناء، كأنهم يقولون يادني الأصل، أو بالثيم الأم .

(۲) هو عتاب بن ورقاء الرياحي وقد قتل وهو على حرب الحوارج الشيبية - انظر ص ۲۰۲ .

المستفرمة^(۱) بمعجم زيب الطائف، حين فررت أنت وأبوك يوم «الحرّة»^(۲) على
على جمل ثقال^(۳)، أي كما كان أمام صاحبه؟ .

قرأ الحجاج الكتاب، وقال: صدق:

أنا الذي فررت يوم الحرّة ثم ثنيت كرهة بفرّة

* والشيخ لا يفر إلا مرّة^(۴) *

ثم طلبه، وهرب خالد إلى الشام وسلم بيت المال، ولم يأخذ منه شيئاً،
وكتب الحجاج إلى عبد الملك بما كان منه، واستجار خالد بزفر بن الحرث
الكلابي فأجاره، فراجعه عبد الملك في أمره، ثم أجاره .

(الأغاني ۱۶ : ۴۱)

(۱) المفرد كشمس والفرمة كوردة والفرام ككتاب: دواء تتضيق به المرأة، فهي فرماء ومستفرمة،
والعجم كيب وغياب: نوى كل شيء .

(۲) انظر هامش ص ۹۷ . (۳) أي بطيء .

(۴) جاء في العقد الفريد (ج ۲ : ص ۲۵۷) أن الأنصار في وقعة الحرّة قدموا عبد الله بن حنظلة
على أنفسهم، وقدمت قريش عبد الله بن مطيع، فلما هزمهم مسلم بن عقبة ودخل المدينة، هرب عبد الله
ابن مطيع حتى لحق بمكة، فكان بها حتى قتل مع عبد الله بن الزبير في أيام عبد الملك بن مروان، وجعل
يقاتل أهل الشام وهو يقول:

أنا الذي فررت يوم الحرّة والشيخ لا يفر إلا مرّة

فاليوم أجزى كرهة بفرّة لا بأس بالكره بعد الفرّه

فتنة ابن الأشعث

٢٢٤ - كتاب الحجاج إلى عبيد الله بن أبي بكر

قد منا أن الحجاج ولى عبيد الله بن أبي بكر سِجِّستان سنة ٧٨ هـ ، وكان رُبَيْلُ ملك الترك مصالِحاً للعرب يدفع لهم خراجاً ، وربما امتنع فلم يفعل ، فبعث الحجاج إلى عبيد الله ابن أبي بكر أن :

« ناجِزُه بمن معك من المسلمين ، فلا ترجِعْ حتى تستبيحَ أرضه ، وتهدِمَ قِلاعَه ، وتقتلَ مُقاتِلَتَه ، وتَسْبِيَ ذُرِّيَّتَه » .

فخرج بمن معه من المسلمين من أهل الكوفة وأهل البصرة ، وكان على أهل الكوفة شُرَيْحُ بن هانئ الحارثي ، وعلى أهل البصرة عبيد الله ، وهو أمير الجماعة ، فمضى حتى وغل في بلاد رُبَيْل ، فأصاب من البقر والغنم والأموال ما شاء ، وهدمَ قِلاعاً وحصوناً ، وغلب على أرض من أرضهم كثيرة ، والترك يَخْلُون لهم عن أرض بعد أرض حتى أمعنوا في بلادهم ، فأخذوا عليهم العِقَابَ والشَّعَابَ^(١) ، فَسَقَطَ في أيدي المسلمين^(٢) ، وظنوا أن قد هلكوا .
(تاريخ الطبري ٧ : ٢٨٢)

٢٢٥ - كتاب الحجاج إلى عبد الملك

فبعث ابن أبي بكر إلى شُرَيْحُ بن هانئ : إني مُصالِحُ القوم على أن أعطيهم مالا ويُنخلُوا بيني وبين الخروج ، فأرسل إليهم فصالحهم على سبعمائة ألف درهم ، فقال له : إنك لا تصالِحُ على شيء إلا حَسَبَه السلطان عليكم في أعطياتكم ، فقال : لو مَنَّا العطاء

(١) العِقَاب جمع عقبة كركبة ، وهي ورق صعب من الجبال ، والشَّعَاب جمع شيب بالكسر وهو الطريق في الجبل وما انفرج بين الجبلين .
(٢) سقط في يده وأسقط : ندم وتحجر .

ما حَيِينَا ، كان أهونَ علينا من هلاكنا ، نخالفه شريح ، ونادى : يا أهل الإسلام
من أرادَ منكم الشهادةَ فإيَّ ، فاتبعه فرسان الناس ، وأهل الحِفاظِ ، فقاتلوا حتى أصيبوا
إلا قبيلًا ، وقاتل حتى قتل في ناس من أصحابه ، ونجا من نجا ، فخرجوا من بلاد رتبيل ،
وباع ذلك الحجاجَ فكتب إلى عبد الملك :

« أما بعدُ ، فإن جندَ أمير المؤمنين الذين بسجستانَ أصيبوا فلم ينج منهم إلا القليلُ
وقد اجترأ العدوُّ بالذي أصابه على أهل الإسلام ، فدخلوا بلادهم ، وغلبوا على كل
حصونهم وقصورهم ، وقد أردتُ أن أوجهَ إليهم جنداً كثيفاً من أهل المِصرينِ ،
فأحببتُ أن أستطلعَ رأى أمير المؤمنين في ذلك ، فإن رأى لى بعثة ذلك الجند
أمضيته ، وإن لم يرَ ذلك فإن أمير المؤمنين أولى بجنده مع أنى أتخوفُ إن لم يأت
رتبيلَ ومن معه من المشركين جندٌ كثيفٌ عاجلاً ، أن يستولوا على ذلك الفرجِ^(۱)
كله . » (تاريخ الطبري ۷ : ۲۸۲)

۲۲۶ - رد عبد الملك على الحجاج

فكتب إليه عبد الملك :

« أما بعدُ ، فقد أتاني كتابك تذكراً فيه مُصابَ المسلمين بسجستانَ ، وأولئك
قومٌ كتبَ الله عليهم القتلَ فبرزوا إلى مضاجعهم ، وعلى الله نوابهم ، وأما ما أردتَ
أن يأتيك فيه رأيي من توجيه الجنودِ وإمضائها إلى ذلك الفرجِ الذي أصيبَ فيه المسلمون
أو كَفَّها ، فإن رأيي في ذلك أن تمضي رأيك راشداً موقفاً . »

فجهز الحجاج عشرين ألفَ رجل من أهل الكوفة ، ومثلهم من أهل البصرة ، وجدَّ
في ذلك وشمر ، وبعث عليهم عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ، فخرج بهم حتى قدم
سجستان سنة ۸۰ هـ . فجمع أهلها وخطبهم ، فقال : إن الأمير الحجاج ولاني نفرَكم ،

(۱) الفرج : الثغر وموضع الخفافة .

وأمرني بجهاد عدوكم الذي استباح بلادكم ، وأباد خياركم ، فإياكم أن يتخلفَ منكم رجل فيُحلَّ بنفسه العتوبَةَ ، اخرجوا إلى مُعسكركم فَعسكروا به مع الناس .
فَعسَكَرَ الناس كلهم في معسكرهم .

فبلغ ذلك رتبيل ، فكتب إلى عبد الرحمن : يعتذر إليه من مُصاب المسلمين ، ويخبره أنه كان لذلك كارها ، وأنهم أُلجئوه إلى قتالهم ، ويسأله الصلح ، ويَعْرِضُ عليه أن يتقبل منه الخراج ، فلم يُجبه ، ولم يتقبل منه .

ولم ينشب عبد الرحمن أن سار في الجنود إليه حتى دخل أول بلاده ، وأخذ رتبيل يضم إليه جنده ، ويدع له الأرض رُسْتاقا رُسْتاقا^(۱) ، وحِصْنا حصنا ، وطفوق ابن الأشعث كلما حوى بلداً بعث إليه عاملاً ، وبعث معه أعواناً ، ووضع البرد^(۲) فيما بين كل بلد وبلد ، وجعل الأرصاد على العقاب والشعاب ، ووضع المساح^(۳) بكل مكان مخوف ، حتى إذا حاز من أرضه أرضاً عظيمة ، وملاً يديه من البقر والغنم والغنائم العظيمة ، حبس الناس عن الوُغُول في أرض رتبيل ، وقال : نكتفي بما أصبناه العام من بلادهم حتى نجيبها ونعرفها ، ويجترئ المسلمون على طرقها ، ثم نتعاطى في العام المقبل ما وراها ، ثم لم نزل ننتقصهم في كل عام طائفة من أرضهم حتى تقاتبهم آخر ذلك على كنوزهم وذراريهم ، وفي أقصى بلادهم ومتمتع حصونهم ، ثم لانزابل بلادهم حتى يهلكهم الله ، ثم كتب إلى الحجاج بما فتح الله عليه من بلاد العدو ، وبما صنع الله للمسلمين ، وبهذا الرأي الذي رآه لهم .

(تاريخ الطبري ۸ : ۳)

(۱) الرستاق : الناحية التي هي طرف الإقليم ، معرب .

(۲) جمع بريد .

(۳) جمع مساحة ، وهي القوم ذوو سلاح .

۲۲۷ - كتاب الحجاج إلى ابن الأشعث

فكتب إليه الحجاج جواب كتابه :

« أما بعدُ ، فإن كتابك أتاني ، وفهمتُ ما ذكرتَ فيه ، وكتابك كتابُ امرئٍ يحب الهدنة ، ويستريح إلى المواقعة ، قد صانعُ عدوا قليلاً ذليلاً ، قد أصابوا من المسلمين جنداً كان بلاؤهم حسناً ، وغناؤهم^(۱) في الإسلام عظيماً .
لعمرك يا ابن أمِّ عبد الرحمن ، إنك حيثُ تكفُّ عن ذلك العدو مجندي وحددي ، أسخيتُ النفس عن أصيب من المسلمين !! إني لم أعدُ رأيتُ الذي زعمتَ أنك رأيتَهُ رأياً مَكِيدَةً ، ولكني رأيتُ أنه لم يحوك عليه إلا ضعفك والتهيب^(۲) رأيتُ ، فامض لِمَا أمرتك به من الوجود في أرضهم ، والهدم لحصونهم ، وقتل مقاتلتهم ، وسبي ذراريهم » . (تاريخ الطبري ۸ : ۸)

۲۲۸ - كتاب آخر من الحجاج إلى ابن الأشعث

ثم أردفه كتاباً فيه :

« أما بعدُ ، فمُرَّ مَن قبلك من المسلمين فليحرقوا وليقيموا ، فإنها دارهم حتى يفتحها الله عليهم » . (تاريخ الطبري ۸ : ۸)

۲۲۹ - كتاب ثالث من الحجاج إليه

ثم أردفه كتاباً آخر فيه :

« أما بعدُ ، فامض لِمَا أمرتك به من الوجود في أرضهم ، وإلا فإن إسحق بن محمد أخاك أميرُ الناس نخله وما وليته » .

(۱) كفايتهم . (۲) الاتيات : الاختلاط والالتفاف .

فدعا عبد الرحمن الناس إليه ، فقال لهم : قد كان من رأيي فيما بينكم وبين عدوكم رأيي استشرت فيه ذوى أحلامكم وأولى التجربة للحرب منكم ، فرضوه لكم رأيا ، ورأوه لكم في العاجل والآجل صلاحا ، وقد كتبتُ إلى أميركم الحجاج ، فجاءني منه كتابٌ يعجزني ، ويضعفني ، ويأمرني بتعجيل الوغول بكم في أرض العدو ، وهي البلاد التي هلك إخوانكم فيها بالأمس ، وإنما أنا رجل منكم أمضى إذا مضيتُم ، وآبى إذا آبيتُم . « فثار إليه الناس ، فقالوا : لا ، بل نأبى على عدو الله ، ولا نسمع له ، ولا نطيع ، وقام حطباؤهم فسفهموا رأي الحجاج ، ونادوا بخلعه ، ومبايعة عبد الرحمن ، فأجابهم الناس ، ووثبوا إلى عبد الرحمن فبايعوه على النصرة له ، والجهاد معه حتى يفتي الحجاج من أرض العراق ، وبعث عبد الرحمن إلى رقبيل فصاليه على أن ابن الأشعث إن ظهر فلا خراج عليه أبدا ما بقي ، وإن هزم فأراده الجأه عنده ، وخرج من سجستان مقبلا إلى العراق ، فلما دخل الناس فارس اجتمع بعضهم إلى بعض ، فقالوا : إنا إذا خلعنا الحجاج عامل عبد الملك فقد خلعنا عبد الملك ، نخلعوه إلا قليلا منهم ، ووثبوا إلى عبد الرحمن فبايعوه على كتاب الله وسنة نبيه ، وخام أئمة الضلالة ، وجاهد المعتدين .

(تاريخ الطبرى ۸ : ۸)

۲۳۰ - كتب بين ابن الأشعث والحجاج

وصاحب اليمن وعبد الملك

قال الطبرى :

فلما بلغ الحجاج خلعهُ ، كتب إلى عبد الملك يُخبره خبر عبد الرحمن ويسأله أن يُعجل بعثة الجنود إليه ، وبعث كتابه (أى كتاب عبد الرحمن) إلى عبد الملك يتمثلُ في آخره بهذه الأبيات - وهي للعارث بن وائلة (الجرمي) - :

سائلٌ مُجَاوِرَ حَرَمٍ. هل جَنَيْتُ لَهُمْ حَرَبًا تُفَرِّقُ بَيْنَ الْجِيْرَةِ الْخُلُطِ (۱)
 وهل سَمَوْتُ بِجِرَّارٍ لَهُ لَجَبٌ جَمَّ الصَّوَاهِلِ بَيْنَ الْجَمِّ وَالْفُرْطِ (۲)
 وهل تَرَكْتُ نِسَاءَ الْحَيِّ ضَاحِيَةً فِي سَاحَةِ الدَّارِ يَسْتَوْقِدُنَ بِالْفُيُطِ (۳)
 وقال أبو العباس المرّدي في الكامل :

وكتب صاحبُ اليمن إلى عبد الملك بن مروان في وقت محاربتة ابن الأشعث :
 « إني قد وَجَّهْتُ إلى أمير المؤمنين بجارية اشتريتها بمال عظيم ، ولم يُرَ مثمًا قطُّ » .
 فلما دُخِلَ بها عليه رأى وجهها جميلاً ، وخلقاً نبيلاً ، فألقى إليها قضيماً كان في يده
 فنكست لتأخذه ، فرأى منها جسماً بهراً ، فلما همَّ بها أعلمه الآذن أن رسول الحجاج
 بالباب فأذن له ، ونحى الجارية ، فأعطاه كتاباً من عبد الرحمن فيه سطور أربعة
 يقول فيها :

سائلٌ مُجَاوِرَ جَرَمٍ. هل جَنَيْتُ لَهَا حَرَبًا تُزِيلُ بَيْنَ الْجِيْرَةِ الْخُلُطِ (۱)
 وهل سَمَوْتُ بِجِرَّارٍ لَهُ لَجَبٌ جَمَّ الصَّوَاهِلِ بَيْنَ الْجَمِّ وَالْفُرْطِ
 وهل تَرَكْتُ نِسَاءَ الْحَيِّ ضَاحِيَةً فِي سَاحَةِ الدَّارِ يَسْتَوْقِدُنَ بِالْفُيُطِ
 وتحتها (بيت آخر على غير الروي من الأبيات الأول ، وهو :)

قَتَلَ الْمُلُوكَ ، وَصَارَ تَحْتَ لَوَائِهِ شَجَرُ الْعُرَا وَعَرَا عُرُ الْأَقْوَامِ (۵)

(۱) جرم : بطنان ، بطن في قضاة ، والآخر في طي . والمخلط جمع خليط ، وهو الشريك والقوم الذين أمرهم واحد ، والمخالط .
 (۲) جِرَّار : أي بجيش جرار : واللجب : الجلبة والسياح ، جم الصواهل : أي جم الحيول الصواهل أي كثيرها . الجم والفرط : موضعان .
 (۳) ضاحية : بارزة للشمس ، وربما كان « ضاحية » والقبط جمع غبيط : والغبيط : الرجل وهو للنساء يشد عليه الهودج وقوله : في ساحة الدار يستوقدن بالقبط ، قال المردي : يقال فيه قولان متنازبان : أحدهما أنهم قد ينس من الرجل فجعلن مراكبهن خطبا . هذا قول الأصمعي ، وقال غيره : بل قد منهن الخوف من الاحتطاب .
 (۴) تزيل : تفرق .
 (۵) العرا بضم العين مقصوراً : نبت ، والعراء بفتح العين ممدوداً : وجه الأرض ، وعرا عر الأقوام ره وسهم ، جمع عرعة بضم العين ، وعرعة كل شيء أعلاه ، والبيت لمهلل .

فكتب إليه عبد الملك كتابا ، وجعل في طيه جوابا لابن الأشعث :

ما بال من أسقى لأجبر عظمه حفاظا وبنوي من سفاخته كسرى (۱)
أظن خطوب الدهر بيني وبينهم ستحملهم مني على مر كبر وعمر
وإني وإياهم كمن تَبَّه القَطَا ولو لم تُنبه بانتي الطير لا تسرى
أناة وحِلْمًا وانتظرا — أرا بهم غداً فما أنا بالوإني ولا الضريع الغُمر (۲)

ثم بات يقاب كف الجارية ، ويقول : ما أفدت فائدة أحب إلى منك ، فتقول :
فمالك يا أمير المؤمنين ، وما يمنعك ؟ فقال : يمنعني ما قاله الأخطل ، لأنني إن خرجت
منه كنت ألام العرب :

قومٌ إذا حاربوا شدوا مازرهم دون النساء ولو باتت بأطهار
فما إليك سبيل ، أو يحكم الله بيني وبين عدوى عبد الرحمن بن
الأشعث ، فلم يقر بها حتى قتل عبد الرحمن .
(تاريخ الطبري ۸ : ۱۰ ، والكامل للمبرد ۱ : ۱۳۰)

۲۳۱ - كتاب من ابن الأشعث إلى الحجاج

(كتبه ابن القرية)

وروى ابن قتيبة في الإمامة والسياسة قال :

فلما أجمع عبد الرحمن على إظهار خلع الحجاج ، كتب إلى أيوب ابن القرية
التميمي ، وهو مع الحجاج في عسكره خاص المنزلة منه ، يسأله أن يصدر إليه رسالة إلى
الحجاج ، يخلع فيها طاعة الحجاج ، فكتب له ابن القرية رسالة فيها :

(۱) دخل الحرم هذا البيت - على رواية صاحب الكامل - وسبرد عليك في باب التوقيعات
فا بال

(۲) ضرع إليه ويثك : خضم وذل واستكان فهو ضارع ، وضرع ككتف وصروع كصبور
وضرعة محركة ، وككرم : ضعف فهو ضرع محركة ، والنمر : كدمس وقل وسب وكتف ومعظم :
من لم يجرب الأمور .

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث إلى الحجاج بن يوسف ، سلام على أهل طاعة الله وأوليائه الذين يحكمون بعهده ، ويوفون بعهده ، ويجاهدون في سبيله ، ويتورعون لذكرك ، ولا ينفكون دماً حراماً ، ولا يعطلون الرب أحكاماً ، ولا يدرسون^(۱) له أعلاماً ولا يتكفون النهج^(۲) ، ولا يبرمون السبي ، ولا يسارعون في الفئ ، ولا يدللون الفجرة ، ولا يتراضون الجورة ، بل يتمكنون عند الاشتباه ، ويتراجعون عند الإساءة .

أما بعد ، فإني أحمد الله حمداً بالغاً في رضاه ، منتهياً إلى الحق في الأمور الحقيقية لله علينا ، وبعد فإن الله أمهضني لمصاوتك ، وبعثني لمناضلتك ، حين تحيرت أمورك ، وتهتكت ستورك ، فأصبحت عربان حيران مهيناً لا توافق وفقاً ، ولا ترافق رفقاً ، ولا تلازم صدقاً ، أو مل من الله الذي ألهمني ذلك أن يصيرك في حبالك ، وأن يجيء بك في القرن^(۳) ، وبسحبك للذقن ، وينصف منك من لم تنصفه من نفسك ، ويكون هلاكك بيد من أتهمته وعاديته ، فلعمرى لئن طالما تطاولت وتمكنت وأخطأت ، وخلت أن لن تبور^(۴) ، وأنت في فلك الملك تدور ، وأظن مصداق ما أقول ستخبره عن قريب ، فسر لأمرك ، ولاق عصابة خلعتك من حبالها^(۵) خلعتها نعالها ، وتدرعت حلالها ، تدرعها مطالها^(۶) ، لا يحذرون منك جهداً ، ولا يرهبون منك وعيدا ، يتاملون خزائتك ، ويتجرعون إمارتك ، عطاشاً إلى دمك ، يستطعمون الله لحملك^(۷)

(۱) درس الرسم كدخل : عفا ، ودرسته الريح ، لازم ومتعد .

(۲) النهج : الطريق الواضح ، وتكبيه : عدل عنه وتجنبه .

(۳) القرن : الحبل يقرب به البعيران . (۴) تهالك .

(۵) الحبال ، جمع حبل : وهو العهد والذمة والتواصل ، والمعنى : خلعتك من الحكم الذي عهد به إليك

وهذه العبارة في الأصل : ولاق عصابة خلعتك من حبالها خلفها نعالها ، وأراها معرفة .

(۶) المطال : مد الحديد وسبكه وطبعه وصوغه بيضة ، والمطيلة اسم الحديد التي تعطل من البيضة ومن

الزئدة وجمعها مطال . (۷) أي يسألونه أن يطعمهم لحملك .

وَأَيْمُ اللَّهِ لِيُنَاقِفَنَّكَ (۱) مِنْهُمْ الْأَبْطَالُ الَّذِينَ بَيْتَهُمْ (۲) فِيمَا يَحَاوِلُونَكَ بِهِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ ،
شَرَوْا (۳) أَنْفُسَهُمْ تَقَرُّبًا إِلَى اللَّهِ ، فَأَغْضِ (۴) عَنْ ذَلِكَ يَا بْنَ أُمِّ الْحِجَابِ ، فَسَنَحْمِلُ عَلَيْكَ
إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ، وَالسَّلَامُ عَلَى أَهْلِ طَاعَةِ اللَّهِ .
(الإمامة والسياسة ۲ : ۲۶)

۲۳۲ - رد الحجاج على ابن الأشعث

فلما قدم الكتاب على الحجاج قال : اكتب يا نافع ، وكان نافع مولاہ
وكتبا بين يديه :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من الحجاج بن يوسف إلى عبد الرحمن بن الأشعث ،
سلام على أهل النزوع عن الزبغ وأسباب الردى (۵) ، لا إلى معادن السبي ، والتفحم (۶)
في الفئ ، فإني أحمد الله الذي خلأك في حيرتك ، إذ بهتتك (۷) في السيرة ، ووهلك
للضرورة ، حتى أقحمتك أمورا أخرجك بها عن طاعته ، وجانبت ولايته ، وعسكرت
بها في الكفر ، وذهبت بها عن الشكر ، فلا تشكر في السراء ، ولا تصبر في الضراء
أقبلت مئتنا (۸) بحريم الحررة ، تستوقد الفتنة لتضلي بحررها ، وجانبت لغيرك ضررها

(۱) المناقفة والناس : المضاربة بالسيوف على الرؤوس ، وفي الأصل « ايناقتك » وهو تصحيف
(۲) يريد بيت لهم : أي دبرك وكدت ، يقال بيت الأمر : دبره ايلا ، وبيت العدو : أوقم بهم ايلا
(۳) أي باعوا . (۴) أغضى عنه طرفه : سده أو صده .
(۵) نزع عن الأمر : كف وانتهى عنه . وهذه العبارة في الأصل « من العريم وأسباب الرداء »
وأرى أنها محرفة وصوابها ما ذكرت .

(۶) تفحم الأمر وفيه : رى بنفسه فيه من غير روية .
(۷) بهته : حيره ، قال تعالى « بَلْ تَأْنِيهِمْ بَفْتَنَ فَعَبُهُمْ » . أي تحيرهم حين نفحهم بفتنه ،
وقال أيضا « فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ » . أي : انقطع وسكت متعيرا ، وبيته أجا : أخذه بفته ، ووهن
كفر حفرع وجبن ، ووهله : أفزعه .

(۸) استن سنفته : سار سيرته ، والحريم : الحرم ، أي لأنك قد بيتت سنة أهل الحرم فخرجت على
ولي الأمر ونقضت عهد طاعته كما شقوا عصا الطاعة ليريد (انظر ص ۸۰) .

وقلت : وثاق^(۱) الاحتجاج ، ومبارزة الحجاج ، ألا بيل لأمك الهبل^(۲) ، وعيزة ربك لتكبن لنحرك ، ولتقلبن لظهرك ، ولتخبطن فريبتك^(۳) ، ولتدحضن حجتك ، وليذمن مقامك ، ولتشان^(۴) بهامك ، كأنى بك تصير إلى غير مقبول منك إلا السيف ، هو جاجا هو جاجا عند كشف الحرب عن ساقها ، ومبارزة أبطالها ، والسلام على من أناب إلى الله ، وسمع وأجاب . (الإمامة والسياسة ۲ : ۲۸)

۲۳۳ - كتاب المهلب إلى عبد الرحمن بن الأشعث

وقد كان بلغ المهلب (وكان على خراسان) شقاق عبد الرحمن ، وهو بسجستان فكتب إليه :

« أما بعد ، فإنك وضعت رجلك يابن محمد في غرز^(۵) طويل الغي على أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، الله الله فانظر لنفسك لاتهديكها ، ودماء المسلمين فلا تسفكها ، والجماعة فلا تفرقها ، والبيعة فلا تنكثها ، فإن قلت : أخاف الناس على نفسي ، فالله أحق أن تخافه عليها من الناس ، فلا تعرضها لله في سفك دم ، ولا استحلل محرم ، والسلام عليك . (تاريخ الطبري ۸ : ۱۰)

۲۳۴ - كتاب المهلب إلى الحجاج

قال الطبري : وكتب المهلب إلى الحجاج :

« أما بعد : فإن أهل العراق قد أقبلوا إليك ، وهم مثل السيل المنحدر من عل ، ليس شيء يردّه حتى ينتهي إلى قراره ، وإن لأهل العراق شيرة^(۶) في أول فخر جهم ،

(۱) الوثاق : ما يشد به ويكسر ، والمعنى : شدة الاحتجاج .
 (۲) هبلته أمه كفرح : نكته وفقدته . (۳) الفريضة : اللعنة بين الجنب والكف .
 (۴) في الأصل « والتشطن » وأراه محرفاً .
 (۵) الفرز : ركاب من جلد .
 (۶) أي نشاطاً وهدوءاً .

وَصَبَابَةً إِلَى أَبْنَائِهِمْ وَنِسَائِهِمْ ، فَلَيْسَ شَيْءٌ يَرُدُّهُمْ حَتَّى يَسْقُطُوا إِلَى أَهْلِيهِمْ ، وَيَشْمُوا أَوْلَادَهُمْ ،
ثُمَّ وَاقِفَهُمْ عِنْدَهَا ، فَإِنَّ اللَّهَ نَاصِرٌكَ عَلَيْهِمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

فَلَمَّا قَرَأَ كِتَابَهُ ، قَالَ : فَعَلَ اللَّهُ بِهِ وَفَعَلَ ، لَا وَاللَّهِ ، مَا لِي نَظَرَ ، وَلَكِنْ
لَأَبْنُ عَمَّةٍ^(۱) نَصَحَ .

(تاريخ الطبري ۸ : ۱۰)

وَرَوَى أَبُو نُبَاتَةَ هَذَا الْكِتَابَ فِي سَرِّحِ الْعَيُونِ بِصُورَةٍ أُطْوِلُ ، قَالَ :

وَحُكِيَ أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الْأَشْعَثِ لَمَّا خَرَجَ عَلَى الْحِجَابِ بِالْجَيْشِ الَّذِي كَانَ
بَعَثَهُ مَعَهُ إِلَى قِتَالِ رَتْبِيلِ ، كَاتِبَ الْمَهْلَبِ ، وَهُوَ بَخْرَاسَانَ يَدْعُوهُ إِلَى خَلْعِ الْحِجَابِ ،
فَقَالَ الْمَهْلَبُ : لَا غَدْرَ بَعْدَ سَبْعِينَ سَنَةً ، ثُمَّ كَتَبَ إِلَى الْحِجَابِ :

« أَمَا بَعْدُ ، فَإِنَّ أَهْلَ الْعِرَاقِ مَعَ ابْنِ الْأَشْعَثِ قَدْ أَقْبَلُوا إِلَيْكَ ، وَهُمْ مِثْلُ السَّيْلِ
الْمُنْحَطِّ مِنْ أَعْلَى إِلَى أَسْفَلِ ، لَيْسَ يَرُدُّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى قَرَارِهِ ، وَلِأَهْلِ الْعِرَاقِ شِدَّةٌ
فِي أَوَّلِ حَرْبِهِمْ ، وَبِهِمْ صَبَابَةٌ إِلَى نِسَائِهِمْ وَأَبْنَائِهِمْ ، فَلَا شَيْءَ يَرُدُّهُمْ دُونَ أَهْلِيهِمْ ،
فَلَا تَسْتَقْبِلُهُمْ وَخَالَ لَهُمُ السَّبِيلَ حَتَّى يَأْتُوا الْبَصْرَةَ ، فَيُضَاجِعُوا نِسَاءَهُمْ ، وَيَنْشَثُوا أَبْنَاءَهُمْ ،
فَتَرَفَّ قُلُوبُهُمْ ، وَيُخْلِدُوا إِلَى الْمَقَامِ فِي مَنَازِلِهِمْ ، وَيَتَفَرَّقُوا عَنِ ابْنِ الْأَشْعَثِ ، فَأَوْقِعْ بَيْنَ
حَارِبِكَ مِنْهُمْ ، فَإِنَّ اللَّهَ نَاصِرٌكَ عَلَيْهِمْ » .

فَلَمَّا قَرَأَ الْحِجَابُ كِتَابَهُ قَالَ : وَيَلِي عَلَى ابْنِ الْمَرْوِيِّ ، وَاللَّهِ مَا لِي نَظَرَ ، وَإِنَّمَا نَظَرَ
إِلَى ابْنِ عَمَّةٍ ، وَلَمْ يَقْبَلْ مِنْهُ ذَلِكَ .

(شرح العيون ۱۳۷)

۲۳۵ - كتاب الحجاج إلى عبد الملك

وَتَجَهَّزَ الْحِجَابُ لِلِقَاءِ ابْنِ الْأَشْعَثِ ، وَتَنَابَعَتْ إِلَيْهِ جُنُودُ الشَّامِ ، فَسَارَ بِهِمْ حَتَّى
نَزَلَ « تُسْتَرَ »^(۲) ، وَحَمَلَ ابْنُ الْأَشْعَثِ عَلَيْهِمْ فَهَزَمَهُمْ ، فَارْتَحَلَ الْحِجَابُ إِلَى الْبَصْرَةِ

(۱) وذلك أن المهلب أزدى، وعبد الرحمن كندى، والأزد وكندة قبيلتان من كهلان بن سبأ من

القطانين .

(۲) مدينة بالأهواز .

ونزل « الزاوية »^(۱) وخلى البصرة لأهل العراق فنزلوها ، وباع ابن الأشعث على حرب الحجاج وخلع عبد الملك ، جميع أهلها ، ودارت رحى الحرب ، فانهزم أهل الشام فصبروا وصدقوا القتال حتى انتصروا ، وانهزم جيش ابن الأشعث ، فأقبل نحو الكوفة حتى دخلها فبايعه أهلها ، وأقبل الحجاج بجيوشه نحوها فنزل ديرة قرية ، فخرج ابن الأشعث إلى ديرة الجماجم^(۲) ، واجتمع أهل العراق جميعا على حرب الحجاج ، جمعهم عليه بغضهم وكراهيتهم له ، واشتد القتال بين الفريقين ، وأراد عبد الملك أن يترضى أهل العراق ، فبعث يعرض عليهم عزل الحجاج عنهم ، وأن ينزل ابن الأشعث أى بلد من العراق شاء ، يكون عليه واليا مادام حيا ، وكان عبد الملك واليا ، فلم يأت الحجاج أمر قط كان أشد عليه ، ولا أغبط له ، ولا أوجع لقلبه منه ، مخافة أن يقبلوا فيمزك عنهم ، فكتب إلى عبد الملك :

« يا أمير المؤمنين ، والله لن أعطي أهل العراق نزعى ، لا يلبثون إلا قليلا حتى يخالفوك وبسروا إليك ، ولا يزيدكم ذلك إلا جرأة عليك ، ألم تر وتسمع بوثوب أهل العراق مع الأشتر على ابن عفان ؟ فلما سأهم : ما يريدون ؟ قالوا : نزع سعيد ابن العاص^(۳) فلما نزعهم لم تتم لهم السنة حتى ساروا إليه فقتلوه ، إن الحديد بالحديد يفاجح^(۴) ، خار^(۵) الله لك فيما ارتأيت ، والسلام عليك . »

فأبى عبد الملك إلا عرض ذلك على أهل العراق إرادة العافية من الحرب ، فجمعهم عبد الرحمن ، وحثهم أن يتهزوا تلك الفرصة ، ويقبلوا ما عرض عليهم ، فأبوا وركبوا رهوسهم ، وقالوا : لا والله لا نقبل ، وأعادوا خلع عبد الملك ثانية ، وبرزوا للقتال ، ف وقعت بينهم وبين الحجاج بدير الجماجم مواقع هائلة استمرت مائة يوم ، وانتهت بهزيمة ابن الأشعث وجنده (فى ۱۴ من جمادى الآخرة سنة ۸۳) .

(تاريخ الطبرى ۸ : ۱۶)

(۱) موضع قرب البصرة . (۲) بظاهر الكوفة ، ودير قرية بإزائه .

(۳) انظر ص ۲۷۱ من الجزء الأول .

(۴) أى يشق ويقطم . (۵) أى جعل لك فيه الخير .

۲۳۶ - كتاب الحجاج إلى قتيبة بن مسلم

ولما انهزم الناس يوم دير الجماجم ، قال الحجاج : اتركوهم فليتبددوا ولا تبعوهم ، ونادى مناديه : مَنْ رَجَعَ فهو آمن ، ومن لحق بقتيبة بن مسلم بالرّبيّ فهو أمانه ، فلحق ناس كثير بقتيبة ، وكان فيمن لحق به عامر الشعبي^(۱) ، فذكر الحجاج الشعبيّ يوماً ، فقال : أين هو ؟ وما فعل ؟ فقيل له : إنه لحق بقتيبة بالرّبيّ ، فكتب الحجاج إلى قتيبة :

« أما بعد ، فابعث إلى بالشعبيّ حين تنظر في كتابي هذا ، والسلام عليك »
فسرح إليه ، فلما دخل عليه اعتذر إليه ، فقبل منه الحجاج وعفا عنه :
(تاريخ الطبري ۸ : ۳۱)

۲۳۷ - كتاب عبد الملك إلى الحجاج

ودخل الحجاج الكوفة بعد وقعة دير الجماجم ، وأقبل الناس يبائعونه ، وكان عبد الملك كتب إليه في أسرى دير الجماجم : « أن يعرضهم على السيف ، فمن أقرّ منهم بالكفر بخروجه علينا نخلّ سبيله ، ومن زعم أنه مؤمن فاضرب عنقه » فكان الحجاج لا يبایعه أحد إلا قال له : أتشهد أنك قد كفرت ؟ فإذا قال « نعم » بايعه وإلا قتله^(۲) .

(المقدافريد ۱ : ۱۵۱ و ۳ : ۲۰ ، وتاريخ الطبري ۸ : ۲۵)

(۱) هو أبو عمرو عامر بن سراحيل (بفتح الهمزة) الشعبي - نسبة إلى شمس وهو بطن من همدان - وهو كوفي تابعي جليل القدر وافر العلم توفي سنة ۱۰۵ هـ . وكانت أمه من سبي جلولا .
(۲) وأن سعيد بن جبیر (أحد كبار التابعين) فقال له : أنت سعيد بن جبیر ؟ قال : نعم ، قال : لا ، بل شقي بن كبير ، قال : أمي أعلم باسمي منك ، قال : شقيت وشقيت أمك ، قال : الشقاء لأهل النار ، قال : أ كافر أنت أم مؤمن ؟ قال : ما كفرت بالله منذ آمنت به ، قال : اضربوا عنقه .
وجاء إليه رجل من ششم كان معتزلاً الناس جميعاً من وراء الفرات ، فسأله عن حاله ، فقال : ما زلت معتزلاً منتظراً أمر الناس حتى ظهرت (أي غلبت) فأنتيتك لأبايمك مع الناس ، فقال : أمتربص ؟ أتشهد =

۲۳۸ - كتاب عبد الملك إلى الحجاج

ولما أسرف الحجاجُ في قتل أسارى دير الجماجم وأعطى الأموال ، بلغ ذلك عبد الملك ، فكتب إليه :

« أما بعد ، فقد بلغ أمير المؤمنين سرّك في سفك الدماء ، وتبذيرك في الأموال ، في الباطل ، ومنعك الحق ، ولا يحتملُ أمير المؤمنين هاتين الخصلتين لأحد من الناس ، وقد حَكَمَ عليك أمير المؤمنين : في الدماء ، في الخطايا الدّية ، وفي العمْد القود^(۱) ، وفي الأموال رَدّها إلى مواضعها ، ثم العمل فيها برأيه ، فإنما أمير المؤمنين أمين الله ، وسيان عنده منعُ حق وإعطاء باطل ، فإن كنت أردتَ تناسلَ ما أغناهم عنك ، وإن كنت أردتهم لنفسك فما أغناك عنهم ، وسيأتيك من أمير المؤمنين أمران : لينٌ وشِدَّةٌ ، فلا يؤنسَنك إلا الطاعة ، ولا يوحشَنك إلا العصية ، وظنُّ بأمر المؤمنين كلَّ شيء إلا احتيالك على الخطايا ، وإذا أعطاك الظفر على قوم فلا تقتلنَّ جانحاً ولا أسيراً » وكتب في أسفل كتابه :

إذا أنت لم تطلبُ أموراً كرهتها وتطلب رضائي بالذي أنت طالبة
وتخشى الذي يخشاه مثلي هارباً إلى الله منه ، ضيع الدرَّ حاليه^(۲)
فإن ترَ مني غفلةً قرشيّةً فياربِّ بما قد غصَّ بالماء شاربِه
وإن ترَ مني وثبّةً أمويّةً فهذا وهذا كلُّ ذا أنا صاحِبُه

== أنك كافر ؟ قال : بش الرجل أنا إن كنت عبت الله ثمانين سنة ثم أشهد على نفسي بالكفر ، قال : إذن أقتلك ، وضرب عنقه .

وأتى بشيخ وشاب فقال للشاب : أمؤمن أنت أم كافر ؟ قال : بل كافر ، قال : لكن الشيخ لا يرضى بالكفر ، فقال له الشيخ : أعن نفسي تخادعي يا حجاج ؟ والله لو كان شيء أعظم من الكفر لرضيت به ، فضحك الحجاج وخلي سبيلهما وفي رواية أخرى أنه أتى برجل فقال الحجاج : إني أرى رجلاً ما أظنه يشهد على نفسه بالكفر ، فقال : أخادعي عن نفسي ! أنا أكفر أهل الأرض وأكفر من فرعون ذى الأوتاد ، فضحك الحجاج وخلي سبيله .

(۱) القود : القصاص .

(۲) الدر : اللين .

فَلَا تَلْحَجِّي وَالْحَوَادِثُ جَمَّةٌ فَإِنَّكَ تَجْزِي بِمَا أَنْتَ كَاسِبُهُ (۱)
وَلَا تَعُدُّ مَا بَاتِيكَ مَنِي ، وَإِنْ تَعُدُّ يَقُومُ بِهَا يَوْمًا عَلَيْكَ نَوَادِيهِ
وَلَا تَدْفَعَنَّ لِلنَّاسِ حَقًّا عَلِمْتَهُ وَلَا تَعْطِينَ مَا لَيْسَ لِلَّهِ جَانِبُهُ
(مروج الذهب ۲ . ۱۳۶ ، وأدب الكتاب ص ۲۳۶)

۲۳۹ - رد الحجاج على عبد الملك

فلما قرأ الحجاج كتابه كتب إليه :

« أما بعد ، فقد أتاني كتاب أمير المؤمنين يذكر فيه سرفى في الدماء ، وتبذيرى
في الأموال ، ولعمري ما بلغت في عقوبة أهل المعصية ما هم أهلها وما قضت حق أهل
الطاعة بما استحقوه ، فإن كان قتلى أولئك العصاة سرفا ، وإعطائي أولئك المطيعين
تبذيرا ، فليس وغي (۲) أمير المؤمنين ما سلف ، وليحد لي فيه حدا أنتهى إليه إن
شاء الله تعالى ، ولا قوة إلا بالله ، والله ما على من عقل (۳) ولا قود ، ما أصبت
القوم خطأ فأفديهم ، ولا أعطيتهم إلا لك ، ولا قتلت إلا فيك ، وأما ما أنا
منتظره من أمريك ، فإليهما عدة ، وأعظمها محنة ، فقد عبات للعدة الجلال ،
وللمحنة الصبر .

وكتب في أسفل كتابه :

إِذَا أَنَا لَمْ أَتَّبِعْ رِضَاكَ وَأَتَّبِعْتَنِي
أَذَاكَ ، فَيَوْمِي لَا تَزُولُ كَوَاكِبُهُ
وَمَا لِأَمْرِي بَعْدَ الْخَلِيفَةِ جُنَّةٌ
أَسْأَلُ مَنْ سَأَلْتَ مِنْ ذِي قَرَابَةِ
تَقِيهِ مِنَ الْأَمْرِ الَّذِي هُوَ كَاسِبُهُ (۴)
وَمَنْ لَمْ تَسْأَلْهُ فَإِنِّي مَحَارِبُهُ

(۱) في الأصل « فلا تلحني » ولكنه يخل بوزن البيت ، وأرى أنه محرف عن « فلا تلحيني » وهو
بمعناه (۲) يقال : سوغه ما أصاب أي تركه له خالصا ، والمعنى : فليقرني على ما قد فعلته ، وفي أدب
الكتاب : « فإن رأى أمير المؤمنين أن ينضى لي سالي ، وبأمرني بما أحب لي مستأني ، فعل إن شاء الله »
(۳) العقل : الدية . (۴) الجنة : الوقاية .

إذا قارف الحجاجُ منك خطيئةَ فقامتُ عليه في الصباح نواديه^(۱)
 إذا أنا لم أدنِ الشفيق لنصحِهِ وأقصبى الذي تسرى إلى عقاربه
 فمن ذا الذي يرجو نوالى، ويتقى مُصاواتى؟ والدهرُ جمٌّ وائبه
 قَتِفُ بى على حدِّ الرضا لأجوزهِ مَدَى الدهر حتى يرجع الدرَّ حالبه^(۲)
 وإلا فدعنى والأمورَ، فإننى شفيقٌ رَفِيقٌ أحكمتنى تجاربه
 فما أنتهى كتابه إلى عبد الملك قال: خاف أبو محمد صَوْلَتى، ولن أعود لشيء بكرمه
 (مروج الذهب ۲ : ۱۳۷، وأدب الكتاب ص ۲۳۶)

۲۴۰ - كتب الحجاج إلى رتبيل

وما زال ابن الأشعث ينهزم من بلد إلى بلد حتى دخل بلاد رتبيل، فأنزله عنده
 وأكرمه وعذَّمه، فكتب الحجاج إلى رتبيل :
 « أما بعدُ : فإنى قد بعثتُ إليك عمارَةَ بن تميم^(۳) في ثلاثين ألفاً من أهل الشام،
 لم يخالفوا طاعةً، ولم يخلعوا خليفةً، ولم يتبعوا إمام ضلالةً، يجزى على كل رجل منهم
 في كل شهر مائة درهم، يستطعمون الحرب استطاعاً، يطلبون ابن الأشعث .
 فأبى رتبيل أن يسلمه، وتقاوت كُتُب الحجاج إليه في ابن الأشعث أن :
 « أبعث به إلى ، وإلا فوالذى لا إله إلا هو لأوطئن أرضك ألف ألف
 مقاتل . »

ثم عاهده الحجاج ليكفّن الخراج عن أرضه سبع سنين على أن يدفع إليه ابن الأشعث
 فوجه به إليه، فألقى ابن الأشعث نفسه من فوق قصر فئات، فاحتزَّ رتبيل رأسه،

(۱) قارف الذنب : اقترفه ، وجملة قامت دعائية ،

(۲) برجم : يرد ، والدر : اللبن ، أى حتى يرد الحالب الدر في الضرع وهو مستجبل ، والمعنى :

لا أجوزهُ أبداً ، وفي الأمثال « حتى يرجع الدر في الضرع » يضرب لما يستجبل كونه .

(۳) كان على سجدتان .

وبعث به إلى الحجاج، وكتب إليه : « أنه أخذ ثمانية عشر رجلاً من أهل بيت عبد الرحمن » ، فكتب إليه :

« أن أضرب رقابهم وابعث إلى برءومهم » .
وكره أن يؤتى بهم إليه أحياء ، فيطلب فيهم إلى عبد الملك ، فيترك منهم أحداً ،
وكان ذلك سنة ۸۵ هـ . (تاريخ الطبري ۸ : ۴۰)

۲۴۱ - كتاب عبد الملك إلى الحجاج

وروي أنه لما هزم الحجاج ابن الأشعث ، كتب إليه عبد الملك :
« أما بعدُ : فما لك عندي مثل الإلادح ابن مقبل^(۱) »

۲۴۲ - كتاب الحجاج إلى قتيبة بن مسلم

فلم يذر الحجاج ما أراد ، فكتب إلى قتيبة بن مسلم الباهلي - وكان عالماً
برواية الشعر - :

« إن ابن مقبل من أهلك ، وقد كتب إلى أمير المؤمنين بكذا ، فعرفني قدحاً » .

۲۴۳ - رد قتيبة على الحجاج

فكتب إليه قتيبة :

« إن هذا القدح فاز سبعين مرة^(۲) ، لم يخب فيها مرة واحدة ، حتى ضرب به
الذئب^(۳) ، فقال ابن مقبل بئعته » :

(۱) هو تميم بن مقبل ، شاعر مخضرم ، والقدح : السهم الذي يتقسم به ، على عادة العرب والميسر

(۲) وى شرح العيون « سبعين مرة » .

(۳) ذئب : « قدح ابن مقبل » .

خُرُوجٌ مِنَ النُّعْمَى إِذَا صُكَّ صَكَّةٌ بَدَأَ وَالْعُيُونُ الْمُسْتَكْفَةُ تَلْمَحُ (۱)
مُفَدَّى . مُوَدَّى بِالْيَدَيْنِ ، مُنْعَمٌ خَلِيمٌ قَدَاحٌ فَائِزٌ مَتَمَّنَحٌ (۲)
غَدَاً وَهُوَ مَجْدُولٌ فَرَّاحٌ كَأَنَّهُ مِنَ الْمَسِّ وَالتَّقْلِيْبِ بِالْكَفِّ أَفْطَحٌ (۳)
إِذَا امْتَنَحْتَهُ مِنْ مَعَدِّ قَبِيْلَةٍ غَدَاً رَبُّهُ قَبْلَ الْمُفِيضِينَ يَفْدَحُ (۴)

(جہرۃ الأمثال ۲ : ۱۹ ، وشرح العيون ص ۱۲۸)

۲۴۴ - کتاب الحجاج إلى المهلب

وولّى الحجاجُ المهلبَ خُراسانَ سنة ۷۸ هـ كما قدمنا ، فلما كانت سنة ۸۰ هـ قطع المهلبُ نهرَ بَلخَ فنزل على « كَشَّ » وأقام بها سنتين ، ثم صالح أهلها على فدية ، وأتاهم وهو بكش قومًا من مُضَرَ فحبسهم بها ، فلما قفل وصار صلحَ خَلامَ ، فكتب إليه الحجاج :

« إن كنت أصبت بحبسهم فقد أخطأت في تخليتهم ، وإن كنت أصبت بتخليتهم فقد ظلمتهم إذ حبستهم » .

فقال المهلب : « خفتهم فحبستهم ، فلما أمنتُ خليتهم » .

(تاريخ الطبري ۸ : ۳)

(۱) النعمى : الشديدة من شدائد الدهر لا يتجه لها ، ويقال : إنهم لقي غمى من أمرهم : إذا كانوا في أمر ملئس ، وفي الأصل « جهرۃ الأمثال » النعمى بالعين المهملة وهو تصحيف ، وصك : ضربه . واستكففته استوصحته بأن تضع يدك على حاجبك كمن يستظل من الشمس ، واستكفوا حوله : أحاطوا به واجتمعوا حوله ينظرون إليه .

(۲) مؤدى باليدين : أى يحمل باليدين كليهما لا بيد واحدة ، اعترازا به وتقديرًا لفوزه ، والخليم القدح الفائز أولاً (وهو أيضا قدح لا يفوز) وتمنحت المال : أطعمته غيرى ، وفي حديث أم زرع « وآكل فأتجح » أى أطعم غيرى ، وهو تفعل من المنح : أى العطية ، فالمعنى أنه يمنح ويعطى من يستعيره تبناً به .
(۳) الأفطح : العريض .

(۴) امتنحته : طلبت أن تمنحه أى استمارته ، وفي جهرۃ الأمثال وشرح العيون « امتنحته » وهو تحريف ، والتصحيح عن لسان العرب ، جاء فيه « والمنجح (ككريم) : قدح من قداح الميسر يؤثر بفوزه فيستمار بنيمين بفوزه ، وقبل : المنجح منها : الذى لا نصيب له ، وقد ذكر ابن مقبل القدح المستمار : الذى يتبرك بفوزه إذا امتنحته . . . البيت » وأفاح القداح وبها ضرب بها ، والمعنى : أنهم إذا استماروا هذا القدح غدا صاحبه يندح النار لصل الحجم قبل خروجه لثفته بفوزه .

۲۴۵ - كتاب المهلب إلى حريث بن قطبة

وقفل المهلب من « كَشَّ » وخلف حُرَيْثَ بن قُطْبَةَ وقال له : إذا استوفيت الفدية فردّ عليهم الرُّهْنُ، وقطع النهرَ فلما صارَ ببلخ أقام بها وكتب إلى حريث : « إني لست آمنُ إن رددتَ عليهم الرُّهْنُ أن يُغيروا عليك ، فإذا قبضتَ الفديةَ فلا تُحلِّ الرُّهْنُ حتى تقدمَ أرضَ بلخ » . (تاريخ الضبى ۸ : ۱۸)

۲۴۶ - كتاب يزيد بن المهلب إلى الحجاج

وتوفى المهلب سنة ۸۲ هـ فولى الحجاج خراسانَ أبْنَه يزيد ، وفي سنة ۸۴ هـ غزا يزيدُ « يَازَاغِيْسَ »^(۱) فصالحه ملكها « نيزك » على أن يدفع إليه ما في قلعته من الخزائن ، ويرتحل عنها بعياله^(۲) ، وكتب يزيد إلى الحجاج بالفتح - وكانت كتب يزيد إلى الحجاج بكتبتها يحيى بن بَعْمَرِ العَدَوَانِي - فكتب : « إنا لَعِينَا العَدُوَّ ، فَمَنَحْنَا اللهُ أكتافَهُمْ ، فَمَقَتَلْنَا طائفةً ، وَأَمَرْنَا طائفةً ، وَحَلَمَّتْ طائفةٌ برءوس الجبال ، وعراعر^(۳) الأودية ، وأهضام الفيطان ، وأثناء الأنهار » . وقال أبو العباس المبرّد في الكامل عقب شرحه : « وعراعر الأقوام » الواردة في كتاب ابن الأشعث السابق :

ومن ذلك كتاب يزيد بن المهلب إلى الحجاج بن يوسف : « وإن العدوَّ نزل بعُرْعرة الجبل ، وزلنا بالخصيف^(۴) » .

(۱) ناحية تشتمل على قرى من أعمال هراة .

(۲) وفي ذلك يقول كعب بن معدان الأشقري من قصيدة :

نفي نيزكا عن يازاغيس ، وبيزك بمنزلة أعباء الملوك اغتصابها

(۳) عراعر : جمع عرعره بضم العينين ، وعرعره كل شيء : أعلاه ، وأهضام : حم هضم بالفتح ويكسر وهو المطنن من الأرض ، وبطن الوادي وأسفله ، والفيطان حم غائض : وهو المطنن الواسع من الأرض ، وأثناء جمع نفي بالكسر ، ونفي النهر : منهطفه .

(۴) الخصيف : الفرا من الأرض عند منقطع الجبل .

ورواية الجاحظ في البيان والتبيين :

« إننا لقينا العدو . فقتلنا طائفةً ، وأمّرنا طائفةً ، ولحقت طائفةً بعرائر^(١) الأودية ، وأهضام الفيضان ، وبقنا بعرة الجبل ، وبات العدو محضيه » .
فقال الحجاج : ما يزيدُ بأبي عذرة هذا الكلام^(٢) ، فمن هناك؟ قيل : يحيى بن يعمر ، فكتب إلى يزيد أن يشخصه إليه^(٣) .

(تاريخ الطبري ٨ : ٣٩ ، والكامل للمبرد ١ : ١٣٣ ، والبيان والتبيين ١ : ٢٠١)

٢٤٧ - كتب بين الحجاج وعبد الملك

وزيد والمفضل ابني المهلب

وظهرت مناقب يزيد وعظمت آثاره ، فحسده الحجاج وعمل على عزله ، ولم يكن يتخوف بعد ابن الأشعث غيره ، واتفق أن وفد الحجاج إلى عبد الملك ، ثم عاد إلى العراق فمرّ في منصرفه بدير فنزله ، فقيل له : إن في هذا الدير شيخاً من أهل الكتب عالماً ، فدعا به وسأله : أتعلم ما إلى؟ قال : نعم ، قال : فمن يلبه بعدى؟ قال : رجل يقال له يزيد ، فوقع في نفسه أنه يزيد بن المهلب ، وارتمل وهو وجل من قول الشيخ ،

(١) فسره الجاحظ فقال : « عرائر الأودية : أسافلها » ولم أجده في كتاب اللغة ، والذي في لسان العرب : « وهرا الوادي شاطئاه » مثنى « عر » كقفل ، ويلاحظ أنه لا يجمع قياساً على عرائر .
(٢) العذرة : البكرة ، واقتضاض الجارية ، يقال : فلان أبو عذرة فلانة وأبو عذرتها : إذا كان افتزعها واقتضها ، وما أنت بأبي عذرة هذا الكلام : أي لست بأول من اقتضه .

(٣) حمله يزيد على البريد فقدم عليه أفصح الناس ، فقال له : أين ولدت؟ قال : بالأهواز ، قال فأني لك هذه الفصاحة؟ قال : حفظت كلام أبي وكان فصيحاً ، قال : من هناك؟ فأخبرني : هل يلحن عنبسة بن سعيد؟ قال : نعم كثيراً ، قال : فلان ، قال : نعم ، قال : أنسمعي ألحن؟ قال : الأمير أفصح من ذلك ، فأعاد عليه القول وأقسم عليه ، فقال يحيى : نعم تلحن لنا خفياً تزيد حرفاً وتنقص حرفاً ، وتجعل أن في موضع إن ، وإن في موضع أن ، قال : قد أجتك ثلاثاً ، فإن أجدك بعد ثلاث بأرس العراق فتنتك ، فرجع إلى خراسان .

ومما يتصل بذلك ما أورده ابن خلكان في ترجمة الشعبي في وفيات الأعيان ١ : ٢٤٤ قال « ويقال إن الحجاج قال له يوماً : كم عطاءك في السنة؟ قال : ألفين ، قال : ويحك ! كم عطاؤك؟ فقال : ألفان قال : كيف لحنت أولاً؟ قال : لحن الأمير فلحنت ، فلما أعرب أعربت ، وما أمكن أن يلحن الأمير وأعرب أنا ، فاستحسن ذلك منه وأجازه » .

وقدم فكتب إلى عبد الملك يستعفيه من العراق ، فكتب إليه :

« يا ابن أمّ الحجاج قد علمتُ الذي تَفَزُّو^(۱) ، وإنك تريد أن تعلم رأيي فيك ، ولعمري إني لأرى مكانَ نافع بن علقمة ، قاله عن هذا حتى يأتي الله بما هو آتٍ » .

وأجمع الحجاج على عزل يزيد ، فلم يجد له شيئاً ، حتى قدم الخيار بن سبرة — وكان من فرسان المهلب ، وكان مع يزيد — فقال له الحجاج : أخبرني عن يزيد ، قال : حسنُ الطاعة ، لئن السيرة ، قال : كدّبت ، أُصدقني عنه ، قال : الله أجلُّ وأعظم ، قد أسرج ولم يُدجِم ، قال : صدقت ، ثم كتب إلى عبد الملك : يشير عليه بعزل يزيد بن المهلب ، ويخبره بطاعة آل المهلب لابن الزبير ، وأنه لا وفاء لهم .

فكتب إليه عبد الملك :

« إني لا أرى نقصاً بآل المهلب طاعتهم لآل الزُّبَيْرِ ، بل أراه وفاء منهم لهم ، وإن وفاءهم لهم يدعوهم إلى الوفاء لي » .

فكتب إليه الحجاج يخوفه غدراً لما أخبره به الشيخ .

فكتب إليه عبد الملك : « قد أكرت في يزيد وآل المهلب ، فسم لي رجلاً يصلحُ نخراسان » .

فسمى له مُجَاعَةَ بن سِعْر^(۲) السَّعْدِي - ولم يكن يصلح ، وإنما جعل ذلك دهاء منه حتى لا يعرف ميله إلى قتيبة بن مسلم - .

فكتب إليه عبد الملك : « إن رأيتك الذي دعاك إلى استفساد آل المهلب ، هو الذي دعاك إلى مُجَاعَةَ بن سِعْر ، فانظر لي رجلاً صارماً ماضياً لأمرك » .

(۱) غزاه غزوا: أراداه وطابه وقصده ، ومنه ، مغزى الكلام : أى مقصده .

(۲) وى سرح العيون « سمر » .

فسمي له قتيبة بن مسلم ، فكتب إليه « وله » .

وبلغ يزيد أن الحجاج عزله ، فقال لأهل بيته : من ترؤن الحجاج بولي خراسان؟ قالوا : رجلا من ثقيف ، قال كلا ، ولكنه يكتب إلى رجل منكم بعهدده ، فإذا قدمت عليه عزله وولي رجلا من قيس ، وأخلاق بقتيبة .

فلما أذن عبد الملك للحجاج في عزل يزيد كره أن يكتب إليه بعزله ، فكتب إليه : « أن استخلف الفضل وأقبل » .

فاستشار يزيد حُصين بن المنذر ، فقال له : أقيم واعتل ، فإن أمير المؤمنين حسن الرأي فيك ، وإنما أوتيت من الحجاج ، فإن أقت ولم تعجل رجوت أن يكتب إليه أن يقر يزيد ، قال : إنا أهل بيت بورك لنا في الطاعة ، وأنا أكره المعصية والخلاف ، فأخذ في الجهاز ، وأبطأ ذلك على الحجاج ، فكتب إلى الفضل « إني قد وليتك خراسان » .

فجعل الفضل يستحث يزيد ، فقال له يزيد : إن الحجاج لا يقربك بعدى ، وإنما دعاه إلى ماصع مخافة أن أمتنع عليه ، قال : بل حسدتنى ، قال يزيد : يا بن بهالة^(۱) أنا أحسدك ! ستعلم ، وخرج يزيد في ربيع الآخر سنة ۸۵ ، فعزل الحجاج الفضل ، وولي قتيبة بن مسلم .

وفي رواية أخرى أن الحجاج كتب إلى يزيد « أن اغز خوارزم » .

فكتب إليه : « أيها الأمير إنها قليلة السلب^(۲) ، شديدة الكلب » .

فكتب إليه الحجاج : « استخلف وأقدم » .

فكتب إليه : « إني أريد أن أغزر خوارزم » .

(۱) هي أم الفضل وأخيه عبد الملك وهي هندية ، - انظر تاريخ الطبري ۸ : ۷۲ - وأما يزيد فأمه « رحمة » - انظر البيان والتبيين ۲ : ۶۷ والعقد الفريد ۲ : ۱۵۵ .
(۲) السلب : ما يسلب ، والسلب في الأصل : سمار وداء شبه الجنون يصيب الكلاب ، ويقال : دفعت عنه كلب فلان : أي شره وأذاه ، ومعناه هنا ما يفتاب المحاربين من المتاعب والشدائد .

فكتب إليه : « لاتغزها فإنها كما وصفت »
فغزا ولم يطمعه ، فصالحه أهل خوارزم وأصاب سبياً مما صالحوه ، وقفل في الشتاء
فاشتمد عليهم البرد ، فأخذ الناس ثياب الأُسرى فلبسوها ، فمات ذلك السبي من البرد ،
فكتب إليه الحجاج أن « اقدم » فقدم .

(تاريخ الطبری ۸ : ۴۲ ، وشرح العيون ص ۱۲۴)

- ۲۴۸ کتاب الحجاج إلى أعراب قطعوا الطريق

وبلغ الحجاج أن قوماً من الأعراب من عمرو بن تميم وحنظلة بفسدون الطريق ،
فكتب إليهم :

« من الحجاج بن يوسف ، أما بعد فإنكم قد استخلصتم^(۱) الفتنة فلا عن حق
تقاتلون ، ولا عن منكر تنهون ، وإيم الله إني لأهم أن يكون أول ما يرد عليكم
من قبلي ، خيل تنسف الطارف^(۲) والثالذ^(۳) ، وتدع النساء أيامي^(۴) ، والأبناء
يتامى ، والديار خراباً ، والسواد بياضاً ، فأيمار رقة^(۵) مرّت بأهل ماء ، فأهل ذلك
الماء ضامنون لها حتى تصير إلى الماء الذي يليه ، تقدمة مني إليكم ، والسعيد من وعظ
بغيره ، والسلام » .

فلما بانهم كتابه كفوا عن الطريق .

(البيان والتبيين ۱ : ۲۱۲ ، والعقد الفريد ۱ : ۱۷)

(۱) استخلصه لنفسه : استخضعه ، وفي رواية العقد الفريد « قد استخضتكم الفتنة » .
(۲) الطارف : المال المستحدث ، والثالذ : المال القديم الأصلي الذي ولد عندك .
(۳) الأيامي : من لا أزواج لهم من الرجال والنساء ، الواحد منهما أيم كطيّب ، سواء كان تزوج
من قبل أو لم يتزوج ، وامرأة أيم بكر كانت أو ثيباً .
(۴) الرقة مثثة : الجماعة ترافقهم في سفرك ، والجمع رفاق .

۲۴۹ - كتاب الحجاج إلى عبد الملك

وكتب الحجاج إلى عبد الملك بن مروان :

« وبإعني أن أمير المؤمنين عطسَ عطسةً ، فشمتَه^(۱) قوم ، فقال : « يغفر الله لنا ولكم » ، ف « يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً » .

(الكامل للبرد ۱ : ۲۴۸ ، والعقد الفريد ۳ : ۲۰)

۲۵۰ - كتاب الحجاج إلى عبد الملك

وكتب الحجاج إلى عبد الملك بن مروان :

« أما بعد : فإننا نُخبر أمير المؤمنين أنه لم يُصب أرضنا وابل^(۲) منذُ كتبتُ أخبرُه عن سُقيا الله إيانا ، إلا ما بِلَّ وَجَهَ الأرض من الطش^(۳) والرثش^(۴) والرداذ^(۵) ، حتى دَقِعت^(۶) الأرض واقشعرت واغبرت ، وثارَت في نواحيها أعاصير^(۷) تذرُّو دُقاقَ الأرض من ترابها ، وأمسكَ الفلاحون بأيديهم ، من شدة الأرض واعتزازها^(۸) وامتناعها ، وأرضنا أرضٌ سريعٌ تغيُّرها ، وشيك^(۹) تنكُّرها ، سيئُ ظنُّ أهلها عند قحوظِ المطر ، حتى أرسل الله بالقبول^(۱۰) يوم الجمعة ، فأثارَت زبرجا متقطعا متمصِّرا ،

(۱) التشميت والتسميت : الدعاء للعاطس .

(۲) الوابل والوبل : المطر الشديد الضخم القطر .

(۳) الطش والطشيش : المطر الضعيف ، وهو فوق الرذاذ .

(۴) الدقماء كحمراء : الأرض لا نبات بها ، والتراب ، ويقال : دقع الرجل كفرح وأدقم إذا لصق

بالدقماء فقرا ، والمعنى : قد صارت الأرض دقماء مجرداء خالية من الزرع . واقشعرت الأرض : تقبضت وتجمعت من الحبل والجذب

(۵) الأعاصير : جمع إعصار بالكسر ، وهو الريح التي تهب من الأرض كالعمود نحو السماء ، وذررت

الريح التراب تذرره : أطارته وأذهبته ، والدقاق ، بالضم ، فئات كل شيء .

(۶) أي شلتها وصلابتها ، والذي في كتب اللغة عرز الشيء واستعرز : اشتد وصلب وغلظ ،

وتعرز عليه واستعرز ، استصعب . (۷) أي سريع :

(۸) القبول : ربيع الصبا . والزبرج : السحاب الرقيق فيه حمرة . ومتمصرا : أي قليلا متفرقا ،

والشمال : الريح تهب من ناحية القطب .

ثم أعقبته الشمال يوم السبت ، فطحطحت^(۱) عنه جهامة ، وألقت متقطعة ، وجمد متمصره ، حتى انتضد^(۲) فاستوى ، وطمى وطحى ، وكان جونا مرثعنا قريبا زواعده ، واعتدت عوائده بوابل منهل منسجل ، برذوف^(۳) بعضه بعضا ، كلما أرذف شوئوب ارتدفته شاييب ، لشدة وقعه في العريض .
وكتبت إلى أمير المؤمنين ، وهي ترمى بثل قطع القطن ، قد ملأ اليباب^(۴) ، وسد الشعاب ، وسقى منها كل ساق ، الحمد لله الذى أنزل غيثه ، ونمّر رحمة من بعد ما قنطوا ، وهو الولي الحميد ، والسلام .

(البيان والنبين ۳ : ۲۳۵)

۲۵۱ - كتاب الحجاج إلى عبد الملك

وكتب الحجاج إلى عبد الملك يشير عليه أن يستكتب محمد بن يزيد الأنصارى ،
وكتب إليه :

« إن أردت رجلا مأمونا ، فاخلا ، عاقلا وديعا ، مسلما ، كتوما تتخذة لنفسك ، وتضع عنده سرك ، وما لا تحب أن يظهر ، فائخذ محمد بن يزيد »
فكتب إليه عبد الملك « ائجه إلى » فخماه فائخذه عبد الملك كاتباً .
قال شيد : لم يكن يأتيه كتاب إلا دفعه إلى ، ولا يستر شيئا إلا أخبرني به
وكتبه الناس ، ولا يكتب إلى عامل من عماله إلا أعلمنيه .

(تاريخ الطرى ۸ : ۵۵)

- (۱) طحطح : فرق وبدد ، والجهاب : السحاب الذى لاماء فيه ، أو الذى قد هراق مائه .
(۲) من ضد المتاع : إذا جعل بعضه فوق بعض ، وأنقاد السحاب : ماتراكم وتراكم منه ، وطمى البحر كرمى وعلا : امتلا ، وطمى كسى : ابيض ، والجون : الأسود (والأبيض أيضا) وارثمن البحر : نبت وجماد ، وعوائده : رواجه ، وسجل الماء : فانسجل : صب فانصب .
(۳) ردفة كسمه ونصره : تبعه كأردفه ، والشووب : الدفعة من المضر ، وارندفه : ردفه ، والعرض بالكسر : الوادى ، وفى الأصل « فى العراض » جمعا ، ولكن صاحب اللسان قال : وجمه أعراض ، لا يجاوز .
(۴) اليباب : الخراب ، والشباب : جمع شعب بالكسر ، وهو الطريق فى الجبل ، ومسيل الماء فى بطن أرض ، أو ما انفرج بين الجباب .

(۱۴ - جمهرة رسائل العرب - ثانى)

۲۵۲ - کتاب عمر بن عبد العزيز إلى عبد الملك

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عبد الملك :

«أما بعدُ ، فإنك رابع ، وكل رابع مشول عن رعيته ، حدَّثني أنسُ بن مالك أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « كُلُّ رَاعٍ مَشُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا » .

فغضب عبد الملك حين بدأ باسمه ، فقيل له : إنه كان يفعل ذلك مع من قبلك ، فسكن غضبُ عبد الملك .

(سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص: ۳۶)

۲۵۳ - كتاب عبد الملك إلى ابنه مسلمة

واستبطأ عبد الملك بن مروان ابنه مسلمة في مسيره إلى الروم ، فكتب إليه :

لِيَنَّ الظَّمَانُ سَيْرُهُنَّ تَرْحُفٌ سَيْرَ السَّفِينِ إِذَا تَقَاعَسُ تُجْدَفُ (۱)

۲۵۴ - رد مسلمة عليه

فلما قرأ مسلمة الكتاب كتب إليه :

ومستعجب مما يرى من أناتنا ولو زبنته الحرب لم يترمرم (۲)

(البيان والتبيين ۳ : ۹۶)

(۱) ترحف : أي مشى فيه ببطء وثقل حركة . والسفين ، جمع سفينة . تقاعس : تأخر . تجدف : تسير بالحداف .

(۲) زبنت الناقة حالها كضرب : ضربته برجلها ودفعته فهي زبون بالفتح ، وزبنت الحرب الناس صدمتهم ودفعتهم على التشبيه بالناقة فهي زبون أيضا . وترمرم : تحرك للكلام ولم يتكلم . وقد روى أن معاوية كتب هذا البيت جوابا لكتاب جاءه من الوليد بن عتبة يستبطئه في الطلب بدم عثمان ويخبره على قتال علي ، والبيت لأوس بن حجر - انظر الجزء الأول ص ۳۴۷ .

۲۵۵ - کتاب عبد الملك بن مروان إلى بعض ولده

وكتب عبد الملك بن مروان إلى بعض ولده - وقد خالفه في شيء - :
 « أما بعد ، فإنى أمرتك بأمرٍ فأتيتَ غيره ، ووصيتك بوصية فأتيتَ
 إلا عصيانيها^(۱) ، وخفتُ أنك بمنزلة الصبي الذي إذا أمرَ بشيء أباه ، وإذا نُهيَ عن
 شيء أتاه ، فيُحتال له فيما ينفعه بأن يُنهي عنه ، وفيما يضره بأن يؤمر به ، ويأسوئتي
 لمن هذه حاله ! والسلام » . (أدب الكتاب ص ۲۳۶)

۲۵۶ - كتاب الحجاج إلى عبد الملك

وكان عروة بن الزبير عاملاً على اليمن لعبد الملك بن مروان ، فاتصل به أن
 الحجاج يُجمع على مطالبته بالأموال التي بيده وعزله عن عمله ، ففرَّ إلى عبد الملك ،
 وعادَ به مخوفاً من الحجاج ، واستدفعاً لضرره وشره ، فلما بلغ ذلك الحجاج كتب
 إلى عبد الملك بن مروان :

« أما بعد : فإن لواد^(۲) المُعترضين بك ، وحُلُولِ الجانحين إلى المكِّ بساحتك ،
 واستيلائتهم دمت^(۳) أخلاقك ، وسعة عفوك ، كالعارض^(۴) المُبرق لأعدائه لا يُعَدَم
 له شاماً^(۵) ، رجاء استمالة عفوك ، وإذا أدنى الناس بالصفح عن الجرائم ، كان ذلك
 تمريناً لهم على إضاعة الحقوق مع كل ضالٍّ ، والناسُ عبيدُ العصا ، هم على الشدة أشدَّ
 استيافاً منهم على اللين ، ولنا قبلَ عروة بن الزبير مالٌ من مال الله ، وفي استخراجِه منه

(۱) في الأصل « إلا عصيته » وهو تحريم .

(۲) لاذبه لوذا ولوذا ولباذا ، لبأ إليه وعاذبه ، وفي الأصل « لوذان » ولم أجده في كتب اللغة
 . صدرا ، وإعما التي فيها ، « ويقال هو بلوذان كفا بفتح اللام وسكون الواو أى بناحية كذا » ومعناه
 هنا غير مناسب ولذا جعلته (لوذا) .

(۳) دمت دمتا كفرح فهو دمت : لان وسهل . والدماثة ، سهوله الخلق .

(۴) العارض : السحاب المعترض في الأفق .

(۵) شام البرق : نظر إليه أين يقصد وأين يعطر ؟ .

قَطَعَ إِطْمَعٍ غَيْرِهِ ، فَلْيَبْعَثْ بِهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ رَأَى ذَلِكَ ، وَالسَّلَامُ .
 فلما قرأ الكتاب ، بَعَثَ إِلَى عُرْوَةَ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : إِنْ كَتَابَ الْحِجَابِ قَدْ وَرَدَ فِيكَ ،
 وَقَدْ أَبَى إِلَّا إِشْخَاصَكَ^(۱) إِلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ لِرَسُولِ الْحِجَابِ : شَأْنُكَ بِهِ ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ
 عُرْوَةُ مُتَقَبِّلاً عَلَيْهِ ، وَقَالَ : أَمَّا وَاللَّهِ مَا ذَلَّ وَخَزَى مَنْ مَاتَ ، وَلَكِنْ ذَلَّ وَخَزَى
 مَنْ مَلَكَتُمُوهُ ! وَاللَّهِ لَئِنْ كَانَ الْمَلِكُ بِجَوَازِ الْأَمْرِ وَنَفَازِ النَّهْيِ ، إِنْ الْحِجَابِ لَسُلْطَانُ
 عَلَيْكَ ، يُنْفِذُ أُمُورَهُ دُونَ أُمُورِكَ ، إِنَّكَ لَتُرِيدُ الْأَمْرَ بِرَبِّكَ عَاجِلًا ، وَتَبْقَى لَكَ
 أَكْرُومَةٌ^(۲) أَحِلُّهُ ، فَيَجْذِبُكَ عَنْهُ ، وَيَبْقَاهُ دُونَكَ ، لِيَتَوَلَّى مِنْ ذَلِكَ الْحُكْمَ فِيهِ ،
 فَيَحْظَى بِشَرَفِ عَفْوٍ إِنْ كَانَ ، أَوْ بِجُرْمِ عِقُوبَةٍ إِنْ كَانَتْ ، وَمَا حَارَبَكَ مَنْ حَارَبَكَ
 إِلَّا عَلَى أَمْرٍ هَذَا بَعْضُهُ .

فَنظَرَ فِي كِتَابِ الْحِجَابِ مَرَّةً ، وَرَفَعَ بَصَرَهُ إِلَى عُرْوَةَ تَارَةً ، ثُمَّ دَعَا بِدَوَاةٍ وَقَرِطَاسٍ ،
 فَكَتَبَ إِلَيْهِ :

۲۵۷- رد عبد الملك على الحجاج

« أَمَا بَعْدُ : فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ رَأَى أَنَّكَ - مَعَ ثِقَتِهِ بِنَصِيحَتِكَ - خَاطِبًا فِي السِّيَاسَةِ
 خَبِطَ عَشْوَاءَ^(۳) اللَّيْلِ ، فَإِنَّ رَأْيَكَ الَّذِي يُسْأَلُ لَكَ أَنَّ النَّاسَ عَبِيدُ الْعَصَا ، هُوَ الَّذِي
 أَخْرَجَ رِجَالَاتِ الْعَرَبِ إِلَى الْوُثُوبِ عَلَيْكَ ، وَإِذَا أَخْرَجْتَ الْعَامَةَ بِعُنفِ السِّيَاسَةِ ،
 كَانُوا أَوْشَكَ^(۴) وَتُوبًا عَلَيْكَ عِنْدَ الْفُرْصَةِ ، ثُمَّ لَا يَلْتَفِتُونَ إِلَى ضَلَالِ الدَّاعِي وَلَا هُدَاهُ ،
 إِذَا رَجَوْا بِذَلِكَ إِدْرَاكَ الثَّأْرِ مِنْكَ ، وَقَدْ وَلِيَتِ الْعِرَاقَ قَبْلَكَ سَاسَةً ، وَهُمْ يَوْمَئِذٍ أَحْيَى
 أَنْوَفًا ، وَأَقْرَبُ مِنْ عَمِيَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ ، وَكَانُوا عَلَيْهِمْ أَصْلَحَ مِنْكَ عَلَيْهِمْ ، وَلِلشِّدَّةِ وَاللَّيْنِ
 أَهْلُونَ ، وَالْإِفْرَاطُ فِي الْعَفْوِ أَفْضَلُ مِنَ الْإِفْرَاطِ فِي الْعِقُوبَةِ ، وَالسَّلَامُ . »

(العقد الفريد ۳ : ۱۷)

(۱) لإرسالك . (۲) الأكرومة : فعل الكرم ، أفعولة من الكرم كأن محبوبه من العجب .

(۳) العشواء : الناقة التي لا تبصر أمامها ، فهي تخبط بيديها كل شيء . (۴) أسرع .

۲۵۸ - كتاب عبد الملك إلى الحجاج

وروى صاحب العقد الفريد قال :

حدّث سعيد بن جوبيرة قال : خرجتُ خارجةً على الحجاج بن يوسف ، فأرسل إلى أنس بن مالك أن يخرج معي فإني ، فكتب إليه يشتمه ، فكتب أنس بن مالك إلى عبد الملك بن مروان يشكوه ، وأدرج كتاب الحجاج في جوف كتابه .

قال إسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر : بعث إلى عبد الملك بن مروان في ساعة لم يكن يبعث إلى في مثلها ، فدخلت عليه ، وهو أشد ما كان حنقا وغيظا ، فقال : يا إسماعيل ، ما أشد عليّ أن تقول الرعية : ضعف أمير المؤمنين ، وضاق ذرعُه في رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، لا يقبل له حسنة ، ولا يتجاوز له عن سيئة . فقلت : وما ذلك يا أمير المؤمنين ؟ قال : أنس بن مالك خادم رسول الله كتب إلى يدك أن الحجاج قد أضرب به ، وأساء جواره ، وقد كتبت في ذلك كتابين : كتابا إلى أنس بن مالك والآخر إلى الحجاج ، فاقبضهما ثم اخرج على البريد ، فإذا وردت العراق فابدأ بأنس بن مالك ، فادفع له كتابي ، وقل له : اشتد عليّ أمير المؤمنين ما كان من الحجاج إليك ، ولن يأتي إليك أمرٌ تكرهه إن شاء الله ، ثم أتت الحجاج فادفع إليه كتابه وقل له : قد اغتررت بأمر المؤمنين غرّة لا أظنه يخطئك شرها ، ثم افهم ما يتكلم به ، وما يكون منه ، حتى نفهمني إياه إذا قدمت عليّ إن شاء الله .

قال إسماعيل : فقبضت على الكتابين وخرجت على البريد ، حتى قدمت العراق فبدأت بأنس بن مالك في منزله ، فدفعت إليه كتاب أمير المؤمنين ، وأبلغته رسالته ، فدعا له وجزأه خيرا ، فلما فرغ من قراءة الكتاب ، قلت له : أبا حمزة ، إن الحجاج عاملٌ ، ولو وُضع لك في جامعة^(۱) لقدّر أن يضرّك وينفعك . فأنا أريد أن تصالحه

(۱) الجامعة : القيد .

قال : ذَلِكَ إِلَيْكَ . لا أَخْرُجُ عَنْ رَأْيِكَ ، ثم أتيتُ الحجاج ، فلما رآني رَحِبَ بي وقال : واللهِ لقد كُنْتُ أَحِبُّ أن أراك في بلدي هذا ، قلت : وأزِ واللهِ قد كنتُ أَحِبُّ أن أراك ، وأَقْدَمَ عليك بغير الذي أُرْسِلْتُ به إليك ، قال : وما ذاك ؟ قلتُ : فارتقتُ الخليفةَ وهو أغضبُ الناسَ عليك ، قال : ولمَ ؟ قال : فدفعتُ إليه الكتابَ ، فجعل يقرؤه وجبينه يَفْرَقُ ، فمسحه بيمينه ، ثم قال : اركب بنا إلى أنس بن مالك ، قلت له : لا تفعل ، فإني سأتلطفُ به حتى يكونَ هو الذي يأتيك - وذلكَ لِذِي أَشْرْتُ عليه من مصالحته - قال : فألقي كتابَ أمير المؤمنين ، فإذا فيه :

* * *

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله عبد الملك بن مروان إلى الحجاج بن يوسف ، أما بعدُ : فإنك عبدٌ طَمَتَ^(١) بك الأمورُ فطغيتَ ، وعلوتَ فيها حتى جُرْتَ قَدْرَكَ ، وعدوتَ طَوْرَكَ^(٢) ، وإيمُ الله يابنَ المُستَفْرِمَةِ^(٣) بِعَجْمِ زَيْبِ الطائفِ ، لِأَغْمِزَتِكَ كِبَعِضِ غَمَزَاتِ اللَّيْثِ الثَّعَالِبِ ، وَلَأَزْ كُضْنِكَ رَكْضَةَ تَدْخُلُ مِنْهَا فِي وَجَارِكَ^(٤) ، اذ كرمكاسِبَ آبائكِ بالطائفِ ، اذ كانوا يَنْقُلُونَ الحجارةَ على أكتافهم ، وَيَحْفِرُونَ الآبارَ والمناهِلَ^(٥) بأيديهم ، فقد نَسِيتَ ما كنتَ عليه أنتَ وآباؤك من الدناءةِ واللؤمِ والضَّرَاعَةِ^(٦) ، وقد بلغَ أمير المؤمنين استطلاةً منك على أنسِ ابنِ مالكِ خادمِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، جُرْأَةً منك على أمير المؤمنين ، وَغِرَّةً

(١) ورواية صبح الأعشى « علت » وهي بعناها ، من طمى الماء إذا علا ، والنبت إذا طال : أي ارتقى منصبك في الدولة فطغيت ، وفي غرر الحقائق « طفت » أي علت أيضاً .

(٢) أي وجاوزت حدك . (٣) انظر هامش ص ١٨٣ .

(٤) الوجار في الأصل : جحر الضبع وغيرها ، وفي صبح الأعشى « في وجعاً أمك » والوجعاء

كعمراء : الدبر .

(٥) المناهل : جمع منهل كقعد وهو المشرب ، وفي صبح الأعشى « والمناهر » جمع منهر كقعد أيضاً

وهو موضع النهر .

(٦) الذل .

بمعرفة غيره ونقماته وسطواته على من خالف سبيله ، وعمد إلى غير محجته^(۱) ، ونزل عند سخطته .

واظنك أردت أن تروزه^(۲) بها ؛ لتعلم ما عنده من التغيير والنكير فيها ، فإن سوغتها^(۳) مضيت قدما ، وإن غصصت^(۴) بها وليت دبرا ، فعليك لعنة الله من عبدي أخفش^(۵) العينين ، أصك الرجلين ، ممسوح الجاعرتين ، وإيم الله لو أن أمير المؤمنين علم أنك اجترمت منه جرما ، واتهكت له عرضا فيما كتب به إلى أمير المؤمنين ، لبعث إليك من يسحبك ظهرا لبطن ، حتى ينتهي بك إلى أنس بن مالك ، فيحككم فيك بما أحب ، وإن يخفى على أمير المؤمنين نبوك^(۶) ، وإكل نبا مستقر وسوف تعلمون .

قال إسماعيل : فانطلقت إلى أنس فلم أزل به حتى انطلق معي إلى الحجاج ، فلما دخلنا عليه قال : يغفر الله لك أبا حمزة ، عجلت باللائمة ، وأغضبت علينا أمير المؤمنين ! ثم أخذ بيده ، فأجلسه معه على السرير ، فقال أنس : إني كنت تزعم أنا الأشرار والله سمانا الأنصار ، وقلت : إنا من أنجل الناس ! والله يقول فينا : « وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ^(۶) » وزعمت أنا أهل نفاق ! والله تعالى يقول فينا : « وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَن هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ، وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا » . فكان المخرج والمشكى في ذلك

(۱) المحجة : جادة الطريق ، وفي العقد الفريد « محته » .

(۲) رازه روزا : جربه ، وفي غرر الحقائق : « وركبت داهية دهاء أردت أن تروزي بها ، فإن سوغتها مضيت قدما ، وإن لم أفعل رجعت القهقري » .

(۳) يقال : سوغه ما أصاب : أي تركه له خالصا ، والمعنى : فإن أقرك على ما قد فعلت .

(۴) وصف من الحفش بالتحريك : وهو صيق في العين وضعف في البصر خلقه ، والأصك : وصف من من الصك بالتحريك : وهو أن تضرب إحدى الركبتين الأخرى عند العدو فتؤثر فيها أثرا ، ومصك أيضا كفص ، والجاعرتان : لختان تكتنفان أصل القنب ، وهما من الإنسان في موضع رقتي الحمار (ويقال للكتنيتين السوداءين على عجز الحمار : الرقتان) .

(۵) وفي غرر الحقائق : فإذا أتاك كتابي هذا فكن لأس أطوع من عبد لبيده ، وإلا أصابك

منى سهم منكل ، ولكن نبا ... الخ . (۶) الخصاصة : الحاجة والعقر .

إلى الله وإلى أمير المؤمنين ، فتولى من ذلك ما ولّاه الله ، وعرف من حتمنا ما جهلت ، وحفظ منا ما ضيّعت ، وسيحكم في ذلك ربّ هو أَرْضَى للمَرْضَى ، وأسخط السُّخْط ، وأقدر على الغير في يوم لا يشوب الحقّ عنده الباطل ، ولا النور الظلمة ، ولا الهدى الضلالة ، والله لو أن اليهود أو النصارى رأّت من خدام موسى بن عمران أو عيسى ابن مريم يوماً واحداً ، لرأت له ما لم ترّوا لي في خدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرَ سنين .

قال : اعتذر إليه الحجاج وترضاه حتى قبلَ عُذْرَه ، ورضى عنه ، وكتب برضاه وقبوله عُذْرَه ، ولم يزل الحجاج له معظماً هائباً له ، حتى هلكَ رضى الله عنه .

۲۵۹ - رد الحجاج على عبد الملك

وكتب الحجاج إلى أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، لعبد الله عبد الملك بن مروان :

« أما بعد : أصلح الله أمير المؤمنين وأبنا ، وسهّل حظّه وحاطه^(۱) ولا أعدّ مناه ،

فإن إسماعيل بن أبي المهاجر رسول أمير المؤمنين - أعزّ الله نصره - قدّم على بكتاب

أمير المؤمنين - أطال الله بقاءه - وجعلني من كل مكروهٍ فداءً - يذكُر شتمى

وتوبيخني بأبائي ، وتعييرى بما كان قبلاً نزول النعمة بي من عند أمير المؤمنين - أتمّ الله

نعمته عليه ، وإحسانه إليه - ويذكُر أمير المؤمنين - جعلني الله فداءً - استطالةً مني

على أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، جرأةً على أمير المؤمنين ،

وعزّةً بمعرفة غيره ونعماته وسطوانته على من خالف مبدله ، وعمد إلى غير محجّته ، ونزل

عند سخطته ، وأمير المؤمنين - أصلحه الله - في قرابته من محمد رسول الله -

صلى الله عليه وسلم - إمام الهدى وخاتم الأنبياء ، أحقّ من أقال عثرتي ، وعفا

(۱) صانه وحفظه .

عن ذنبي ، وأمهاني ولم يُعجِبني عند هَفْوَتِي ، لِلَّذِي جُبِلَ عَلَيْهِ مِنْ كَرِيمِ طِبَائِعِهِ ،
وما قلَّدهُ اللهُ من أمور عباده ، فرَأَى أمير المؤمنين - أصلحه اللهُ - في تسكين رَوْعَتِي ،
وإفراج كَرْبَتِي ، فقد مُلِئْتُ رُعبًا وَفَرَقًا^(۱) من سَطْوَتِهِ ، وَفُجَاءةً نِقْمَتِهِ^(۲) ، وأميرُ
المؤمنين - أقاله اللهُ العَثَرَاتِ ، وتجاوز له عن السيئات ، وضاعفَ له الحسناتِ ، وأدبني له
الدَّرَجَاتِ - أحقُّ مَنْ صَفَحَ وَعَفَا ، وتغَمَّدَ^(۳) وأبقي ، ولم يُشْمِتْ بي عدوًّا مُكِبًّا^(۴) ،
ولا حسودًا مُضِبًّا^(۵) ، ولم يُجَرِّعني غُصَصًا ، والذي وصفَ أميرُ المؤمنين من صَنِيعَتِهِ
إلي ، وتنوَّبه^(۶) بي ، بما أسندَ إليَّ من عمله ، وأوظَّأني من رقاب رَعِيَّتِهِ ، فصادقٌ
فيه ، تجزِي بالشكر عليه ، والتوسُّل مفي إليه بالولاية ، والتقرُّب له بالكفاية .

وقد عاين إسماعيل بن أبي المهاجر رسولَ أمير المؤمنين وحاملُ كتابه ، مِنْ نزولي
عند مَسْرَةِ أنس بن مالك ، وخضوعي عند كتاب أمير المؤمنين ، وإفلاقه إياي ،
ودخوله بالمصيبة علي ، ما سِعِلِمِهِ أمير المؤمنين ويشهد إليه ، فإن رَأَى أمير المؤمنين
- طوَّقني اللهُ بشكره ، وأعانني على تادية حقه ، وبلغني إلى ما فيه موافقةً مَرْضَانِهِ ،
ومدَّ لي في أَجَلِهِ ، أن يأمر لي بكتابٍ مِنْ رضاه وسلامته صدره ، يُؤمِّنني به من سَفَكِ
دمي ، ويرد ما شَرَدَ من نومي ، ويطمئنُّ به قلبي ، ففعل ، فقد وَرَدَ عليَّ أمرٌ جليلٌ
خطبُهُ ، عظيمُ أمره ، شديدٌ عليَّ كَرْبُهُ ، أسأل اللهُ أن لا يُسَخِطَ أمير المؤمنين عليَّ ،
وأن يُبْدِيه في حَزْمِهِ ، وعزمه ، وسياسته ، وفراسته ، ومواليه ، وحشَمِهِ ، وعَمَلِهِ ،
وصنائعه ، ما يحمِّدُ به حُسْنَ رأيه ، ويُعدهمته ، إنه وليُّ أمير المؤمنين ، والذابُّ عن
سلطانهِ ، والصانعُ له في أمرهِ ، والسلام .

- (۱) خوفًا . (۲) وو صبح الأعتى و قحمان تقمانه و حم فحمة بالضم وهي الهلكة .
(۳) تغمد فلانًا و غمده بالشديد : صر ما كان منه .
(۴) مكبا: أي على التنقيب عن سيئاتي و ارتقاب ما ينوبني من الخطوب ، من أكب عنه إذا أقبل و لزوم .
(۵) الضب بالفتح و يكسر : القبط و الحقد ، واضب : حمل الضب .
(۶) نوه فلان بفلان : إذا رفعه و طير به و قواه ، ومنه قوله :
ونوهت لي ذكري و ما كان خاملا و لكن بعض الذكر أنه من بعض

فحدث إسماعيل أنه لما قرأ أمير المؤمنين الكتاب ، قال : يا كاتبُ أفرخ رُوع^(۱) أبي محمد ، فكتب إليه بالرضا عنه .

(العقد الفريد ۳ : ۱۲ ، وصح الأعشى ۶ : ۳۸۹ و ۴۷۸ ، وغرر الخصاص الواضحة ص ۷۳)

رواية أخرى لكتاب عبد الملك

وروى أن الحجاج قال لأنس بن مالك حين دخل عليه في شأن ابنه عبد الله - وكان خرج مع ابن الأشعث - : لا مَرَحَبًا بك ولا أهلا ، لَمَنَّةُ الله عليك من شيخ جوال في الفتنة - مرةً مع أبي تراب^(۲) ، ومرةً مع ابن الأشعث ، والله لأقلعنك قلع الصمغ^(۳) ، ولأجزرنك جزر الهرب^(۴) ، ولأصبنك عصب السامة^(۵) ، ولأجردك تجريد الضب^(۶) . قال أنس : من يعنى الأمير ، أبتاه الله ؟ قال : إياك أعنى ، أصم الله صدك^(۷) .

قال : فكتب أنس بذلك إلى عبد الملك ، فكتب عبد الملك إلى الحجاج : « بسم الله الرحمن الرحيم ، يا ابن المستفرمة بعجم الزبيب ، والله لقد هممت أن أركلك^(۸) برجلي ركلة تهوى بها في نار جهنم ، وأضعك^(۹) صغمة كبيض ضفدات

(۱) الروع : القلب أو موضع الفزع منه ، وأفرخ روعه : أى هدأ قلبه وسكنه وأمنه .

(۲) كنية الإمام على كرم الله وجهه .

(۳) قال الجاحظ في موضع آخر (ج ۱ : ص ۲۰۰) : لأن الصمغ اليابسة إذا فرقت عن الشجرة انقلعت انقلاع الجلبة « (والجلبة بالضم : القشرة تعلو الجرح عند البرء) .

(۴) الهرب بالضم : ثرب البطن بالفتح ، وهو شحم رقيق يفتى الكرش والأمعاء .

(۵) اللمنة : واحدة اللم ، وهو شجر كثير الشوك قال الجاحظ أيضا (ج ۳ : ص ۲۱) : « وذلك لأن الأشجار تعصب أغصانها ثم تجبط بالعصى لسقوط الورق وهشيم الميدان » .

(۶) قال صاحب اللسان في مادة جرد : « أى لأسلخنك سلخ الضب ، لأنه إذا شوى جرد من جلده ، وبروى : لأجردنك بتخفيف الراء وضمها » .

(۷) أصم الله صدها : أى أهلكه ، الصدى : الصوت الذى يسمعه المصوت عقيب صياحه يردده عليه الجبل أو المكان المرتفع العالى ، ثم استعير للمهلك ، لأنه إذا يجاوب الهى ، فإذا هلك الرجل صم صده كأنه لا يسمع شيئا فيجيب عنه .

(۸) ركله : ضربه برجله . (۹) ضغمة كتم عضه .

الليوث الثعالب ، وأخبطك خبطة تود أنك زاحمت فخرجك من بطن أمك ، قاتلك
الله (۱) أخيفش (۲) العينين ، أصك الرجلين ، أسود الجاعرتين ، والسلام .

(البيان والتبيين ۱ : ۲۰۵ ، وجمع الأمثال ۲ : ۸۹)

۲۶۰ - كتاب عبد الملك بن مروان إلى الحجاج

وروى صاحب العقد قال :

قال أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ : كان عبد الملك بن مروان سينان قريش
وسيفها رأيا وحزما ، وعابدها قبل أن يستخاف ورعا وزهدا ، فجلس يوما في خاصته
فقبض على لحيته فشمها مليا ، ثم اجتر نفسه ، وتفتح ففخة أطلها ، ثم نظر في وجوه
القوم فقال : « ما أقول يوم ذى المسألة عن أمر الحجاج ، وأدحض المحتج على العليم (۳)
بأطوته الحجب ؟ أما إن تليكي له قرآن بي لوعة يحشها التذكار ! كيف وقد
علت فتعاميت ، وسمعت فتصامت ، وحمله الكرام الكاتبون ! والله لكأني آلف
ذال الطعن على نفسي ، بعد أن نعت الأيام بتصرفها أنفسا حق لها الوعيد بتصرم الزوال ،
وما أبتت الشبهة للباقي متعلما ، وما هو إلا الغل الكامن ، والغش المندمل من
ذى النفس بحوبها (۴) ، اللهم أنت لى أوسع ، غير منتصير ولا معتذر ، يا كاتب ،
هات الدواء والقرطاس ، فتعد كاتبه بين يديه وأمل عليه :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله عبد الملك بن مروان إلى الحجاج بن يوسف ،
أما بعد ، فقد أصبحت بأمرك برما (۵) ، يبعثني الإشفاق ، ويقيمى الرجاء ، عجزت
في دار السعة ، وتوسط الملك ، وحين المهل ، واجتماع الفكر ، ألتبس العذر في أمرك ،

(۱) قاتله الله : قتله ، وقيل لعنه . وقيل عاداه . (۲) تصغير أخفش ، وقد تقدم معناه .

(۳) أدحضت حجته : أبطلتها . على العليم أى على الله العليم .

(۴) الحوباء روع القلب بضم الراء أى سواده ، قال الشاعر : « ونس تجود بحوبائها . والحوبا

أيضا : النفس . (۵) برم به كعرج : نجر .

فَأَنَا لَعَمْرُ اللَّهِ فِي دَارِ الْجَزَاءِ ، وَعَدِمَ السُّلْطَانَ وَاشْتَفَالَ النَّفْسَ ، وَالرُّكُونَ إِلَى الذَّلَّةِ مِنْ نَفْسِي ، وَالتَّوَقُّعَ لِمَا طَوَّيْتُ عَلَيْهِ الصُّحُفُ ، أَعْجَزُ ، وَقَدْ كُنْتُ أَشْرَكَتُكَ فِيمَا طَوَّعْتَنِي اللَّهُ حَمَلَهُ ، وَلَا تَبْحَقُوا^(۱) مِنْ أَمَانَةِ اللَّهِ فِي هَذَا الْخَلْقِ الْمَرْعِيِّ ، فَدَلَلْتَ مِنْهُ عَلَى الْحَزْمِ وَالْجِدِّ فِي إِمَانَةِ بَدْعَةٍ ، وَإِنْعَاشِ سُنَّةٍ ، فَتَعَدَّتْ عَنْ تِلْكَ ، وَنَهَضَتْ بِمَا عَانَدَهَا^(۲) ، حَتَّى صِرْتَ حُجَّةَ الْغَائِبِ ، وَعَذَرَ الْآعِنِ وَالشَّاهِدِ الْقَائِمِ .

فَلَعَنَ اللَّهُ أَبَا عَقِيلٍ^(۳) وَمَا نَجَلَ ، فَأَلَامُ وَالِدِي ، وَأَخْبَثُ نَسَائِي ، فَاعْمُرِي . مَا ظَلَمْتُمْ الزَّمَانَ ، وَلَا تَعَدَّتْ بِكُمْ الْمَرَاتِبُ ، لَقَدْ أَلْبَسْتُمْكُمْ مَلْبَسَكُمْ ، وَأَقَعَدْتُمْ عَلَى رِوَابِي خِطَطَكُمْ^(۴) ، وَأَحَلَّتْكُمْ عَلَى مَنَعَتِكُمْ ، فَمِنْ حَافِرٍ وَنَاقِلٍ وَمَاتِحٍ^(۵) لِلْفَلَوَاتِ الْقَفْرَةِ الْمُتَفَيِّهَةِ^(۶) ، مَا تَقَدَّمَ فِيكُمْ الْإِسْلَامُ ، وَلَقَدْ تَأَخَّرْتُمْ^(۷) ، وَمَا الطَّائِفُ مِنْهَا بِيَعِيدُ يُجْهَلُ أَهْلُهُ ، ثُمَّ قُمْتَ بِنَفْسِكَ ، وَطَمَحْتَ بِهَيْمَتِكَ ، وَسَرَّكَ اقْتِضَاءُ^(۸) سَيْتِكَ ،

(۱) الحق بالفتح ويكسر : الكشح ومعقد الإزار ، ولات بحقوى : أى لف وعصب . لان الشيء لوئا : أداره مرتين كما تدار العمامة والإزار ، قال النابغة :
تلوث بعد اتصال الرد مثرها لوئا على مثل دعص الوملة الهارى

(۲) خالفها وجانبها ، (۳) هو جد الحجاج ، ذكر ابن خلسكان في وفيات الأعيان - ج ۱ :
ص ۱۲۳ - في نسبه أنه الحجاج بن يوسف بن الحكم بن عقيل بن مسعود بن عامر . . . - انظر أيضاً شرح العيون ص ۱۱۲ - ونجمله : ولده .

(۴) الخطاط جمع خطة بالكسر : وهى الأرق التى ترها ولم ينزلها نازل قبك .

(۵) متع الماء : نزعها .

(۶) هكذا فى الأصل ، يريد المنسمة ، وتفهيق فى الكلام : توهم فيه ، مأخوذ من الفهق وهو الامتلاء ، كأنه ملا به شه ، وأرى أن صوابه « المنفقه » من انهق الشيء إذا اتسع ، ويقال أيضاً مفازة فهيق أى واسعة ، والفهيق : الواسع من كل شيء .

(۷) كانت ثقيف من القبائل التى تأخرت فى إجابة دعوة الإسلام ، وكانت ممن آذى النبى عليه الصلاة والسلام أيام الإيذاء . وذلك أنه لما مات أبو طالب نالت قريش من رسول الله ما لم تكنها نيله فى حياته ، فخرج عليه الصلاة والسلام إلى ثقيف بالطائف يرجو منهم أن يسلوا ويناصروه على قومه ، لأنهم أقرب الناس إلى مكابله فيهم خوؤله ، وكان رؤسائهم وساداتهم فيما جاءهم به ، فردوا عليه رداً قبيحاً ولم ير منهم خيراً ، فطلب إليهم الأيضية ، وأثابوا ذلك عنه اثلاً تعلم قريش فيشتد أذاهم له ، فلم يفعلوا بل أرسلوا سنهاءهم وغلمانهم وراءه برمونه بالحجارة حتى أدموا عقبه ، وكان مولاه زيد بن حارثة يدرأ عنه ، ومازالوا على جاهليتهم حتى فتح رسول الله مكة سنة ۸ هـ ودخل العرب فى دين الله أفواجا ، فوفدت عليه ثقيف فى رمضان سنة ۹ هـ وأسلمت مع من أسلم . (۸) انتهى السيف : سابه .

فاستخرجك أمير المؤمنين من أعوان رَوْحِ بْنِ زَيْنَبِاعٍ وَشُرَطِهِ^(۱) ، وَأَنْتِ عَلَى مَعَاوَنَتِهِ
يَوْمَئِذٍ مَحْسُودٌ ، فَهَذَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ - وَاللَّهُ يُصَدِّحُ بِالتَّوْبَةِ وَالْغُفْرَانِ زَلَّتْهُ - وَكَانَ
مَا لَوْ لَمْ يَكُنْ لَكُنْ خَيْرًا مِمَّا كَانَ ، كُلُّ ذَلِكَ مِنْ تَجَاسُرِكَ وَتَحَامُكِ عَلَى الْخِلَافَةِ لِرَأْيِ
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَصَدَعْتَ صَفَاتِنَا^(۲) ، وَهَتَكْتَ حُجُبَنَا ، وَبَسَطْتَ بِيَدِكَ تَحْفِنَ بِهِمَا

(۱) الشرط: أعوان الولاية واحدها شرطة كعريف وغرفة ، وكان أول ما ظهر من أمر الحجاج أنه
اتصل بروح بن زيناع الجذامي ، فدكان في عديد شرطته (وكان روح وزير عبد الملك ، وبنزلة نائبه)
ثم إن عبد الملك ، توجه إلى الجزيرة لقتال زفر بن الحارث الكلبي عند ما عصى عليه بفرقيسياء كما قدمنا ،
فشكا ما رأى من انحلال العسكر وأن الناس لا يرحلون برحيله ولا ينزلون بنزوله ، فقال له روح بن
زيناع : يا أمير المؤمنين ، إن في شرطتي رجلا لو قلده أمير المؤمنين أمر عسكره لأرحلهم برحيله ، وأنزلهم
بنزوله ، يقال له الحجاج بن يوسف ، قال : فإننا قد قلدهنا ذلك ، فكان لا يقدر أحد أن يتخلف عن الرحيل
والنزول إلا أعوان روح بن زيناع ، ثم يوما بعد رحيل العسكر بجماعة من خواص غلمان روح في خيمة
يأكلون ، فقال لهم : ما منعكم أن ترحلوا برحيل أمير المؤمنين ؟ فسخروا منه إذ لا يتعلمهم وعمل سيدهم .
وقالوا له : انزل يا ابن اللخناء فكل معنا (واللخن بالتحريك : قبح ربح الفرج ، وامرأة الخناء ، ويقال
للخناء : التي لم تحتن ، وهي من شتم العرب ، كأنهم يقولون : يادنى الأصل ، أو بالقيم الأم) . فقال :
هيهات ! ذهب ما هنالك ، وضرب بسيفه أطناب الخيمة فقطعت عليهم ، وأطلق فيها نارا فأحرقت أناسهم
عليهم ، وأمر بهم خلدوا بالسياط وطوفهم في العسكر ، فدخل روح بن زيناع على عبد الملك باكيا ، فقال
له : مالك ؟ فقال يا أمير المؤمنين ، الحجاج بن يوسف الذي كان في عديد شرطتي صرب عبيدي ، وأحرق
فساطيطي ، قال : طي به . فلما دخل عليه ، قال : ما حلك على ما فعلت ؟ قال : ما أنا فعلته يا أمير المؤمنين
قال : ومن فعله ؟ قال : أنت والله فعلت ، إنما يدي يدك ، وسوطي سوطك ، أنت يا أمير المؤمنين أمرتنا
بالاجتهاد فيما ولينا فقلنا ما أمرت ، وبهذه العلة يرتدع من بقي من أهل العسكر . وما على أمير المؤمنين
أن يتخلف على روح بن زيناع للفساطط فسطاطين وللغلام غلامين ، ولا بكسرني فيما قدمي له ؟ فأجبت
عبد الملك وقال : إن شرطكم لجلد ، ثم أمره على ما هو عليه . وتقدم الحجاج في منزله ، وكان ذلك أول
ما عرف من كفايته .

ولما طال القتال والحصار بينه وبين زفر بن الحارث ، أرسل عبد الملك رجاء بن حيوة وجماعة منهم
الحجاج إلى زفر بكتاب يدعو إلى الصلح ، فأثروه بالكتاب وقد حضرت الصلاة ، فقام رجاء فصلى مع
زفر ، وصلى الحجاج وحده ، فسئل عن ذلك ، فقال : لا أصلي مع منافق خارج على أمير المؤمنين وعن
مناعته ، فسمع عبد الملك بذلك فرأى نغيبا بالحجاج ورفع قصره ، وولاه بلدة تسمى « تباله » - كجناية ،
بلد باليمن - وهي أول ما ولي ، فخرج إليها فلما قرب سأل عنها ، فقيل : إنها وراء هذه الأكمة ، فقال :
أف لبلدة تنزلها أكمة فرجيم عنها ، فقيل في المثل : أهون من تباله على الحجاج - انظر القفا الفرديد ۳ : ۶ ،
وسرح العيون ص ۱۱۳ - .

(۲) الصفاء : الحجر الصلد الضخم .

من كرائم^(۱) ذوى الحقوق اللازمة ، والأرحام الواشجة فى أوعية ثقيف ، فاستغفر الله
لذنب ماله عذر^(۲) ، فائن استقال^(۳) أمير المؤمنين فىك الرأى ، لقد جالت البصيرة
فى ثقيف بصالح النبي صلى الله عليه وسلم ، إذ ائتمنه على الصدقات وكان عبده ، فهرب
بها عنه^(۴) ، وما هو إلا اختيار لثقة ، والمطلت لمواضع الكفاية ، فقعد فيه الرجاء ،
كما قعد بأمر المؤمنين فيما نصبتك له ، فكان هذا ألبس أمير المؤمنين ثوب العزاء ،
ونهب بعذره إلى استنشاق نسيم الروح^(۵) ، فاعتزل عمل أمير المؤمنين ، واطمن^(۶)
عنه باللعنة اللازمة ، والعقوبة الناهكة^(۷) إن شاء الله ، إذ استحكم لأمر المؤمنين
ما يحاول من رأيه ، والسلام .

ودعا عبد الملك مولى له يقال له : نباتة ، له لسان وفضل^(۷) رأى ، فناوله
الكتاب ، ثم قال له يا نباتة : العجل ثم العجل حتى تأتى العراق ، فضع هذا الكتاب
فى يد الحجاج ، وترقب ما يكون منه ، فإذا جبن عند قراءته واستيعاب ما فيه فاقطعه
عن عمله وانقلع معه حتى تأتى به ، وهدى الناس حتى يأتهم أمرى ، بما تصفى به
فى حين انقلاعك ، من حبي لهم والسلامة ، وإن هس للجواب ولم تكشفه أرنية^(۸)
الخيرة . فيخذ منه ما يجيب به ، وأقرره على عمله ، ثم اعجل على بجوابه .

قال نباتة : فخرجت قاصداً إلى العراق ، فضمتنى الصغارى والفيافى^(۹) ، واحتوانى

(۱) كرائم الأموال : خيارها التى تكرم عليك « والواشجة : الرحم المشبكة ، وقد وشجت بك
قرايته تشع كوعد .

(۲) أقال عثرته : رفعه من سقوطه : واستقاله : طلب إليه أن يقبله ، والمعنى فائن طلب أمير المؤمنين
إلى رأيه أن يقبلك من سقطتك ، أى أحسن بك الظن وألتبس لك العذر فيما فعلت .

(۳) انظر هامش ص ۱۴۷ .

(۴) الروح : الراحة . (۵) أى ارحل .

(۶) نهك الساطن كسعه : بالغ فى عقوبته . ويقال أنهك عقوبة : أى أبلغ فى عقوبته .

(۷) الفضل : الزيادة .

(۸) الأرنبة : طرف الأنف ، وإضاقتها إلى الحيرة : لأنها تتخلج وتهتز وقت الحيرة والدهش ، أو
لأن من عادة بعض الناس عند الحيرة أن يطرق برأسه ويتر أصابعه على أرنبته ، وربما كان الأصل «أرنبة» .

يفتح فسكون : أى شدة ، أو «أرنبة» بضم فسكون ، والأرنبة : العقدة التى لا تتحل حتى تحمل حلا .

(۹) الفيافى جمع فيفاة يفتح الفاء : وهى المغارة .

القرء^(۱) ، وأخذ مني السفر ، حتى وصلت ، فلما وردته ، أخذت عليه في يوم ما يحظر^(۲) فيه الخلق ، وعلى شحوب^(۳) مضني ، وقد توسط خدمته من نواحيه ، وتدثر^(۴) بمطرف^(۵) خزر^(۶) أذ كن ، ولاث^(۷) به الناس من بين قائم وقاعد ، فلما نظر إلى - وكان لي عارقاً - قدمي تبسم تبسم الوجيل ، ثم قال: أهلاً بك يا نبأته ، أهلاً بموالي أمير المؤمنين ، لقد أثر فيك سفرك ، وأعرف أمير المؤمنين بك ضئينا ، فليت شعري ما دهمك أو دهمني عنده؟ قال : فسلمت وقعدت ، فسأل : ما حال أمير المؤمنين وخوله^(۸) ؟ ، فلما هدأ أخرجت له الكتاب فناولته إياه ، فأخذه مني مسرعاً ، وبده ترعد ، ثم نظر في وجوه الناس فاشعرت إلا وأنا معه ، ليس معناتك ، وصار كل من يطيف به من خدمه يلقاه خالياً ، لا يسمعون منا إلا الصوت ، ففك الكتاب فقرأه ، وجعل يتشاءب ويردد تناوبه ، ويسيل العرق على جبينه وصدغيه - على شدة البرد - من تحت قلنسوته من شدة العرق ، وعلى رأسه عمامة خزر خضراء ، وجعل يشخص إلى بصره ساعة كالتوم ، ثم يعود إلى قراءة الكتاب ، ويلاحظني النظر كالتفهم إلا أنه واجم^(۹) ، ثم يعاود الكتاب ، وإني لأقول : ما أراه مثبت حروفه من شدة اضطراب يده ، حتى استقصى قراءته ، ثم مالت يده حتى وقع الكتاب على الفراش ، ورجع إليه ذهنه ، فسح العرق عن جبينه ، ثم قال متمثلاً :

وَإِذَا الْمَنِيَةُ أَنْشَبَتْ أَخْفَارَهَا أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لَانْفَعِ^(۱۰)

قُبِحَ وَاللَّهِ مِنَّا الْحَسَنُ يَا نَبِأَةَ ! وَتَوَا كَلَّمْنَا عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْأَسْنُ ، وَمَا هَذَا

(۱) الفر مثلث القاف : البرد .

(۲) أي ما يمنع ، وفي الأصل « يحظر » وأراه مصحفاً .

(۳) تدثر بالثوب : اشتمل به ، والمطرف : رداء من خزر مريم ذو أعلام . وأذ كن : وصف من

الدكنة كحمره : وهي لون إلى السواد . (۴) أي التوا واستداروا

(۵) الخول : الخدم والحشم (۶) الواجم : الميوس المطرق لشدة الحزن ، وجم كوعد وجم

ووجوما : سكت على غيظ .

(۷) التيمية : العوذة تملق على الإسان .

إلا سألني ففكرت ففكرتها مرصداً^(۱) يكذب بقصتنا ، مع حسن رأي أمير المؤمنين فينا ،
يا غلام ، فمبادر الغلمان الصبيحة فلي علينا منهم المجلس ، حتى دققتي منهم الأنفاس ،
فقال : الدواة والقرطاس ، فأتي بدواة وقرطاس ، فكتب بيده ، وما رفع القلم إلا
مستمداً حتى سطر مثل خد الفرس ، فلما فرغ قال لي : يا نباتة ، هل علمت ماجئت به ،
فسمعك ما كتبنا ؟ قلت : لا ، قال : إذن حسبك منا مثله ، ثم ناواني الجواب ،
وأمر لي بجائزة فأجزل ، وجردي كساء ، ودعالي بطعام فأكلت ، ثم قال : نكلك
إلى ما أمرت به من عجلة أو توان ، وإني لأحب مقارنتك والانس برؤيتك ،
فقلت : كان معي قفل ومفتاحه عندك ، ومفتاح قفلك عندي ، فأجدت لك الوافية
بالأمرين ، فأقفات المكروه وفتحت العافية ، وما ساءني ذلك ، وما أحب أن أزيدك
بيانا ، وحسبك مني استعجال القيام ، ثم نهضت وقام مؤدعالي ، فالتزميني وقال :
بأبي أنت وأمي ، رب لفظ مسموعة^(۲) ، ومحتقر نافع ، فكن كما أظن ، فخرجت
مستقبلاً وجهي ، حتى وردت أمير المؤمنين ، فوجدته منصرفاً من صلاة العصر ، فلما
رأني ، قال : ما احتواك المضجع يا نباتة ! فقلت : من خاف من وجه الصباح أدلج^(۳)
فسلمت وانتبذت^(۴) عنه ، فتركني حتى سكن جأشي ، ثم قال : مهيم^(۵) ، فدفعت
إليه الكتاب ، فقرأه متبسماً ، فلما مضى فيه ضحك حتى بدت له سن سوداء ، ثم
استقصاه فانصرف إلى ، فقال : كيف رأيت إشفاقه ؟ قال : فتصصت عليه ما رأيت
منه ، فقال : صلوات الله على الصادق الأمين « إن من البيان لسحراً » ثم قذف الكتاب
إلى فقال : اقرأ ، فقرأته فإذا فيه :

(۱) يقال أرصده إذا قعدله على طريقه يرقبه ، وأرصد له بالخير والشر : كافأه ، وأرصد له الأمر :
أعدده ، وكتب كفرح : سفه فأشبه الكلب الكلب .
(۲) في الأصل « مسمومة » وأرى أنها محرفة ، والصواب « مسموعة » كما يدل عليه ما بعده وهو
قوله « فكن كما أظن » يطلب إليه أن يذكره عند عبد الملك بكلمة طيبة رجاء أن يتم لها .
(۳) أدلج : سار من أول الليل . (۴) أي تنجيت .
(۵) أي ما الأمر وما الخبر ؟ .

۳۶۱ - زد الحجاج علی عبد الملك

« بسم الله الرحمن الرحيم ، لعبد الله أمير المؤمنين ، وخليفة رب العالمين ، المؤيد بالولاية ، المعصوم من خَطَل^(۱) القول ، وزَلَّلَ الفعل ، بكفالة الله الواجبة لذوى أمره ، من عبد اکتفتته الزَّلَّة ، ومدَّ به الصَّغار^(۲) إلى وَخِيمِ المَرْتَع ، ووَيْبِلِ المَكْرَع^(۳) من جائل قادح ، ومعتز قادح^(۴) ، والسلام عليك ورحمة الله التي اتسمت فوسَّعت ، وكان بها التقوى إلى أهلها قائداً ، فإني أُحَمَّدُ إليك الله الذي لا إله إلا هو راجياً لعطفك بعطفه^(۵) .

أما بعد ، كان الله لك بالدَّعَى^(۶) في دار الزوال ، والأمن في دار الزوال ، فإنه من عَمَّت^(۷) به فِكْرَتُكَ يا أمير المؤمنين مخصوصاً ، فما هو إلا سعيد يُؤثِّر ، أو شقي يُؤثِّر^(۸) ، وقد حَجَبَنِي عن نواظر السَّعد لسان مُرْصِد ، ونافِس^(۹) حَقِد ، انتَهَز^(۱۰) به الشيطان حين الفكرة ، فانتح به أبواب الوَسْواس بما تحتويه الصدور ، فواغوثاه ! باستعاذة أمير المؤمنين من رجيم ، إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ ، واعتصاما بالتوكل على من خَصَّهُ بما أجزل له من قَسَمِ^(۱۱) الإيمان وصادق السُّنة ، فقد أراد اللعين أن يفتق

- (۱) الخطل : المنطق الفاسد المضطرب ، وقد خطل في كلامه كفرح .
 (۲) الصغار : الذل . (۳) المکرع اسم مکان من کرع في الماء کتم : إذا تناول به من موضعه من غير أن يشرب بكفيه ولا يأناء كما تفعل البهائم لأنها تدخل أكارعها فيه ، كني بهذا وبما قبله عن سوء العاقبة
 (۴) من جائل ، أي من عدو يحول ويدور بخدمتي ، قادح : أي طاعن ذام ، ومعتز أي بجاهه ومتركه لدى أمير المؤمنين . قادح : من فدحه إذا أنقله ، أي ينقلني بما يفتربه على من الأباطيل .
 (۵) في الأصل « فإني أُحَمَّدُ الله إليك - راجياً لعطفك بعطفه - الذي لا إله إلا هو » وقد أسلخته كما ترى وهو الأظهر عندي .
 (۶) الدعة : الخفض والسعة في العيش ، ودار الزوال : الدنيا ، ودار الزوال : الآخرة .
 (۷) عن : عرض ، والمراد : عن بفكرتك ، فقلب .
 (۸) آثر إثارة : فضله وقدمه . ووثره : أفرعه وأدرکه بکروه (۹) نفس عليه ، بخبر كفرح حسد ، ونفس عليه الشيء نقاسة : لم يره أهلاً له .
 (۱۰) المراد : اختلى به ، والوسواس مصدر وصوس كالوسوسة .
 (۱۱) القسم : العطاء .

لأوليائه فتقا، نبأ عنه كيدُهُ، وكثر عليه تحمُّسُهُ، بِلِيَةِ قَرَعَ بِهَا فِكْرَ أمير المؤمنين مُلَبِّسًا^(۱) وكادِحًا وهو رَسَا، لِيُفْلَ من غَرَبِهِ^(۲) الذي نصبتني، ويُصِيبَ ثَارًا لم يزل به مُؤْتَرًّا^(۳)، وأذَكَرَهُ مَامَتَ^(۴) به الأوائِلُ قديمًا حتى لِحَقَّتْ بِمَثَلِهِ مِنْهُمْ، مِمَّا كُنْتُ أَبْلُوهُ^(۵) من خِسَّةِ أقدار، ومزاولة أعمال، إلى أن وصلتُ ذلك بالتشرُّطِ لروح ابن زِنْبَاع، وقد عَلِمَ أمير المؤمنين - بفضل ما اختار الله له تبارك وتعالى من العِلْمِ المأثور الماضي - بأن الذي عَيَّرَ به القومَ مَصَايِعَهُمْ^(۶)، من أشدِّ ما كان يزاوله أهلُ القُدْمَةِ^(۷) الذين اجتبي الله منهم، وقد اعتصموا وامتعضوا^(۸) من ذكر ما كان، وارتفعوا بما يكون، وما جهلَ أمير المؤمنين - وللبيانِ مَوَاقِعُهُ غَيْرَ مَحْتَجِّ وَلَا مُتَعَدِّ^(۹) - أن متابعَ رُوحِ بنِ زِنْبَاعِ طريقٌ إلى الوصيلةِ لِمَنْ أرادَ مَنْ فَوْقَهُ، وأن رُوحًا لم يُلدِسِنِي العزمَ الذي به رفعتني أمير المؤمنين عن خَوَلِهِ، وقد أَلصَقْتَنِي بِرُوحِ بنِ زِنْبَاعِ هَمَّةً لم تَزَلْ نَوَاطِرُهَا تَرْمِي بِي البعيدَ، وتَطَالِعُ الأعلامَ، وقد أخذتُ أمير المؤمنين نصيبًا اقتسمه

(۱) التلبيس: التخليط والتدليس، وفي الأصل «مبلسا» وأراه محرفا إذ البلس هو التحير واليأس والساكت عند انقطاع حسيته، والساكت من المزن أو الخوف، وذلك غير مناسب هنا. كادحا: جاد ساعيا، والتأريش: التجريش والإفساد، أرش بين القوم: أفسد بينهم وحمل بعضهم على بعض.

(۲) الغرب: الحد.

(۳) من ائتمرت القدر: إذا اشتد غلبانها، وفي الأصل «موترا» وأراه محرفا.

(۴) أي ماتوسل. وفي الأصل «وأذكره قديمًا مامت به الأوائِل» وقد أصلحته كما ترى.

(۵) أي أزاوله وأمارسه، وفي الأصل «حتى لحت بمثله منهم ومن كنت أبلوه» وهو تحريف.

(۶) المصانع: جمع مصنعة: ما يصنعه الناس من الآبار والأبنية وغيرها، وقد تقدم في كتاب عبد الملك

لأبيه: «فن حافر وناقل وماتح...» وفي كتاب سابق: «أذكر مكاسب آبائك بالطائف، إذ كانوا ينقلون الحجارة على أكتافهم، ويحفرون الآبار والمناهل بأيديهم».

(۷) القدمة: السابقة في الأمر كالقدم بالتحريك، يقال: لفلان قدم صدق، أي سابق خير وأثر

حسن، ومنه قوله تعالى «وبشِّر الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ»

وكذلك القدمة. واجتبي: اصطفى واختار. (۸) أي غضبوا وشق عليهم.

(۹) غير محتج حال من البيان، وفي إسناده إلى البيان مجاز عقل أي غير محتج صاحبه أو هو حال

من التكلم والجملة احتراز تأديبا في مخاطبة عبد الملك، يعني أنه يدل بيانه هذا في غير احتجاج على أمير المؤمنين

ولا تمد لحدود ما يجب عليه له من التوقير والتعظيم، وفي الأصل «ولا تمتدد» وهو تحريف.

الإشفاق من سخطه ، والمواظبة على موافقته ، فما بقي لنا بعد إلا صُباية^(۱) وإرث به
تجول النفس ، وتطرف^(۲) النواظر ، ولقد سررت بعين^(۳) أمير المؤمنين سير المثبط
لمن يتلوه ، المتطاوّل لمن يقدمه ، غير مبيت موجف^(۴) ، ولا متناقل مجحف ، ففت
الطالب ، ولحقت الهارب ، حتى ثارت السنّة^(۵) ، وبادت البدعة ، وخسى الشيطان ،
وحملت الأديان إلى الجادة العظمى ، والطريقة المثلى ، فهانذا يا أمير المؤمنين نصب المسألة
لمن رامني ، وقد عمدت الحبوّة^(۶) ، وقرنت الوظيفين لقائل محتج ، أو لأثم ملتج^(۷)
وأمير المؤمنين وليّ المظلوم ، ومعتل الخائف ، وستظهر له المحنة^(۸) نبياً أمرى ، ولكل
نبياً مستقر ، وما حفت يا أمير المؤمنين في أوعية ثقيف حتى روى الظمان ، وبطن
الفرنان^(۹) ، وغصت الأوعية ، وانقذت الأوكية^(۱۰) في آل مروان ، فأخذت ثقيف
فضلاً^(۱۱) صار لها ، لولا لم تقطه السائلة ، ولقد كان ما أنكره أمير المؤمنين من تحاملي
وكان ما لو لم يكن لعظم الخطب فوق ما كان ، وإن أمير المؤمنين لرابع أربعة :

- (۱) الصباية : البقية اليسيرة تبقى في الإناء من الشراب ، وفي الأصل « صابة » وهو تحريف
والإرث : البقية من كل شيء . (۲) طرف البصر كضرب : تحرك .
(۳) أي بحيث يراني ويسلم أمرى ، المثبط : تبطه عن الأمر : عوقه وبطأ به عنه ، وفي الأصل « المثبط »
وهو تحريف ، وقدمه من باب نصر : تقدمه .
(۴) مبيت ، من أبت بعيره : إذا أجهده وأتعبه في السير حتى قطعه وصاحبه منبت أي منقطع عن أصحابه ،
لأنه جد في سيره حتى أبت أخيراً ، ومنه الحديث الشريف « إن الميت لا أرضا قطع ولا ظهراً أبقى » وفي
الأصل « غير مثبت » وهو تحريف . موجف : وجف الفرس والبعر وجيفا : عدا ، وأوجفته : أعدبته
وهو العنق في السير . وأجحف بالأمر : قارب الإخلال به .
(۵) ثارت : نهضت وهبت وعادت إلى ما كانت عليه . وخسى : بعد وطرده .
(۶) احتبي : جنم بين ظهره وساقه بثوب أو غيره ، والاسم الحبوّة بالكسر ويضم ، والوظيف : مقدم
الساق ، والمعنى : قد تمهيات واستعددت لمن رام ساءاتي ونقاشي .
(۷) المراد به : لاج ، أي متباد في الحسومة بأبي أن ينصرف عنها .
(۸) محنة : اختبره كاشعنه ، والاسم المحنة بالكسر .
(۹) الفرنان : الجائع ، غرت كفرح : جاع ، والبطنة بالكسر : امتلاء البطن من الطعام ، بطن
كفرح بطنا وبطنة ، وبطن كسكرم : عظم بطنه .
(۱۰) انقذت : انقطعت ، والأوكية : جمع وكاء ككتاب وهو رباط القرية وغيرها ، كنى بذلك عن
امتلاء الأوعية واكتظاظها . (۱۱) أي ما زاد وفضل .

أحدهم آبنة^(۱) شُعَيْبِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إِذْ رَمَتْ بِالظَّنِّ غَرَضَ الْيَقِينِ ، تَفْرُغًا
 فِي النَّجِيِّ^(۲) الْمِصْطَفَى بِالرَّسَالَةِ ، فَحَقَّ لَهَا فِيهِ الرَّجَاءُ ، وَزَالَتْ شِبْهَةُ الشُّكِّ بِالِاخْتِبَارِ ،
 وَقَبَّلَهَا الْعَزِيزُ^(۳) فِي يَوْسُفَ ، ثُمَّ الصَّدِيقُ^(۴) فِي الْفَارُوقِ رَحْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِمَا ، وَأَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
 فِي الْحِجَاجِ ، وَمَا حَسَدَ الشَّيْطَانُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ خَامِلًا ، وَلَا شَرُفَ بَغِيرِ سِجَافِكُمْ^(۵) ،
 غِيبَةَ^(۶) يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الرَّجِيمُ أَدْبَرَ مِنْهَا ، وَلَهُ غَوَاةٌ وَمِرْسَاةٌ^(۷) ، وَقَدْ قَلَّتْ

(۱) هي صفوراء بنت شعيب زوج موسى عليهما السلام ، يعني أنها أشارت على أبيها أن يتأجر
 موسى قال تعالى في شأن موسى معها : « وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ
 يَسْقُونَ ، وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ، قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ، قَالَتَا لَا نَسْقِي
 حَتَّىٰ بُصِّدَ الرَّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ، فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظَّلِّ ، فَقَالَ رَبِّ
 إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ، فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ ، قَالَتْ : إِنَّ
 أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرًا مَا سَقَيْتَ لَنَا ، فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَصَ قَالَ
 لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ، قَالَتْ إِحْدَاهُمَا : يَا أَبْتَ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ
 مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ، قَالَ : إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ
 هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي تَمَامًا نِيَّ حِجَجٍ ، فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ
 أَسْأَلَكَ عَلَيْكَ ، سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ . »

(۲) أي في موسى الذي نجاه الله .

(۳) هو قطفير العزيز الذي كان على خزائن مصر يشير إلى ما كان من امرأته زليخا إذ راودت يوسف
 عن نفسه فأبى . فاتهمته بأنه أراد بها سوءا ، فحجج ثم حصص الحق وظهرت براءته ، فجعله الملك على
 خزائن أرضه ، والقصة مشهورة ، ويقال إن قدوم يوسف عليه السلام مصر كان في عهد الأسرة السادسة
 عشرة مدة حكم الملوك الرعاة . ويقول المفسرون إن ملك مصر يومئذ كان الريان بن الوليد العمليق .

(۴) يشير إلى اختيار أبي بكر امرئ رضى الله عنهما لتولى الخلافة قبل موته .

(۵) السجاف بالكسر والسجف بالفتح والكسر : السر ، والمعنى ولا شرف الحامل دون أن
 يكون في كنهكم ويستظل بظلكم . (۶) الغيبة : حسن الحال والمرة .

(۷) المرساة : أنجر السفينة التي ترسى به ، وهو أنجر ضخيم (خشبات يفرغ بينها الرصاص المذاب
 فتصير كصخرة) يشد بالحبال ويرسل في الماء فيمسك السفينة ويرسيها حتى لاتسير ، كنى بذلك عن شدة
 تمكن الشيطان من أوليائه أو أوائك الذين يدسون له عند الخليفة ويكيدون له .

حِيلَتُهُ ، وَوَهَنٌ ^(۱) كَيْدُهُ يَوْمَ كَيْتٍ وَكَيْتٍ ، وَلَا أَظُنُّ أَذْكَرَ لَهَا مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ،
 وَلَقَدْ سَمِعْتُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي صَالِحِ صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِ ، وَفِي تَقْيِيفِ مَقَالَا هَجَمَ بِي الرَّجَاءُ
 لِعَدْلِهِ عَلَيْهِ ، بِالْحِجَّةِ فِي رَدِّهِ بِمَحْكَمِ التَّنْزِيلِ عَلَى لِسَانِ ابْنِ عَمِّ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ وَوَسِيدِ
 الْمُرْسَلِينَ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَدْ أَخْبَرَ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَحَكَايَةَ غُرِّ الْمَلَأِ ^(۲) مِنْ
 قُرَيْشٍ عِنْدَ الْاِخْتِيَارِ وَالِافْتِخَارِ ، وَقَدْ نَفَخَ الشَّيْطَانُ فِي مَنَاخِرِهِمْ ، فَلَمْ يَدْعُوا خَلْفَ
 مَا قَصَدُوا إِلَيْهِ مُوَامِي ^(۳) ، « وَقَالُوا لَوْلَا نَزَلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقُرَيْيَتَيْنِ ^(۴)
 عَظِيمٍ » فَوَقَعَ اخْتِيَارُهُمْ - عِنْدَ الْمِبَاهَاةِ بِنَفْخَةِ الْكِبْرِ وَكِبْرِ الْجَاهَايَةِ - عَلَى الْوَلِيدِ
 ابْنِ الْمَغِيرَةِ الْمَنْزُومِيِّ وَأَبِي مَسْعُودٍ ^(۵) الثَّقَفِيِّ ، فَصَارَا فِي الْاِفْتِخَارِ بِيهَا صِنُومِينَ ^(۶) ،
 مَا أَنْكَرَ اجْتِمَاعَهُمَا مِنَ الْأُمَّةِ مُنْكَرًا ، فِي مَدِّ صَوْتِ الْقُرْآنِ ، وَمَبْلَغِ الْوَحْيِ ، وَإِنْ
 كَانَ لِيَقَالُ لِلْوَلِيدِ فِي الْأُمَّةِ يَوْمَئِذٍ « رَيْحَانَةُ قُرَيْشٍ » ، وَمَا رَدَّ ذَلِكَ الْعَزِيزُ تَعَالَى
 إِلَّا بِالرَّحْمَةِ الشَّامِلَةِ فِي الْقَسَمِ السَّابِقِ ؛ فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ : « أَهْمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ ،
 نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا » ، وَمَا قَدَّمْتَنِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ تَقْيِيفِ
 فِي الْاِحْتِجَاجِ لَهَا ، وَإِنَّ لَهَا مَفَالَا رَحْبًا ، وَمَعَانِدَةً قَدِيمَةً ، إِلَّا أَنْ هَذَا مِنْ أَيْسَرِ مَا يَحْتَجُّ

(۱) وهن : ضعف ، وفعله كوعد وورث وكرم ، وكيت وكيت ويكسر آخرهما : أى كذا وكذا .

(۲) الملاء : الجماعة . والغر : المشهورون ، جمع أعر .

(۳) المواساة : المشاركة ، والنسوية ، وأصلها الهزمة فقلبت واوا تخفيفا ، ويقال ما يؤاسى فلان فلانا :
 أى ما يشاركه ، وآسيته بنفسى : سويته (وآسيته بآلى : أنلته منه وجعلته فيه أسوة بكسر الهزمة وضما
 أى قدوة) ، وفى الحديث : « ما أحد عندي أعظم بدأ من أبى بكر ، آسأى بنفسه وماله » وقد تقدم فى
 الجزء الأول فى كتاب عمر إلى أبى موسى : « آس بين الناس فى وجهك ومجلسك وهذلك » أى سويبتهم
 واجعل كل واحد منهم أسوة خصه . وفى كتاب على عليه السلام « آس بينهم فى اللحظة والنظرة » فعنى
 الجملة : أنهم حين اختيارهم لم يدعوا وراء ما قصدوا إليه محلا للنسوية بين من اختاروهم وبين غيرهم ، فاختروا
 رجلين لا يسوى بهما غيرها ولا يشار كهما أحد فى السؤدد ورفعة القدر ، وفى الأصل « موسى » وهو تحريف
 وصوابه « موامى كما رأيت » .

(۴) مكة والطائف . (۵) هو عروة بن مسعود الثقفى .

(۶) إذا خرجت نختان أو ثلاث من أصل واحد ، فكل واحدة منهن صنو ، والاثنان صنوان ،
 والجمع صنوان برفع النون .

به العبدُ المشفقُ على سيده المغضب ، والأمرُ إلى أمير المؤمنين : عزَلَّ أم أقر^(۱) ،
وكلاهما عدلٌ متَّبَعٌ ، وصوابٌ مُفْتَدِلٌ ، والسلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله .
قال نباتة : « فأتيت على الكتاب بمحضَر أمير المؤمنين عبد الملك ، فلما استوعبته
سارقتُه النظرَ من الهيبة منه ، فصادفَ لحظي لحظه ، فقال : اقطعه ولا تُعلمن
بما كان أحداً ، فلما مات عبد الملك فشا عني الخبر بعد موته .

(العقد الفريد ۱ : ۷۷)

۲۶۲ - كتاب الشعبي إلى الحجاج

وكتب الشعبي إلى الحجاج يسأله حاجة فاعتلَّ عليه ، فكتب إليه الشعبي :
« والله لا عذرَ نك وأنت والى العراق ، وابن عظيم^(۲) القرَيتَين » فقضى حاجته .

(العقد الفريد ۳ : ۸)

۲۶۳ - كتاب امرأة إلى زوجها

(وكان مع الحجاج يحضر طعامه وهي في سوء حال)

روى أبو علي القالي في أماليه قال :

كان رجل من أهل الشام مع الحجاج يحضر طعامه^(۱) ، فكتب إلى امرأته يُعلمها
بذلك ، فكتبت إليه :

(۱) في الأصل « قر » وهو تحريف .

(۲) هو عروة بن مسعود الثقفي - انظر ص ۲۲۹ - وكان عروة جد الحجاج لأمه ، روى ابن
خلكان في ترجمته نقلاً عن المسعودي أن أم الحجاج هي الفارعة بنت همام بن عروة بن مسعود الثقفي -
انظر ج ۱ : ص ۱۲۳ - .

(۳) حدث ابن نباتة في سرح العيون (ص ۱۱۸) عن كرم الحجاج قال :

« فأما كرمه ، فخكى أنه لما دخل المدينة فرق في أهلها عشرة آلاف دينار ، ثم قال : أتيناكم وقد
غاص المال لكثرة النوائب فاعذرونا ، فقال رجل : لا عذر الله من يعذرك ، وأنت أمير المصريين وابن عظيم
القرَيتَين ، فقال : صدقت ، واقترض أموالاً من هناك من التجار فكان شيئاً عظيماً ، ولما ولي العراق كان
يطعم في كل يوم على ألف مائة ، يجتمع على كل مائة عشرة أنفس ، ويطلق به في عفة (والحفرة كخدة) :

أُبْهَدَى لِي الْقِرطاسُ ، وَأُخْبِرُ حَاجَتِي وَأَنْتَ عَلَيَّ بَابَ الْأَمِيرِ بَطِينٌ ^(۱)
 إِذَا غَبَتَ لَمْ تَذْكُرْ صَدِيقًا وَلَمْ تُقِمِّ فَأَنْتَ عَلَيَّ مَا فِي يَدَيْكَ ضَنِينٌ ^(۲)
 فَأَنْتَ كَلْكَلَبِ السَّوِّءِ جَوَّعَ أَهْلَهُ فَيُهْزَلُ أَهْلَ الْبَيْتِ وَهُوَ سَمِينٌ
 (الأمل : ۲ : ۱۳۸)

۳۶۴ - كتاب البخترى بن أبي صفرة إلى أخيه المهلب

وروى أيضاً قال :

كَانَ الْبَخْتَرِيُّ بْنُ أَبِي صُفْرَةَ مِنْ أَكْمَلِ فِتْيَانِ الْعَرَبِ جَمَالًا وَبَيَانًا وَنَجْدَةً وَشِعْرًا ،
 وَكَانَ بَنُو الْمُهَلَّبِ يَحْسُدُونَهُ لِقُضْلِهِ ، فَدَسَّتْ إِلَيْهِ أُمٌّ وَلِدِ عِمَارَةَ بْنِ قَيْسِ الْيَحْمَدِيِّ
 فَرَاوَدَتْهُ عَنْ نَفْسِهِ فَأَبَى ، فَحَمَلَتْ عَلَيْهِ عِمَارَةَ حَتَّى شَكَاهُ إِلَى الْمُهَلَّبِ ، وَأَكْثَرَ فِي ذَلِكَ
 بَنُوهُ الْقَوْلَ ، فَعَرَفَ ذَلِكَ فِي وَجْهِ الْمُهَلَّبِ فَكَتَبَ إِلَيْهِ :

جَفَوْتُ أَمْرًا لَمْ يَنْبُ عَمَّا تُرِيدُهُ وَكَانَ إِلَى مَا تُشْتَبِيهِ يُسَارِعُ
 تَمُوتُ حِفَاظًا دُونَ ضَيْمِكَ نَفْسُهُ وَأَنْتَ إِلَى مَا سَاءَهِ مَتَطَالِعُ
 كَأَنِّي أَخُو ذَنْبٍ ، وَمَا كُنْتُ مُذْنِبًا وَلَكِنْ دَهْتَنِي السَّارِيَاتُ الشَّبَادِعُ ^(۳)

مركب كالمهودج (لا أنها لا تقب) على أيدي الرجال ، يشرف على النوم ، ويقول: يا أهل الشام، اهشموا
 الخبز لئلا يباد عليكم، وقيل كان فعله هذا خاصاً بأهل الشام وكان يرسل الرسل إلى الناس لحضور الطعام،
 فكثرت عليه ذلك فقال: أيها الناس رسل إليكم الشمس، إذا طلعت فاحضروا للغداء، وإذا غربت فاحضروا
 للعشاء، فكانوا يفعلون ذلك واستقل الناس يوماً فقال: ما بال الناس قد قلوا؟ فقام رجل وقال: يا أيها
 الأمير، أنت أغضبت الناس في بيوتهم عن الحضور إلى مائدتك، فأعجب ذلك وقال: اجلس بارك الله عليك
 وقال أبو العباس المبرد في الكامل (۱ : ۱۴۵) :

هو كان يظعم في كل يوم على ألف مائدة ، على كل مائدة ثريد وجنب من شواء وسمكة طرية ، ويطاف
 به في محفة على تلك الموائد ليتفقد أمور الناس ، وعلى كل مائدة عشرة ، ثم يقول : يا أهل الشام ، اكسروا
 الخبز لئلا يباد عليكم ، وكان له سابقان أحدهما يسقي الماء والمسل ، والآخر يسقي اللبن .
 (۱) بطن ككرم فهو بطين : هضم بطنه ، أي وأنت ممتلئ البطن من كثرة الطعام .

(۲) أي بخيل .

(۳) الشبادع : الذواهي والقارب والنعام ، جمع شبدعة وشبدع بكسر الشين والذال .

دَبِينَ (وقد نام الغفولُ) بِصَيِّبِنَا إِلَيْكَ إِمَاءٌ مُومِسَاتٌ جَوَالِحٌ (۱)
 فَأَوْقَدْنَ نِيرَانَ الْعَادَاوَةِ بَيْنَنَا جِهَارًا ، وَلَمْ تُسَدِّدْ عَلَى الْمَطَالِغِ
 بَفَيْنَ أُمُورًا لَسْتُ مَنَّ أَشَاوَهَا وَلَوْ جُعِلَتْ فِي سَاعِدَتِي الْجَوَامِعُ (۲)
 أَأَصْبُو بِعَرَسِ الْجَارِ أَنْ كَانَ غَائِبًا وَتَلَّكَ الَّتِي تَسْتَكُّ مِنْهَا الْمَسَامِعُ (۳)
 فَلَسْتُ وَرَبُّ الْبَيْتِ أَصْبُو بِمِثْلِهَا وَرَبِّي رَأَى مَا صَنَعْتُ وَسَامِعُ
 فَإِنَّ تَكَّ عَرَسُ الْيَحْمَدِيِّ وَأَخْتُهُ مَرَيْنٌ فَلَا قَاهِرَ أَلَيْسَ خَالِغٌ (۴)
 بَيْتِ يُرَاعِي الْمَوْمِسَاتِ إِذَا دَجَا الظُّلَامُ ، وَجَارُ الْبَيْتِ وَسَنَانُ هَاجِعُ (۵)
 مَا أَنَا مِنْ تَطْبِيهِ خَرِيدَةٌ وَلَوْ أَنَّهَا بَدَّرَتْ مِنَ الْأَفْقِ طَالِغٌ (۶)
 وَإِنِّي لَتَنَهَانِي خَلَائِقُ أَرْبَعٌ عَنِ الْفُحْشِ فِيهَا لِلْكَرِيمِ رَوَادِعُ
 حَيَاءٌ وَإِسْلَامٌ وَشَيْبٌ وَعِفَّةٌ وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا مَا حَبَّبَتْهُ الطَّبَائِعُ (۷)
 وَقَدْ كُنْتُ فِي عَصْرِ الشَّبَابِ مُجَانِبًا صِبَايَ ، فَأَنَّى الْآنَ وَالشَّيْبُ شَائِعُ !
 فَلَا تَقْطَعَنَّ مِنِّي وَشَائِحَ مُهْمَةٍ فَلَا يَصِلُ الْأَبْنَاءُ مَا أَنْتَ قَاطِعٌ (۸)
 وَكَافِعٌ بِأَجْرَامِي الْهِيَاجِ إِذَا التَّظَى شِهَابٌ مِنْ الْمَوْتِ الْمُحَرَّقِ لِامِعُ
 تُنْبَهُ (وَعَهْدِ اللَّهِ) مِنِّي مُسَيِّعًا صَبُورًا عَلَى اللَّأْوَاءِ وَالْمَوْتِ كَانِعٌ (۹)
 (الأمل : ۲ : ۱۳۸)

- (۱) امرأة مومس ومومسة : فاجرة أو مجاهرة بالفجور « من الومس كوعد : وهو احتكاك الشيء بالشيء حتى ينجرد ، وأومست : أمكنت من الومس » . والجوالغ : جمع جالعة ، وهي التي قد ألفت عنها الحياة . جلعت : كفرح فهي جلعة وجالعة . (۲) الجوامع : جمع جامعة وهي الغل .
 (۳) استكتك المسامع : صمت وضامت ، وعرس الرجل : امرأته .
 (۴) الأليس : الجريء من كل شيء ، وصف من الليس بالتحريك وهو الشجاعة ، وخالغ : أي قد خلم الحياة . (۵) دجا الليل : أظلم ، وسنان : نائم ، وصف من الومس بالتحريك . والمهجوع : النوم ليلا . (۶) أطباه : استماله ، والخريدة والخريد والخرود : البكر لم تنس ، والخفرة : الطويلة السكوت الخافضة الصوت المتسرة . (۷) حياه : منحه وأعطاه .
 (۸) الوشائح : الأرحام المشبكة المنصلة ، جمع وشيجة ، وهي مأخوذة من وشائج الرماح وهي عروقها والسهم : القرابة .
 (۹) اللاؤاء : الشدة ، والموت . كانع : أي مستجمع للوثوب ، من كذمت العقاب كنع : ضمنت جناحها للاقتضاض .

۲۶۵ - رسالة الحسن البصرى إلى الحجاج

وقال أحمد بن يحيى المرتضى فى كتابه « المنية والأمل » :
 كتب الحجاج إلى الحسن البصرى : « بلغنا عنك فى القدر نبيء فاكتب إلينا »
 فكتب إليه رسالة طويلة نحن نذكر منها أطرافا :
 منها قوله : « سلام عليك أما بعد : فإن الأمير أصبح فى قاييلٍ من كثير مَضوا ،
 والقاييلُ من أهل الخير مَغفولٌ عنهم ، وقد أدركنا السلفَ الذين قاموا لأمر الله ،
 واستنوا بسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فلم يُبطلوا حقاً ، ولا أَلحقوا بالربِّ
 تعالى إلا ما أَلحقَ بنفسه . ولا يحتجون إلا بما يحتج الله تعالى به على خلقه ، وقوله الحق
 « وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ » ولم يخلقهم لأمر ثم حال بينهم وبينه ، لأنه
 تعالى ليس بظلامٍ للعبيد ، ولم يكن أحد فى السالف يذكّر ذلك ولا يجادل فيه ، لأنهم
 كانوا على أمر واحد ، وإنما أحدثنا الكلامَ فيه لما أحدثَ الناسُ النكرةَ له ، فلما
 أحدث المُحدثون فى دينهم ما أحدثوه ، أحدث الله للمتسكين بكتابه ما يبطلون به
 المُحدثاتِ ، ويحذرون به من المهلكات .
 ومنها قوله : فافهم أيها الأمير ما أقوله ، فإن ما بنهى الله عنه فليس منه ، لأنه
 لا يَرْضَى ما يُسَخِطُه من العباد ، لأنه تعالى يقول : « وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ »
 فلو كان الكفرُ من قضاائه وقدره لَرْضَى عن عمَلِهِ .
 ومنها قوله : ولو كان الأمر كما قال المخطئون لما كان لمتقدمٍ حَمْدٌ لما عمل ،
 ولا على متأخرٍ لوم ، وإنما تعالى : « جزاء بما عملت أيديهم » ولم يقل : « جزاء بما
 كانوا يعملون » .

ومنها قوله : « إن أهل الجهل قالوا : إن الله يُضِلُّ من يشاء ويَهْدِي من يشاء ،
 ولو نظرُوا إلى ما قبل الآية وما بعدها ، لتبين لهم أن الله تعالى لا يُضِلُّ إلا بتقدم الفسق

والكفر لقوله تعالى : « وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ » أى يحكم بضلالهم ، وقال : « فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ » . « وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ » .

ومنها قوله : واعلم أيها الأمير أن المخالفين لكتاب الله وعدله يقولون فى أمر دينهم بزعمهم على القضاء والقدر ، ثم لا يترضون فى أمر دنياهم إلا بالاجتهاد والبحث والطلب والأخذ بالجزم فيه ، ولا يعملون فى أكثر دنياهم على القضاء والقدر .

ومنها قوله محتجا بقوله تعالى : « قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ^(۱) » فلو كان هو الذى دسَّاهما لما خيب نفسه ، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً .
(النية والأمل ص ۱۲)

۲۶۶ - كتاب بشر بن مروان إلى أخيه عبد العزيز

وكتب بشر بن مروان إلى أخيه عبد العزيز بن مروان يعتذر عن كتاب :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، لولا الهفوة لم أحتج إلى العذر ، ولم يكن لك فى قبوله منى الفضل ، ولو احتتمل الكتاب أكثر مما ضمنت لزدت فيه ، وبقيّة ^(۲) الأكابر على الأصغر من شيم الأكارم ، واعد أحسن مسكن الدارمى حيث يقول :
أخاك أخاك إن من لا أخا له كساع إلى الهيجا بغير سلاح ^(۳)
وإن ابن عم المرء (فاعلم) جناحه وهل ينهض البازى بغير جناح ؟
(مفتاح الأفكار ص ۱۷۷)

۲۶۷ - كتب بين عبد الملك وأخيه عبد العزيز

وروى الطبرى قال :

كتب الحجاج إلى عبد الملك يزين له بيعة الوليد ، وأوفد وفداً فى ذلك عليهم

(۱) زكاهما : أى زكى النفس وطهرها من الذنوب ، وأنماها بالعلم والعمل ، دسَّاهما : قصها وأخفاها بالجهالة والفسوق . (۲) أى إبقاء . (۳) الهيجا : الحرب .

عمران بن عَصَام العَنَزِيّ ، فقامَ عَمْرَانُ خَطِيْبًا فَتَكَلَّمَ وَتَكَلَّمَ الْوَفْدُ ، وَحَثُّوا عَبْدَ الْمَلِكِ
وَسَأَلُوهُ ذَلِكَ .

ولما أراد عبد الملك أن يخلع أخاه عبد العزيز ويبيع لابنه الوليد ، كتب
إلى أخيه :

« إن رأيت أن تصير هذا الأمر لابن أخيك »

فأبى ، فكتب إليه :

« فاجعلها له من بعدك ، فإنه أعزُّ الخلقِ على أمير المؤمنين »

فكتب إليه عبد العزيز :

« إني أرى في أبي بكر بن عبد العزيز ما ترى في الوليد »

فقال عبد الملك : اللهم إن عبد العزيز قطعني فاقطعه ، فكتب إليه عبد الملك .

« أحمل خراج مصر » .

فكتب إليه عبد العزيز :

« يا أمير المؤمنين ، إني وإياك قد بلغنا سنًا لم يبلغها أحد من أهل بيتك إلا كان

بناؤه قليلا ، وإني لا أدري ولا تدري : أينما يأتيه الموتُ أولاً ؟ فإن رأيت أن

لا تُغثَّ^(۱) عليّ بقيةَ عمرى فافعل » .

فرق له عبد الملك وقال : لعمرى لا أُغثَّ عليه بقية عمره ، ثم إن عبد العزيز وافته

منيته (سنة ۸۵ هـ) فباع عبد الملك لابنه الوليد ، ثم لسليمان من بعده ، وكتب يبعثه

(تاريخ الطبري ۸ : ۵۴)

لها إلى البلدان .

(۱) أي أن لا تغث .

۲۶۸ - بين عبد الملك وهشام بن إسماعيل

« وكان عامل عبد الملك على المدينة هشام بن إسماعيل المخزومي ، فكتب إليه عبد الملك أن يدعو الناس لبيعة الوليد وسليمان ، فدعا الناس إلى البيعة فبايعوا ودعا سعيد ابن المسيب^(۱) أن يبايع لها ، فأبى ، وقال : لا ، حتى أنظر ، فضر به هشام ستين سوفا وطاف به في تَبَّان^(۲) شعراً وحبسه ، وكتب إلى عبد الملك يخبره بخلافه ، وما كان من أمره : فكتب إليه عبد الملك يلومه فيما صنع ، ويقول : « سعيدٌ وَاللَّهِ كَانَ أَحْوَجَ أَنْ تَصِلَ رَحْمَهُ^(۳) مِنْ أَنْ تَضْرِبَهُ ، وَإِنَّا لَنَعْلَمُ : مَا عِنْدَهُ مِنْ شِقَاقٍ وَلَا خِلَافٍ » .

هذا ما رواه الطبري ، وروى ابن خلكان في وفيات الأعيان . قال : قال يحيى ابن سعيد : كتب هشام بن إسماعيل والي المدينة إلى عبد الملك بن مروان :

« إن أهل المدينة قد أطبقوا^(۴) على البيعة الوليد وسليمان إلا سعيد بن المسيب » .

فكتب إليه أن :

« اعرضه على السيف ، فإن مضى^(۵) فأجده خمسين جلدَةً ، وطُفُّ به أسواق

المدينة » . (تاريخ الطبري ۸ : ۶ ، ووفيات الأعيان ۱ : ۲۰۷)

(۱) قال ابن خلكان في ترجمته : « هو أبو محمد سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو ابن عائذ بن عمران بن مخزوم القرشي المدني أحد الفقهاء السبعة بالمدينة ، وكان سيد التابعين من الطراز الأول ، جمع بين الحديث والفقه والزهد والعبادة والورع ، وكانت ولادته لسنتين مضتا من خلافة عمر رضي الله عنه ، وتوفي بالمدينة سنة إحدى وقيل اثنتين وقيل ثلاث وقيل أربع وقيل خمس وتسعين وقيل خمس ومائة للهجرة ، والمسبب بفتح الياء المشددة . وروى عنه أنه كان يقول بكسر الياء ويقول : سيب الله من سيب أبي - ج ۱ : ص ۲۰۶ - وروى ياقوت في معجم البلدان قال . « مات العبادنة - عبد الله ابن عباس وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمرو بن العاص - صار الفقه في جميع البلدان إلى الموالي . فصار فقيه أهل مكة عطاء بن أبي رباح ، وفقيه أهل اليمن طاوس ، وفقيه أهل اليمامة يحيى بن أبي كثير ، وفقيه أهل البصرة الحسن البصري ، وفقيه أهل الكوفة إبراهيم النخعي ، وفقيه أهل الشام مكحول ، وفقيه أهل خراسان عطاء الخراساني ، إلا المدينة فإن الله تعالى خصها بقرشي ، فكان فقيه أهل المدينة غير مدافع سعيد بن المسيب » - انظر ج ۳ : ص ۴۱۲ - .

(۲) التبَّان كرمان : سراويل صغير مقدار شعر يسر العورة المغالطة فقط يكون للملاحين .

(۳) لأنه مخزومي مثله كما رأيت في نسبه . (۴) أي أجمعوا .

(۵) أي صمم ونشبت برأيه .

۸۶ - ۹۶ خلافة الوليد بن عبد الملك سنة ۲۶۹ - كتاب الحجاج إلى الوليد

لما ولى الوليد بن عبد الملك الخلافة كتب إليه الحجاج :
« أما بعد ، فإن الله تعالى استقبلك يا أمير المؤمنين في خدائنا سنك بما لا أعلمه
استقبل به خائفة قبلك ، من التمكين في البلاد ، والملك للعباد ، والنصر على الأعداء ،
فمايك بالإسلام فتوم أوده^(۱) وشرائعه وحدوده ، ودع عنك محبة الناس وبفضهم
وسخطهم ، فإنهم كلما يؤتى الناس من خير وشر إلا أفسوه في ثلاثة أيام والسلام » .
(الإمامة والسياسة ۲ : ۲۲)

۲۷۰ - كتاب الحجاج إلى الوليد

وكتب الوليد بن عبد الملك إلى الحجاج أن صف لي سيرتك فكتب إليه :
« إني أبتظت رأيي وأمنت هراي ، فأدريت السيد المطاع في قومه ، ووليت
الحرب الحازم^(۲) في أمره ، وقلت الخراج الموفر لأمانته ، وقسمت لكل خصم من
نفسى قوما أعطيه حظا من لطيف عنايتى ونظري ، وصرفت السيف إلى النظيف^(۳)
المسيء ، والثواب إلى المحسن البريء ، تخاف المرئيب صولة العتاب ، وتمسك المحسن بحظه
من الثواب » .
(العقد الفريد ۱ : ۸ و ۳ : ۱۳)

(۱) الأود : الاعوجاج ، وفعله كفرح .

(۲) وفي الجزء الأول من العقد « ووليت الحرب » .

(۳) النطف : الرجل المرئيب ، وإنه لنطف بهذا الأمر : أى متهم ، وفي الأصل : في الجزء الأول

« النصف » و « الثالث » النطق « وكلتاها معرفة » .

۲۷۱ - کتاب شریح إلى صديق له

ووقع بالكوفة وباء ، نخرج الناس وتفرقوا في النجف ، فكتب شريح^(۱) إلى صديق له خرج بمخرج الناس :

« أما بعد ، فإنك بالمكان الذي أنت فيه بعين من لا يُعجزه هرب ، ولا يفوته طلب ، وإن المكان الذي خلفت لا يُعجل لأحد حمامه ، ولا يظلمه أيامه ، وإنا وإياك كعلی بساط واحد ، وإن النجف من ذی قدرة لقریب . »
(زهر الآداب ۳ : ۳۳۷)

۲۷۲ - کتاب الحجاج إلى قتيبة بن مسلم

وولى الحجاج قتيبة بن مسلم الباهلي خراسان ، فقدمها سنة ۸۶ هـ - وغزا أخرون وشومان - وها من طخارستان^(۲) - وصالحه أهلها على فدية أدوها إليه فقبلها ، ثم قفل^(۳) إلى مرو ، وخلف الجند ، واستخلف عليهم أخاه صالح بن مسلم ، فأخذوا طريق بلخ إلى مرو ، وبلغ الحجاج ، فكتب إليه يلومه ويعجز رأيه في تخليفه الجند وكتب إليه :

« إذا غزوت فكن في مقدم الناس ، وإذا قفلت فكن في آخرياتهم وساقيتهم^(۴) . »
(تاريخ الطبری ۸ : ۶۰)

۲۷۳ - بين الحجاج وكتيبة

قال الطبری :

وغزا قتيبة وردان خذاه ملك بخارى سنة ۵۸۹ هـ ، فلم يطقه ، ولم يظفر من البلد

(۱) هو شريح بن الحارث قاضي الكوفة ، توفي سنة ۸۷ هـ ، اقرأ ص ۲۵۰ ، من الجزء الأول .

(۲) ناحية كبيرة شرق خراسان على نهر جيحون . وقد ضبطها ابن خلكان هكذا - انظر وفيات

الأنباء ۱ : ۹۰ ترجمة بشار بن برد ، وضبطها ياقوت في معجم البلدان بفتح الطاء .

(۳) رجع . (۴) ساق الجيش : مؤخره .

بشيء ، فرجع إلى مرو وكتب إلى الحجاج بذلك ، فكتب إليه الحجاج : أن صورها لي ، فبعث إليه بصورتها ، فكتب إليه الحجاج أن : « ارجع إلى مراغتك^(۱) ، فنب إلى الله مما كان منك ، وأنها من مكان كذا وكذا » .

وقيل : كتب إليه الحجاج أن : « كِسْ بِكِسِّ^(۲) ، وَاَسِيفُ نَسْفِ^(۳) ، وَرِدُّ وَرْدَانٍ ، وَإِيَاكَ وَالتَّحْوِيطَ^(۴) ، وَدَعْنِي مِنْ بُنْيَاتِ^(۵) الطَّرِيقِ » .

فخرج إلى بخارى سنة ۹۰ غازياً ، ففتحها وهزم جنود وردان خذاه ، ومن استنصرهم من السغد والترك ومن حولهم .

ورجع قتيبة إلى مرو ، وكتب إلى الحجاج :

« إني بعثت عبد الرحمن بن مسلم ، ففتح الله على يديه » .

وكان قد شهد الفتح مولى للحجاج ، فقَدِمَ فأخبره الخبر ، ففضب الحجاج على قتيبة ، فاغتم لذلك ، فقال له الناس : ابعث وفداً من بني تميم وأعطهم وأرضهم يُخبروا الأمير أن الأمر على ما كتبت ، ففعل ، فلما قَدِمُوا على الحجاج صاح بهم وعابهم ، ودعا بالحجّام بيده مقرّاض^(۶) ، فقال : لأقطعن ألسنتكم أو لتصدقنني ، قالوا : الأمير قتيبة ، وبعث عليهم عبد الرحمن ، فالفتح للأمير ، والرأس الذي يكون على الناس ، فسكن الحجاج .

(تاريخ الطبري ۸ : ۶۷ ، ۶۹)

(۱) المراغة : متمرغ الدابة ، أراد بها بخارى : أي أن يفتحها ويتخذها مقلاً يتقلب فيه كما تنقلب الدابة في مراغتها ، والمراغة أيضاً : الأتان التي لا تمنع من الفحول ، كأنه يقول له إنها لا تستمعي عليك في فتحها . (۲) الكيس : العقل والحفة والتوقد ، وعمله كضرب ، وكاسه يكبه غلبه بالكياسة ، وكس : مدينة تقارب سمرقند .

(۳) نف : مدينة كبيرة بين جيحون وسمرقند .

(۴) يقال : حوط حول الأمر : أي دار ، وأصله من حوط كرمه تحويطاً : أي بني حوله حائطاً ، يعني : إياك والدوران في القول وكثرة المراجعة فيه (ويقال أيضاً : حاوطت فلانا معاوطة : إذا داورته في أمر تريده منه وهو أباه كأنك تحوطه وبحوطك) .

(۵) بنيات الطريق : الطرق الصغار تنشعب من الجادة ، أي اسلك الطريق العام المستقيم ولا تعرج في المنحنيات والمنطفات .

(۶) المقرّاض : المقص .

۲۷۴ - بين الوليد وعمر بن عبد العزيز

وفي سنة ۸۸ هـ بعث الوليد إلى عمر بن عبد العزيز - وكان عامله على المدينة - بكتاب يأمره بإدخال حُجْر أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد رسول الله ، وأن يشتري مائتي مؤخره ونواحيه حتى يكون مائتي ذراع في مائتي ذراع ، ويقول له : « قَدَّمَ الْقِبْلَةَ إِنْ قَدَرْتَ - وَأَنْتَ تَقْدِرُ - لِمَكَانِ أَخْوَالِكَ ، فَإِنَّهُمْ لَا يَخَالِفُونَكَ ، فَمَنْ أَبِي مِنْهُمْ فَمُرُّ أَهْلَ الْمِصْرِ فليَقْوُمُوا لَهُ قِيَمَةَ عَدْلٍ ، ثُمَّ أَهْدِمِ عَلَيْهِمْ وَادْفَعْ إِلَيْهِمِ الْأَثْمَانَ ، فَإِنَّ لَكَ فِي ذَلِكَ سَلَفَ صَدَقِ عُمَرَ وَعُثْمَانَ » .

فأقرأهم كتاب الوليد ، فأجاب القوم إلى الثمن فأعطاهم إياه ، وأخذ في هدم بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وبناء المسجد ، فلم يمكث إلا يسيراً حتى قدم القملة ، بعث بهم الوليد . وفي هذه السنة أيضاً كتب الوليد إلى عمر في تسهيل الثنايا^(۱) وحفر الآبار بالمدينة ، وخرجت كتبه إلى البلدان بذلك ، وكتب الوليد إلى خالد بن عبد الله القسري بذلك - وكان على مكة - .

وكتب الوليد أيضاً إلى عمر أن يعمل الفوارة التي كانت عند دار يزيد بن عبد الملك ، فعملها عمر وأجرى ماءها ، فلما حج الوليد وقف عليها ، فنظر إلى بيت الماء والفوارة فأعجبته ، وأمر لها بتقوّم يقومون عليها ، وأن يسقي أهل المسجد منها ففعل ذلك .
(تاريخ الطبري ۸ : ۶۵ ، ۶۶)

۲۷۵ - كتب بين الحجاج والوليد وسليمان ابني عبد الملك

ولم يجتري الحجاج بعزل يزيد بن المهلب عن خراسان كما قدمنا ، بل حبسه هو وإخوته ، وأغرهم ستة آلاف ألف وعدّ بهم^(۲) ، فأعملوا الحيلة في الفرار من سجنه

(۱) جمع ثنية ، وهي الطريق في الجبل .

(۲) وكان يزيد يصبر على عذابه صبراً حسناً ، وكان الحجاج يفيضه ذلك ، فقيل له : لأنه رمى بنشابة

(سنة ٥٩٠ هـ) فقزع الحجاج وذهب وهمهم ذهبوا قبل خراسان ، وكان يقول :
إني لأظنه يحدث نفسه بمثل الذي صنع ابن الأشعث ، وكتب إلى الوايد : يخبره بهربهم
وأنه لا يراهم أرادوا إلا خراسان ، وبعث البريد إلى قتيبة بن مسلم يحذره قدومهم ،
ويأمره أن يستعد لهم ، وبعث إلى أمراء الثغور والكور أن يرصدوهم ويستعدوا لهم .
ومضى يزيد وإخوته حتى قدموا الشام ، فلاذوا بسليمان بن عبد الملك متعوذين به
فأجارهم ، فكتب الحجاج إلى الوليد :

« إن آل المهلب خانوا مال الله ، وهربوا مني ، ولحقوا بسليمان بن عبد الملك
أخي أمير المؤمنين ، وولى عهد المسلمين ، وإن أمير المؤمنين أعلى رأيا .
فلما بلغ الوليد مكانه عند سليمان ، هون عليه بعض ما كان في نفسه ، وطار غضبا
ظلال الذي ذهب به ، وكتب إلى أخيه سليمان بذلك .

فكتب سليمان إلى الوليد :

« إن يزيد بن المهلب عندي ، وقد آمنته ، وإنما علي ثلاثة آلاف ألف ، كان الحجاج
أغرمهم ستة آلاف ألف ، فأدوا ثلاثة آلاف ألف ، وبقي ثلاثة آلاف ألف ،
فهي علي .

أو كتب إليه :

« يا أمير المؤمنين : إني ما أجرت يزيد بن المهلب إلا لأنه هو وأبوه وإخوته من
صنائعنا قديما وحديثا ، ولم أجِرْ عدوا لأمر المؤمنين ، وقد كان الحجاج قصده وعذبه
وغرّمه أربعة آلاف ألف درهم ظلما ، ثم طالبه بثلاثة آلاف ألف درهم ، وقد سار إلى
واستجار بي فأجرتة ، وأنا أغرم عنه هذه ثلاثة آلاف ألف درهم ، فإن رأى أمير المؤمنين

ثبت نعلها في ساقه فهو لا يمسا شيء إلا صاح ، فإن حركت أدنى شيء سمعت صوته ، فأمر أن يعذب
ويدهق ساقه (أي تغمز شديدا) فلما فعل ذلك به صاح ، وأخته هند بنت المهلب عند الحجاج ، فلما سمعت
صياح يزيد صاحت وناحت فطلقها .

أَلَّا يُخْزِيَنِي فِي ضَيْفِي فَايْفَعِل ، فَإِنَّهُ أَهْلُ الْفَضْلِ وَالْكَرَمِ .
فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْوَلِيدَ :

« لَا وَاللَّهِ ، لَا أَوْمَنُهُ حَتَّى تَبْعَثَ بِهِ إِلَيَّ فِي وَثَاقٍ ^(۱) » .
فَكَتَبَ إِلَيْهِ سَلِيمَانَ :

« وَلَسْتُ أَنَا بَعَثْتُ بِهِ إِلَيْكَ لِأَجِيئَنَّ مَعَهُ ، فَانْشُدْكَ اللَّهُ ^(۲) أَنْ لَا تَفْضَحَنِي
وَلَا تُخْفِرَنِي ^(۳) » .

فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْوَلِيدَ : وَاللَّهِ لَنْ جِئْتَنِي لَا أَوْمَنُهُ .

فَقَالَ يَزِيدُ : ابْعَثْنِي إِلَيْهِ ، فَوَاللَّهِ مَا أَحَبُّ أَنْ أَوْقَعَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عِدَاوَةً وَحَرْبًا ،
ابْعَثْ إِلَيْهِ بِي وَأَرْسِلْ مَعِيَ ابْنَكَ ، وَابْعَثْ إِلَيْهِ بِالْطَّفِ مَا قَدَرْتَ عَلَيْهِ .

فَأَحْضَرَ سَلِيمَانَ ابْنَ أَيُّوبَ فَغَيَّرَهُ وَدَعَا يَزِيدَ بْنَ الْمُهَلَّبِ فَغَيَّرَهُ ، ثُمَّ شَدَّ قَيْدَ هَذَا إِلَى
قَيْدِ هَذَا بِسَلْسَلَةٍ وَغَايَمَا جَمِيعًا بِغُلَيْنٍ ، وَأَرْسَلَهُمَا إِلَى أَخِيهِ الْوَالِيدِ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا
رَأَى الْوَلِيدَ ابْنَ أَخِيهِ فِي سَلْسَلَةٍ أَطْرَقَ اسْتَحْيَاءً ، وَقَالَ : لَقَدْ أَسَأْنَا إِلَى أَبِي أَيُّوبَ إِذْ بَلَّغْنَا بِهِ
هَذَا الْمَبْلَغَ ، وَدَفَعْنَا الْغَلَامَ كِتَابَ أَبِيهِ إِلَى عَمِّهِ ، وَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، نَفْسِي فِدَاؤُكَ ،
لَا تُخْفِرْ ذِمَّةَ أَبِي وَأَنْتَ أَحَقُّ مِنْ مَنَعِهَا ، وَلَا تَتَمَطَّعْ مِنْ رَجَاءِ مَنْ رَجَا السَّلَامَةَ فِي جَوَارِنَا
لِمَكَانَتِنَا مِنْكَ ، وَلَا تُذِلَّ مَنْ رَجَا الْعِزَّ فِي الْإِنْتِطَاعِ إِلَيْنَا لِعِزَّتِنَا بِكَ . وَكَانَ
فِي الْكِتَابِ :

« لَعَبَدَ اللَّهُ الْوَلِيدَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ سَلِيمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، أَمَا بَعْدُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ،
فَوَاللَّهِ إِنْ كُنْتُ لِأُظْرُؤُ — لَوْ اسْتَجَارَ بِي عَدُوٌّ قَدْ نَابَدَكَ ^(۴) وَجَاهَدَكَ فَأَنْزَلْتَهُ
وَأَجْرَتَهُ — أَنْكَ لَا تُذِلُّ جَارِيَّ وَلَا تُخْفِرُ جَوَارِيَّ ، بَلْ لَمْ أُجِرْ إِلَّا سَامِعًا مَطِيئًا حَسَنَ
الْبَلَاءِ وَالْأَثَرِ فِي الْإِسْلَامِ هُوَ وَأَبُوهُ وَأَهْلُ بَيْتِهِ ، وَقَدْ بَعَثْتُ بِهِ إِلَيْكَ ، فَإِنْ كُنْتُ إِذَا

(۱) الْوِثَاقُ بِالْفَتْحِ وَيَكْسَرُ : مَا يَشُدُّ بِهِ . (۲) أَيُّ أَسْأَلُكَ يَا اللَّهُ .

(۳) أَخْفَرَهُ وَخَفَرَ بِهِ كَضَرْبٍ : نَقَضَ عَهْدَهُ .

(۴) نَابَدَهُ : خَالَفَهُ وَعَصَاهُ ، وَنَابَدَهُ الْحَرْبَ كَاشَفَهُ لِبَايَاهَا وَجَاهَرَهُ بِهَا .

تَفَزُّو^(۱) قَطِيعَتِي ، وَالْإِخْفَارَ لِدَمَتِي ، وَالْإِبْلَاحَ فِي مَسَاءَتِي ، فَقَدْ قَدَّرْتَ إِنْ أَنْتَ فَعَلْتَ ،
وَأَنَا أُعِيدُكَ بِاللَّهِ مِنْ احْتِرَادٍ^(۲) قَطِيعَتِي ، وَاتِّهَاكَ حُرْمَتِي ، وَتَرْكَ بَرِّي وَصِلَتِي ، فَوَاللَّهِ
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا تَدْرِي مَا بَقَائِي وَبِقَاؤُكَ ، وَلَا مَتَى يُفَرِّقُ الْمَوْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ، فَإِنْ
اسْتَطَاعَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ - أَدَامَ اللَّهُ سُرُورَهُ - أَنْ لَا يَأْتِيَ عَلَيْنَا أَجَلُ الْوَفَاةِ إِلَّا وَهُوَ لِي
وَاعِلٌ ، وَلِحَقِّي مُؤَدِّ ، وَعَنْ مَسَاءَتِي نَازِعٌ^(۳) ، فَلْيَفْعَلْ ، وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
مَا أَصْبَحْتَ بِشَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا - بَعْدَ تَقْوَى اللَّهِ فِيهَا - بِأَمْرٍ مَنِي بِرِضَاكَ وَسُرُورِكَ ،
وَإِنْ رِضَاكَ مِمَّا أَلْتَمَسُ بِهِ رِضْوَانَ اللَّهِ ، فَإِنْ كُنْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ تَرِيدُ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ
مَسْرَتِي وَصِلَتِي وَكِرَامَتِي وَإِعْظَامَ حَقِّي ، فَتَجَاوَزْ لِي عَنْ يَزِيدَ ، وَكُلُّ مَا طَلَبْتَهُ بِهِ
فَهُوَ عَلَيَّ .

أَوْ كَتَبَ إِلَيْهِ . « أَمَا بَعْدَ ، يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَدْ وَجَّهْتُ إِلَيْكَ يَزِيدَ وَابْنَ أَخِيكَ
أَيُّوبَ بْنَ سُلَيْمَانَ ، وَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَكُونَ ثَالِثَهُمَا ، فَإِنْ هَمَمْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَثَلِ
يَزِيدَ فَبِاللَّهِ عَلَيْكَ أُبَدَأُ بِأَيُّوبَ مِنْ قَبْلِهِ ، ثُمَّ اجْعَلْ يَزِيدَ ثَانِيًا وَاجْعَلْنِي إِذَا شِئْتَ ثَالِثًا ،
وَالسَّلَامُ . »

فَلَمَّا قَرَأَ كِتَابَهُ قَالَ : لَقَدْ شَقَقْنَا^(۴) عَلَى سُلَيْمَانَ ، ثُمَّ دَعَا ابْنَ أَخِيهِ فَأَدْنَاهُ مِنْهُ ،
وَتَكَلَّمَ يَزِيدَ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنْ بَلَاءُكُمْ عِنْدَنَا أَحْسَنَ الْبَلَاءِ ، فَمَنْ يَنْسَ ذَلِكَ
فَلَسْنَا نَاسِيَهُ ، وَمَنْ يَكْفُرْ فَلَسْنَا كَافِرِيهِ ، وَقَدْ كَانَ مِنْ بِلَائِنَا أَهْلَ الْبَيْتِ فِي طَاعَتِكُمْ ،
وَالطَّعْنِ فِي أَعْيُنِ أَعْدَائِكُمْ ، فِي الْمَوَاطِنِ الْعِظَامِ فِي الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ ، مَا إِنْ الْمِنَّةَ عَلَيْنَا فِيهَا
عَظِيمَةٌ . فَقَالَ لَهُ : اجْلِسْ فَجَلَسَ ، فَأَمَّنَهُ وَكَفَّ عَنْهُ ، وَرَجَعَ إِلَى سُلَيْمَانَ ، وَسَعَى إِخْوَتَهُ
فِي الْمَالِ الَّذِي عَلَيْهِ .

(۱) تَفَزُّد .

(۲) الْإِحْتِرَادُ افْتِمَالٌ مِنَ الْمُرْدِ (بِالْفَتْحِ) وَهُوَ الْقَصْدُ ، حَرْدٌ كَضَرْبٍ : قَصْدٌ - وَلَمْ تَذَكَرْ كَتَبَ
اللُّغَةُ الْمَزِيدُ - وَقِيَّاتُ الْأَعْيَانِ « اِخْتِيَارٌ » . (۳) أَيُّ كَاب .

(۴) شَقَقَ عَلَيْهِ : أَوْقَعَهُ فِي الْمَقْعَةِ ، وَقِيَّ قَوْلُهُ تَعَالَى : (وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَ عَلَيْكَ).

وكتب الوليد إلى الحجاج :

« إني لم أصل إلى يزيد وأهل بيته مع سليمان ، فأكف عنهم والله عن الكتاب إلى فيهم » فلما رأى ذلك الحجاج كف عنهم .

(تاريخ الطبري ٨ : ٧٣ ، وثمرات الأوراق ص ٢٠٨ ، ووفيات الأعيان ٢ : ٢٧٠)

٢٧٦ - كتاب الحجاج إلى قتيبة

وكتب الحجاج إلى قتيبة :

« إني قد نظرت في سني ، فإذا أنا قد بلغت خمسين سنة ، وأنت نحو مني في السن^(١) ، وإن امرأ قد سار نحو خمسين حجة^(٢) إلى موريد^(٣) لقمن^(٤) أن بورده . »

(الأغاني ١٨ : ١١٩ ، وشرح العيون ص ١٢٢)

٢٧٧ - كتاب الحجاج إلى قتيبة

وكتب الحجاج إلى قتيبة :

« إني قد طلقت بنت قطن الهلالية عن غير ريبة ، فتزوجها . »

(١) وفي رواية الأغاني : « فإذا أنا ابن ثلاث وخمسين سنة ، وأنا وأنت لدة عام . . . »

(٢) الحجة : السنة .

(٣) القمن كأمر : والقمن ككتف وجبل : الخليق الجدير (والأخيرة لاثني ولا تجمع) قال أبو الفرج : فسمع هذا أبو التيمي فقال :

إذا ذهب القرن الذي أنت فيهم

وخلقت في قرن فأنت غريب

وإن امرأ قد سار خمسين حجة

إلى منهل ، من ورده لقريب

وقال صاحب زهر الآداب (ج ٣ : ص ١١٧) « والبيت لأبي عماد التيمي ، أنشده دعبل ، قال : وترجم الرواة أنه لأعرابي من بني أسد ، قال خلاد الأرقط : كنا على باب أبي عمرو بن العلاء ومعنا التيمي فذكرنا كتاب الحجاج بن يوسف إلى قتيبة بن مسلم : « إني ولإياك لدتان ، وإن امرأ قد سار خمسين حجة . . . » فاندثله التيمي فاجتلبه في شعره . »

۲۷۸ - رد قتيبة على الحجاج

فكتب إليه قتيبة :

« ليس كل مطالع الأمير أحب أن أطلع » .

فقال الحجاج . ويل أم^(۱) قتيبة ! إعجاباً بقوله . (شرح العيون ص ۱۲۸)

۲۷۹ - كتاب الحجاج إلى قتيبة

وكتب الحجاج إلى قتيبة أن :

« ابعث إلى بالآدم^(۲) الجعدي الذي يفهمني ويفهم عني » .

فبعث إليه عرام^(۳) بن شتير ، فقال الحجاج : « لله دره^(۴) » ، ما كتبتُ إليه

في أمرٍ قطُّ إلا فهم عني وعرف ما أريد » . (البيان والتبيين ۱ : ۲۰۶)

۲۸۰ - كتاب الحجاج إلى قتيبة

وكتب الحجاج إلى قتيبة :

« أما بعد ، فإن وكيع بن حسان كان بالبصرة ، ثم صار لصاً بجستان ، ثم صار

(۱) انظر هامش ص ۱۱۹ .

(۲) الآدم : وصف من الأدمة بالضم وهي السمرة ، والجعدي : نسبة إلى جعد ، ووجه جعد : مستدير قابل اللحم ، وهو نسبة إلى الوصف ، يؤيد هذا ما قبله وهو « الآدم » فهو يعني أن يبين له صفاته الخلقية ، وليس بمنسوب إلى بني جعدة - وهم حتى من العرب منهم النابغة الجعدي - لأن الذي عناه الحجاج وهو عرام بن شتير ، من بني ضبة بن طابحة بن إلياس بن مضر ، أما بنو جعدة فهم من قيس عيلان بن مضر .

(۳) في البيان والتبيين « غدام » وهو تحريف ، وإنما هو عرام ، قال صاحب القاموس : « وسما عارماً وكفراب وحام » وقد ورد هذا الاسم في تاريخ الطبري « عرام بن شتير الضبي » ج ۸ : ص ۶۹ .

(۴) لله دره : كلمة تقال لمن يتعجب منه ، والدر : اللبن والمراد هنا اللبن الذي ارتضعه من ثدي أمه ، وأضيف إلى الله تعالى تشريفاً ، أي أن اللبن الذي تغذى به يستحق أن ينسب إلى الله تعالى لشرفه وعظمه ، وقيل معناه : لله الذي أرضعه ، وهو قريب من سابقه ، والدر أيضاً : العمل والفسر أي أن عمله عظيم جليل جدير به أن يضاف إلى الله تعالى ، أو أن نفسه شريفة كريهة كذلك .

إلى خراسان ، فإذا أتاك كتابي هذا فاهدم بناه ، واحلّ فناءه^(۱) .
وكان على شرطة قتيبة فعزله . (العقد الفريد ۱ : ۱۷)

۲۸۱ - كتاب قتيبة إلى الحجاج ورده عليه

وكتب قتيبة إلى الحجاج : يشكو قلة مرزنته^(۲) من الطعام ، وقلة غشيانه للنساء
وحصره على المنبر ، فكتب إليه :

« استكثر من الألوان لتصيب من كل صحفة شيئاً ، واستكثر من الطرّوق^(۳)
تجد بذلك قوة على ما تريد ، وأنزل الناس بمنزلة رجل واحد من أهل بيتك وخاصتك
وارزم ببصرك أمامك تبلغ حاجتك » . (عيون الأخبار ۵ : ۱۷۴)

۲۸۲ - كتاب الحجاج إلى الوليد

وتوفّي محمد بن يوسف أخو الحجاج (سنة ۹۱ هـ) وهو والي اليمن ، فكتب الوليد
إلى الحجاج يعزّيه ، فكتب الحجاج جوابه :
« يا أمير المؤمنين ، ما التقيتُ أنا ومحمد منذُ كذا وكذا سنة إلا عاماً واحداً ،
وما غاب عني غيبةً أنا لقرب اللقاء فيها أرجى من غيبته هذه في دارٍ لا يتفرّق فيها
مؤمنان » . (وفيات الأعيان ۱ : ۱۲۶)

۲۸۳ - كتاب الحجاج إلى الوليد

وكتب الحجاج إلى الوليد بعد وفاة أخيه محمد بن يوسف :
« أخبر أمير المؤمنين - أكرمه الله - أنه أصيبَ ل محمد بن يوسف خمسون

(۱) فناء الدار : ما نسم من أمامها ، ويقال : حلّ - كان وحل به .

(۲) رزاه مرزئة : أصاب منه .

(۳) الطرّوق : الزوجة وأنى الفحل ، يقال : ناقة طرّوق الفحل ، التي بلغت أن يضربها الفحل ،
وكذلك المرأة ، ويقال للمتزوج : كيف وجدت طرّوقتك .

ومائة ألف دينار، فإن يكن أصابها من حلها فرحمه الله، وإن تسكن من خيانة فلا رحمه الله .

۲۸۴ - رد الوليد على الحجاج

فكتب إليه الوليد :

« أما بعدُ : فقد قرأ أمير المؤمنين كتابك فيما خلف محمد بن يوسف ، وإنما أصاب ذلك المال من تجارة أحللتناها له ، فترحم عليه ، رحمه الله .
(الكامل للمبرد ۱ : ۲۴۸)

۲۸۵ - كتاب مسلمة بن عبد الملك إلى الوليد

وكتب مسلمة بن عبد الملك وهو غازي بفسطاطينية إلى أخيه الوليد :

أرقتُ وصحراءُ الطَّوَّانَةِ بيننا لِبَرَقِ تَلالِآ نَحْوِ غَمْرَةٍ مُلَمَّحٍ^(۱)
أزاولُ أمراً لم يكن لِيُطِيتَهُ من القومِ إلا اللوذعيُّ الصَّمَحَمَحُ^(۲)
(معجم البلدان ۶ : ۶۶)

۲۸۶ - كتاب سليمان بن عبد الملك إلى الحجاج

وروى صاحب العقد الفريد قال :

كان سليمان بن عبد الملك يكتب إلى الحجاج في أيام أخيه الوليد بن عبد الملك كتباً فلا ينظر له فيها، فكتب إليه :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من سليمان بن عبد الملك إلى الحجاج بن يوسف ، سلامٌ على أهل الطاعة من عباد الله ، أما بعدُ : فإنك امرؤ مهتوكٌ عنه حجابُ الحقِّ ، مَوْلَعٌ

(۱) طوانة : بلد بفسطاطينية (وهي من تغور الشام بين أنطاكية وبلاد الروم) .

(۲) اللوذعي : الخفيف الذكي الحديد الفؤاد ، والصمحمح : الرجل الشديد .

بما عليك لالك ، مُنصَرِفٌ عن منافعك ، تاركٌ لحِظَّكَ ، مُستخِفٌ بحق الله وحق أوليائه ، لا ما سَلَفَ إليك من خيرٍ يَعْطِفُكَ ، ولا ما عليك لالك تَصْرِفُهُ في مُهِمَّةٍ من أمرِكَ ، مَعْمُوهٌ^(۱) مَعْصُومٌ^(۲) عن الحق اعْصِيصَارًا ، لا تَسْكُتُ عن قبيح ، ولا ترعوي عن إساءة ، ولا ترجو الله وَقَارًا ، حتى دُعِيتَ فَاحِشًا سَبَّابًا ، فَمِنْ شِبرِكَ يَفْتَرِكُ ، واخْرِزُ زَمَامَ نَعْلِ بِحَذْوِ^(۳) مثله قائم ، وَايْمُ اللَّهِ إِنَّهُ أَمَكْنِي اللَّهُ مِنْكَ لِأَدْوَسَنَّكَ دَوْسَةَ تَلِينُ مِنْهَا فَرَانُصُكَ ، ولَأَجْمَلَنَّكَ شَرِيدًا فِي الْجِبَالِ ، تَلُوذُ بِأَطْرَافِ الشَّامِ ، ولَأُعَلِّقَنَّ الرُّومِيَّةَ الْحُمْرَاءَ^(۴) بِشَدَائِبِهَا ، عَلِمَ اللَّهُ ذَلِكَ مِنِّي^(۵) وَقَضَى لِي بِهِ عَلِيٌّ ، فَقَدِمَا^(۶) غَرَّتْكَ الْعَافِيَةُ ، وَأَنْتَحَيْتَ^(۷) أَعْرَاضَ الرِّجَالِ ، فَإِنَّكَ قَدَرْتَ قَبْدِخْتَ^(۸) ، وظفرتَ فَمَعْدَيْتَ ، فَرُوَيْدَكَ حَتَّى تَنْظُرَ كَيْفَ يَكُونُ مَصِيرُكَ إِنْ كَانَتْ بِي وَبِكَ مُدَّةٌ أَتَعَلَّقُ بِهَا ، وَإِنْ تَكُنِ الْآخِرَى ، فَارْجُو أَنْ تَتَّوَلَّ إِلَى مَذَلَّةٍ ذَلِيلَةٍ ، وَخَزِيَّةٍ^(۹) طَوِيلَةٍ ، وَيَجْعَلَ مَصِيرُكَ فِي الْآخِرَةِ شَرًّا مَصِيرِ ، وَالسَّلَامُ .

(الفقد المفريد ۳ : ۱۶)

(۱) عمه كفرح : تردد في الضلالة وتبحر لايتهدي لطريقه ومذهبه ، وفي كتب اللغة أن الوصف منه عمه كفرح وعامه ، ولم يرد فيها معموره ، إلا أن يقال هو مفعول بمعنى فاعل ، كما في « حِجَابًا مَسْتُورًا » أي ساترا .

(۲) قال في اللسان : « كل شيء منعه وحبيسته فقد عصرته واعتصرتة » ، فمعنى معصوم عن الحق ممنوع محبوس عنه ، وهو اسم فاعل من اعصومر ، وصيغة افعوهل من أبنية المبالغة كأعدوذب من عذب ، واحلولى من حلا - ولم تورد كتب اللغة هذه الكلمة - .

(۳) يقال هذا النعل بالنعل : أي قطعها وقدرها على مثلها .

(۴) يعني بها زينب بنت يوسف أخت الحجاج كما يدل عن ذلك رد الحجاج الآتي ، يريد أنها تشبه الروم في لونها ، قال في اللسان : « والحمرء : العجم لبياضهم ، ولأن الشقرة أغلب الألوان عليهم ، وكانت العرب تقول للعجم الذين يكونون البياض غالباً على ألوانهم مثل الروم والفرس ومن صاقبهم (أي قاربهم) لانهم الحمرء ، والعرب إذا قالوا فلان أبيض وفلانة بيضاء فعناه الكرم في الأخلاق لالون الخلقة : أي طاهر نقي من العيوب ، وإذا قالوا فلان أحمرا وفلانة حمراء عننت بياض اللون ، والعرب تسمى الموالى الحمرء » وقال أيضا : « والعرب تقول امرأة حمراء أي بيضاء » وفي الحديث « خذوا شطر دينكم من الحميراء » يعني عائشة ، كان يقول لها أحياناً يا حميراء تصغير الحمرء يريد البيضاء . (۵) هذه الجملة في قوة أقسم بعلم الله أو بالله العليم -

(۶) أي قديماً . (۷) أي قصدتها بالتمزيق والانتهاك .

(۸) بدخ كفرح بدخا بالتحريك : تكبر وعلا .

(۹) الخزية بفتح الخاء وكسرهما : البلية يوقع فيها .

۲۸۷ - رد الحجاج علی سلیمان

فكتب إليه الحجاج :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من الحجاج بن يوسف إلى سليمان بن عبد الملك ، سلاماً على من اتبع الهدى ، أما بعد ، فإنك كتبت إلىّ تذكرُ أني امرؤ مهتوك عني حجاب الحق ، مولع بما على لالي ، منصرف عن منافع ، تارك لحظي ، مستخف بحق الله وحق ولي الحق ، وتذكر أنك ذو مصاولة^(۱) ، ولعمري إنك لصبي حديث السن ، تُعذر بقاء عقلك ، وحدائث سنك ، ويرقبُ فيك غيرك .

فأما كتابك إلىّ ، فلعمرى لقد ضعف فيه عقلك ، واستخف به حلمك ، فإله أبوك ! أفلاً انتصرت بتضاء الله دون قضائك ، ورجاء الله دون رجائك ، وأمت غيظك ، وأمنت عدوك ، وسترت عنه تدبيرك ، ولم تنبّه فيلتمس من مكابدتك ما لتمس من مكابدته ! ولكنك لم تشف^(۲) بالأمر علهما ، ولم ترزق من أمرك حزماً ، جمعت أموراً دلائك فيها الشيطان على أسوأ أمرك ، فكان الجفاء من خليقتك ، والحق من طبيعتك ، وأقبل بك الشيطان وأذبر ، وحدثك أنك إن تكون كاملاً حتى تتعاطى ما يعيبك ، فتحدقت^(۳) حنجرتك لقوله ، واتسع جوانبها للكذب .

وأما قولك : لو ملكك الله لعلقت زينب ابنة يوسف بشديها ، فأرجو أن بكرمها الله بهوانك ، وأن لا يوفق ذلك لك إن كان ذلك من رأيك ، مع أني أعرف أنك كتبت إلىّ والشيطان بين كتفيك ، فشرُّ مملٍ عليك على شر كاتبٍ راض بالخسف^(۴) ، فأحر بالحق أن لا بدلك على هدى ، ولا يردك إلا إلى ردى ، وتخلب^(۵)

(۱) صاولة مصاولة وصيالا : واثبه .

(۲) شف : زاد (ونقص أيضا) .

(۳) تحدقت : أظهر الحدق وادعى أكثر مما عنده ، والمراد تابعت الشيطان وأطعته .

(۴) الخسف : الذل والضميم ، يريد أنه أذل نفسه لأنه خضع لسلطان الشيطان . (۵) أي سال .

فُوكَ لِلْخِلَافَةِ ، فَأَنْتَ شَامِخُ الْبَصَرِ طَامِخِ النَّظَرِ ، تَنْظُنْ أَنْكَ حِينَ تَمْلِكُهَا ، لَا تَنْقَطِعْ
عَنْكَ مَدَّتُهَا ، إِنَّهَا لِلْقَطْعَةِ (١) اللَّهُ ، أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُلْهِمَكَ فِيهَا الشُّكْرَ ، مَعَ أَنِّي أَرْجُو
أَنْ تَرْغَبَ فِيهَا رَغِبَ فِيهِ أَبُوكَ وَأَخُوكَ ، فَأَكُونَ لَكَ مِثْلِي لِهَما ، وَإِنْ نَفَخَ الشَّيْطَانُ
فِي مَنخَرَيْكَ (٢) فَهُوَ أَمْرٌ أَرَادَهُ اللَّهُ نَزَعَهُ عَنْكَ ، وَإِخْرَاجَهُ إِلَى مَنْ هُوَ أَكْمَلُ بِمَنْكَ ،
وَلِعَمْرِي إِنَّهَا النَّصِيحَةُ ، فَإِنْ تَقَبَّلْتَهَا فَمِثْلُهَا قَبِيلٌ ، وَإِنْ تَرَدَّهَا عَلَيَّ اقْتَطَعْتُهَا دُونَكَ ،
وَأَنَا الْحِجَاجُ . (العقد الفريد ٣ : ١٦)

٢٨٨ - كتاب الحجاج إلى سليمان

وروى الجاحظ في البيان والتبيين قال :

قَدِمْتُ وَفُودَ الْعِرَاقِ عَلَى سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بَعْدَ مَا اسْتَخْلَفَ ، فَأَمَرَهُمْ بِشْتِمِ الْحِجَاجِ
فَقَامُوا يَشْتَمُونَهُ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : « إِنَّ عَدُوَّ اللَّهِ الْحِجَاجُ كَانَ عَبْدًا زَبَّابًا (٣) ، قَنُورٌ

(١) للقطعة : اسم الشيء الذي تجده ملقياً فتأخذه ، يعني أنها تصير لك الله .

(٢) بفتح الميم والخاء وبكسرهما وضمهما وكجلس .

(٣) بائع زبيب ، قيل إنه كان يبيع الزبيب بالطائف ، وذكروا أنه كان أول أمره يعلم الصبيان مع
أبيه بالطائف - ويسمى كليبا - وفيه يقول الشاعر :

أينسى كليب زمان الهزال وتعاليمه سورة الكوثر
رغيف له فلك دائر وآخر كالقمر الأزهر

يشير إلى خبر المعلمين ، فإنه مختلف في الصغر والكبر على قدر بيوت الصبيان ، ويقول آخر :

فلولا بنو مروان كان ابن يوسف كما كان عبدا من عبيد إيباد
زمان هو العبد المقر بذله يروح صبيان القرى ويفادى

« راحهم وروحهم : ذهب إليهم رواحا » ثم صار دباغا ، كما يدل على ذلك هجاء كعب الأشقرى له .
وذلك أن المهلب بن أبي صفرة لما أطال قتال الأزارقة ، كتب إليه الحجاج يستبطئه ويضعفه ويعجزه فقال
المهلب لرسوله : قل له إن الشاهد يرى - إلا يرى الغائب . الخ (انظر ص ١٥١) وقام كعب الأشقرى ،
وكان من جنده المهلب ، فأنشد بحضرة رسول الحجاج أبيانا منها :

إن ابن يوسف غره من غزوكم خفض المقام بجانب الأمصار
لو شاهد الصفين حين تلاقيا ضاقت عليه رحبية الأقطار
ورأى معاودة الدباغ غنيمة أيام كان محالف الإقتار

بلغت أبياته الحجاج ، فكتب إلى المهلب يأمره بإشخاص كعب الأشقرى إليه ، فأعلم المهلب كعبا بذلك =

ابن قنور^(۲) ، لانسَ في العرب ، قال سليمان : أي شتم هذا؟ إن عدو الله الحجاج كتب إلى :

« إنمات نُقطة من مداد ، فإن رأيتَ في ما رأيتُ أبوك وأخوك كنتُ لك كما كنتُ لهما ، وإلا فانا الحجاج وأنت النقطة ، فإن شئتُ محوتك ، وإن شئتُ أثبتك . »

فالعنوه لعنه الله ، فأقبل الناس يلعنونه ، فقام ابن أبي بُردة بن أبي موسى الأشعري فقال : « يا أمير المؤمنين إنا نُخبرك عن عدو الله يعلم . » قال : هاتِ : قال : « كان عدو الله يتزين تزِين المومِسة^(۱) ، ويصعد المنبر فيتكلم بكلام الأخيار ، فإذا نزل عمل عمل الفراعنة ، وأكذب في حديثه من الدجال . » فقال سليمان لرجاء بن حيوة : « هذا وأبيك الشتم ، لا ما تأتي به السفلة^(۳) . » (البيان والتبيين ۱ : ۲۱۱)

۲۸۹ - بين عمر بن عبد العزيز والوليد والحجاج

وقال الطبري :

وفي سنة ۹۳ هـ عُزل عمر بن عبد العزيز عن المدينة ، وكان سبب ذلك أن عمر كتب إلى الوليد يخبره بعسف^(۳) الحجاج أهل عمله بالعراق واعتدائه عليهم وظلمه لهم بغير حق ولا جناية ، وبلغ ذلك الحجاج فاضطفنه على عمر ، وكتب إلى الوليد : « إن

- وأوفده من لبته إلى عبد الملك ، وكتب إليه يتوجه منه ، فقدم كتب على عبد الملك ، فاستشده فأعجبه ما سمع منه . فأوفده إلى الحجاج ، وكتب إليه يقسم عليه أن يعفو عنه ، فلما دخل كتب على الحجاج قال : ليه يا كتب ! « ورأى معاودة الدباغ غنيمة » ! فقال : أيها الأمير ، والله لقد وددت في بعض ما شاهدته في تلك الحروب وأزماتها وما يوردناه الهلب من خطرهما ، أن أنجو منها وأكون حجاما أو حائكا ، فقال له الحجاج : أولى لك ، لولا قسم أمير المؤمنين لما نفعت ما أسمع ، فالحق بصاحبك . وبعض الرواة ينكر هذا القول ويقول هذه من أكاذيب الشعراء - انظر الأغاني ج ۱۳ ص ۵۷ ، وشرح العيون ص ۱۱۲ ، والقند الفريد ۳ : ۶ - . (۲) القنور : الشمس الصعب من كل شيء ، وكسنور : العبد .

(۱) امرأة موسى ومومسة : فاجرة مجاهرة بالفجور .

(۲) سفلة الناس بكسر فكون أو بفتح فكسر : أسافلهم وغوغاؤم .

(۳) العسف : الظلم .

مَنْ قَبِلَ مِنْ مُرَاقٍ^(۱) أَهْلَ الْعِرَاقِ ، وَأَهْلَ الشَّقَاقِ ، قَدْ جَلَّوْا عَنِ الْعِرَاقِ ، وَجَاءُوا إِلَى الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ ، وَإِنْ ذَلِكَ وَهْنٌ^(۲) .

فكتب الوليد إلى الحجاج : أن أشر على برجانين ، فكتب إليه يشير عليه بعثمان ابن حيان و خالد بن عبد الله ، فولى خالداً مكة ، وعثمان المدينة ، وعزل عمر بن عبد العزيز (تاريخ الطبري ۸ : ۹۰)

۲۹۰ - كتاب الحجاج إلى الوليد

وروى أبو علي القالي في الأمالي قال :

لما حضرت الحجاج الوفاة وأيقن بالموت ، قال : أسندوني ، وأذن للناس فدخلوا عليه ، فذكر الموت وكرهه ، واللحد ووحشته ، والدنيا وزوالها ، والآخرة وأهوالها ، وكثرة ذنوبه ، وأنشأ يقول :

إِنْ ذَنْبِي وَزَنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَظَنِّي بِمَخَالِقِي أَنْ يُحَابِي
فَأَنْ مَرَّ بِالرِّضَا فَهُوَ ظَنِّي وَلِئِنْ مَرَّ بِالْكِتَابِ عَذَابِي
لَمْ يَكُنْ ذَاكَ مِنْهُ ظُلْمًا ، وَهَلْ يَظْلِمُ رَبُّ يُرْجَى لِحَسَنِ الْمَاءِ ؟
ثُمَّ بَكَى وَبَكَى جَلْسَاؤُهُ ثُمَّ أَمَرَ الْكَاتِبَ أَنْ يَكْتُبَ إِلَى الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ
ابن مروان :

« أَمَا بَعْدُ : فَقَدْ كُنْتُ أُرْعَى غَنَمَكَ ، أَحُوطِهَا^(۳) حَيَاةَ النَّاصِحِ الشَّفِيقِ بَرَعِيَّةِ
مَوْلَاهُ ، فِجَاءِ الْأَسَدِ قَبْطَشِ الْبِرَاعِي ، وَمَزَقِ الْمَرْعِيِّ كُلِّ مَمَزَّقٍ ، وَقَدْ نَزَلَ بِمَوْلَاكَ
مَا نَزَلَ بِأَيُّوبَ الصَّابِرِ ، وَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ الْجُبَّارُ أَرَادَ بِعَبْدِهِ غُفْرَانًا لِحَطَايَاهُ ، وَتَكْفِيرًا
لِمَا حَمَلَ مِنْ ذُنُوبِهِ ، ثُمَّ كَتَبَ فِي آخِرِ الْكِتَابِ :

(۱) المراق : جمع مراق ، وهم الخارجون عن الطاعة .

(۲) الوهن ويحرك : الضعف .

(۳) أصونها وأحفظها .

إِذَا مَا لَقِيتُ اللَّهَ عَنِّي رَاضِيًا فَإِنَّ شَفَاءَ النَّفْسِ فِيهَا هُنَالِكَ
فَحَسْبِي بَقَاةُ اللَّهِ مِنْ كُلِّ مِيتٍ وَحَسْبِي حَيَاةُ اللَّهِ مِنْ كُلِّ هَالِكٍ
لَمَّا ذَاقَ هَذَا الْمَوْتَ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا وَنَحْنُ نَذُوقُ الْمَوْتَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ
فَإِنَّ مِيتًا إِذَا ذُكِرْتَنِي بِذِكْرِ مُحِبِّ فَقَدْ كَانَ جَمًّا فِي رِضَاكَ مَسَالِكِي
وَإِلَّا فَنِي دُبُرِ الصَّلَاةِ بِدَعْوَةٍ يُلْقَى بِهَا الْمَسْجُونُ فِي نَارِ مَالِكِ
عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ حَيًّا وَمِيتًا وَمَنْ بَعْدَ مَا تُحْيَا عَتِيقًا لِلْمَلِكِ

(ذيل الأملح ص ١٧٤)

وكانت وفاته سنة ٥٩٥ هـ .

٢٩١ - كتاب الوليد إلى قتيبة بن مسلم

وكان الحجاج قد بعث جيشا من العراق فقدموا على قتيبة سنة ٥٩٥ هـ ، فغزا ، فلما كان بالشَّاش^(١) أتاه موت الحجاج في شوال ، فغمه ذلك وقفل راجعا إلى مرو ، وفرق الناس تغلف في بخارى قوما ، ووجه قوما إلى كِسِّ ونَسَف ، ثم أتى مرو فأقام بها ، هو أتاه كتاب الوليد :

« قد عرف أمير المؤمنين بلاءك وجدك في جهاد أعداء المسلمين ، وأمير المؤمنين زافعك وصانع بك كالذي يجب لك ، فألمم^(٢) مغازيك ، وانتظر ثواب ربك ، ولا تغيب عن أمير المؤمنين كتبك ، حتى كأني أنظر إلى بلادك والشعر الذي أنت به » .
(تاريخ الطبري ٨ : ٩٦)

٢٩٢ - كتاب عروة بن الزبير إلى الوليد

وقال كعب العبسي لُعرُوة بن الزبير ، قد أذنبت ذنبا إلى الوليد بن عبد الملك ، وليس يُزِيلُ غضبه شيء ، فاكتب لي إليه ، فكتب إليه :

(١) كورة وراء نهر سيحون متاخمة لبلاد الترك . (٢) أي اجتمع .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، لو لم يكن لكعب من قديم حرمة ، ما يغفر له عظيم
جبريته^(۱) ، لوجب أن لا تحرمه التفتيؤ^(۲) بظل عفوك الذي تأمله القلوب ، ولا تعلق
به الذنوب ، وقد استشفع بي إليك فوثقت له منك بعفو لا يخالطه سُخْط ، فحقق أمله
في ، وصدق ثقى فيك ، تجد الشكر وافيا بالنعمة . (مفتاح الأفكار ص ۱۹۴)

۲۹۳ - رد الوليد على عروة

فكتب إليه الوليد :

« قد شكرت رغبته إليك ، وعفوت عنه لمعوله عليك ، وله عندي ما يحب .
فلا تقطع كتبك عني في أمثاله ، وفي سائر أمورك . »

۲۹۴ - كتاب ملك الروم إلى الوليد ورد الفرزدق عليه

ولما هدم الوليد كنيسة دمشق كتب إليه ملك الروم :

« إنك هدمت الكنيسة التي رأى أبوك تركها ، فإن كان حقا ، فقد خالفت أباك ،
وإن كان باطلا فقد أخطأ أبوك . »

فلم يدر ما يجيبه به ، فكتب إلى الكوفة والبصرة وسائر البلدان أن يجيبوه فلم يجبه
أحد . فوثب الفرزدق ، فقال أنا أبو فراس - أصاح الله الأمير - قد رأيت رأيا فإن يك
حقا نخذه ، وإن يك خطأ فنتي ، قال الله عز وجل : « وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ
فِي الْحَرْثِ^(۳) إِذْ نَفَسَتْ^(۴) فِيهِمْ غَمُّ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ^(۵) » ، فقهمناهما
سُلَيْمَانَ » فاستحسنه الوليد ، وكتب به إلى ملك الروم فلم يجبه .

(تهذيب تاريخ ابن عساكر ۱ : ۲۰۲) .

(۱) الجريرة : الجريرة . (۲) النوء : ما كان شمساً فينسخه الظل ، وتالياً فيه : تظال .

(۳) أي في الزرع ، وقيل في كرم تدلت عناقيده .

(۴) أي انقلبت إليه لين فرعته بلا راع .

(۵) حكم داود لصاحب الحرث برقاب الغنم ، فقال سليمان : غير هذا أرفق بهما ، فأمر بدفع الغنم

إلى أهل الحرث فينتفون بلبانها وصوفها ونسلها والحرث إلى أرباب الغنم يقومون عليه حتى يعود كما كان
يترادان .

۲۹۵ - كتاب الوليد إلى أخيه سليمان

وروى أن الوليد بن عبد الملك اشتكى ، وَبَلَغَهُ قَوَارِصُ وَتَقْرِيضٌ^(۱) من أخيه سليمان بن عبد الملك ، وَتَمَنَّى لِمَوْتِهِ لِمَا لَهُ مِنَ الْعَهْدِ بَعْدَهُ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ يَعْتَبِ عَلَيْهِ ، وَفِي آخِرِ كِتَابِهِ :

تَمَنَّى رِجَالٌ أَنْ أَمُوتَ ، وَإِنْ أَمُتَ
وَقَدْ عَلِمُوا (لَوْ يَنْفَعُ الْعِلْمُ عِنْدَهُمْ)
مَنْبِيَّتُهُ تَجْرِي لَوْ قَتِ وَحْتَفَهُ
فَقُلْ لِلَّذِي يَبْغِي خِلَافَ الَّذِي مَضَى
فَتَلَكَ طَرِيقٌ لَسْتُ فِيهِمْ بِأَوْحَدٍ
لَئِنْ مِتُّ مَا الدَّاعِي عَلَى بِمُخَلِّدٍ
سَيَلْحَقُهُ يَوْمًا عَلَى غَيْرِ مَوْعِدٍ
تَهَيَّأْ لِأُخْرَى مِثْلَهَا فَكَأَنَّ قَدْ^(۲)

۲۹۶ - رد سليمان على الوليد

فكتب إليه سليمان :

« قَدْ فَهِمْتُ مَا كَتَبَ بِهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ كُنْتُ تَمَنَيْتُ ذَلِكَ تَأْمِيلًا
لِمَا يَخْطُرُ فِي النَّفْسِ ، إِنْ لَأَوَّلُ لَاحِقٍ بِهِ ، وَأَوَّلُ مَنْمِيٍّ إِلَى أَهْلِهِ ، فَعَلَامَ أَتَمَنَّى
مَالًا يَلْبَثُ مَنْ تَمَنَاهُ إِلَّا رَيْثًا يَحُلُّ السَّفْرَ^(۳) بِمَنْزِلٍ ، ثُمَّ يَظْعَنُونَ عَنْهُ ، وَقَدْ بَلَغَ أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ مَا لَمْ يَظْهَرِ عَلَى لِسَانِي ، وَلَمْ يُرَى فِي وَجْهِهِ ، رَمَتِي سَمِعَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَهْلِ

(۱) القوارص من الكلام : التي تنفصك وتؤلك ، والتقريض : الذم (والمدح أيضا ، صد) .

(۲) ورواية مروج الذهب : وكتب في كتابه هذه الأبيات :

تَمَنَّى رِجَالٌ أَنْ أَمُوتَ ، وَإِنْ أَمُتَ
لَعَلَّ الَّذِي يَرْجُو فَنَائِي وَيَدْعَى
فَأَمُوتَ مِنْ قَدَمَاتِ قَبْلِي بِضَائِرِي
فَقُلْ لِلَّذِي يَرْجُو خِلَافَ الَّذِي مَضَى
مَنْبِيَّتُهُ تَجْرِي لَوْ قَتِ ، وَحْتَفَهُ
فَتَلَكَ سَبِيلٌ لَسْتُ فِيهَا بِأَوْحَدٍ
بِقَبْلِ مَوْتِي أَنْ يَكُونَ هُوَ الرَّدَى
وَلَا عَيْشَ مِنْ قَدَمَاتِ بَعْدِي بِمُخَلِّدِي
تَزُودُ لِأُخْرَى غَيْرَهَا فَكَأَنَّ قَدْ
سَيَلْحَقُهُ يَوْمًا عَلَى غَيْرِ مَوْعِدٍ

(۳) السفر : جماعة المسافرين . ويطعنون : يرتجلون .

النميمة ، ومن لا روية له ، أسرع ذاك في فساد النيات ، والقطع بين ذوى الأرحام
والقرايات ، وكتب في آخر كتابه :

وَمَنْ لَا يَغْمُزُ عَيْنَهُ عَنْ صَدِيقِهِ وَعَنْ بَعْضِ مَا فِيهِ يَمُتُ وَهُوَ عَائِبٌ
وَمَنْ يَنْتَبِعُ جَاهِدًا كُلَّ عَثْرَةٍ يَجِدُهَا ، وَلَا يَسْلَمُ لَهُ الدَّهْرَ صَاحِبٌ

٢٩٧ - رد الوليد على سليمان

فكتب إليه الوليد :

« قد فهم أمير المؤمنين كتابك ، فما أحسن ما اعتذرت به ، وحدوت عليه ،
وأنت الصادق في المقال ، الكامل في الفعال ، وما شئ؛ أشبه بك من اعتذارك ،
وما شئء أبعد منك من الذي قيل فيك ، والسلام » .

« وقد روى أن هذا العتب كان بين يزيد بن عبد الملك ، وبين أخيه هشام

كما سيجيء بعد » . (ذيل الأمانى ص ٢٢٥ ، ومروج الذهب ٢ : ١٥٦)

خلافة سليمان بن عبد الملك

من سنة ٩٦ إلى سنة ٩٩

٢٩٨ - كتاب سليمان بن عبد الملك إلى عامله بالأردن

لما ولي سليمان بن عبد الملك كتب إلى عامله بالأردن^(١) :

« اجمع يدَي عَدِيِّ بْنِ الرَّقَّاعِ^(٢) إِلَى عُنُقِهِ ، وَاَبْعَثْ بِهِ إِلَى عَلِيِّ قَتَبِ^(٣) بِلَا وَطَاءٍ ،
وَوَكَّلْ بِهِ مَنْ يَنْخُسُ بِهِ . »

فَفَعَلَ ذَلِكَ ، فَلَمَّا أَنْتَهَى إِلَى سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ أُلْقِيَ بَيْنَ يَدَيْهِ الْتَاءٌ لَارُوحَ فِيهِ ،
فَتَرَكَهُ حَتَّى ارْتَدَّ إِلَيْهِ رُوحُهُ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : أَنْتَ أَهْلٌ لِمَا نَزَلَ بِكَ ، أَلَسْتَ الْقَائِلُ
فِي الْوَلِيدِ :

مَعَاذَ رَبِّيَ أَنْ تَنْبَقِيَ وَتَنْفَقِدَهُ وَأَنْ نَكُونَ لِرَاعٍ بَعْدَهُ تَبَعًا

قال : لا والله يا أمير المؤمنين ، ما هكذا قلت ، وإنما قلت :

مَعَاذَ رَبِّيَ أَنْ نَبَقِيَ وَنَفَقِدَهُمْ وَأَنْ نَكُونَ لِرَاعٍ بَعْدَهُمْ تَبَعًا

فَنظَرَ إِلَيْهِ سُلَيْمَانٌ وَاسْتَضْحَكَ ، وَأَمَرَ لَهُ بِصَلَةِ وَخَلِّي سَبِيلَهُ .

(العقد الفريد ١ : ١٥٢)

(١) كورة بالشأم . (٢) هو عدي بن زيد بن مالك بن عدي بن الرقاع (وسبه الناس إلى الرقاع وهو جد جده لشهرته) وكان شاعرا مقدما عند بني أمية مداحا لهم خاصة بالوليد بن عبد الملك - انظر ترجمته في الأغاني ج ٨ : ص ١٧٢ ، والشعر والشعراء ص ١٤٥ .
(٣) القتب : الإكاف الصغير على قدر سنام البعير . والوطاء ككتاب وسحاب : خلاف الغطاء .

٢٩٩ - كتب من قتيبة بن مسلم إلى سليمان بن عبد الملك

روى الطبري قال :

كان الوليد بن عبد الملك أراد أن يجعل ابنه عبد العزيز بن الوليد ولياً عهده ،
ودسَّ في ذلك إلى القواد والشعراء ، فبايعه على خلع سليمان الحجاج وقتيبة^(١) ، ثم هلك الوليد
وقام سليمان ، فخافه قتيبة وأشفق منه ، لأنه كان يسعى في بيعة عبد العزيز بن الوليد
مع الحجاج ، وخاف أن يوَلَّى سليمان يزيد بن المهلب خراسان .

فكتب إلى سليمان كتاباً : يهتبه بالخلافة ويعزِّيه على الوليد ، ويُعلمه بلاءه
وطاعته لعبد الملك والوليد ، وأنه له على مثل ما كان لهما عليه من الطاعة والنصيحة
إن لم يعزله عن خراسان :

وكتب إليه كتاباً آخر : يُعلمه فيه فتوحه ونِكَابته وعظَم قدره عند ملوك العجم ،
وهيبتته في صدورهم ، وعظُم صوته فيهم ، ويذم المهلب وآل المهلب ، ويحلف بالله لئن
استعمل يزيد على خراسان ليخالفنه .

وكتب كتاباً ثالثاً فيه خلمه

وبعث بالكتب الثلاثة مع رجل من باهلة ، وقال له : ادفع إليه هذا الكتاب ،
فإن كان يزيد بن المهلب حاضراً فقرأه ثم ألقاه إليه ، فادفع إليه هذا الكتاب ، فإن قرأه
وألقاه إلى يزيد ، فادفع إليه هذا الكتاب ، فإن قرأ الأول ولم يدفعه إلى يزيد فاحتمس
الكتابين الآخرين .

فقدِم رسول قتيبة فدخل على سليمان وعنده يزيد بن المهلب ، فدفع إليه الكتاب ،

(١) وروى الطبري في موضع آخر قال : كان الوليد وسليمان ولي عهد عبد الملك فلما أفضى الأمر
إلى الوليد أراد أن يبايع لابنه عبد العزيز ويخلع سليمان ، فأنى سليمان فأرادَه على أن يجعله له من بعده فأبى ، فغرض
عليه أموالاً كثيرة فأبى ، فكتب إلى عماله أن يبايعوا لعبد العزيز ، ودعا الناس إلى ذلك فلم يجبه أحد إلا
الحجاج وقتيبة وخواس من الناس ، (ج ٨ : ص ٩٩) .

فقرأه ثم ألقاه إلى يزيد ، فدفع إليه كتاباً آخر فقرأه ثم رمى به إلى يزيد، فأعطاه الكتاب الثالث فقرأه فتمعر^(۱) لونه ثم دعا بطين فختمه ثم أمسكه بيده .

وروى رواية أخرى قال :

كان في الكتاب الأول وَقِيعَةٌ فِي يَزِيدِ بْنِ الْمُهَلَّبِ وَذَكَرَ عَذْرَهُ وَكُفْرَهُ وَقَوْلَهُ شَكَرَهُ ، وَكَانَ فِي الثَّانِي ثَنَاءٌ عَلَى يَزِيدٍ ، وَفِي الثَّلَاثِ : « لَئِن لَّمْ تَقْرَأْنِي عَلَى مَا كُنْتُ عَلَيْهِ وَتُؤَمِّنَنِي لِأَخْلَعَنَّكَ خَالِعَ النَّعْلِ ، وَلَأَمْلَأَنَّهَا عَلَيْكَ خَيْلًا وَرِجَالًا » :

وأضاف سليمان رسول قتيبة ثم دعا به فأعطاه صُرة فيها دنانير فقال : هذه جائزتك، وهذا عهد صاحبك على خراسان فسير ، وهذا رسولي معك بعهدك ، وبعث معه رجلاً من عبد القيس ، فلما كان بمحلوان تلقاهم الناسُ بمخاض قتيبة لسليمان ، فرجع العبدى ودفع العهد إلى رسول قتيبة وقد خلع واضطرب الأمر فدفع إليه عهده ، فاستشار إخوته فقالوا : لا يثق بك سليمان بعد هذا ، فخلع سليمان ودعا الناس إلى خاعه وكانت فتنة قتل فيها قتيبة (سنة ۹۶) .

(تاريخ الطبرى ۸ : ۱۰۳)

رواية أخرى

ويروى أنه لما بلغ قتيبة بن مسلم أن سليمان بن عبد الملك يريد عزله عن خراسان ، كتب إليه ثلاث صحائف ، وقال للرسول : ادفع إليه هذه ، فإن دفعها إلى يزيد بن المهلب فادفع إليه هذه ، فإن شتمني فادفع إليه الثالثة ، فلما سار الرسول إليه دفع له الكتاب الأول وإذا فيه :

« يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ مِنْ بِلَاطِي فِي طَاعَةِ أَبِيكَ وَأَخِيكَ كَيْتَ وَكَيْتَ ... » فدفعه إلى يزيد ، فدفع إليه الرسول الكتاب الثاني ، وفيه يقول :

(۱) تمر وجهه: تغرغيطا .

« عجباً كيف تأمن ابن رَحْمَةَ على أسرارك ، ولم يكن أبوه يأمنه على أمهات أولاده! »
- يعنى يزيد بن المهلب - .

فشتم قتيبة ، وناول الكتاب ليزيد ، فدفع إليه الثالث ، وفيه :
« من قتيبة بن مسلم إلى سليمان بن عبد الملك ، سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد
فوالله لأوثقن لك آخية^(١) لا ينزعها المهر الأرن^(٢) » .
فقال سليمان : « عجلنا على قتيبة ، جددوا له عهداً على عمله ، ثم فسدت على قتيبة
بطانته فقتلوه في خلافة سليمان » . (العقد الفريد ٢ : ٢٧٥ ، وسرح العيون ص ١٢٨)

٣٠٠ - كتاب يزيد بن المهلب إلى سليمان بن عبد الملك

واستعمل سليمان بن عبد الملك يزيد بن المهلب على العراق ، ثم ولاء سنة ٩٧ هـ خراسان :
وفي سنة ٩٨ فتح يزيد جرجان وطبرستان ، وكتب بالفتح إلى سليمان
ابن عبد الملك :

« أما بعد ، فإن الله قد فتح لأمير المؤمنين فتحاً عظيماً ، وصنع للمسلمين أحسن
الصنع ، فلربنا الحمد على نعمه وإحسانه ، أظهر في خلافة أمير المؤمنين على جرجان
وطبرستان ، وقد أعيا ذلك سابوراً ذا الأكتاف وكسرى بن قباد وكسرى بن رُمز ،
وأعيا الفاروق عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان ومن بعدهما من خلفاء الله ، حتى فتح الله
ذلك لأمير المؤمنين ، كرامة من الله له ، وزيادة في نعمه عليه ، وقد صار عندي من
خمس ما أفاء الله على المسلمين بعد أن صار إلى كل ذي حق حقه من النى والغنيمة
سنة آلاف ألف ، وأنا حامل ذلك إلى أمير المؤمنين إن شاء الله^(٣) » .

(تاريخ الطبرى ٨ : ١٢٥)

(١) الآخية كآنية وتشدد: عروة تربط إلى وتد وتشدد فيها الدابة.

(٢) أرن كفرح : نشط ، فهو أرن وأرون .

(٣) وقد قال له كاتبه المغيرة بن أبي قررة مولى بني سدوس : « لا تكتب بتسمية مال ، فإنك من
ذلك بين أمرين: إما استكثره فأمرك بحمله : وإما سخطت نفسه لك به فسوغك ، فتكافت الهدية ، =

۳۰۱ - ما قاضى عليه سليمان بن عبد الملك موسى بن نصير

ولما فرغ موسى بن نصير هو ومولاه طارق بن زياد من فتح بلاد الأندلس ، قدم موسى إلى دِمَشْقَ يحمل إلى الوليد ما أحرزه من الغنائم والأسلاب النفيسة ، وكان ذلك قبيل وفاة الوليد ، فوجد عليه سليمان بن عبد الملك ، وأفضت إليه الخلافة فبعث إلى موسى وعذبه ، ثم قاضاه على مال يفتدى به نفسه وخطى سبيله^(۱) ، وكانت نسخة القضية :

« هذا ما قاضى عليه عبد الله سليمان أمير المؤمنين موسى بن نصير ، قاضاه على

= فلا يأتيه من قبلك شيء إلا استقله ، فكأن بك قد استغرقت ما سميت ولم يقع منه موقعا ، ويبقى المال الذى سميت مخلدا عندهم عليك في دواوينهم ، زين ولى وال بعده أخذك به ، وإن ولى من يتجامل عليك لم يرس منك بأضعافه ، فلا تمض كتابك ، ولكن اكتب بالفتح وسله القدوم ، فتشافه بما أحبيب مشاهبة وتقصر ، فإنك إن تقصر عما أحبيت أخرى من أن تكتر « فأبى يزيد وأمضى الكتاب .

وقد صدق حدس المغيرة ، فإن عمر بن عبد العزيز لما ولى الخلافة - وكان يفتن يزيد وأهل بيته ويقول : هؤلاء جبابرة ولا أحب مثلهم - دعا يزيد وسأله عن تلك الأموال التى كتب بها إلى سليمان ابن عبد الملك فقال : كنت من سليمان بالمكان الذى رأيت ، ولما كتبت إلى سليمان لأسمع الناس به (والسمع : إزالة الخمول بنشر الذكر) وقد علمت أن سليمان لم يكن ليأخذنى بشيء سمعت به ولا بأمر أكرهه ، فقال له : ما أجد فى أمرك إلا حبسك ، فائق الله وأد ما قبلك ، فإنها حقوق المسلمين ولا يسعنى تركها ، وأمر به فحس .

(۱) وذلك أن موسى بن نصير قدم على الوليد وهو فى آخر شكايته التى توفى منها ، وكان سليمان بن عبد الملك بعث إلى موسى من اقيه فى الطريق قبل قدومه على الوليد يأمره بالثبوت فى مسيره وألا يعجل ، فإن الوليد بآخر رمقه ، فلما أتى موسى بالكتاب من سليمان وقرأه قال : حبيت والله ما غدرت ، والله لا تربصت ولا تأخرت ولا تعجلت ، ولكنى أسير بمسيرى فإن أوفاه حيا لم أتخاف عنه . وإن عجلت منيته فأمره إلى اقه ، فرجع الرسول إلى سليمان فأعلمه ، فقال : لئن ظفرت بموسى لأصلبه أو لأتبع على نفسه . وكان الوليد لما بلغه قدوم موسى واقترابه منه ، وجه إليه كتابا يأمره بالعجلة فى مسيره ، خوف أن تعجل به منيته قبل قدوم موسى عليه ، وإرادة أن يحرم سليمان ما جاء به ، وأقبل موسى حتى دخل على الوليد ، وقدم إليه الطرائف التى اجتلبها معه ، ولم يلبث الوليد أن مات وصارت الخلافة إلى سليمان ، فبعث إلى موسى فشتمه وتوعده وأقامه فى الشمس فى يوم صائف شديد الحر وكان كبير السن ناديا ، وكانت به نسمة (والنسمة محرقة : الربو) فلما أصابه حر الشمس وأتعبه الوقوف حاجت به ، فارتفع نفسه وعظم بهره (ولهبه بالضم : انقطاع النفس من الإعياء) وتصبب عرقه ، فزال كذلك حتى سقط مغشيا عليه ، فكله عمر بن عبد العزيز فيه ، وضمه إليه يزيد بن المهلب ، وقاضاه سليمان على مال يدفعه إليه وخطى سبيله .

أربعة آلاف ألف دينار وثلاثين ألف دينار وخمسين ديناراً ، ذهباً طيبةً يُؤدِّيها إلى أمير المؤمنين ، وقد قبضَ منها أمير المؤمنين مائة ألف ، وبقي على موسى سائر ذلك ، أجله أمير المؤمنين إلى سير رسول أمير المؤمنين إلى ابن موسى الذي بالأندلس ، يمكثُ شهراً بالأندلس - وليس له أن يمكث وراء ذلك يوماً واحداً - حتى يُقبلَ راجعاً بالمال ، إلا ما كان من إفريقية وما دونها ، وليس لموسى أن يتكثّر بشيء ، مما كان عليه من العمل ، منذ استخلف الله أمير المؤمنين من ذمّة أو فيء أو أمانة ، فهو لأمر المؤمنين يأخذه ويقتضيه ، ولا يحسبه موسى من غرامته ، فإن أدّى موسى الذي سمى أمير المؤمنين في كتابه هذا من المال ، إلى ما قد سمى أمير المؤمنين من الأجل ، فقد برئ موسى وبنوه وأهله ومواليه ، وليست عليهم تبعّة ولا طلبية^(۱) في المال ولا في العمل ، يقرؤون حيث شاءوا ، وما كان قبض موسى أو بنوه من عمال موسى ، إلى قدوم رسول أمير المؤمنين إفريقية ، فهو من الذي على موسى من المال ، يُحسب له من الذي عليه ، ما لم يُقبض قبل وصول رسول أمير المؤمنين ، فليس منه في شيء ، وقد خلى أمير المؤمنين بين موسى وبين أهله ومواليه ، ليس له ظلم أحدٍ منهم ، غير أن أمير المؤمنين لا يدفع إليه طارقاً مولاه ، ولا شيئاً من الذي قد أباه عليه أول يوم .

شهد أيوب ابن أمير المؤمنين وداود ابن أمير المؤمنين وعمر بن عبد العزيز ، وعبد العزيز بن الوليد ، وسعيد بن خالد ، ويعيش بن سلامة ، وخالد بن الرّيان ، وهر ابن عبد الله ، ويحيى بن سعيد ، وعبد الله بن سعيد .

وكتبه جعفر بن عثمان في جمادى سنة تسع وتسعين .

(الإمامة والسياسة ۲ : ۶۶)

(۱) أي مطالبة .

۳۰۲ - کتاب سلیمان بن عبد الملک إلى نفر بإفريقية

وأقام موسى بن نصير مع سليمان بن عبد الملك يطلب رضاه حتى رضى عنه ، وأبنته عبد الله بن موسى على إفريقية ووطنجة والسوس ، وأبنته عبد العزيز على الأندلس ، فلما بلغ عبد العزيز الذي فعل سليمان بأبيه موسى ، تكلم بكلام خفيف ، حملته عليه حمية لما صنع بأبيه ، على حسن بلائه ، فسميت ^(۱) إلى سليمان ، تخاف سليمان أن يخلع . فكتب إلى حبيب بن عبيد وابن وعلة التميمي وسعد بن عثمان بن ياسر وعمرو ابن زياد اليحصبي وعمرو بن كثير وعمرو بن شرحبيل ، كتب إلى كل رجل منهم كتابا : يعلمه بالذي بلغه عن عبد العزيز بن موسى وما هم به من الخلع ، وأنه قد كتب إلى عبد الله بن موسى بأمره بإشخاصهم إلى عبد العزيز ، وأعلمه أنه إنما دعاه إلى ذلك الذي أحب من مكانتهم ^(۲) له ، لأنه بإزاء العدو ، وأعطاهم العهد أن من قتله منهم فهو أمير مكانه .

وكتب إليهم : « إني قد بعثت لكم بكتاب إلى أهل الأندلس بالسمع والطاعة لكم والعدو في قتله ، فإذا ولاكم أطرافه فأقرؤا عهدي على من قبلكم من المسلمين ، ثم ارجعوا إليه حتى تقتلوه » .

۳۰۳ - كتاب سليمان إلى عبد الله بن موسى بن نصير

وكتب إلى عبد الله بن موسى :
« إني نظرت ، فإذا عبد العزيز بإزاء عدو يحتاج فيه إلى الفناء ^(۳) والبلاء ، فسأل أمير المؤمنين ، فأخبر أن معك رجلا منهم فلان وفلان ، فأشخصهم إلى عبد العزيز ابن موسى .

(۱) نهي الحديث ونماه : رفعه .

(۲) الكفاية: المؤازرة والعاونة .

(۳) الفناء : الكفاية .

۳۰۴ - کتاب سلیمان إلى عبد العزیز بن موسی بن نصیر

وكتب إلى عبد العزیز بن موسی :

« أما بعد فإن أمير المؤمنين عليم ما أنت بسبيله من العدو ، وحاجتك إلى الرجال أهل النكابة والغناء ، فذكر له أن بإفريقية رجالا منهم ، فكتب أمير المؤمنين إلى عبد الله بن موسى بأمره بإشخاصهم إليك ، فولهم أطرافك وثغورك ، واجعلهم أهل خاصتك . »

وأنفذ هؤلاء النفر ما أمرهم به سليمان ، فقتلوا عبد العزیز بن موسى وجاءوا إليه برأسه (۱) .

(الإمامة والسياسة ۲ : ۶۸)

۳۰۵ - کتاب عمر بن عبد العزیز الوراق إلى أبي بكر بن حزم

روى القالى فى الأمالى عن العثبي قال : كتب عمر بن عبد العزیز الوراق رحمه الله

(۱) لما قدم كتاب سليمان على عبد الله بن موسى بإفريقية أشخص القوم ، فخرجوا حتى قدموا على عبد العزیز بالأندلس بكتاب سليمان فى إلفاقهم وإكرامهم ، فقربهم عبد العزیز وأكرمهم وحباهم ، وقال لهم : اختاروا أى نواحى ونفورى شئتم ، فضربوا الرأى فقالوا : لانكم إن فعلتم ما أنتم فاعلون ثم رجعت إليه من أطرافه ، لم تأمنوا أن يعيل معه عظم الناس ، ولكن أعمالوا رأيكم فى الفتك به ، فأتوا عبد الله بن عبد الرحمن الغافقى وكان سيد أهل الأندلس صلاحا وفضلا ، فأعلموه ثم أقرءوه كتاب سليمان . فقال لهم : لقد علمتم يد موسى عند جميعكم صغيركم وكبيركم ، وإنما بلغ أمير المؤمنين أمر كذب عليه فيه ، والرجل لم يترع يدا من الطاعة ولم يخالف فيستوجب القتل ، وأنتم ترون وأمير المؤمنين لا يرى ، فأطيعوني ودعوا هذا الأمر ، فأبوا ومضوا على رأيهم . فأجمعوا على قتله وقتلوه وهو يصلى صلاة الصبح ، وأصبح الناس فأعظموا ذلك ، فأخرجوا كتاب سليمان بذلك ، فلم يقبله أهل الأندلس وولوا عليهم عبد الله بن عبد الرحمن الغافقى .

ولما طعن سليمان أن القوم قد دخلوا الأندلس وفعلوا ما كتب به إليهم ، عزل عبد الله بن موسى عن إفريقية ووطنجة والسوس فى آخر سنة ۹۸ ، وأقبل هؤلاء حتى قدموا على سليمان برأس عبد العزیز ، ثم إن سليمان كشف عن أمر عبد العزیز ، فألقى ذلك باطلا ، وأن عبد العزیز لم يزل صحيح الطاعة مستقيم الطريقة ، فلما تحقق عنده باطل ما رفع إليه عنه ندم ، وأمر بالوفد فأخرجوا ، ولم ينظر فى شيء من حوائجهم ، وأهدر عن موسى بقية القضية التى كان فاضاه عليها .

إلى أبي بكر بن حزم^(۱) : « إن الطالبيين الذين أنجحوا^(۲) ، والتجّار الذين ربحوا ، هم الذين اشتروا الباقي الذي يدوم ، بالفاني المذموم : فاعتبطوا ببيعهم ، وأحمدوا عاقبة أمرهم ، فالله الله وبدئك صحيح ، وقلبك مريح^(۳) ، قبل أن تنقضى أيامك ، وينزل بك حأمك فإن العيش الذي أنت فيه يتقلص ظله ، ويفارقه أهله ، فالسعيد الموفق من أكل في عاجله قصداً ، وقدم ليوم فقره ذخراً ، وخرج من الدنيا محموداً ، قد انقطع عنه علاج أمورها ، وصار إلى الجنة وسرورها . » (الأمالي ۲ : ۱۸۷)

۳۰۶ - عهد سليمان بن عبد الملك لعمر بن عبد العزيز بالخلافة

وعهد سليمان بن عبد الملك بالخلافة من بعده إلى عمر بن عبد العزيز ، ثم إلى يزيد ابن عبد الملك ، وكتب بذلك كتاباً بيده ، وهذا نصه :
« بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من عبد الله سليمان أمير المؤمنين لعمر ابن عبد العزيز ، إني قد وايت بالخلافة من بعدى ، ومن بعد يزيد بن عبد الملك ، فاسمعوا له وأطيعوا ، واتقوا الله ولا تختلفوا فيطمع فيكم . »
(سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي من ۴۸ ، وتاريخ الطبري ۸ : ۱۲۹)

صورة أخرى

وروى ابن قتيبة هذا العهد بصورة أخرى ، وهي :
« بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما عهد به عبد الله سليمان بن عبد الملك أمير المؤمنين وخليفة المسلمين ، عهد أنه يشهد الله عز وجل بالربوبية والوحدانية ، وأن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم ، بعثه إلى محسني عباده بشيراً ، وإلى مذنبهم

(۱) هو أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري ، ولي المدينة من سنة ۹۶ إلى سنة ۱۰۰ في خلافة سليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز - انظر تاريخ الطبري الجزء الثامن ، حوادث السنين من ۹۶ إلى ۱۰۰ ، وصبح الأعشى ج ۴ : س ۲۹۶ - .
(۲) أنجح الرجل : صار ذا نجح بالضم . (۳) أي ذو راحة .

نذيراً ، وأن الجنة والنار مخلوقتان حقاً ، خلق الجنة رحمة لمن أطاعه ، والنار عذاباً لمن عصاه ، وأوجب العفو جوداً وكرماً لمن عفا عنه ، وأن سليمان مقررٌ على نفسه بما يعلم الله من ذنوبه ، وبما تعلمه نفسه من معصية ربه ، مُوجباً على نفسه استحقاق ما خلق من النعمة ، راجياً لنفسه ما خلق من الرحمة ، ووعد من العفو والمغفرة ، وأن المقادير كلها خبرها وشرها من الله^(۱) . وأنه هو الهادي ، لم يستطع أحد من خلق الله لرحمته غواية ، ولا من خلق لعذابه هداية ، وأن الفتنة في القبور بالسؤال عن دينه ونبيه الذي أرسل إلى أمته ، لا منجى من خرج من الدنيا إلى الآخرة من هذه المسألة إلا لمن استثناه عز وجل في علمه . وسليمانُ يسأل الله الكريم بوسع فضله ، وعظيم منته ، الثبات على الحق عند تلك المسألة ، والنجاة من هول تلك الفتنة^(۲) ، وأن الميزان حق يقين ، يضع الموازين القسط^(۳) ليوم القيامة ، فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ، ومن خفت موازينه فأولئك هم الخاسرون ، وأن حوض محمد صلى الله عليه وسلم يوم الحشر والموقف للعرض حق ، وأن عدد آياته^(۴) كنجوم السماء ، من شرب منه لم يظأماً أبداً ، وسليمان يسأل الله بوسع رحمته أن لا يرده عن حوض نبيه عطشان ، وأن أبا بكر وعمر خير هذه الأمة بعد نبينا صلى الله عليه وسلم ، والله يعلم بعدها حيث الخيرُ وفيمن الخير من هذه الأمة ، وأن هذه الشهادة كلها المذكورة في عهده هذا ، يعلمها الله من ميرته وإعلانه وعقد ضميره ، وأنه بها عبد ربه في سالف أيامه وماضي عمره ، وعليها أنه يقين ربه ، وتوفاه أجله ، وعليها يُبعث بعد الموت إن شاء الله ، وأن سليمان كانت له بين هذه الشهادة

(۱) وفي صبح الأعشى : « وأن المقادير كلها خيرها وشرها مقدورة بإرادته ، مكونة بتكوينه ، وأنه الهادي ، فلا مفوى ولا مضل لمن هداه وخلق له رحمة ، وأنه يقين الميت في قبره . . . » .
(۲) وفي صبح الأعشى : « الثبات على ما أسر وأعلن من معرفة حقه وحق نبيه عند مسألة رسله والنجاة من هول فتنة فتانيه ، وبشهادة أن الميزان يوم القيامة حق يقين ، يزن سيئات المسيئين ، وحنان المحسنين ، ليرى عبادة من عظيم قدرته ما أراد من الخير لعباده بما لم يكونوا يحتسبون ، وأن من ثقلت موازينه . . . » .
(۳) القسط : العدل ، مصدر ووصف به للبالغة .
(۴) الآنية والأواني : جمع إناء .

جلایا و سیئات لم یکن له عنها تحیص^(۱) ولا دونها مقصر بالقدر السابق ، والعلم النافذ فی محکم الوحي ، فإن یعرف ویصفح فذلك ما عرف منه قديما ، ونسب إليه حديثا ، وتلك صفته التي وصف بها نفسه في كتابه الصادق ، وكلامه الناطق ، وإن يماقِبُ وینتقم ، فيما قدمت يداه ، وما الله بظلامٍ للعبيد ، وأنى أخرج^(۲) على من قرأ عهدي هذا وسمع ما فيه من حكمة أن ينتهي إليه في أمره ونهيه ، بالله العظيم ، وبمحمد رسوله الكريم ، صلى الله عليه وسلم ، وأن يدع الإحن المضعفة^(۳) ويأخذ بالمكارم المدجنة^(۴) ويرفع يديه إلى السماء بالابتهاال الصحيح ، والدعاء الصريح^(۵) ، يسأله العفو عني والمغفرة لي والنجاة من فزعي والمسألة في قبري ، نعل الودود أن يجعل منكم مجاببة الدعوة بما على من صفحه يعود ، إن شاء الله .

وأن وليّ عهدي فيكم وصاحب أمرى بعد موتى في جندي ورعيتي وخاصتي وعامتي وكل من استخلفني الله عايده واسترعاني النظر في الرجل الصالح عمر بن عبدالعزيز ابن عمي لما بلوت من باطن أمره وظاهره ، ورجوت الله بذلك ، وأردت رضاه ورحمته إن شاء الله ، ثم ليزيد بن عبد الملك من بعده ، فإني ما رأيت منه إلا خيرا ، ولا اطلعت له على مكروه ، وصغار ولدي وكبارهم إلى عمر ، إذ رجوت ألا يألوهم رشداً وصلاحاً ، والله خليفتي عليهم وعلى جماعة المؤمنين والمسلمين ، وهو أرحم الراحمين ، وأقرأ عليكم السلام ورحمة الله ، ومن أبي عهدي هذا وخالف أمرى فالسيف ، ورجوت أن لا يخالفه أحد ، ومن خالفه فهو ضالٌّ مضلٌّ يستعقب^(۶) ، فإن أعتب وإلا فالسيف ، والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله القديم الإحسان .

(الإمامة والسياسة ۲ : ۸۰ ، وصبح الأعشى ۹ : ۳۶۰)

(۱) في صبح الأعشى : « لم يكن له عنها عيود ولا بد ، جرى بها المقدور من الرب ، النافذ إلى إتمام ما حد ، فإن يعف . . . » (۲) التحريج : التضييق .
(۳) الإحن : جم إحنة ، وهي المقد والمضعفة : المديبة للمضعفة .
(۴) المدجنة : أي الثابتة اللازمة ، من أذجن إذا أقام في بيته ولزمه .
(۵) وفي صبح الأعشى : « ويرفع يديه إلى الله بالضمير النوح ، والدعاء الصحيح . والصفح الصريح . . . »

(۶) أي تطلب إليه العتي (كجلى) وهي الرجوع عن الذنب والإساءة ، وأعتبني فلان : ترك ما كنت أجد عليه من أجله ، ورجم إلى ما أراضاني عنه بعد إسقاطه إياي عليه .

خلافة عمر بن عبد العزيز

(سنة ٩٩ - ١٠١)

٣٠٧ - كتاب عدى بن أرطاة والى البصرة

إلى عمر بن عبد العزيز

كتب عدى بن أرطاة والى البصرة إلى عمر بن عبد العزيز :

«من عدى بن أرطاة ، أما بعدُ - أصلح الله أمير المؤمنين - فإن قبلى أناساً من العمال قد اقتطعوا من مال الله عز وجل مالا عظيماً ، لست أرجو استخراجهم من أيديهم إلا أن أمستهم بشيء من العذاب ، فإن رأى أمير المؤمنين - أصلحه الله - أن يأذن لى فى ذلك أفعل^(١) .»

٣٠٨ - رد عمر على كتابه

فأجابه عمر :

«أما بعدُ : فالعجبُ كل العجب من استئذانك إياى فى عذاب بشر ، كأنى لك جنة من عذاب الله ، وكان رضاي عنك يُنجيك من سخط الله عز وجل^(٢) ، فانظر من قامت عليه بيئةٌ عدول فنخذه بما قامت عليه به البيئة ، ومن أقرّ لك بشيء فنخذه

(١) وفى كتاب المراج : «أما بعد ، فإن أناساً قبلنا لا يؤدون ما عليهم من المراج حتى يمسمهم شيء من العذاب .»

(٢) وفى كتاب المراج بعد ذلك : «إذا أتاك كتابى هذا فن أعطاك ما قبله عفواً وإلا فأحلفه ، فوالله لأن يلقوا الله . . . الخ .»

بما أقر به ، ومن أنكر فاستحلفه بالله العظيم وخلَّ سبيله ، وأيمُ الله لأن يلقوا الله عز وجل بخياناتهم أحبُّ إليَّ من أن ألقى الله بدمائهم والسلام .
(سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص ۸۳ ، وكتاب المراج لأبي يوسف ص ۱۴۳)

۳۰۹ - كتاب عدی بن أرطاة إليه

وكتب إليه عدی بن أرطاة :
يا أمير المؤمنين : إني بأرض قد كثرت فيها النعم ، حتى لقد أشفتُ على من قبلي من المسلمين قلةَ الشكر والضعف عنه .

۳۱۰ - رد عمر على كتابه

فكتب إليه عمر .
« إني قد كنتُ أراك أعلمَ بالله ، إن الله لم يُنعمِ على عبد نعمةً فحمدَ الله عليها إلا كان حمدُه أفضلَ من نعمه ، لو كنتَ لاتعرفُ ذلك إلا في كتاب الله المنزل ، قال الله تعالى : « وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ » . وقال الله تعالى : « وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِيمْتُمْ فَأَدْخَلُوهُمْ خَالِدِينَ . وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَّهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَدَبُوا مِن الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ » .

وأي نعمة أفضل من دخول الجنة ؟

وفي رواية العقدي :

فكتب إليه عمر رضي الله عنه :

« إن الله تعالى لم يُنعمِ على قوم نعمةً فحمدوه عليها إلا كان ما أعطوه أكثر

مما أخذوه منه ، واعتبر ذلك بقول الله تعالى : ولقد آتينا داود . . . الآية « فأى نعمة أفضل مما أوتى داود وسليمان ؟ » .

(سيرة عمر لابن الجوزى ص : ۲۳۷ ، والعقد الفريد ۱ : ۸۵)

۳۱۱ - كتاب عدى بن أرطاة إليه

وكتب إليه عدى بن أرطاة :

« أما بعد : فإن الناس قد كثروا في الإسلام ، وخفت أن يقل الخراج » .

۳۱۲ - رد عمر على كتابه

فكتب إليه عمر :

« فهت كتابك ، والله لو ددت أن الناس كلهم أسلموا حتى نكون أنا وأنت حراثين نأكل من كسب أيدينا » .

(سيرة عمر لابن الجوزى ص ۹۹)

۳۱۳ - كتابه إلى عدى بن أرطاة

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عدى بن أرطاة :

« أما بعد : فاسأل الحسن بن أبي الحسن^(۱) : ما منع من قبلنا من الأئمة أن يحولوا بين المجوس وبين ما يجمعون من النساء اللاتي لم يجهن أحد من أهل الملال غيرهم » .

فسأل عدى الحسن ، فأخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قبل من مجوس أهل البحرين الجزية ، وأقرهم على مجوسيتهم ، وعامل رسول الله صلى الله عليه وسلم العلاء بن الحضرمي ، ثم أقرهم أبو بكر ، ثم أقرهم عمر بعد أبي بكر ، وأقرهم عثمان

(كتاب المراج ص ۱۵۶)

بعد عمر .

(۱) هو الحسن البصرى .

۳۱۴ - كتابه إلى عدی بن أرطاة

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عدی بن أرطاة .
« أما بعدُ : فإنه بلغني أن قوما إذا توضَّؤا رُقِعَتْ طِئَسَانٌ^(۱) من بين أيديهم قبل
أن يمتلئوا ، وذلك من زِيٍّ^(۲) الأعاجم أخذوه ، فإذا أتاك كتابي هذا ، فلا ترفعوا
طِئَسَانًا حتى يمتلئوا أو يُفَرِّغَ من آخر القوم » .

(سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص ۸۷)

۳۱۵ - كتابه إلى عدی بن أرطاة

وكتب إلى عدی بن أرطاة :
« أما بعدُ ، فإني كتبتُ إليك بكتب كثيرة أرجو بذلك الخيرَ من الله تعالى والثوابَ
عليه ، وأنهاك فيها عن أمور الحجاج بن يوسف ، وأرغب عنها ، وعن اقتدائك بها ،
فإن الحجاج كان بلاءً وافقَ خطيئةَ قومٍ بأعمالهم ، فبلغ الله عز وجل في مدته ما أحبَّ
من ذلك ، ثم انقطع ذلك وأقبلتُ عافيةُ الله عز وجل ، فلو لم يكن ذلك إلا يوماً واحداً
أو جمعةً واحدةً ، كان ذلك عطاءً من الله عز وجل ، ونهيئتُك عن فعله في الصلاة ، فإنه
كان يؤخرها تأخيراً لا يحِلُّ له ، ونهيئتُك عن فعله في الزكاة ، فإنه كان يأخذها من
غير حَقِّها ، ثم بسىءَ مَواقِعِها ، فاجتنبْ ذلك منه ، واحذر العمل به فإن الله عز وجل
قد أراح منه ، وطهر العباد والبلاد من شره ، والسلام » .

(سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص ۸۸)

(۱) يقال : طست وطس وطسة ، والأخير: بفتح الطاء وكسرهما والجمع طسوس وطسار وطسيس
وطسات . (۲) الزي : الهيئة .

۳۱۶ - كتابه إلى عدی بن أرطاة

وكتب إليه :

« بلغني أنك تستنُّ بسُننِ الحجاج ، فلا تستنَّ بسُننِهِ . فإنه كان يصليَّ الصلاة لغير وقتها ، ويأخذ الزكاة بغير حقها ، وكان لما سوى ذلك أضيع . »
(سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص ۸۸)

۳۱۷ - كتابه إلى عدی بن أرطاة

وكتب إليه :

« أما بعد : فإني كنتُ كتبتُ إلى عمرو بن عبد الله أن يقسم ما وجد بُعْمانَ من عُشور التمر والحلب في فقراء أهلها ، ومن سقط إليها من أهل البادية ، ومن أضافتهُ إليها الحاجةُ والمسكنةُ واقتطاعُ السبيل ، فكتبَ إليَّ أنه سأل عاملك قبْلَه عن ذلك الطعام والتمر ، فذكر أنه قد باعه وحمل إليك ثمنه ، فاردُّ إلى عمرو ما كان حمل إليك عاملك على عُمانَ من ثمن التمر والحلب ليضعه في المواضع التي أمرتُ بها ، ويصرفه فيها إن شاء الله ، والسلام . »
(فتوح البلدان للبلاذري ص ۸۵)

۳۱۸ - كتابه إلى عدی بن أرطاة

وكتب إليه :

« أما بعدُ : فإذا أتاك كتابي هذا فاستتبِ القدرية^(۱) مما دخلوا فيه ، فإن تابوا فخلِّ سبيلهم ، وإلا فأنفهم من ديار المسلمين . » (سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص ۶۸)

(۱) القدرية : فرقة تنكر القدر ، وتعالى في إثبات القدرة للإنسان ، وأول زعمائها معبد بن خالد الجهني ، وكان ممن يجالس الحسن البصري ، فسم من يتهللون في المعصية بالقدر ، فقام بالرد عليهم ، نافياً أن يكون القدر سالباً للاختيار في أفعال العباد ، وتطرف في الدفاع حتى قال عبارته المعروفة : « لا قدر والأمر أنف » بضمين : أي يستأنف استثناءً من غير سابقة قضاء وقدر فسميت جماعته بالقدرية ، ولما بلغ ابن عمر تبرا منه ومن أصحابه ، وقد قتل الحجاج لخروجه مع ابن الأشعث ، وقيل قتل لزندقته .

۳۱۹ - كتابه إلى عدی بن أرطاة

وكتب إليه :

« واعلم أن أحداً لا يستطيع إنقاذ قضايا ما بين الناس حتى لا يبقى منها شيء ،
لا بد أن تستأخِرَ قضايا نيوم الحساب . »

(سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص ۹۵)

۳۲۰ - كتابه إلى عدی بن أرطاة

وكتب إليه :

« أما بعدُ ، فإني أذكرك ليلةً تمخَّضُ بالساعة ، فصباحُ القيامةُ ، يالها
من ليلةٍ ! وَيَا لَهُ من صباحٍ كان على الكافرين عسيراً ! » .

(سيرة عمر لابن الجوزي ص ۱۰۲)

۳۲۱ - كتابه إلى عدی بن أرطاة

وجاء في سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي :

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى بعض عماله :

« أما بعدُ ، فإذا دعيتك قدرتك على الناس إلى ظلمهم ، فاذكرُ قدرةَ الله
عليك في نفاذِ ما تأتي إليهم ، وبقائه ما يوتى إليك . »

(سيرة عمر لابن الجوزي ص ۱۰۱)

وفي خبر آخر :

« أما بعدُ ، فإذا أمكفتك القدرةُ من ظلم العباد ، فاذكرُ قدرةَ الله
عليك ، وذهاب ما تأتي إليهم ، واعلم أنك ما تأتي إليهم أمراً إلا كان زائلاً
عنهم باقياً عليك ، وأن الله تعالى يأخذ للمظلوم من الظالم ، فهما ظلمت من
أحد فلا تظلمنَّ من لا ينتصر عليك إلا بالله عز وجل » .

(سيرة عمر لابن الجوزي ص ۱۰۳ ، ومروج الذهب ۲ : ۱۷۶)

(۱۸ - جبهة رسائل العرب - ثاني)

وفي صبح الأعشى ، والعقد الفريد كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي
ابن أرطاة :

« أما بعد ، فإذا أمكنتك القدرة على المخلوق فاذا ذكر قدرة الخالق عليك ،
واعلم أن مالك عند الله مثل ما للرعية عندك . »

(صبح الأعشى ٦ : ٣٩١ ، والعقد الفريد ١ : ١٤)

وفي رواية أخرى للعقد :

« إذا أمكنتك القدرة على المخلوق فاذا ذكر قدرة الخالق القادر عليك ، واعلم أن
مالك عند الله أكثر مما لك عند الناس . »

(العقد الفريد ٢ : ٢٧٩)

٣٢٢ — كتابه إلى عدي بن أرطاة

وكتب إليه :

« أما بعد ، فإن الدنيا عدوة أولياء الله ، أما أولياء الله فغمّتهم ، وأمة
أعداء الله ففرّتهم . »

(سيرة عمر لابن الجوزي ص ٢٢٢)

٣٢٣ — كتابه إلى عدي بن أرطاة

وكتب إليه :

« أما بعد : فإنك غرّرتني بعمامتك السوداء ، ومجالستك القراء ، وإرسالك
العمامة من ورائك ، وإنك أظهرت لي الخير فأحسنت بك الظن ، وقد أظهر الله
ما كنتم تكتمون ، والسلام . »

(سيرة عمر لابن الجوزي ص ١٠١)

۳۲۴ - كتابه إلى عدي بن أرطاة

وكتب إليه :

« أما بعدُ : فإنك لن تزال تُعني ^(١) إلى رجلا من المسلمين في الحر والبرد يسألني عن السنّة ، كأنك إنما تُعظمني بذلك ، وإيمُ الله لحسبك بالحسن ^(٢) ، فإذا أتاك كتابي هذا فسَل الحسن لي ولك وللمسلمين ، فرحِم الله الحسن فإنه من الإسلام بمنزل ومكان ولا تُقرئنه كتابي هذا » .

(سيرة عمر لابن الجوزي ص ۱۰۱)

۳۲۵ - كتابه إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن والى الكوفة

ويروى أن بلال بن أبي بريدة ^(٣) وقد على عمر بن عبد العزيز بخناصرة ، فسَدِكَ ^(٤) بسارية من المسجد ، فجعل يصلي إليها ويُدِيم الصلاة ، فقال عمر بن عبد العزيز للعلاء ابن المغيرة بن البندار : إن يكن سيرُ هذا كعلائنيته ، فهو رجلُ أهلِ العراق غيرَ مُدافعٍ ، فقال العلاء : أنا آتيك بخبره ، فأناه وهو يصلي بين المغرب والعشاء ، فقال : اشفع ^(٥) صلاتك ، فإن لي إليك حاجةٌ ففعل ، فقال له العلاء : قد عرّفتَ حالي من أمير المؤمنين ، فإن أنا أشرتُ بك على ولاية العراق فما تجعلُ لي ؟ قال : لك عُمّاتي ^(٦) سنّة .. وكان مبلغها عشرين ألفَ ألفِ درهم - قال : فاكتب لي بذلك ، فارقد ^(٧) بلالُ إلى منزله ، فأتى بدواة وصحيفة ، فكتب له بذلك ، فأتى العلاءُ عمرَ بالكتاب ، فلما رآه كتب إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب - وكان والي الكوفة - :

(١) عناه : أتعبه . (٢) يعني الحسن البصري .

(٣) هو بلال بن أبي بريدة عامر بن أبي موسى الأشعري .

(٤) سدك به : لزمه ، والماربة . الأطلوانة من حجارة أو آجر وجمعها السواري .

(٥) أي اجعلها شفعا : أي ركتين لا أربعاً والمراد خفف صلاتك وعجل .

(٦) العمالة مثلثة العين : أجر العامل . (٧) ارقد : أسرع .

« أما بعدُ : فإنِ بِلَا لَّا غَرَّنا بِاللَّهِ ، فَكَيْدًا نَفَعَتْ ، فَسَبَّكُنَّاهُ فوجدناه خَبِيثًا (۱) كُله ، والسلام » .

ويروى أنه كتب إلى عبد الحميد : « إذا ورد عليك كتابي هذا فلا تستعِنْ على عمالك بأحدٍ من آلِ أبي موسى » . (الكامل للبرد ۱ : ۲۱۷)

۳۲۶ - كتابه إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن :

« كتبتَ إلىَّ تسألني عن أناس من أهلِ الحيرة ، يُسَلِّمون من اليهود والنصارى والمجوس ، وعليهم جزية عظيمة ، وتستأذني في أخذ الجزية منهم ، وإن الله جلَّ ثناؤه بعث محمداً صلى الله عليه وسلم داعياً إلى الإسلام ، ولم يبعثه جانياً ، فمن أسلم من أهل تلك الممالِ فعليه في ماله الصدقة ، ولا جزية عليه ، وميراثه لذوي رَحْمِهِ إذا كان منهم ، يتوارثون كما يتوارث أهل الإسلام ، وإن لم يكن له وارث فميراثه في بيت مال المسلمين الذي يُقسَم بين المسلمين ، وما أحدث من حدث ففي مال الله الذي يقسم بين المسلمين يُعْقَل (۲) عنه منه ، والسلام » . (كتاب المراج س ۱۵۷)

۳۲۷ - كتابه إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن :

« من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى عبد الحميد :

سلام عليك ، أما بعدُ : فإنِ أهل الكوفة قد أصابهم بلاءٌ وشِدَّةٌ وجَوْرٌ في أحكام الله وسننٍ خبيثةٍ استغفها عليهم عمالُ السوء ، وإن قوام الدين العدل والإحسان ، فلا يكونن شيء أدم إليك من نفسك أن توطنها لطاعة الله ، فإنه لا قائل من الإثم ،

(۱) خبث الحديد وغيره : مانقاه الكبير .

(۲) عقْل عنه : أدى جنايته ، وعقل القليل : وداه ، أي دفع ديته .

ولا تحمِلْ خَرَاباً على عامر ، ولا عامراً على خراب ، وانظر الخرابَ فإن أطلق شيئاً فخذ منه ما أطلق ، وأصلحُه حتى يعمُر^(۱) ، ولا يؤخذ من العامر إلا وظيفة الخراج ، في رفق وتسكين لأهل الأرض ، ولا تأخذَنَّ في الخراج إلا وزن سبعة^(۲) ليس فيها تبر^(۳) ولا أجور الضَّرابين ، ولا إذابة الفضة ، ولا هدية النيروز والمهرجان^(۴) ، ولا ثمن الصُّحُف ، ولا أجور الفيوج^(۵) ، ولا أجور البيوت ، ولا دراهم النكاح ، ولا خراج على من أسلم من أهل الأرض ، فاتَّبِع في ذلك أمرى ، فإنى قد ولَّيتك من ذلك ما ولَّانى الله ، ولا تعجِّلْ دونى بقطع ولا صلِّب حتى تراجعنى فيه ، وانظر من أراد من الذرية أن يحجَّ فعجِّلْ له مائة يحجَّ بها والسلام .

(تاريخ الطبرى ۸ : ۱۳۹ ، وصبرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزى ص ۹۴ ،
وكتاب الخراج ص ۱۰۲)

(۱) عمر المكان كنصر وكرم وسم .

(۲) وذلك أن الدراهم في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه كانت مختلفة، فمنها ما كان وزن عشرة دراهم منه على وزن عشرة مثاقيل ، ومنها ما وزن العشرة منه على وزن ستة مثاقيل ، ومنها ما وزن العشرة منه على وزن خمسة مثاقيل ، فاختلف أصحاب الأموال وعمال بيت المال ، فأراد الأولون أن يؤدوها من النوع الثالث، وأبى الآخرون أن يأخذوها إلا من النوع الأول، فجمع عمر رضى الله عنه الأنواع الثلاثة وأخذ ثلثها فكان سبعة ، فصار المعتد من ذلك الوقت أن وزن عشرة دراهم سبعة مثاقيل في كل المقدرات الشرعية، حتى في الزكاة ونصاب السرقة والمهر وتقدير الديات، منعا للخصومة في المعاملة - انظر حاشية ابن عابدین على الدرر ج ۲ : ص ۲۸ وشرح العناية على الهداية، وشرح فتح القدير ج ۱ : ص ۲۱۵ وفتوح البلدان للبلاذرى ص ۴۷۱ .

(۳) في الطبرى «ليس لها آيين» وهو تحريف، والصواب «تبر» كما في كتاب الخراج لأبى يوسف وذلك لأن التبر أخف وزناً ، وأما الآيين فهو العادة . جاء في شفاء الغليل ص ۱۶ : الآيين ، العادة ، وأصل معناه السياسة المسيرة بين فرقة عظيمة ، أعجمى عربيه المولدون . قال مهيبار :
يجمع الحرير حولاً أمره وهو لم يأخذ لها آيينها

(راجع ديوان مهيبار الديلمى ج ۴ : ص ۱۳۲ ، والحرير كسكيرة الدليل الحاذق ، والضمير ولها يهود على «وفلاة» في بيت سابق) وفي الكشاف في قصة سليمان في سورة النمل : أنه أشير على الإسكندر بالبيات فقال : ليس من آيين الملوك اسزاق الظفر - انظر ج ۲ : ص ۱۴۷ .

(۴) النيروز : اسم أول يوم من السنة، وهو عند الفرس عند نزول الشمس أول الحمل، وعند القبط أول توت ، معرب نوروز أى اليوم الجديد ، والمهرجان : عيد للفرس عند نزول الشمس أول الميزان وهي مركبة من كلمتين : مهر ، وجان . ومعناها محبة الروح .

(۵) الفيوج جمع فيج بالفتح ، وهو رسول السلطان الذى يسعى بالسكتب .

۳۲۸ - کتاب عبد الحمید بن عبد الرحمن إليه

وكتب عبد الحمید بن عبد الرحمن إلى عمر :
« إن رجلاً شتمك فأردت أن أقتله »

۳۲۹ - رد عمر عليه

فكتب إليه :

« لو قتلته لأقذتُك^(۱) به ، فإنه لا يُقتل أحد يشتم أحداً إلا رجل شتم نبياً » .

(العقد الفريد ۲ : ۲۷۹)

۳۳۰ - كتابه إلى عبد الحمید بن عبد الرحمن

وروى صاحب العقد أيضاً قال :

وكان عمر بن عبد العزيز يكتب إلى عبد الحمید بن عبد الرحمن عامله على المدينة
في المظالم فيرادُه فيها ، فكتب إليه :

« إنه يخيل لي أني لو كتبتُ لك أن تُعطى رجلاً شاة^(۲) لكتبتَ إلىَّ : أذكر
أم أنثى ؟ ولو كتبتُ إليك بأحدهما ، لكتبتَ إلىَّ : أصغيرة أم كبيرة ؟ ولو كتبتُ
بأحدهما ، لكتبتَ : أضائفة أم معزى ؟ فإذا كتبتُ إليك فنفذ ولا تردَّ عليَّ ، والسلام »

(العقد الفريد ۲ : ۲۷۹)

۳۳۱ - كتابه إلى صالح بن عبد الرحمن وصاحبه

وكتب صالح بن عبد الرحمن^(۳) وصاحب له - وكانا قد ولّاهما عمر شيئاً من
أمر العراق - يعرضان له أن الناس لا يصلحُهم إلا السيفُ ، فكتب إليهما :

(۱) أقاد الفائز بالقتيل : قتله به . (۲) الشاة الواحدة من الغنم للذكر والأنثى ، أو يكون
من الضأن والمعز والظباء والبقر والنعام وحر الوحش ، والمرأة أيضاً .
(۳) هو مولى بني تميم ، وكان على خراج العراق في خلافة سليمان بن عبد الملك .

« خَبِيثِينَ مِنَ الْخَبِيثِ (۱) ، رَدِيثِينَ مِنَ الرَّدِيِّ ، تَعَرَّضَانِ لِي بِدِمَاءِ الْمُسْلِمِينَ !
مَا أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ إِلَّا وَدِمَاؤُكَ يَا أَهْوَنُ عَلَيَّ مِنْ دَمِهِ » .

(سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص ۹۱)

۳۳۲ - كتابه إلى ابن أبي الفرات

وقال مبشراً أو يزيد بن أبي الفرات : كنت عاملاً لعمر بن عبد العزيز ، فكنت
أختم على بيادر^(۲) أهل الذمة ، فجاءني كتاب عمر بن عبد العزيز أن : « لا تفعل ،
فإنه بلغني أنها كانت من صنائع الحجاج ، وأنا أكره أن أتأسي^(۳) به » .

(سيرة عمر لابن الجوزي ص ۸۸)

۳۳۳ - كتابه إلى ميمون بن مهران عامله بالجزيرة

واستعمل عمر بن عبد العزيز ميمون بن مهران على الجزيرة - على قضائها وعلى
خراجها - فكتب إليه ميمون يستعفيه وقال : كَلَّفَتْنِي مَا لَا أُطِيقُ ، أَقْضِي بَيْنَ النَّاسِ
وَأَنَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ضَعِيفٌ رَقِيقٌ ! فكتب إليه :

« اجِبِ الْخَرَاجَ الطَّيِّبَ ، واقضِ بما استبانَ لك من الحق ، فإذا التبسَ عليك
أمر فارفعه إلى ، فإن الناس لو كانوا إذا ثقلَ عليهم أمرٌ تركوه ، ما قام لهم دين
ولا دنيا » .

(سيرة عمر لابن الجوزي ص ۹۹ ، وكتاب الخراج ص ۱۲۷)

وفي خبر آخر أن ميمون بن مهران كتب إليه يستعفيه من الخراج فكتب
إليه عمر :

« يا ابن مهران ، إني لم أكلفك بغيراً في حكمك ولا في جبايتك ، فأجب
حاجبتك من الحلال ، ولا تجمع للمسلمين إلا الحلال الطيب » .

(سيرة عمر لابن الجوزي ص ۹۹)

(۱) خبث الحديد وغيره : ما نفاه الكبير .

(۲) يادر جمع ييدر كصريف ، وهو الموضع الذي تداس فيه الحبوب . (۳) أى اقتدى .

۳۳۴ - كتابه إلى أمير الجزيرة

وكتب إلى أمير الجزيرة ، فكان فيما كتب إليه :

« وكن لما ولأك الله أمره ناصحاً فيما تريب عليهم من أمورهم ، سائراً لما استطعت من عوزاتهم ، إلا شيئاً أبداه الله لا يصلح ستره ، وتمسك نفسك عنهم إذا غضبت وإذا رضيت ، حتى يكون ذلك فيما بينك وبينهم مستويًا حسنًا جميلًا ، لا تبتغين لحق أدبته إليهم ولا تلخير سددهم له ، منهم حظاً ولا مذبحة ، وليكن ذاك لمن لا يعطى الخير إلا هو ، ولا يعرض السوء إلا هو ، واغتنم كل يوم ليلة مضت عليك وأنت سالم . »

(سيرة عمر لابن الجوزي ص ۹۸)

۳۳۵ - كتابه إلى أمير الجزيرة

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى أمير الجزيرة :

« أما بعد ، فإن ناساً من الناس قد التمسوا بعمل الآخرة الدنيا ، وإنما مصيرهم وعرجهم إلى الله بعد الموت ، وقد بلغني أن ناساً من القصاص قد أحدثوا الصلاة على أمراءهم عدل^(۱) ما يصلون على النبي صلى الله عليه وسلم ، فإذا جاءك كتابي هذا فمر القصاص فليجعلوا صلاتهم على النبي صلى الله عليه وسلم خاصة ، وليكن دعاؤهم للمؤمنين والمسلمين عامة ، وليدعوا ما سوى ذلك ، والسلام . »

(سيرة عمر لابن الجوزي ص ۲۳۶)

۳۳۶ - كتابه إلى يحيى بن يحيى تنامله بالموصل

عن يحيى بن يحيى الفسائي قال :

لما ولاني عمر بن عبد العزيز الموصل ، قدمتها فوجدتها من أكثر البلاد سرقاً ونقباً ، فكتبت إلى عمر أعلمه حال البلد ، وأسأله أخذ الناس بالظنفة وأضربهم على

(۱) العدل : المثل والنظير .

الثَّهْمَةَ ، أَوْ آخِذُهُم بِالْبَيْئَةِ وَمَا جَرَتْ عَلَيْهِ السُّنَّةُ ؟ فَكُتِبَ إِلَيَّ أَنْ : « خذ الناس بالبيئَةِ
وما جرت عليه السُّنَّةُ ، فَإِنْ لَمْ يُصْلِحْهُمْ الْحَقُّ فَلَا أُصْلِحْهُمْ اللَّهُ » .
قال يحيى . ففعلت ذلك فما خرجتُ من الموصل حتى كانت من أصلح البلاد وأقلها
سَرَقًا وَنَقْبًا . (سيرة عمر لابن الجوزي ص ۹۷)

۳۳۷ - كتابه إلى جماعة من الحرورية^(۱)

وقال يحيى بن يحيى الغساني أيضاً : بلغني أن ناساً من الحرورية جمعوا بناحية من
الموصل فكتبتُ إلى عمر بن عبد العزيز أعلمه بذلك ، فكتب إليَّ بأمرني أن أُرْسِلَ
إليَّ منهم رجلاً من أهل الجدل ، وأعطيتهم رهناً وخذ منهم رهناً ، وأحملهم على مراكب
البريد إليَّ ، ففعلتُ ذلك ، فقدموا عليه فلم يدع لهم حُجَّةً إلا كسرَها ، فقالوا . لسنا
نُجيبك حتى تكفر أهل بيتك وتلعنهم وتبرأ منهم ، فقال عمر : إن الله لم يجعلني كعائناً ،
ولكن إن أبقَ أنا وأنتم فسوف أُحْلِمكم وإياهم على الحجَّة البيضاء ، فأبوا أن يقبلوا
ذلك منه ، فقال لهم عمر : إنه لا يسعكم في دينكم إلا الصدق ، مُنذُكم دِنْتُمُ الله
بهذا الدين ؟ قالوا : منذ كذا وكذا سنة ، قال : فهل كعنتم فرعون وتبرأتم منه ؟
قالوا : لا ، قال : فكيف وسيعكم ترزكه ؟ ألا يسعني تركُ أهل بيتي ، وقد كان فيهم
الحسنُ والمسيءُ ، والمصيبُ والمخطيءُ ؟ قالوا : قد بلغنا ما هاهنا ، فكتب إليَّ عمر أن
خُذ مَنْ فِي أَيْدِيهِمْ مِنْ رَهْنِكَ - يعني ودع من في يدك من رهنهم - وإن كان رأيُ
القوم أن يسبحوا في البلاد على غير فساد على أهل الذمة ، ولا تناول أحدٍ من الأمة ،
فليذهبوا حيث شاءوا ، وإن هم تناولوا أحداً من المسلمين وأهل الذمة فحاشاكمم إلى الله ،
وكتب إليهم :

(۱) الحرورية من أسماء الخوارج ، سماهم بذلك الإمام على كرم الله وجهه ، نسبة إلى حروراء - قرية
بظاهر الكوفة - وكانوا قد نزلوها حين اعتزلوه بمد رجوعه من صفين .

« بسم الله الرحمن الرحيم : من عبد الله عمر بن عبد العزيز أمير المؤمنين إلى العصابة الذين خرجوا ، أما بعد ، فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو أما بعد ، فإن الله يقول : اذع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله ، وهو أعلم بالمهتدين » وإني أذكركم الله أن تفعلوا كفضل كبرائكم « الذين خرجوا من ديارهم بطراً ورءاء^(۱) الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط » أفبذني تخرجون من دينكم ، وتسفكون الدماء ، وتنتهكون المحارم ؟ ولو كانت ذنوب أبي بكر وعمر مخرجة رعيتهما من دينهم كانت لهما ذنوب ، فقد كانت آباؤكم في جماعتهم ، فلم ينزعوا ، فما ينزعكم من المساهين وأنتم بضعة وأربعون رجلاً ؟ وإني أقسم لكم بالله لو كنتم أبكارى من ولدى فوليتم عما أدعوكم إليه من الحق ، لدقت دماءكم ، ألتس بذلك وجه الله والدار الآخرة ، فهذا النصح ، فإن استغشتموني فديماً ما استغش الناصحون .
(سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزى ص ۷۷)

۳۳۸ - كتابه إلى يحيى بن يحيى

فأبوا إلا القتال ، وحلّقوا رموسهم ، وساروا إلى يحيى بن يحيى ، فاتاهم كتاب عمر ، ويحيى بن يحيى موافقهم للقتال .

« من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى يحيى بن يحيى :

أما بعد : فإني ذكرت آية في كتاب الله . « وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ » . وإن من العدوان قتل النساء والصبيان ، فلا تقتلن امرأة ولا صبياً ، ولا تقتلن أسيراً ، ولا تطلبن هارباً ، ولا تجهزن على جريح إن شاء الله .
(سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزى ص ۷۸)

(۱) راه راه مرآة وراثا : آراء خلاف ما هو عليه .

۳۳۹ - كتابه إلى أبي بكر بن حزم عامله بالمدينة

وكتب إلى أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، عامله على المدينة :
« أما بعدُ : فإنك كتبتَ إلى سليمان كُتُبًا لم ينظرُ فيها حتى قبِضَ رَحْمَهُ اللهُ ،
وقد بليتُ بجوابك فاسمعُ : كتبتَ إلى سليمان تذكُرُ أَنَّهُ يُقَطِّعُ أَعْمَالَ المدينة من
بيت مال المسلمين لِشَمَنِ شَمَعٍ^(۱) كانوا يستضيفون به حين يخرجون إلى صلاة العشاء
وصلاة الفجر ، وتذكُرُ أَنَّهُ قد نَفِدَ الذي كان يُستضاءُ به ، وتَسألُ أَن يُقَطِّعَ لك من
ثمنه بمثل ما كان للأعمال ، وقد عهدتُك وأنت تخرجُ من بيتك في الليلة المظلمة الماطرة
الوَاحِلَةَ بغيرِ سِرَاجٍ ، ولَعَمْرِي لَأنت يومئذٍ خيرٌ منك اليومَ والسلام .
وفي رواية أخرى أَنه كتب إليه :

« أما بعدُ فقد قرأتُ كتابك الذي كتبتَ به إلى سليمان بن عبد الملك ، وكنتُ
للمبتلى بالنظر فيه دُونَهُ ، كتبتَ تسأله أَن يَقَطِّعَ لك من انشَمَعَ مِثْلَ الذي كان يَقَطِّعُ
لَمَن قَبْلَكَ وتذكُرُ أَن الشمعَ الذي قبلك قد نَفِدَ ، ولعمري قد طالما رأيتُك تخرجُ من
منزلك إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في الليلة المظلمة الواحِلَةَ بغيرِ ضِيَاءٍ ،
ولعمري لَأنت يومئذٍ خيرٌ منك اليومَ ، والسلام عليك ، وكتبتَ تسأله أَن يَقَطِّعَ لك
شيئًا من القراطيس مثل الذي كان يَقَطِّعُ لَمَن قبلك ، فأدِقْ قلمك ، وقَارِبْ بين
سُطورك ، واجمع حوائجك ، فإنِّي أكرهُ أَن أُخْرِجَ من أموال المسلمين مالا ينتفعون به ،
والسلام . (سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص ۸۱)

۳۴۰ - كتاب ابن حزم إليه

وكتب أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم إلى عمر بن عبد العزيز :
« سلام عليك ، أما بعدُ : فإن أشياخًا من الأنصار قد بلغوا أسنانا ، ولم يبلغوا

(۱) الشمع محرّكة وتشكين الميم مولد .

الشَّرَفَ مِنَ الْعَطَاءِ ، فَإِنْ رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَبْلُغَ بِهِمُ الشَّرَفَ مِنَ الْعَطَاءِ ،
فَلْيَفْعَلْ .

۳۴۱ - كتاب ابن حزم إليه

وكتب إليه في صحيفة أخرى :

« سلام عليك : أما بعدُ ، فَإِنْ كَانَ قَبْلِي مِنْ أَمْرَاءِ الْمَدِينَةِ يَجْرِي عَلَيْهِمْ رِزْقٌ
مِنْ شَمْعِهِ ، فَإِنْ رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَأْمُرَ لِي بِرِزْقٍ مِنْ شَمْعِهِ فَلْيَفْعَلْ . »

۳۴۲ - كتاب ابن حزم إليه

وكتب إليه في صحيفة أخرى :

« سلام عليك : أما بعدُ ، فَإِنْ بَنَى بَنِي عَبْدِ بْنِ النَّجَّارِ أَخْوََالَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَسْجِدَهُمْ ، فَإِنْ رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَأْمُرَ لَهُمْ بِنِيبَاتِهِ فَلْيَفْعَلْ . »
(سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص ۸۲)

۳۴۳ - رد عمر على كتب بن حزم

فأجابه عن هؤلاء الصحائف الثلاث بحواب واحد في صحيفة واحدة :

« سلام عليك : أما بعدُ ، جَاءَنِي كِتَابُكَ تَذَكُّرٌ أَنْ أَشْيَاخًا مِنَ الْأَنْصَارِ قَدْ بَلَّغُوا
أَسْنَانًا ، وَلَمْ يَبْلُغُوا الشَّرَفَ مِنَ الْعَطَاءِ ، وَإِنَّمَا الشَّرَفُ شَرَفُ الْآخِرَةِ فَلَا أَعْرِفَنَّ
مَا كَتَبْتَ بِهِ إِلَيَّ فِي نَحْوِ هَذَا . »

وَجَاءَنِي كِتَابُكَ تَذَكُّرٌ أَنْ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ مِنْ أَمْرَاءِ الْمَدِينَةِ كَانَ يَجْرِي عَلَيْهِمْ
رِزْقٌ مِنْ شَمْعِهِ ، وَلِعَمْرِي يَا بَنَ أُمَّ حَزْمٍ لَطَالَمَا مَشَيْتَ إِلَى مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الظُّلْمَةِ ، لَا يُمَشَى بَيْنَ يَدَيْكَ بِالشَّمْعِ ، وَلَا يُوجِفُ (۱) خَلْفَكَ أَبْنَاءُ الْمُهَاجِرِينَ
وَالْأَنْصَارِ ، فَارْضَ لِنَفْسِكَ الْيَوْمَ مَا كُنْتَ تَرْضَى بِهِ قَبْلَ الْيَوْمِ .

(۱) وجف الفرس والبعير : عدا ، وأوجفته : أعديته .

وجاءني كتابك تذكر أن بني عدى بن النجار أخوال رسول الله صلى الله عليه وسلم انهدم مسجدهم ، وقد كنت أحب أن أخرج من الدنيا لم أضع حجراً على حجر ولا لبنة على لبنة ، فإذا أنك كتابي هذا فابنه لهم بلدين بناءً قصداً^(۱) والسلام عليك .
(سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص ۸۳)

۳۴۴ - كتابه إلى ابن حزم

وكتب إلى أبي بكر بن حزم كتاباً يقول فيه :
« إني نظرت في أمر « فذك^(۲) » فإذا هو لا يصلح ، فرأيت أن أردّها إلى

(۱) القصد : ضد الإفراط كالإقتصاد .

(۲) فذك : قرية بخير فيها عين ونخل كثير ، بينها وبين المدينة يومان ، أفاءها الله على رسوله صلى الله عليه وسلم سنة سبع صلحاً ، فكانت خالصة له ينفق ما يأتيه منها في أبناء السبيل ، فلما قبض عليه الصلاة والسلام جاءت فاطمة رضي الله عنها أبا بكر رضي الله عنه تطلب ميراثها من أبيها ، وهو أرضه من فذك وسهمه من خير ، فقال لها أبو بكر : أما إني سمعت رسول الله يقول : نحن معاشر الأنبياء لانورث ، ما تركنا فهو صدقة ، إنما يأكل آل محمد من هذا المال ، وإني والله لا أدع أمراً رأيت رسول الله يصنعه إلا صنعته ، فهجرت فأنمة فلم تكلمه في ذلك حتى ماتت ، وروى أنه قال لها سمعت رسول الله يقول : إنما هي طعمة أطعمتها الله تعالى حياتي ، فإذا مت فهي بين المسلمين ، وروى أيضاً أنها قالت له : إن رسول الله جعل لي فذك فأعطني إياها . وشهد لها علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فسأها شاهداً آخر ، فشهدت لها م أيمن مولاة رسول الله ، فقال : قد علمت يا بنت رسول الله أنه لا يجوز إلا شهادة رجلين أو رجل وامرأتين فانصرفت ، كما روى أيضاً أن فاطمة سألت أباها أن يهبها لها فأنى وقال : ما كان لك أن تأبيني وما كان لي أن أعطيك .

ثم أدى اجتهاد عمر بن الخطاب لما ولي الخلافة وفتحت الفتوح واتسعت على المسلمين أن يردوا إلى ورتة رسول الله ، فكان علي بن أبي طالب والعباس بن عبد المطلب يتنازعان فيها ، فكان علي يقول : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعلها في حياته لفاطمة ، وكان العباس يأبي ذلك ويقول : هي ملك رسول الله وأنا وارثه ، فكانا يتخاصمان إلى عمر ، فيأبى أن يحكم بينهما ويقول : أتأمر بشأنكما ، أما أنا فقد سلمتها إليكما ، وقيل إنه لما قبض عليه السلام فعل أبو بكر وعمر وعثمان وعلي في فذك مثل فعله من وضع ما يأتي منها في أبناء السبيل .

فلما ولي معاوية ولي مروان بن الحكم المدينة ، فكتب إلى معاوية بطلب فذك ، فأقطعه إياها ، فكانت بيد مروان يبيع تمرها كل سنة بعشرة آلاف درهم ، ثم نزع مروان فذرها من يده ، فكانت بيد وكيله بالمدينة ، فلما ولي مروان المدينة المرة الأخيرة ، ردها عليه ، فأعطى ابنه عبد الملك نصفها وابنه عبد العزيز نصفها ، ثم صارت إلى الوليد وسليمان ابني عبد الملك وإلى عمر بن عبد العزيز ، وطلب عمر إلى الوليد حصته فوهبها له ، وسأل سليمان حصته فوهبها له أيضاً . فاستجمعها عمر ، وولي الخلافة وما يقوم به وبماله لإلهي =

ما كانت عليه في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان، فأقبضها
وولَّها رجلاً يقوم فيها بالحق، وسلام عليك .

(سيرة عمر لابن الجوزي ص ۱۱۰)

۳۴۵ - كتابه إلى أمير مكة

وكتب إلى أمير مكة :

« لاتدع أهل مكة يأخذوا على بيوت مكة أجراً، فإنه لا يحمل لهم . »

(سيرة عمر لابن الجوزي ص ۹۴)

۳۴۶ - كتابه إلى عروة بن محمد عامله باليمن

وكتب إلى عروة بن محمد عامله على اليمن :

« أما بعد ، فإني أكتب إليك أمرك أن تردَّ على المسلمين مَظالِمهم ، وتراجعني ،
وأنت تعرفُ بُعدَ مسافة ما بيني وبينك ، ولا تعرفُ أخذاتِ الموتِ حتى لو كتبتُ

تغل كل سنة عشرة آلاف أو أقل أو أكثر ، وما كان له مال أحب إليه منها ، فسأل عنها فأخبر بما كان
من أمرها ، فخطب الناس وقص قصة فدك ثم قال : وإني أشهدكم أني قد رددتها إلى ما كانت عليه على عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان وعلى ، وكتب إلى أبي بكر بن حزم الكتاب المذكور ،
فكان يأخذ مالها فيخرجه في أبناء السبيل .

وروى أن عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة كتب إلى عامله بالمدينة يأمره برد فدك إلى ولد فاطمة
رعى الله عنها ، فكانت في أيديهم في أيامه ، فلما ولي يزيد بن عبد الملك قبضها فلم تزل في أيدي بني أمية ،
حتى ولي أبو العباس السفاح الخلافة ، فدفعها إلى الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، فكان هو الذي
عليها يفرقها في بني علي بن أبي طالب ، فلما ولي المنصور وخرج عليه بنو الحسن قبضها عنهم ، فلما ولي المهدي
الخليفة أعادها عليهم ، ثم قبضها منهم موسى الهادي ومن بعده إلى أيام المأمون ، فجاء رسول بني علي بن
أبي طالب فطالب بها فأمر أن يسجل لهم بها ، فكتب السجل وقرئ على المأمون فقام دعبل الشاعر فأشهد :

أصبح وجه الزمان قد ضحكنا برد مأمون هاشم فدكا

فلما استخلف المتوكل ردها إلى ما كانت عليه في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، انظر معجم
البلدان لياقوت الحموي ج ۶ : ص ۲۴۲ وتاريخ الطبري ج ۳ : ص ۲۰۲ ، وسيرة عمر بن عبد العزيز لابن
الجوزي ص ۱۱۰ والعقد الفريد ج ۲ : ص ۲۷۹ وفتوح البلدان للبلاذري ص ۳۶ ، وفصلاطويلا في شرح
ابن أبي الحديد م ۴ من ص ۸۷ إلى ص ۱۰۶ .

إليك : « اردد على مسلم مظلمة » لكتبت إلى : أردها عفرَاء^(۱) أو سوداء؟
« انظر أن ترد على المسلمين مظلهم ولا تراجعني » .

(سيرة عمر لابن الجوزي ص ۹۷)

۳۴۷ - كتابه إلى عامله باليمن

وبعث عمر بن عبد العزيز بآل أبي عقيل - أهل بيت الحجاج - إلى صاحب اليمن
وكتب إليه :

« أما بعد ، فإنني قد بعثت إليكم بآل أبي عقيل ، وهم شر بيت في العرب ،
ففرقتهم في عملك على قدر هوانهم على الله ، وعايينا وعليك السلام » .

(سيرة عمر لابن الجوزي ص ۹۰)

۳۴۸ - كتاب وهب بن منبه إلى عمر

وكان وهب بن منبه على بيت مال اليمن ، فكتب إلى عمر بن عبد العزيز .
« إني فقدت من بيت مال المسلمين ديناراً » .

۳۴۹ - رد عمر على كتابه

فكتب إليه :

« إني لا أتهم دينك ولا أمانتك ، ولكن أتهم تضييعك وتفريطك ، وأنا
حجيج^(۲) المسلمين في أموالهم ، ولأخسهم عليك أن تحلف والسلام » .

(سيرة عمر لابن الجوزي ص ۸۵)

(۱) وصف من العفرة بالضم ، وهي بياض يعلوه حمرة .

(۲) أي القائم بحجتهم ، يقال : حاججته فأنا حاج وحجيج .

۳۵۰ - كتابه إلى والى حمص

وكتب إلى والى حمص :

« انظر إلى القوم الذين نصبوا أنفسهم للفقير ، وحبسوها في المسجد عن طلب الدنيا ، فأعطى كل رجل منهم مائة دينار ، يستعينون بها على ما هم عليه ، من بيت مال المسلمين ، حين يأتيك كتابي هذا ، وإن خير الخیر أعجله ، والسلام عليك » .
وفي خبر آخر أنه كتب إليه أن : « مر لأهل الصلاح من بيت المال بما يُغنيهم ، لئلا يشغلهم شيء عن تلاوة القرآن وما أحلوا من الأحاديث » .

(سيرة عمر لابن الجوزي ص ۱۰۳)

۳۵۱ - كتابه إلى عامله بإفريقية

وكتب إليه عامل إفريقية يشكو إليه الهوام والعقارب ، فكتب إليه :

« وما على أحدكم إذا أمسى وأصبح أن يقول ؟ : « وما لنا أن لا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون » .
(سيرة عمر لابن الجوزي ص ۹۵)

۳۵۲ - كتابه إلى يزيد بن المهلب عامل خراسان

وكتب عمر بن عبد العزيز حين ولي الخلافة إلى يزيد بن المهلب :

« أما بعد ، فإن سليمان كان عبداً من عبيد الله ، أنعم الله عليه ، ثم قبضه واستخلفني ، ويزيد بن عبد الملك من بعدى إن كان ، وإن الذي ولاني الله من ذلك وقد رلى ليس على بهين ، ولو كانت رغبتى في اتخاذ أزواج واعتقاد^(۱) أموال ، كان في الذي أعطاني من ذلك ما قد بلغ بي أفضل ما بلغ بأحد من خلقه ، وأنا أخاف فيما

(۱) اعتقاد : اقتناء .

ابتليت به حساباً شديداً ومسألة غليظة ، إلا ما عافى الله ورحم ، وقد بايع من قبلنا فبايع من قبلك .

فلما قدم الكتاب على يزيد بن المهلب ألقاه إلى أبي عيينة ، فلما قرأه قال : لست من عماله ، قال : ولم ؟ قال ليس هذا كلام من مضى من أهل بيته ، وليس يريد أن يسلك مسلكهم ، فدعا الناس إلى البيعة فبايعوا ثم كتب عمر إلى يزيد : « استخلف على خراسان وأقبل » فاستخلف ابنه مخلداً .

(تاريخ الطبري ۸ : ۱۳۸)

۳۵۳ - كتاب الجراح بن عبد الله عامل خراسان

إلى عمر بن عبد العزيز

وولى عمر بن عبد العزيز الجراح بن عبد الله خراسان كلها - حربها وصلاتها وما لها - فلما قدمها كتب إلى عمر :

إني قدمت خراسان فوجدت قوماً قد أبطرتهم الفتنة ، فهم ينزون^(۱) فيها نزوا ، أحب الأمور إليهم أن تعود ، ليمنعوا حق الله عليهم ، فليس يكفهم إلا السيف والسوط ، وكرهت الإقدام على ذلك إلا بإذنك .

(تاريخ الطبري ۸ : ۱۳۴)

۳۵۴ - رد عمر عليه

فكتب إليه عمر :

« يا بن أم الجراح : أنت أحرص على الفتنة منهم ، لانضربن مؤمناً ولا معاهداً سوطاً إلا في حق ، واحذر القصاص ، فإنك صائر إلى من يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، وتقرأ كتاباً لا يفادير صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها . »

(تاريخ الطبري ۸ : ۱۳۴)

(۱) نزوا : وثب .

(۱۹ - جبهة رسائل العرب - ثانی)

۳۵۵ - كتاب عمر بن عبد العزيز إلى الجراح بن عبد الله

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى الجراح بن عبد الله :

لأنه بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا بعث جيشاً أو سرية^(١) ، قال : اغزوا باسم الله ، وفي سبيل الله ، تقاتلون من كفر بالله ، لا تغلوا^(٢) ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا امرأة ولا وليداً ، فإذا بعثت جيشاً أو سرية فمرهم بذلك .

(العقد الفريد ١ : ٤٠)

۳۵۶ - كتابه إلى الجراح

وكتب إلى الجراح بن عبد الله :

« أما بعد ، فإنه بلغني أنك كتبت لمخلد بن يزيد بن المهلب ولآل المهلب أما فرشت فأنامت^(٣) . »

۳۵۷ - رد الجراح على كتابه

فكتب إليه الجراح :

« أما بعد ، يا أمير المؤمنين فإنك كتبت إلي في عهدك أن لا أوثق أحداً من خلق الله وثاقاً يمنع صلاة ، ولا أبسط على أحد من خلق الله عذاباً ، فأت يا أمير المؤمنين الأم التي فرشت فأنامت ، لمخلد بن يزيد ولآل المهلب ولجميع رعيتك . »

فدعا مخلداً ، فقال : إن شئت أن تقيم عندنا على حالك التي أنت عليها ، وإن شئت أن ألحقك بأمر المؤمنين ، ولا أراه إلا خيراً لك ، قال : فالحقني بأمر المؤمنين فدفعه إليه فأطلقه عمر بن عبد العزيز .

(سيرة عمر لابن الجوزي ص ٩٦)

(١) السرية : من خمسة إلى ثلثمائة أو أربعمائة . (٢) غل كنصر وأغل : خان .

(٣) من أمثال العرب « أم فرشت فأنامت » وهو مثل يضرب في بر الرجل بصاحبه .

۳۵۸ - كتابه إلى الجراح

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى الجراح :

« إنه بلغني أنك قد استعملت عبد الله بن الأهم ، وإن الله عز وجل لم يبارك لعبد الله ولا لأهل بيته في العمل ، فإذا أتاك كتابي هذا فاعزله ، وإنه مع ذلك لَدُو قرابة لأمر المؤمنين ، وبلغني أنك استعملت عمارة الطويل ، ولا حاجة لي بعمارة ، ولا بضرب عمارة ، ولا برجل نغمس يده في دماء المسلمين ، فإذا أتاك كتابي هذا فاعزله ، وبلغني أنك استعملت السيال بن المنذر ، وإني لا أدري ما سيألك هذا ؟ »
(سيرة عمر لابن الجوزي ص ۸۶ و ص ۹۶)

۳۵۹ - رد الجراح على كتابه

فكتب إليه الجراح :

« إنه جاءني كتابك في عبد الله ، وإني استعملته يا أمير المؤمنين فأجزأ^(۱) نقره ، وهابه عدوه ، وحده أهل عمله ، ولم يكن جزاؤه العزل ، وكتبت إلى في عمارة ، وإنه رجل قد شام^(۲) الحرورية ، ثم رجعت عن ذلك أحسن رجوع ، وتاب منه أحسن توبة . »

واعتذر إليه في السيال بعدد آخر قبله . (سيرة عمر لابن الجوزي ص ۹۶)

۳۶۰ - كتابه إلى الجراح

وكتب عمر إلى الجراح :

« انظر من صلى قبلك إلى القبلة فضع عنه الجزية . »

فسارع الناس إلى الإسلام ، فقيل للجراح : إن الناس قد سارعوا إلى الإسلام ،

(۱) اغناه وكفاه . (۲) أي قاربها ودنا منها .

وإنما فعلوا ذلك نفورا من الجزية ، فامتحنهم بالحنان ، فكتب الجراح بذلك إلى عمر .

۳۶۱ - كتابه إلى الجراح

فكتب إليه عمر :

« إن الله بعث محمداً صلى الله عليه وسلم داعياً ، ولم يبعثه خاتفاً . »

وقال عمر : ابغوني رجلاً صدوقاً أسأله عن خراسان ، فقيل له : قد وجدته ،

عليك بابي مجلز لاحق بن حميد ، فكتب إلى الجراح أن : « أقبل واحمل أبا مجلز وخلف

على حرب خراسان عبد الرحمن بن نعيم الغامدي ، وعلى جزيتها عبد الله بن حبيب . »

(تاريخ الطبري ۸ : ۱۳۴)

۳۶۲ - كتابه إلى أهل خراسان

فلما قدم الجراح عليه عزاه عن خراسان ، وولى عبد الرحمن بن نعيم الصلاة والحرب ،

وولى عبد الرحمن القشيري الخراج ، وكتب إلى أهل خراسان :

« إني استعملت عبد الرحمن بن نعيم على حربكم ، وعبد الرحمن بن عبد الله على

خراجكم ، على غير معرفة مني بهما ولا اختيار ، إلا ما أخبرت عنهما ، فإن كانا على

ما تحبون فاحمدوا الله ، وإن كانا على غير ذلك فاستعينوا بالله ، ولا حول ولا قوة

إلا بالله . »

(تاريخ الطبري ۸ : ۱۳۵)

۳۶۳ - كتابه إلى عبد الرحمن بن نعيم عامله بخراسان

وكتب إلى عبد الرحمن بن نعيم :

« أما بعد ، فكن عبداً ناصحاً لله في عباده ، ولا تأخذك في الله لومة لأم ،

فإن الله أولى بك من الناس ، وحقه عليك أعظم ، فلا تؤاين شيئاً من أمر المسلمين

إلا المعروف بالنصيحة لهم ، والتوفير عليهم ، وأداء الأمانة فيما استُرعى ، وإياك أن يكون ميلك ميلا إلى غير الحق ، فإن الله لا يخفى عليه خافية ، ولا تذهبن عن الله مذهباً ، فإنه لا ملجأ من الله إلا إليه . (تاريخ الطبري ۸ : ۱۳۵)

۳۶۴ - كتابه إلى عبد الرحمن بن نعيم

وكتب عمر إلى عبد الرحمن بن نعيم يأمره بإقفال من وراء النهر من المسلمين بذراريهم ، فأبوا وقالوا : لا تسعنا « مرو » فكتب إلى عمر بذلك ، فكتب إليه عمر :

« اللهم إني قد قضيت الذي علي ، فلا تغزُ بالمسلمين ، فحَسَبُهُمُ الذي قد فتح الله عليهم . » (تاريخ الطبري ۸ : ۱۳۹)

۳۶۵ - كتابه إلى عبد الرحمن بن نعيم

وكتب عمر إلى عبد الرحمن بن نعيم :
« إن العمل والعلم قريبان ، فكن عالماً بالله عاملاً له ، فإن أقواماً علموا ولم يعملوا ، فكان عليهم عليهم وبالا . » (تاريخ الطبري ۸ : ۱۳۸)

۳۶۶ - كتابه إلى عبد الرحمن بن نعيم

وكتب إليه :
« أما بعد : فاعمل عملَ رجل يعلم أن الله لا يصلح عمل المفسدين . » (تاريخ الطبري ۸ : ۱۳۸)

۳۶۷ - كتابه إلى عقبة بن زرعة

وكتب إلى عقبة بن زرعة الطائي - وكان قد ولّاه خراسان بعد القشيري - :
« إن للسلطان أركاناً لا يثبتُ إلا بها ، فالوَالِي ركن ، والقاضي ركن ، وصاحب

بيت المال ركن ، والركن الرابع أنا ، وليس من ثغور المسلمين ثغر أهم إلى ولا أعظم
عندى من ثغر خراسان ، فاستوعب الخراج وأحرزه في غير ظلم ، فإن يك كفاها
لأعطياتهم فسبيل ذلك ، وإلا فاكتب إلى حتى أحيل إليك الأموال فتوفر لهم
أعطياتهم .»

فقدّم عقبه فوجد خراجهم يفضل عن أعطياتهم ، فكتب إلى عمر فأعلمه ،
فكتب إليه عمر أن اقسّم الفضل في أهل الحاجة . (تاريخ الطبري ۸ : ۱۳۹)

۳۶۸ - كتابه إلى سليمان بن أبي السرى والى سمرقند

وكتب عمر إلى سليمان بن أبي السرى عامله على سمرقند أن : « اعمل خانات
في بلادك ، فمن مرّ بك من المسلمين فاقروهم^(۱) يوماً وليلة ، وتعمّدوا دوابهم ، فمن
كانت به عيلة فاقروه يومين وليلتين ، فإن كان منقطعاً به فقووه بما يصل به إلى بلده .»
فلما أتاه كتاب عمر قال أهل سمرقند لسليمان : إن قتيبة غدر بنا وظلمنا وأخذ
بلادنا ، وقد أظهر الله العدل والإنصاف فأذن لنا فليفد منا وفد إلى أمير المؤمنين
يشكون ظلامتنا ، فإن كان لنا حق أعطيناها ، فإن بنا إلى ذلك حاجة ، فأذن لهم
فوجهوا منهم قوماً فقدموا على عمر .

۳۶۹ - كتابه إلى ابن أبي السرى

فكتب لهم عمر إلى سليمان بن أبي السرى :

« إن أهل سمرقند قد شكروا إلى ظلمنا أصابهم ، وتحاملاً من قتيبة عليهم ، حتى

(۱) أى أضيفوهم .

أخرجهم من أرضهم ، فإذا أتاك كتابي فأجلس لهم القاضي ، فأينظر في أمرهم ، فإن قضى لهم فأخرجهم إلى معسكرهم كما كانوا وكنتم قبل أن ظهر عليهم قتيبة^(۱) .
(تاريخ الطبري ۸ : ۱۳۸)

۳۷۰ - كتابه إلى حيان بن شريح

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى حيان بن شريح : أن : ضع الجزية عن أسلم من أهل الذمة ، فإن الله تبارك وتعالى قال : « فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ » وقال : « قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ » .

۳۷۱ - كتاب حيان بن شريح إليه

وكتب حيان بن شريح إلى عمر بن عبد العزيز :
« أما بعد ، فإن الإسلام قد أضرَّ بالجزية حتى تسلفت من الحارث بن ثابتة عشرين ألف دينار أتمتُ بها عطاء أهل الديوان ، فإن رأيتُ رأي أمير المؤمنين أن يأمر بقضائها فعل . »

۳۷۲ - رده على حيان بن شريح

فكتب إليه عمر :
« أما بعد : فقد بلغني كتابك ، وقد وليتُك جند مصر وأنا عارف بضعفك ،

(۱) فأجاس لهم سليمان جيم بن حاضر القاضي ، فقضى أن يخرج عرب سمرقند إلى معسكرهم ويناخذوهم على سواء فيكون صلحاً جديداً أو ظفراً عنوة ، فقال أهل السغد : بل نرضى بما كان ولا نجد حرباً وتراضوا بذلك ، فقال أهل الرأي : قد خالطنا هؤلاء القوم وأقنا معهم وأمنونا وأمنائهم ، فإن حكم لنا عدنا إلى الحرب ولا ندري لمن يكون الظفر ، وإن لم يكن لنا كنا قد اجتلبنا عداوة في المنازعة . فتركوا الأمر على ما كان ورضوا ولم ينازعوا .
(تاريخ الطبري ۸ : ۱۳۸)

وقد أمرت رسولی بضربك على رأسك عشرين سوطا ، فضع الجزية عن أسلم ، قبَّح اللهُ رأيك ، فإن الله إنما بعث محمداً صلى الله عليه وسلم هادياً ، ولم يبعثه جابياً ، ولعمري لعمرو أشقى من أن يدخل الناس كلهم الإسلام على يديه .

(المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار للمقرئى ۱ : ۷۸)

۳۷۳ - كتابه إلى عماله

وكتب إلى عماله :

« إياكم أن تستعملوا على شيء من أعمالنا إلا أهل القرآن » فكتبوا إليه :

۳۷۴ - ردهم عليه

« يا أمير المؤمنين ، إنا استعملنا أهل القرآن فوجدناهم خونة » .

فكتب إليهم :

۳۷۵ - رده عليهم

« إياكم أن يبلغنى عنكم أنكم استعملتم على شيء من أعمالنا إلا أهل القرآن ، فإنه إن لم يكن عند أهل القرآن خير ، فغيرهم أحرى بأن لا يكون عندهم خير » .

۳۷۶ - كتابه إلى بعض عماله

وشكى عامل لعمر بن عبد العزيز إليه ، فكتب إليه عمر :

« يا أخى : أذكرك طول سهر أهل النار فى النار مع خلود الأبد ، وإياك أن

ينصرف بك من عند الله ، فىكون آخر العهد وانقطاع الرجاء » .

فما قرأ الكتاب طوى البلاد حتى قدم على عمر ، فقال له : ما أقدمك ؟ قال :

خانت قلبى بكتابك ، لا أعود إلى ولاية أبدا حتى ألقى الله تعالى .

۳۷۷ - كتابه إلى بعض عماله

وكتب إلى بعض عماله :

« أما بعدُ : فاتقِ اللهَ فيمنَ وليتَ أمره ، ولا تأمنَ مَكْرَهَ في تأخير عِقوبته ، فإنه إنما يَعَجَلُ بالعقوبةَ مَنْ يَخافُ الفوتَ ، والسلامَ عليك ورحمةَ الله وبركاته .

(سيرة عمر لابن الجوزي ص ۱۰۰)

۳۷۸ - كتابه إلى أحد عماله

وكتب إلى عامل له :

« اتقِ اللهَ ، فإن التقوى هي التي لا يُقْبَلُ غيرها ، ولا يُرْحَمُ إلا أهلها ، ولا يُثَابَ إلا عليها ، وإن الواعظين بها كثير ، والعاملين بها قليل .

(سيرة عمر لابن الجوزي ص ۸۷ و ۲۱۵)

۳۷۹ - كتابه إلى عماله

وكتب إلى عماله :

« اجتنبوا الأشغالَ عند حُضور الصَّلوات ، فمن أضعفها فهو لما سِواها من شرائع الإسلام أشدُّ تضييعاً .

(سيرة عمر لابن الجوزي ص ۱۰۲)

۳۸۰ - كتابه إلى بعض عماله

وكتب إلى بعض عماله :

« اعمل للدنيا على قدر مقامك فيها ، واعمِلْ للآخرة على قدر مقامك فيها .

(سيرة عمر لابن الجوزي ص ۱۰۲)

۳۸۱ - كتابه إلى عماله

وكتب إلى عماله : « أن عاقبوا الناس على قدر ذنوبهم ، وإن بلغ ذلك سَوْطًا واحدًا ، وإياكم أن تبلغوا بأحد حدًا من حدود الله » .
(سيرة عمر لابن الجوزي ص ۹۷)

۳۸۲ - كتابه إلى زريق بن حيان

وعن زُرَيْقِ بْنِ حَيَّانٍ - وكان على مكسٍ مصر - أن عمر بن عبد العزيز كتب إليه أن :

« انظر من مرَّ عليك من المسلمين ، فخذ مما ظهر من أموالهم العَيْنَ ، ومما ظهر من التجارات من كل أربعين ديناراً ديناراً ، وما نقصَ فبحساب ذلك حتى يبلغ عشرين ديناراً ، فإن نقصت تلك الدنانير فدعها ولا تأخذ منها شيئاً ، وإذا مرَّ عليك أهل الذمة فخذ مما يُديرون من تجاراتهم من كل عشرين ديناراً ديناراً فما نقصَ فبحساب ذلك حتى تبلغ عشرة دنانير ، ثم دعها فلا تأخذ منها شيئاً ، واكتب لهم كتاباً بما تأخذ منهم إلى مثابها من الحَوْلِ » .
(كتاب الحراج ص ۱۶۳)

۳۸۳ - كتابه إلى جعفر بن برقان

وعن جعفر بن بُرْقَانَ قال : كتب إلينا عمر بن عبد العزيز :

« لا تدعنَّ في سجونكم أحداً من المسلمين في وِثاقٍ^(۱) لا يستطيع أن يصلِّي قائماً ، ولا تُبَيِّنَنَّ في قيدٍ إلا رجلاً مطلوباً بدمٍ ، وأجرؤوا عليهم من الصدقة ما يصلحهم في طعامهم وأدمهم ، والسلام » .
(كتاب الحراج ص ۱۷۹)

(۱) الوثاق : ما يشد به .

۳۸۴ - كتابه إلى ثابت بن ثوبان

وحدث عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان عن أبيه قال : كنت عاملاً لعمر بن عبد العزيز ، فكتبتُ إليه أن رجلاً كان يهودياً فأسلم ، ثم تهوّد ورجع عن الإسلام ، فكتب إلى عمر أن :

« ادعُ إلى الإسلام ، فإن أسلمَ فخلِّ سبيله ، وإن أبى فادعُ بالخشبِ فأضجِه عليها ، ثم ادعُه ، فإن أبى فأوثِقُه ، وضع الحربَ على قلبه ، ثم ادعُه ، فإن رجع فخلِّ سبيله ، وإن أبى فاقتله . »

ففعل ذلك به حتى وضع الحربَ على قلبه ، فأسلم ، فخلِّ سبيله .

(كتاب المراج ص ۲۱۷)

۳۸۵ - كتابه إلى بعض عماله

وكتب إلى بعض عماله :

« أما بعد ، فكان العباد قد عادوا إلى الله ، ثم يُنبئهم بما عملوا ، ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى ، فإنه لا معقبَ لحكمه ولا منازعَ لأمره ، وإني أوصيك بتقوى الله وأحثك على الشكر فيما اصطنع عندك من نعمه ، وآتاك من كرامته ، فإن نعمه يمدُّها شكره ، ويَقطعها كفره ، وأكثر ذكرَ الموت الذي لا تدرى متى يفشاك ، فلا مناصَ ولا فواتَ ، وأكثرَ ذكرَ يوم القيامة وشِدته ، فإن ذلك يدعوك إلى الزَّهادة فيما رَغبتَ فيه ، والرغبة فيما زهدتَ فيه ، ثم كن مما أوتيتَ من الدنيا على وِجَل ، فإن من لا يَحذَرُ ذلك ولا يتخوِّفه تُوشِك الصَّرعَةُ أن تُدركه في الغفلة ، وأكثرَ النظرَ في عملك في دنياك بالذي أمرتَ به ، ثم اقتصرْ عليه فإن فيه كَعَمْرِي سُفْلاً عن دنياك ، ولن تُدركَ العامَ حتى تُؤثِّره على الجهل ، ولا الحقَّ حتى تَدَرَ الباطلَ ، نسألُ اللهَ لنا ولكَ حُسنَ معونته ، وأن يدفع

عنا وعنك بأحسنِ دفاعه ، برحمته . (سيرة عمر لابن الجوزي ص ۲۱۸)

۳۸۶ - كتابه إلى بعض عماله

وكتب إلى بعض عماله :

« أوصيك بتقوى الله ، والاقتصاد في أمره ، واتباع سنة رسوله ، وترك ما أحدث المحدثون بعده مما قد جرّت به سنته وكفوا مآثرتة . وأعلم أنه لم يبتدع إنسان قطُّ بدعةً إلا قد مضى قبلها ما هو دليل عليها ، وعبرة فيها ، فعليك بلزوم السنة ، فإنها لك - بإذن الله - عصمة . وأعلم أن من سن سنة قد علم ما في خلافها من الخطأ والزلل والتعمق والحق ، فإن السابقين الماضين على علم توقّفوا ، وببصر ناقد كفّوا » .

وزاد بعض الرواة :

« وإنهم كانوا على كشف الأمور أقوى ، وما أحدث إلا من اتبع غير هديهم ورغب بنفسه عنهم ، لقد قصر دونهم أقوام فجفّوا^(۱) ، وطمّح عنهم آخرون فغلّوا^(۲) » .
(سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص ۸۷)

۳۸۷ - كتابه إلى بعض عماله

وكتب إلى بعض عماله :

« أما بعد ، فالزم الحق ، يُنزلك الحق منازل أهل الحق ، يوم لا يُقضى بين الناس إلا بالحق وهم لا يظلمون » .

(۱) جفا: تجمّاق ، أي فتجافوا عن طريق الحق والرشاد .

(۲) في الأصل « فغلّوا » وهو تصحيف وصوابه « فغلّوا » يؤيده قوله قبل « وطمّح عنهم » .

۳۸۸ - كتابه إلى بعض عماله

وكتب إلى عامل له :

« أما بعدُ : فلتجفِّ يدك من دماء المسلمين ، وبطنك من أموالهم ، ولسانك من أعراسهم ، فإذا فعلت ذلك فليس عليك سبيل ، « إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ، أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ » .

(سيرة عمر لابن الجوزي ص ۹۴)

۳۸۹ - كتاب بعض عماله إليه

وكتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز إليه :

« أما بعدُ ، فإن مدينتنا قد خربت ، فإن يرَ أميرُ المؤمنين أن يقطعَ لنا مالا نرُمها^(۱) به فعلَ » .

۳۹۰ - رد عمر على كتابه

فكتب إليه عمر :

« أما بعدُ ، فقد فهمت كتابك ، وما ذكرتَ من أن مدينتكم قد خربت ، فإذا قرأتَ كتابي هذا ، فحَصَّنْهَا بِالْعَدْلِ ، وَنَقِّ طَرُقَهَا مِنَ الظُّلْمِ ، فَإِنَّهُ مَرَّةً تَهَا وَالسَّلَامُ » .

(سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص ۹۰)

۳۹۱ - كتاب بعض ولاته إليه

ولما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة ، كتب إليه بعضُ ولاته :

« إن الناسَ لَمَّا سَمِعُوا بولابتك ، تسارعوا إلى أداءِ الزكاةِ زكاةِ الفِطْرِ ، فقد اجتمع من ذلك شيءٌ كثيرٌ ، ولم أحبَّ أن أحدثَ فيها شيئاً حتى تكتبَ إليَّ برأبك » .

(۱) رمه كضرب ونصر رداً ومرة : أصله .

۳۹۲ - رد عمر علی کتابہ

فكتب إليه عمر :

« لعمرى ما وجدونى وَإِيَّاكَ عَلَى مَا ظَنُّوا ، وما حَبَسُكَ إِيَّاهَا إِلَى الْيَوْمِ ؟ فَأَخْرِجْهُمَا
حِينَ تَنْظُرُ فِي كِتَابِي » . (سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزى ص ۸۵)

۳۹۳ - کتابہ إلى بعض عماله

وكتب إلى بعض عماله :

« الموالى ثلاثة : مَوْلَى رَحِيمٍ ، ومولى عَتَاقَةٍ ، ومولى عَقْدٍ ، فمولى الرحم يرث
ويُورَثُ ، ومولى العتاقة يرث ولا يرث ، ومولى العقد لا يرث ولا يرث ،
وميراثه لعصَبَتِهِ » .

۳۹۴ - کتابہ إلى عماله

وكتب إلى عماله :

« مُرُّوا مَنْ كَانَ عَلَى غَيْرِ الْإِسْلَامِ أَنْ يَضَعُوا الْعِمَامَةَ وَيَلْبَسُوا الْأَكْسِيَةَ ،
وَلَا يَتَشَبَّهُوا بِشَيْءٍ مِنَ الْإِسْلَامِ ، وَلَا تَتْرَكُوا أَحَدًا مِنَ الْكُفَّارِ يَسْتَعْمِدُ أَحَدًا
مِنَ الْمُسْلِمِينَ » .

۳۹۵ - کتابہ إلى عماله

وكتب إلى عماله :

« مُرُّوا مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَلَا يَبْقَى أَحَدٌ مِنْ أَعْرَابِهِمْ وَلَا مَمَالِكِهِمْ ، صَغِيرًا وَلَا
كَبِيرًا ، ذَكَرًا وَلَا أُنْثَى ، إِلَّا أَخْرَجَ عَنْهُ صَدَقَةَ فِطْرِ رَمَضَانَ : مُدَّيْنٌ ^(۱) مِنْ فِطْحٍ ،

(۱) المد : ملء كفى الإنسان المعتدل إذا ملاءها ومدعا . والصاع : أربع حفنات بكفى الرجل المعتدل :
أى أربعة أمداد .

أَوْ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ ، أَوْ قِيَمَةَ ذَلِكَ نِصْفَ دَرَاهِمٍ ، فَأَمَّا أَهْلُ الْمَطَاءِ فَيُؤْخَذُ ذَلِكَ مِنْ أَعْطِيَاتِهِمْ
عَنْ أَنْفُسِهِمْ وَعِيَالَتِهِمْ ، وَاسْتَعْمِلُوا عَلَى ذَلِكَ رَجُلَيْنِ مِنْ أَهْلِ الْأَمَانَةِ ، يَقْبِضَانِ مَا اجْتَمَعَ
مِنْ ذَلِكَ ، ثُمَّ يَقْسِمَانِهِ فِي مَسْكَنَةِ أَهْلِ الْحَاضِرَةِ ، وَلَا يُقَسِّمَ عَلَى أَهْلِ الْبَادِيَةِ .
(العقد الفريد ۲ : ۲۷۹)

۳۹۶ - كتاب أحد عماله إليه

وكتب رجل من عمال عمر إلى عمر :
« إنا أنينا بساحرة ، فالتيناها في الماء ، فطفّت على الماء ، فما ترى
فيها ؟ » .

۳۹۷ - رد عمر عليه

فكتب إليه :
« لسنا من الماء في شيء ، إن قامت عليها بيّنةٌ وإلا فخل^(۱) سبيلها » .
(العقد الفريد ۹۲ : ۲۷)

۳۹۸ - كتابه إلى بعض عماله

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عامل له :
« أما بعدُ : فلا تدعنّ صليبا ظاهراً إلا كبيرٌ ومُحِقٌ ، ولا يركبنّ يهودى
ولا نصرانى على سرج ، ولا يركب على إكاف^(۲) ولا ترّكبنّ امرأةً من نساءهم
على رحالة^(۳) ، وليكن ركوبها على إكاف ، وتقدّم في ذلك تقدّمًا بليغًا ، وامنع من
قبلك فلا يلبس نصرانى قباءً ولا ثوبَ خزّ ولا عصب^(۴) . »

(۱) في الأصل « وإلا خل » بإسقاط الفاء ولعله سهو من الناسخ أو الطابع .

(۲) إكاف الحمار ككتاب وغراب ووكانه : بردعته .

(۳) الرحالة : سرج من جلد لا خشب فيه كانوا يجذونه للركض الشديد .

(۴) العصب : برود يمنية مخططة .

وقد ذكر لي أن كثيراً ممن قبلك من النصارى قد راجعوا لبسَ العمام،
وتركوا المناطق^(۱) على أوساطهم، واتخذوا الجمام^(۲) والوفر^(۳) وتركوا التقصيص،
ولعمري لئن كان يُصنع ذلك فيما قبلك، إن ذلك بك لضعف وعجز ومصانعة، وإنهم
حين يراجعون ذلك ليعلموا ما أنت، فانظر كل شيء نهيت عنه فاحسب^(۳) عنه من
فعله، والسلام». (كتاب الخراج ص ۱۵۲)

۳۹۹ - كتابه إلى عماله

وكتب إلى عماله:

«مَنْ بَلَغَ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً فَافْرَضُوا لَهُ فِي الْمُقَاتِلَةِ، وَمَنْ كَانَ دُونَ ذَلِكَ
فَافْرَضُوا لَهُ فِي الذَّرِيَةِ». (كتاب الخراج ص ۲۰۸)

۴۰۰ - كتاب لعمر

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى رجل:

«أما بعدُ، فإني أوصيك بتقوى الله وتقديم ما استطعت من مالك وما رزقك
الله إلى دار قرارك، فإنك والله لكأنك قد ذقت الموت، وعابذت ما بعده بتصرف
الليل والنهار، فإنهما سرعان في طي الأجل ونقص العمر، مستعدان لمن بقي بمثل
الذي قد أصابا به من مضي، فاستغفر الله لسيئ أعمالنا، ونعوذ بالله من مقتته وإيانا على
ما نعط به مما تمصر عنه». (سيرة عمر لابن الجوزي ص ۲۰۱، ۲۱۵)

(۱) المناطق جمع منطقة ككنفة: وهي ما يشد به الوسط.
(۲) الجمام: جمع جمة بالضم، وهي ماسقط على المنكبين من شعر الرأس. والوفر: جمع وفره بالفتح:
وهي ماسال على الأذنين من الشعر، فالجمة أكثر من الوفرة. (۳) أي اقطع.

۴۰۱ - كتابه إلى أخ له

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى أخ له :

« يا أخى ، إنك قد قطعتَ عَظْمَ السفرِ وبقيَ أقلُّهُ ، فاذا كر يا أخى المَصادِرِ
والمَوَارِدَ ، فقد أوجىَ إلى نبيك صلى الله عليه وسلم فى القرآن أنك من أهل الورود ،
ولم يخبر أنك من أهل الصدور والخروج ، وإياك أن تغرَّك الدنيا ، فإن الدنيا دارٌ من
لا دار له ، ومالٌ من لا مال له ، يا أخى إنَّ أجَلَكَ قد دنا ، فكن وصىَّ نفسك ، ولا
تجعل الرجال أوصياءك » .

۴۰۲ - كتابه إلى بعض أهل بيته

وكتب إلى بعض أهل بيته :

« أما بعدُ ، فإنك إن استشعرتَ ذِكرَ الموتِ فى ليلك ونهارك مُبغضٌ إليك
كُلُّ فَنِ ، وَحُبُّكَ إِلَيْكَ كل باق ، والسلام » .
(سيرة عمر لابن الجوزى ص ۲۰۸)

۴۰۳ - كتابه إلى عمر بن عبد الله بن عتبة يعزیه

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عمر بن عبد الله بن عتبة يعزیه فى أبيه :

« أما بعدُ : فإننا قوم من أهل الآخرة سَكَنَّا الدنيا ، أمواتٌ أبناءُ أموات ،
فالمعجبُ كُلُّ المعجبِ لِمِيتٍ يكتب إلى مِيتٍ يعزیه عن ميت ، والسلام » .
(سيرة عمر لابن الجوزى ص ۲۰۴)

۴۰۴ - كتابه إلى رجاء بن حيوة

وكتب إلى رجاء بن حيوة :

« أما بعدُ ، فإنه من أكثر من ذكر الموت اكتفى باليسير ، ومن علم أن الكلام عمل قلّ كلامه إلا فيما ينفعه . »

(العقد الفريد ۱ : ۳۰۰)

وروى الطبري قال :

كتب عمر بن عبد العزيز إلى أهل الشام :

« سلام عليكم ورحمة الله ، أما بعدُ : فإنه من أكثر ذكر الموت قلّ كلامه ، ومن علم أن الموت حقٌ رضِيَ اليسير ، والسلام . »

(تاريخ الطبري ۸ : ۱۳۹)

۴۰۵ - كتابه لأهل العلم

« أما بعدُ ، فأمرُ أهل العلم أن ينشروا العلم في مساجدكم ، فإن السنة كانت قد أميتت . »

(سيرة عمر لابن الجوزي ص ۹۴)

۴۰۶ - كتابه إلى جنده

وبلغه عن جنده له شيء ، فكتب إليهم :

« الله لا إله إلا هو ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ، ومن أصدق من الله حديثاً . »

(سيرة عمر لابن الجوزي ص ۹۸)

۴۰۷ - كتابه إلى بعض الأجناد

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى بعض الأجناد :

« أما بعد ، فإني أوصيك بتقوى الله ولزوم طاعته ، والتمسك بأمره ، والمعاهدة على ما حَمَلَكَ اللهُ عزَّ وجلَّ من دينه ، واستحفظك من كتابه ، فإنَّ بتقوى الله عزَّ وجلَّ نَجَاءٌ أولياء الله عزَّ وجلَّ من سُخْطِهِ ، وبها تَحِقُّ لَهُمْ ولايَتُهُ ، وبها راقبوا أنبياءه ، وبها نَصُرَتْ وجوههم ، ونظروا إلى خالقهم ، وهي عِصْمَةٌ في الدنيا من الفِتَنِ ، وَالْمَخْرَجُ من كَرْبِ يوم القيامة ، ولن يَقْبَلَ مِنِّي بَقِيَّ إِلَّا مِثْلَ ما رَضِيَ بِهِ مِن مَضَى ، وَلِن بَقِيَّ عِبْرَةٌ فِيمَن مَضَى ، وَسُنَّةُ اللهِ عزَّ وجلَّ فِيهِمْ واحِدَةٌ ، بادِرْ بِنَفْسِكَ قَبْلَ أَنْ يُؤْخَذَ بِكَفْظِكَ ^(۱) ، وَيُخْلِصَ إِلَيْكَ كما خُلِصَ إِلَيَّ مِنْ كانَ قَبْلَكَ ، فقد رأيتَ الناسَ كيف يموتون وكيف يتفرقون ؟ ورأيتَ الموتَ كيف يُعْجِلُ الغائبَ عن توبته ، وذا الأملِ عن أمله ، وذا السلطانِ عن سُلْطانه ؟ وكفى بالموتِ موعظةً بالغةً ، وشاغلاً عن الدنيا ، ومُرغَباً في الآخرة ، فنعوذ بالله عزَّ وجلَّ من شرِّ الموتِ وما بعده ، ونسألُ اللهَ تعالى خيراً وخيراً ما بعده .

لانطَلَبَنَّ شيئاً من عَرَضِ الدنيا بقولٍ ولا فعلٍ تخافُ أن يَضُرَّ بِآخِرَتِكَ ، وَيُزِرِّيَ بدينِكَ ، وَيَمَقَّتَكَ عليه رَبُّكَ ، واعلم أن القَدَرَ سَيَجْرِي إِلَيْكَ بِرِزْقِكَ ، وَيُؤَافِيكَ أَكُلُّكَ ^(۲) من دنياكَ ، غيرَ مَزِيدٍ فِيهِ بِحَوْلِ منك ولا قوَّة ، ولا منقوص منه بضعفٍ ، إن ابتلاك اللهُ بفقرٍ فتعَفَّفْ في فقرك ، وأخْبِتْ لِقضاءِ رَبِّكَ ^(۳) ، واعتبر بما قَسَمَ اللهُ لَكَ مِنَ الإسلامِ ، وما زَوَى ^(۴) عنكَ من نعمة دنياكَ ، فإنَّ في الإسلامِ خَلْفاً من الذهبِ والفضةِ والدنيا الفانية . واعلم أنه لن يَضُرَّ عبداً صار إلى رضوانِ اللهِ عزَّ وجلَّ

(۱) الكفم : الحلق ، أو الفم . أو مخرج النفس .

(۲) الأكل كقفل وعنق : الرزق والمظ من الدنيا .

(۳) أخبت : خضع وتواضع . (۴) زواه : نجاه وأبعده .

وإلى الجنة ما أصابه في الدنيا من فقر وبلاء ، وأنه لن يتفجع عبداً صار إلى سُخْطِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ وإلى النار ، ما أصاب في الدنيا من نعمة ورخاء ، ما يجد أهل الجنة مساً مكرهه أصابهم في الدنيا ، وما يجد أهل النار طعم لذة نعيموا بها في دنياهم ، كأن سائر ذلك لم يكن ، فمن كان راغباً في الجنة وهاربا من النار ، فالآن في هذه الأيام الخالية ، والتوبة مقبولة ، والذنب مغفور ، قبل نقاد الأجل ، وانقضاء المدة ، وفراغ من الله عز وجل للثقلين^(۱) ليدينهم بأعمالهم في موطن لا تقبل فيه الفدية ، ولا تنفع فيه الحيلة ، تبرز فيه الخفيات ، وتبطل فيه الشفاعات ، يرده الناس جميعاً بأعمالهم ، وينصرفون منه أشتاتاً^(۲) إلى منازلهم ، فطوبى^(۳) يومئذ لمن أطاع الله عزَّ وجلَّ ، وويل يومئذ لمن عصى الله عزَّ وجلَّ ، فإن ابتلاك الله بالغنى ، فافتصد في غناك ، وضع الله نفسك ، وأدَّ الله عزَّ وجلَّ فرائضَ حقِّه من مالك ، وقل عند ذلك ما قال العبد الصالح : « هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ، وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ » . وإياك أن تفخر بطولك^(۴) ، وأن تعجب بنفسك ، أو يخيل إليك أن مارزقتك لكرامتك على ربك عزَّ وجلَّ ، وتفضيله إياك على غيرك ممن لم يرزق مثل غناك ، فإذا أنت أخطأت باب الشكر ، ونزلت منازل أهل الفقر ، وكنت ممن أطفاه الغنى ، وتعجل طيباته في الدنيا ، فإنني أعظك بهذا وإني لكثير الإسراف على نفسي ، غير مُحْكِمٍ لكثير من أمري . ولو أن المرء لا يعط أخاه حتى يحكم نفسه ، ويعمل في الذي خلق له من عبادة ربه عزَّ وجلَّ ، إذن لتواكل الناس الخير ، وإذن لرفع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وإذن لاستحلت الحارم ، وقل الواعظون والساعون لله عزَّ وجلَّ بالنصيحة في الأرض .

(سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص ۹۱ و ص ۲۰۲ و ص ۲۱۲)

(۱) الإنس والجن . ودانه : جزاء . (۲) متفرقين ، جمع شت بالفتح .

(۳) الخير ، والحسن ، وشجرة في الجنة . (۴) الطول : القدرة والغنى .

۴۰۸ - كتابه إلى نفر كذبوا بالقدر

وله كتاب إلى نفر كتبوا بالتكذيب بالقدر :

« أما بعدُ : فقد علمتم أن أهل السنة كانوا يقولون : الاعتصام بالسنة نجاه ، وسينقص العلم نقصاً سريعاً ، ومنه قول عمر بن الخطاب وهو يعظ : إنه لا عذر لأحد عبد الله بعد البينة بضلالة ركبها حسبها هدى ، ولا في هدى تركه حسبه ضلالة ، فقد تبينت الأمور ، وثبتت الحجة ، وانقطع العذر ، فمن رغب عن أنباء النبوة وما جاء به الكتاب ، تقطعت من يده أسباب الهدى ، ولم يجد له عصمة ينجويها من الردى » .

وبلغكم أني أقول : إن الله قد علم ما العباد عاملون ، فأنكرتم ذلك ، وقد قال تعالى : « إنا كاشفوا العذاب قليلاً إنكم عائدون » وقال : « ولَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ » وزعمتم في قول الله : « فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ » أن المشيئة في أي ذلك أحببتم : من ضلال أو هدى ، والله يقول : « وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ » فبمشيئته لهم شاءوا ، وقد حرصت الرسل على هدى الناس جميعاً ، فما اهتدى إلا من هداه الله وحرص إبليس على ضلالتهم جميعاً ، فما ضل منهم إلا من كان في علم الله ضالاً ، وأنكرتم أن يكون سبق لأحد من الله ضلالة أو هدى ، وأنكم الذين هديتم أنفسكم من دون الله ، وحجرتموها^(۱) عن المعصية بغير قوة من الله ، ومن زعم ذلك منكم فقد غلا في القول ، لأنه لو كان شيء لم يسبق في علم الله وقدره ، لكان لله في ملكه شريك تنفذ مشيئته في الخلق دون الله ، والله يقول : « حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْمِصْيَانَ » وسميتم نفاذ الله في الخلق حقيفاً ، وقد جاء الخبر « إن الله عز وجل

(۱) الحجر : المنع .

خالق آدم فنثر ذرّيته بين يديه ، فكتب أهل الجنة وما هم عاملون ، وكتب أهل النار وما هم عاملون .

(سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص ۶۸)

۴۰۹ - كتابه إلى أهل الموسم

وكتب إلى أهل الموسم :

« أما بعدُ : فإني أشهد الله وأبرأ إليه في الشهر الحرام ، والبلد الحرام ، ويوم الحج الأكبر ، أنني بريء من ظلم من ظلمكم ، وعدوان من اعتدى عليكم ، أن أكون أمرت بذلك أو رضيت أو تعمدته ، إلا أن يكون وهماً مني ، وأمرأ خفي علي لم أتعمده ، وأرجو أن يكون ذلك موضوعاً عني ، مغفوراً لي ، إذا علم من الحرص والاجتهاد ، ألا وإنه لا إذن على مظلومٍ دوني ، وأنا معوّل كل مظلوم ، ألا وأيُّ عامل من عمالي رغب عن الحق ولم يعمل بالكتاب والسنة ، فلا طاعة له عليكم ، وقد صيرت أمره إليكم ، حتى يراجع الحق وهو ذميمة ، ألا وإنه لا دولة^(۱) بين أغنيائكم ولا أثره على فقرائكم في شيء من قبضتكم ، ألا وأئتما واد في أمر يصلح الله به خاصة أو عامة ، فله ما بين مائة دينار إلى ثلثمائة دينار ، على قدر ما نوى من الحسنة ، وتجنّب من الشقة . فرحبه الله امرأ لم يتعاطمه سفرٌ يُحبي الله به حقاً من وراءه ، ولولا أن أشفلكم عن مناسيتكم لرسمت لكم أموراً من الحق أحيها الله لكم ، وأموراً من الباطل أماتها الله عنكم ، فلا تحمدوا غيره ، ولو وكلني إلى نفسي كنت كغيري ، والسلام عليكم . »

(سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص ۷۲)

(۱) أي أن النبي لا يتداوله الأغنياء ولا يدور بينهم كما كان في الجاهلية ، بل يعطي منه كل ذي حق حقه . يشير إلى قوله تعالى : « مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلَهُ وَلِلرَّسُولِ وَالَّذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ » وفي الأصل « براء غنيائكم » وهو تحريف .

۴۱۰ - كتابه بشأن كسوة البيت الحرام

وكتبت الحجة إليه أن يأمر للبيت بكسوة كما كان يفعل من كان قبله ،
فكتب إليهم :

« إني رأيتُ أن أجعل ذلك في أكبادِ جائعةٍ ، فإنه أولى بذلك من البيت » .
(سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص ۷۶)

۴۱۱ - كتابه إلى الأسارى بقسطنطينية

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى الأسارى بقسطنطينية :

« أما بعد ، فإنكم تعدُّون أنفسكم أسارى ، ولستم أسارى ، معاذَ الله ، أتم
الحبساء^(۱) في سبيل الله ، وأعلموا أني لست أقسم شيئاً بين ريعتي إلا خصصتُ
أهلكم بأوفر ذلك وأطيبه ، وقد بعثت إليكم خمسةً دنائيرَ خمسة دنائير ، ولولا أني خشيتُ
إن زدتكم أن يحبسَهُ عنكم طاغيةُ الروم لزدتكم ، وقد بعثت إليكم فلان بن فلان يفادي
صغيركم وكبيركم ، ذكركم وأثأكم ، حرَّكم ومملوككم بما يسأل ، فأبشروا ثم أبشروا » .
(الأغاني ۸ : ۱۵۱)

۴۱۲ - رسالة عمر بن عبد العزيز إلى أهل الأمصار في الأنبذة

« أما بعدُ : فإن الناس كان منهم في هذا الشراب المحرّم أمرٌ ساءت فيه رغبة
كثير منهم ، حتى سقّه أحلامهم ، وأذهب عقولهم ، فاستحلّ به الدم الحرام ، وفرج
الحرائر ، وإن رجالاتهم ممن يصيب ذلك الشراب يقولون : شربنا طلاءً^(۲) »

(۱) جمع حبس : وهو المحبوس « والحبس من الحبل أيضاً : الموقوف في سبيل الله » .
(۲) الطلاء : ما طبخ من عصير العنب حتى ذهب ثلثاه ، وبعض العرب يسمي الخمر الطلاء ، يريد بذلك
تحسين اسمها لا أنها الاء بمينها . ولما كان عمر رضى الله عنه بالكأف قال له عمرو بن العاص يا أمير المؤمنين
إن أهل هذه البلاد يأتونا بعصير قد عصوروه وطبخوه قبل أن يغلي فيأتون به حلواً كأنه الرب قد طبخوه =

فلا بأس علينا في شربه ، ولامرئى إن فيما قرأت مما حرم الله بأسا ، وإن في الأشربة التي أحل الله من العسل والسويق^(۱) والنبيذ من الزبيب والتمر لندوحة^(۲) عن الأشربة الحرام ، غير أن كل ما كان من نبيذ العسل والتمر والزبيب فلا ينبذ إلا في أسقية الأدم^(۳) التي لازفت فيها ، ولا يشرب منها ما يشكر ، فإنه باغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن شرب ما جعل في الجرار والدُّبَاءِ^(۴) والظروف المزفة ، وقال : « كل مسكر حرام » ، فاستغنوا بما أحل لكم عما حرم عليكم .

وقد أردت بالذى نهيت عنه من شرب الخمر ، وما ضارع الخمر من الطلاء ، وما جعل في الدُّبَاءِ والجِرار والظروف المزفة وكل مسكر ، اتخذ^(۵) الحججة عليكم ، فمن يطع منكم فهو خير له ، ومن يخالف إلى ما نهى عنه نعاقبه على العلانية ، ويكفينا الله ما أمرنا ، فإنه على كل شيء رقيب ، ومن استخفى بذلك عنا ، فإن الله أشد بأسا وأشد تنكيلا »

(العقد الفريد ۳ : ۳۳۷)

صورة أخرى

وجاء في سيرة عمر بن عبد العزيز :

كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن أرطاة وأهل البصرة :

« أما بعد ، فإنه قد كان من الناس في هذا الشراب أمرٌ ساءت فيه رغبتهم ،

حتى ذهب ثلثاه ، وبقي الثلث ، فنظر إليه عمر وقال : لا أظن بهذا بأساً ، ذهب حرامه وبقي حلاله ثم قال : اشرب منه يا عمرو فلا بأس به ، وقال : كأن هذا طلاء الإبل فسمى يومئذ بالطلاء ، وكتب إلى عمار ابن ياسر كتاباً يقول فيه « فمر من قبلك من المسلمين فاستمعوا به في شرابهم » - انظر الجزء الأول ص ۱۷۷ .

(۱) شراب يعمل من الخنطة والشعير . (۲) الندوحة : السعة . (۳) الأدم : الجلد . (۴) جاء في لسان العرب في مادة « دبى » .

« وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم : أنه نهى عن الدباء والختم (كجعفر) والنقير (بالفتح) وهي أوعية كانوا ينتبذون فيها فكان النبيذ فيها يفلئ سريعاً ويسكر ، فنهى عن الانتباز فيها ، ثم رخص صلى الله عليه وسلم في الانتباز فيها ، بشرط أن يشربوا ما فيها وهو غير مسكر ، وتحريم الانتباز في هذه الظروف كان في صدر الإسلام ، ثم نسخ وهو المذهب . وذهب مالك وأحمد إلى بقاء التحريم » .

(۵) في الأصل محل هذه الكلمة « المار » وهو تحريف وصوابها « اتخذ » كما ورد في رواية ابن الجوزي التالية .

وَعَشُوا فِيهِ أَمْوَرًا ائْتَهَكُوهَا عِنْدَ ذَهَابِ عَقُولِهِمْ ، وَسَفَهَ أَحْلَامِهِمْ بَلَّغَتْ بِهِمُ الدَّمَ الْحَرَامَ وَالْفَرْجَ الْحَرَامَ وَالْمَالَ الْحَرَامَ . وَقَدْ أَصْبَحَ جُلٌّ مِنْ يُصِيبُ مِنْ ذَلِكَ الشَّرَابِ يَقُولُ : شَرِبْنَا شَرَابًا لَا بَأْسَ بِهِ ، وَلَعَمْرِي إِنْ مَا حَمَلَ عَلَى هَذِهِ الْأُمُورِ وَضَارَعَ الْحَرَامَ لِبَأْسٍ شَدِيدٍ ، وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ عَنْهُ مَنَدُوحَةً وَسَعَةً مِنْ أَشْرِبَةٍ كَثِيرَةٍ طَيِّبَةٍ لَيْسَ فِي الْأَنْفُسِ مِنْهَا جَائِحَةٌ : الْمَاءُ الْعَذْبُ الْفُرَاتُ ، وَاللَّبَنُ ، وَالْعَسَلُ ، وَالسُّوْيُوقُ ، فَمَنْ انْقَبَذَ نَبِيذًا فَلَا يَنْبِذُهُ إِلَّا فِي أَسْمِيَةِ الْأَدَمِ الَّتِي لَازَفَتْ فِيهَا ، وَقَدْ بَلَّغْنَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنِ نَبِيذِ الْجُرَارِ وَالِدُّبَّاءِ وَالظَّرُوفِ الْمَزْفَتَةِ ، وَكَانَ يَقُولُ « كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ » فَاسْتَفْنُوا بِمَا أَحَلَّ اللَّهُ عَمَّا حَرَّمَ ، فَإِنَّا مِنْ وَجْدِنَاهُ يَشْرَبُ شَيْئًا مِنْ هَذِهِ بَعْدَ مَا تَقَدَّمَآ إِلَيْهِ ، أَوْجَعْنَاهُ عَقُوبَةً شَدِيدَةً ، وَمَنْ اسْتَخْفَى فَاللَّهُ أَشَدُّ عَقُوبَةً وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا ، وَقَدْ أَرَدْتُ بِكِتَابِي هَذَا اتِّخَاذَ الْحِجَّةِ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَفِيهَا بَعْدَ الْيَوْمِ ، أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَزِيدَ الْمَهْتَدِيَّ مَنَا وَمِنْكُمْ هُدًى ، وَأَنْ يَرَا جِعَ بِالسُّيِّئِ مَنَا وَمِنْكُمْ التَّوْبَةَ فِي يُسْرِ وَعَافِيَةٍ ، وَالسَّلَامُ .

(سيرة عمر لابن الجوزي ص ۱۰۱)

۴۱۳ - كتابه إلى ابنه عبد الملك

وكتب عمر بن عبد العزيز في العام الذي استخلف فيه إلى ابنه عبد الملك - وكان ابنه إذ ذاك بالمدينة - :

أما بعد ، فإنَّ أحمق من تعاهدتُ بالوصية والنصيحة بعد ندمي أنت ، وإنَّ أحمق من وَعَى ذَلِكَ وَحَفِظَهُ عَنِّي أَنْتَ ، إِنْ اللَّهُ - لَهُ الْحَمْدُ - قَدْ أَحْسَنَ إِلَيْنَا إِحْسَانًا كَثِيرًا بِالْفَا فِي لَطِيفِ أَمْرِنَا وَعَامَّتِهِ ، وَعَلَى اللَّهِ إِتْمَامٌ مَا غَبَرَ^(۱) مِنَ النِّعْمَةِ ، وَإِيَاهُ نَسْأَلُ الْعَوْنَ عَلَى شُكْرِهَا ، فَاذْكُرْ فَضْلَ اللَّهِ عَلَيْكَ وَعَلَى أَبِيكَ ، ثُمَّ أَعِنُّ أَبَاكَ عَلَى مَا قَوِيَ عَلَيْهِ وَعَلَى مَا ظَنَنْتَ أَنَّ عِنْدَهُ فِيهِ عَجْزًا عَنِ الْعَمَلِ ، فِيمَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِ وَعَلَيْكَ فِي ذَلِكَ ، فَرَاعَ نَفْسَكَ

(۱) أي ما بقى .

وَشَبَابِكَ وَصِحَّتِكَ ، وَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تُكْثِرَ تَحْرِيبَكَ لِسَانِكَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَحْمِيدًا وَتَسْبِيحًا وَتَهْلِيلًا فَافْعَلْ ، فَإِنْ أَحْسَنَ مَا وَصَلْتَ بِهِ حَدِيثًا حَسَنًا حَمْدُ اللَّهِ وَشُكْرُهُ ، وَإِنْ أَحْسَنَ مَا قَطَعْتَ بِهِ حَدِيثًا سَيِّئًا حَمْدُ اللَّهِ وَذِكْرُهُ ، فَلَا تَفْتِنِ بِمَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْكَ فَمَا عَسَيْتَ أَنْ تُقَرِّظَ بِهِ أَبَاكَ بِمَا لَيْسَ فِيهِ ، وَإِنْ أَبَاكَ كَانَ بَيْنَ ظَهْرِي ^(۱) إِخْوَانَهُ ، يُفَضِّلُ عَلَيْهِ الْكَبِيرُ ، وَيُدْنِي دُونَهُ الصَّغِيرُ ، وَإِنْ كَانَ اللَّهُ - وَلَهُ الْحَمْدُ - رَزَقَنِي مِنَ وَالِدِي حَبَابًا جَمِيلًا كُنْتُ بِهِ رَاضِيًا ، أَرَى بِرَّهِ أَفْضَلَ وَلَدِهِ عَلَيْهِ حَقًّا ، حَتَّى وُلِدْتُ وَوُلِدْتُ طَائِفَةً مِنْ إِخْوَانِكَ ، وَلَا أَخْرَجُ بِكُمْ مِنَ الْمَنْزِلِ الَّذِي أَنَا فِيهِ ^(۲) .

(سيرة عمر لابن الجوزي ص ۲۵۹)

۴۱۴ - كتابه إلى ولي عهده يزيد بن عبد الملك

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى ولي العهد من بعده :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَمْرٍ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، السَّلَامُ عَلَيْكَ ، فَإِنِّي أَتَّخِذُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، أَمَا بَعْدُ ، فَإِنِّي كَتَبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا دَنِفٌ ^(۳) مِنْ وَجَعِي ، وَقَدْ عَلِمْتُ أَنِّي مَسْئُولٌ عَمَّا وُلِّيتُ ، يَحَاسِبُنِي عَلَيْهِ مَلِيكُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَلَسْتُ أَسْتَطِيعُ أَنْ أُخْفِيَ عَلَيْهِ مِنْ عَمَلِي شَيْئًا ، يَقُولُ تَعَالَى فِيمَا يَقُولُ : « فَلَنَنْقُصَنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ » فَإِنْ بَرَّضَ عَنِّي الرَّحِيمُ ، فَقَدْ أَفْلَحْتُ وَنَجَوْتُ مِنَ الْمَوَانِ الطَّوِيلِ ، وَإِنْ سَخِطَ عَلَيَّ فَيَا وَيْحَ نَفْسِي ! إِلَا مَ أَصِيرُ ؟ أَسْأَلُ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ أَنْ يُجِيرَنِي مِنَ النَّارِ بِرَحْمَتِهِ ، وَأَنْ يَمُنَّ عَلَيَّ بِرِضْوَانِهِ وَالْجَنَّةِ ، وَعَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ ، وَالرَّعِيَةِ الرَّعِيَّةِ ، فَإِنَّكَ لَنْ تَبْقَى بَعْدِي إِلَّا قَائِلًا حَتَّى تَلْحَقَ بِاللَّطِيفِ الْخَبِيرِ وَالسَّلَامُ » .

(سيرة عمر لابن الجوزي ص ۲۷۷)

(۱) يقال هو بين ظهرينهم وظهرانهم وأظهرهم : أي وسطهم .

(۲) ورد بعد ما تقدم من هذا الكتاب :

« فَمَنْ كَانَ رَاغِبًا فِي الْجَنَّةِ وَهَارِبًا مِنَ النَّارِ فَالآنَ وَالتَّوْبَةُ مَقْبُولَةٌ ، وَالذَّنْبُ مَغْفُورٌ ، قَبْلَ نَفَاذِ الْأَجْلِ وَانْقِضَاءِ الْعَمَلِ . . . الخ » وَقَدْ تَقَدَّمَ ذَلِكَ ، انظُرْ كِتَابَهُ إِلَى بَعْضِ الْأَجْنَادِ ص ۳۰۹ .

(۳) الدنف بالتحريك : المرض الملازم ، ودنف المريض كفرح : ثقل .

۴۱۵ - كتابه إلى يزيد

وكتب إلى يزيد بن عبد الملك أيضاً :
« إياك أن تُدرِكك الصَّرعَةُ عند الغِرَّة ، فلا تُقال العَثرة ، ولا تُمكن من
الرجعة ، بِمَحْمَدِكَ مَنْ خَلَفْتَ بِمَا تَرَكْتَ ، ولا يَعْذِرُكَ من تَقَدَّمَ عليه بما
اشتغلت به ، والسلام » .

۴۱۶ - كتابه إلى يزيد

وكتب إليه :
« سلام الله وبركاته عليك ، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعدُ ،
فإن سليمان بن عبد الملك كان عبداً من عباد الله قبضه الله ، واستخلفني وباع لي من
قبله ، وليزيد بن عبد الملك أن يكون من بعدي ، ولو كان الذي أنا فيه ، لا تأخذ أزواج
أو اعتقاد^(۱) أموال ، كان الله قد بلغ بي أحسن ما بلغ بأحد من خلقه ، ولكنني أخاف
حساباً شديداً ، ومَسْأَلَةً لطيفة^(۲) ، إلا ما أعان الله عليه ، والسلام عليك ورحمة الله
وبركاته » .
(سيرة عمر لابن الجوزي ص ۲۷۸)

۴۱۷ - كتابه إلى مؤدب ولده

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى مؤدب ولده :
« من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى سهل مولاه :
أما بعد ، فإني اخترتك على علمٍ مني بك لتأديب ولدي ، فصرفتهم إليك عن
غيرك من مَوَالِيٍّ وذوي الخاصة بي ، فخدم^(۳) بالجناء فهو أمعن لإقدامهم ، وترك

(۱) اعتقد مالا : اقتناه . (۲) أي دقيقة من لطف ككرم إذا دق .

(۳) في الأصل « لخدمهم » وأرى أن صوابه « فخدمهم » .

الصُّحْبَةُ فَإِنْ عَادَتْهَا تَكْسِبُ^(۱) الْغَفْلَةَ ، وَقَلَّةُ الضَّحْكَ فَإِنْ كَثُرَتْهُ تُمِيتُ الْقَلْبَ ، وَلِيَكُنْ أَوْلَ مَا يَعْتَقِدُونَ مِنْ أَدَبِكَ بَغْضُ الْمَلَأِهِ الَّتِي بَدَّوْهَا مِنَ الشَّيْطَانِ ، وَعَاقِبَتُهَا سُدَّطُ الرَّحْمَنِ ، فَإِنَّهُ بَلَّغَنِي عَنِ الثَّقَاتِ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ حَضُورَ الْمَعَارِفِ^(۲) وَاسْتِمَاعَ الْأَغَانِي وَاللَّهْجِ^(۳) بِهَا يُنْبِتُ النُّفَاقَ فِي الْقَلْبِ كَمَا يُنْبِتُ الْعُشْبَ الْمَاءُ ، وَلِعَمْرِي لَتَوَقَّى ذَلِكَ بِتَرْكِ حَضُورِ تِلْكَ الْمَوَاطِنِ أَيْسَرُ عَلَى ذِي الذَّهْنِ مِنَ الثَّبُوتِ عَلَى النُّفَاقِ فِي قَلْبِهِ ، وَهُوَ حِينَ يَفَارِقُهَا^(۴) لَا يَعْتَقِدُ مِمَّا سَمِعْتَ أُذُنَاهُ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا يَنْتَفِعُ بِهِ ، وَلَيَفْتَتِحُ كُلُّ غُلَامٍ مِنْهُمْ بِجُزْءٍ مِنَ الْقُرْآنِ يَنْتَشِبُ فِي قِرَاءَتِهِ ، فَإِذَا فَرَّغَ تَنَاولَ قَوْسَهُ وَنَبْلَهُ ، وَخَرَجَ إِلَى الْفَرَضِ حَافِيًا فَرَمَى سَبْعَةَ أُرْشَاقٍ^(۵) ، ثُمَّ انصَرَفَ إِلَى الْقَائِلَةِ^(۶) ، فَإِنْ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ يَقُولُ : « يَا بَنِيَّ قِيلُوا ، فَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَا تَقِيلُ » .

(سيرة عمر لابن الجوزي ص ۲۵۷)

۴۱۸ - كتاب عمر بن الوليد بن عبد الملك

إلى عمر بن عبد العزيز

وَلَمَّا وُلِّيَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ جَعَلَ لَا يَدَعُ شَيْئًا مِمَّا كَانَ فِي يَدِهِ وَيَدُ أَهْلِ بَيْتِهِ مِنَ الْمَظَالِمِ إِلَّا رَدَّهَا مَظْلَمَةً مَظْلَمَةً ، فَبَاغَ ذَلِكَ عُمَرَ بْنَ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ :

« إِنَّكَ أُرْرَيْتَ^(۷) عَلَيَّ مِنْ كَانَ قَبْلَكَ مِنَ الْخُلَفَاءِ ، وَعَئِبْتَ عَلَيْهِمْ ، وَسِرْتَ بِغَيْرِ صِدْرَتِهِمْ ، بُغْضًا لَهُمْ وَشَنَآنًا^(۸) لِمَنْ بَعْدَهُمْ مِنْ أَوْلَادِهِمْ ، وَقَطَعْتَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ

(۱) يقال : كسبه مالا وأكسبه إياه فكسبه هو .

(۲) المعارف : الملاهي كالعود والطبور جمع معزف كعزف ومكنة .

(۳) لهج بالأمر : أغرى به فتأبر عليه .

(۴) وفي رواية أخرى « حين لا يفارقها » والمعنى على كلتاها صحيح .

(۵) الإرشاق جمع رشق بالكسر : وهو الوجه من الرمي .

(۶) القائلة : نصف النهار ، وقال قتيلا وقائلة وقيلولة ومقيلا ومقالا : نام فيه .

(۷) زرى عليه كرمى زواية : عابه كأزرى ، لكنه قليل . (۸) الشنآن : البغض .

يُوصَل ، إذ عمدتَ إلى أموال قريش ومواريتهم فأدخلتَها بيت المال جوراً وعدواناً ،
يا بن عبد العزيز ، اتق الله وراقبه إن شططت ، لم تطمئنَّ على منبرك حتى خصصتَ
أولَ قرابتك بالظلم والجور ، فوالذي خص محمدًا صلى الله عليه وسلم بما خصه به ، لقد
ازددتَ من الله بُعدًا في ولايتك هذه ، إذ زعمتَ أنها عليك بلاء ، فأقصرَ بعض ميلك ،
واعلم بأنك بعين جبار ، وفي قبضته ، ولن تُتركَ على هذا .

٤١٩ - رد عمر على كتابه

فلما قرأ عمر بن عبد العزيز كتابه كتب إليه :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى عمر بن
الوليد : السلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين ، أما بعدُ : فإنه بلغني كتابك
وسأجيبك بنحو منه :

أما أولُ شأنك^(١) يا بن الوليد ، فإنَّ أمَّك بُناةُ أمةِ السَّكُونِ^(٢) ، كانت تطوف
في أسواقِ حمص وتدخل في حوانيتها ، ثم الله أعلمُ بها ، اشتراها ذُبْيَانُ بن ذُبْيَانٍ من
فيء المسلمين ، فأهداها لأبيك ، فحملت بك ، فبئس الحامل وبئس الحمل ، ثم نشأت
فكنت جباراً عنيداً .

تزعم أني من الظالمين ، لأنِّي حرمتك وأهل بيتك فيء الله عز وجل الذي هو
حقُّ القرابة والمساكين والأرامل ، وإن أظلم مني وأتركَ لِمَهْدِ اللهِ من استعملك صبيًّا
سفيهاً على جُند المسلمين تحمُّمٌ بينهم برأيك ، ولم تكن له في ذلك نيةٌ إلا حُبُّ الوالد

(١) وفي البيان والتبيين « أما بعد فإنك كتبت تذكر أن عاملاً أخذ مالك بالحنية ، وتزعم أني من
الظالمين . . . » .

(٢) اسم قبيلة من كندة كانت تسكن شمالى حضرموت ، وفي البيان والتبيين « فأنت عمر بن الوليد ،
وأمك صناجة تدخل دور حمص وتطوف في حوانيتها » وامرأة صناجة (بفتح الصاد وتشديد النون) :
تضرب بالصنج (بالفتح) وهو شيء يتخذ من صفر يضرب أحدهما على الآخر ، وآلة باوتار يضرب بها ،
والظاهر أنه يريد بصناجة الوصف لا العلم .

لولده ، فَوَيْلٌ لَكَ وَوَيْلٌ لِأَبِيكَ ، مَا أَكْثَرَ خُصَمَاءَكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ! وَكَيْفَ يَنْجُوا أَبوكَ مِنْ خُصَمَائِهِ ؟

وَإِنْ أَظْلَمَ مِنِّي وَأَتْرَكَ لِعَهْدِ اللَّهِ مِنْ اسْتِعْمَلِ الْحِجَاجِ بْنِ يَوْسُفَ عَلَى خُمْسٍ^(۱) الْعَرَبِ ، يَسْفِكُ الدَّمَ الْحَرَامَ ، وَيَأْخُذُ الْمَالَ الْحَرَامَ .

وَإِنْ أَظْلَمَ مِنِّي وَأَتْرَكَ لِعَهْدِ اللَّهِ مِنْ اسْتِعْمَلِ قُرَّةَ بْنِ شَرِيكَ أَعْرَابِيًّا جَافِيًّا عَلَى مِصْرَ ، وَأُذِنَ لَهُ فِي الْمَعَازِفِ وَاللَّهُوِ وَالشَّرْبِ .

وَإِنْ أَظْلَمَ مِنِّي وَأَتْرَكَ لِعَهْدِ اللَّهِ مِنْ جَعَلَ لِعَالِيَةِ الْبَرِيرِيَّةِ مِهْمًا فِي الْخُمْسِ .

فَرُوَيْدَا بَابِنِ بِنَانَةَ ، فَلَوِ التَّقَتْ حَلَقَتَا الْبِطَانِ^(۲) وَرُدَّ النَّوَى إِلَى أَهْلِهِ ، لَتَفَرَّغَتْ لَكَ وَلِأَهْلِ بَيْتِكَ ، فَوَضَعْتُمْ عَلَى الْمَحَجَّةِ الْبَيْضَاءِ ، فَطَالَمَا تَرَكْتُمْ الْحَقَّ ، وَأَخَذْتُمْ فِي بُنْيَاتِ الطَّرِيقِ^(۳) ، وَمَنْ وَرَاءَ هَذَا مِنَ الْفَضْلِ مَا أَرْجُو أَنْ أَكُونَ رَأَيْتَهُ : بَيْعُ رَقَبَتِكَ وَقَسْمُ ثَمَنِكَ بَيْنَ الْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْأَرَامِلِ فَإِنَّ لِكُلِّ فَيْكَ حَقًّا ، وَالسَّلَامَ عَلَيْنَا وَلَا يَنَالُ سَلَامُ اللَّهِ الظَّالِمِينَ .

(سيرة عمر لابن الجوزي ، وشرح ابن أبي الحديد م ٤ : ١٤٧ ، والبيان والتبيين ٣ : ٢٣٠)

وفي خبر آخر أنه كتب إليه :

« إِنَّ أَظْلَمَ مِنِّي وَأَجْوَرَ مِنْ وَلِيِّ عَبْدِ تَقِيْفِ الْعِرَاقِ ، فَحُكِمَ فِي دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ ، وَإِنْ أَظْلَمَ مِنِّي وَأَجْوَرَ وَأَتْرَكَ لِعَهْدِ اللَّهِ مَنْ وَلِيَ قُرَّةَ مِصْرَ جِلْفًا جَافِيًّا ، وَإِنْ أَظْلَمَ مِنِّي وَأَجْوَرَ وَأَتْرَكَ لِعَهْدِ اللَّهِ مِنْ وَلِيَ عَثْمَانَ بْنِ حَيَّانَ الْحِجَازَ فَأَنْشَدَ الْأَشْعَارَ عَلَى مَنْبَرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَإِنَّمَا أَمْكُ كَانَتْ تَخْتَفِ إِلَى حَوَانِيْتِ حِمْصَ فَاشْتَرَاهَا ذُبْيَانَ

(١) وفي رواية ابن أبي الحديد « على خمسي العرب » .

(٢) البطان : حزام القتب ، وهو مثل يضرب عند بلوغ الشدة منتهاها .

(٣) بنيات الطريق : الطرق الصغار تنسب من الجادة .

ابن ذبيان فبعث بها إلى أبيك ، فحملت بك فبئس الجنين ، وبئس المولود ، ثم وضعتك جباراً شقيماً ، لقد هممت أن أبعث إليك من يخلق جنتك^(۱) ، فبئس الجمة .

(سيرة عمر لابن الجوزي ص ۱۱۳)

* * *

وفي خبر آخر أنه كتب إليه كتابا فيه :

« وقسم لك أبوك الخمس كله ، وإنما سهم أبيك كسهم رجل من المسلمين ، وفيه حق الله وحق الرسول وذو القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ، فما أكثر خصماء أبيك يوم القيامة ، فكيف ينجو من أكثر خصماؤه ؟ وإظهارك المعازف والمزامير بدعة في الإسلام ، لقد هممت أن أبعث إليك من يجزئ جنتك جمة السوء . »

(سيرة عمر لابن الجوزي ص ۱۱۴)

٤٢٠ - كتابه حين توفي ابنه عبد الملك

« أما بعد ، فإن الله تبارك اسمه ، وتعالى جده^(۲) ، كتب على خلقه حين خلقهم الموت ، وجعل مصيرهم إليه ، فقال جل ثناؤه فيما أنزل في كتابه الصادق ، الذي حفظه بعلمه ، وأشهد ملائكته على حقه : « إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِنَّا يُرْجَعُونَ » وقال لنبه صلى الله عليه وسلم : « وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ » وقال تعالى : « كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ » وقال عز وجل : « مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى » فالموت سبيل الناس في الدنيا ، لم يكتب الله ليحسن ولا لمسيء فيها خلوداً ، ولم يرض ما أعجب أهلها ثواباً لأهل طاعته ، ولم يرض ببلائها عقوبة لأهل معصيته ، فكل شيء منها أعجب أهلها أو كرهوا منه شيئاً متروكاً ، لذلك خلقت منذ خلقت ، ولذلك سكنت منذ سكنت

(۱) الجمعة: مجتمع شعر الرأس . (۲) الجد: العظمة .

لِيَبْلُوَ^(۱) اللهُ فِيهَا عِبَادَهُ أَهْيَمُ أَحْسَنُ عَمَلًا ؟ فَمَنْ قَدِمَ عِنْدَ خُرُوجِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَى طَاعَةِ اللهِ وَرِضْوَانِهِ مِنْ أَنْبِيَائِهِ وَأُمَّةِ الْهُدَى الَّذِينَ أَمَرَ اللهُ نَبِيَهُ أَنْ يَقْتَدِيَ بِهِدَاهِمُ ، خُلِدَ فِي دَارِ الْإِقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ ، لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نُفُوبٌ^(۲) وَمَنْ كَانَتْ مَفَارِقَتُهُ الدُّنْيَا إِلَى غَيْرِهِمْ وَإِلَى غَيْرِ مَنَازِلِهِمْ ، فَقَدْ قَابَلَ الشَّرَّ الطَّوِيلَ ، وَأَقَامَ عَلَى مَا لَا قِبَلَ لَهُ بِهِ ، وَأَسْأَلَ اللهُ بِرَحْمَتِهِ أَنْ يُبْقِيَنَا مَا أَبْقَانَا فِي الدُّنْيَا مَطِيعِينَ أَمْرِهِ ، مُتَّبِعِينَ لِكِتَابِهِ ، وَأَنْ يُقَدِّمَنَا إِذَا خَرَجْنَا مِنَ الدُّنْيَا إِلَى نَبِينَا وَمَنْ أَمَرَ أَنْ يُقْتَدِيَ بِهِدَاهِمُ مِنَ الْمَصْطَفَيْنِ الْأَخْيَارِ ، وَأَسْأَلُهُ بِرَحْمَتِهِ أَنْ يَقِينَا أَعْمَالَ السُّوءِ فِي الدُّنْيَا ، وَالسَّيِّئَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

ثم إن عبد الملك ابن أمير المؤمنين كان عبد الله أحسن الله إليه ، وأحسن إلى أبيه فيه ، أعاشه ما أحب أن يعيشه ، ثم قبضه حين أحب أن يقبضه ، وهو - فيما علمت - بالموت مُغْتَبِطٌ^(۳) يرجو من الله فيه رجاءً حسناً ، وأعوذ بالله أن تكون لي محبة في شيء من الأمور تخالف محبة الله تعالى ، فإن ذلك لا يصلح لي في بِلَائِهِ^(۴) عندي ، وإحسانه إليّ ، ونعمته عليّ .

وقد قلت عندما ما كان في سبيله : أحمده الله على ما رجوت به ثواب الله الحسن ، وموعودته الصادق من المغفرة ، إنا لله وإنا إليه راجعون ، ثم لم أجد في نفسي - والحمد لله - إلا خيراً من رضا بقضاء الله تعالى واحتساب لما كان من المصيبة ، فحمدتُ الله على ما مضى وعلى ما بقى ، وعلى كل حال من أمر الدنيا والآخرة ، أحببتُ أن أعلمكم بذلك وأكتب إليكم به فلا أعلم مما ينبح عليه في شيء مما قبلكم ، ولا يجتمع على ذلك أحد من الناس ، ولا رخصتُ فيه لقريب من الناس ولا بعيد ، والسلام .

(سيرة عمر لابن الجوزي ص ۲۶۸)

• • •

(۱) يبلو : يخبر . (۲) النفوب : التعب والإعناء .

(۳) مسرور . (۴) أي نعمته .

وفي رواية صاحب العمدة :

لما مات عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز كتب إلى عماله :
 « إن عبد الملك كان عبداً من عبيد الله أحسن الله إليه وإلى فيه ، أعاشه ما شاء ،
 وقبضه حين شاء ، وكان ما علمت من صالحى شباب أهل بيته : قراءة للقرآن ، وتحريراً
 للخير ، وأعوذ بالله أن تكون له محبةٌ أخالف فيها محبة الله ، فإن ذلك لا يحسن في
 إحسانه إلى وتتابع نعيمه على ، ولأعلمن ما بكت عليه باكية ، ولا ناحت عليه
 نائحة ، قد نهينا أهله الذين هم أحق بالبكاء عليه . »

(العقد الفريد ۲ : ۳۵)

۴۲۱ - كتابه إلى سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب :

« من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى سالم بن عبد الله :

سلام عليك ، فإني أحمّد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد ، فإن الله تبارك
 اسمه وتعالى جدّه ، ابتلاني بما ابتلاني به من أمركم ، من غير مشورة مني فيه ولا طلب ،
 لإقضاء من الرحمن الرحيم ، فأسألُ الذي ابتلاني بما ابتلاني به من أمر عباده وبلاده
 أن يُحسّن عوّني وعاقبتى وعاقبة من ولّاني أمرهم ، وأن يرزقني منهم السمع والطاعة
 وحسن المؤازرة ، وأن يرزقهم مني الرأفة والمعدلة ، وقد رأيت أن أسير في الناس بسيرة
 عمر بن الخطاب^(۱) رضى الله عنه ، إن قضى الله ذلك واستطعت إليه سبيلاً ، فابعث إلى
 بكتب عمر وقضائه في أهل القبلة^(۲) وأهل العهد^(۳) ، فإني متبع أثره وسائر بسيرته
 إن شاء الله تعالى ، وأسألُ الله التوفيق لما يحب ويرضى . »

(سيرة عمر لابن الجوزى ص ۱۲۷)

(۱) وأم عمر بن عبد العزيز هي أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب .

(۲) أى المسلمين . (۳) أى الذين .

۴۲۲ - رد سالم علی کتاب عمر

فأجابه سالم :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من سالم بن عبد الله بن عمر إلى عبد الله عمر أمير المؤمنين :

« سلامٌ عليك ، فإني أُحمدُ إليك اللهَ الذي لا إلهَ إلا هو ، أما بعدُ : فإن الله عزَّ وجلَّ خلقَ الدنيا إما أراد أن يخلقها له ، فجعل لها مدةً قصيرةً ، كأنَّ ما بين أولها وآخرها ساعةً من نهار ، ثم قضى عليها وعلى أهلها الفناء ، فقال : « كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ » لا يقدرُ أهلها منها يا عمر على شيءٍ حتى تفارقهم ويفارقوها ، بعثَ بذلك رسوله ، وأنزل كتابه ، ضرب في ذلك الأمثال ، وضربَ فيه الوعيدَ ، جعل دينه في الأولين والآخرين ديناً واحداً فلم يختلف رُسُلُهُ ، ولم يُبدلْ قوله ، ثم إنك يا عمرُ است تعدو أن تكون رجلاً من بني آدم ، يكفيك ما يكفي رجلاً منهم ، من الطعام والشراب ، فأجعل فضلَ ذلك فيما بينك وبين الربِّ الذي توجَّهَ إليه شكرَ النعم ، فإنك قد وليتَ أمراً عظيماً ، ليس يلي عليك أحدٌ دونَ الله عزَّ وجلَّ ، إن استطعتَ أن لا تخسرَ نفسك وأهلكَ يومَ القيامةِ فافعل ، فإنه قد كان قبلك رجالٌ عملوا ما عملوا وأُحيوا ما أُحيوا من الباطل ، وأماتوا ما أماتوا من الحق ، حتى وُلِدَ في ذلك رجالٌ ونَشِئُوا فيه ، وظنوا أنها السُّنَّةُ ، فسَدُّوا على الناسِ أبوابَ الرِّخاءِ ، فلم يسدُّوا منها باباً إلا فتَحَ اللهُ عليهم بابَ بلاءٍ ، فإن استطعتَ - ولا قوةَ إلا بالله - أن تفتحَ على الناسِ أبوابَ الرِّخاءِ فافعل ، فإنك لَنْ تفتحَ منها باباً إلا سدَّ اللهُ لكريمَ عنك بابَ بلاءٍ ، ولا يَمْنَعُكَ مِنْ نَزْعِ عاملٍ أن تقولَ لا أُجدُ من يكفيني عمَلَهُ ، فإنك إذا كنتَ تنزِعُ اللهُ ، وتستعملُ اللهُ ، أتاحَ اللهُ لك أعواناً ، فأناك بهم ، وإنما

قَدْرُ عَوْنِ اللَّهِ إِيَّاكَ بِقَدْرِ نَيْتِكَ ، فَإِنْ تَمَّتْ نَيْتُكَ تَمَّ عَوْنُ اللَّهِ الْكَرِيمِ إِيَّاكَ ، وَإِنْ قَصُرَتْ نَيْتُكَ قَصُرَ مِنْ اللَّهِ الْعَوْنُ بِحَسَبِ ذَلِكَ .

فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَأْتِيَ اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَتَّبِعُكَ أَحَدٌ بِظُلْمٍ ، وَيَجِيءُ مِنْ كَانَ قَبْلَكَ وَهُمْ غَابِطُونَ لَكَ بِقَلَّةِ أَتْبَاعِكَ ، وَأَنْتَ غَيْرُ غَابِطٍ لَهُمْ بِكَثْرَةِ أَتْبَاعِهِمْ ، فَافْعَلْ ، وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ، فَإِنَّهُمْ قَدْ عَابَنُوا هَوْلَ الْمَطْلَعِ ، وَعَاجَلُوا فَرْعَ الْمَوْتِ الَّذِي كَانُوا مِنْهُ يَفِرُّونَ ، فَانْشَقَّتْ بَطُونُهُمُ الَّتِي كَانُوا لَا يَشْبَعُونَ بِهَا ، وَانْفَقَتْ أَعْيُنُهُمُ الَّتِي كَانَتْ لَا تَنْقِطِعُ لَذَّتُهَا ، وَانْدَقَّتْ رِقَابُهُمْ فِي التَّرَابِ غَيْرَ مُوسِدِينَ ، بَعْدَ مَا تَعَلَّمَ مِنْ تَظَاهَرٍ^(۱) الْفُرُشِ وَالْمَرَافِقِ وَالشَّرُرِ وَالنَّحْدَمِ ، فَصَارُوا جِيْفًا فِي بَطُونِ الْأَرْضِ تَحْتَ مِهَادِهَا ، وَاللَّهُ لَوْ كَانُوا إِلَى جَانِبِ مَسْكِنٍ لَتَأَذَى بِرِيحِهِمْ بَعْدَ إِفْئَاقِ مَا لَا يُحْصَى عَلَيْهِمْ وَعَلَى خَوَاصِّهِمْ مِنَ الطَّيِّبِ ، كُلِّ ذَلِكَ إِسْرَافًا ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ .

مَا أَعْظَمَ الَّذِي ابْتَلَيْتَ بِهِ ، وَأَفْظَعَ الَّذِي سَيِّقَ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ ! أَهْلَ الْعِرَاقِ : وَأَهْلَ الْعِرَاقِ يَكُونُوا مِنْ صَدْرِكَ بِمَنْزِلَةِ مَنْ لَاقَرَ بِكَ إِلَيْهِ ، وَلَا غِنَى بِكَ عَنْهُ ، أَهْلَ الْعِرَاقِ أُرْهِمُ مِنْكَ مَنْزِلَةَ مَنْ لَاقَرَ بِكَ إِلَيْهِ وَلَا غِنَى بِكَ عَنْهُ فَمَنْ بَعَثْتَ مِنْ عَمَلِكَ إِلَى الْعِرَاقِ ، فَانْهَ نَهْيًا شَدِيدًا شَبِيهًا بِالْعُقُوبَةِ عَنْ أَخْذِ الْأَمْوَالِ وَسَفْكَ الدَّمَاءِ إِلَّا بِحَقِّهَا ، الْمَالِ الْمَالَ يَاعْمُرُ ، الدَّمِ الدَّمَ يَاعْمُرُ ، فَإِنَّهُ لَا نَجَاةَ لَكَ مِنْ هَوْلِ جَهَنَّمَ مِنْ عَامِلٍ بَلَغَكَ ظُلْمُهُ ثُمَّ لَمْ تَغْيِرْهُ ، وَإِنَّهُ مَنْ بَعَثْتَ مِنْ عَمَالِكَ أَنْ يَعْمَلُوا بِمَعْصِيَةٍ ، أَوْ أَنْ يَحْكُمُوا بِشُبُهَةٍ ، أَوْ أَنْ يَحْتَكِرُوا عَلَى الْمُسْلِمِينَ بَيْعًا ، فَإِنَّكَ إِنْ اجْتَرَأْتَ عَلَى ذَلِكَ أَتَى بِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ذَلِيلًا صَغِيرًا ، وَإِنْ تَجَنَّبْتَ عَنْهُ عَرَفْتَ رَاحَتَهُ فِي سَمْعِكَ وَبَصْرِكَ وَقَلْبِكَ . ثُمَّ إِنَّكَ كَتَبْتَ إِلَى تَسَالُنِي أَنْ أُبْعَثَ إِلَيْكَ بِكُتُبِ عَمْرِ وَبِقَضَائِهِ فِي أَهْلِ الْقِبْلَةِ وَفِي أَهْلِ الْعَهْدِ ، وَإِنْ عَمِرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَمِلَ فِي غَيْرِ زَمَانِكَ ، وَعَمِلَ بِغَيْرِ رَجَالِكَ ، وَإِنَّكَ إِنْ عَمِلْتَ فِي زَمَانِكَ عَلَى النَّحْوِ الَّذِي عَمِلَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ فِي زَمَانِهِ بَعْدَ الَّذِي

(۱) يقال : ظاهر بين ثوبين ، إذا طابق بينهما وليس أحدهما على الآخر ، وكأنه من التظاهر وهو التعاون والتساعد .

رَأَيْتَ وَبَلَوْتَ ، رَجوتُ أَنْ تَكُونَ أَفْضَلَ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ ،
فَقُلْ كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ :

« وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ » .

(سيرة عمر لابن الجوزي ص ۱۲۷)

۴۲۳ - كتاب الحسن البصرى إلى عمر بن عبد العزيز

صفة الإمام العادل

ولما ولى عمر بن عبد العزيز الخلافة كتب إلى الحسن البصرى^(۱) أن يكتب إليه
بصفة الإمام العادل ، فكتب إليه الحسن رحمه الله :

« اعلم يا أمير المؤمنين أن الله جعلَ الإمامَ العادلَ قوامَ كلِّ مائلٍ ، وقصدَ^(۲)
كلِّ جائرٍ ، وصلاحَ كلِّ فاسدٍ ، وقوةَ كلِّ ضعيفٍ ، ونصفةَ^(۳) كلِّ مظلومٍ ، ومفزعَ
كلِّ ملهوفٍ . والإمامَ العدلَ يا أمير المؤمنين كالراعى الشفيقِ على إبله ، الرفيقِ الذى
يرتادُ لها أطيبَ المرعى ، ويذودُها عن مراتعِ الهلكةِ ، ويحميها من السباعِ ، ويكفها
من أذى الحرِّ والقرِّ^(۴) ، والإمامَ العدلَ يا أمير المؤمنين كالأبِ الحانى على ولده ،
يسمى لهم صغاراً ويعلمهم كباراً ، يكتسب لهم فى حياته . ويدخر لهم بعد مماته . والإمامَ العدلَ
يا أمير المؤمنين كالأمِ الشفيقةِ البرّةِ الرّفيقةِ بولدها ، حملته كرها ، ووضعت كرها ، وربته
طفلاً ، تسهر بسهره ، وتسكن بسكونه ، ترضعه تارة ، وتقطعه أخرى ، وتفرح بمافيته ، وتنتقم
بشكايته . والإمامَ العدلَ يا أمير المؤمنين وصى اليتامى ، وخازنُ المساكينِ يرَبُّى صغيرهم ،

(۱) هو أبو سعيد الحسن بن أبى الحسن يسار البصرى ، وكان أبوه يسار من سبي ميسان ، (بلدة
بأسفل البصرة) سباه المغيرة بن شعبه حين افتتحها فى عهد عمر بن الخطاب ، ثم صار يسار مولى لزيد
ابن ثابت وعنه أخذ الحسن العلم وتفقه فى الدين ، وكانت أم الحسن وتسمى خيرة مولاة لأم سلمة زوج
النبي صلى الله عليه وسلم وفى بيتها ولد الحسن سنة ۲۱ وقيل سنة ۲۲ بالمدينة المنورة ، ونشأ الحسن بوادى
القرى وولّى الفصاحة عن أعرابه ، وكان من سادات التابعين وكبرائهم ، بارعاً فى الفقه ، معروفًا بالورع
والزهد والعبادة ، وهو شيخ واصل بن عطاء رأس المعتزلة . وكانت وفاته بالبصرة سنة ۱۱۰ هـ
فى خلافة هشام .

(۲) هداية ورشاد . (۳) اسم من الإنصاف . (۴) مثلث القاف : البرد .

وَيَمُونُ كَبِيرِهِمْ . وَالْإِمَامَ الْعَدْلَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كَالْقَلْبِ بَيْنَ الْجَوَانِحِ ، تَصْلُحُ الْجَوَانِحُ بِصَلَاحِهِ ، وَتَفْسُدُ بِفَسَادِهِ . وَالْإِمَامَ الْعَدْلَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هُوَ الْقَائِمُ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ عِبَادِهِ يَسْمَعُ كَلَامَ اللَّهِ وَيُسْمِعُهُمْ ، وَيَنْظُرُ إِلَى اللَّهِ وَيُرِيهِمْ ، وَيَنْقَادُ إِلَى اللَّهِ وَيَقُودُهُمْ ، فَلَا تَكُنْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِيمَا مَلَكَكَ اللَّهُ كَعَبْدِ اثْمَنَةَ سَيِّدِهِ ، وَاسْتَحْفَظْهُ مَالَهُ وَعِيَالَهُ ، فَبَدَدَ الْمَالَ ، وَشَرَّدَ الْعِيَالَ ، فَأَفْقَرَ أَهْلَهُ ، وَفَرَّقَ مَالَهُ . وَاعْلَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ الْحُدُودَ لِيَزْجُرَ بِهَا عَنِ الْخَبَائِثِ وَالْفَوَاحِشِ ، فَكَيْفَ إِذَا أَتَاهَا مَنْ بَيْبَهَا؟ وَأَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ الْقِصَاصَ حَيَاةً لِعِبَادِهِ ، فَكَيْفَ إِذَا قَتَلَهُمْ مَنْ يَقْتَصُّ لَهُمْ؟ وَاذْكَرْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْمَوْتَ وَمَا بَعْدَهُ ، وَقَوْلَةَ أَشْيَاعِكَ عِنْدَهُ ، وَأَنْصَارِكَ عَلَيْهِ ، فَتَزَوَّدْ لَهُ ، وَمَا بَعْدَهُ مِنْ الْفِرَاقِ الْأَكْبَرِ . وَاعْلَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ لَكَ مَنْزِلًا غَيْرَ مَنْزِلِكَ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ ، يَطُولُ فِيهِ ثَوَاؤُكَ ، وَيَفَارِقُكَ أَحِبَّاءُكَ ، وَيُسَلِّمُونَكَ فِي قَعْرِهِ قَرِيدًا وَحِيدًا ، فَتَزَوَّدْ لَهُ مَا يَصْحَبُكَ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ، وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ، وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ . وَاذْكَرْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا بُعِثَ مَا فِي الْقُبُورِ ، وَحُصِّلَ مَلَى الصُّدُورِ ، فَالْأَسْرَارُ ظَاهِرَةٌ ، وَالْكِتَابُ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ، فَالآنَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْتَ فِي مَهَلٍ ، قَبْلَ حُلُولِ الْأَجْلِ وَانْقِطَاعِ الْأَمَلِ ، لَا تَحْكُمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي عِبَادِ اللَّهِ بِحُكْمِ الْجَاهِلِينَ ، وَلَا تَسْلُكْ بِهِمْ سَبِيلَ الظَّالِمِينَ ، وَلَا تَسَاطِطِ الْمُسْتَكْبِرِينَ عَلَى الْمُسْتَضْعَفِينَ ، فَإِنَّهُمْ لَا يَرْتَقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا^(۱) وَلَا ذِمَّةَ ، فَتَبَوَّءْ بِأَوْزَارِكَ وَأَوْزَارِ مَعَ أَوْزَارِكَ ، وَتَحْمَلْ أَثْقَالَكَ وَأَثْقَالَ مَعَ أَثْقَالِكَ ، وَلَا يَفْرَتِكَ الَّذِينَ يَقْنَعُونَ بِمَا فِيهِ بُؤْسُكَ ، وَبِأَكْلُونِ الطَّيِّبَاتِ فِي دُنْيَاهُمْ بِإِذْهَابِ طَيِّبَاتِكَ فِي آخِرَتِكَ . لَا تَنْظُرْ إِلَى قَدْرَتِكَ الْيَوْمَ ، وَلَكِنْ انظُرْ إِلَى قَدْرَتِكَ غَدًا ، وَأَنْتَ مَأْسُورٌ فِي حَبَائِلِ الْمَوْتِ ، وَمَوْقُوفٌ بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ فِي جَمْعٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالنَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ ، وَقَدْ عَنَّتِ^(۲) الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ . إِنِّي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِنْ لَمْ أَبْلُغْ بِعِظَتِي مَا بَلَّغَهُ أُولُو النَّهْيِ مِنْ قَبْلِي فَلَمْ آلُكَ^(۳) شَفَقَةً

(۱) عهدا . (۲) خضعت وذلك . (۳) لم أقصر .

ونصحا ، فَأَنْزِلْ كِتَابِي إِلَيْكَ كَمَا دَاوَى حَبِيبَهُ بِسُقْيِهِ الْأَدْوِيَةَ الْكُرِيهَةَ ، لِمَا يَرْجُو
لَهُ فِي ذَلِكَ مِنَ الْعَافِيَةِ وَالصَّحَّةِ ، وَالسَّلَامِ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَرَحِمَةَ اللَّهِ
وَبَرَكَاتِهِ .

(العقد الفريد ۱ : ۱۲ ، والحسن البصرى لابن الجوزى ص ۵۶)

۴۲۴ - رسالة الحسن البصرى إلى عمر بن عبد العزيز

وكتب الحسن البصرى إلى عمر بن عبد العزيز رحمهما الله :
« أما بعد ، اعلم يا أمير المؤمنين أن الدنيا دار ظنن^(۱) ، وليست بدار إقامة ، وإنما
أهبط إليها آدم من الجنة عقوبةً ، وقد يحسب من لا يدري ما ثواب الله أنها ثواب ،
ومن لم يدرك ما عقاب الله أنها عقاب ، ولها في كل حين صرعة ، وليست صرعة كصرعة
هي تهين من أكرمها ، وتذل من أعزها ، وتصرع من آثرها ، ولها في كل حين
قتلى ، فهي كالتم يأكله من لا يعرفه وفيه حتفه ، فالزاد فيها تر كها ، والغنى فيها
فقرها ، فكن فيها يا أمير المؤمنين كالدواى جرحه : يصبر على شدة الدواء ، مخافة
طول البلاء ويحتمى قليلا ، مخافة ما يكره طويلا ، فإن أهل الفضائل كانوا منقطعهم
فيها بالصواب ، ومشيمهم بالتواضع ، ومقطعهم الطيب من الرزق ، مغمضى أبصارهم عن
المحارم ، نخوفهم في البر كخوفهم في البحر ، ودعاؤهم في السراء كدعائهم في الضراء ،
لولا الآجال التي كتبت لهم ، ماتت أرواحهم في أجسادهم خوفا من العقاب ، وشوقا
إلى الثواب ، عظم الخالق في نفوسهم ، فصغر المخلوقون في أعينهم .

واعلم يا أمير المؤمنين أن التفكير يدعو إلى الخير والعمل به ، وأن الندم على الشر
يدعو إلى تركه ، وليس ما يفنى وإن كان كثيرا بأهل أن يؤثر على ما يبقى وإن
كان طلبه عزيزا ، واحتمال المثونة المنقطعة التي تعقب الراحة الطويلة خير من تعجيل
راحة منقطعة تعقب مثونة باقية ، وندامة طويلة . فاحذر هذه الدنيا الصارعة الخاذلة

(۱) ارتحال :

القائلة التي قد تزينت بخدعها، وفتكت بفرورها، وخدعت بآمالها، فأصبحت كالعروس المجلوة؛ فالعيون إليها ناظرة، والقلوب عليها وآلهة^(۱)، والنفوس لها عاشقة، وهي لأزواجها كلهم قاتلة، فلا الباقى بالماضى مُعتبر، ولا الآخِرُ إمّا رأى من أثرها على الأول مُزدَجِر، ولا العارفُ بالله المصدق له حين أخبره عنها مُدَّكر، قد أبتِ القلوبُ لها إلا حُبًا، وأبتِ النفوس لها إلا عِشقا، ومن عَشِقَ شيئًا لم يُلْهِمْ غيرَه، ولم يَعْقِلَ سواه، مات في طلبه، وكان آثرَ الأشياءِ عنده فهما عاشقان طالبان مجتهدان؛ فعاشِقٌ قد ظَفِرَ منها بحاجته فأغنته، وطغى ونسى ولها، ففعل عن مبتدأ خلقه، وضيع ما إليه معاده، فقلَّ في الدنيا لُبثه حتى زالت عنه قَدَمُهُ، وجاءته منيته على أسرٍ ما كان منها حالًا وأطول ما كان فيها أملا، فعظُم ندمه، وكثرت حسرتته، مع ما عالج من سكرته، فاجتمعت عليه سكرة الموت بِكُربته، وحسرة الفوت بِنُصته، فغيرُ موصوفٍ ما نزل به. وآخر مات من قبل أن يظفرَ منها بحاجته، فمات بغمه وكأده، ولم يدرك فيها ما طلب، ولم يرح نفسه من التعب والنصب، فخرجا جميعًا بغير زاد، وقد ما على غير مهاد. فاحذرُها يا أمير المؤمنين الحذرَ كَلَّهُ، فإنما مثلها كمثل الحية، لئن مَشَّها، تقتل بسنمها، فأعرض عما يُعجبك فيها، لقله ما يُصحبك منها، وضع عنك همومها، إمّا قد أيقنت من فراقها، واجعل شدة ما أشتدَّ منها رجاء ما ترجو بعدها، وكن - عند أمرٍ ما تكون فيها - أحذر ما تكون لها؛ فإن صاحب الدنيا كلما اطمان منها إلى سرورٍ، صحبته من سرورها بما يسوءه، وكلما ظفرَ منها بما يحب انقلبت عليه بما يكرهه، فالسائرُ منها لأهلها غارٌّ، والنافع منها غدا ضارٌّ، وقد وصل الرخاء فيها بالبلاء، وجعل البقاء فيها مؤدِّيا إلى الفناء، فسروورها بالحزن مشوبٌ، والناعم فيها مملوبٌ.

(۱) من الوله بالتحريك، وهو ذهاب العقل من شدة الوجد.

فانظر يا أمير المؤمنين إليها فنظر الزاهد المفاقر ، ولا تنظر نظر المبتلى العاشق ،
واعلم أنها تُزِيلُ النَّوَى^(۱) الساكن ، وتَفْجَعُ الْمُتَرَفَّ فِيهَا الْأَمِينَ ، ولا تَرْجِعُ مَا تَوَلَّى
وأدبرَ ، ولا بدَّ مَا هُوَ آتٍ مِنْهَا يُنْتَظَرُ ، ولا يَتَّبِعُ مَا صَفَا مِنْهَا إِلَّا كَدْرَ ، فَاحْذَرُهَا
فإن أمانيتها كاذبة ، وأما لها باطلة ، وعيشها نكد ، وصفوها كدر ، وأنت منها على
خطر ، إما نعمة زائلة ، وإما بلية نازلة ، وإما مصيبة فادحة^(۲) ، وإما منية قاضية ، فلقد
كدرت المعيشة لمن عقل ، فهو من نعيمها على خطر ، ومن بليتها على حذر ، ومن المنية
على يقين .

فلو كان الخالق تبارك وتعالى لم يُخْبِرَ عَنْهَا بِخَبْرٍ ، ولم يَضْرِبْ لَهَا مَثَلًا ، ولم يأمر فيها
بِزُهْدٍ ، لكانت الدنيا قد أَبْقَطَتِ النَّاسَ ، ونَبَّهَتِ الْعَاقِلَ ، فكيف وقد جاء عن الله عزَّ
وجل منها زاجر ، وفيها واعظ ، فما لها عنده قَدْرٌ ولا وزن من الصَّغَرِ ، فلهيَ عنده
أصغر من حصاة في الحصى ، ومن مقدار نواة في النوى ، ما خلق الله عزَّ وجل فيما بلغنا
أبغضَ إلى الله تعالى منها ، ما نَظَرَ إِلَيْهَا مِنْذُ خَلْقِهَا ، ولقد عَرِضَتْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَفَاتِيحِهَا وَخَزَائِنِهَا ، لا يَنْقُصُهُ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ ، فأبى أن يقبلها ،
وما منعه من القبول لها - مع ما لا يَنْقُصُهُ اللَّهُ شَيْئًا مِمَّا عِنْدَهُ كَمَا وَعَدَهُ - إلا أنه عَلِمَ
أن الله عزَّ وجلَّ أَبْغَضَ شَيْئًا فَأَبْغَضَهُ ، وصَغَرَ شَيْئًا فَصَغَّرَهُ ، ولو قَبِلَهَا كَانَ الدَّلِيلُ
عَلَى مَحَبَّتِهِ قَبُولَهُ إِيَّاهَا ، وَلَكِنَّهُ كَرِهَ أَنْ يَخَالَفَ أَمْرَهُ ، أَوْ يَجِبَ مَا أَبْغَضَ خَالِقَهُ ،
أَوْ يَرْفَعُ مَا وَضَعَ مَلِيكَهُ .

وكان في آخر هذه الرسالة :

ولا تأمن أن يكون هذا الكلام حجة عليك ، نفعني الله وإياك بالوعظة ، والسلام
عليك ورحمة الله وبركاته .
(سيرة عمر لابن الجوزي ص ۱۲۱)

(۱) النوى : المقيم . (۲) فدحة : أنقله .

۴۲۵ - کتاب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى الحسن : اكتب إلى يا أبا سعيد بدم الدنيا
فكتب إليه :

«أما بعدُ يا أمير المؤمنين، فإن الدنيا دار ظنُّ وأنتقال، وأيست بدار إقامة على حال،
وإنما أنزل إليها آدمُ عقوبةً، فأحذرَها، فإن الراغب فيها تارك، والغنى فيها فقير،
والسعيد من أهلها من لم يتعرَّض لها، إنها إذا اختبرها اللبيب الحاذق وجدَّها تذلُّك من
أعزها، وتفرِّق من جمعها، فهي كالتمَّ يأكله من لا يعرفه، ويرغب فيه من
يجهله، وفيه والله حتفه، فكن فيها يا أمير المؤمنين كالمدَّوى جراحه، يحتمى قليلاً
مخافة ما يكره طويلاً، الصبرُ على لأوائها^(۱) أيسرُ من أحتال بلائها، واللبيبُ
من حذرَها ولم يفتِّرْ بزینتها، فإنها غدَّارة ختالة^(۲) خداعة، قد تعرضت بآمالها،
وتزيَّنت لخطابها، فهي كالعروس، العيونُ إليها ناظرة، والقلوبُ عليها والهة،
وهي - والذي بعثَ محمداً بالحق - لأزواجها قاتلة، فاتق يا أمير المؤمنين صرعتها،
وأحذر عثرتها، فالرِّخاء فيها موصولٌ بالشدة والبلاء، والبقاء مؤدٌّ إلى الهلكة والفناء.
وأعلم يا أمير المؤمنين أن أمانيتها كاذبة، وآمالها باطلة، وصفوها كدر، وعيشها
نكد، وتاركها موفِّق، والتمكُّك بها هالك غرق، والفطن اللبيب من خاف ما خوفه
الله، وحذر ما حذرَه، وقدَّر من دار الفناء إلى دار البقاء، فعند الموت يأتيه اليقين،
الدنيا - والله يا أمير المؤمنين - دارُ عقوبة، لها يجمع من لا عقل له، وبها يفتِّر من
لا علم عنده، والحازم اللبيب من كان فيها كالمدَّوى جراحه، يصبرُ على مرارة الدواء
ليأرجو من العافية، ويخاف من سوء عاقبة الدار، والدُّنيا - وإيمُّ الله يا أمير المؤمنين -

(۱) الأواء : الشدة .

(۲) خداعة .

حُلم ، والآخرة بَقَظَةً ، والمتوسط بينهما الموت ، والعبادُ في أضغاثِ أحلام ، وإني قائل لك يا أمير المؤمنين ما قال الحكيم :

فإن تنجُ منها تنجُ من ذى عظمة وَإِلَّا فإني لا إخالُك ناجياً^(۱)

ولما وصل كتابه إلى عمر بن عبد العزيز بكى وأنتحب حتى رَحِمَهُ مَنْ كان عنده وقال : يرحم الله الحسن ، فإنه لا يزال يُوقِظنا من الرُقْدَةِ ، وينبها من الغفلة ، وَلِلَّهِ هُوَ مِنْ مُشْفِقٍ مَا أَنْصَحَهُ ! وواعظٍ ما أصدقَه وَأفصحَه !

(الحسن البصرى لابن الجوزى ص ۵۴)

۴۲۶ - كتاب عمر بن عبد العزيز إلى الحسن

وكتب إليه عمر بن عبد العزيز :

« وَصَلَتْ مَوَاعِظُكَ النَّافِعَةَ فَاسْتَفَيْتُ بِهَا ، وَلَقَدْ وَصَفْتَ الدُّنْيَا بِصِفَتِهَا ، وَالْعَاقِلُ مَنْ كَانَ فِيهَا عَلَى وَجَلٍ ، فَكَأَنَّ كُلَّ مَنْ كُتِبَ عَلَيْهِ الْمَوْتُ مِنْ أَهْلِهَا قَدْ مَاتَ ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ . »

فلما وصل كتابه إلى الحسن ، قال : لله أمير المؤمنين من قائلِ حقا ، وقابلِ وعظا ، لقد أعظم الله - جل ثناؤه - بولايته المِنَّةَ ، ورحم بسلطانه الأمة ، وجعله بركة ورحمة .
(الحسن البصرى لابن الجوزى ص ۵۵)

۴۲۷ - كتاب الحسن البصرى إلى عمر بن عبد العزيز

وكتب إليه : « أما بعدُ ، فإن الهول الأعظم ، والأمر المطلوب أمامك ، ولا بُدَّ مِنْ مَشَاهِدَتِكَ ذَلِكَ ، إِمَّا بِنَجَاةٍ أَوْ بِعَطَبٍ . »

(الحسن البصرى لابن الجوزى ص ۵۶)

(۱) في هذه الرسالة بعض ما في سابقها ، وقد أوردت كليهما كما وردت .

۴۲۸ - کتاب الحسن البصرى إلى عمر بن عبد العزيز

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى الحسن : اكتب إلى يا أبا سعيد بموعظة فأوجز ،
فكتب إليه :

« أما بعدُ يا أمير المؤمنين : فكأن الذى كان لم يكن ، وكان الذى هو كائنٌ قد
تزل ، واعلم يا أمير المؤمنين أن الصبر - وإن أذاقك تعجيل مرارته - فلننعم ما أعقبك
من طيب حلاوته ، وحسن عاقبته ، وأن الهوى - وإن أذاقك طعم حلاوته - فلبس
ما أعقبك من مرارته وسوء عاقبته ، واعلم يا أمير المؤمنين أن الفأخر من حَرَص على
السلامة في دار الإقامة ، وقاز بالرحمة فأدخل الجنة » .
(الحسن البصرى لابن الجوزى ص ۵۴)

۴۲۹ - كتاب الحسن إلى عمر

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى الحسن البصرى « عِظْنِي » فكتب إليه الحسن :
« أما بعدُ : يا أمير المؤمنين ، فكن للمثل من المسلمين أخا ، وللأكبر
ابنًا ، وللصغير أبا ، وعاقب كل واحد منهم بذنبه على قدر جسمه ، ولا تضربن
لغضبك سوطا واحداً فتدخل النار^(۱) » . (سيرة عمر لابن الجوزى ص ۱۲۴)

۴۳۰ - كتاب الحسن إلى عمر

وكتب الحسن البصرى إلى عمر بن عبد العزيز :
« واعلم أن الهول الأعظم ، ومفطعات الأمور أمامك لم يقطع منها بعد ، وأنه لا بد
والله لك من مشاهدة ذلك ومعابنته ، إما بالسلامة والنجاة منه ، وإما بالتعطب » .
(سيرة عمر لابن الجوزى ص ۱۲۴)

(۱) ورد هذا القول في سيرة عمر لابن الجوزى ص ۱۱ منسوبا إلى محمد بن كعب القرظى .

۴۳۱ - کتاب الحسن إلى عمر

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى الحسن البصرى « عظمى وأَوْجِزُ فكتب إليه :
« أما بعدُ ، فإن رأس ما هو مُصْلِحُكَ ، ومُصْلِحُ به على يدك : الزهد في الدنيا ،
وإنما الزهد باليقين ، واليقين بالتفكير ، والتفكير بالاعتبار ، فإذا أنت تفكرت في الدنيا
لم تجدها أهلاً أن تبيع بها نفسك ، ووجدت نفسك أهلاً أن تُكْرِمَها بهوان الدنيا ،
فإنما الدنيا دار بلاء ، ومنزل غفلة » . (سيرة عمر لابن الجوزى ص ۱۲۴)

۴۳۲ - كتاب الحسن إلى عمر

وكتب الحسن البصرى إلى عمر بن عبد العزيز :
« أما بعدُ ، فلو كان لك عمر نوح ، ومُلك سليمان ، وبقين إبراهيم ، وحكمة
لقمان ، فإن أمامك هول الموت ، ومن وراءه داران ، إن أخطأتك هذه صرت
إلى هذه » .
فبكى عمر بكاء شديداً .

وفي خبر آخر أن عمر كتب إلى فقهاء العراق أن يأتوه ، فاعتل الحسن بفتق
في بطنه ، وكتب إليه :

« يا أمير المؤمنين : إن استقمت استقاموا ، وإن ملت مالوا ، يا أمير المؤمنين ،
لو أن لك عمر نوح ، وسلطان سليمان ، وبقين إبراهيم ، وحكمة لقمان ، ما كان لك بدٌّ
من أن تقتحم العقبة ، ومن وراء العقبة الجنة والنار ، من أخطأته هذه دخل هذه » .
(سيرة عمر لابن الجوزى ص ۱۲۵)

۴۳۳ - کتاب الحسن إلى عمر

وكتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز :
« أما بعد : يا أمير المؤمنين ، فإن طول البقاء إلى فناء ، نخذ من فنائك الذي لا يبقى ، لبثائك الذي لا يفنى ، والسلام » .
فلما قرأ عمر الكتاب بكى وقال : « نصح أبو سعيد وأوجز » .
(سيرة عمر لابن الجوزي ص ۱۲۶)

۴۳۴ - کتاب الحسن إلى عمر

وكتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز :
« سلام عليك أما بعد : فكأنك بالدنيا لم تكن وبالآخرة لم تزل » .
(سيرة عمر لابن الجوزي ص ۱۲۶)

۴۳۵ - کتاب الحسن إلى عمر

وكتب إليه يعزبه في ابنه عبد الملك :
« وَعُوِّضْتَ أَجْرًا مِنْ قَيْدٍ ، فَلَا يَكُنْ قَيْدُكَ لَا يَأْتِي ، وَأَجْرُكَ يَذْهَبُ »
(العقد الفريد ۲ : ۳۳)

۴۳۶ - کتاب الحسن البصرى إلى عدى بن أرطاة

ولما ولي عدى بن أرطاة البصرة هزم على أن يوئى الحسن القضاء ، فهرب الحسن واستتر ، وكتب إليه :
« أما بعد : أيها الأمير فإن الكاره للأمر غير جدير بقضاء الواجب فيه ، وإن العامل للعمل بغير نية حقيق أن لا يعان عليه ، ولك في المختارين للأمر الذي دعوتني إليه

كفاية وقناعة ، وقصدك إياهم وتعوبك عليهم أوى بك وأصون لعملك ، فإنه لا خير في الاستعانة بمن لا يرى أن العمل الذي يدعى إليه واجب عليه ، وفرض لازم له ، فعافني أيها الأمير عافاك الله ، وأحسن إلى بترك التمرض لي ، فإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً .

فعافاه وأكرمه ، وقال : والله ما كنت لأبتليه بما يكرهه .

(الحسن البصرى لابن الجوزى ص ۵۴)

۴۳۷ - كتاب الحسن البصرى إلى مكحول

وروى أن الحسن رضى الله عنه اتصل به أن مكحولاً^(۱) توفي ، فحزن عليه ، وترحم له ، ثم اتصل به بطلان ذلك ، فكتب إليه :

« أما بعدُ : - أبا عبد الله ، كان الله لنا ولك في الحيا والممات ، وقضى لنا ولك بخير في الدنيا والآخرة ، وبسر لنا ولك حُسن المآل والمنقلب ، فإنه أتانا عنك ما راعنا ثم أتى بعده ما أكَذَبَهُ ، فأعمرُ الله لقد سُرِرْنَا ، وإن كان السرورُ بما سُرِرْنَا به وشيك^(۲) الانقطاع ، ذاهباً عما قليل إلى الخبر الأول ، فهل أنت - عافاك الله ووقفنا وإياك لصالح العمل - كرجل ذاق الموت ، وعان ما بعده ، وسأل الرجعة ، فأجيب إليها ، وأعطى ما سأل بعد أن عان ما فاته ، فتأهَّبَ في نقل جهازه إلى دار قراره لا يرى أن له من ماله إلا ما قدم أمامه ، ومن عمله إلا ما كتب له ثوابه ، والسلام . »

(حسن البصرى لابن الجوزى ص ۶۵)

(۱) هو مكحول بن عبد الله ، كان من سبي كابل ، وقم إلى سعيد بن العاص فوجه لامرأة من هذيل فأعتقته ، قال الزهري : « العلماء أربعة : سعيد بن المسيب بالمدينة ، والشعبى بالكوفة ، والحسن البصرى بالبصرة ، ومكحول بالشام » ولم يكن في زمنه أبصر منه بالفتيا ، وسمي أنس بن مالك وغيره ، وهو معلم الأوزاعي ، وكان مقامه بدمشق ، وتوفي سنة ۱۱۸ هـ - انظر ترجمته في وفيات الأعيان ج ۲ : ص ۱۲۲ - .

(۲) أى سريع .

۴۳۸ - کتاب طاوس بن کیسان إلى عمر بن عبد العزيز

ولما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة كتب إليه طاوس^(۱) بن كيسان :

« إن أردت أن يكون عملك خيرا كله فاستعمل أهل الخير » .

فقال عمر ، كفى بها موعظة ! (وفيات الأعيان ۱ : ۲۳۳)

۴۳۹ - کتاب طاوس إلى عمر بن عبد العزيز

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى طاوس ، يسأله عن بعض ما هو فيه فأجابه :

« سلام عليك يا أمير المؤمنين ، فإن الله عز وجل أنزل كتابا ، وأحل فيه حلالا ،
وحرّم فيه حراما ، وضرب فيه أمثالا ، وجعل بعضه مُحْكَمًا ، وبعضه متشابهًا ، فأحلّ
حلال الله ، وحرّم حرام الله ، وتفكر في أمثال الله ، واعمل بمُحْكَمِهِ ، وآمن بمتشابهه
والسلام عليك » . (سيرة عمر لابن الجوزي ص ۱۲۶)

۴۴۰ - کتاب غيلان إلى عمر بن عبد العزيز

وروى صاحب المنية والأمل قال :

كتب غيلان^(۲) إلى عمر بن عبد العزيز كتابا قال فيه :

(۱) هو أبو عبد الرحمن طاوس بن كيسان الحولاني الهمداني - من أبناء الفرس - وهو أحد الأعلام التابعين ، وكان فقيها جليل القدر نبيه الذكر ، توفي سنة ۱۰۶ هـ .

(۲) في المنية والأمل : « هو غيلان بن مسلم الدمشقي ، قال أبو القاسم هو غيلان بن مروان » وفي الملل والنحل ۱ : ۱۴۷ كما قال أبو القاسم : وفي شرح العيون ص ۲۰۱ هو غيلان بن يونس القدری الدمشقي ، كان أبوه مولى لعثمان بن عفان ، وغيلان أول من تكلم في القدر ، وقيل أول من تكلم في القدر رجل من أهل العراق كان نصرانيا فأسلم ثم تنصر ، وأخذ عنه مصد الجهمي وغيلان الدمشقي « وقتله هشام ابن عبد الملك في خلافته لأنه كان في خلافة عمر بطعن على بني أمية ويرميهم بأنهم أئمة ظلمة ضلال ، فخذها عليه هشام حتى تولى قطبته فقتله ، وقيل إن هشاما أنكر عليه التكلم في القدر ورأى منه اللجاج في ذلك ، فبعث إلى الأوزاعي فحاجه فأخرسه ، فأمر به هشام فقتل ، ولعل السببين جميعا أفضيا إلى قتله .

« أبصرت يا عمر وما كُدت ، ونظرت وما كُدت ، اعلم يا عمر أنك أدركت من الإسلام خلقاً بالياً ، ورثماً عافياً ، فياميتُ بين الأموات لا ترى أثراً فتتبع ، ولا تسمع صوتاً فتنتفع ، طَفِيءٌ^(۱) أمرُ السنَّةِ ، وظهرت البدعة . أُخِيفَ العالمُ فلا يتكلم ، ولا يُعطَى الجاهل فيسأل ، وربما نَجَتِ الأمةُ بالإمام ، وربما هلكت بالإمام ، فانظر : أَيْ الإمامين أنت ، فإنه تعالى يقول : « وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا » فهذا إمام هُدَى ومن اتبعه شريكان ، وأما الآخر ، فقد قال تعالى : « وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَبَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ » ، ولن تجد داعياً يقول : تعالوا إلى النار ، إذن لا يتبعه أحد ، لكن الدُّعَاةُ إِلَى النَّارِ هم الدُّعَاةُ إِلَى مَعْصِيَةِ اللَّهِ ، فهل وجدت يا عمر حكماً يَعِيبُ مَا يَصْنَعُ ، أو يَصْنَعُ مَا يَعِيبُ ، أو يَعْذِبُ عَلَى مَا قَضَى ، أو يَقْضِي مَا يَعْذِبُ عَلَيْهِ ؟ أم هل وجدت رشيداً يدعو إلى الهدى ثم يضل عنه ، أم هل وجدت رجماً يكلف العباد فوق الطاقة ، أو يعذبهم على الطاعة ! أم هل وجدت عدلاً يحمل الناس على الظلم والتظالم ؟ ، وهل وجدت صادقاً يحمل الناس على الكذب أو التكاذب بينهم ! كفى ببيان هذا بيانا ، وبالعمى عنه عمى » في كلام كثير .

فدعا عمر غيلان وقال : أعني على ما أنا فيه ، فقال غيلان : ولئي بيع الخزائن وردَّ المظالم ، فولاه فكان يبيعها وينادي عليها ويقول : تعالوا إلى متاع الخوثة ، تعالوا إلى متاع الظلمة ، تعالوا إلى متاع من خالف الرسول في أمته بغير سنته وسيرته .

(النبوة والأمل ص ۱۶)

(۱) طفتت النار : ذهب لئبها كأنطفأت .

خلافة يزيد بن عبد الملك

(سنة ١٠١ - ١٠٥ هـ)

٤٤١ - كتابه إلى العمال

كتب يزيد بن عبد الملك إلى عمال عمر بن عبد العزيز :
« أما بعد ، فإن عمر كان مغروراً ، غررتموه أتم وأصحابكم ، وقد رأيتُ
كتبتكم إليه في انكسار الخراج والضريبة ، فإذا أنا كم كتابي هذا فدعوا ما كنتم
تعرفون من عهده ، وأعيدوا الناس إلى طبقتهم^(١) الأولى : أخصبوا أم أجدبوا ،
أحبوا أم كرهوا ، حيوا أم ماتوا ، والسلام . »

(العقد الفريد ٢ : ٢٨١)

٤٤٢ - كتابه إلى أخيه هشام

وروي أن يزيد بن عبد الملك بلغه أن أخاه هشاماً يتنقّصه - وكان الخليفة بعده -
فكتب إليه :

« إن تَمَلَى ومَثَلَك كما قال الأول :
تَمَنَى رجالٌ أنْ أُموتَ ، وإنْ أُمْتُ
فما عيشٌ مَنْ يرجو رَدَايَ بِضَاثِرِي
فقلْ للذي يَبغِي خِلافَ الذي مضى
فتلك سبيلٌ لستُ فيها بأوحدٍ
وما عيشٌ مَنْ يرجو رَدَايَ بِمُخَلِدٍ
تجهز لأخرى مثلها فكأنْ قدِ^(٢) »

(١) الطبق والطبقة : المال . (٢) وفي رواية العقد الفريد :

تَمَنَى رجالٌ أنْ أُموتَ وإنْ أُمْتُ
لعل الذي يَبغِي رَدَايَ ويرتجى
فتلك سبيلٌ لستُ فيها بأوحدٍ
به قبل موتي أن يكون هو الردي

۴۴۳ - رد هشام عليه

فكتب إليه هشام :

« إن مثلي ومثلك كما قال الأول :

ومن لا يهضم عينه عن صديقه
ومن يتتبع جاهداً كل عثرة
وعن بعض ما فيه يمت وهو عاتب
يجدها ، ولا يسلم له الدهر صاحب

۴۴۴ - رد يزيد على هشام

فكتب إليه يزيد :

« نحن مفتفرون ما كان منك ، ومكذبون ما بلغنا عنك ، مع حفظ وصية أيينا
عبد الملك ، وما حصّ عليه من صلاح ذات البين ، وإني لأعلم أنك كما قال معن
ابن أوس :

لعمرك ما أذرى (وإني لأوجل)
وإني على أشياء منك تريبني
إذا سوتني يوماً صفحت إلى غد
وإني أخوك الدائم العهد ، لم أحل
أحارب من حاربت من ذى عداوة
سقطت في الدنيا إذا ما قطعني
وكنت إذا ما صاحب رام ظنتي
قلبت له ظهر المجن ، ولم أدم
على أينا تعدو المنية أول !
قديمًا لآذو صفح على ذاك مجمل
ليغيب يوماً منك آخر مقبل
أن أبراك خصم أو نبايك منزل (۱)
وأحبس مالي إن غرمت فأعقل (۲)
يمينك ، فانظر أي كف تبدل !
وبدل سوءاً بالذى كنت أفعل (۳)
على ذلك إلا ريثما أتحوّل (۴)

(۱) أبراك : قهره وبطش به ، ووصلت همزته للشعر . ونبا به منزله : لم يواقفه .

(۲) عقل عن فلان : غرم عنه جنايته ، وذلك إذا لزمته دية فأداها عنه .

(۳) الظنة : التهمة .

(۴) المجن : النرس ، ويقال : قلب له ظهر المجن ، وهي كلمة تضرب مثلاً لمن كان لصاحبه على مودة

أورعاية ثم حال عن ذلك .

وفي الناس إن رئتُ حبالك واصلُ وفي الأرض عن دارِ القلي مُتحوّلُ^(۱)
 إذا أنت لم تُنصِفْ أخاك وجدته على طرفِ الهجران إن كان يعقلُ
 ويركبُ حدَّ السيفِ من أن تُضيمه إذا لم يكن عن شفرةِ السيفِ زحلُ^(۲)
 فلما جاءه الكتاب رَحَل هِشام إليه ، فلم يزل في جواره إلى أن مات يزيدُ وهو
 معه في عسكره مخافةَ أهلِ البغي .

(ذيل الأمل ص ۲۲۴ ، والعقد الفريد ۲ : ۲۸۲)

رواية أخرى

وروى المسعودي في مروج الذهب ، قال :
 وذُكر أن يزيد بن عبد الملك بلغه أن أخاه هشام بن عبد الملك يتنقصه ويتمنى موته
 ويعيب عليه كهوّه بالقينات^(۳) ، فكتب إليه يزيد :
 « أما بعدُ : فقد بلغني استثقالك حياتي ، واستبطاؤك موتي ، ولعمري إنك بعدى
 لواهى الجناح ، أجدّم الكف^(۴) ، وما استوجبتُ منك ما بلغني عنك » .
 فأجابه هشام :
 « أما بعدُ : فإن أمير المؤمنين متى فرغَ سمعه لقول أهلِ الشنآن^(۵) وأعداءِ النعم ،
 يوشك أن يقدح ذلك في فساد ذاتِ البينِ وتقطعِ الأرحام ، وأميرُ المؤمنين - بفضله

(۱) رت الجبل : بلى وأخلق ، والقل : البغض .
 (۲) مزحل اسم مكان ، من زحل عن مكانه كخضع إذا تعى وتباعد ، وقد وردت هذه الأبيات
 في ديوان الحماسة ، وفي خلاها :
 كأنك تشقى منك داء مائة وسخطى وما فى ربينى ما منجل
 وفي آخرها :
 إذا انصرفت نفسى عن الشيء لم تكذب إليه بوجه آخر الدهر تفجـل
 (۳) القينة : الجارية المغنية أو أعم .
 (۴) الواهى : الضعيف ، والأجدم : المقطوع اليد أو الداهب الأنامل .
 (۵) الشنآن : البغض .

وما جعله الله أهلاً له - أولى أن يتعمد^(۱) ذنوب أهل الذنوب ، فأما أنا فماذا الله أن
أستقل حياتك ، أو أستبطن وفاتك .

فكتب إليه :

« نحن مغتفرون ما كان منك ، ومكذبون ما بلغنا عنك ، فاحفظ وصية عبد الملك
إيانا ، وقواه لنا في ترك التباعى والتخاذل ، وما أمر به ، وحض عليه من صلاح
ذات البين ، واجتماع الأهواء فهو خير لك وأملك بك ، وإني لأكتب إليك ، وأعلم
أنك كما قال الأول :

وإني على أشياء منك تريبني . . . الخ .»

فلما أتى الكتاب هشاماً ارتحل إليه ، فلم يزل في جواره مخافة أهل البغي والسعاية

(مروج الذهب ۲: ۱۷۹)

حتى مات يزيد .

(۱) تعمله : من ما كان منه ، وفي الأصل « يتعمد » وهو تصحيف .

خلافة هشام بن عبد الملك

(سنة ١٠٥ - ١٢٥ هـ)

٤٤٥ - كتاب هشام إلى يوسف بن عمر الثقفي

قال حماد الراوية^(١) :

كان انقطاعي إلى يزيد بن عبد الملك في خلافته، فكان أخوه هشام يحفوني لذلك، فلما مات يزيد وأفضت الخلافة إلى هشام، خفته فكثت في بيتي سنة لا أخرج إلا لمن أثق به من إخواني سرا، فلما لم أسمع أحدا يذكرني سنة، أمنت فخرجت فصليت الجمعة، ثم جلست عند باب الفيل، فإذا شرطيان قد وقفا علي فقالا لي: يا حماد، أجب الأمير يوسف بن عمر - وكان والياً على العراق - فقلت في نفسي: من هذا كنت أخطر! ثم قلت لهما: هل لكما أن تدعاني حتى آتي أهلي فأودعهم وداع من لا ينصرف إليهم أبدا ثم أسير معكما؟ فقالا: ما إلى ذلك من سبيل، فاستسلمت في أيديهما ومرت إلى يوسف بن عمر وهو في الإيوان الأحمر، فسلمت عليه فردت على السلام، ورمي إلي كتابا فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله هشام أمير المؤمنين إلى يوسف بن عمر، أما بعد: فإذا قرأت كتابي هذا، فابعث إلى حماد الراوية من يأتيك به غير مرؤع ولا متعنت^(٢)، وادفع له خمسمائة دينار وجعلا مهريا^(٣) يسير عليه اثنتي عشرة ليلة

(١) هو حماد بن مبصرة، وكان من أعلم الناس بأيام العرب وأخبارها وأشعارها وأنسابها ولغاتها، وكانت ملوك بني أمية تقدمه وتؤثره وتسترره، فيغد عليهم وينادهم، ويسألوه عن أيام العرب وعلومها ويجزلون صلته، وهو من الموالى، وتوفى سنة ١٥٥ هـ - انظر ترجمته في الأغاني ووفيات الأعيان.

(٢) تمنع: حركة بعنف، أو أكرهه في الأمر حتى قلق.

(٣) لابل مهريه: منسوبة إلى مهرة بن حيدان، وهم حنظلي عظيم.

إلى دمشق^(۱) .

فأخذت الخمسمائة الدينار ، ونظرت فإذا جمل مرَّ حَوْلَ^(۲) ، فوضعت رجلي في الغرَزِ^(۳) وسرت اثنتي عشرة ليلةً حتى وافيتُ باب هشام ، فاستأذنتُ فأذن لي فدخلت عليه فسلمت ، فردَّ عليَّ ، واستدناني فدنوت حتى قَبَلتُ رجله ، وإذا جاربتان لم أرقبهما مثلهما ، في أُذُنَيَّ كل واحدة منهما حَلَقَتان من ذهب ، فيهما لؤلؤتان تتوقدان ، فقال لي : كيف أنت يا حماد ، وكيف حالك ؟ فقلت : بخير يا أمير المؤمنين ، قال : أتدرى : فيم بعثتُ إليك ؟ قلت لا ، قال : بعثت إليك لبيت خطرَ بيالي لم أدر من قاله ، قلت : وما هو يا أمير المؤمنين ؟ قال :

فَدَعَاوا بالصَّبُوح يوماً ، فجاءت قَيْنَةً في يمينها إبريق^(۴)

قلت : هذا يقوله عدِيُّ بن زيد في قصيدة له ، قال : فأنشدنيها ، فأنشدته إياها ، فطرب ثم قال : أحسنت والله يا حماد ، سل حوائجك ، قلت : إحدى الجاريتين قال : هما جميعاً لك بما عليهما وما لهما .

فأقام عنده مدة ثم وصَّله بمائة ألف درهم .

(الأغاني ۵ : ۱۵۸ ، وثيرات الأوراق ص ۳۴ ، ووفيات الاعيان ۱ : ۶۴)

(۱) هكذا وردت الرواية ومنها ترى أن تلك القصة وقعت في عهد ولاية يوسف بن عمر الثقفي على العراق ، وأنها كانت بعد تولى هشام الخلافة بسنة أي سنة ۱۰۶ هـ (لأنه ولي الخلافة سنة ۱۰۵) ولكن المعروف في التاريخ أن يوسف بن عمر ولي العراق سنة ۱۲۰ هـ بعد عزل خالد بن عبد الله القسري . قال الطبري : « وفي سنة ۱۰۵ عزل هشام بن عبد الملك عمر بن هبيرة عن العراق وما كان إليه من عمل المشرق (وكان على العراق وخراسان في خلافة يزيد بن عبد الملك) وولى ذلك كله خالد بن عبد الله القسري في شوال » انظر ج ۸ : ص ۱۸۰ - وقال : « وفي سنة ۱۲۰ قدم يوسف بن عمر العراق واليا عليها » - انظر ج ۸ : ص ۲۵۶ - ومن ذلك يتحقق أن ذلك الكتاب بعث به هشام إلى خالد بن عبد الله القسري لا إلى يوسف بن عمر الثقفي .

(۲) رجل البعير كمنم : حط عليه الرجل .

(۳) ركاب من جلد .

(۴) الصبوح : شراب الصبح ، والقينة : الجارية .

۴۴۶ - کتاب حماد الراوية إلى بعض الرؤساء

وكتب حماد الراوية إلى بعض الأشراف الرؤساء ، قال :
إن لي حاجة ، فأريك فيها لك نفسي فدا من الأوصاب^(۱)
وهي ليست مما يبلغه غيري ، ولا يستطيعها في كتاب
غير أني أقولها حين ألقاك رويدا ، أسرها في حجاب

۴۴۷ - رد كتاب حماد

فكتب إليه الرجل :

« اكتب إلى بحاجتك ، ولا تشهرني^(۲) بشرك » .

۴۴۸ - رد حماد

فكتب إليه حماد :

إنني عاشق لجبتك الدكناء^(۳) عشقا قد حال دون الشراب
فاكسنيها (فدتك نفسي وأهلي) أتباها بها على الأصحاب
ولك الله والأمانة أن أجعلها عمرها أمير ثيابي
فبعث إليه بها .

وقد رويت هذه القصة لطبيع بن إياس .

(الأغاني ۵ : ۱۶۱)

(۱) الأوصاب : جم وصب بالتحريك وهو المرض .

(۲) الشهرة بالضم : ظهور الشيء في شئ ، وقد شهره كنهه وشهره واشهره .

(۳) وصف من الدكنة بالضم : وهي لون إلى السواد ، وفعله كفرح .

۴۴۹ - کتاب حماد إلى صديق له

وأهدى حماد إلى صديق له غلاماً وكتب إليه :

« قد بعثت إليك غلاماً تتعلم عليه كظم الفيظ » .

(الأغاني ۵ : ۱۶۱)

۴۵۰ - كتاب أشرس بن عبد الله إلى ابن أبي العمرطة

وفي سنة ۱۱۰ هـ وجه أشرس بن عبد الله الشامي^(۱) عامل خراسان أبا الصيداء صالح بن طريف إلى من وراء النهر ليدعوم إلى الإسلام ، فشخص إلى سمرقند ، وعليها الحسن بن أبي العمرطة الكندي ، فدعا أبو الصيداء أهل سمرقند ومن حولها إلى الإسلام على أن توضع عنهم الجزية ، فسارع الناس إلى الإسلام ، وانكسر الخراج ، فكتب أشرس إلى ابن أبي العمرطة : « إن في الخراج قوة للمسلمين ، وقد بلغني أن أهل السغد وأشباههم لم يسلموا رغبة ، وإنما دخلوا في الإسلام تهذاباً من الجزية ، فانظر من اخمتن ، وأقام الفرائض ، وحسن إسلامه ، وقرأ سورة من القرآن ، فرفع عنه خراجه » .

(تاريخ الطبري ۸ : ۱۹۶)

۴۵۱ - كتاب عاصم بن عبد الله إلى هشام

وكتب عاصم بن عبد الله بن يزيد الهلالي^(۲) عامل خراسان إلى هشام

ابن عبد الملك :

« أما بعد : يا أمير المؤمنين فإن الرائد^(۳) لا يكذب أهله ، وقد كان من أمر

(۱) ولاء هشام بن عبد الملك خراسان سنة ۱۰۹ بعد عزل أسد بن عبد الله القسري أخى

خالد القسري .

(۲) عزل هشام أشرس بن عبد الله عن خراسان سنة ۱۱۱ ، وولاها الجنيد بن عبد الرحمن المزني

وتوفى الجنيد سنة ۱۱۶ خلفه عليها عاصم بن عبد الله ، ثم عزل عنها سنة ۱۱۷ وولاهها أسد بن عبد الله .

(۳) الرائد : المرسل في طلب الكلاب .

أمير المؤمنين إلى ما يحقُّ به على نصيحته . وإن خراسان لا تصلح إلا أن تُضمَّ إلى صاحب العراق ، فتكون مَوادِّها ومنافعها ومعوتها في الأحداث والنوائب من قريب ، لتباعد أمير المؤمنين عنها ، وتباطؤ غيابه عنها .

فعرله هشام وضم خراسان إلى خالد بن عبد الله ، فولَّاهما خالد أخاه أسد بن عبد الله .
(تاريخ الطبري ۸ : ۲۲۲)

٤٥٢ - رسالة هشام بن عبد الملك

إلى خالد بن عبد الله القسري

قال أبو العباس المبرِّد :

وكان سبب هذه الرسالة إفراط خالد^(١) في الدَّالَّة^(٢) على هشام ، وأنه أخذ ابنَ حَسَّانِ النَّبَطِيِّ^(٣) فضربه بالسياط ، وكان يقال له سَهَيْلٌ ، فبعثَ بقميصه إلى أبيه ، وفيه آثار الدم ، فأدخله أبوه إلى هشام ، مع ما قد أوغر صدرَ هشام عليه من إفراط الدَّالَّةِ ، واحتجاج الأموال^(٤) ، وكُفْرٍ ما أسداه إليه من توليته إياه العراق .

فكتب هشام إلى خالد :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعدُ : فقد بلغ أمير المؤمنين عنك أمرٌ لم يحتمله لك إلا لما أحبَّ من ربِّ^(٥) الصنِيعَةِ قِبَلِكَ ، واستنمامِ معروفِهِ عندك ، وكان أمير المؤمنين أحقَّ من استصلح ما فسد عليه منك ، فإن تعدُّ لمثل مقاتلتك^(٦) ، وما بلغ أمير المؤمنين

(١) هو خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد بن كرز بن عامر بن عبد الله بن عبد شمس بن عصفية ابن جرير بن شق بن صعب السكاهن المشهور ، وولاه الوليد بن عبد الملك مكَّة سنة ٨٩ ، وولاه هشام العراق سنة ١٠٥ ثم عزله عنها سنة ١٢٠ ، وولاه يوسف بن عمر الثقي .

(٢) أدل عليه : وثق بحجته فأفرط عليه ، والاسم الدَّالَّةُ .

(٣) حسان النبطي : هو مولى هشام ووكيله في ضياعه في العراق كما سيرد في الرسالة .

(٤) احتجن المال : ضعه واحتواه واختص به نفسه .

(٥) رب الصنِيعَةِ كنصر ، وربها : نعامها وزادها وأعمها وأصلحها .

(٦) أي قوله « والله ما زادتني ولاية العراق شرفاً . . . » وصيرد في الرسالة .

عنك ، رأى في معاجلتك بالعقوبة رأيه . إن النعمة إذا طالت بالعبد ممتدة أبطرتة ،
فأساء تحمل الكرامة ، واستقل العافية ، ونسب ما في يديه إلى حيلته وحسبه ويبتدئ
ورَهطه وعشيرته ، فإذا نزلت به الغير^(۱) ، وانكشطت عنه عمارة النفي والسُلطان ،
ذَلَّ مُنْقَاداً ، وندم حَسِيراً ، وتمكَّن منه عدوه قادراً عليه ، قاهرًا له ، ولو أراد
أمير المؤمنين إفسادك ، جَمَعَ بينك وبين من شهد فَلَآتِ خَطْلِكَ ، وعَظِيمَ زَلَلِكَ ،
حيث تقول لِحُلَسَائِكَ : « وَاللَّهِ مَا زَادَتِي وَلَايَةُ الْعِرَاقِ شَرَفًا ، وَلَا وَلَائِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
شَيْئًا لَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلِي مَنْ هُوَ دُونِي بِلِي مِثْلَهُ » ولعمري لو ابتليت ببعض مقاوم^(۲)
الحجاج في أهل العراق في تلك المضائق التي لقي ، كَلِمَتَ أَنَّكَ رَجُلٌ مِنْ بَجِيلَةٍ^(۳) ،
فقد خرج عليك أربعون رجلاً فغلبوك على بيت مالك وخزائنك ، حتى قلت : أُطْعِمُونِي^(۴)
ماء ! دَهْشًا وَبَعْلًا^(۵) وجبنا ، فما استطعتهم إلا بأمان ، ثم أخفرت^(۶) ذِمَّتَكَ ؛ منهم
رزين وأصحابه ، ولعمري أن لو حاول أمير المؤمنين مكافأتك بخطلك في مجلسك ،
وجُودِكَ فَضْلَهُ إِلَيْكَ ، وتصغير ما أنعم به عليك ، فَحَلَ الْعُقْدَةَ ، وَنَقَضَ الصَّنِيعَةَ ،
وَرَدَّكَ إِلَى مَنْزِلَةِ أَنْتَ أَهْلُهَا ، كُنْتَ لَذَلِكَ مُسْتَحِقًّا .

(۱) الغير : حوادث الدهر . وانكشطت : ذهبت وانكشفت .

(۲) مقاوم : جمع مقام بالفتح .

(۳) يلقب خالد بن عبد الله بالقسري نسبة إلى قسر بن عبقر وهي بطن من بجيلة ، وسماي أن هشاما
كتب إليه من رسالة يقول : « كيف لا تكون إمرأة العراق لك شرفاً ، وأنت من بجيلة القليلة الدليلة ؟ » .

(۴) وذلك أنه خرج عليه المغيرة بن سميد بالكوفة سنة ۱۱۹ في عشرين أو أربعين رجلاً : وعرف
بذلك وهو على المنبر فدهش وتحمير فقال : أطعموني .

(۵) بعل بالأمر كفرح : دهش وفرق وبرم فلم يدر ما يصنع .

(۶) أي غدرت ونقضت عهدك ، وذلك أنه أمر بأطنان قصب ونقط فأحضرا (والأطنان جمع طن
بالضم وهو الحزمة من القصب) ثم أمر المغيرة أن يتناول طناً فكحك عنه (أي ضحك) وتأنى ، وصبت
السياء على رأسه ؛ فتناول طناً فاحتضنه فشد عليه ، ثم صب عليه وعلى الطن نقط ، ثم ألقت فيهما النار
فاحترقا ، وكذا فعل بأصحابه - انظر تاريخ الطبري ج ۸ : ص ۲۴۱ .

فهذا جدك يزيد بن أسد قد حشد^(۱) مع معاوية في يوم صفين . وعرض له دينه ودمه ،
فما صطنع^(۲) إلا عنده ، ولا ولأه ما اصطنع إليك أمير المؤمنين وولأك ، وقبله من
أهل اليمن وبيوتاتهم من قبيله أكرم من قبيلتك : من كيندة وغسان وآل ذي يزن
وذي كلالع وذي رعين ، في نظراتهم من بيوتات قومهم ، كلهم أكرم أولية ،
وأشرف إسلاماً من آل عبد الله بن يزيد^(۳) :

ثم آثر ك أمير المؤمنين بولاية العراق ، بلايت رفيع ، ولا شرف قديم ،
وهذه البيوتات تعلقوك وتغمرك وتسكنك^(۴) وتتقدمك في المحافل والجامع عند بدء
الأمر وأبواب الخلفاء .

ولولا ما أحب أمير المؤمنين من رد غر بك^(۵) لعاجلك بالتي كنت أهلها ، وإنها
منك لقريب ما أخذها ، سريع مكر وهما ، فيها - إن أبق الله أمير المؤمنين - زوال
نعمه عنك ، وحلول نعمة بك ، فيما ضيبت وارتكبت بالعراق ، من استعانتك
بالمجوس والنصارى ، وتوليتهم رقاب المسلمين^(۶) وجبوة^(۷) خراجهم ، وتسلطهم

(۱) حشد القوم : خفوا في التعاون ، أودعوا فأجابوا مسرعين . أو اجتمعوا لأمر واحد ، وكان
يزيد بن أسد من شيعة معاوية ، وقد قام في أهل الشام يوم صفين فخطبهم خطبة ، يحرضهم فيها على القتال
- انظر جبهة خطب العرب ج ۱ : ص ۳۴۳ - وقد قدمنا في الجزء الأول من جبهة رسائل العرب أن
عثمان حين حصر كتب إلى معاوية يستنجده ، وأبطأ أمره عليه ، فكتب إلى يزيد بن أسد فسار إليه وناسه ،
كثير من أهل الشام حتى إذا كانوا بوادي القرى بلغهم قتل عثمان فرجعوا .

(۲) اصطنع عنده صنعة : اتخذها .

(۳) أي من أهلك .

(۴) أي تفقدك الحركة فلا تستطيع مآماتها .

(۵) الغرب : الحد .

(۶) كان خالد متهما في دينه . روى صاحب الأغاني قال : « وكان زنديقا أمه نصرانية . فكان
يولي النصارى والمجوس على المسلمين ، ويأمرهم بامتهانهم وضربهم » وكان أهل الدمة يشذون الجوارى
المسلمات ويطعنون ، فيطلق لهم ذلك ولا يغير عليهم ، وقال : « وكانت أمه رومية نصرانية وهبها
عبد الملك لأبيه ، فبنى لها كنيسة في ظهر قبلة المسجد الجامع بالكوفة ، فكان إذا أراد المؤذن في المسجد
أن يؤذن ضرب لها بالناقوس ، وإذا قام الخطيب على المنبر رفع النصارى أصواتهم بقراواتهم » - انظر

۱۹ : ص ۵۹ -

(۷) جي الخراج كسى وري جبوة وجبا وجباوة وجباية بكسر من ، وجبا بالفتح .

عليهم، نَزَعَ بِكَ إِلَى ذَلِكَ عِرْقٌ سَوْءٌ فِيهِمْ مِنَ الَّتِي قَامَتْ عَنْكَ^(۱) فَبِئْسَ الْجَنِينُ أَنْتَ يَا عُدَى^(۲) نَفْسِهِ .

وإن الله عز وجل لما رأى إحسانَ أمير المؤمنين إليك ، ومووء قيامك بشكره ، قلبَ قلبه فأسخطه عليك حتى قبَّحتَ أمورُك عنده ، وآيسه من شكرك ما ظهر من كُفْرِكَ النِّعْمَةَ عنده ، فأصبحتَ تنتظر سقوط النِّعْمَةِ ، وزوال الكرامة ، وحلول الخزي ، فتأهبَ لنوازل عقوبة الله بك ، فإن الله عليك أَوْجَدُ^(۳) ، ولما عملتَ أكرهه فقد أصبَحْتَ وذنوبُك عند أمير المؤمنين أعظمُ من أن يُبَكِّتَكَ^(۴) إلا راتباً بين يديه ، وعنده مَنْ يُقَرِّرَكَ^(۵) بها ذنباً ذنباً ، وَيُبَكِّتَكَ بما أتيتَ أمراً أمراً ، فقد نسيته وأحصاه اللهُ عليك .

ولقد كان لأمير المؤمنين زاجرٌ عنك فيما عرفك به من التسرع إلى حماقتك ، في غير واحدة ، منها القرشيُّ الَّذِي تناواته بالحجاز ظالماً ، فضربك اللهُ بالسَّوْطِ الَّذِي ضربته^(۶) به ، مُفْتَضِحاً على رؤوس رعيَّتِكَ ، ولعل أمير المؤمنين يعمدُ لك بِمِثْلِ ذَلِكَ ، فإن يفعلْ فأهله أنت ، وإن يصفحْ فأهله هو .

(۱) كنى به عن أمه .

(۲) مصغر عدو ، والتصغير للتحقير .

(۳) أوجد : أغضب ، أفل تفضيل من الموجدة ، وهي الغضب .

(۴) التبكيت : التفريع ، وراتباً : أى مائلاً قائماً بين يديه ، من رتب كدخل إذا ثبت قائماً .

(۵) تقول : أقر فلان بالحق أى اعترف به ، وقررت بالحق حتى أقر به .

(۶) روى صاحب الأغاني (۱۹ : ۶۰) قال : « كان خالد بن عبدالله أميراً على مكة ، فأمر رأس

المحجبة أن يفتح له الباب وهو ينظر ، فأبى فضربه مائة سوط ، فخرج الشيبى إلى سليمان بن عبد الملك يشكوه ، فصادف الفرزدق بالباب ، فاسترفده (أى استمانه) فلما أذن للناس ودخلا ، شكوا الشيبى ما لحقه من خالد ، ووثب الفرزدق فأنشأ يقول :

سلوا خالداً (لا أكرم الله خالداً) متى وليت قسر قريشا تدينها ؟

أقبل رسول الله أم ذاك بعده ؟ فتلك قريش قد أغت سمينا

رجونا هداه (لا هدى الله خالداً) فما أمه بالأمر يهدى جنينا

خشي سليمان وأمر بقطع يد خالد ، وكان يزيد بن المهلب عنده ، فزال يفتديه ويقبل يده حتى أمر بضربه مائة سوط ، وللفرزدق فيه أهاج منها قوله :

وكيف يؤم المسلمين ، وأمه تدين بأن الله ليس بواحد

ومن ذلك ذِكْرُكَ زَمَزَمَ ، وهي سُقْيَا الله وَكَرَامَتُهُ لِعَبْدِ الْمُطَّلِبِ (۱) ، وهذا الْحَيُّ
من قُرَيْشٍ ، تُسَمِّيهَا أُمَّ جَمَّارٍ (۲) فَلَا سَقَاكَ اللهُ من حَوْضِ رَسُولِهِ ، وَجَعَلَ شَرًّا كَمَا
نَحِيرُكَ كَالْفِدَاءِ (۳) ، وَوَاللهُ أَنْ لَوْ لَمْ يَسْتَدْلِلْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى ضَعْفِ نَحَائِزِكَ (۴) ، وَسُوءِ
تَدْبِيرِكَ ، إِلَّا بِفَسَالَةِ دَخَائِلِكَ : وَبَطَانَتِكَ وَعُمَّالِكَ .

وَالغَالِبَةُ عَلَيْكَ جَارِيَتُكَ الرَّائِفَةُ (۵) بَائِعَةُ الْفُهُودِ ، وَمُسْتَعْمِلَةُ الرِّجَالِ ، مَعَ مَا أُتْلِفَتْ
من مَالِ اللهِ فِي « الْمُبَارَكِ » (۶) فَإِنَّكَ ادْعَيْتَ أَنَّكَ أَنْفَقْتَ عَلَيْهِ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ
دِرْهَمٍ ، وَاللهُ لَوْ كُنْتَ من وَلَدِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ، مَا احْتَمَلَ لَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
مَا أَفْسَدْتَ من مَالِ اللهِ ، وَضَيَّعْتَ من أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ ، وَسَلَّطْتَ من وِلَاةِ السُّوءِ عَلَى
جَمِيعِ أَهْلِ كُورِ عَمَلِكَ ، تَجْمَعُ إِلَيْكَ الدَّهَاقِينَ (۷) هَدَايَا النَّيْرُوزِ وَالْمِهْرَجَانِ ، حَابِسًا
لَا كَثْرَهُ ، رَافِعًا لِأَقْلَهُ ، مَعَ نَحَابِثِ مَسَاوِيكِ الَّتِي قَدْ أَخَّرَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ تَقْرِيرَكَ بِهَا .
وَمُنَاصَبَتِكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي مَوْلَاهِ حَسَّانَ ، وَوَكِيلِهِ فِي ضِيَاعِهِ وَأَحْوَاذِهِ .

(۱) يعني عبد المطلب بن هاشم جد النبي صلى الله عليه وسلم وهو الذي حفر زمزم .
(۲) أم جعمار : الضبع ، لكثرة جعرها (بالفتح) وهو نجوها ، قال في الأغاني : « وكان يسمى
زمزم أم الجعلان » بالكسر جمع جعل بضم ففتح وهو دويبة كالخنفساء ، يريد أنها ننتة خبيثة الرائحة ،
وكان الوليد حفر بئرا بين ثنية ذى طوى (موضع قرب مكة) وثنية الحجون (بالفتح : جبل مشرف بمكة)
فكان خالد ينقل ماءها فيوضع في حوض إلى جنب زمزم ليعرف فضله على زمزم ، وخطب يوما على منبر
مكة فقال : « إن إبراهيم خليل الله استقى ربه ، فسقاء ملحا أجاجا ، واستسقاء الخليفة فسقاء عذبا فراتا »
- انظر تاريخ الطبري ۸ : ۶۷ ، والأغاني ۱۹ : ۶۰ - وفي شرح العيون ص ۲۰۵ إنه قال : « قد جئتم
بماء العاذية ، لانشبه ماء أم الخنافس » يعني زمزم .

(۳) أخذه من قول حسان بن ثابت يمدح النبي صلى الله عليه وسلم ويهجو أبا سفيان قبل إسلامه :

هجون محمدا فأجبت عنه وعند الله في ذاك الجزاء
أتهجوه ولست له بكفء ففركما لحيركما الفداء

(۴) النحائر : جمع نخيزة كطبيعة وزنا ومعنى ، وفل ككرم وعلم ومعنى فسالة وفسولة فهو فل

كضخم ، أي رذل لامروءة له ، وجواب لو محذوف أي لكفاء ذلك .

(۵) راف البدوي يريف ، أي الريف ، وهي أرض فيها زرع وخصب .

(۶) المبارك : نهر بالبصرة احتره خالد لهشام ، وما قاله فيه الفرزدق :

وأهلكك مال الله في غير حقه على النهر المشثوم غير المبارك

(۷) الدهاقين : جمع دهقان بالكسر والضم ، زعيم فلاحى العجم ورئيس الإقليم ، معرب .

في العراق ، وإقدامك على ابنه بما أقدمك به ، وسيكون لأمير المؤمنين في ذلك نبأ إن لم يعف عنك ، ولكنه يظن أن الله طالبك بأمر أتيتها ، غير تارك لتكشيفك عنها .

وحملك الأموال ناقصة عن وظائفها^(۱) التي جباها عمر بن هبيرة .

وتوجيهك أخاك أسداً إلى خراسان مظهرًا العصبية بها ، متحاملاً على هذا الخي من مضر^(۲) ، قد أنت أمير المؤمنين - بتصغيره بهم ، واحتقاره لهم ، وركوبه إياهم - الثقات ، ناسياً لحديث زرنب وقصص الهجريين ، كيف كانت في أسد بن كرز^(۳) ، فاذا خلوت أو توسطت ملاً فأعرف نفسك ، وخف راجع البغي عليك ، وعاجلات النقم

(۱) أي مقدراتها ، جمع وظيفة ، وهي ما يقدر لك من رزق في زمان معين ، وعمر بن هبيرة هو واني العراق قبل خالد .

(۲) قدمنا أن هشاماً استعمل خالد بن عبد الله على العراق وخراسان ، فولى خالد أخاه أسداً على خراسان ، فتعصب أسد حتى أفسد الناس ، وضرب نصر بن سيار ونفرا معه من مضر بالسياط ، أخرج كتاباً فقراه على الناس ، فيه ذكر نصر بن سيار عبد الرحمن بن نعيم وصورة بن الحر وغيرهم فدعاهم فأبهم ، فلم يتكلم منهم أحد ، فتكلم سورة فذكر حاله وطاعته ومناصحته ، وأنه ليس يندفي له أن يقبل قول عدو مبطل ، وأن يجمع بينهم وبين من قرفهم بالباطل ، فلم يقبل قوله ، وأمر بهم فجردوا وضربوا ، وحلقهم بعد الضرب ووجههم إلى خالد وكتب إليه أنهم أرادوا ، الوثوب عليه ، فلما تعصب أسد وأفسد الناس بالعصبية كتب هشام إلى خالد : اعزل أخاك ، فعزله (سنة ۱۰۹) - انظر تاريخ الطبري ۸ : ۱۹۲ .

(۳) روى صاحب الأغاني (ج ۱۹ : ص ۵۷) قال : « كان كرز بن عامر جد خالد أبوا عن مواله عبد القيس من هجر (بالتحريك : بلد باليمن) ويقال إن أصله من يهود تيماء ، وكان أبق ، فظفرت به عبد شمس فكان فيهم عند عمة بن شق الكاهن ، ثم وهبوه لقوم من طهية فكان عندهم حتى أدرك وهرب فأخذته بنو أسد بن خزيمعة فكان فيهم وتزوج مولاة لهم ، يقال لها زرنب ، ويقال : لأنها كانت بغيًا ، فأصابها فولدت له أسد بن كرز ، سماه باسم أسد بن خزيمعة لرقعة كانت فيهم ثم اعتقوه ، ثم إن قسراً من أهل هجر مروا به فمرفوه ، فلما رجعوا إلى هجر أخذوا فداءه وصاروا إلى مواله ، فلم يزل فيهم حتى خرج معهم في تجارة إلى الطائف ، فلما رأى دار بجيلة أعجبه فاشترى نفسه وابنه ، فجاء فنزل فيهم فأقام مدة ، ثم ادعى إليهم ، وعاونه على ذلك حتى من أحس يقال لهم بنو منبه ، فنفاهم أبو عامر ذو الرقعة وهو ابن عبد شمس بن جوين بن شق ، فنزل كرز في بني سحمة هاربا من ذي الرقعة ثم وثب على ابن عم للقتال ابن مالك السحمي فقتله وهرب إلى البحرين مع التجار فأقام مدة ثم مات ، ونشأ ابنه يزيد بن أسد يدعى بجيلة ولا تلحقه إلى أن مات . »

فيك^(۱) ، واعلم أن ما بعد كتاب أمير المؤمنين هذا أشد عليك وأفسد لك ، وقيل أمير المؤمنين خلف منك كثير في أحسابهم وبيوتاتهم وأديانهم ، وفيهم عوض منك ، والله من وراء ذلك .

وكتب عبد الله بن الله بن سالم سنة تسع عشرة ومائة .
(الكامل للبرد ۲ : ۲۹۷)

۴۵۳ - كتاب هشام إلى خالد القسري

وروى الطبري قال :

وقيل إنما أغضب هشاماً على خالد أن رجلاً من قريش^(۲) دخل على خالد فاستخف به وعضه بلسانه ، فكتب إلى هشام يشكوه .

فكتب هشام إلى خالد :

أما بعد ، فإن أمير المؤمنين - وإن كان أطلق لك يدك ورأيتك فيمن استرعاه امرأة ، واستحفظك عليه ، للذي رجاً من كفايتك ، ووثق به من حسن تدبيرك - لم يفرشك^(۳) غرة أهل بيته ، لتطأه بقدمك ، ولا تحدد إليه بصرك ، فكيف بك وقد بسطت على غرتهم بالعراق لسانك بالتوبيخ ؟ تريد بذلك تصفير خطره^(۴) واحتمار قدره ، زعمت بالنصفة^(۵) منه حتى أخرجك ذلك إلى الإغلاط في اللفظ عليه

(۱) عن خالد بن صفوان قال : « لم تزل أفعال خالد به حتى عزله هشام وعذبه ، وقتل ابنه يزيد بن خالد ، فرأيت في رجله شريطاً قد شد به والصبيان يجرونه ، فدخلت إلى هشام يوماً فحدثته وأطلت فتنفس ثم قال : يا خالد : رب خالد كان أحب إلي قريبا وألد عندي حديثاً منك ، يعني خالد القسري ، قال فانهزتها ورجوت أن أشفع فتكون لي عند خالد يد ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، فما يمنعك من استئناس الصنيعة ؟ فقد أدبته مما فرط منه ، فقال : هيئات إن خالداً أوجف فأعجب ، وأدل فأمل ، وأفرط في الإساءة فأفرطنا في المكافأة فغلم الأديم ، ونفل الجرح ، وبلغ السيل الزبي ، والحزام الطيبين فلم يبق فيه مستلح ، ولا للصنيعة عنده موضع . عد إلى حديثك - الأغاني ۹ : ۶۳ - .

(۲) المفهوم مما سيرد بعد أنه ابن عمرو بن سعيد بن العاص .

(۳) يقال فرش فلاناً بساطاً وأفرشه وفرشه : إذا بسطه له ، والمعنى : لم يسلطك ويبسط نفوذك عليه وفي الأصل « لم يفرشك » وهو تحريف ، (وافترش البساط : وطئه) ، وفلان غرة قومه : أي سيدهم .

(۴) الخطر : الإغلاط .

(۵) النصفة : اسم من الإنصاف .

فی تجلس العامة ، غیر متحلجل^(۱) له حین رأیته مُقبلاً - عن صدر مهادك ، الذی مہد
 له اللہ ، وفي قومك من يعلوك بحسبه ، وبعمرک بأوليتہ ، فینلت مهادك بما رفع به
 آل عمرو من ضعتك خاصة ، مساوين بك فروع غرر القبائل وقرومها^(۲) قبل
 أمير المؤمنين ، حتى حلت هضبة أصبحت تنصو^(۳) بها عليهم مفتخراً ، هذا إن لم
 يدهده^(۴) بك قلة شكرك متحطماً وقيداً ، فهلاً - يابن مجرشة^(۵) قومك - أعظمت
 رجالهم عليك داخلاً ، ووسعت مجلسه إذ رأيتك مقبلاً ، وتجاويت له عن صدر
 فراشك مكرماً ، ثم فاوضته مقبلاً عليه يبشرك إكراماً لأمر المؤمنين ، فإذا اطمان به
 مجلسه نازعته بحبي السرار^(۶) ، معظماً لقربته ، عارفاً لحقه ! فهو من البيتین
 ونابهم^(۷) ، وابن شيخ آل أبي العاص وحرّب وغرّتهم ، وباللہ يقسم أمير المؤمنين
 لك لولا ما تقدم من حرمتك ، وما يكره من شماتة عدوك بك ، لو وضع منك
 ما رفع ، حتى يردك إلى حال تفقد بها أهل الحوائج بعراقك ، وتزاحم الواكب
 ببابك ، وما أقرّ بني من أن أجعلك تابعاً لمن كان لك تبعاً ، فانهض على أي حال
 أفاك رسول أمير المؤمنين وكتابه ، من ليل أو نهار ، ماشياً على قدميك بمن معك

(۱) أي غير مترشح ، يقال : حلجله : إذا أزاله عن موضعه وحركه فتحلجل ، والمهاد : الفراش .
 (۲) القروم : جمع قرم بالفتح : وهو السيد ، والفروع : جمع فرع ، وفرع كل شيء : أعلاه ، ومن
 القوم : شريفهم .

(۳) معناه تطل وتشرف ، يقال نحا بصره إليه : أي صرفه ، ونحا : مال على أحد شقيه .
 (۴) دده الحجر فتدهده ، وددهاه فتدهدي : دحرجه فتدحرج ، والوقيد : الصريع ، وقده :
 صرعه وسكنه وغلبه وتركه عليلاً .

(۵) المجرشة : الماشطة ، يقال جرش رأسه بالمشط وجرشه إذا حكه حتى تستبين هبرته ، وجرش
 الجلد : إذا دلكه ليملاس .

(۶) السرار : المسارة ، مصدر صار ، وحبي : ذو حياء ، وحى السرار من إضافة الصفة إلى الموصوف
 أي السرار الحبي ، والمعنى : جادلته وناقشته في سرار مقرون بالحياء والاحتشام .

(۷) يقال : فلان ناب قومه ، أي سيدهم ، قال الشاعر :
 كنت لهم في الحدثن ناباً أننى العدا وضيغماً وثاباً
 انظر أساس البلاغة .

من خَوْلِكَ^(۱)، حتى تقف على باب ابن عمرو صاغراً مستأذناً عليه متنصلاً إليه، أذن لك أو منَعَكَ، فإن حرَّكَته عواطِفُ رحمةِ احتملك، وإن احتملته أنفةٌ وحميةٌ من دخولك عليه، فقف ببابه حَوْلًا غير مُتَحَلِّجٍ ولا زائل، ثم أمرُك بعدُ إليه، عزَل أو ولى، انتصر أو عفا، فلعنك اللهُ من متَكَلِّ عليه بالثقة، ما أكثر هفواتك! وأقذع^(۲) لأهل الشرف ألقاظك، التي لا تزال تَبْلُغُ أميرَ المؤمنين، من إقدامك بها على مَنْ هو أولى بما أنت فيه من ولايةِ مِصرَى العراق، وأقدمُ وأقومُ، وقد كتب أمير المؤمنين إلى ابن عمِّه بما كتب به إليك من إنكاره عليك ليرى في العفو عنك، والسُّخْطِ عليك رأيه، مُفَوِّضًا ذلك إليه، مبسوطةً فيه يده محموداً عند أمير المؤمنين، على أيِّهما آتَى إليك موقفاً إن شاء اللهُ تعالى . (تاريخ الطبري ۸ : ۲۵۰)

۴۵۴ - كتاب هشام إلى ابن عمرو

وكتابه إلى ابن عمرو :

« أما بعدُ : فقد بلغَ أميرَ المؤمنين كتابك ، وفهم ما ذكرتَ من بسطِ خالدٍ عليك لسانه في مجلس العامة ، محترماً لقدرك ، مُستَصْفِراً لقرابتك من أمير المؤمنين ، وعواطِفِ رَحْمَةِ عَلَيْكَ^(۳) ، وإمساكِكِ عنه تعظيماً لأمرِ المؤمنين وسلطانِه ، وتمسُّكاً بوثائقِ عِصَمِ^(۴) طاعته ، مع مؤلِّم ما تداخَلَكَ من قبائحِ ألقاظِه ، وشرارةِ مَنْطِقِه ، وإكثابِه^(۵) عليك ، عند إطراقك عنه ، مُرَوِّياً فيما أطلقَ أميرُ المؤمنين من لسانه ، وأطال من عِنانِه ، ورفَعَ من ضَعْتِه ، ونوَّه من خَوْلِه ، وكذلك أتمَّ آل سعيد في مثلها

(۱) الخول : الماشية ، وصاغراً : ذليلاً .

(۲) القذع عمركة : الحنا والفحش والفدر ، وقذعه كمنعه : رماه بالفحش وسوء القول كأقذعه :

(۳) أى ورحمة التي تعطفه عليك ، والرحم : القرابة ، « وإمساكك » معطوف على « بسط » .

(۴) عصم : جمع عصمة بالكسر ، وهي ما يعصم به من عقد وسبب ، أو هي عصم بضمتين جمع عصام

بالكسر ، وهو الجبل تشد به القرية ، ورباط كل شيء .

(۵) الشرارة : مصدر كالشر . وكتب عليه : حمل وكر . وروى في الأمر : نظر وفكر .

(۲۳ - جبهة رسائل العرب - ثانی)

عند هذر الذنابي (۱) وطائشة أحلامها ، صُمت من غير إغمام ، بل بأحلام تخيف الجبال (۲) وزنا .

وقد سجد أمير المؤمنين تعظيمك إياه ، وتوقيرك سلطانه ، وشكره ، وقد جعل أمر خالد إليك ، في عزلك إياه أو إقراره ، فإن عزلته أمضى عزلك إياه ، وإن أقرته ففلك منة لك عليه ، لا يشكرك أمير المؤمنين فيها ، وقد كتب إليه أمير المؤمنين بما يطرده عنه سنة (۳) الهاجج عند وصوله إليه يأمره بإتيانك راجلا ، على أية حال صادفه كتاب أمير المؤمنين ، وألقاه رسوله الموجه إليه من ليله أو نهاره ، حتى يقف ببابك ، أذنت له أو حجبته ، أقررتة أو عزلته ، وتقدم أمير المؤمنين إلى رسوله في غربه بين يديك على رأسه عشرين سوطا ، إلا أن تكرر أن يناله ذلك بسببك لحُرمة خدمته ، فأيهما رأيت إمضاءه كان لأمر المؤمنين - في برك وعظم حرمتك وقربتك ، وصلة رحمتك - موافقا ، وإليه حبيبا ، فيما ينوي من قضاء حق آل أبي العاص وسعيد ، فكاتب أمير المؤمنين فيما بدا لك مبتدئا ومجيبا ، ومحادثا وطالبا ما عسى أن ينزل بك أهلك من أهل بيت أمير المؤمنين ، من حوائجهم التي تقدم بهم الحشمة عن تناولها من قبله ، لبعد دارهم عنه ، وقلة إمكان الخروج لإنزالها به ، غير محتشم من أمير المؤمنين ولا مستوحش من تكرارها عليه ، على قدر قربتهم وأديانهم وأنسابهم ، مستمنحا ومسترفدا (۴) وطالبا مستريدا ، تجدد أمير المؤمنين إليك سريعا بالبر ، لما يحاول من صلة قرباتهم ، وقضاء حقوقهم ، وبالله يستعين أمير المؤمنين على ما ينوي ، وإليه يرغب في العون على قضاء حق قربته ، وعليه يتوكل ، وبه يثق ، والله وليه ومولاه ، والسلام .

(تاريخ الطبري ۸ : ۲۵۱)

(۱) هذر في كلامه : كضرب ونصر هذرا وتهذارا : هذى ، والهذر بحركة : سقط الكلام . والذنابي : أذنب الناس وسفلتهم . والأحلام : العقول جمع حلم بالكسر .

(۲) أى تخف وزن الجبال ، أى يخف وزن الجبال إذا وزنت بها . وفي الأصل : تخف بالجبال ، وأراه محرفا .

(۳) السنة : النعام . (۴) الاسترصاد : الاستعانة .

۴۵۵ - کتاب هشام إلى خالد

وذكر أنه كتب إلى هشام كتاباً غاظه ، فكتب إليه هشام :
« يا بن أم خالد ، قد بلغني أنك تقول : « ما ولاية العراق لي بشرف » فيا بن
اللخناء^(۱) : كيف لا تكون إمرة العراق لك شرفاً ، وأنت من بجلة القليلة الذليلة ؟
أما والله إني لأظن أن أول من يأتيك صغير من قريش يشدُّ يدك إلى عنقك » .
(تاريخ الطبري ۸ : ۲۵۱)

۴۵۶ - كتاب هشام إلى خالد

وذكر أن هشاماً كتب إليه :
« قد بلغني قولك : « إن خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد بن سكرز ، ما أنا^(۲)
بأشرف الخسة » أما والله لأردنك إلى بعلتِكَ وطيلسانك^(۳) القيروزي » .
(تاريخ الطبري ۷ : ۲۵۲)

(۱) انظر هامش ص ۲۲۱ .

(۲) أي ما أنا مع عظم قدرى ورفعة مكاني .

(۳) الطيلسان : ضرب من الأكسية الفارسية ، معرب .

وذكروا أنه بلغ هشاماً أنه قال ما بنى يزيد بن خالد بدون مسلمة بن هشام ، فكان ذلك سبب عزله لإياه
عن العراق ، وقيل : إن خالداً كان كثيراً ما يذكر هشاماً فيقول : ابن الحقاء ، وكانت أم هشام تستحقق
« وهي عائشة بنت هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة ، أمرها أهلها ألا تكلم عبد الملك حتى
تلد ، وكانت تثنى الوسائد وتركب الوسادة وترجرها كأنها دابة ، وتشترى الكندر (كبرقم : اللبان
بالضم) فتمضغه وتعمل منه تماثيل ، وتضع التماثيل على الوسائد وقد سمت كل تماثيل باسم جارية ، وتنادى :
يا فلاة ، ويا فلاة ، فطلقها عبد الملك لحقها ، وسار عبد الملك إلى مصعب فقتله ، فلما قتله بلغه مولد هشام ،
فسماه منصوراً ، يتفاهل بذلك ، وسمته أمه باسم أبيها هشام ، فلم ينكر ذلك عبد الملك » وقيل إن هشاماً
قدم عليه رجل من أهل الشام . فقال : إني سمعت خالداً ذكر أمير المؤمنين بالالتطلق به الكفتان ، قال :
قال الأحول ؟ قال : لا ، بل قال أشد من ذلك ، قال : فاهو ؟ قال : لا أقوله أبداً ، فلم يزل يبلغه عنه
ما يكره حتى تغير له وعمره انظر الأغاني ۱۹ : ۶۰ ، وتاريخ الطبري ۸ : ۱۸۰ ، ۲۵۱ .

۴۵۷ - کتاب هشام إلى خالد

وروى الطبرى قال :

وكان هشام إذا أراد أمراً أمر الأبرش فكتب به إلى خالد ، فكتب الأبرش :
« إنه بلغ أمير المؤمنين أن عبد الرحمن بن ثويب الضبي - ضيف سعد إخوة
عذرة بن سعد - قام إليك فقال : يا خالد ، إني لأحبك لعشر خصال : إن الله كريم
وأنت كريم ، والله جواد وأنت جواد ، والله رحيم وأنت رحيم ، والله حلیم وأنت
حلیم ، حتى عد عشرأ ، وأمير المؤمنين يُقسم بالله : لئن تحققَ عنده ذلك ليستحلنَّ دمك ،
فاكتب إلى بالأمر على وجهه ، لأخبر به أمير المؤمنين » .

۴۵۸ - رد خالد عليه

فكتب إليه خالد :

« إن ذلك المجلس كان أكثر أهلاً من أن يجوز لأحد من أهل البنى والفجور
أن يحرف ما كان فيه إلى غيره ، فأتم إلى عبد الرحمن بن ثويب ، فقال : « يا خالد :
إني لأحبك لعشر خصال : إن الله كريم يحب كل كريم ، والله يحبك ، وأنا أحبك
لحب الله إياك ، حتى عدد عشر خصال » ، ولكن أعظم من ذلك قيام ابن شقي الحميرى
إلى أمير المؤمنين ، وقوله يا أمير المؤمنين : خليفةك في أهلك أكرم عليك أم رسولك ؟
فقال أمير المؤمنين بل خليفتي في أهلي ، فقال ابن شقي : فأنت خليفة الله ومحمد رسوله
- صلى الله عليه وسلم - ولمعرى لضلالة رجل من بجيلة إن ضلَّ أهونُ على العامة
والخاصة من ضلال أمير المؤمنين » .

(تاريخ الطبرى ۹ : ۱۹ ، ووفيات الأعيان ۱ : ۱۶۹۰)

۴۵۹ - کتاب عقّال بن شبة إلى خالد بن عبد الله القسرى

وكتب عقّال بن شبة إلى خالد بن عبد الله القسرى في شفاعته :

« إن الله انتجَبَكَ^(۱) من جوهرة كرم ، ومنبت شرف ، وقسم لك خطراً^(۲) شهرة العرب ، وتحدثت به الحاضرة والبادية ، وأعان خطرَكَ بقُدرة مبسوطة ، ومنزلة ملحوظة ، فجميع أكتافك من جماهير العرب يعرفُ فضلك ، ويسرُه ما حار^(۳) الله لك ، وليس كلُّهم أداله^(۴) الزمان ، ولا ساعده الخط ، وأحق من تعطف على أهل البيوتات ، وعاد لهم بما يتقى له ذكره ، ويحسنُ به نشره ، مثلك ، وقد وجهت إليك فلانا ، وهو من دنية^(۵) قرابتي ، وذوى الهيئة من أسرتي ، وعرف معروفك ، وأحببت أن تلبسه نعمتك ، وتصرفه إلى وقد أودعتني وإياه ما تجده باقياً على النشر ، جيلاً في الغيب^(۶) .

(اختيار المنظوم والمثور ۱۲ : ۲۶۰)

۴۶۰ - كتاب هشام إلى يوسف بن عمر الثقفي

وفي سنة ۱۲۰ هـ كتب هشام إلى يوسف بن عمر الثقفي^(۷) - وهو على اليمن - أن : « سر إلى العراق ، فقد وليتكَ إياه ، وإياك أن يعلمَ بذلك أحد ، وخذ ابن النصرانية^(۸) وعماله فاشقني منهم . »

(۱) انتجبه : اختاره . (۲) الخطر : القدر .

(۳) خار الله لك في الأمر : جعل لك فيه الخير . (۴) أداله نصره وأعانه .

(۵) يقال : هو ابن عمي دنية بكسر الدال ، ودنيا بكسرهما وضماً : أي الحما .

(۶) الغيب : العاقبة .

(۷) هو يوسف بن عمر بن محمد بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود الثقفي ، وهو ابن ابن عم المجاج - يجتمان في الحكم بن أبي عقيل - ولاء هشام اليمن سنة ۱۰۶ هـ ، فلم يزل والياً بها حتى كتب إليه سنة ۱۲۰ هـ بولاية على العراق ، فلما ولي الخلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك أقره على ولاية العراق حتى قتل سنة ۱۲۷ هـ . انظر ترجمته في وفيات الأعيان ۲ : ۳۶۰ .

(۸) يعني خالدا القسري .

فقدّم يوسف العراق ، فأخذ خالداً وعمّاله وحبّسه وحاسبه وعذّبه ، ثم قتلَه^(۱)
في خلافة الوليد بن يزيد سنة ۱۲۶ هـ .

(تاريخ الطبری ۸ : ۲۵۳ ، ووفيات الأعيان ۲ : ۳۶۰)

۴۶۱ - بين يوسف بن عمر وهشام

وروى الطبرى قال :

لما قدّم يوسف بن عمر العراق قال : أشيروا على برجل أوليّه خراسان ، فسَمّوا له جماعة ، فكتب بأسمائهم إلى هشام ، وأطرى القيسيّة ، وجعل آخر من كتب اسمه نصر بن سيّار الكِنَانِيّ ، وقال هشام : ما بالُ الكِنَانِيّ آخِرم ! وكان في كتاب يوسف إليه : « يا أمير المؤمنين : نصرٌ بخُراسان قليل العشيّة » فكتب إليه هشام :

« قد فهمتُ كتابك وإطراءك القيسيّة ، وذكرتَ نصرأ وقلة عشيّته ، فكيف يقلُّ منّ أنا عشيّته ؟ ولكنك تقيّستَ عليّ ، وأنا مُتخَنَدِف^(۲) عليك ، ابعث

(۱) حدث رجل شهد قتله قال : شهدت خالدًا حين أتى به يوسف ، فدعا بعود فوضع على قدميه ، ثم قامت عليه الرجال حتى كسرت قدماه ، فوالله ما تكلم ولا عبس ثم على ساقيه حتى كسرتا ، ثم على فخذه ، ثم على حقويه ، ثم على صدره ، حتى مات ، فوالله ما تكلم ولا عبس - انظر تاريخ الطبرى ۹ : ۲۱ ، وانظر أيضاً وفيات الأعيان ۱ : ۱۷۰ .

(۲) جميع قبائل مضر بن نزار يجمعها قيس وخندف ، وذلك أن مضر ولد إلياس والناس (وهو عيلان) فولد عيلان : قيس بن عيلان ، وولد إلياس : عمرا (وهو مدركة) وعمرا (وهو طابخة) وعميرا (وهو قعة بالتحريك) وأمهم خندف كزبرج وهي ليلي بنت حلوان بن عمران ، فميم ولد إلياس بن مضر من خندف ، ولذلك يقال لهم خندف لأنها أمهم وإليها ينسبون ، ومن بطون خندف كنانة بن خزيمه بن مدركة بن إلياس بن مضر ، ومن بطون كنانة : قريش وهم بنو النضر بن كنانة ، (ولا يفيب عنك أن هشام بن عبد الملك من بني أمية ، وأن بني أمية من قريش) ومن بطون كنانة أيضاً : بنو جندع (كبرقع) ابن ليث بن بكر بن عبد مناة ، ومن بني جندع نصر بن سيار - انظر العقد الفريد ج ۲ : ص ۴۷ - وقد صاغ هشام في كتابه من قيس وخندف الكلمتين : « تقيست ومتخندف » والمعنى : أنك مات إلى جانب القيسية وأطريتهم ، وأنا أؤيد الخندفية وأرجح كفتهم وأتخير الأمير منهم .

بعهد نصر ، فلم يقبل من عشيرته أمير المؤمنين ، بله (۱) ما أن تمياً أكثر أهل خراسان .

وأتى نصرأ عهده في رجب من سنة ۱۲۰ هـ .
(تاريخ الطبری ۸ : ۲۵۸)

۴۶۲- بين يوسف بن عمر وهشام

وروى أيضاً قال :

« قدم زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، ومحمد بن عمر بن علي ابن أبي طالب ، وداود بن علي بن عبد الله بن عباس ، علي خالد بن عبد الله وهو علي العراق ، فأجازهم ورجعوا إلى المدينة ، فلما ولي يوسف بن عمر كتب إلى هشام : « بأسمائهم وبما أجازهم به » وكتب يذكر : « أن خالداً ابتاع من زيد بن علي أرضاً بالمدينة بعشرة آلاف دينار ، ثم رد الأرض عليه » .

فكتب هشام إلى عامل المدينة - وهو خاله إبراهيم بن هشام - : « أن يسرّهم إليه » ففعل ، فسألهم هشام ، فأقرؤوا بالجائزة وأنكروا ماسوى ذلك ، فسأل زيداً عن الأرض فأنكرها ، وحلفوا لهشام فصدقهم .

وفي رواية أخرى أن يزيد بن خالد القسري ادعى مالا قبل جماعة منهم من أسلفنا ذكركم ، فكتب فيهم يوسف بن عمر إلى هشام ، فبعث هشام إليهم ، فذكر لهم ما كتب به يوسف بن عمر إليه مما ادعى قبلهم يزيد بن خالد فأنكروا ، فقال لهم هشام : فإننا باعثون بكم إليه يجمع بينكم وبينه ، ودعا كاتبه فكتب إلى يوسف :

(۱) بله معناها علي ، أي عن أن تمياً أكثر أهل خراسان ، أي وفوق ما ذكرته فإن تمياً . . الخ وذكر النحويون أن بله تتعمل اسم فعل بمعنى اترك فينصب ما بعدها بالفعولية ، ومصدرا بمعنى الترك فيجر ما بعدها بالإضافة ، واسم استفهام بمعنى كيف فنكون خبراً مقدماً ويرفع ما بعدها على الابتداء . وتميم بنو تميم بن مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر : يعني هشام أن نصر بن سيار الكناني ليس بقليل العشرة كما ذكر يوسف بن عمر ، إذ أن تمياً - وهم من ولد إلياس جد كنانة - أكثر أهل خراسان .

« أما بعد ، فإذا قَدِمَ عليك فلان وفلان ، فاجمع بينهم وبين يزيد بن خالد القسري فإن هم أقرُّوا بما ادَّعى عليهم ، فسرح بهم إلى ، وإن هم أنكروا فسَلِّه بينةً ، فإن هو لم يُقِم البينة فاستحلِّفهم بعد العصر بالله الذي لا إله إلا هو : ما استودعهم يزيد ابن خالد القسري وديعةً ، ولا له قبَلهم شيء ، ثم خلَّ سبيلهم » .

فقالوا : جزاك الله والرحيم خيراً ، لقد حكمت بالعدل ، وسرح بهم إلى يوسف ، فسألهم عن المال فأنكروا جميعاً ، فأخرج إليهم يزيد بن خالد فجمع بينه وبينهم ، وقال له : هذا زيد بن علي ، وهذا محمد بن عمر بن علي ، وهذا فلان وفلان الذين كنت ادَّعيت عليهم ما ادَّعيت ، فقال : مالي قبَلهم قليلٌ ولا كثير ، فقال يوسف : أفي تهزأ ، أم بأمير المؤمنين ؟ فعذبه يومئذ عذاباً باظن أنه قد قتله ، ثم أخرجهم إلى المسجد بعد صلاة العصر فاستحلِّفهم فخلَّفوا له ، فلم يقدِر عند القوم على شيء ، فكتب إلى هشام يُعلمه الحال ، فكتب إليه هشام أن استحلِّفهم وخلَّ سبيلهم ، فخلَّى عنهم فخرجوا فلحقوا بالمدينة ، وأقام زيد بن علي بالكوفة . (تاريخ الطبري ۸ : ۲۶۰)

۴۶۳ - كتاب هشام إلى يوسف بن عمر

وكتب هشام إلى يوسف بن عمر أن : « أشخص زيداً إلى بلده ، فإنه لا يُقيم ببلده غيره فيدعو أهله إلا أجابوه » .

فأشخصه ، فلما كان بالثعلبية^(۱) أو القادسية ، لحقه أهل الكوفة ، فخرَّضوه على الخروج ، وأعطوه الموائيق والأيمان المغلظة لينصروا له ، وما زالوا به حتى ردوه إلى الكوفة^(۲) ، فرجع إليها فاستخفى ، ثم خرج على يوسف بن عمر فقتل وصاب بالكُناسة سنة ۱۲۱ هـ . « (تاريخ الطبري ۸ : ۲۶۰)

(۱) الثعلبية : من منازل طريق مكة من الكوفة .

(۲) وقد قالوا له : أين تذهب عنا ومعك مائة ألف رجل من أهل الكوفة يضربون دونك بأسياقم غد وليس قبلك من أهل الشام لإعدة قبيلة ، لو أن قبيلة من قبائلنا نصبت لهم لكفتهم بإذن الله تعالى ، فنشدك الله ما رجعت ، وكانوا يقولون : إنا لندرجو أن تكون المنصور وأن يكون هذا الزمان الذي يهلك فيه بنو أمية =

۴۶۴ - کتاب عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علی بن زید بن علی

وكتب عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علی بن أبي طالب إلى زید بن علی :
 « يا بن عمّ، إن أهل الكوفة نفخ^(۱) العَلانِيّة، خورُ السريرة، هُرُج^(۲) في الرخاء،
 جُرُع في الاقواء، تَقَدَّمهم^(۳) ألسنتهم، ولا تشايهم قلوبهم، لا يديتُون بَعْدَة في الأحداث،
 ولا يَنوون^(۴) بدولة مَرَجُوة، ولقد تواترت إلى كتبهم بدعوتهم، فصَممتُ عن
 نداءهم، وألبستُ قَلبي غِشاء^(۵) عن ذكرهم، بأساً منهم، واطّراحا لهم، وما لهم
 مَثَلٌ إلا ما قال علي بن أبي طالب : « إن أهليتم خُضتم، وإن حوربتهم خُرتتم، وإن
 اجتمع الناس على إمام طعنتم، وإن أجبتم إلى مشاؤة^(۶) نكصتم » .
 (تاريخ الطبري ۸ : ۲۶۵)

== وروى أنه كان قد بايعه على إمامته خمسة عشر ألف رجل من أهل الكوفة، وخرج بهم على يوسف
 فلما استحر القتال، بينهما قالوا لزید: إنا نتركك على أعدائك، بعد أن تخبرنا برأيك في أبي بكر وعمر،
 اللذين ظالما جدك علي بن أبي طالب، فقال زید: إني لا أقول فيهما إلا خيرا، وما سمعتُ أبي يقول فيهما
 إلا خيرا، وإنما خرجت علي بن أمية الذين قاتلوا جدي الحسين، وأغاروا على المدينة يوم الحرّة، ثم رموا بيت
 الله بحجر المنجنيق والنار، ففارقوه عند ذلك، حتى قال لهم: رفضتموني، ومن يومئذ سموا رافضة، وثبت
 معه مائتا رجل، وقاتلوا جند يوسف بن عمر حتى قتلوا عن آخرهم، وقتل زید ثم نبش من قبره وصلب
 بالكناسة (محلة بالكوفة) ثم أحرق، وهرب ابنه يحيى بن زید إلى خراسان وخرج بناحية الجوزجان
 كما سيأتي - انظر الفرق بين الفرق للبغدادي ص ۲۵، وتاريخ الطبري ۸ : ۲۶۳ .
 (۱) شاب نفخ وجارية نفخ بضمين: ملائمتها نفخة الشباب والخائر والحوار: الضعيف، وسهم
 حوار وخنثور: ضعيف، قال في اللسان ويجمع حوار على خور على غير قياس، وشاهد الحوار جمع حوار
 قول الطرماح:

أنا ابن حاة المجد من آل مالك إذا جعلت خور الرجال نهيم

(۲) هرج: جمع هروج مبالغة من هارج، والهرج بالفتح: الفتنة والاختلاط وجرع: جمع جزوع.

(۳) قدمهم كنصر: تقدمهم.

(۴) ناهٍ بالحل: نهض مثقلا.

(۵) الغشاء: الغطاء.

(۶) المشاؤة والشفاق: الخلاف والعداوة. والمعنى وإن أجبتم إلى قتال ذوي مشاؤة.

۴۶۵ - کتاب هشام إلى يوسف بن عمر

وكتب هشام إلى يوسف بن عمر في أمر زيد بن علي :

« أما بعد ، فقد عدت بحال أهل الكوفة ، في حبهم أهل هذا البيت ، ووضعهم إياهم في غير مواضعهم ، لأنهم افترضوا على أنفسهم طاعتهم ، ووظفوا^(۱) عليهم شرائع دينهم ، وتحلّوهم^(۲) عِلْمَ ما هو كائن ، حتى تحلّوهم من تفريق الجماعة على حال استخفّوهم فيها إلى الخروج .

وقد قدّم زيد بن عليّ على أمير المؤمنين في خصومة عمر بن الوليد ، ففصل أمير المؤمنين بينهما ، ورأى رجلاً جديلاً لينا خليقاً بشويبه^(۳) الكلام وصوغه ، واجترار الرجال بحلاوة لسانه ، وبكثرة مخارجه في حجبجه ، وما يُدلي به عند لَدَد^(۴) الخِصام من السَّطوة على الخِصم بالقوة الحادّة لنيل الفلج^(۵) .

فمَجَّلْ إشخاصه إلى الحجاز ولا تُخَلِّه والمقام قبلك ، فإنه إن أعاره القومُ أسماءهم ، فحشاها من لين لفظه ، وحلاوة منطقيه ، مع ما يُدلي به من القرابة برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجدّم ميلاً إليه ، غير مُتَّئِدَةٍ قلوبهم ، ولا ساكنة أحلامهم ، ولا مُؤَنِّقَةٍ عندهم أدبانهم ، وبعضُ التعاملِ عليه - فيه أذى له - وإخراجه وتركه - مع السلامة للجميع ، والحقن للدماء ، والأمن للفرقة - أحبُّ إلىّ من أمرٍ فيه سفكُ

(۱) الوظيفة : ما يقدر من عمل وورق وطعام وغير ذلك ، ووظف عليه العمل توظيفاً : قدره ، والمعنى قصرُوا عليهم شرائع الدين ومعرفة أحكامه . (۲) تحلّوهم الشيء كنعته : نسيه إليه . (۳) قول مموه أي مزخرف ، أو مزوج من الحق والباطل ، وأصله من موه الشيء تمويهها إذا طلاه بفضة أو ذهب وتحت ذلك نحاس أو حديد . (۴) اللد : شدة الخصومة .

(۵) الفلج : الفوز والظفر . وروى أن زيدا لما قدم على هشام ، قال له هشام : لقد بلغني يا زيد أنك تذكر الملائكة وتؤمنهاها ، ولست هناك لأنك ابن أمة ، قال زيد : فقد كان إسماعيل بن إبراهيم ابن أمة ، وأخوه إسحاق ابن صريجة مثلك ، فأخرج الله عز وجل من صلب إسماعيل خير ولد آدم محمداً صلى الله عليه وسلم ، وأخرج من صلب إسحاق الفردة والخنازير وعبد الطاغوت ، فعندها قال له : قم ، فقال : إذن لاتراني إلا حيث نكره - انظر البيان والتبيين ۱ : ۱۶۹ وتاريخ الطبري ۸ : ۲۶۳ ، والعقد الفريد ۲ : ۳۰۰ .

دمائهم ، وانتشار^(۱) كلمتهم ، وقطع نسلهم ، والجماعة حبل الله المتين ، ودين الله القويم ، وعزوته الوثقى ، فادع إليك أشراف أهل مصر ، وأوعدهم العقوبة في الأبخار^(۲) ، واستصفاً^(۳) ، الأموال ، فإن من له عقد أو عهد منهم سيبطين^(۴) عنه ، ولا يخف معه إلا الرعاع وأهل السواد ، ومن تهبه الحاجة استلذاذاً للفتنة ، وأولئك ممن يستعبد إبليس وهو يستعبدهم ، فبادهم^(۵) بالوعيد ، وأعضضهم^(۶) بسوطك ، وجرد عليهم سيفك ، وأخف الأشراف قبل الأوساط ، والأوساط قبل السفلة .
 واءلم أنك قائم على باب ألفة ، وداع إلى طاعة ، وحاض على جماعة ، ومشمّر لدين الله ، فلا تستوحش لكثرتهم ، واجعل مَعْقِلَك^(۷) الذي تَأْوِي إليه ، وصِفْوَك^(۸) الذي تخرج منه ، الثقة بربك ، والغضب لدينك ، والمحاماة عن الجماعة ، ومناصبته^(۹) من أراد كسر هذا الباب الذي أمرهم الله بالدخول فيه والتشاح^(۱۰) عليه ، فإن أمير المؤمنين قد أعذر إليه^(۱۱) ، وقضى من ذمامه ، فليس له منزي^(۱۲) إلى ادعاء حق هو له ظلمه من نصيب نفسه أو فيء أو صلة لدى قربي ، إلا الذي خاف أمير المؤمنين من حمل بادرة السفلة على الذي عسى أن يكونوا به أشقى وأضل ، ولهم أمر ، ولأمير المؤمنين أعز وأسهل إلى حياطة الدين والذب^(۱۳) عنه ، فإنه لا يجب أن يرى في أمته حالاً

(۱) أي تفرق .

(۲) البصرة بالتحريك : ظاهر الجلد ، والجمع بشر ، وجمع الجمع أبخار .

(۳) استصفاً المال : أخذ منه صفوه . (۴) أي جاهرهم .

(۵) في كتب اللغة أنه متعمد إلى الثاني بنفسه ، يقال : أعضضته الشيء : جعلته يعضه وأعضضته سيفي :

ضربته به . (۶) المعقل : اللجأ .

(۷) يقال : صفوه معك بالفتح والكسر : أي ميلة معك ، والمعنى اجعل شعارك .

(۸) ناصبه الحرب ، والعداوة : أظهرها له وأقامها .

(۹) أي والحرس ، يقال : تشاحا على الأمر : لا يريدان أن يفوتها ، وتشاح القوم في الأمر : شح بعضهم على بعض حذر فوته .

(۱۰) إليه أي إلى زيد بن علي . وأعذر : صار ذا عذر ، والذمام : الحق والحرمة .

(۱۱) مفعول من نزابتوا إذا وثب . (۱۲) أي والدفع .

متفاورتاً نكالا لهم^(۱) مُفنياً ، فهو بستديم النظر^(۲) ، ويقائن^(۳) للرشاد ، ويحتفبهم على المخاوف ، ويستعجزهم إلى المرشيد ، ويعذل بهم عن المهالك ، فعل الوالد الشفيق على ولده ، والراعى الحذب^(۴) على رعيتته .

واعلم أن من حُجَّتْ عليهم ، في استحقاق نصر الله لك عند معاندتهم ، توفيتك أطماعهم ، وأعطية ذريتهم ، ونهيتك جنك أن ينزلوا حریمهم ودورهم ، فانتبه رضا الله فيما أنت بسبيله ، فإنه ليس ذنب أسرع تعجيل^(۵) عقوبة من بغى ، وقد أوقعهم الشيطان ، ودلاهم^(۶) فيه ، ودلهم عليه ، والمعصية بتارك البغى أولى ، فأمير المؤمنين يستعين الله عليهم وعلى غيرهم من رعيتته ، ويسأل إلهه ومولاه ووليّه أن يصلح منهم ما كان فاسداً ، وأن يسرع بهم إلى النجاة والفوز ، إنه سميع قريب .

(تاريخ الطرى ۸ : ۲۶۶)

۴۶۶ - كتاب سالم بن هشام إلى يوسف بن عمر

وكتب سالم بن هشام إلى يوسف بن عمر حين قتل زيد بن علي رحمة الله عليه :
« قد بلغ أمير المؤمنين كتابك بما أبلت^(۷) الله في مدره السوء ، وأنه لما عضتكم الحرب ، وآلهم الحديد ، عاذوا بالمسجد الجامع ، قد اكذب الله ظنونهم ، وخذل مخرجهم ، وقتل إمام ضلالتهم ، وحفظ لأمر المؤمنين ما ضيعوا من حقه ، وحاط^(۸) له ما أباحوا من الغدر فيه ، وقد رأى أمير المؤمنين أن يجعل من شكر الله على نعمه ،

(۱) يقال : نكل به تنكيلا : أى صنع به صنفاً يحفر غيره ، والاسم النكال .

(۲) النظر : التأخير ، وأنظره : أخره .

(۳) تائن للامر : ترفق وأناه من وجهه .

(۴) حذب عليه كفرح : عطف . (۵) أى إلى تعجيل .

(۶) أى أوقعهم أيضاً .

(۷) الإبلاء : الإنعام والإحسان ، والمدره : القدم و اللسان والبد عند الحصومة والقتال ، والمراد

به زيد بن علي .

(۸) حاطه يحوله : حرسه وصانته .

الصَّنْعَ عَنْهُمْ ، وَتَعَمُّدًا^(۱) جُرْمِهِمْ ، وَأَنْ يَعْتَمَّهُمْ مِنْ عَدْلِهِ بِمَا يَرُدُّ الْجَاهِلَ عَنْ جِهْلِهِ ، وَالْفَوَىَّ عَنْ غَوَايِقِهِ ، وَيَعْلَمُونَ مَكَانَهُ مِنْ اللَّهِ ، وَاسْتِجَابَتَهُ لِعِزَّةٍ وَنَصْرِهِ ، وَأَنَّهُ الْخَلِيفَةُ الْمُتَّقَى ، وَالْإِمَامُ الْمُتَأَلَّفُ ، وَأَنَّهُ يَقْدَمُ الْعَفْوَ فِي الطَّاعَةِ ، عَلَى الْحُجَّةِ فِي الْعُقُوبَةِ ، وَالْحِسْبَةَ فِي الْإِسْتِصْلَاحِ ، عَنِ الْقُوَّةِ فِي التَّأْيِيدِ ، فَأَمْسِكْ عَنْهُمْ بِيَدِكَ ، فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ وَهَبَ ذَلِكَ كُلَّهُ لِلَّهِ ، وَرَجَا بِهِ مَا لَيْسَ ضَائِعًا عِنْدَهُ مِنْ ثَوَابِهِ .

(اختيار المنظوم والنثور ۱۲ : ۲۶۰)

۴۶۷ - كتاب يوسف بن عمر إلى هشام

وحبس يوسف بن عمر حين قدم العراق خالد بن عبد الله القسري كما قدمنا ، فأقام خالد في محبسه ثمانية عشر شهراً^(۲) ، ثم كتب إليه هشام يأمره بتخليه سبيله (في شوال سنة ۱۲۱ هـ) .

فخرج خالد ومعه جماعة من أهله ، حتى أتى القرية ، وهي بإزاء باب الرصافة^(۳) ، فأقام بها إلى صفر سنة ۱۲۲ هـ ، لا يأذن لهم هشام في القدوم عليه ، وخرج زيد بن علي على يوسف بن عمر فقتل ، فكتب يوسف إلى هشام :

(۱) تعمده : ستره ، وفي الأصل « وتعمد حرمهم » وهو تصحيف .
 (۲) وروى أن يوسف بن عمر استأذن هشاماً في إطلاق يده على خالد وتعذيبه ، فلم يأذن له ، حتى أكثر عليه ، واعتل عليه بانكسار الحراج وذهاب الأموال ، فأذن له مرة واحدة ، وبعث حرسياً يشهد ذلك ، وحلف لئن أتى علي خالد أجله وهو في يده ليقنته ، فدعا به يوسف ، جلس على دكان بالحيرة ، وحضر الناس وبسط عليه العذاب فلم يكلمه واحدة ، حتى شتمه يوسف ، فقال : يا ابن الكاهن يعني شق بن صعب الكاهن ، فقال له خالد : إنك لأحق ، نعميتني بشعرك ! ولكنك يا ابن الباء ، إنما كان أبوك سباً غمر - يعني يبيع الخمر - ثم رد إلى حبسه - تاريخ الطبري ۱۷ : ۹ .
 وقيل إن يوسف لما قدم العراق حبس خالد وأضر به ثلاثين سوطاً ، فكتب هشام إلى يوسف : أعطى الله عهداً لئن شاكت خالداً شوكة لأضربن عنقك ، فخلوا سبيله بثقله وعياله ، فأتى الشام - وفيات الأعيان ۳۶۲ : ۲ .

(۳) هي رصافة الشام ، رصافة هشام بن عبد الملك غربي الرقة ، بينهما أربعة فراسخ ، على طرف البرية ، بناها هشام لما وقع الطاعون بالشام ، وكان يسكنها في الصيف (وأما رصافة بغداد في الجانب الشرقي من بغداد بناها المهدي سنة ۱۵۹) .

« إن أهل هذا البيت من بني عمكم قد كانوا هلكوا جوعاً ، حتى كانت همة
أحدهم قوت عياله ، فلما ولي خالد العراق أعطاهم الأموال ، فقووا بها حتى نأقت أنفسهم
إلى طاب الخلافة ، وما خرج زيد إلا عن رأى خالد ، والدليل على ذلك نزول خالد
بالقرية على مدرجة العراف يستنشى^(۱) أخباره . »

وكان يوسف قد أمر الرسول بتصديق ما كتب به ففعل ، فقال له هشام : كذبت
وكذب من أرسلك ، ومهما اتهمنا خالدًا فلسنا نتهمه في طاعة ، وأمر به فوجئت^(۲)
عنته وبلغ الخبر خالدًا فسار حتى نزل دمشق .

(تاريخ الطبری ۹ : ۱۸ ، ووفيات الأعيان ۲ : ۳۶۲)

۴۶۸ - كتاب يوسف بن عمر إلى هشام

ولما طالت ولاية نصر بن سيار ودانت له خراسان ، كتب يوسف بن عمر
إلى هشام - حسداً له - :

« إن خراسان ديرة ديرة^(۳) ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يضمها إلى العراق ،
فأمرح إليها الحكم بن الصلت ، فإنه كان مع الجنيد^(۴) وولي جسم أعمالهم ، فأعمر
بلاد أمير المؤمنين بالحكم ، وأنا باعث بالحكم بن الصلت إلى أمير المؤمنين ، فإنه
أديب أريب^(۵) ، ونصيحتة لأمر المؤمنين مثل نصيحتنا ومودتنا أهل البيت . »

۴۶۹ - رد هشام على يوسف

وقدم الحكم على هشام بخراج العراق ، فرأى له جمالا وبيانا ، فكتب إلى يوسف :

(۱) المدرجة : الذهب والمسلك ، واستنشا الأخبار : تبعها . (۲) أى ضربت .

(۳) الديرة بالتحريك : فرحة الدانة ، ودبرت كفرح فهي ديرة كفرحة ، يريد أنها موطن للقلاقل

والفتن . (۴) هو الجنيد بن عبد الرحمن ، وقد تقدم أنه ولي خراسان سنة ۱۱۱ هـ .

(۵) أى عاقل ، أرب لربا كصفر صفرا وأرابة ككرامة فهو أريب وأرب كفرح .

« إن الحكم قديم ، وهو على ما وصفت ، وفيما قبلك له سعة ، وخل الكِنَانِيَّ
وعَمَلَه » وكان ذلك سنة ۱۲۳ هـ . (تاريخ الطبري ۸ : ۲۷۹)

وكتب يوسف إلى هشام أيضاً يذكر كِبَر نصر وضعفه ، ويذكر له سلم بن قَتَيْبَةَ ،
فكتب إليه هشام : « أُلِّهُ عن ذكر الكِنَانِيَّ » . (تاريخ الطبري ۸ : ۲۷۹ - ۲۸۰)

٤٧٠ - كتاب أحد عمال يوسف بن عمر إليه

وقال سِمَاك بن حرب : بعث إلى يوسف بن عمر ، وهو أمير العراق ، أن
عاملاً لي كتب إلى :

« إني قد زرعت لك كل خقٍ ولقٍ » :

فأما ؟ فقلت : إن الخق ما اطمأن من الأرض ، واللِق ما ارتفع منها^(١) .

(وفیات الأعيان ۲ : ۲۶۳)

٤٧١ - كتاب رجل من حمص إلى هشام

وجاء في العند الفريد :

روى المهيم بن عَدِيّ قال : كان سعيد بن هشام بن عبد الملك عاملاً لأبيه على
حمص ، وكان يُرْمَى بالنساء والشراب ، فقَدِم حمص هشام ، فلقِيَه أبو جَعْد الطائِي
في طريق ، فقال له : هل ترى أن أعطيك هذه الفرس ، فإني لا أعلم بمكانٍ مِثْلِهَا ؟
على أن تبلغَ هذا الكتابَ أمير المؤمنين ، ليس فيه حاجة بمسألة دينار ولا درهم ، فأخذها
وأخذ الكتاب ، فلما قَدِم على هشام سأله : ما قِصَّةُ هذا الفرس^(٢) ؟ فأخبره فقال :
هاتِ الكتابَ فإذا فيه :

أَبْلِغْ إِلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَدْ أَمَدَدْتَنَا بِأَمِيرٍ لَيْسَ عَيْنِنَا
طَوْرًا يُخَالِفُ عَمْرًا فِي حَلِيلَتِهِ وَعِنْدَ سَاحَتِهِ يُسْقَى الطَّلَا دِينًا^(٣)

(١) وفي كتب اللغة : الحق : الشق في الأرض ، والغدير اليابس إذا جف ، وشبه حفرة غامضة
في الأرض ، واللق : الصدع في الأرض ، أو كل أرض ضيقة مستطيلة ، قال صاحب اللسان : ومنه كتاب
عبد الملك إلى الحجاج « لاتدع خفا ولا لقا لإزرعته » وضبطهما ابن خلكان بضم الماء واللام ، ولكنهما
في كتب اللغة بالفتح .

(٢) الفرس . للذكر والأنثى ، أو هي فرسة . (٣) الطلاء : الحمر .

فلما قرأ الكتاب بعث إلى سعيد فأشخصه ، فلما قدم عليه علاه بالخيزرانة ،
وقال : يا بن الخبيثة ، تزنى وأنت ابن أمير المؤمنين ! وبئلك أعجزت أن تفجر فجور
قريش ، أو تدرى ما فجور قريش لا أم لك ؟ قتل هذا وأخذ مال هذا ، والله لا تلي
لى عملا حتى تموت ، فما ولي له عملا حتى مات .
(العقد الفريد ۲ : ۲۸۴)

۴۷۲ - كتاب سليمان بن هشام إلى أبيه

وكتب سليمان بن هشام إلى أبيه هشام بن عبد الملك :
« أن بغلتى قد عجزت عني ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر لي بدابة قعل » .

۴۷۳ - رد هشام عليه

فكتب إليه :

« قد فهم أمير المؤمنين كتابك ، وما ذكرت من ضعف دابتك ، وقد ظن
أمير المؤمنين أن ذلك من قلة تعهدك لعملفها ، وأن عافها يضيع ، فتعهد دابتك
في القيام عليها بنفسك ، ويرى أمير المؤمنين رأيه في حملاتك^(۱) » .
(تاريخ الطبري ۸ : ۲۸۵)

۴۷۴ - كتاب بعض عمال هشام إليه

وكتب إليه بعض عماله :

« إني قد بعثت إلى أمير المؤمنين بسلة دراقن^(۲) ، فليكتب إلى
أمير المؤمنين بوصولها » .

(۱) أى في حماك ، حمله حملا (بالفتح) وحملانا .

(۲) الدراقن ، وقد تعدد الراء : الشمس والخور ، شامبة .

۴۷۵ - رد هشام عليه

فكتب إليه :

« قد وصل إلى أمير المؤمنين الدراقن الذي بعثت به ، فأعجبته ، فزدد أمير المؤمنين

منه ، واستوثق من الوعاء . (تاريخ الطبری ۸ : ۲۸۶)

۴۷۶ - كتابه إلى بعض عماله

وكتب إلى بعض عماله :

« قد وصات الكمأة التي بعثت بها إلى أمير المؤمنين ، وهي أربعون ، وقد تغير بعضها ، ولم تؤت في ذلك إلا من حشوها ، فإذا بعثت إلى أمير المؤمنين منها شيئاً ، فأجد حشوها في الظرف الذي جعلها فيه بالرمل ، حتى لا تضطرب ، ولا يصيب بعضها بعضاً . (تاريخ الطبری ۸ : ۲۸۶)

۴۷۷ - كتاب سالم إلى بعض إخوانه

وكتب سالم^(۱) إلى بعض إخوانه :

« أما بعد ، فقد أصبحت عظيم الشكر لما سلف إلى منك ، جسيم الرجاء فيما بقي لي عندك ، قد جعل الله مستقبل رجائي منك عوناً لي على شكرك ، وجعل ما سلف إلى منك عوناً لي على مؤتلف الرجاء فيك .

(اختيار المنظوم والمنثور ۱۳ : ۳۷۹)

(۱) ويكنى أبا العلاء، كاتب هشام بن عبد الملك ، وكان ختن عبد الحميد بن يحيى الكاتب (والحن بالتحريك : الصهر ، وكل من كان من قبل المرأة كالأب والأخ) وكان أحد الفصحاء البلغاء ، وقد نقل من رسائل أرسطاليس إلى الإسكندر - انظر الفهرست لابن النديم ص ۱۷۱ .
(۲۴ - جبهة رسائل العرب - ثاني)

۴۷۸ - كتابه في الاعتذار

وكتب سالم في الاعتذار :

« أمتعتك الله وأمتع بك ، لولا أنه إذا ضاق على المخرج لك ، وسعتك
عذرى ، بسطت لسان لأمتي في تركك لأمتي فيما خالف هواك » .
(اختيار المنظوم والمشور ۱۳ : ۳۸۹)

۴۷۹ - كتاب عبد الحميد بن يحيى عن هشام إلى

يوسف بن عمر

وكتب عبد الحميد بن يحيى^(۱) عن هشام بن عبد الملك إلى يوسف بن عمر وهو
بالمين ، في السلامة :

« فإن أمير المؤمنين كتب إليك ، وهو في نعمة الله عليه ، وبإلأيه عنده :
في ولده ، وأهل لحمة^(۲) ، والخاص من أموره والعام ، والجنود ، والقواصي ، والشغور ،
والدهام^(۳) من المسلمين ، على ما لم يزل ولي النعم يتولاه من أمير المؤمنين ، حافظا
له فيه ، عكر ما له بالحياطة لما ألهمه الله فيه من أمر رعيته على أعظم وأحسن وأكمل

(۱) هو عبد الحميد بن يحيى بن سعيد ، مولى بني عامر بن لؤي بن غالب ، وهو من أهل الشام ،
وكان أول أمره معلم صببية يتنقل في البلدان ، ثم اتصل مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية أيام ولايته
أرمينية قبل استخلافه ، وصحبه وكتب له وانقطع إليه . فلما جاء الأمر بالخلافة سجد مروان وسجد أصحابه
إلا عبد الحميد ، فقال له مروان : لم لم تسجد ؟ فقال : ولم أسجد ؟ على أن كنت معنا فطرت عنا ؟ يعني
الخلافة ، فقال : إذن تطير معي ، قال : الآن طاب السجود وسجد وكان كاتب مروان طول خلافته .
وكان شيخه في الكتابة سالما أبا العلاء (مولى هشام بن عبد الملك وكاتبه) وبرع عبد الحميد في
الكتابة ، حتى ضرب به المثل في البلاغة ، فقيل : « فتحت الرسائل بعبد الحميد ، وختمت بأبن العميد »
وهو الذي سهل سبيل البلاغة في النسل ، وأول من أطال الرسائل ، واستعمل التجميدات المطولة في فصول
الكتب ، وعنه أخذ المرسلون ، ولآثاره اقتفوا ، وقد استعمل في بعض كتبه الإيجاز البليغ ، وفي بعضها
الإسهاب المفرط ، على ما يقتضيه الحال (انظر رسالته عن مروان إلى ابنه عبد الله وسفاتي) قال ابن النديم :
وجموع رسائله نحو ألف ورقة ، ونوف سنة ۱۳۲ هـ (۲) اللحمة : القرابة .
(۳) الدهماء : جماعة الناس .

ما كان يحوطه فيه ، ويذُبُّ له عنه ، والله محمود مشكور إليه فيه مرغوب .
 أحبَّ أمير المؤمنين - لِعَلِّه بسرورك به - أن يكتب إليك بذلك ، لتحمد الله
 عليه ، وتشكره به ، فإن الشكر من الله بأحسن المواضع ، وأعظم المنازل ، فازداد منه
 تَزْدَادُ به ، وحافظ عليه تُحْفَظُ به ، وارغب فيه يُهْدِ إليك مزيد الخير ، ونفائس المواهب ،
 وبقاء النعم ، فاقرا على من قبلك كتاب أمير المؤمنين إليك ، ليُسْرَ به جندك
 ورعيك ، ومن حمّله الله النعم بأمير المؤمنين ، ليحمدوا ربهم على ما رزق الله عباده
 من سلامة أمير المؤمنين في بدنه ، ورأفته بهم ، واعتناؤه بأموارهم ، فإن زيادة الله تعلق
 شكر الشاكرين ، والسلام .
 (اختيار المظلوم والمنور ۱۳ : ۳۶۶)

٤٨٠ - كتاب عبد الحميد عن مروان إلى هشام

وكتب عن مروان بن محمد إلى هشام بن عبد الملك يعزبه بامرأة من حظاياها :
 « إن الله تعالى أمتع أمير المؤمنين من أُنَيْسْتَه وقرينته متاعاً مَدَّهُ إلى أجل
 مُسَمًّى ، فلما تَمَّتْ له مواهبُ الله وعاريته^(١) ، قَبِضَ إليه العارية ، ثم أعطى أمير
 المؤمنين من الشكر عند بقائها ، والصبر عند ذهابها ، أنفَسَ منها في المنقلب ،
 وأرجَحَ في الميزان ، وأَسْنَى^(٢) في العِوَضِ ، فالحمد لله رب العالمين ، وإنا لله وإنا إليه
 راجعون .
 (شرح الميون ص ۱۶۴)

٤٨١ - كتابه عن مروان إلى هشام

وكتب عبد الحميد أيضا عن مروان بن محمد إلى هشام بن عبد الملك يعزبه عن
 مولودين ، هلك أحدهما وبقي الآخر :
 « الشكرُ على النعمة ، والصبرُ على النكبة ، وتأدية الحق في ميسور الأمور

(١) العارية مشددة وقد تخفف . (٢) أرفع ، من الساء ، وهو الرفعة .

ومسورها ، ومحبوبها ومكروها ، من استعمله كان شكر الله أولى به من صبره ،
فيوجب له بالشكر على النعمة المزيد ، وبالصبر على المصيبة الأجر ، بما أدى من الحق
في نفسه ، واقتدى به أهل دهره .
(اختيار المنظوم والنثور ۱۳ : ۳۰۶)

۴۸۲ - رسالة عبد الحميد في وصف الإخاء

ولعبد الحميد في وصف الإخاء :

« فإن أولى ما اعتزم عليه ذوو الإخاء ، وتواصل عليه^(۱) أهل المودات ، ما دعا
أسبابه صدق التموى ، وبنيت دعائه على أساس البر ، ثم أهد البناء حريز التواصل^(۲)
وشيده مستعذب العشرة ، فادعم قويا ، وصفا مؤثقا^(۳) وأخلصته المقة^(۴) منقطعة ،
وسكنت به القلوب أنيسة ، وسمت من مواصلته الهيم مستعلية عن كل زائغ
معتاق^(۵) ونحوف عارض يخرم مشكة الإخاء ، ويحترز مرئوب^(۶) المقة ، ضنا بما
استعذبوا من محمود وثائمه ، وازديادا فيما تمطقوا به من حلاوة جناه^(۷) فإذا استحكمت
لهم مذخور الصفاء بثبات أواخيه^(۸) ، وظهور أعلامه ، ونحصول مختبره ، وثقة
موده ، كان سرورهم باعتلاقه^(۹) ، وابتهاجهم بوجدانه^(۱۰) ، وإتمامهم^(۱۱) صلته ،
وبذلهم رعايته ، وحياطتهم محموده ، بحيث نالوا من معرفة حظوته ، واستولوا عليه

(۱) في الأصل « وتوصل لايه » .

(۲) في الأصل « ثم أهد البنامين التواصل » وهو تحريف : ونهد كنع : ارتفع ، وأهده : رفعه ،
والحريز : الحصين . (۳) أي معجبا .

(۴) المقة : المحبة ، ومقه كورته : أحبه ، وفي الأصل « وبخاصه » وهو تحريف وقد أصلحته
كما ترى .

(۵) الزائغ : المائل ، والمعناق : المعوق ، عاقه وعوقه واعتاقه : تبطه وصرفه .

(۶) المشكة بالضم : ما يتمسك به ، ورب المعروف والصنيعة وربها : أعانها وزادها وأعانها ،
ويحترز : يقطع . وفي الأصل « ويختار » وأراه محرفا . والضن : البخل .

(۷) التمطق : التدفق ، والبنى : العسل .

(۸) الأواخي : جمع آخية بتخفيف الياء فيهما ، والأواخي جمع آخية بتشديد الهمزة : عروة تربط إلى

وتد مدقوق وتشد فيها الدابة . (۹) أي بالعلق به . (۱۰) أي بوجوده .

(۱۱) في الأصل « وإتمام » وهو تحريف .

من مَزِيَّةِ كَرَمِهِ ، وتَعَرَّفُوا مِنْ ذَخِيرَةِ عَائِدَتِهِ ^(۱) ، وَمَأْمُونِ حِفَاظِهِ ، وَكَشَفَ لَهُمْ
عَنْ نَفْسِهِ ، مُظْهِرًا أَعْلَامَهُ ، مُبْدِيًا دَفِينَتَهُ ، طَارِحًا قِنَاعَ سِرِّهِ ، مُعَلِّنًا مَكْنُونِ ضَمِيرِهِ ،
فِي نَائِي الدَّارِ ، وَجِدَانِ ^(۲) المَجْتَمَعِ ، بِإِظْهَارِ مَا اسْتَرَّ مِنَ المَحَاسِنِ ، وَبَثَّ فِي الحِطَبِ ^(۳)
مِنَ المَسْكَارِمِ ، قِيَامًا لَهُمُ بِالنُّصْرَةِ ، وَحِيَاظًا لِلْمُوَدَّةِ ، وَتَرْغِيبًا فِي العِشْرَةِ ، فَكَانَ
أَكْهَفَ ^(۴) بَلَاءً ، وَأَحْرَزَ حِصْنَ ، وَأَحْصَفَ جُنَّةً ^(۵) وَأَعْوَنَ ظَهِيرًا ، وَأَبْقَى ذَخِيرَةَ ،
وَأَعْظَمَ فَائِدَةً ، وَأَشْرَفَ كَنْزًا ، وَأَنْفَرَ صَنْيَعَةً ، وَأَنْقَ مَنَظَرَ ، وَأَبْنَعَ زَهْرَةً ، أَكْثَرَ
الأَشْيَاءِ رَيْعًا ^(۶) وَأَنْمَاهَا وَصَلًا ، وَأَمَدَهَا سَبَبًا ، وَأَقْوَاهَا أَيْدًا ، وَأَحْلَاهَا ذَوْقًا ،
وَأُدْعَمَهَا ثَبَاتًا ، وَأَرْسَاهَا رَكْنًا ، لَا يَدْخُلُ مُسْتَحْتَمًا سَامَةً مَلَالًا ، وَلَا كَلَالًا مِهْنَةً ^(۷) ،
وَلَا تَثْبِيطًا وَنِيَّةً ، وَلَا ضَعْفَ خَوَرٍ ، لِنَزُولِ بَائِتَةٍ ، أَوْ طُرُوقِ طَارِقَةٍ ، مِنْ عَوَارِضِ
الأَقْدَارِ ، وَحَوَادِثِ الزَّمَانِ ، بَلْ مُوَاسِيَا فِي إِزْمِهَا ^(۸) ، مَتَوَرِّطًا غَمْرَاتِ قُحْمِهَا ، مَتَدَرِّعًا
هَائِلَ بَوَائِقِهَا ، مُسْتَلْحِمًا نَوَاطِرَ مَقَاطِعِهَا ^(۹) ، حَتَّى تَصِيرَ بِهَ الأَقْدَارُ إِلَى تَنَاهِيهَا ،
وَيَبْلُغَ بِهَ القَضَاءُ مَقْدَارَهُ ، غَيْرَ مَنَّانٍ بِالنُّصْرَةِ ، وَلَا بَرِّمٍ ^(۱۰) بِالتَّعَبِ ، يَرَى تَعَبَهُ غُنْمًا ،

(۱) العائدة . المعروف والصلة والمنفعة .

(۲) كذا في الأصل ، والمعنى عليه غير ظاهر .

(۳) الحقب : جمع حقبه بالكسر ، وهي من الدهر مدة لاوقت لها ، والسنة .

(۴) الكهف والنجأ بالتحريك والنجأ . والنوئل والوزر والملاذ والمقل : واحد ، ومعنى أكهف :

أمن وأحص .

(۵) الجنة : كل ماوقى ، وحصف عقله ككرم فهو حصيف : أى عكف العقل جيد الرأى ، وأحصف

الأمر . أحكمه ، والحبل : أحكم فتله ، وربما كان الأصل « وأحصن » . والظهير : المعن ، وأنقى الشيء
كفرح : راع حسنه وأعجب ، فهو أنيق أى حسن . معجب .

(۶) راع بریم ريعاً : نما وزاد وزكاً . والأيد : القوة .

(۷) المهنة بالكسر والفتح والتحريك وككلمة : المذوق بالخدمة والعمل ، ويقال : افعل ذلك بلا ونية :

أى بلا توان ، والبائقة : الداهية ، والجمع بوائق .

(۸) الأزمة بالفتح وبحرك : الشدة ، والجمع أزم بالفتح ولازم كغيب ، والبورطة : الهلكة (بالتحريك)

وكل أمر تعسر النجاة منه . ونورط فيه : وقم ، والغمرة بالفتح : الشدة ، والقحم جمع قحمة بالضم :

وهى المهلكة . (۹) يقال : استلحم الطريدة أى تبعها ، ونواظر جمع ناظرة ، والمعنى منبها مقاطعها

التي نظره وترقبه .

(۱۰) برم بالأمر كفرح : ضجر وصم ، وفى الأصل « غير منان بالنصرة ولا برم التعب » وهو تحريف .

وَنَصَبَهُ دَعَاً ، وَكَانَ فَائِدَةً ، وَعَمَلَهُ مَقْصُوراً ، وَسَعِيَهُ مَفْرُطاً ، وَاجْتِهَادَهُ مُضِيْعاً ،
عَدْلٌ (۲) الْوَلَدِ فِي بَرِّهِ ، وَالْوَالِدِ فِي شَفَقَتِهِ ، وَالْأَخِ فِي نُصْرَتِهِ ، وَالْجَارِ فِي حِفْظِهِ ،
وَالذُّخْرِ فِي مِلْكِهِ ، فَأَيْنَ الْعَدْلُ عَنْ مِثْلِهِ ؟ أَوْ كَيْفَ الْإِصَابَةُ لِشِبْهِهِ ؟
أَوْ أَيْ عَرَضٌ مِنْ فَقْدِهِ ؟ جَمَعْنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ عَلَى طَاعَتِهِ ، وَأَلْفْنَا بِمَحَابَّتِهِ ، وَجَعَلْنَا
أَخَوْتَنَا فِي ذَاتِهِ .

قَدْ حَدَدْتُ لَكَ أَيَّ أَخِي الْإِخَاءِ مَشْتَعِباً ، وَوَصَفْتُ لَكَ مُخَاصَ (۳) ، وَاتَّهَيْتُ
بِكَ إِلَى غَايَةِ أَهْلِ الْعَدْلِ مِنْهُ ، وَمَا تَوَاصَلَ أَهْلُ الرَّأْيِ عَلَيْهِ ، وَدَعَا إِلَيْهِ الْإِخَاءُ مِنْ
نَفْسِهِ ، مُنْتَقِطاً (۴) بِهِ ، ضَامِنًا لَهُ مَا فَرَطَ فِي ذَلِكَ تَقْصِيرٍ مِنْ أَهْلِهِ ، وَدَاخِلَهُ تَضْيِيعٌ مِنْ
حَمَلَتِهِ ، أَوْ حَاطَهُ إِحْكَامٌ ، وَكَانَ حِفْظُهُ مِنْ رِعَايَتِهِ .

وَإِنِّي كِتَابُكَ بِمَا سَأَلْتَ مِنْ ذَلِكَ ، وَعَقَلِي مَحْضُورٌ ، وَرَأْيِي مُنْقَسِمٌ ، وَذَهْنِي
فِيمَا يَتَأَهَّبُ بِهِ الْأَمِيرُ لِقِتَالِ عَدُوِّ اللَّهِ (۵) مِنْ خَزَرِ التُّرْكِ ، وَاخْتِلَافِ رُسُلِهِ إِلَى جِبَالِ
الْإِلَانِ وَالطَّبْرَانِ وَمَا وَالَاهُمَا ، بِنُؤَافِذِ أَمْرِهِ ، وَتَخَارِجِ رَأْيِهِ ، فَأَنَا مُصَيِّخٌ (۶) السَّمْعِ

(۱) كلف لأمر كفرح كلفا وتكلفه : تجشمه على مشقة ، والكلفة بالضم : ما تكلفت من أمر

(۲) العدل بالفتح والكسر والعديل : المثل والنظير .

(۳) أي خالصاً من الدنس .

(۴) انتطق بالناطق : شده في وسطه ، وكنفه : حفظه وصانه .

(۵) في الأصل « يتأهب به الأمير ... والله من خزر الترك ... الخ » وقد تمته بما ترى كما

يقتضيه سياق الكلام ، والأمير المعنى هنا هو مروان بن محمد وكان هشام بن عبد الملك ولاء أرمينية وأذربيجان
سنة ۱۱۴ هـ (انظر تاريخ الطبري ۸ : ۲۱۷) واستمر والياً عليها إلى أن تقلد الخلافة ، وكان عبد الحميد
متصلاً بمروان قبل استخلافه منقطعاً إليه كما قدمنا في ترجمته ، والخزر : اسم جيل من الترك كانوا يسكنون
على السواحل الشمالية والغربية من بحر الخزر (بحر طبرستان ، وهو بحر قزوين) ، واللان : بلاد واسعة
في طرف أرمينية قرب باب الأبواب مجاورون للخزر (وباب الأبواب : مدينة على الشاطئ الغربي لبحر الخزر)
والطبران : جنوبي بحر الخزر ، وكان هشام قد ولي أرمينية قبل مروان الجراح بن عبد الله الحكمي سنة
۱۱۱ هـ ، وفي سنة ۱۱۲ سار الترك من اللان فلقبهم الجراح فيمن معه من أهل الشام وأذربيجان ، فلم ينتقم
إليه جيشه ، فاستشهد الجراح ومن كان معه - انظر تاريخ الطبري ۸ : ۲۰۵ .

(۶) أصاخ له : استمع .

لِللِّفْظِ ، عَقِلَ ^(۱) الْعَقْلَ عَنِ سِوَى أَمْرِهِ ، مُخْتَصِرٌ ^(۲) الذَّهْنَ فِي تَدْبِيرِهِمْ ، ذَهَلَ ^(۳) الْقَلْبَ عَنِ تَفْنِينِ الْقَوْلِ وَتَشْعِيبِ الْكَلَامِ فِي تَصْنِيفِ طَبَقَاتِ الرِّجَالِ ، وَمَنْ أَيْنَ دَخَلَ عَلَيْهِمْ نَقْصُ الْإِخَاءِ ، وَكَيْفَ خَانَهُمْ مُؤَفِّقٌ ^(۴) الصِّفَاءِ ، وَقَدْ صَرَخْتُ لَكَ عَنْ رَأْيِ ذَوِي الصِّفَاءِ ، وَكَشَفْتُ لَكَ خِيَابَ الْإِخَاءِ ، وَجَمَعْتُ لَكَ إِلْفَ ^(۵) مَوَدَّةِ أَهْلِ الْحِجَابِ ، فَتَلَقَّ مَا وَصَفْتُ لَكَ بِقَابِ فَهَمِّ عَقُولِ ذِي مِيزَةِ بَقْفَانٍ ، وَذَهْنِ جَامِعِ ذِي تَقَافَةٍ رَاعٍ ^(۶) ، أَحْضَرَكَ اللَّهُ عِصْمَةَ التَّوْفِيقِ ، وَسَدَّدَكَ اللَّهُ لِإِصَابَةِ الرُّشْدِ ، وَمَكَّنَكَ لَكَ صِدْقَ الْعَزِيمَةِ ، وَالسَّلَامِ .

(اختيار المنظوم والنثور ۱۳ : ۳۹۸)

۴۸۳- کتاب الولید بن یزید بن عبد الملک إلى هشام

وكان یزید بن عبد الملک بن مروان عمَدَ الخِلافةِ لابنَه الولید بعد أخیه هشام ابن عبد الملک ^(۷) ، وَوَلِيَّ هِشَامٍ وَهُوَ لِلْوَلِيدِ مُكْرَمٌ مُعْظَمٌ مُقَرَّبٌ ، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ مِنْ أَمْرِهِمَا ، حَتَّى ظَهَرَ مِنَ الْوَلِيدِ بِنِ يَزِيدِ مُجُونٌ ، وَشَرِبَ الشَّرَابَ ، وَحَمَاهُ عَلَى ذَلِكَ عَبْدُ الصَّمَدِ بِنُ عَبْدِ الْأَعْلَى الشَّيْبَانِي - وَكَانَ مُؤَدِّبَ الْوَلِيدِ ، وَكَانَ فِيمَا يُقَالُ زَنْدِيقًا - وَبَدَأَ لِلنَّاسِ مِنْهُ تَهَاوُنٌ بِالدِّينِ وَاسْتِخْفَافٌ بِهِ ، وَبَلَغَ ذَلِكَ هِشَامًا فَطَمِعَ فِي خَلْعِهِ وَالْبَيْعَةِ لِابْنِهِ مَسْأَلَةً بِنِ هِشَامٍ ، وَأَرَادَهُ عَلَى ذَلِكَ فَأَبَى ، فَقَالَ لَهُ : اجْعَلْهَا لَهُ مِنْ بَعْدِكَ فَأَبَى ، فَتَنَكَّرَ لَهُ هِشَامٌ وَأَضْرَبَ بِهِ وَعَمِلَ سِرًّا فِي الْبَيْعَةِ لِابْنِهِ فَأَجَابَهُ قَوْمٌ .

(۱) عقله كضربه : حبسه ، وعقل الشيء : نعي تدبره وفهمه ، من ذاك ، لأنه يقيد ويحبسه ، وهو من باب ضرب أيضاً ، قال صاحب المصباح : « وعقلت الشيء من باب ضرب : تدبرته ، وعقل يعقل من باب تعب لغة » فقوله « عقل » صفة من عقل كتعجب أي معقول العقل أي شيبوسه ، وربما كان الأصل « عقيل » بمعنى معقول كجربيع وأسير .

(۲) حضر واحتضر : ضد غاب ، أي حاصر الذهن .

(۳) ذهل عنه ، نسيه وغفل عنه ، وبابه قطع ، وكفرح لغة .

(۴) أنته الشيء : أعجبه .

(۵) ألفه كعلمه إلفاً بالكسر والفتح . (۶) أي حافظ .

(۷) وذلك أن الوليد يوم عقد له أبوه يزيد الخلافة كان ابن إحدى عشرة سنة فلم يمت يزيد حتى

بلغ الوليد خمس عشرة سنة ، فندم يزيد على استخلافه هشاماً أخاه بعد ، وكان إذا نظر إلى ابنه الوليد قال : الله بيني وبين من جعل هشاماً بيني وبينك .

وتمادى الوليد في الشراب وطلب اللذات فأفرط ، فقال له هشام : وَيَحْكُ يَا وَلِيدُ !
والله ما أدري : أعلَى الإسلام أنت أم لا ؟ ما تدع شيئاً من المنكر إلا أتيتَه غير
متعاشٍ ولا مستترٍ به ، فكتب إليه الوليد :

« يَا أَيُّهَا السَّائِلُ عَنْ دِينِنَا نَحْنُ عَلَى دِينِ أَبِي شَاكِرٍ
نَشْرُهَا صِرْفًا وَمَمْرُوجَةً بِالسُّخْنِ أَحْيَانًا وَبِالْفَارِ »

فغضب هشام على ابنه مسلمة - وكان يُكنى أباشاكر - وقال له : يعيرني بك
الوليد ، وأنا أُرشحك للخلافة ! فالزم الأدب ، واحضر الجماعة ، وولاه الموسم سنة ۱۱۹ هـ
فأظهر النسك والوقار واللين ، وقسم بمكة والمدينة أموالاً .

(تاريخ الطبري ۸ : ۲۸۹ ، والأغانى ۲ : ۷۶)

۴۸۴ - كتاب أبي شاكر مسلمة بن هشام إلى خالد القسري

وقال خالد بن عبد الله القسري : أنا بريء من خليفة يُكنى أباشاكر ، فغضب
مسلمة بن هشام على خالد ، فلما مات أسد بن عبد الله أخو خالد سنة ۱۲۰ كتب
أبو شاكر إلى خالد بِشعْرٍ هجاء به نُوْقِلَ خالداً وأخاه أسداً حين مات :

« أَرَا حَ مِنْ خَالِدٍ وَأَهْلِكَ رَبُّ أَرَا حَ الْعِبَادَ مِنْ أَسَدٍ
أَمَّا أَبُوهُ فَكَانَ مُؤْتَشَبًا عَبْدًا لَيْلًا لِأَعْبُدِ قَفْدًا » (۱)

وبعث الطومار^(۲) مع رسول على البريد إلى خالد ، فظن أنه عزاه عن أخيه ،
فقض الخاتم ، فلم يرَ في الطومار غيرَ الهجاء ، فقال : ما رأيت كاليوم تعزيةً !

(تاريخ الطبري ۸ : ۲۸۹)

(۱) هو مؤتَشَبٌ بالفتح : أى غير صريح في نسه ، وقفد : جم أفقد ، والعبد الأقد : الكزالدين
والرجلين القصير الأصابع (والكز : وصف من الكزازة بالفتح وهى اليبس والانقباض) والأقد : المسترخى
العنق أو الغليظة ، ومن يمشى على صدور قدميه من قبل الأصابع ، ولا تبلغ عقباه الأرض ، ومن يرى مقدم
رجليه من مؤخرهما من خلف ، وفعله كفرح .

(۲) الطومار : الصحيفة .

۴۸۵ - کتاب هشام إلى الوليد

وكان هشام يعيب الوليد وينتقصه وكثر عبثه به وبأصحابه وتقصيره به ، فلما رأى ذلك الوليد خرج ، وخرج معه ناس من خاصته ومواليه ، فنزل بالأزرق^(۱) ، وخلف كاتبه عياض بن مسلم بالرشافة^(۲) ، فقال له : اكتب إلى ما يحدث قبلكم ، وأخرج معه عبد الصمد بن عبد الأعلى ، فشربوا يوماً ، فلما أخذ فيهم الشراب ، قال الوليد لعبد الصمد : يا أبا وهب قل أبيتنا ، فقال أبيتنا منها :

لَمَلَّ الْوَلِيدَ دَنَا مُلْكُهُ فَأَمْسَى إِلَيْهِ قَدْ اسْتَجْمَعَا^(۳)
وَكُنَّا نُؤَمِّلُ فِي مُلْكِهِ كِتَابِمْبِلِ ذِي الْجُدْبِ أَنْ يُمْرِعَا^(۴)
عَقَدْنَا لَهُ مُحْكَمَاتِ الْأُمُورِ طَوْعًا فَكَانَ لَهَا مَوْضِعًا
وَرَوَى الشَّعْرَ فَبَلَغَ هِشَامًا ، فَتَمَطَّعَ عَنِ الْوَلِيدِ مَا كَانَ يُحْرِي عَلَيْهِ ، وَكُتِبَ

إلى الوليد :

« بلغني عنك أنك اتخذت عبد الصمد خدينا^(۵) ومحدثنا وندينا ، وقد حقق ذلك عندي ما بلغني عنك ، ولم أبرئك من سوء ، فأخرج عبد الصمد مذموماً مدحوراً^(۶) . »

فأخرجه الوليد ، وكتب إلى هشام يعلمه بإخراجه ، واعتذر إليه مما بلغه من منادته ، وسأله أن يأذن لابن سهيل في الخروج إليه - وكان ابن سهيل من أهل اليمن ، وقد ولي دمشق غير مرة ، وكان من خاصة الوليد - فضرب هشام ابن سهيل وسيره ،

(۱) الأزرق : ماء في طريق حاج الشام دون تيماء وتيماء بالفتح : بليد في أطراف الشام بين الشام ووادي القرى ، على طريق حاج الشام ودمشق .

(۲) انظر ص ۳۶۵ .

(۳) يقال : اجتمع وجامع وتجمع واستجمع .

(۴) أي أن يصيب مكاناً مريباً ، والمريم كغصيب وزنا ومعنى .

(۵) المحدث والحديث : الصاحب . (۶) الدهر : الطرد والإبعاد .

وأخذ عياض بن مسلم كاتب الوليد - وبلغه أنه يكتب بالأخبار إلى الوليد -
فضربه ضرباً مبرحاً وألبسه المسوح^(۱) (تاريخ الطبری ۸ : ۲۹۰)

۴۸۶ - كتاب الوليد إلى هشام

وبلغ ذلك الوليد^(۲) فكتب إلى هشام :

« لقد بلغني الذي أحدث أمير المؤمنين : من قطع ما قطع عني ، ونحو ما نحاً
من أصحابي وحرمي^(۳) وأهلي ، ولم أكن أخاف أن يبتلي الله أمير المؤمنين بذلك ،
ولا أبالي به منه ، فإن يكن ابن سهيل كان منه ما كان ، فيحسب العير^(۴) أن يكون
قدر الذئب ، ولم يبلغ صنيعي^(۵) في ابن سهيل واستصلاحه ، وكتابي إلى أمير المؤمنين فيه
كنه^(۶) ما بلغ أمير المؤمنين من قطيعتي ، فإن يكن ذلك لشيء في نفس أمير المؤمنين
علي ، فقد سبب الله لي من العهد ، وكتب لي من العمر ، وقسم لي من الرزق ، ما لا
يقدر أحد دون الله على قطع شيء منه دون مدته ، ولا صرف شيء عن مواقفه ،
فقدّر الله يجري بمقاديره ، فيما أحبّ الناس أو كرهوا ، ولا تأخير لعاجله ، ولا
تعجيل لآجله ، فالناس بين ذلك يفترون الآثام على نفوسهم من الله ، أو يستوجبون
الأجور عليه ، وأمير المؤمنين أحقّ أمته بالبصر بذلك ، والحفظ له ، والله الموفق
لأمير المؤمنين لحسن القضاء له في الأمور » . (تاريخ الطبری ۸ : ۲۹۰)

(۱) المسوح : جم مسح بالكسر ، وهو توب من الشعر غليظ .

(۲) وقد قال الوليد عند ذلك : « من يثق بالناس ، ومن يصطنع المعروف ؟ هذا الأحوال المشثوم
قدمه أبي على أهل بيته ، فصبره ولي عهده ، ثم يصنع بي ماترون ، لا يعلم أن لي في أحد هوى لإعيت به ،
كتب لي أن أخرج عبد الصمد فأخرجته ، وكتبت إليه أن يأذن لابن سهيل في الخروج إلى فضربه وسيره
وقد علم رأي فيه ، وقد علم انقطاع عياض بن مسلم إلى ، وتحرمه بي ، ومكانه مني ، وأنه كاتب ، فضربه
وحبسه . يضارني بذلك ، اللهم أجرني منه » .

(۳) الحرم جم حرمة : وهي ما لا يحل انتهاكها . (۴) العير : الحمار وغلب على الوحشي .

(۵) في الأصل « من صنيعي » ولا موضع لمن هنا . (۶) كنه الشيء : جوهره وغايته وقدره .

۴۸۷ - رد هشام على الوليد

فكتب هشام إلى الوليد :

« قد فهم أمير المؤمنين ما كتبت به ، من قطع ما قطع عنك وغير ذلك ، وأمير المؤمنين يستغفر الله من إجرائه ما كان يُجرى عليك ، وأمير المؤمنين أخوف على نفسه من اقرار المآثم عليها في الذي كان يُجرى عليك ، من الذي أحدث من قطع ما قطع ونحو ما محام من صحابتك ، لأمرين : أما أحدهما فإيثار أمير المؤمنين إياك بما كان يُجرى عليك ، وهو يعلم وضعك له وإتفاقك في غير سبيله ، وأما الآخر فإيثار صحابتك وإضرار أرزاقهم عليهم ، لا ينال المسلمون في كل عام من مكروه عند قطع البعث ، وهم معك تجول بهم في سفهك ، ولأمر المؤمنين أحرى في نفسه للتقصير في القتر^(۱) عليك ، منه للاعتداء عليك فيها ، مع أن الله قد بصر^(۲) أمير المؤمنين في قطع ما قطع عنك من ذلك ما يرجو به تكفير ما يتخوف مما سلف فيه منه .

وأما ابن مهيل ، فاعمرى لئن كان نزل منك بما نزل ، وكان أهلاً أن تُسرَّ فيه أو تُساء ، ما جعله الله كذلك ، وهل زاد ابن مهيل - لله أبوك - على أن كان مغنياً زفاناً^(۳) قد بلغ في السفه غايته ؟ وليس ابن مهيل مع ذلك بشراً ممن نستهجبه في الأمور التي يُكرم أمير المؤمنين نفسه عن ذكرها ، مما كنت كعمر الله أهلاً للتوبيخ به ، ولئن كان أمير المؤمنين على ظنك به في الخرص على فسادك ،

(۱) قتر عليه كنعر وضرب ، وقتر : ضيق في النفقة ، والمعنى : ولأمر المؤمنين أحرى بأن تنسب للتقصير بك والقتر عليك (لما تجول فيه من سفهك) من أن ينسب للاعتداء عليك ، وصير « فيها » يعود على « نفسه » .

(۲) أي عرفه وجعله يبصر ما يرجو به تكفير ما يتخوف... الخ، وفي الأصل « بصر » وأراء مصححا

(۳) الزفان : الرقاص ، من زفن كضرب : أي رقص .

إِنَّكَ إِذْنٌ بِغَيْرِ إِلَٰهٍ^(۱) ، عَنْ هَوَىٰ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ ذَلِكَ .

وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِمَّا سَبَّبَ اللَّهُ لَكَ ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ ابْتَدَأَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِذَلِكَ وَاصْطَفَاهُ ، وَاللَّهُ بِالْعُلْمِ أَمْرُهُ ، لَمَّا أَصْبَحَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَهُوَ عَلَى الْيَقِينِ مِنْ رَبِّهِ ، أَنَّهُ لَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ فِيمَا أَعْطَاهُ مِنْ كِرَامَتِهِ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ، وَأَنَّ اللَّهَ وَلِيُّ ذَلِكَ مِنْهُ ، وَأَنَّهُ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ مُزَايَلَتِهِ ، وَاللَّهُ أَرَأَفُ بِعِبَادِهِ وَأَرْحَمُ مَنْ أَنْ يُوَلِّيَ أَمْرَهُمْ غَيْرَ الرَّضِيِّ لَهُ مِنْهُمْ ، وَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ حَسَنِ ظَنِّهِ بِرَبِّهِ لَعَلَّى أَحْسَنَ الرَّجَاءِ أَنْ يُوَلِّيَهُ تَسْبِيبَ ذَلِكَ لِمَنْ هُوَ أَهْلُهُ فِي الرِّضَا لَهُ بِهِ وَلَهُمْ ، فَإِنَّ بِلَاءَ^(۲) اللَّهِ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ يَبْلُغَهُ ذِكْرُهُ أَوْ يُؤَدِّيَهُ شُكْرُهُ إِلَّا بِعَوْنٍ مِنْهُ ، وَلَوْ كَانَ قُدْرًا لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ تَعْجِيلُ وَفَاةٍ ، إِنْ فِي الَّذِي هُوَ مُفَضَّلٌ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ كِرَامَةِ اللَّهِ تَخَلُّفًا مِنَ الدُّنْيَا .

وَأَمْرِي إِنْ كَتَابَكَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا كَتَبْتَ بِهِ لَغَيْرِ مُسْتَنْكَرٍ مِنْ سَفْهِكَ وَحَقِّكَ ، فَارْبَعٌ عَلَى نَفْسِكَ مِنْ غُلُوبِهَا ، وَارْقًا عَلَى ظِلْمِكَ^(۳) ، فَإِنَّ اللَّهَ سَطَوَاتٍ وَعَيْنَا ، يُصِيبُ بِذَلِكَ مَنْ يَشَاءُ ، وَيَبْأَذُنُ فِيهِ لِمَنْ يَشَاءُ ، مِمَّنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ يَسْأَلُ اللَّهَ الْعِصْمَةَ وَالتَّوْفِيقَ لِأَحَبِّ الْأُمُورِ إِلَيْهِ وَأَرْضَاهَا لَهُ .

(تاريخ الطبري ۸ : ۲۹۱)

(۱) الإل : العهد . أقول : وربما كان الأصل « لغير آل » أي مقصر ، من ألا يألو إذا قصر ، والمعنى : لئن كنت تظن أن أمير المؤمنين حريم على الإساءة إليك ، إن ظنك هذا لا يخطئ ما بهواه أمير المؤمنين من ذلك ، يريد بهذا أن يصرحه بأنه يهوى إساءته ويستريح إليها .

(۲) أي نعمته .

(۳) ربع كنع : وقف وانتظر وتجبس ، ورفأ في الدرجة كنع وفرح ورق : سعد ، وظلم كنع : غمز في مشيه ، ويقال : اربم عليك أو على نفسك و على ظلمك ، أي إنك ضعيف فاته عما لا تطيقه ، وارق على ظلمك ، وارقاً على ظلمك مهموزاً : أي ارفق بنفسك ولا تحمل عليها أكثر مما تطيق - لأن الراق في سلم إذا كان ظالماً ترفق بنفسه - أو أصلح أمرك أولاً وكف واسكت على ما فيك من العيب وأبصر تقصك وعجزك .

۴۸۸ - رد الوليد على هشام

فكتب الوليد إلى هشام :

رَأَيْتُكَ تَتَّبِعِي جَاهِدًا فِي قَطِيعَتِي فلو كنتَ ذَا إِرْبٍ لَهَدَّمتَ مَا تَبِنِي (۱)
تُشِيرُ عَلَيَّ عَلَيَّ الْبَاقِينَ تَجْنِي ضَغِينَةً فَوَيْلٌ لَهُمْ إِنْ مِتُّ مِنْ شَرِّ مَا تَجْنِي (۲)
كَأَنِّي بِهِمْ وَاللَّيْتُ أَفْضَلُ قَوْلِهِمْ أَلَا لَيْتَنَا ، وَاللَّيْتُ إِذْ ذَاكَ لَا يُغْنِي (۳)
كَفَرْتَ يَدًا مِنْ مُنْعِمٍ لَوْ شَكَرْتَهَا جَزَاكَ بِهَا الرَّحْمَنُ ذُو الْفَضْلِ وَالْمَنِّ

فلم يزل الوليد مقيماً في تلك البرية حتى مات هشام .

(تاريخ الطبري ۸ : ۲۹۲ ، والنخري ص ۱۱۹)

(۱) الإرب : العقل .

(۲) وفي رواية النخري :

أراك على الباقيين تجني ضغينة فيا ويحهم إن مت من شر ما تجني

(۳) لبت حرف تمن ، وقد استعملها هنا استعمال المصدر بمعنى التمني فأدخل عليها أل ، وفي

رواية النخري :

كأني بهم يوماً ، وأكثر قولهم : «ألا لبت أنا» حين «البت» لا يعني

خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك

(سنة ١٢٥ - ١٢٦ هـ)

٤٨٩ - كتاب مروان بن محمد إلى الوليد

وَوَلِيَ الْوَلِيدُ الْخِلاَفَةَ ، وَجَاءَتْهُ بَيْعَتُهُ مِنَ الْآفَاقِ ، وَكُتِبَ إِلَيْهِ الْعَمَلُ وَجَاءَتْهُ الْوَفُودُ .

وَكَتَبَ إِلَيْهِ مَرْوَانَ بْنَ مُحَمَّدٍ ^(١) - وَكَانَ عَلَى أَرْمِينِيَّةٍ وَأَذْرَبِيجَانَ - :

« بَارَكَ اللَّهُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِيمَا أَصَارَهُ إِلَيْهِ ، مِنْ وِلَايَةِ عِبَادِهِ ، وَوِرَاثَةِ بِلَادِهِ ، وَكَانَ مِنْ تَنْغَشِي ^(٢) غَمْرَةٍ سَكْرَةٍ الْوِلَايَةِ مَا حَمَلَ هَشَامًا عَلَى مَا حَاوَلَ مِنْ تَصْفِيرِ مَا عَظَّمَ اللَّهُ مِنْ حَقِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَرَامَ مِنَ الْأَمْرِ الْمُسْتَصْعَبِ عَلَيْهِ ^(٣) ، الَّذِي أَجَابَهُ إِلَيْهِ الْمَدْخُولُونَ ^(٤) فِي آرَائِهِمْ وَأَدْيَانِهِمْ ، فَوَجَدُوا مَا طَمِعَ فِيهِ مُسْتَصْعَبًا ، وَزَاهِمَةً

(١) هو مروان بن محمد بن مروان بن الحكم ويلقب الجعدي ، لأن الجعد بن درهم مولى بني الحكم كان يملئه فذهب إليه ، ويروى أن أم مروان كانت أمة وكان الجعد أخاها ، ويلقب أيضاً بالحمار قالوا لصبره في الحرب ، وقد ولاه هشام بن عبد الملك أرمينية وأذربيجان ، ثم ولي الخلافة سنة ١٢٧ وهو آخر خلفاء بني أمية .

(٢) غشيه الأمر غشيانا (بكسر غين المصدر) وتغشاه تغشيا ، والفمرة : الزجة ، وغمرة كل شيء : منهمك (أي الانهماك فيه) ويقال : هو في غمرة من هو وشبية وسكر ، وهو يضرب في غمرة اللهو ، والمعنى أنه قد غمره اللهو وغطاه ، وأصل الفمرة : الماء الكبير .

(٣) قدمنا أن هشاما طمع في خلع الوليد من الخلافة ، وعمل سرا في البيعة لابنه مسلمة ، وقد أجابه قوم ، فكان ممن أجابه خاله محمد وإبراهيم ابنا هشام بن إسماعيل الخزومي وبنو القعقاع بن خلد العبسي وغيرهم من خاصته .

(٤) المدخول : من في عقله دخل بالتحريك : أي فساد .

الأقذارُ بأشدُّ مَنَّا كِبَها^(۱) ، وكان أمير المؤمنين بمكانٍ من الله حاطه^(۲) فيه ، حتى أزره بأكرمِ مَنَاطِقِ الخِلافةِ ، فقام بما رآه الله له أهلاً ، ونَهَضَ مستَقِلاً^(۳) بما حمل منها ، مُشَبَّعَةً وِلايَتُهُ في سابقِ الزُّبُرِ^(۴) بالأجلِ المسمَى ، خصَّه الله بها على خلقه ، وهو يرى حالاتهم ، فقلده بطوقها ، ورعى إليه بأزيمة الخِلافةِ وعِصم^(۵) الأمور .

فالحمد لله الذي احتار أمير المؤمنين لخِلافته ، ووثنائقِ عرَى دينه ، وذَبَّ له عما كاده فيه الظالمون ، فرَفَعَهُ ووَضَعَهُمْ ، فمن أقام على تلك الخِسيصة من الأمور ، أُوْبِقَ^(۶) نفسه ، وأسَخَطَ رَبَّهُ ، ومن عدَّلتَه التوبةُ نازِعاً^(۷) عن الباطل إلى الحق وجدَّ الله نَوَاباً رَحِماً .

أخبر أمير المؤمنين - أكرمهم الله - أنني عند ما أنتهى إلى من قيامه بولاية خلافة الله ، نهضتُ إلى منبري على سيفان ، مستعد بهما لأهل الفِشِّ ، حتى أعلمتُ مَنْ قَبَلِي ما امتنَّ الله به عليهم من ولاية أمير المؤمنين فاستبشروا لذلك ، وقالوا : لم تأتينا ولاية حليفةٍ كانت آمالنا فيها أعظم ، ولا هي لنا أسرُّ ، من ولاية أمير المؤمنين ، وقد بسطتُ يدي لبيعتك فجددتها ووَكَّدْتُهَا بوثنائقِ العهود ، وتردادِ المواثيق ، وبغليظِ الأيمان ، فكلَّهم حسَدتُ إجابتهم وطاعتهم ، فأثبنتهم يا أمير المؤمنين بطاعتهم من مال الله الذي آتاك ، فإنك أجودهم جوداً ، وأبسَطهم يداً ، وقد انتظروك راجين فضلك قبَلهم ، بالرُّحْمِ^(۸) الذي استرحموك ، وزيدهم زيادةً تفضلُ بها مَنْ قبلك ، حتى يظهر بذلك فضلك عليهم على رعييتك .

(۱) معناه أنها لم تنله مأربه ، والناكب : جمع نكب كجلس .

(۲) حاطه . حفظه وصانه ، أزره : ألبسه الإزار ، والمناطق : جمع منطقة ككنسة ، وهي ما يشده

الوسط ، والمنى : قواه بالخِلافة .

(۳) استقل الشيء : حمله ورفع كقله وأقاله .

(۴) الزبر : جمع زبور كصبور وهو الكتاب . (۵) انظر هامش ص ۳۵۳

(۶) أى أهلك . (۷) نزع عنه كضرب : كف عنه وانتهى .

(۸) الرحم كقفل وعنق ، والرحمة والمرحمة : الرقة والنعطف .

ولولا ما أحاول من سدِّ الثغْرِ^(۱) الذي أنا به ، لخفتُ أن يحملني الشوق إلى أمير المؤمنين أن أَسْتَخْلِفَ رجلا ، على غير أمره ، وأقدمَ لعابنة أمير المؤمنين ، فإنها لا بَعْدَها^(۲) عندي عادلُ نعمةٍ وإن عظمتُ ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي في المسير إليه ، لأشاققه بأمورٍ كرهتُ الكتابَ بها فَعَلَ .

(تاريخ الطبري ۸ : ۲۹۳)

۴۹۰ - كتاب الوليد إلى الأمصار بالبيعة لابنيه

وفي سنة ۱۲۵ هـ عقَد الوليد بن يزيد لابنيه : الحُكْمَ وعثمان البيعةَ من بعده ، وجعلهما وليَّيْ عهده ، وجعل الحُكْمَ مقدما على عثمان ، وكتب بذلك إلى الأمصار ، وكانت نسخة الكتاب :

« ما بعدُ ، فإن الله تباركتُ أسماءُه ، وجَلَّ ثناؤه ، وتعالى ذِكْرُه ، اختار الإسلامَ دينًا لنفسه ، وجعلهُ خيرَ خَيْرَتِهِ مِنْ خَلْقِهِ ، ثم اصطفى من الملائكة رُسُلًا ، ومن الناس ، فبعثهم به وأمرهم به ، وكان بينهم وبين مَنْ مَضَى مِنَ الْأُمَمِ ، وَخَلَا^(۳) من القرون قرآنًا فقرئنا ، يدعون إلى التي هي أحسنُ ، ويَهْدُون إلى صراطٍ مستقيمٍ ، حتى انتهت كرامةُ الله في نبوتِهِ إلى محمد صلوات الله عليه ، على حين دُرُوسٍ^(۴) من العلم ، وعمى من الناس ، وتشيت من الهوى ، وتفرَّق من السُّبُلِ ، وطُمُوس من أعلام الحق ، فأبان الله به الهدى ، وكشف به العمى ، واستنقذ به من الضلالة والردى ، وأنهج^(۵) به الدين ، وجعله رحمةً للعالمين ، وختم به وحيه ، وجمع له ما أكرم به الأنبياء قبله ، وفقى به على آثارهم ، مصدقًا لما نزل معهم ، ومُهَيِّمًا^(۶) عليه ، وداعيا

(۱) الثغر : موضع الخافة من فروج البلدان .

(۲) أي لا يوازنها .

(۳) خلا : مضى . (۴) درس الأثر : اعمى .

(۵) أي أوضح ، وورد هذا الفعل لازما متعديا بمعنى وضع وأوضح ، وكذا نهج كنع ، وروى الأصل

« وأبهج » بالباء وهو تصحيف . (۶) هيمن عليه : صار رقيبا عليه وحافظا .

إليه ، وأمرًا به ، حتى كان من أجابه من أمته ، ودخل في الدين الذي أكرمهم الله به ،
مصدقين لما سآف من أنبياء الله ، فيما يكذبهم فيه قومهم ، منتصحين لهم فيما ينهونه^(۱)
ذائبين لحرمهم عما كانوا مفتريكين ، معظمين منها لما كانوا مُصفرين ، فليس من أمة
محمد صلى الله عليه وسلم أحدٌ كان يُسمع لأحد من أنبياء الله فيما بعثه الله به مكذبًا ،
ولا عليه في ذلك طاعنا ، ولا له مؤذيا ، بتسفيه له أو رده عليه ، إذ جحد^(۲) لما
أنزل الله عليه معه ، فلم يبق كافر إلا استحلَّ بذلك دمه ، وقطع الأسباب التي كانت
بينه وبينه ، وإن كانوا آباءهم أو أبناءهم أو عشيرتهم ، ثم استخلف خلفاءه على منهاج
نبوته ، حين قبض نبيه صلى الله عليه وسلم ، وختم به وحيه ، لإنفاذ حكمه ، وإقامة
سنته وحدوده ، والأخذ بفرائضه وحقوقه ، تأييداً بهم للإسلام ، وتشجيعاً بهم لأمره ،
وتقويةً بهم لقوى حبله ، ودفعاً بهم عن حريمه ، وعدلاً بهم بين عباده ، وإصلاحاً بهم
لبلاده ، فإنه تبارك وتعالى يقول : « وَلَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ
الْأَرْضُ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ » . فتتابع خلفاء الله على ما أورثهم الله
عليه من أمر أنبيائه ، واستخلفهم عليه منه ، لا يعرض لحقهم أحد إلا صرعه الله ، ولا
يفارق جماعتهم أحدٌ إلا أهلكه الله ، ولا يستخفُّ بولايتهم ويتهم قضاء الله فيهم أحد
إلا أمكنهم الله منه ، وسلطهم عليه ، وجعله نكالا وموعظة لغيره ، وكذلك صنع
الله بمن فارق الطاعة ، التي أمر بلزومها ، والأخذ بها ، والأثرة لها^(۳) ، والتي قامت
بها السموات والأرض ، قال الله تبارك وتعالى : « ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ
فَقَالَ لَهَا وَاللَّأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَنْيِنَا طَائِعِينَ » . وقال عز ذكره :
« وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ، قَالُوا : أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ

(۱) أنهى الشيء : أبلغه . (۲) المعنى : إذ أنه لو فعل ذلك لجحد ما أنزل الله عليه .

(۳) أى الإيثار والتفضيل لها .

يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ، قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ
مَا لَا تَعْلَمُونَ .

فبانخلافة أبقى الله من أبقى في الأرض من عباده ، وإليها صيره ، وبطاعة من ولأه
إياها سعد من ألهما ونصرها ، فإن الله عز وجل علم أن لا يقوام لشيء ولا صلاح له
إلا بالطاعة التي يحفظ الله بها حقه ، ويمضي بها أمره ، ويُسكِل^(۱) بها عن معاصيه ،
ويوقف عن محارمه ، ويذبُّ عن حرُماته ، فمن أخذ بحظَّه منها كان لله ولياً ، ولأمره
مطيعاً ، ولرُشدِه مصيباً ، ولعاجل الخير وآجله مخصوصاً ، ومن تركها ورغِبَ عنها ،
وحاد^(۲) الله فيها أضاع نصيبه ، وعصى ربه ، وخسرَ دنياه وآخرته ، وكان ممن غلبت
عليه الشُّقوة ، واستحوذت عليه الأمورُ الغاويةُ التي تُوردُ أهلها أفظعَ المَشارِعِ^(۳) ،
وتقودهم إلى شرِّ المصارع ، فيما يحلُّ الله بهم في الدنيا من الذلة والنقمة ، ويصيرهم فيما
عندهم^(۴) من العذاب والحسرة .

والطاعة رأسُ هذا الأمر ، وذُرُوتُه وسَنَامُه ، وذِمَامُه ومِلاكه ، وعِصْمَتُه
وقوامه ، بعد كلمة الإخلاس^(۵) التي ميز الله بها بين العباد ، وبالطاعة نال المفلحون من الله
منازلهم ، واستوجبوا عليه ثوابهم ، وفي المعصية ما يحلُّ بغيرهم من نِقَماته ، ويصيدهم
ويحقُّ عليهم من سُخْطه وعذابه^(۶) ، وَيَنْزِلُ بِالطَّاعَةِ وَالْإِضَاعَةِ لَهَا وَالخُرُوجِ مِنْهَا
وَالْإِدْبَارِ عَنْهَا وَالتَّبَدُّلِ بِهَا ، أَهْلَكَ اللهُ مَنْ ضَلَّ وَعَتَا^(۷) ، وَعَمِيَ وَغَلَا ، وفارَقَ
مناهجَ البرِّ والتقوى ، فَأَلْزَمُوا طَاعَةَ اللهِ فِيمَا عَرَاكُمْ وَنَالَكُمْ وَأَلَمَّ بِكُمْ مِنَ الْأُمُورِ ،
وَنَاصِحُوهَا ، وَاسْتَوْتِقُوا عَلَيْهَا ، وَسَارِعُوا إِلَيْهَا ، وَخَالِصُوهَا ، وَابْتَغُوا الْقُرْبَةَ إِلَى اللهِ

(۱) أنكله عن حاجته : دفعه عنها . (۲) أى غاضبه وخالاه .

(۳) المِشارِع : جمع مِشرعة بالفتح ، وهي مورد الشاربة .

(۴) هكذا في الأصل ، والأظهر أن صوابه « فيما أعد لهم من العذاب والحسرة » أى في الآخرة .

(۵) كلمة الإخلاس كلمة التوحيد .

(۶) في الأصل : وفي المعصية مما يحل بغيرهم من نِقَماته ، ونصيبهم عليه ، ويحق من سُخْطه وعذابه الخ

« وأرى أن هذه العبارة مضاربة وقد أصلحتها كما ترى . (۷) هنا : استكبر وجاوز الحد .

بها ، فإنكم قد رأيتم مواقع قضاء الله لأهلها في إعلانه إياهم ، وإفلاجه ^(۱) حجبتهم ،
 ودفعه باطل من حادهم وناوأم ^(۲) وسامام ، وأراد إطفاء نور الله الذي معهم ، وخبرتم
 مع ذلك ما يصير إليه أهل المعصية من التوبيخ لهم ، والتقصير بهم ، حتى يتحول أمرهم
 إلى تبار ^(۳) وصغار ، وذلة وبوار ، وفي ذلك - لمن كان رأياً وموعظة - عبرة ينتفع
 بواضحها ، ويتمسك بمحظونتها ^(۴) ، ويعرف خيرة قضاء الله لأهلها .
 ثم إن الله - وله الحمد والمن والفضل - هدى الأمة لأفضل الأمور عاقبة لها ،
 في حقن دماؤها ، والتبثام ألفتها ، واجتماع كلمتها ، واعتدال عمودها ، وإصلاح دعاماتها ^(۵)
 وذخر النعمة عليها في دنياها ، بعد خلافة التي جعلها لهم نظاما ، ولأمرهم قواما ، وهو
 العهد الذي ألهم الله خلفاءه توكيده ، والنظر للمسلمين في جسيم أمرهم فيه ، ليكون
 لهم - عند ما يحدث بخلفائهم - ثقة في المفرع ، ومثلجاً في الأمر ، ولما لاشقت ^(۶) ،
 وصلاحا لذات البين ، وتثبيتاً لأرجاء الإسلام ، وقطعاً لنزغات الشيطان ، فيما يتطلع إليه
 أولياؤه ، ويؤتّبهم عليه من تلف هذا الدين ، وانصداع شعب ^(۷) أهله ، واختلافهم
 فيما جمعهم الله عليه منه ، فلا يريهم الله في ذلك إلا ماساهم ، وأكذب أمانيتهم ،
 ويجدون الله قد أحكم - بما قضى لأوليائه من ذلك - عقداً أمورهم ، وتقى عنهم من
 أراد فيها إدغالا ^(۸) ، أو بها إغلالا ، أو لما شدد الله منها توهيناً ^(۹) ، أو فيما تولى الله
 منها اعتمادا ، فأكمل الله بها خلفائه وحزبه البر ، الذين أودعهم طاعته ، أحسن الذي
 عودهم ، وسبب لهم من إعزازه وإكرامه ، وإعلانه وتمكينه ، فأمر هذا العهد

- (۱) أفلج الله حجته : نصرها وأظهرها .
 (۲) ناوأم : عاداه ، وسامام : باراه في السم .
 (۳) التبار والبوار : الهلاك . والصغار : الذل .
 (۴) الدهماء : جماعة الناس ، وذخره : أعده لوقت الحاجة إليه .
 (۵) الشعب : الانتشار والفرق .
 (۶) انصداع : انشقاق ، والشعب : الجمع .
 (۷) الدغل بالتحريك : دخل في الأمر ، فسد ، وأدغل في الأمر : أدخل ما يفسده ، والإغلال : الحيانة ،
 (۸) التوهين الإضعاف .

من تمام الإسلام، وكال ما استوجب الله على أهله من المِنَّ العظام، وما جعل الله فيه -
لِنَ أَجْرَاهُ عَلَى يَدَيْهِ ، وَقَضَى بِهِ عَلَى لِسَانِهِ ، وَوَقَّعَهُ لِنَ وِلَاةِ هَذَا الْأَمْرِ - عِنْدَهُ أَفْضَلَ
الذُّخْرُ ، وَعِنْدَ الْمُسْلِمِينَ أَحْسَنَ الْأَثَرِ ، فِيمَا يُؤَثِّرُ بِهِمْ مِنْ مَنَفَعَتِهِ ، وَيَتَسَعُّ لَهُمْ مِنْ أَمْنِهِ ،
وَيَسْتَنْدُونَ إِلَيْهِ مِنْ عِزِّهِ ، وَيَدْخُلُونَ فِيهِ مِنْ وَزَرِهِ (۱) ، الَّذِي يَجْعَلُ اللَّهُ لَهُمْ بِهِ مَنَعَةً ،
وَيُحْرِزُهُمْ بِهِ مِنْ كُلِّ مَهْلِكَةٍ ، وَيَجْمَعُهُمْ بِهِ مِنْ كُلِّ فُرْقَةٍ ، وَيَقْتَمِعُ بِهِ أَهْلَ النِّفَاقِ ،
وَيَعْصِمُهُمْ بِهِ مِنْ كُلِّ اخْتِلَافٍ وَشِقَاقٍ .

فَاْحْمَدُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ الرَّءُوفَ بِكُمْ ، الصَّائِعَ لَكُمْ فِي أُمُورِكُمْ ، عَلَى الَّذِي دَلَّكُمْ
عَلَيْهِ مِنْ هَذَا الْعَهْدِ ، الَّذِي جَعَلَهُ لَكُمْ سَكَنًا (۲) وَمُعَوَّلًا ، تَطْمَئِنُّونَ إِلَيْهِ وَتَسْتَظِلُّونَ
فِي أَفْنَانِهِ (۳) وَيَسْتَنْجِحُكُمْ (۴) لَكُمْ بِهِ مَشْنَى أَعْنَاقِكُمْ ، وَتَمَّتْ وَجُوهُكُمْ ، وَمُلْتَقَى نَوَاصِيكُمْ
فِي أَمْرِ دِينِكُمْ وَدُنْيَاكُمْ ، فَإِنَّ لَدَيْكَ خَطَرًا (۵) عَظِيمًا مِنَ النِّعْمَةِ ، وَإِنْ فِيهِ مِنَ اللَّهِ بَلَاءٌ
حَسَنًا فِي سَعَةِ الْعَافِيَةِ ، يَعْرِهُ ذُورُ الْأَبَابِ وَالنِّيَّاتِ ، الْمُرِيثُونَ (۶) مِنْ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَوَاقِبِ ،
وَالْعَارِفُونَ مَنَارَ مَنَاهِجِ الرُّشْدِ ، فَأَنْتُمْ حَقِيقُونَ بِشُكْرِ اللَّهِ فِيهَا حَفِظَ بِهِ دِينَكُمْ وَأَمْرَكُمْ
جَمَاعَتِكُمْ مِنْ ذَلِكَ ، جَدِيرُونَ بِمَعْرِفَةِ كُنْهِهِ وَاجِبُ حَقِّهِ فِيهِ وَخَدِّهِ عَلَى الَّذِي عَزَمَ لَكُمْ
مِنْهُ ، فَلْتَكُنْ مَنزِلَةُ ذَلِكَ مِنْكُمْ ، وَفَضِيلَتُهُ فِي أَنْفُسِكُمْ ، عَلَى قَدْرِ حُسْنِ بَلَاءِ اللَّهِ عِنْدَكُمْ
فِيهِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ .

ثم إن أمير المؤمنين لم يكن مخذلاً استخلفه الله، بشيء من الأمور أشدَّ اهتماماً وعنايةً،
منه بهذا العهد، لعلمه بمنزلته من أمر المسلمين، وما أراهم الله فيه من الأمور التي

(۱) الوزر : الملجأ .

(۲) السكن : ما يسكن إليه .

(۳) الأفنان : جمع فن بالتجريك ، وهو الفصن .

(۴) استنهج الطريق : صار نهجاً أي طريقاً واضحاً ، ومعنى مشنى أعناقكم أي الجهة التي تثنون إليها
أعناقكم ، إن ذهبتم بمنة أو بسرة ، والسمت : الطريق . والنواصي : جمع ناصية ، وهي شعر مقدم الرأس ،
والمعنى : اجتماعكم للنظر في أموركم .

(۵) الخطر : القدر . والبلاء : النعمة .

(۶) رثا في الأمر تريثاً ، وروا فيه تروثة وتروثا : نظر فيه وتعبه ولم يجعل بجواب .

ينبطون بها ، ويُسكروهم فيما يَقْضِي لهم ، ويختار له ولهم فيه جُهدُه وبِستقْضِي له ولهم فيه إلهةٌ وولِيه الذي بيده أُلْحَكم ، وعندَه الغيبُ ، وهو على كل شيء قدير ، ويسأله أن يُعِينه من ذلك على الذي هو أرشدُ له خاصَّةً ، وللمسلمين عامَّةً ، فرأى أمير المؤمنين أن يعمدَ لكم عهداً بعد عهد ، تكونون فيه على مثل الذي كان عليه مَنْ كان قبلكم ، في مُهْلَةٍ من انفساح الأمل ، وطُمَأْنِينَةِ النفس ، وصَلَاحِ ذاتِ البين ، وعِلْمِ موضعِ الأمرِ الذي جِئ به اللهُ لأهله عِصْمَةً ونِجَاةً ، وصَلَاحًا وحِياةً ، ولكل منافق وفاسق يحبُّ تَلَفَ هذا الدين وفسادَ أهله ، وَقَمًا^(۱) وخَسَارًا وَقَدَمًا ، فَوَلَّى أمير المؤمنين ذلك الحَكَمَ ابنَ أمير المؤمنين وعثمان ابنَ أمير المؤمنين من بعده ، وهما ممن يرجو أمير المؤمنين أن يكون اللهُ خَلَقَهُ لذلك ، وصاغه له ، وأكَمَلَ فيه أحسنَ مناقِبٍ مَنْ كان يولِيه إياه ، في وَفَاءِ الرَّأْيِ ، وَصِحَّةِ الدِّينِ ، وَجَزَالَةِ المُرُوءَةِ ، والمعرفة بصالح الأمور ، ولم يَأُلْكُم^(۲) أمير المؤمنين ولا نفسه في ذلك اجتهاداً وخيراً .

فبَايَعُوا للحَكَمِ ابنَ أمير المؤمنين باسمِ اللهِ وبرَكْتِهِ ، ولأخيه من بعده على السمع والطاعة ، واحتسبوا في ذلك أحسنَ ما كان اللهُ يريكم ويُنْبِليكم^(۳) ويعوِّدكم ويعرفكم في أشباهه فيما مضى من اليسر الواسع ، والخير العام ، والفضل العظيم ، الذي أصبحتم في رجائه وخَفَضَهُ ، وأمينه ونعمته وسلامته وعِصْمَتِهِ ، فهو الأمر الذي استبطلتموه واستسرعتم^(۴) إليه ، وَحَدِّثْتُمْ اللهُ على إِمضائه وإياه وقضائه لكم ، وأحدثتم فيه شكراً ، ورأيتموه لكم حَظًا تستبقونه ، وتُجْهدون أنفسكم في أداءِ حقِّ اللهِ عليكم ، فإنه قد سبق لكم في ذلك من نِعَمِ اللهِ وكرامته وحُسنِ قَسْمِهِ ما أتم حقيقون أن تكونَ رغبتكم فيه وَحَدِّبُكُمْ^(۵) عليه ، على قدر الذي أبلاكم اللهُ وصنَعَ لكم منه .

(۱) وقه كوعده وقا : قهره وأذله ، وقدمه كمنه : كفه .

(۲) ألا كهدا : قصر ، يقال : فلان لا يألوك نصحا ، أي لا يقصر في نصحك .

(۳) الإبلاء : الإتمام والإحسان .

(۴) أي وأسرعتم لايه ، ولم تورد كتب اللغة هذه الصيغة .

(۵) أي وعطفكم .

وأمر المؤمنين مع ذلك ، إن حدث بواحد من واتيَّ عهده حدث ، أولى بأن يجعل مكانه ، وبالمنزل الذي كان به ، من أحب أن يجعل من أمته أو ولده ، ويقدمه بين يدي الباقي منهما إن شاء ، أو أن يؤخره بعده ، فاعلموا ذلك وافهموه ، نسأل الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم أن يبارك لأمر المؤمنين ولكم ، في الذي قضى به على لسانه من ذلك وقدر منه ، وأن يجعل عاقبته عافية وسرورًا وغبطة ، فإن ذلك بيده ولا يملكه إلا هو ، ولا يرغب فيه إلا إليه ، والسلام عليكم ورحمة الله .

وكتب شمال يوم الثلاثاء لثمان بقين من رجب سنة خمس وعشرين ومائة .

(تاريخ الطبري ۸ : ۲۹۴)

٤٩١ - كتاب يوسف بن عمر إلى نصر بن سيار

وكان ممن كتب إليه بذلك يوسف بن عمر ، وهو عامل الوليد يومئذ على العراق ، وكتب بذلك يوسف إلى نصر بن سيار عامل خراسان ، وكانت نسخة الكتاب إليه :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من يوسف بن عمر إلى نصر بن سيار :
أما بعد ، فإني بدت إليك نسخة كتاب أمير المؤمنين ، الذي كتب إلي من قبلي ، الذي ولي الحكم ابن أمير المؤمنين ، وعثمان ابن أمير المؤمنين من العهد بعده ، مع عقاب ابن شبة التميمي وعبد الملك اللقيني ، وأمرتهما بالكلام في ذلك ، فإذا قدما عليك فاجمع لقراءة كتاب أمير المؤمنين الناس ، ومُرهم فليحشدوا^(١) له ، وقم فيهم بالذي كتب أمير المؤمنين ، فإذا فرغت فقم بقراءة الكتاب ، وأذن لمن أراد أن يقوم بخطبة ، ثم بايع الناس لها على اسم الله وبركته ، وخذ عليهم بالمواثيق ، على الذي نسخت لك في آخر كتابي هذا ، الذي نسخ لنا أمير المؤمنين في كتابه . فافهمه وبايع عليه ، نسأل

(١) حشد القوم : اجتمعوا لأمر واحد كأحشدوا واحشدوا وتحشدوا .

اللَّهِ أَنْ يَبَارِكَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَرَعِيَّتِهِ فِي الَّذِي قَضَىٰ لَهُمْ عَلَىٰ لِسَانِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ،
وَأَنْ يُضَلِّحَ الْحُكْمَ وَعَثْمَانَ ، وَيَبَارِكَ لَنَا فِيهِمَا ، وَالسَّلَامَ عَلَيْكَ ۝ .

وكتب الغضنفر يوم الخميس للنصف من شعبان سنة خمس وعشرين ومائة .

وبلى ذلك صيغة البيعة وهي :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : تَبَايَعُ لِعَبْدِ اللَّهِ الْوَلِيدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَالْحُكْمِ ابْنِ
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ كَانَ مِنْ بَعْدِهِ ، وَعَثْمَانَ ابْنَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ كَانَ بَعْدَ الْحُكْمِ ،
عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ ، وَإِنْ حَدَّثَ بَوَاحِدٍ مِنْهُمَا حَدَّثْتُ ، فَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أُمَّلَاكَ فِي وَلَدِهِ
وَرَعِيَّتِهِ ، بِقَدَمٍ مِنْ أَحَبِّ ، وَيُؤَخَّرُ مِنْ أَحَبِّ ، عَلَيْكَ بِذَلِكَ عَهْدُ اللَّهِ وَمِيثَاقُهُ ۝ .

(تاريخ الطبري ۸ : ۲۹۴)

٤٩٢ - كتاب الوليد إلى يوسف بن عمر

وفي سنة ١٢٥ هـ خرج يحيى بن زيد بن عليّ بالجوزجان^(١) يطلب الخلافة فقتل ،
وبلغ خبره الوليد بن يزيد ، فكتب إلى يوسف بن عمر :

« إِذَا أَتَاكَ كِتَابِي هَذَا ، فَانظُرْ عِجْلَ الْعِرَاقِ فَأَحْرِقْهُ ، ثُمَّ انسِفْهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ۝ .

فأمر يوسف خراش بن حوشب^(٢) فأنزله من جذعه وأحرقه بالنار ، ثم رضه فجعله

في قوصرة^(٣) ، ثم جعله في سفينة ، ثم ذرّاه في الفرات . (تاريخ الطبري ۸ : ۳۰۱)

(١) الجوزجان : اسم كورة واسعة من كور بلخ بخراسان .

(٢) هو خراش بن حوشب بن يزيد الشيباني ، كان على شرط يوسف بن عمر ، وهو الذي نيش

قبر زيد بن علي وصلبه ، وفيه يقول الشاعر :

يا خراش بن حوشب أنت أشقى الوري غدا

انظر تاريخ الطبري ۸ : ۲۷۸ -

(٣) القوصرة بتخفيف الراء وتشديدها : وعاء للتمر من قصب .

۴۹۳ - کتاب الوليد إلى يوسف بن عمر

وكتب الوليد إلى يوسف بن عمر :

« إنك قد كنت كتبت إلى أمير المؤمنين تذكركم تخريب ابن النصرانية^(۱) البلاد ، وقد كنت - على ما ذكرت من ذلك - تحمل إلى هشام ما تحمل ، وقد ينبغي أن تكون قد عمرت البلاد ، حتى رددتها إلى ما كانت عليه ، فاشخص إلى أمير المؤمنين ، فصدق ظنه بك فيما تحمل إليه لعمار تك البلاد ، وليعرف أمير المؤمنين فضلك على غيرك ، لما جعل الله بينك وبين أمير المؤمنين من القرابة ، فإنك خاله^(۲) وأحق الناس بالتوفير عليه ، ولما قد علمت مما أمر به أمير المؤمنين لأهل الشام وغيرهم من الزيادة في أعطياتهم^(۳) ، وما وصل به أهل بيته ، لطول جفوة هشام إليهم ، حتى أضرب ذلك ببيوت الأموال . »

نخرج يوسف واستخلف ابن عمه يوسف بن محمد ، وحمل من الأموال والأمتعة والآنية ما لم يحمل من العراق مثله^(۴) .

(تاريخ الطبري ۹ : ۴ ، ووفيات الأعيان ۲ : ۳۶۴)

(۱) يعني خالد بن عبد الله القسري .

(۲) وذلك أن أم الوليد هي أم الحجاج بنت محمد بن يوسف ، فهي بنت أخي الحجاج بن يوسف الثقفي ،

وقد تقدم لك أن يوسف بن عمر ابن ابن عم الحجاج .

(۳) وذلك أن الوليد لما ولي الخلافة زاد الناس جميعاً في العطاء عشرة عشرة ثم زاد أهل الشام بعد زيادة العشرات عشرة عشرة لأهل الشام خاصة ، وزاد من وفد إليه من أهل بيته في جوائزهم الضعف انظر تاريخ الطبري ۸ : ۲۹۳ - .

(۴) وكان الوليد أراد خالد بن عبد الله على البيعة لابنيه فأبى ، فقال له قوم من أهله : أراك أمير المؤمنين على البيعة لابنيه فأبيت ! فقال : وبحكم كيف أبايع من لا أصل خلفه ولا أقبل شهادته ؟ قالوا فالوليد تقبل شهادته مع محونه وفسقه ، قال : أمر الوليد أمر غائب عني ولا أعلمه يقيناً ، إنما هي أخبار الناس ، فغضب الوليد على خالد ، وأراد الوليد الحج فغاف خالد أن يفتكوا به في الطريق ، فأتاه فقال : يا أمير المؤمنين ، أخر الحج العام . فقال : ولم ؟ فلم يخبره فأمر بحبسه وأن يستأدى ما عليه من أموال العراق ، فلما قدم يوسف بن عمر على الوليد قرر يوسف مع أبان بن عبد الرحمن التميرى أن يشتري خالداً بأربعين ألف ألف درهم ، فقال الوليد ليوسف : ارجع إلى عمك ، فقال أبان له : ادفع لي خالداً وأدفع إليك أربعين =

۴۹۴ - کتاب الوليد إلى يوسف بن عمر

وروی صاحب الأغانی قال :

کتب الوليد بن يزيد إلى يوسف بن عمر :

« أما بعد ، فإذا قرأت کتابی هذا ، فسرح إلى حماداً الراوية على ما أحب من دواب البريد ، وأعطه عشرة آلاف درهم يتهياً بها . »
فعمل يوسف ما أمر به ، وخرج حماد إلى الوليد ، فاستأذن عليه فأذن له ثم قال :
أنشدني :

أَمِنَ الْمَنُونُ وَرَبِّهَا تَتَوَجَّعُ ؟ وَالدهر ليس بمعتبٍ من يجزع^(۱)
فأنشده إياها حتى أتى على آخرها . (الأغاني ۲ : ۶۳)

۴۹۵ - کتاب نصر بن سيار إلى الوليد

وروی أيضا قال :

آما ظهرت المسودة^(۲) بخراسان ، كتب نصر بن سيار إلى الوليد يستمده ،
فتشاغل عنه ، فكتب إليه كتابا ، وكتب في أسفله يقول :

ألف ألف درهم ، قال الوليد : ومن يضعن عنك ؟ قال : يوسف ، قال : أتضمن عنه ؟ قال يوسف :
بل ادفعه إلى فانا أستاذيه خمسين ألف ألف درهم ، فدفعه إليه ، فحمله في حمل بغير وطاء ، وقدم به
العراق فقتله كما تقدم .

(۱) البيت مطامق قصيدة لأبي ذؤيب الهذلي يرثي بها أولاده ، وقد هلكوا بالضعف في عام واحد
وكانوا عشرة ، وهو شاعر مخضرم أدرك الإسلام وأسلم ومات سنة ۲۶ هـ ، والنون : النية ، مؤثت
وكانها اسم فاعل من المن وهو القطع ، لأنها تقطع الأعمار ، النون : الدهر ، والريب : صرف الدهر
وأعته : أرضاه .

(۲) المسودة : هم أصحاب الدولة العباسية وكانوا يلبسون الثياب السود ، وكان مما أنكره العباسيون
بيفداد على المأمون في خلافته أنه وهو في خراسان أمر الناس بخلع لباس الحضره ولبس الحضره ، هذا إلى أنه
عهد بالخلافة لعلي بن موسى الرضا ، فنقموا منه تغيير لباس آباءه وأجداده ونقله الخلافة
من البيت العباسي إلى البيت العلوي ، وخلصوه وبايعوا عمه إبراهيم بن المهدي ، فلما صار المأمون إلى بفداد
وهرب إبراهيم ، دخل البلد فتلغاه العباسيون وكلموه في ترك لباس الحضره والعود إلى السواد . وخاطبته =

أَرَى خَلَلَ الرَّمَادِ وَمِيزَ جَمْرِ وَأَحْرِبَ بَانَ بِكَوْنِ لَهُ ضِرَامٌ^(۱)
فَإِنَّ النَّارَ بِالْعُودَيْنِ تُذَكِّي وَإِنَّ الْحَرْبَ مَبْدُوهَا الْكَلَامُ^(۲)
فَقُلْتُ مِنَ التَّعْجُبِ : لَيْتَ شِعْرِي أَلْيَقَاطُ أَمِيَّةٌ أَمْ نِيَامٌ؟^(۳)

٤٩٦ - رد الوليد على نصر

فكتب إليه الوليد :

« قَدْ أَقْطَعْتُكَ خِرَاسَانَ ، فَاعْمَلْ لِنَفْسِكَ أَوْدَعًا ، فَإِنِّي مَشْغُولٌ عَنْكَ بِابْنِ سُرَيْجٍ
وَمَعْبَدٍ وَالْفَرِيضِ^(٤) . » (الأغاني ٦ : ١٢٤)

٤٩٧ - كتاب مروان بن محمد إلى سعيد

ابن عبد الملك بن مروان

وبلغ مروان بن محمد بأرمينية أن يزيد بن الوليد بن عبد الملك يُولَّبُ^(٥) الناس ،
ويدعو إلى خلع الوليد^(٦) ، فكتب إلى سعيد بن عبد الملك بن مروان يأمره أن ينهى

في ذلك زينب بنت سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس - وكان بنو العباس يعظمونها - فأجابها المأمون وأمر
الناس بالعود إلى لباس السواد « ويقابل السوداء : المبيضة بكسر الياء وهم فرقة من الثنوية ، سموها بذلك
لتبييضهم ثيابهم ، وهم أصحاب المقتع » الذي ظهر في خلافة المهدي ، وادعى الألوهية ، وكان يقول بالتناسخ ،
وأن الله خلق آدم فتجول في صورته ، ثم في صورة نوح ، وهكذا إلى أبي مسلم الخراساني ، وسمى نفسه
هاشمياً ، وبايعه خلق من ضلال الناس ، وكانوا يسجدون إلى ناحيته أين كانوا من البلاد ، ويقولون في الحرب :
يا هاشم أعنا - انظر الفخرى (س ١٦٢ و ١٩٨) ولسان العرب في مادة « بيض » (٨ : ٢٩٧) .

(١) الخلل : الفرجة بين الشيتين ، والجمع خلال كجبل وجبال ، وومض البرق كوعد : لمع لمخفيا ،
والضرام : اشتعال النار . (٢) أذكي النار : أوقدها .

(٣) وسيرد عليك بعد أن هذا الكتاب كتبه ابن سيار إلى مروان بن محمد .

(٤) كان ثلاثتهم من حذاق المعنين في العصر الأموي .

(٥) أي يخرس .

(٦) وذلك أن الوليد قد ظهر منه قبل خلافته خلاعة ومجانة وتهاون بالدين واستخفاف به كما قدمنا
لك : فلما أفضت إليه الخلافة لم يزد من الذي كان فيه من اللهو واللذة والركوب للصيد وشرب النبيذ ومنادمة
الفساق إلا تماديا وجدا ، فتقل ذلك على رعيته وجنده فسكرها أمره ، وكان من أعظم ما جنى على نفسه =

الناس ويكفهم - وكان سعيد يتأله^(۱) - :

« إن الله جعل لكل أهل بيت أركاناً يعتمدون عليها ، ويتقون بها المخاوف ، وأنت بحمد ربك ركنٌ من أركان أهل بيتك ، وقد بلغني أن قوماً من سفهاء أهل بيتك قد استفتوا أمراً ، إن تمت لهم رويبتهم فيه على ما أجمعوا عليه من نقص بيعتهم ، استفتحوا باباً لن يُغلقه الله عنهم ، حتى تُسفك دماء كثيرة منهم ، وأنا مشتغلٌ بأعظم ثغور المسلمين فرجاً^(۲) ، ولو جمعتني^(۳) وإياهم لراحتُ فسادَ أمرهم بيدي ولساني ، ونحفتُ الله في تركِ ذلك ، لعلمي ما في عواقب الفرقة من فسادِ الدين والدنيا ، وأنه لن ينتقل سلطانُ قومٍ قطُّ إلا في تشتيتِ كلمتهم ، وأن كلمتهم إذا تشوشت^(۴) طمعَ فيهم عدوئهم ، وأنت أقربُ إليهم مني ، فاحتملَ لعلمِ ذلك بإظهار المتابعة لهم ، فإذا صرتَ إلى علمِ ذلك ، فتهددهم بإظهار أسرارهم ، وخذم بلسانك ،

- حتى أورثه ذلك هلاكه - إفساده على نفسه بنى عميه : ولد هشام بن عبد الملك وولد الوليد بن عبد الملك ، من ذلك أنه اشتد على بنى هشام ، فضرب سليمان بن هشام مائة سوط وحلق رأسه ولحيته ، وغربه إلى عمان فحبسه بها ، فلم يزل بها محبوساً حتى قتل الوليد ، وأخذ جارية كانت لآل الوليد فكلمه عمر بن الوليد فيها ، فقال : لا أردّها ، فقال : إذن تكسر الصواهل حول عسكرك ، ورماء بنوهشام وبنو الوليد بالكفر والزندقة وغشيان أمهات أولاد أبيه ، وكان أشدهم فيه قولاً يزيد بن الوليد بن عبد الملك ، وكان الناس إلى قوله أويل ، لأنه كان يظهر النسك ويتواضع ، ويقول ما يسعنا الرضا بالوليد ، حتى حمل الناس على الفتك به ، هذا إلى إفساده على نفسه اليمانية وهم عظم جند أهل الشام ، واضطغانهم عليه لما صنع بخالد بن عبد الله القسري ، فأنت اليمانية يزيد بن الوليد فأرادوه على البيعة ، وأتى يزيد أخاه العباس فأخبره وشاوره وعاب الوليد ، فقال له العباس : مهلاً يا يزيد ، إن في نقص عهد الله فساد الدين والدنيا ، ودب يزيد في الناس فبايعوه سرا ، وعاود أخاه العباس فشاوره في ذلك ، فزجره العباس وقال : إن عدت لمثل هذا لأشدنك وثاقاً وأحملك إلى أمير المؤمنين ، وجعل يزيد يعد العدة حتى وثب على الوليد فقتله .

(۱) التأله : التنسك والتعبد . (۲) الفرج : الثغر وموضع المخافة .

(۳) فاعل جمعني مفهوم من المقام ، أي فرصة أو بلدة مثلاً .

(۴) قال الجوهري في الصحاح : التشويش : التخليط ، وقد تشوش عليه الأمر « وفي لسان العرب :

« وأما التشويش فقال أبو منصور : إنه لا أصل له في العربية ، وإنه من كلام المولدين ، وأصله التهويش وهو التخليط » وفي القاموس : والتشويش والمشوش والتشوش كلها لحن ، وهم الجوهري ، والصواب التهويش والمهوش والتهوش . وأقول : ربما كانت هذه الكلمة في الأصل « تشئت » لقوله قبل : « إلا في تشتيت كلمتهم » ثم حرفت في النسخ أو الطبع .

وخواؤفهم العواقب لعل الله أن يرد إليهم ما قد عزب عنهم من دينهم وعقولهم ،
فإن فيما سمعوا فيه تغيير النعم ، وذهاب الدولة .

فعاجل الأمر ، وحبيل الألفة مشدود ، والناس سُكون^(۱) ، والثغور محفوظة ،
فإن للجماعة دولة من الفرقة ، وللسمّة دافعا من الفقر ، وللعهد مُنتقضا ، ودول الليالي
مختلفة على أهل الدنيا ، والتقلب مع الزيادة والنقصان ، وقد امتدت بنا أهل البيت
مقتات من النعم ، قد يُعنى بها جميع الأمم ، وأعداء النعم ، وأهل الحسد لأهلها ،
وبحسد إبليس خرج آدم من الجنة .

وقد أمل القوم في الفتنة أملاً لعل أنفسهم تهلك دون ما أملوا ، ولكل أهل
بيت مشائيم يُغير الله النعمة بهم ، فأعاذك الله من ذلك ، واجعلني من أمرهم على علم ،
حفظ الله لك دينك ، وأخرجك مما أدخلك فيه ، وغلب لك نفسك على رشدك^(۲) .
فأعظم سعيد ذلك ، وبمث بكتابه إلى العباس ، فدعا العباس يزيد فعذله وتهدده ،
فخذره يزيد وقال : يا أخي أخاف أن يكون بعض من حسدنا هذه النعمة من
عدونا أراد أن يُغري بيننا ، وحلف له أنه لم يفعل ، فصدقه .

(تاريخ الطبري ۹ : ۷)

(۱) سُكون : جمع ساكن ، كحضور وجلس وعود جمع حاضر وجالس وقاعد .

(۲) معناه : وجعل نفسك غالبة ومالك لرشدك ، أي ملكك رشداً وجعله موافقاً لك وطوعاً أمرك ،

وربما كان الأصل « وغلب لك رشداً على نفسك » أي على هواك ، وعكسه الناسخ أو الطابع .

خلافة يزيد بن الوليد بن عبد الملك

(سنة ١٢٦ هـ)

٤٩٨ - كتابه إلى مروان بن محمد

وكتب يزيد بن الوليد بن عبد الملك المعروف بالناقص^(١) إلى مروان بن محمد بالجزيرة ، وقد بلغه عنه تلسكو في بيعته :

« أما بعدُ : فإني أراك تُقدِّمُ في البيعة رجلاً وتؤخِّرُ أخرى ، فإذا أتاك كتابي هذا فاعتمدْ على أيِّهما شئتَ ، والسلام . »

فأتته بيعته .

(صبح الأعشى ٦ : ٣٩١ ، والعقد الفريد ١ : ١٧ ، ٢ : ٢٩٢ ، والمنظوم والمنثور ١٣ : ٣٣٠)

٤٩٩ - كتاب منصور بن جمهور إلى سليمان بن سليم

وعزل يزيد بن الوليد يوسف بن عمر عن العراق ، وولَّاهَا منصور بن جمهور ، فسار إلى العراق ، حتى إذا كان بالجمع كتب إلى سليمان بن سليم بن كيسان كتاباً وهو :

« أما بعدُ ، فإنَّ اللهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ، وَإِذَا أَرَادَ اللهُ

(١) اختلف في آلة تافيه بذلك ، فقيل إنما قيل له الناقص لفرط كماله (العقد الفريد ١ : ١٧) فهو على هذا من باب التسمية بالأضداد ، وقيل : إنما قيل يزيد الناقص ، لنقصه الناس الزيادة التي زاد هموها الوليد بن يزيد في أعطياتهم - انظر هامش ص ٢٩٢ . فلما ولي يزيد نقص الناس تلك الزيادة ، ورد أعطياتهم إلى ما كانت عليه أيام هشام بن عبد الملك ، وقيل إن أول من سماه بهذا الاسم مروان بن محمد (تاريخ الطبري ج ٩ : ص ٢٢ ، ٤٦) وقيل : لأنه نقص من أعطيات أهل الحجاز ما كان قد زادهم الوليد (الفخري ص ١٢٠) وقيل لأنه نقص بعض الجند من أرزاقهم (مروج الذهب ٢ : ١٩٠) والناقص على هذه الأقوال من نقص التعدي ، وقيل : لنقصان كان في أصابع رجله (حياة الحيوان للدميري ١ : ١٠٦) وهو على هذا من نقص اللازم .

بِقَوْمٍ سُوءٍ أَفْلاَ مَرَدَّ لَهُ ، وَإِنِ الْوَلِيدُ بْنُ يَزِيدَ بَدَّلَ نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا ، فَسَفَكَ الدَّمَاءَ : فَسَفَكَ اللَّهُ دَمَهُ ، وَعَجَّلَهُ إِلَى النَّارِ ، وَوَلَّى خِلاَفَتَهُ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ ، وَأَحْسَنُ هَدْيًا : يَزِيدَ بْنَ الْوَلِيدِ ، وَقَدْ بَايَعَهُ النَّاسُ ، وَوَلَّى عَلَى الْعِرَاقِ الْحَارِثُ بْنُ الْعَبَّاسِ بْنِ الْوَلِيدِ ، وَوَجَّهَنِي الْعَبَّاسُ لِأَخِي يُوسُفَ وَعُمَّالِهِ ، وَقَدْ نَزَلَ الْأَبْيَضُ وَرَأَى عَلَى مَرَّ حَلَّتَيْنِ ، نَفَذَ يُوسُفَ وَعُمَّالَهُ ، لَا يَفُوتَنَّكَ مِنْهُمْ أَحَدٌ ، فَاحْبِسْهُمْ قَبْلَكَ ، وَإِيَّاكَ أَنْ تُخَالِفَ فَيَجِلَّ بِكَ وَبِأَهْلِ بَيْتِكَ مَا لَا يِقْبَلُ لَكَ بِهِ ، فَاخْتَرْ لِنَفْسِكَ أَوْدَعَ ۵ .

وَقِيلَ إِنَّهُ لَمَّا كَانَ بَعَيْنَ التَّمَرِ كَتَبَ إِلَى مَنْ بِالْحِيرَةِ مِنْ قَوَادِ أَهْلِ الشَّامِ يَخْبِرُهُمْ بِقَتْلِ الْوَلِيدِ وَيَأْمُرُهُمْ بِأَخِي يُوسُفَ وَعُمَّالِهِ ، وَبَعَثَ بِالْكِتَابِ كُلِّهَا إِلَى سُلَيْمَانَ بْنِ سَلِيمِ بْنِ كَيْسَانَ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَفْرِقَهَا عَلَى الْقَوَادِ ، فَأَمْسَكَهَا سُلَيْمَانُ وَدَخَلَ عَلَى يُوسُفَ ، فَأَقْرَأَهُ كِتَابَ مَنْصُورٍ إِلَيْهِ ، وَسَهَّلَ لَهُ طَرِيقَ الْهَرَبِ فَهَرَبَ إِلَى الْبَلْقَاءِ ، ثُمَّ قَبِضَ عَلَيْهِ وَقَتَلَ ^(۱) سَنَةَ ۲۷ هـ تَارِيخُ الطَّبَرِيِّ ۹ : ۲۸)

۵۰۰ - كِتَابُ يَزِيدَ إِلَى أَهْلِ الْعِرَاقِ

وَمَا وَجَّهَ يَزِيدُ بْنُ الْوَلِيدِ مَنْصُورُ بْنُ جُبَّاهِرٍ إِلَى الْعِرَاقِ كِتَابًا إِلَى أَهْلِ الْعِرَاقِ كِتَابًا فِيهِ مَسَاوِي الْوَلِيدِ ، فَكَانَ مِمَّا كَتَبَ بِهِ :

(۱) لَمَّا هَرَبَ يُوسُفُ بْنُ عَمْرِو بْنِ سَالِكِ طَرِيقَ الدَّمَاوَةِ حَتَّى أَتَى الْبَلْقَاءَ (وَهِيَ كُورَةٌ بَيْنَ الشَّامِ وَوَادِي الْقُرَى) وَاسْتَخْفَى بِهَا وَكَانَ أَهْلُهُ مُقِيمِينَ فِيهَا ، وَنَمَى خَبْرُهُ إِلَى يَزِيدَ بْنِ الْوَلِيدِ ، فَوَجَّهَ فِي طَلَبِهِ مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدِ الْكَلْبِيِّ فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الْفَرَسَانِ ، فَأَحَاطُوا بِدَارِهِ بِالْبَلْقَاءِ ، وَهَازَلُوا يَعْشِقُونَ عَنْهُ فَلَا يَجِدُونَهُ ، وَكَانَ يُوسُفُ قَدْ أَبْسَ لِبَيْتِ النِّسَاءِ ، وَجَلَسَ مَعَ نِسَائِهِ وَبَنَاتِهِ ، فَفَتَشَهُنَّ فَنَفَرْنَ بِهِ مَعَ النِّسَاءِ ، فَجَاءَ بِهِ فِي وَثَاقٍ ، فَحَبَسَهُ يَزِيدُ مَعَ الْعَلَامِينَ : الْحَكَمَ وَعُثْمَانَ ابْنِي الْوَلِيدِ بْنِ يَزِيدَ - وَكَانَ يَزِيدُ قَدْ حَبَسَهُمَا عِنْدَ قَتْلِهِ أَبَاهُمَا - فَأَقَامَ يُوسُفُ فِي السِّجْنِ حَتَّى مَاتَ يَزِيدُ (فِي ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ ۱۲۶ هـ) وَوَلَّى الْخِلاَفَةَ أَخُوهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْوَلِيدِ (وَكَانَتْ وَلايَتُهُ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ، وَقِيلَ سَبْعِينَ يَوْمًا) وَلَبِثَ يُوسُفُ فِي السِّجْنِ مَدَّةَ وَلايَةِ إِبْرَاهِيمَ ، فَلَمَّا ظَهَرَ أَمْرُ مَرْوَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ وَالتَّقِيُّ عَسْكَرَهُ وَعَسْكَرُ إِبْرَاهِيمَ ، هَرَبَ عَسْكَرُ إِبْرَاهِيمَ ، وَقَدِمَ مَرْوَانُ الشَّامَ وَقَرَّبَ مِنْ دِمَشْقَ ، فَخَافَتْ جَمَاعَةُ إِبْرَاهِيمَ أَنْ يَدْخُلَ مَرْوَانُ دِمَشْقَ فَيُخْرِجَ الْحَكَمَ وَعُثْمَانَ ابْنِي الْوَلِيدِ مِنَ السِّجْنِ ، وَيَجْعَلَ لهُمَا الْأَمْرَ ، فَلَا يَسْتَبِقِيَا أَحَدًا مِنْ أَعْيَانِ عَلَى قَتْلِ أُبَيْهِمَا ، فَأَجْمَعَ رَأْيُهُمْ عَلَى قَتْلِهِمَا ، وَتَوَلَّى ذَلِكَ يَزِيدُ بْنُ خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيِّ فَبَعَثَ أَبَا الْأَسَدِ مَوْلَى أَبِيهِ فِي عِدَّةٍ مِنْ أَتْحَابِهِ ، فَدَخَلُوا السِّجْنَ ، وَشَدَّخُوا الْعَلَامِينَ بِالْعَمْدِ ، وَأَخْرَجُوا يُوسُفَ بْنَ عَمْرِو بْنِ فُضْرَبُوا عُنُقَهُ - اِنْتِقَامًا مِنْهُ لِمَالِدِ الْقَسْرِيِّ وَالِدِ يَزِيدَ - وَلَمَّا قَتَلُوا رَأْسَهُ عَنْ جَسَدِهِ ، وَشَدَّخُوا فِي رِجْلَيْهِ حَبْلًا ، فَجَعَلَ الصَّبِيَّانِ يَجْرُونَ فِي شَوَارِعِ دِمَشْقَ .

« إن الله اختار الإسلام ديناً ، وارتضاه وطهره ، وافترض فيه حقوقاً أمر بها ، ونهى عن أمورٍ حرّمها ، ابتلاءً^(۱) لعباده في طاعتهم ومعصيتهم ، فأكمل فيه كلَّ مَنْقَبَةٍ^(۲) خير ، وجسيم فضل ، ثم تولاه فكان له حافظاً ، ولأهله المقيمين حدوده وليّاً ، يحوّلهم ويعرّفهم بفضل الإسلام ، فلم يكرم الله بالخلافة أحداً يأخذ بأمر الله وينتهي إليه ، فيناو به أحدٌ بميثاق ، أو يحاول^(۳) صرف ما حباّه الله به ، أو ينكث ناكثٌ إلا كان كيدُهُ الأوهن ، ومكرُهُ الأبور ، حتى يُتمَّ الله ما أعطاه ، ويدّخر له أجره ومثوبته ، ويجعل عدوه الأضلَّ سبيلاً ، الأخصرَ عملاً ، فتناسخت^(۴) خلفاء الله وولاية دينه ، قاضين فيه بحكمه ، متبعين فيه لكتابه ، فكانت لهم بذلك من ولايته ونصرتهم ما تمت به النعم عليهم ، قدرضى الله بهم لها حتى توفى هشام .

ثم أفضى الأمر إلى عدوّ الله الوليد ، المفتكٍ للمحارم التي لا يأتي مثلها مسلمٌ ، ولا يُقدّم عليها كافرٌ ، نكرهاً عن غشيان مثلها ، فلما استفاض ذلك منه واستعلن ، واشتدّ فيه البلاء ، وسفك فيه الدماء ، وأخذت الأموال بغير حقها مع أمورٍ فاحشة لم يكن الله ليخلى العاملين بها إلا قليلاً ، سرّت إليه مع انتظار مراجعته ، وإعذار إلى الله وإلى المسلمين ، مُنكراً لعمله وما اجتراه عليه من معاصي الله ، متوخّياً من الله إتمام الذي نويّت ، من اعتدال عمود الدين والأخذ في أهله بما هو رضا ، حتى أتيت جُنُداً وقد وُغرت^(۵) صدرهم على عدو الله ، لما رأوا من عمله ، فإن عدوّ الله لم يكن يرى من شرائع الإسلام شيئاً إلا أراد تبديله ، والعمل فيه بغير ما أنزل الله ، وكان ذلك منه شائعاً شاملاً ، عُريان لم يجعل الله فيه سِتْراً ، ولا لأحد فيه شكاً ، فذكرت لهم الذي نقيمت وخفت ، من فساد الدين والدنيا ، وحضضتهم على تلافى دينهم

(۱) أي اختباراً . (۲) المنقبة المخرجة . (۳) في الأصل « أو يحاول » وهو تحريف ، وحياء : أعطاه ومنعه . (۴) أي تعاقبوا وتداولوا ، تناسخت الأشياء : تداولت فكان بعضها مكان بعض . (۵) وُغرت صدره : امتلأ غيظاً .

والحمامة عنه ، وهم في ذلك مستريبون ، قد خافوا أن يكونوا قد أبقوا أنفسهم بما قاموا عليه إلى أن دعوتهم إلى تغييره فأسرعوا الإجابة .

فابتعث الله منهم بعضاً يخبرهم من أولي الدين والرضا ، وبعثت عليهم عبد العزيز ابن الحجاج بن عبد الملك ، حتى لقي عدو الله إلى جانب قرية يقال لها البخراء ، فدعوه إلى أن يكون الأمر شورى ينظر المسلمون لأنفسهم من يقدونه ممن اتفقوا عليه ، فلم يجب عدو الله إلى ذلك ، وأبى إلا تتابعاً في ضلالتة ، فبدرهم الحملة جهالة بالله ، فوجد الله عزيزاً حكماً ، وأخذته ألماً شديداً ، فقتله الله على سوء عمله وعصيته ممن صاحبه من بطانته الخبيثة ، لا يبلغون عشرة ، ودخل من كان معه سواهم في الحق الذي دعوا إليه ، فأطناً الله بجرته ، وأراح العباد منه ، فبعداً له ولن كان على طريقته .

أحببت أن أعلمكم ذلك وأعجل به إليكم ، لتحمدوا الله وتشكروه ، فإنكم قد أصبحتم اليوم على أمثل^(۱) حالكم ، إذ ولاتكم خياركم ، والعدل مبسوط لكم ، لا يسار فيكم بخلافه ، فأكثرُوا على ذلك حمد ربكم ، وبأيعوا منصور بن جمهور فقد ارتضيتكم لكم ، على أن عليكم عهد الله وميثاقه ، وأعظم ما عهد وعقد على أحد من خلقه لتسمعن وتطيعن لي ولن استخلفته من بعدى ، ممن اتفقت عليه الأمة ، ولكم على مثل ذلك : لأعمان فيكم بأمر الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وأنبع سبيل من سلف من خياركم ، نسأل الله ربنا وولينا أحسن توفيقه وخير قضاءه .

(تاريخ الطبري ۹ : ۳۱)

۵۰۱ - كتاب مروان بن محمد إلى الغمر بن يزيد

وكتب مروان بن محمد إلى الغمر بن يزيد يأمره أن يطلب بدم أخيه الوليد ابن يزيد .

(۱) أمثل : أفضل ، والمثالة كناية : الفضل وفعله ككرم .

« أما بعدُ : فإن هذه الخلافةَ مِن الله على مناهجِ نبوةِ رُسُلِهِ ، وإقامةِ شرائعِ دينِهِ ، أكرمهم اللهُ بما قَدَّمهم ، يُعزِّمهم ويُعزُّ من يُعزِّمهم ، والْحَيْنُ^(١) على من نارا هم طابقتي غيرَ سبيلهم ، فلم يزالوا أهلَ رعايةٍ لِمَا استودعَهم اللهُ منها ، يقوم بحَقِّها ناهضٌ بعدنا هض ، بأنصارٍ لها من المسلمين ، وكان أهلُ الشَّامِ أحسنَ خلقِهِ فيه طاعةً ، وأذبه عن حرْمِهِ ، وأوفاه بعهدِهِ ، وأشدَّهُ نكايَةً في مارقٍ مخالفٍ ناكثٍ ناكبٍ^(٢) عن الحقِّ ، فاستدرتْ نعمةُ اللهِ عليهم ، قد عمَّرَ بهم الإسلامُ ، وكُتِبَ^(٣) بهم الشُّركُ وأهلُهُ ، وقد نكثوا أمرَ اللهِ ، وحاولوا نكثَ العهودِ ، وقام بذلك من أشعلَ ضرامَها ، وإن كانت القلوبُ عنه نافرَةً ، والمطلوبون بدم الخليفةِ وولايةٍ^(٤) من بني أمية ، فإن دمه غير ضائع ، وإن مكنتْ بهم الفتنةُ ، والتأمتِ الأمورُ ، فأمرُ أرادَهُ اللهُ لا مردَّ له .

قد كتبتَ بحالك فيما أبرموا وما ترى ، فإني مُطرقٌ إلى أن أرى غيراً^(٥) فأسطو بانْتقام ، وأنتقمَ لدينِ اللهِ المبتولِ^(٦) ، وفرائضه المتروكةِ نجاةً ، ومعى قومٌ أسكنَ اللهُ طاعتى قلوبهم ، أهلٌ إقدام إلى ما قدِمْتُ بهم عليه ، ولهم نظراءُ ، صدورهم مُترعةٌ^(٧) ممتلئةٌ ، لو يجدون منزعاً^(٨) ، ولِلنَّعمةِ دولةٌ تأتي من الله ، ووقتٌ موكَّلٌ ،

(١) الحين : الهلاك والحنة .

(٢) نكب عنه كنعصر وفرح : عدل كنعكب وتنعكب .

(٣) كتبه : صرعه وأخزاه وكسره وأذله وردة بفيظه .

(٤) الولاية : الإمارة والسلطان ، والمعنى ذوو ولاية أى أمراء من بني أمية ، وقد تقدم أن البعث

الذى وجهه يزيد لقتل الوليد كان عليه عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك .

(٥) غير الدهر : حوادثه المتغيرة . (٦) أى المقطوع غير الوصول ، من بثله كنعصر وضرب

إذا قطعه . (٧) أى ممتلئة .

(٨) المنزع : الموضع الذى يصعد فيه الدلو إذا نزع من البئر فذلك الهواء هو المنزع - انظر لسان

العرب ١٦ : ٢١١ فى مادة بين - والمعنى : لو يجدون مجالا وفرصة للانتقام .

(٢٦) - حمرة رسائل العرب - ثانى

ولم أشبه محمداً ولا مروان^(١) - غير إن رأيت غيراً - إن لم أشمر^(٢) للقدرية^(٢) إزارى ،
وأضربهم بسيفي جارحا وطائفا ، يرعى قضاء الله في ذلك حيث أخذ ، أو يرمى في
عقوبة الله حيث بلغ منهم فيها رضاه ، وما إطراقى إلا لما أنتظر^(٣) مما يأتي عنك ،
فلاتهن عن ثارك بأخيك ، فإن الله جارك وكافيك ، وكفى بالله طالباً ونصيراً .
(تاريخ الطبري ٩ : ٣٤)

٥٠٢ - كتاب يزيد بالأمان للحارث بن سريج

وعزل يزيد بن الوليد منصور بن جمهور عن العراق ، وولأها عبد الله بن عمر
ابن عبد العزيز (في شوال سنة ١٢٦ هـ) فلما قدم عبد الله العراق كتب إلى نصر
ابن سيار بعهدده على خراسان .

وخرج خالد بن زياد من أهل الترمذ^(٣) وخالد بن عمرو مولى بني عامر إلى يزيد
ابن الوليد ، فسألاه أماناً للحارث بن سريج (وكان قد خرج على بني أمية ، ونشبت
الحرب بينه وبين عاصم بن عبد الله الهلالي والي خراسان^(٤) سنة ١١٦ هـ ، ثم أقام هو
وأصحابه ببلاد الترك) فكتب يزيد له :

(١) يقول : لست لأبي « محمد » ولا لجدي « مروان » إن لم أشمر للقدرية إزارى إلا إن حالت
دون ذلك الغير .

(٢) قدمنا لك (في ص ٣٩٠) كلمة عن مذهب القدرية ، وقيل إن يزيد بن الوليد كان قدريا -
انظر تاريخ الطبري ٩ : ٤٦ والفخرى ص ١٢٠ - وروى الطبري أيضاً قال : « كان منصور بن جمهور
أعرايباً جافياً غيلانياً ولم يكن من أهل الدين ، وإنما صار مع يزيد لرأيه في الغيلانية وحية لقتل خالد ...
الحج » - تاريخ الطبري ٩ : ٢٨ - وقد تقدمت لك كلمة عن غيلان في ص ٣٣٥ ، وكانت المعتزلة يسمون
القدرية ، لأنهم وافقوا القدرية في مذهبهم ، وتسمى صاحب « الفرق بين الفرق » يسميهم فيقول : « القدرية المعتزلة
عن الحق » - انظر ص ٩٣ فيه - وقال المسعودي في مروج الذهب ٢ : ١٩٠ : « وكان يزيد بن الوليد
يذهب إلى قول المعتزلة وما يذهبون إليه . . . الحج ، ويقول أيضاً - ٢ : ١٩٣ » « وكان خروج يزيد
بن الوليد بدمشق مع سابقة من المعتزلة وغيرهم على الوليد بن يزيد . . . »

(٣) مدينة مشهورة على نهر جيحون . (٤) انظر تاريخ الطبري ٨ : ٢١٩ - ٢٢٨ .

« أما بعدُ ، فإننا غضبنا لله إذ عطَّلت حدوده ، وُبلغ بعباده كل مَبْلَغ ، وسفكت الدماء بغير حِلِّها ، وأخذت الأموال بغير حقها ، فأردنا أن نعمل في هذه الأمة بكتاب الله جل وعز وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، ولا قوة إلا بالله ، فقد أَوْضَحْنَا لك عن ذات أنفسنا ، فأقبل آمنا أنت ومن معك ، فإنكم إخواننا وأعموانا ، وقد كتبتُ إلى عبد الله بن عمر بن عبد العزيز بردًا ما كان اصطفَى من أموالكم وذراريكم . »

فقدِمَا الكوفةَ على ابن عمر ، ثم مضيا إلى مرو فدفعا كتاب يزيد إلى نصر بن سيار ، فردَّ ما كان أخذَ لهم مما قدر عليه ، ثم نفَّذا إلى الحارث فأقبل يريد مرو .

٥٠٣ - كتاب منصور بن عمر إلى ابن سيار

وقدم الحارث ممرِّقند ، وعليها منصور بن عمر ، فلم يتلقه وقال : أَلِحْسَنُ بِلَانِهِ ! وكتب إلى نصر يستأذنه في الحارث أن يثب به ، فأثبما قتل صاحبه فأبى الجنة أو إلى النار ، وكتب إليه :

« لئن قدِم الحارثُ على الأمير ، وقد ضَرَّ ببنى أمية في سلطانهم ، وهو وَالغٌ^(١) في دمٍ بعد دمٍ ؛ قد طَوَى كَشْحًا^(٢) عن الدنيا ، بعد أن كان في سلطانهم أَقْرَامًا^(٣) لضيِّفٍ ، وأشدَّهم بأسًا ، وأنفذهم ، غارةً في الترك ، كيَفَرَّقَنَ عليك بني تميم . »

(تاريخ الطبرى ٩ : ٤٣)

(١) من ولغ الكلب في الإناث : إذا شرب ما فيه بأطراف لسانه ، أو أدخل لسانه فيه بحركة .

(٢) الكشع : ما بين الحاصرة إلى الضلع الخلق ، وطوى كشحه عنه : قطعه . (٣) أكرمهم .

خلافة مروان بن محمد

(سنة ١٢٧ - ١٣٢ هـ)

٥٠٤ - كتابه إلى بعض الخوارج

وكتب مروان بن محمد رسالة إلى بعض الخوارج يتهدد ويتوعد فيها :

« أما بعد ، فإنك كتبت إلى كتاب امرئ جائر عن الحق ، متورط العقل ، متعرض للحين والردى^(١) ، متسكع في الجهالة ، متكتم^(٢) في الضلالة ، مارق من الدين ، مفارق جماعة المسلمين ، قد بَطَرَ العافية والإحسان ، واستحكت عليه رِبْقُ^(٣) الشيطان ، تَمَنَّى ما تَمَنَّى أُمُيَّاءُ من الطُّغْيَانِ ، فقبل من الشيطان أمنيته ، وأمكنه من رُمْتِه ، وأسلم إليه مقاليدَه ، فحَمَلَه على مَرَكَبِ صَعْبٍ ، فرَكَبَ عليه الرِّبَاقَ ، وشدَّ منه انْحِنَاقَ^(٤) ، فهو يسوقه أشدَّ السِّيَاقِ ، وعلاه ظَهْرًا ، وملاه غَدْرًا ، وأسلمه [إلى الخوف من بعد]^(٥) أمنه ، وكذلك يفعلُ اللهُ بالظالمين ، ويستدرجُهم من حيث لا يعلون .

فانظر - لا نظر الله لك^(٦) - إلى موقع تلك الصفة منك ، فإنك لا طاقة لك بحدنا

(١) الحين : الهلاك ، وكذا الردى .

(٢) تسكع : تمادى في الباطل ، ومشى متصفا ، وتسكع في أمره : لم يهتد لوجهته ، وفي الأصل «متنع» وأراه محرفا . والمتكتمه والسكامة : من يركب رأسه لا يدري أين يتوجه .

(٣) الربق بالكسر : حبل فيه عدة عرا تشد به البهم ، كل عروة ربقة والجمع ربق كنب ررباق كجبال وأرباق ، والرمة بالضم ويكسر : قطعة من حبل ، والمعنى : وأمكنه من قياده : والمقاليد جمع مقلاد وهو المفتاح كالقلد . (٤) الحناق بالكسر والضم : الحلق ، وبالكسر : الحبل ينحق به .

(٥) ما بين القوسين بياض بالأصل وقد تمته كما ترى . (٦) في الأصل « ولا نظر بك » وأراه محرفا .

حين يَحْمِلُ عليك الفُرْسَانُ^(١) ، وتَتَعَاوَرُكَ القَنَا والطَّعْمَانُ ، فَتَنفُذُكَ الأَسِنَّةُ ، وَتُجْلِبُ عليك الأَعْنَةَ ، وَتُحِيطُ بِكَ الكِتَابُ ، وَبِأَتِيكَ المَوْتُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ .
 وَأَمَّا قَوْلُكَ إِلَى فِي كِتَابِكَ : « سِيرِدُ عَلَيْكَ الجُرْدُ ، عَلَيْهَا المُرْدُ^(٢) » ، فَسِيرِدُ عَلَيْكَ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللهِ المَقْرَبِينَ ، وَحِزْبِهِ الغَالِبِينَ ، الكُهُولُ ، عَلَى الخَيْلِ الفُحُولِ ، كَأَنَّهَا الوُعُولُ ، طِوَالَ السَّبَالِ^(٣) ، كَأَنَّهُمْ أَشْرَبَتْ وَجُوهَهُم الجِرْبَالَ ، رَجَالَهُمْ هُم الرِّجَالُ ، لَيْسَ مِنْهُمْ إِلَّا سَاقِقٌ نَاشِبٌ^(٤) ، وَكَالِبٌ مَحَارِبٌ ، قَدْ أَحْكَمْتَهُ العَجَارِبُ ، وَقَامَ عَلَى سَاقٍ ، وَشَرِبَ كُلَّ مِرَّةٍ المَذَاقَ ، لَا يُؤَلُّونَ الأَدْبَارَ ، وَلَا يَكْرَهُونَ عَلَى الفِرَارِ ، قَدْ ضَرُّوا^(٥) بِضَرْبِ الهَامِ ، وَغَادُوا الكَرَّ والإِقْدَامَ ، لَيْسُوا بِذَوِي فَرٍّ وَلَا إِحْجَامَ ، يَنْفُذُونَ فِي الزُّحُوفِ ، وَيَجْتَرُونَ عَلَى الحُتُوفِ ، وَيَبَاشِرُونَ السِّيُوفَ ، وَيَضْرِبُونَ ضَرْبَ الأَسُودِ ، وَيَثْبُونَ وَثْبَ الفُهودِ ، وَلَيْسَ مِنْهُمْ إِلَّا بَازِلٌ^(٦) يَتَخَطَّلُ ، قَدْ بَرَكَ عَلَى كَلْكَلِهِ ، كَأَنَّمَا أَشْرَبَتْ وَجُوهَهُم نَقِيعَ الحُنْظَلِ ، قَدْ رَامُوا الحُرُوبَ وَعَاوَدُوهَا ، وَمَضَّغْتَهُمْ وَمَضَّغُوهَا ، فَلَيْسَ مِنْهُمْ إِلَّا إِلَيْهَا طَرِبٌ ، وَعَلَى لِقَائِهَا حَرِبٌ^(٧) ، لَا يَرُوعُهُمْ مَا يَرُوعُ الفَتْيَانُ ، وَلَا يَصُدُّهُمْ المَوْتُ عَنْ لِقَاءِ الأَقْرَانِ ، وَلَا يَرُوعُهُمْ مَا يَرُوعُ النَّمْرُ^(٨) الجَبَانُ ، حِينَ يَكْشَفُ الكِمَاءَ^(٩) ، وَيُكْرَهُ النِّزَالَ ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يُسَلِّمُكَ الجُرْدُ ،

(١) فِي الأَصْلِ « فَإِنَّكَ لِاطَّاقَةَ لَكَ بِأَحَدٍ أَنْ مِنْ يَحْتَمِلُ عَلَيْكَ الفُرْسَانُ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ وَقَدْ أَصْلَحْتَهُ كَمَا تَرَى ، وَالْمَدُّ : البَأْسُ ، وَتَتَعَاوَرُكَ : تَتَدَاوَلُكَ ، وَالقَنَا : الرِّمَاحُ . (٢) فَرَسٌ أَجْرَدٌ : قَصِيرُ الشَّعْرِ رَقِيقُهُ ، وَجَمْعُهُ جُرْدٌ ، وَشَابٌ أَمْرَدٌ : طَرَّ شَارِبُهُ وَلَمْ تَنْبِتْ لِحْيَتَهُ ، وَجَمْعُهُ مُرْدٌ ، وَفِي الأَصْلِ « سِيرِدُ عَلَيْكَ الحِرَّةَ عَلَيْهَا المِرَاةُ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ . (٣) السَّبَالُ جَمْعُ سَبَلَةٍ بِالتَّحْرِيكِ : وَهِيَ مَاعِلَى الكِفَّةِ العَلِيَا مِنَ الشَّعْرِ يَجْمَعُ الشَّارِبِينَ وَمَا بَيْنَهُمَا ، وَالجِرْبَالُ : صَبْغٌ أَحْمَرٌ ، وَالحَمْرُ . (٤) نَاشِبٌ ، مَنْ نَشِبَ فِيهِ كَفْرَحٌ : إِذَا عَلِقَ بِهِ ، وَكَالِبٌ ، مَنْ كَلَبَ كَفْرَحٌ أَيْضًا إِذَا اشْتَدَّ . (٥) ضَرَى بِهِ كَرَضَى : تَعَوَّدَهُ وَهَجَعَ بِهِ ، وَالهَامُ : الرُّءُوسُ ، وَالزُّحُوفُ جَمْعُ زَحْفٍ بِالفَتْحِ : وَهُوَ الجَيْشُ يَزْحَفُونَ إِلَى العَدُوِّ ، وَغَادَاهُ : بِأَكْرَهُ . (٦) البَازِلُ : الجَلُّ فِي تَاسِعِ سَنِيهِ ، وَالرَّجُلُ الكَامِلُ فِي تَجْرِبَتِهِ ، وَتَخَطَّلُ فِي مَشْبَتِهِ : تَبَخَّرَ ، وَالكَلْكَلُ : الصَّدْرُ . (٧) حَرِبَ كَفْرَحٌ : كَلَبَ وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ . (٨) النَّمْرُ بِالفَتْحِ وَالمَضَّغُ وَالمَضَّغَةُ وَالمَضَّغَةُ : مَنْ لَمْ يَجْرِبِ الأُمُورَ . (٩) كَشَفَ الرَّجُلُ كَفْرَحٌ : انْهَزَمَ ، وَالأَكْشَفُ : الَّذِي يَنْهَزِمُ فِي الحَرْبِ وَلَا يَثْبِتُ ، وَالكِمَاءُ جَمْعُ كَمِيٍّ كَفَنِيٌّ : وَهُوَ الشَّجَاعُ التَّنْفُطِيُّ بِسِلَاحِهِ .

ويفكشف عنك المرؤد، فإن شئت فسير، وإن شئت فقتر، ولا أرى الإقامة لك إلا ريث أن يأتيك ما أوعدك [فإني وإياك كالزجاجة والحجر : إن وقع عليها رخصها ، وإن وقعت عليه فضها^(١)] فآتمر أمرك ، فإنك غير مكذب ، ولا ناكص^(٢) ، والسلام .
(اختيار المنظوم والمنثور ١٣ : ٤٢٠ ، ونثر الدرر ٣ : ٢٥٦)

٥٠٥ - رسالة عبد الحميد بن يحيى الكاتب عن مروان

إلى ابنه عبد الله بن مروان

وكتب عبد الحميد بن يحيى الكاتب عن مروان بن محمد إلى ابنه عبد الله بن مروان ، حين وجهه لمحاربة الضحاك بن قيس الشيباني الخارجي^(٣) :

« أما بعد ، فإن أمير المؤمنين - عند ما أعتمزم عليه ، من توجيهك إلى عدو الله الجلف الجاني الأعرابي المسكع^(٤) في حيرة الجهالة ، وظلم الفتنة ، ومهاوى الهداية ، ورعاعه الذين عاثوا^(٥) في أرض الله فسادا ، وانتهكوا حرمة الإسلام استخفافا ، وبدلوا نعم الله كفرا ، واستحلوا دماء أهل بيته جهلا - أحب أن يعهد إليك في لطائف^(٦) أمورك ، وعوام شئونك ، ودخائل أحوالك ، ومصطرف^(٧) تنقلك ، عهداً يحمك فيه أدبه ، ويشرع لك به عظمته ، وإن كنت - والحمد لله - من دين الله وخلافته

(١) لم يرد في نثر الدرر من هذه الرسالة إلا ما بين القوسين .

(٢) نكص عن الأمر : أحجم ورجع .

(٣) خرج الضحاك سنة ١٢٧ هـ وغلب على الكوفة ، ثم استولى على الموصل وكورها سنة ١٢٨ هـ ،

وباغ مروان خبره وهو محاصر حصن مشتغل بقتال أهلها ، فكتب إلى ابنه عبد الله وهو خليفته بالجزيرة ، يأمره أن يسير فيمن معه إلى نصيبين ليشفل الضحاك عن توسط الجزيرة ، فشخص عبد الله إلى نصيبين وهو في نحو من سبعة آلاف أو ثمانية ، وسار إليه الضحاك من الموصل فقاتله ، فلم يكن لعبد الله قوة لكثرة من مع الضحاك ، إذ قيل إنه كان في عشرين ومائة ألف ، ثم إن مروان سار إليه فالتقى بأرض كفرنوتا من أعمال ماردين فقاتله ، وأحدثت بهم خيول مروان فألحوا عليهم حتى قتلوه ، وبعث مروان برأس الضحاك إلى مدائن الجزيرة فطيف به فيها - إنظر تاريخ الطبري ٩ : ٧٦ .

(٤) تسكم : مشى مشياً متعسفاً ، وتعسدي في الباطل . (٥) أفسدوا .

(٦) جمع لطيف وهو الدقيق ، لطف ككرم صفرودف .

(٧) اصطرف ، تصرف في طلب الكسب . وفي المنظوم والمنثور « مضطرب » من اضطرب : أي

تحرك وهو افتعل من ضرب في الأرض : إذا خرج تاجراً أو غازياً ، أو سار فيها في ابتغاء الرزق .

بحيث اصطنعتك^(١) الله لولاية العهد ، مختصاً لك بذلك دون لحمتك^(٢) وبنى أبيك .
ولولا ما أمر الله تعالى به دالاً عليه ، وتقدمت فيه الحكمة أمرين به : من تقديم
العِظَة ، والتذكير لأهل المعرفة ، وإن كانوا أولى سابقة في الفضل ، وخصيصة في العلم^(٣)
لاعتد أمير المؤمنين منك على اصطناع الله إياك ، وتفضيله لك بما رآك أهله في محلك
من أمير المؤمنين ، وسبقك إلى رغائب أخلاقه ، وانتزاعك محمود شيمه ، واستقبالك
على مشابه تدبيره .

ولو كان المؤدّبون أخذوا العلم من عند أنفسهم ، ولقنوه إلهاماً من تلقائهم ، ولم
يتعلموا شيئاً من عند غيرهم ، لتحلناهم^(٤) علم الغيب ، ووضعناهم بمنزلة خالقهم^(٥)
المستأثر بعلم الغيب عنهم بوحدايته وفراديته في إلهيته ، احتجاباً عنهم لتعقب
في حكمه ، وتثبت في سلطانه ، وتنفيذ إرادته على سابق مشيئته ، ولكن العالم
الموفق للخير ، المخصوص بالفضل ، المحبب بمزية العلم وصفوته ، أدركه معاناً عليه بأطف
بحسه ، وإذلال كنفه ، وصحة فهمه ، وهجر سآمته .

وقد تقدم أمير المؤمنين إليك ، آخذاً بالحجة عليك ، مؤدياً حق الله الواجب عليه
في إرشادك وقضاء حقتك ، وما ينظر به الوالد المعنى الشفيق لولده ، وأمير المؤمنين
يرجو أن ينزهك الله عن كل قبيح يهش^(٦) له طمع ، وأن يعصمك من كل مكروه
حاق بأحد ، وأن يحصنك من كل آفة استولت على أمرى في دين أو خلق ، وأن يبلغه

(١) أى اختارك . (٢) اللحمة : القرابة .

(٣) في المنظوم والنثور (بعد لإصلاح ما فيه) : « ولولا ما أمر الله به دالاً عليه بتقدمة المعرفة لمن
كانوا أولى سابقة في الدين وخصيصة في العلم » وخصه بالشيء خصاً (بالفتح) وخصوصاً وخصوية (بالفتح
والضم) وخصيصى (بالكسر والقصر وفتح) وخصية (بالفتح والتشديد) وتخصه : فضله .

(٤) أى لنسبنا إليهم . (٥) في صبح الأعشى : « ووضعناهم بمنزلة قصر بها عنهم خالقهم

المستأثر بعلم الغيب عنهم بوحدايته في فراديته وسابق لا هويته » .

(٦) هش (من بابي تب و ضرب) هشاشة وهشاشا : إذا خف إليه وارتاح له ونشط ، وهو به

هش بش ، والطمع : الطامع .

فيك أحسن ما لم يزل يعمّده ويريه من آثار نعمة الله عليك ، سامية بك إلى ذرّوه .
الشرف ، متبجّجة^(١) بك بسطة الكرم ، لائحة بك في أزهر معالي الأدب ، مورثة
لك أنفـس ذخائر العزّ ، والله يستخلف عليك أمير المؤمنين ، ريسال حياطتك ،
وأن يعصمك من زيغ الهوى ، ويحضرك داعي التوفيق ، معانا على الإرشاد فيه ، فإنه
لا يعين على الخير ، ولا يوفق له إلا هو .

اعلم أن للحكمة مسالك تفضي مضايق أوائلها - بمن أمها سالكا ، وركب
أخطارها^(٢) قاصداً إلى سعة عاقبتها ، وأمن سرحها^(٣) ، وشرف عزها ، وأنها لا تعار
بسخف الخفة ، ولا تنشأ بتفريط الغفلة ، ولا يتعدى فيها بامرئ حدّه^(٤) ، وربما
أظهرت بسطة الغي مستور العيب ، وقد تلقّت أخلاق الحكمة من كل جهة بفضلها ،
من غير تعب البحث في طلبها ، ولا تطاول لئال ذروتها^(٥) ، بل تأملت^(٦) منها
أكرم تبعاتها ، واستخلصت منها أعتق^(٧) جواهرها ، ثم سموت^(٨) إلى لباب
مصاصها ، وأحرزت منفس^(٩) ذخائرها ، فاقتمد^(١٠) ما أحرزت ، ونافس فيما أصبت .

- (١) تبجج : تمكّن في المقام والحلول ، وتبجج الدار : توسطها . وفي المنظوم والمنثور « ومنججة
لك بسطة الكرم » .
- (٢) في المنظوم والمنثور : « وركب أخبارها » .
- (٣) السرح : فناء الدار . (٤) وفي المنظوم والمنثور : « وأنها لا تعاف سخف الخفة ، ولا
دسى بتفريط الغفلة ، ولا يتعدى فيها بأمن حد وهو تحريف » .
- (٥) في المنظوم والمنثور « ولا متناول لئال ذروتها » وفي صبح الأعشى « ولا متناول لناوثة
ذروتها » وقد ضبط « متناول » بكسر الواو بصيغة اسم الفاعل ، والأنسب أن يكون بفتح الواو على أنه
مصدر ميمي ، لعطفه على مصدر وهو « تعب » وربما كان الأصل « ولا تناول » بصيغة المصدر كما
أوردته . (٦) تأمل المال : اكتسبه . والنيم : شجر تتخذ منه القسي ، وتتخذ من أغصانه
السهام ، الواحدة نيمه . وفي المنظوم والمنثور « أكرم معانيها » .
- (٧) من العتق بالكسر ، وهو الكرم والجمال .
- (٨) في المنظوم والمنثور « ثم سموت » ، ولباب كل شيء ولبه بالضم : خالسه ، والمصاص : خالص
كل شيء أيضاً . (٩) نفس الشيء - بالضم فهو نفيس ونافس : رفع وصار مرغوباً فيه ، وأنفس
فهو منفس : صار نفيساً ، وأمر منفوس فيه : أي مرغوب فيه .
- (١٠) اقتمد الدابة : ركبها ، والمعنى تمسك به واحرس عليه .

واعلم أن احتواءك على ذلك ، وَسَبَقَكَ إِلَيْهِ بِإِخْلَاصٍ تَقْوَى اللَّهِ فِي جَمِيعِ أُمُورِكَ مُؤَثِّرًا بِهَا ، وَإِضْمَارِ طَاعَتِهِ مُنْظُومًا عَلَيْهَا^(١) ، وَإِعْظَامِ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْكَ شَاكِرًا لَهُ ، مُرْتَبِطًا فِيهِ لِلزَّيْدِ ، بِحُسْنِ الْحَيَاةِ لَهُ ، وَالذَّبِّ عَنْهُ مِنْ أَنْ تَدْخُلَكَ مِنْهُ سَامَةٌ مَلَالٍ ، أَوْ غَفْلَةٌ ضَيَاعٍ ، أَوْ سِنَةٌ تَهَاوُنٍ ، أَوْ جَهَالَةٌ مَعْرِفَةٍ ، فَإِنَّ ذَلِكَ أَحَقُّ مَا بُدِيَ بِهِ وَنُظِرَ فِيهِ ، مَعْتَمِدًا عَلَيْهِ بِالْقُوَّةِ وَالآلَةِ وَالْعُدَّةِ ، وَالانْفِرَادِ بِهِ مِنَ الْأَصْحَابِ وَالْحَامَةِ^(٢) ، فَتَمَسَّكَ بِهِ لِاجْتِمَاعِ إِلَيْهِ ، وَاعْتِمَادِ عَلَيْهِ مُؤَثِّرًا لَهُ ، وَالتَّجِيُّ إِلَى كَفِّهِ مَتَحَرِّزًا إِلَيْهِ^(٣) ، فَإِنَّهُ أَبْلَغُ مَا طُلِبَ بِهِ رِضَا اللَّهِ ، وَأَنْجَحُهُ مَسْأَلَةٌ ، وَأَجْزَلُهُ ثَوَابًا ، وَأَعْوَدُهُ نَفْعًا^(٤) ، وَأَعْمَهُ صَلَاحًا ، أَرشِدَكَ اللَّهُ لِحُظِّكَ ، وَفَهْمَكَ سَدَادَهُ ، وَأَخِذْ بِقَلْبِكَ إِلَى مَحْمُودِهِ .

ثم اجعل لله في كل صباح يُنْعِمُ عَلَيْكَ بِبَلُوغِهِ ، وَيَظْهَرُ مِنْكَ السَّلَامَةُ فِي إِشْرَاقِهِ ، مِنْ نَفْسِكَ نَصِيبًا تَجْعَلُهُ لِلَّهِ ، شَكَرًا عَلَى إِبْلَاقِهِ إِيَّاكَ يَوْمَكَ ذَلِكَ بِصِحَّةِ جَوْرَاحٍ ، وَعَافِيَةِ بَدَنِ . وَسُبُوغِ^(٥) نَعْمٍ ، وَظُهُورِ كَرَامَةٍ ، وَأَنْ تَقْرَأَ فِيهِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عِزَّ وَجَلَّ جِزْيًا تُرَدُّ رَأْيِكَ فِي آيِهِ^(٦) ، وَتُرَيْنَ^(٧) لَفْظَكَ بِقِرَائَتِهِ ، وَتُحْضِرُهُ عَقْلًا نَاطِرًا فِي مُحْكَمِهِ ، وَتَتَفَهَّمُهُ مَتَفَكِّرًا فِي مِثْلَابِهِ ، فَإِنَّ فِي الْقُرْآنِ شِفَاءَ الْقُلُوبِ مِنْ أَمْرَاضِهَا ، وَجِلَاءَ وَسَاوِسِ الشَّيْطَانِ وَسَفَاسِفِهِ^(٨) ، وَضِيَاءَ مَعَالِمِ النُّورِ - تَبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ .

ثم تعهد نفسك بمجاهدة هواك ، فَإِنَّهُ مِفْطَاحُ الْحَسَنَاتِ ، وَمِفْتَاحُ السَّيِّئَاتِ ، وَخَصْمُ الْعَقْلِ .

- (١) وفي المنظوم والمنثور « واصطبار طاعته » .
 (٢) الحامة : خاصة الرجل من أهله وولده .
 (٣) وفي المنظوم والمنثور « والتجى إلى كنهه متحرزا به » .
 (٤) وفيه « وأعوده سعيًا » ويقال هذا أعود : أى أنعم ، والعائدة : النفعة .
 (٥) أى اتساعها .
 (٦) أى جم آية ، وفي المنظوم والمنثور « في أدبه » .
 (٧) وفي صبح الأعشى « وترتل » والأولى أنسب .
 (٨) الفساف بالفتح : الردى من كل شئ ، وفي صبح الأعشى « وصفاصه » ، وفي هامشه : « جمع صمصع » بالفتح ، وهو طائر يصيد الجنادب ، شبه وسوسة الشيطان به ، والرواية الأولى أظهر .

واعلم أن كل أهوائك^(١) لك عدوٌ يحاولُ هلكتك ، ويعترضُ غفلتك ، لأنها خدع إبليس ، وحبائل^(٢) مكره ، ومصائدُ مكيدته ، فاحذرْها مُجانباً لها ، وتوقها مُحترساً منها ، واستعِذْ بالله عز وجل من شرها ، واجاهدْها إذا تناصرتُ عليك ، بهزم صادق لا ونيّة^(٣) فيه ، وحزم نافذ لا مشنوية^(٤) لرأيك بعد إصداره عليك ، وصدق غالب لا مطمع في تكذيبه ، ومضائة صارمة لا أناة^(٥) معها ، ونية صحيحة لا خلجة شك فيها ، فإن ذلك ظهري^(٦) صدق لك على ردها عنك ، وقمها دون ما تتطلع إليه منك ، وهي واقية لك سخطة ربك ، داعية إليك رضا العامة عنك ، سائرة عليك عيب من دونك ، فازدّن بها متحلياً^(٧) ، وأصيب بأخلاقك مواضعها الحميدة منها ، وتوق عليها الآفة التي تقطعك عن بلوغها. وتقصّر بك دون شأوها^(٨) ، فإن المثونة^(٩) إنما اشتدّت مستصيبة^(١٠) وقدحت باهظة أهل الطلب لأخلاق أهل الكرم ، المنتجحين سمو القدر ، بجهالة مواضع ذم الأفعال ومحمودها ، حتى فرط أهل التقصير في بعض أمورهم ، فدخلت عليهم الآفات من جهات أمنوها ، ففسبوا إلى التفريط ، ورَضُوا بذل المنزّل ، فأقاموا به جاهلين بموضع الفضل ، عمهين^(١١) عن درج الشرف ، ساقطين دون منزلة أهل الحجا ، فحاول بلوغ غاياتها مُحَرِّزاً لها بسبق الطلب

(١) في المنظوم والنور « كل أعدائك » وهو تحريف .

(٢) في صبح الأعشى « وخواتل مكره » أي وخوادع ، من الختل وهو الخداع .

(٣) يقال : أفل ذلك بلاونية : أي بلاتوان .

(٤) يقال : حلف فلان يمينا ليس فيها مشنوية ولا ثنيا « بالضم » ولا تنوى « بالفتح » ولا ثنية « بكسبة » أي استثناء . (٥) أي لا تؤددة فيها ، تأتي في الأمر ، تمككت ولم يعجل ، والاسم منه

أناة ، واخلجة : اسم من تخالج في صدرى منه شيء أي شككت فيه ، وأصل الاختلاج الحركة والاضطراب . (٦) أصل ذلك البعير الظهري : وهو العدة للعاجة إن احتجج إليه ، نسب إلى الظهر على غير قياس .

(٧) وفي المنظوم والنور « ملتحقاً » .

(٨) الشأو : الغاية ، وفي المنظوم والنور « ساميها » .

(٩) من قوله « فإن المثونة . . . » إلى قوله « أهل الحجا » ساقط من المنظوم والنور .

(١٠) استصعب الأمر : صار صعباً ، وفدحه الأمر : أنقله ، وكذا بهظه .

(١١) من العمه بالتحريك ، وهو التعبير والتردد .

إلى إصابة للوضع ، مُحَصَّنًا أعمالك من العُجْب ، فإنه رأسُ الهَوَى ، وأوّلُ الغَوَايَةِ ،
ومَقَادِ الْمَلَكَةِ ، حارساً أخلاقك من الآفات المتصلة بِمَسَاوِي العادات وذميمة إِيثَارِهَا^(١) ،
من حيثُ أنتِ الغَفْلَةُ ، وانتشر الضياعُ ، وَدَخَلَ الوهنُ ، فتوقَّ غُلُوبَ^(٢) الآفاتِ
على عقلك ، فإن شواهد الحقِّ ستُظهِرُ بآماراتها تصديقَ رأيك عند ذوى النُهَى ، وحالِ
الرأى وفحصِ النظر ، فاجتنبْ لنفسك محمودَ الذِّكْرِ ، وتَبَاقِي لِسَانِ الصِّدْقِ ، بِالْحَذَرِ
لما تقدّم إليك فيه أميرُ المؤمنين ، متحرّزاً من دخول الآفات عليك ، من حيثُ
أمنك وقلة ثقتك بمُحكّمها .

من ذلك أن تملكَ أمورك بالقصد ، وتُدَارِي جُنْدَكَ بِالإِحْسَانِ ، وتصون مِيرَكَ
بِالِكِتْمَانِ ، وتُدَاوِي حِقْدَكَ بِالْإِنصَافِ ، وتذللَ نَفْسَكَ بِالْعَدْلِ ، وتحصّن عيوبك بتقويمِ
أُودِكَ^(٣) ، وتمنع عقلك من دخولِ الآفاتِ عليه بالعُجْبِ المُرْدِي ، وَأَنَاتِكَ فَوْقَهَا
الْمَلَالِ وَقُوتِ الْعَمَلِ ، وَمَضَاءَتِكَ^(٤) فدرّعها رَوِيَّةَ النَظَرِ وَأُكْنَفَهَا بِأَنَاةِ الْحَسَمِ ،
وخلواتك فاحرّسها من الغفلة واعتمادِ الراحة ، وصمتك فانفِ عنه عِيَّ اللَّفْظِ ، وخفْ
فيه سُوءَ الْقَالَةِ^(٥) واستماعك فأزعه حُسنَ التَقَهُمِ ، وقوّه بإشهادِ الفِكرِ ، وعطاءك
فامهد له^(٦) بيوتاتِ الشرفِ وذوى الحَسَبِ ، وتحرّزْ فيه من السَّرَفِ واستطالةِ
الْبَدَخِ^(٧) وامتنانِ الصَّنِيعةِ ، وحياءك فامنمه من الخَجَلِ وَبِلَادَةِ الْحَصْرِ^(٨) ، وحِدْكَ
فزعْه^(٩) عن التهاونِ ، وأحضِرْهُ قُوَّةَ الشَّكِيمَةِ ، وعقوبتك فقصر بها عن الإفراطِ ،
وتعمدْ بها أهلَ الاستحقاقِ ، وعفوك فلا تُدْخِلْهُ تعطيلَ الحقوقِ ، وخذ به واجبَ

(١) وفي صبح الأعشى : المتصلة بمساوي الألقاب وذميمة تنابزها « والتنابز . والتعابر والتداعى
بالأنباز ، وهي الألقاب جمع نبز بالتحريك وهو اللقب .

(٢) لم يرد هذا المصدر في كتب اللغة ، (٣) الأود : الاعوجاج .

(٤) في المنثور والمنظوم « ومصابك » وهو تحريف .

(٥) القول في الخير ، والقال والقبيل والقالة في الشر .

(٦) من مهد المهدي للصبي إذا هبأ وبسطه ، والمعنى : فضعه في بيوتات الشرف .

(٧) الكبيرة . (٨) المعى . (٩) وزعه : كوضعه : كفه ، والشكبية : الأثفة .

المفترض ، وأقيم به أودّ الدين ، واستثناسك فامنع منه الجذاء وسوء المناقشة (١) ،
وتعهدك أمورك فحدّه أوقانا ، وقدّره ساعاتٍ لا تستفرغُ قوتك ، ولا نستدعي
سأمتك ، وعزّ ماتك فانفٍ عنها عجلة الرأي وبجاجة الإقدام ، وفرحانك فاشكمتها (٢)
عن البطر ، وقيدها عن الزهو ، وروعاتك فحطها من دهش الرأي واستسلام
الخصوع ، وحذراتك فاصرفها عن الجبن ، واعمد بها للحزم ، ورجاءك فقيده بخوف
الفائت ، وامنعه من أمنِ الطلب .

هذه جوامع خلال ، دخالُ النقص منها واصلٌ إلى العقل بطائفِ أبنه ،
وتصاريفِ حويله (٣) ، فأحكمتها عارفا بها ، وتقدّم في الحفظ لها ، معتزماً على
الأخذ بمراشدها ، والانتهاه منها إلى حيث بلغت بك عظة أمير المؤمنين وأدبه
إن شاء الله .

ثم لتكن بطانتك وجلسائك في خلواتك ، ودخلائك في ميرك ، أهل الفقه
والورع من خاصّة أهل بيتك ، وعامة قوادك ممن قد حنكته السن بتصاريف الأمور
وخبطته فصألها بين فراسن (٤) البزل منها ، وقلبتة الأمور في فنونها ، وركب
أطوارها ، عارفاً بمحامس الأمور ، ومواضع الرأي ، وعين المشورة ، مأموناً
النصيحة ، مطويّ الضمير على الطاعة .

(١) بذؤ الرجل وينك بذاء وبذاءة : سفه وأخس في منطقته ، وثاقته : جالسه ، وفي صبح الأعشى
« وسوء المناقشة » نقت فلانا بالكلام : آذاه .

(٢) شكّ الفرس كنصر : وضع الشكيمة في فيه ، والشكيمة من اللجام : الحديدية المفترضة في فم
الفرس ، والمعنى فامنها .

(٣) الأبن جمع أبنه بالضم : وهي العيب ، والحويل والمحول كشمس وعنب : الحيلة والاحتيال ،
وفي المنظوم والمشور : « هذه جوامع دخال النقص » .

(٤) فراسن جمع فرسن كزبرج ، والفرسن للبعير كالحافر للدابة ، والبازل : الجمل في تاسع سنه
(وليس بعده سن تسمى) وجمعه بزل ككتب وركع وبوازل ، والبازل أيضاً : الرجل الكامل في تجربة ،
والفصال جمع فصيل : وهو ولد الناقة إذا فصل عن أمه .

ثم أحضِرهم من نفسك وَقَاراً يَسْتَدْعِي لَكَ مِنْهُمْ الْهَيْبَةَ ، وَاسْتَنْسَا بِعَطْفِ إِلَيْكَ مِنْهُمْ الْمَوَدَّةَ ، وَإِنْصَاتَا^(١) يَفْلُءُ إِفَاضَتَهُمْ عِنْدَكَ بِمَا تَكْرَهُ أَنْ يُنْشَرَ عِنْدَكَ مِنْ سَخَافَةِ الرَّأْيِ ، وَضِيَاعِ الْحَزْمِ ، وَلَا يَغْلِبَنَّ عَلَيْكَ هَوَاكَ فَيَصْرِفَكَ عَنِ الرَّأْيِ ، وَيَقْتطِعَكَ دُونَ الْفِكْرِ .

وَتَعَلَّمْ أَنَّكَ وَإِنْ خَلَوْتَ بِسَرٍّ ، فَالْقَيْتَ دُونَهُ سُتُورَكَ ، وَأَغْلَقْتَ عَلَيْهِ أَبْوَابَكَ ، فَذَلِكَ لَا مَحَالَةَ مَكْشُوفٌ لِلْعَامَّةِ ، ظَاهِرٌ عِنْدَكَ - وَإِنْ اسْتَتَرْتَ بِرُبَّمَا وَعَمَلٌ ، وَمَا أَرَى إِذَاعَةَ ذَلِكَ وَأَعْلَمُ^(٢) - بِمَا يَرُونَ مِنْ حَالَاتٍ مَنْ يَنْقَطِعُ بِهِ فِي تِلْكَ الْمَوَاطِنِ ، فَتَقَدَّمَ فِي إِحْكَامِ ذَلِكَ مِنْ نَفْسِكَ وَسَدَّ خَلَاةِ عِنْدَكَ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ أَمْرَعُ إِلَيْهِ سُوءُ الْقَالَةِ ، وَلَنْظُ الْعَامَّةِ بِخَيْرٍ أَوْ شَرٍّ ، مَنْ كَانَ فِي مِثْلِ حَالِكَ وَمَكَانِكَ الَّذِي أَصْبَحْتَ بِهِ مِنْ دِينِ اللَّهِ ، وَالْأَمَلِ الْمَرْجُوِّ الْمُتَنْظَرِ فِيكَ ، وَإِيَّاكَ أَنْ يُغْمِزَ^(٣) فِيكَ أَحَدٌ مِنْ حَامَتِكَ وَبِطَانَةِ خِدْمَتِكَ بَضْعَةً يَجِدُ بِهَا مَسَاغًا إِلَى النَّطْقِ عِنْدَكَ بِمَا لَا يَحْتَرِزُكَ عَيْبُهُ ، وَلَا تَخْلُو مِنْ لَأَمْتِهِ ، وَلَا تَأْمَنُ سُوءَ الْأُحْدُوثِ فِيهِ ، وَلَا يَرْخُصُ سُوءُ الْقَالَةِ بِهِ إِنْ تَجَمَّ ظَاهِرًا وَعَلَنَ بَادِيًا^(٤) ، وَإِنْ يَجْتَرِثُوا عَلَى تِلْكَ عِنْدَكَ إِلَّا أَنْ يَرَوْا مِنْكَ إِصْفَاءً إِلَيْهَا ، وَقَبُولًا لَهَا ، وَتَرْخِيصًا لَهُمْ فِي الْإِفَاضَةِ بِهَا .

ثُمَّ إِيَّاكَ أَنْ يُفَاضَ عِنْدَكَ بِشَيْءٍ مِنَ الْفُكَاهَاتِ وَالْحِكَايَاتِ وَالْمِزَاحِ وَالْمُضَاحِكِ الَّتِي يَسْتَخِفُّ بِهَا أَهْلُ الْبِطَالَةِ ، وَيَتَسَرَّعُ نَحْوَهَا ذُورَ الْجَهَالَةِ ، وَيَجِدُ فِيهَا أَهْلُ الْحَسَدِ مَقَالًا لَعِيبٍ يُذَيِّعُونَهُ^(٥) ، وَلَطْعَنٍ فِي حَقِّ يَجْحَدُونَهُ ، مَعَ مَا فِي ذَلِكَ مِنْ نَقْصِ الرَّأْيِ ، وَدَرَنِ الْعَرِضِ ، وَهَدْمِ الشَّرَفِ ، وَتَأْثِيلِ^(٦) الْغَفْلَةِ ، وَقُوَّةِ طَبَاعِ السُّوءِ الْكَامِنَةِ

(١) وفي المنظوم والمنثور « وإِنْصَاتَا يَفْلُءُ أَفَاضَتَهُمْ لَكَ مِنْكَ بِمَا تَكْرَهُ أَنْ يَنْشَرَ عِنْدَكَ . الخ . »

(٢) أَرَى بِالضَّمِّ أَيِ أَظُنُّ ، وَأَعْلَمُ مَعْطُوبٌ عَلَيْهِ أَيِ وَمَا أَعْلَمُ . وَالْمَعْنَى وَإِنْ اسْتَتَرْتَ وَرَاءَ

هَذِهِ الْأَفْظَاءِ . (٣) أَعْمَزَ فِي فُلَانٍ : عَابَهُ وَصَفَرَهُ ، وَاعْتَمَزَهُ طَعَنَ عَلَيْهِ أَيْضًا .

(٤) نَجْمٌ كُنْصَرٌ : ظَهَرَ ، وَعَلَنَ كُنْصَرَ وَضَرَبَ وَكْرَمَ وَفَرِحَ : ظَهَرَ أَيْضًا .

(٥) وَفِي الْمَنْظُومِ وَالْمَنْثُورِ « يَذَيِّعُونَهُ » . (٦) أَيِ تَأْصِيلٍ وَتَمَكُّينَ ، وَالْحَجَرُ الصَّلْدُ : أَيِ

الصَّلْبِ الْأَمْلَسِ .

في بني آدم كُمُونَ النَّارِ في الحجر الصَّلْدِ ، فإذا قُدِحَ لَاحَ شَرَرُهُ ، وتَلَهَّبَ وَمِيضُهُ
وَوَقَدَ تَصَرُّمُهُ ، وليست في أحد ، أقوى سَطْوَةً ، وأظهرَ تَوَقُّدًا ، وأعلى كُمُونًا ،
وأَسْرَعَ إليه بالعَيْبِ ، وتَطَرَّقِ الشَّيْنِ ، منها لمن كان في مِثْلِ سِنَّكَ من أَغْفَالٍ^(١)
الرجال وذوى العُنْفوانِ في الخدائَةِ ، الذين لم تقع عليهم سِمَاتُ الأُمُورِ ، ناطِقًا عليهم
لأثْحُمًا ، ظاهرًا عليهم وَشُمَمًا ، ولم تَمَحَّضْهُمْ^(٢) شَهَامَتَهَا ، مُظْهِرَةً للعامة فضلهم ، مُذْبِيعَةً
حُسْنِ الذِّكْرِ عنهم ، ولم يبلغ بهم الصَّيْتُ في الحُنْكَ مَسْتَمًا^(٣) يَدْفَعُونَ به عن
أنفسهم نواطِقَ ألسُنِ أهل البغى ، وموادَّ أبصارِ أهل الحسد .

ثم تعهد من نفسك لطيف عيب لازم لكثير من أهل السلطان والقدرة من
إبطارِ الذَّرْعِ^(٤) ونخوة الشرف والتَّيِّهِ وَعَيْبِ الصَّلْفِ ، فإنها تُسرع بهم إلى فساد
رأيهم ، وتهجين^(٥) عقولهم في مواطنَ بَحَّةٍ ، وأنحاءِ مضطربةٍ ، منها قلةٌ اقتدارهم
على ضبط أنفسهم في مواكبهم ومسايرتهم العامة ، فمن مُقْتَلِلٍ شخصه بكثرة الالتفات
عن يمينه وشماله ، تَزْدَهِيهِ الخِيفَةُ ، وَيُبْطِرُهُ إِجْلَابُ^(٦) الرجالِ حَوْلَهُ ، ومن مُقْبِلٍ في
موكبه على مداعبةٍ مُسَايرِهِ بِالْفَاكَةِ^(٧) له والتضاحكِ إليه ، والإيجاف^(٨) في السيرِ
مَرِحًا ، وتحريكِ الجوارحِ مَذْمُورًا ، يَخَالُ أن ذلك أمرٌ له وأَحْتُ^(٩) لَطِيئَتِهِ ،

(١) أغفال جمع غفل كقفل وهو من لم يجرب الأمور ، وعنفوان الشباب : أوله .

(٢) من محضه الود وأحضه : أى أخلصه .

(٣) في المنظوم والمنثور « ولم يبلغ بهم الصمت في الحركة مستمعان » وهو تحريف ، والصلف :
مجاوزه قدر الظرف والادعاء فوق ذلك تكبراً ،

(٤) في المنظوم والمنثور « من أقطار الذرع » وفي صبح الأعشى « من أبطال الذرع » وفي مفتاح
الأفكار « من أبطال البدع » وأرى أن ذلك تحريف ، والصواب « من إبطار الذرع » ومعناه من
الذرع : أى القوة المبطرة : أى الداعية إلى البطر ، كما يدل عليه سياق الكلام .

(٥) التهجين : التقيح .

(٦) الجلب والجلبة بالتحريك : اختلاط الأصوات ، وقد جلبوا كنهروا وضربوا وأجلبوا وجلبوا .

(٧) في المنظوم والمنثور « بالمصاحبة له » والأولى أنسب وأولى .

(٨) وجف الفرس : عدا ، وأوجفه : أعداه ، والمرح بالتحريك : شدة الفرح والنشاط ، وفي

المنظوم والمنثور « مَرِحًا » . (٩) وفيه « وأخف » .

فَلتَحَسُنْ فِي ذَلِكْ هَيْئَتِكَ ، وَلتَجْمَلْ فِيهِ دَعَتُكَ ^(١) ، وَلْيَقِلَّ عَلَى مُسَايِرِكَ ^(٢) إِقْبَالَكَ ،
إِلَّا وَأَنْتَ مُطْرَقِ النَّظَرِ ، غَيْرِ مُلْتَمِتٍ إِلَى مَحَدِّثٍ ، وَلَا مَقْبَلِ عَلَيْهِ بِوَجْهِكَ فِي مَوْكِبِكَ
لِمَحَادِثِهِ ، وَلَا مُوَجِّفٍ ^(٣) فِي السَّيْرِ ، مُتَمَلِّقٍ لِمَوَارِحِكَ بِالتَّعْرِيكِ وَالِاسْتِنْهَاضِ ،
فَإِنْ حُسْنَ مَسَايِرَةِ الْوَالِي وَإِتْدَاعَهُ ^(٤) فِي تِلْكَ الْحَالَةِ دَلِيلٌ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ غُيُوبِ أَمْرِهِ
وَمُسْتَقَرِّ أَحْوَالِهِ .

وَاعْلَمْ أَنَّ أَقْوَامًا سَيُسْرِعُونَ إِلَيْكَ بِالسَّعَايَةِ ، وَيَأْتُونَكَ مِنْ قِبَلِ النَّصِيحَةِ ^(٥) ،
وَيَسْتَمِيلُونَكَ بِإِظْهَارِ الشَّفَقَةِ ، وَيَسْتَدْعُونَكَ بِالْإِغْرَاءِ وَالشُّبْهَةِ ، وَيُوطِئُونَكَ عِشْوَةَ ^(٦)
الْحَيْرَةِ ، لِيَجْعَلُوكَ لَهُمْ ذَرِيعةً إِلَى اسْتِنْسَاطِ الْعَامَةِ ، بِمَوْضِعِهِمْ مِنْكَ فِي الْقَبُولِ مِنْهُمْ ،
وَالْتَصْدِيقِ لَهُمْ عَلَى مَنْ قَرَفُوهُ ^(٧) بِتُهْمَةٍ ، أَوْ أَمْرَعُوا بِكَ فِي أَمْرِهِ إِلَى الظَّنِّ ، فَلَا
يَصِلَنَّ إِلَى مَشَافَهَتِكَ سَاعٍ بِشُبْهَةٍ ، وَلَا مَعْرُوفٍ بِتُهْمَةٍ ، وَلَا مَنْسُوبٍ إِلَى بِدْعَةٍ ،
فَيُعَرِّضُكَ لِإِيتَاغٍ ^(٨) دِينِكَ ، وَيَحْمِلُكَ عَلَى رِعْيَتِكَ بِمَا لِحَقِيقَةً لَهُ عِنْدَكَ ، وَيُلْحِقُكَ ^(٩)
أَعْرَاضَ قَوْمٍ لَا عِلْمَ لَكَ بِدِخْلِهِمْ ، إِلَّا بِمَا أَقْدَمَ بِهِ عَلَيْهِمْ سَاعِيًا ، وَأَظْهَرَ لَكَ مِنْهُمْ
مَنْتَصِحًا .

وَلِيَكُنْ صَاحِبَ شُرْطَتِكَ ، وَمَنْ أَحْبَبْتَ أَنْ يَتَوَلَّى ذَلِكَ مِنْ قُوَادِرِكَ ، إِلَيْهِ
إِنْهَاءٌ ^(١٠) ذَلِكَ ، وَهُوَ الْمَنْصُوبُ لِأَوْلَاكَ ، وَالْمَسْتَمْعُ لِأَقْوَابِلِهِمْ ، وَالْفَاجِحُ عَنْ
نِصَاحَتِهِمْ ، ثُمَّ لِيُنْزِلْ ذَلِكَ إِلَيْكَ عَلَى مَا يُرْفَعُ إِلَيْهِ مِنْهُ ، لِتَأْمُرَهُ بِأَمْرِكَ فِيهِ ، وَتَقِفَهُ عَلَى

- (١) وفيه « ولتعمل فيه رعيتك » وهو تحريف . (٢) وفيه « على مسائك » .
(٣) وفيه « ولا تخفف » . (٤) الانتداع : السكون والاستقرار . وفي المنظوم والمنثور
« وابتداعه » وهو تحريف . (٥) وفي صبح الأعشى « ويأتونك على وجه النصيحة » .
(٦) العشوة مثل العين : ركوب الأمر على غير بيان ، وهو يستأكل الضمياء : أي يأخذ أموالهم .
(٧) قرفه كضربه : أهمة ، والظنة : التهمة . (٨) أوتغ دينه بالإثم إيتاغاً : أفسده ، وفي
المنظوم والمنثور « فيعرضك لإياع دينك » .
(٩) ألحه : أطعمه اللحم . ودخل الرجل بالكسر والفتح : نيته ومذمبه ، والدخل بالفتح
ويحرك : العيب والريبة .
(١٠) وفي صبح الأعشى : « وليكن صاحب شرطتك المتولى لإنهاء ذلك المنسوب لأولئك ... »

رأيتك ، من غير أن يظهر ذلك للعامّة ؛ فإن كان صواباً نالتك حظوتُهُ^(١) ،
وإن كان خطأ أقدم به عليك جاهل ، أو فرطاً سمى بها كاذب ، فنالت الساعى^(٢)
منهما أو المظلوم عقوبة ، وبدّر^(٣) من واليك إليه نكال ، لم يعصب ذلك الخطأ بك ،
ولم تُنسب إلى تفريط ، وخالوت من موضع الدم فيه^(٤) ، مُحضراً إليه ذمتك
وصواب رأيتك .

وتقدّم إلى من تولى ذلك الأمر وتعتمد عليه فيه ، أن لا يُقدم على شيء ناظراً
فيه ، ولا يحاول أخذ أحد طارقاله ، ولا يعاقب أحداً منكلاً به ، ولا ينجلى سبيل
أحد صالحاً منه ، لإسحار^(٥) براءته ، وصحّة طريقته ، حتى يرفع إليك أمره ، ويُنهى
إليك قضيتَه ، على جهة الصدق ، ومنحى الحق ، ويقين الخبر ، فإن رأيت عليه سبيلاً
لمحبس^(٦) ؛ أو مجازاً لعقوبة ، أمرته بتولى ذلك من غير إدخاله عليك ، ولا مشافهته
لك منه ، فكان المتولى لذلك ، ولم يجر على يدك مكروه رأى ، ولا غلظة عقوبة ،
وإن وجدت إلى العفو عنه سبيلاً ، أو كان مما قرّف به خدياً ، كنت أنت المتولى
للإنعام عليه بتخدية سبيله ، والصفح عنه بإطلاق أمره ، فقوليت أجر ذلك
وامتحنقت ذخره ، وأنظقت لسانه بشكرك ، وطوّقت قومه خدك ؛ وأوجبت عليهم
حقك ؛ فقرنت بين خصلتين ، وأحرزت حظوتين : ثواب الله فى الآخرة^(٧) ، ومحمود
الذكر فى العاجلة .

(١) وفيه « نالتك خيرته » . (٢) وفي المنظوم والمنثور « فنالت الباغى منها » .

(٣) بدر أى سبق ، ولم يعصب : أى لم يقرب ولم يلصق .

(٤) بعد هذا فى المنظوم والمنثور « فافهم ذلك وتقدم إلى من تولى فلا يقدم على شيء ... الخ » .

(٥) أى لوضوح براءته ، من أسحر الرجل إذا برز إلى الصحراء ، وفى حديث على « فأصبر لعدوك »

وامض على بصيرتك « أى كن من أمره على أمر واضح منكشف .

(٦) أى حبس وهو مصدر ميسى .

(٧) وفى المنظوم والمنثور « قوليت أجر ذلك وذخره وتطلق لسانه بشكرك فقرنت خصلتين :

ثواب الله - الخ » .

ثم إياك وأن يصل إليك أحد من جُنْدِكَ وَجُلَسَائِكَ وَخَاصَّتِكَ وَبِطَانَتِكَ بِمَسْأَلَةٍ
يَكْشِفُهَا لَكَ ، أَوْ حَاجَةٍ يَبْدُهَاكَ^(١) بِطَلَبِهَا ، حَتَّى يَرْفَعَهَا قَبْلَ ذَلِكَ إِلَى كَاتِبِكَ الَّذِي
أَهْدَفْتَهُ^(٢) لَذَلِكَ ، وَنَصَبْتَهُ لَهُ ، فَيَعْرِضُهَا عَلَيْكَ ، مُنْهِيًا لَهَا عَلَى جِهَةِ الصَّدَقِ عَنْهَا ،
وَتَسْأَلُكَ عَلَى مَعْرِفَةٍ مِنْ قَدْرِهَا ، فَإِنْ أَرَدْتَ إِسْعَافَهُ بِهَا ، وَنَجَاحَ مَا سَأَلَ مِنْهَا ،
أَذِنْتَ لَهُ فِي طَلَبِهَا ، بِاسِطًا لَهُ كَنَفَكَ ، مُقْبِلًا عَلَيْهِ بِوَجْهِكَ ، مَعَ ظُهُورِ مَرُورِكَ بِمَا
سَأَلَكَ ، وَفُسْحَةٍ رَأَى ، وَبَسْطَةِ ذَرْعٍ ، وَطِيبِ نَفْسٍ ، وَإِنْ كَرِهْتَ قَضَاءَ حَاجَتِهِ ،
وَأَحْبَبْتَ رَدَّهُ عَنْ طَلِبَتِهِ^(٣) ، وَثَقُلَ عَلَيْكَ إِجَابَتُهُ إِلَيْهَا وَإِسْعَافُهُ بِهَا ، أَمَرْتَ كَاتِبَكَ
فَصَفَحَهُ^(٤) عَنْهَا ، وَمَنَعَهُ مِنْ مُوَاجَهَتِكَ بِهَا ، نَخَفْتَ عَلَيْكَ فِي ذَلِكَ الْمُثُونَةَ ، وَحَسُنَ لَكَ
الذِّكْرُ ، وَلَمْ يُنْشَرْ عَنْكَ تَجْهِيمٌ^(٥) الرَّدِّ ، وَيَنْتَلِكُ سُوءَ الْقَالَةِ فِي الْمَنْعِ ، وَحَمِلَ عَلَى كَاتِبِكَ
فِي ذَلِكَ لِأَثْمَةٍ^(٦) أَذِنْتَ مِنْهَا بَرِيءٌ السَّاحَةِ .

وَكَذَلِكَ فَلْيَكُنْ رَأْيُكَ وَأَمْرُكَ فِيمَنْ طَرَأَ عَلَيْكَ مِنَ الْوُقُودِ ، وَأَتَاكَ مِنَ الرُّسُلِ ،
فَلَا يَصِلَنَّ أَحَدٌ مِنْهُمْ إِلَّا بَعْدَ وُصُولِ عِلْمِهِ إِلَيْكَ ، وَعِلْمٌ مَا قَدِمَ لَهُ عَلَيْكَ ، وَجِهَةٌ مَا هُوَ
مَكَلَّمُكَ بِهِ ، وَقَدْرٌ مَا هُوَ سَائِلُكَ إِيَّاهُ إِذَا هُوَ وَصَلَ إِلَيْكَ ، فَأَصْدَرْتَ رَأْيَكَ فِي حَوَائِجِهِ^(٧)
وَأَجَلْتَ فِكْرَكَ فِي أَمْرِهِ ، وَاخْتَرْتَ مُعْتَزِمًا عَلَى إِرَادَتِكَ فِي جَوَابِهِ^(٨) ، وَأَنْفَذْتَ
مَصْدُورَ رَوِيَّتِكَ فِي مَرْجُوعِ مَسْأَلَتِهِ ، قَبْلَ دُخُولِهِ عَلَيْكَ ، وَعِلْمِهِ بِوُصُولِ حَالِهِ
إِلَيْكَ ، فَرَفَعْتَ عَنْكَ مَثُونَةَ الْبَدِيهَةِ ، وَأَرَخَيْتَ عَنْ نَفْسِكَ خِنَاقَ^(٩) الرُّوبِيَّةِ ،
وَأَقْدَمْتَ عَلَى رَدِّ جَوَابِهِ بَعْدَ النَّظَرِ وَإِجَالَةِ الْفِكْرِ فِيهِ ، فَإِنْ دَخَلَ إِلَيْكَ أَحَدٌ

(١) بَدَّهَ بِالْأَمْرِ كَنَعَهُ : اسْتَقْبَلَهُ بِهِ مَفَاجَأَةً . (٢) أَرَادَ : نَصَبْتَهُ كَالْهَدَفِ .

(٣) الْعُظْبَةُ : مَا طَابَتْهُ . (٤) صَفَحَ السَّائِلَ وَأَصْفَحَهُ : رَدَّهُ .

(٥) تَجْهِيمٌ وَتَجْهِيمٌ لَهُ : اسْتَقْبَلَهُ بِوَجْهِهِ كَرِيهًا ، وَهَذِهِ الْجُمْلَةُ وَمَا بَعْدَهَا سَاقِطَةٌ مِنَ الْمَنْظُومِ وَالْمَنْشُورِ .

(٦) اللَّأْمَةُ : اللَّوْمُ .

(٧) فِي الْمَنْظُومِ وَالْمَنْشُورِ : فِي جَوَابِهِ . (٨) هَذِهِ الْجُمْلَةُ سَاقِطَةٌ مِنَ الْمَنْظُومِ وَالْمَنْشُورِ .

(٩) الْخِنَاقُ : الْحَبْلُ يَخْنُقُ بِهِ .

منهم فسكّامك بخلاف ما أنهى إلى كتابك ، وطوى عنه حاجته قبلك ، دفعته عنك دفعا جميلا ، ومنعته جوابك منعاً وديعاً^(١) ، ثم أمرت حاجبك بإظهار الجفوة له والغلظة عليه ، ومنعه من الوصول إليك ، فإن ضبطك لذلك مما يحكم لك تلك الأسباب ، صارفاً عنك مئونتها ، ومسهلاً عليك مستصعبها^(٢) ، إن شاء الله .

احذر تضييع رأيك ، وإهلاك أدبك في مسالك الرضا والغضب ، واعتوارها^(٣) إياك ، فلا يزددهيّنك إفراط عجب تستخفك روائعه^(٤) ، ويسهوبك منظره ، ولا يدرن منك ذلك خطأ ونزق خفة لمكروه إن حلّ بك أو حادث إن طرأ عليك ، وليكن لك من نفسك ظمري ملجأ تتحرز به من آفات الردى ، وتستعده^(٥) في مهم نازل ، وتتعب به أمورك في التدبير ، فإن احتجت إلى مادة من عقلك ، وروية من فكريك ، أو انبساط من منطقتك ، كان انخيازك إلى ظهريك مُزدادا مما أحبت الامتياح منه^(٦) والامتياز ، وإن استدبرت^(٧) من أمورك بوادِرُ جهل ، أو مضى زلّ ، أو معاندة حق ، أو خطل تدبير ، كان ما احتجنت^(٨) من رأيك مذكرا لك عند نفسك ، وظهريا قويا على ردّ ما كرهت ، وتخفيفا لمؤنة الباغين عليك في القالة وانتشار الذكر ، وحسنا من غلُوب الآفات عليك ، واستعلائها على أخلاقك .

وامنع أهل بطانتك وخاصة خدمك وعامة رعيتك من استلحام^(٩) أعراض

(١) في المنظوم والنتور « منعاً وديعاً » .

(٢) هذه الجملة ساقطة من المنظوم والنتور . (٣) أي تداولها .

(٤) جمع رائع ، من راعه الشيء إذا أعجبه ، واستهواه ، استماله .

(٥) استعده فلانا من نفسه : ضمنه حوادث نفسه ، وفي صبح الأعشى « وتستعده » وفي كتب

اللغة : اعتضد به : استعان به ، أقول والاستعضاد كالاستمانة : أي تتخذ عضداً لك .

(٦) امتاح : استقى ، وامتار لأهله : جاب لهم الميرة بالكسر أي الطعام .

(٧) هكذا في الأصول التي نقلت منها ، ولعل صوابه « أدبرت » بمعنى وقمت ولا يستطاع تلافيتها ،

ويستأنس لذلك بقوله بعد « أو مضى زال » أو صوابه ابتدرت أي ابتدرتك بوادِرُ جهل ، وابتدره الأمر

عاجله ، والبادرة : ما يبدر من حديثك في الغضب من قول أوفعل .

(٨) من احتجنت المال : أي ضمه واحتواه . (٩) معناه أكل لحومهم بالغبية ، وفي كتب اللغة

استلحم الطريدة : تبعها ، واستلحم الطريق : ركب أوسعها واتبعه .

الناس عندك بالغيبة ، والتقرب إليك بالسعاية ، والإغراء من بعض ببعض ، والنميمة إليك بشيء من أحوالهم المستقرّة عنك ، أو التحميل لك على أحد منهم بوجه النصيحة ومذهب الشفقة ، فإن ذلك أبلغ بك سُمُوا إلى منال الشرف ، وأعون لك على محمود الذكر ، وأطلق لعنان الفضل ، في جزالة الرأي ، وشرف المهمة ، وقوة التقدير .

وأملك نفسك عن الانبساط في الضحك والانفهاق^(١) ، وعن القطوب بإظهار الغضب وتفحله ، فإن ذلك ضعف عن ملك سؤرة^(٢) الجهل ، وخروج من انتحال أسم الفضل ، وليكن ضحكك تديبا أو كثيرا^(٣) في أحيان ذلك وأوقاته ، وعند كل راحة مستخف مطرب^(٤) ، وقطوبك إطراقا في مواضع ذلك وأحواله ، بلا عجلة إلى اللسطة ، ولا إسراع إلى الطيرة ، دون أن يكتفها روية الحلم ، وتملك عليها بادرة الجهل .

إذا كفت في مجلس مذك وحيث حضور العامة مجلسك ، فإياك والرمي ببصرك إلى خاص من قوادك ، أو ذى أثره^(٥) عندك من حشمتك ، وليكن نظرك مقسوما في الجميع ، وإعارتك^(٦) سمعك ذا الحديث بدعة هادئة ووقار حسن ، وحضور قهم مستجمع ، وقلة تضجر بالحدث ، ثم لا يبرح وجهك إلى بعض قوادك وحرصك متوجها بنظر ركين ، وتفقد محض ، فإن وجهك إليك أحد منهم نظره محذقا^(٧) ، أو رماك ببصره ملحًا ، فاحفض عنه إطراقا جميلا باتداع^(٨) وسكون ، وإياك والنسرع في الإطراق ، والخفة في تصريف النظر ، والإلحاح على من نصد إليك في مخاطبته إياك راميا بنظره .

(١) انفق الشيء : اتسم ، وقطب كضرب قطبا وقطوبا . زوى ما بين عينيه وكلح كقطب ، وانتحل قول غيره وانتحل : ادغاه لنفسه . (٢) ملك مثلك الميم مصدر ملك ، وسورة الجهل : حدثه . (٣) كثر عن أسنانه كضرب كثيرا : أبدى ، يكون في الضحك وغيره ، وفي المنظوم والنشور « أو كبرا » وهو تحريف .

(٤) وفيه « وعند كل رأي ملين ومستخف مطرب » وهو تحريف .

(٥) ذى أثره بالضم والكسر وأثرة بالتحريك : أي من اختصاصته بفضلك وفدته .

(٦) أعاره سمعه : أصفى إليه ، وفي صبح الأعشى ومفتاح الأفكار « وإراعتك » وهو تحريف .

(٧) حدق إليه بالنظر : شدد النظر إليه ، وفي المنظوم والنشور « حدنا » .

(٨) وفيه « يابداع » وهو تحريف .

وأعلم أن تصفحك وجوه جلسائك ، وتفقدك مجالس قوادك (١) ، من قوة التدبير ، وشهامة القلب ، وذكاء الفطنة ، واندياب السنة ، فتفقد ذلك عارفاً بمن حضرك وغاب عنك ، عالماً بمواضعهم من مجلسك ، ثم أعد بهم عن ذلك ، سائلاً لهم من أشغالهم التي منعتهم من حضور مجلسك ، وعاقبتهم بالتخلف عنك إن شاء الله .

إن كان أحد من حشمك وأعوانك تثق منه بغيب ضمير ، وتعرف منه لين طاعة ، وتشرف منه على صحة رأى ، وتأمنه على مشورتك ، فأياك والإقبال عليه في كل حادث يرد عليك ، والتوجه نحوه بنظرك عند طوارق ذلك ، وأن تریه أو أحداً من أهل مجلسك أن بك إليه حاجة موحشة ، وأن ليس بك عنه غي في التدبير ، أو أنك لا تقضى دونه رأياً ، إشرافاً كما منك له في رويتك ، وإدخالاً منك له في مشورتك واضطراراً منك إلى رأيه في الأمر يعرفوك (٢) ، فإن ذلك من دخائل العيوب التي ينتشر بها سوء القالة عن نظرائك ، فانفها عن نفسك خائفاً لا اعتلاقها (٣) ذكرك ، واحجبها عن رويتك ، قاطعاً أطماع أوليائك عن مثلها عندك ، أو غلوبهم عليها منك وأعلم أن للمشورة موضع الخلوة وانفراد النظر ، والكل (٤) أمر غاية تحيط بمحدوده وتجمع معاليه ، فابغها محرزاً لها ، ورُمها طالبا لنيها (٥) ، وإياك والقصور عن غايتها ، أو المجز عن دركها ، أو التفريط في طلبها إن شاء الله تعالى .

إياك والإغرام (٦) بكثرة السؤال عن حديث مما أعجبك ، أو أمر مما أزهاك ، أو القطع لحديث من أرادك بحديثه حتى تنقضه عليه بالخوض في غيره ، أو المسألة عما ليس منه ، فإن ذلك عند العامة منسوب إلى سوء الفهم ، وقصر الأدب عن تناول

(١) وفي المنظوم والمنثور « وأعلم أن تصفحك وجوه قوادك ، من قوة التدبير ، وشهامة القلب ، فتفقد ذلك ... » . (٢) أى يمدبك وينزل بك ، وفي المنظوم والمنثور « واضطراراً إلى رأيه » . (٣) اعتلقه : تعلق به ، وفي المنظوم والمنثور « لا اعتقادها ذكرك » . (٤) هذه الجملة ساقطة من المنظوم والمنثور . (٥) فيه « طالبا لسانها ، وإياك والقصور عن غايتها والإفراط في طلبها » . (٦) أغرم بالشيء : أولم به .

محاسن الأمور والمعرفة بمساوئها، ولكن أنصت لمحدثك، وأرعه سمعك، حتى يعلم أنك قد فهمت حديثه، وأحطت معرفة بقوله، فإن أردت إجابته فمن معرفة بحاجته وبعد علم بطابته، وإلا كنت عند انقضاء كلامه كالمتمل^(١) من حديثه بالتبسم والإغضاء، فأجزى^(٢) عليك الجواب، وقطع عنك السن العتب.

إياك وأن يظهر منك تبرؤ بطول مجلسك، وتضجر ممن حضرك، وعليك بالثبوت عند سورة الغضب، وحماية الأنف، وملا ل الصبر في الأمر تستعجل به، واعمل تأمر بإنفاذه، فإن ذلك سخر شأن^(٣)، وخفة مردية، وجهالة بادية، وعليك بثبوت المنطق، ووقار المجلس، وسكون الريح، والرفض لحشو الكلام، والترك لفضوله، والإغرام^(٤) بالزيادات في منطقتك، والترديد للفظك من نحو: اسمع، وافهم عني، زيا هنا^(٥)، وألا ترى. أو ما يلهمج به من هذه الفضول المقصرة بأهل العقل، الشائنة لذوى الحجا في المنطق^(٦)، المنسوبة إليهم بالعنى، المردية لهم في الذكر.

وخصال من معايب الملوك، والشوكة عنها غيبة النظر^(٧) إلا من عرفها من أهل الأدب، وقلمًا حامل لها، مضطلع^(٨) بها، صابر على ثقلها، آخذ لنفسه

(١) في صبح الأمشى « كالتعجب » .

(٢) مسهل عن أجزاء : أى أغنى .

(٣) في المنظوم والمنثور « سخر سائر » .

(٤) معطوف على فضوله : أى وعليك بالترك للإغرام بالزيادات الخ » .

(٥) هن : كلمة يكنى بها عن اسم الإنسان ، فإذا ناديت مذكرا بغير التصريح باسمه قلت : يا هن أقبل ، ولك أن تدخل فيه الهاء فتقول يا هنه (بفتح النون وسكون الهاء) كما تقول له وماليه، ولك أن تشبع الحركة فتقول الألف فتقول يا هناء أقبل (وتزاد الألف والهاء في آخره في النداء خاصة) وهذه الهاء تصيرتاء في الوصل ، وتضم على تقدير أنها آخر الاسم وتكسر لاجتماع الساكنين، ولك أن تقول يا هناء أقبل بها مضمومة ، وفي المنظوم والمنثور « من نحو اسمع أو اعجل أو ألا ترى » .

(٦) هذه الجملة ساقطة من المنظوم والمنثور .

(٧) فيه « والشوكة عيبها عند النظر » وهو تحريف .

(٨) أى قوى على احتمالها ، والثقل : الحمل الثقيل .

بجوامعها ، فانفها عن نفسك بالتحفظ منها ، واملك عليها اعتيادك^(١) إياها معتفيا بها ،
 منها كثرة التنخم والتبصق والتنخع والثؤباء والتمطى والجشاء وتحريك القدم وتنقيض
 الأصابع والعبث بالوجه واللحية والشارب والمحصرة وذؤابة السيف ، والإيماض
 بالنظر والإشارة بالطرف إلى أحد من خدمك بأمر إن أردته ، والسرار في مجلسك ،
 والاستعجال في طعامك وشربك ، وليكن طعامك متدعا^(٢) ، وشربك أنفاسا ، وجرعك
 مصا ، وإياك والتسرع إلى الأيمان فيما صغر أو كبر من الأمور ، والشثيمة بقول :
 يا هناه^(٣) ، أو الغمزة^(٤) لأحد من خدمك وخاصتك ، بتسويغهم مقارفة الفسوق
 بحيث تحضرك أو دارك وفناؤك ، فإن ذلك كله مما يتبع ذكره ، ويسوء موقع القول
 فيه ، وتحمّل عليك معاييه ، وينالك شينته ، وينشر عنك سوء نبيه ، فاعرف ذلك
 متوقيا له ، واحذره مجانبيا لسوء عاقبته .

استكثر من فوائد الخير ، فإنها تنشر المحمّدة ، وتُقيل العثرة ، واصطبر على
 كظم الغيظ ، فإنه يُورث الراحة^(٥) ، ويؤمن الساحة ، وتعهد العامة بمعرفة دخلهم ،
 وتبطن^(٦) أحوالهم ، واستنارة دقائقهم ، حتى تكون منها على مرّ أعي العين ، وبقين
 الخبرة ، فتنعش عديمهم ، وتجبر كسيرهم ، وتقيم أودمهم ، وتعلم جاهلهم ، وتستصلح

(١) في المنظوم والمنثور « واملك عنها اعتيادك معيا بها بكثرة التنخم والتبصق والتنخع والثؤباء
 والجشاء والتمطى وتنقيض الأصابع وتحريكها والعبث باللحية والشارب... الخ » وتنخم : دفع بشيء من صدره
 أو أنفه ، وبصق وبق وبقزق واحد ، والبصاق والبساق والبراق كذلك ، وتنخم : رمى سخامته والنخامة
 والنخاعة بالضم : ما يخرج من الصدر أو من الحيشوم ، والثؤباء : الثؤوب ، قال مصحح القاموس :
 ونقل صاحب المبرز عن ابن مسجل « أنه يقال ثؤباء بالضم فالكون ، نقله الفهرى وغيره ، وهو غريب »
 وإنشاء : اسم من التجشؤ وهو تنفس المعدة ، وفي كتب اللغة : أنقض أصابعه : ضرب بها لتصوت ، أقول :
 ونقض المضعف كأنقض المهموز ، والمحصرة : عصا صغيرة يثير بها الملك إذا خاطب ، وذؤابة السيف :
 حلاقة قائمة ، وأومض : سارق النظر وأشار إشارة خفية ، والسرار : المسارة ، وطعمه كسعه طعاما وطعاما .

(٢) وفي المنظوم والمنثور « مبتدعا » وهو تحريف .

(٣) في صبح الأعشى « يقول : يا ابن هناه » وفي المنظوم والمنثور « يا ابن الهيبة » .

(٤) معناها هنا الإطماع ، يقال في هذا الأمر غمزة ومنغز : أي مطعم (أو مطمن أيضا) .

(٥) في المنظوم والمنثور « يورث العز » . (٦) فيه « وينظر أحوالهم » .

عَسِيدِم ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ نِعْمِكَ بِهِمْ يُورِثُكَ الْعِزَّةَ ، وَيَقْدِمُكَ فِي الْفَضْلِ ، وَيُبْقِي لَكَ
إِسَانَ صِدْقٍ فِي الْعَاقِبَةِ^(۱) ، وَيُحْرِزُكَ لِكَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ ، وَيُرِدُّ عَلَيْكَ عَوَاطِفَهُمُ الْمُسْتَنْفِرَةَ
مِنْكَ ، وَقُلُوبَهُمُ الْمُنْتَحِيَّةَ^(۲) هُنَا .

قِس^(۳) بَيْنَ مَنَازِلِ أَهْلِ الْفَضْلِ فِي الدِّينِ وَالْحِجَابِ وَالرَّأْيِ وَالْعَقْلِ وَالتَّدْبِيرِ وَالصَّبْرِ
فِي الْعَامَةِ ، وَبَيْنَ مَنَازِلِ أَهْلِ النَّقْصِ فِي طَبَقَاتِ الْفَضْلِ وَأَحْوَالِهِ ، وَالخَمُولِ عِنْدَ مُبَاهَاةِ
النَّسَبِ^(۴) ، وَانظُرْ بِصُحْبَةِ أَيُّهِمْ تَنَالُ مِنْ مَوَدَّتِهِ الْجَمِيلِ ، وَتَسْتَجْمَعُ لَكَ أَقَاوِيلَ الْعَامَةِ
عَلَى التَّفْضِيلِ ، وَتَبْلُغُ دَرَجَةَ الشَّرَفِ فِي أَحْوَالِكَ الْمُتَصَرِّفَةِ بِكَ ، فَاعْتَمِدْ عَلَيْهِمْ مَدْخِلًا
لَهُمْ فِي أَمْرِكَ ، وَآثِرْهُمْ بِمَجَالِسَتِكَ لَهُمْ مُسْتَمْعًا مِنْهُمْ ، وَإِيَّاكَ وَتَضْيِيعَهُمْ مُفَرِّطًا ،
وَإِهْمَالَهُمْ مُضِيْعًا .

هَذِهِ جَوَامِعُ خِصَالٍ قَدْ لَخَّصَهَا لَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَفْسَّرًا ، وَجَمَعَ لَكَ شَوَاطِئَهَا^(۵)
مُؤَلَّفًا ، وَأَهْدَاها إِلَيْكَ مُرَشِدًا ، فَمِثْ عِنْدَ أَوْامِرِهَا ، وَتَنَاءً عَنْ زَوَاجِرِهَا ، وَتَثَبَّتْ
فِي مَجَامِعِهَا ، وَخَذَ بِيَوْثَاقِ عُرَاها ، تَسْلِمًا مِنْ مَعَاظِبِ الرَّذْيِ ، وَتَنَالُ أَنْفَسَ الْحُظُوظِ ،
وَرَغِيبَ^(۶) الشَّرَفِ ، وَأَعْلَى دَرَجَةِ الذِّكْرِ ، وَتُوَثِّلُ سَطْوَةَ الْعِزِّ^(۷) ، وَاللَّهُ يَسْأَلُ لَكَ
أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ حُسْنَ الْإِرْشَادِ ، وَتَتَابَعُ الْمَزِيدِ ، وَبَلُوغَ الْأَمَلِ ، وَأَنْ يَجْعَلَ عَاقِبَةَ ذَلِكَ
بِكَ إِلَى غَيْبَةِ يَسْوَعُكَ إِيَّاهَا ، وَعَافِيَةَ يُحِلُّكَ أَكْنَافِهَا ، وَنِعْمَةً يُلْهِمُكَ شُكْرَها ، فَإِنَّهُ
الْمَوْفَّقُ لِاخْتِيَارِ ، وَالْمُعِينُ عَلَى الْإِرْشَادِ ، مِنْهُ تَمَامُ الصَّالِحَاتِ ، وَهُوَ مُؤْتِي الْحَسَنَاتِ ، عِنْدَهُ
مِفْتَاحُ الْخَيْرِ وَبِيَدِهِ الْمَلِكُ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

(۱) فِيهِ « فِي الْعَامَةِ » . (۲) فِيهِ « الْمُسْتَجِنَّة » . (۳) فِيهِ « فَبَيْنَ » .
(۴) فِيهِ « وَالْجَمُودِ عِنْدَ مَنَاهَا بِأَهْلِ الْحَسَبِ وَنَظَرِ فَصِيحَةِ أَمَمِ تَنَالُ مَوَدَّةَ الْجَمِيعِ » وَالْعِبَارَةُ عَرَفَةٌ .
(۵) فِيهِ « شَوَاطِئُهَا » وَالْأَوَّلَى أَصَحُّ وَأَنْسَبُ لِقَوْلِهِ « مُؤَلَّفًا » .
(۶) فِيهِ « وَمَزِيَّةُ الشَّرَفِ » وَالرَّغِيبُ : الْمَرْغُوبُ فِيهِ .
(۷) وَرَدَّتْ هَذِهِ الْجُمْلَةُ فِي صَبْحِ الْأَعْيُنِ ، هَكَذَا « وَتَأْتِلُ سَطْرَ الْعِزِّ » مَعَ عَلَامَةِ تَوْقُفٍ ، وَقَدْ
صَلَحَتْهَا كَمَا تَرَى ، وَأَثَلَهُ : أَصْلُهُ وَقَوَاهُ .

فإذا أفضيت نحوَ عدوك ، واعتزمت على لقائهم ، وأخذت أهبة قتالهم ، فاجعل دِعَامَتَكَ التي تلجأ إليها ، وثِقَتَكَ التي تأملُ النجاةَ بها ، ورُكْنَكَ الذي ترتجى به مَنَالَةَ الظفرِ ، وتَكْتَمِفُ^(١) به لمعالقِ الحذرِ ، تقوى الله عز وجل ، مستشعراً لها بمراقبته ، والاعتصامِ بطاعته ، متبِعاً لأموه ، محتنباً لسخطه ، محتذياً سنته ، والتوقى لعاصيه في تعطيل حدوده ، وتعدى شرائعه ، متوكلاً عليه فيما صمدت^(٢) له ، واثقاً بنصره فيما توجهت نحوه ، متبرئاً من الحول والقوة فيما نالك من ظفر ، وتلقاك من عز ، راغباً فيما أهاب^(٣) بك أميرُ المؤمنين إليه من فضل الجهاد ، ورعى بك إليه ، محمود الصبر فيه عند الله عز وجل من قتال عدو الله للمسلمين ، أكلبه^(٤) عليهم ، وأظهره عداوة لهم ، وأفدحه ثقلاً لعامتهم ، وآخذه بريقهم^(٥) ، وأعلاه عليهم بغيا ، وأظهره فيهم فسقا وجوراً ، وأشدّه على فيهم الذي أصاره الله لهم^(٦) وفتحهم عليهم مثنوّة وكتلاً^(٧) والله المستعان عليهم ، والمستنصر على جماعتهم ، عليه يتوكل أميرُ المؤمنين ، وإياه يستصرخ عليهم ، وإليه يفوض أمره ، وكفى بالله وليّاً وناصرّاً ومعيناً ، وهو القوى العزيز .

ثم خذ من معك من تُبَاعِكَ^(٨) وجُنْدِكَ بكف مَعَرَّتِهِمْ ، ورد مُسْتَعْلِي جَوْرِهِمْ^(٩) ، وإحكامِ خَلْلِهِمْ ، وضَمِّ منْدَشِرِ قَوَاصِيهِمْ ، ولم شَعَثِ أَطْرَافِهِمْ ،

(١) معناه : وتنحصر به ، واشتقاقه من الكهف وهو الوزر والملجأ ، يقال : فلان كهف أهله أي ملجأ لهم . (٢) صمده وصد إليه قصده ، ومنه الصمد بالتحريك : أي السيد الذي يصد إليه في الحوائج .

(٣) أهاب به : دعاه ، من أهاب بالإبل ، إذا دعاها بقوله : هاب هاب .

(٤) أي أشدهم عليه وآذاهم له يقال : كلب الدهر كفرح كلباً بالتحريك : إذا ألح عليهم ، واشتد وكاب الشتاء : اشتد أيضاً ، ودفعت عنك كلب فلان : أي شره وأذاه .

(٥) الرق بالكسر : جبل فيه عدة عرى تشد به البهم ، كل عروقة ربة بالكسر والفتح .

(٦) في المنظوم والمنثور « أصاده الله لهم مثنوّة » وما بعد ذلك ساقط .

(٧) الكل : النقل .

(٨) تباع جمع تابع ، وفي المنظوم والمنثور « من تبعك » .

(٩) في صبيح الأعشى « ورد مشتمل جهلهم ، وإحكام ضياع عملهم » .

وَحُدْمٌ^(١) بِن مَرُوا بِهِ مِنْ أَهْلِ ذِمَّتِكَ وَمَلَّتِكَ بِحُسْنِ السُّبُورَةِ ، وَعَفَّةُ الطُّعْمَةِ ، وَدَاعَةٌ الْوَقَارِ ، وَهَدَى الدَّعَةَ ، وَجَامٌ^(٢) النَّفْسِ ، مُحْكَمٌ ذَلِكَ مِنْهُمْ ، مَتَفَقِّدًا لَهُمْ فِيهِ تَفَقُّدَكَ إِيَّاهُ مِنْ نَفْسِكَ .

ثُمَّ اصْتَدَّ^(٣) لَعْدُوكَ الْمُدَّعَى بِالْإِسْلَامِ خَارِجًا مِنْ جَمَاعَةِ أَهْلِهِ ، الْمُنْتَحِلِ وَلايَةَ الْدِينِ مُسْتَعِجِلًا لِدَمَاءِ أَوْلِيَائِهِ ، طَاعِنًا عَلَيْهِمْ ، رَاغِبًا عَنْ سُدَّتِهِمْ ، مَفَارِقًا لِشِرَائِعِهِمْ ، يَبْفِيهِمُ الْفَوَائِلَ ، وَيَنْصِبُ^(٤) لَهُمُ الْمَكَائِدَ ، أَضْرَمُ حِتْدًا عَلَيْهِمْ ، وَأَرْصَدُ عِدَاوَةً لَهُمْ ، وَأَطْلَبُ لِفِرَاتٍ فُرُصِهِمْ مِنَ التُّرْكِ^(٥) وَأُمَمِ الشَّرْكِ وَطُرَاغِي الْمَلَلِ ، يَدْعُو إِلَى الْمَعْصِيَةِ وَالْفُرْقَةِ وَالرُّوقِ مِنْ دِينِ أَقْبَهُ إِلَى الْفِتْنَةِ ، مَخْتَرِعًا بِهَوَاهِ الْأَدِينِ الْمُنْتَحِلَةَ ، وَالْبِدْعَ الْمُتَفَرِّقَةَ ، خَسَارًا وَتَخْسِيرًا ، وَضَلَالًا وَإِضْلَالًا ، بِغَيْرِ هُدَى ، مِنْ اللَّهِ وَلَا بَيَانَ ، سَاءَ مَا كَسَبَتْ يَدَاهُ ، وَمَا اللَّهُ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ، وَسَاءَ مَا سَوَّلَتْ لَهُ نَفْسُهُ الْأَمَّارَةَ بِالسُّوءِ ، وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِ بِالْمِرْصَادِ ، وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيُّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ .

حَصِّنْ^(٦) جَنْدَكَ ، وَاشْكُمُ نَفْسَكَ بِطَاعَةِ اللَّهِ فِي مَجَاهِدَةِ أَعْدَائِهِ ، وَارْجُ نَصْرَهُ ، وَتَنْجِزْ مَوْعُودَهُ ، مَتَقَدِّمًا فِي طَلَبِ ثَوَابِهِ عَلَى جِهَادِهِمْ ، مَعْتَرِضًا فِي ابْتِغَاءِ الْوَسِيلَةِ إِلَيْهِ عَلَى لِقَائِهِمْ ، فَإِنَّ طَاعَتَكَ إِيَّاهُ فِيهِمْ ، وَمُرَاقِبَتَكَ لَهُ ، وَرَجَاءَكَ نَصْرَهُ ، مَسْمُوكٌ لَكَ وَعُورَةٌ^(٧) ، وَعَاصِمٌكَ مِنْ كُلِّ سُوءٍ^(٨) ، وَمَنْجِيكَ مِنْ كُلِّ هَوَاةٍ ، وَنَاعِشُكَ^(٩) مِنْ كُلِّ صَرْعَةٍ ، وَمُقِيلُكَ مِنْ كُلِّ كَبُورَةٍ ، وَدَارِي^(١٠) عَنْكَ كُلَّ شُبْهَةٍ ، وَمَذْهِبٌ عَنْكَ لَطِخَةَ

(١) فِيهِ « وَتَقْيِيدُهُمْ عَنْ مَرُوا بِهِ » . (٢) فِيهِ « وَجَامُ الْمُسْتَجِمِ » وَالْجِهَامُ : الرَّاحَةُ ، إِوْجُمُ مَاؤُهُ وَاسْتَجِمَ : كَثُرَ وَاجْتَمَعَ . (٣) وَرَدَّ هَذَا الْفِعْلُ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ مِنْ بَابِ ضَرْبٍ ، وَفِي مَخْتَارِ الصَّحَاحِ مِنْ بَابِ نَصْرِ .

(٤) وَهَذَا الْفِعْلُ أَيْضًا وَرَدَّ فِي اللِّسَانِ وَمَخْتَارِ الصَّحَاحِ وَالْمَصْبَاحِ مِنْ بَابِ ضَرْبٍ وَفِي الْقَامُوسِ « وَنَصَبَهُ الْمَرَضُ يَنْصِبُهُ بِالْكَسْرِ : أَوْجَعَهُ ، وَالشَّيْءُ وَضَعَهُ وَرَفَعَهُ » وَعَلَى هَامِشِهِ « أَيُّ وَنَصَبَ الشَّيْءُ مِنْ بَابِ كَتَبَ فَلَيْسَ مِنْ بَابِ مَا قَبْلَهُ » قَالَ الشَّيْخُ نَصْرٌ ، فَتَأَمَّلْ .

(٥) وَفِي الْمَنْظُومِ وَالْمَشُورِ « وَأَرْصَدُ عِدَاوَةَ لَهُمْ مِنَ التُّرْكِ . الْخ » .

(٦) فِي الْمَنْظُومِ وَالْمَشُورِ « حَضَّ جَنْدَكَ » . (٧) وَفِيهِ « وَعُودُهُ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٨) وَفِيهِ « سَيْئَةٌ » . (٩) بِقَالَ : نَفْسُهُ اللَّهُ كَنَفَهُ وَأَنْفُسُهُ وَنَفْسُهُ : أَيُّ رَفَعَهُ . (١٠) أَيُّ دَافِعٌ .

كلُّ شكٍّ ، ومُؤمِّيك بكلِّ أيدٍ^(١) ومَكيدة ، ومُعزُّك في كلِّ مُعترَك^(٢) قتالٍ ، وموئيدك في كلِّ مجمَع لقاء ، وكأبروك عند كلِّ فتنَةٍ مُعشِية^(٣) ، وحافظك^(٤) من كلِّ شبهة مُردية ، واللهُ وليُّ أمير المؤمنين فيك ، والمستخلف على جنودك ومن معك^(٥) .

اعلم أن الظفرَ ظفران : أحدهما - وهو أعمُّ منفعةً ، وأبلغُ في حُسنِ التصرُّقِ قائلٌ ، وأخوطةُ سلامةٌ وأتمُّ عافيةً ، وأعودُه^(٦) عاقبةٌ ، وأحسنُ في الأمورِ مَوْرِدًا ، وأعلاه في الفضيل^(٧) شرقًا ، وأصحُّه في الروبة^(٨) حَزْمًا ، وأسلمُه عند العامة مَصْدَرًا - ما نيلَ بِسلامة الجنود ، وَحُسنِ الحيلة ، ولُطفِ المَكيدة ، وَيُمنِ النَّقيبة^(٩) ، واستنزال طاعة ذوى الصُّدوف^(١٠) ، بغير إخطار^(١١) الجيوش في وَقْدَةِ جَمْرَةِ الحرب ، ومنازلة^(١٢) الفُرسان في معترَك الموت ، وإن ساعدك الحظُّ ، ونالك مزية السعادة في الشرف ، ففى مُخاطرة التَّنفِ مَكروه المصائب ، وهِضاضُ السيوف ، وألمُ الجراح ، وقِصاصُ الحروب وسجَّالها^(١٣) بمقاورة أبطالها ، على أنك لا تدرى لأى الفريقين

(١) الأيد : القوة ، آديئيد : اشتد وقوى .

(٢) هذه الجملة ساقطة من المنظوم والمنثور .

(٣) وهذه أيضاً ، وكلاءه كنعته كلاً بالفتح وكلاءة وكلاء بالكسر : حرسه وحفظه ، ومعشية أى منطية للأبصار ، يقال غشى الله على بصره وأغشى ، ومنه قوله تعالى : (فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ)
أوهى (معشية) بالسين من أغشى الليل إذا أظلم : أى فتنه مدلهمة سوداء ، أو هى « معشية » بالعين أى تعشى البصر فلا يهتدى إلى طريق الخلاص منها .

(٤) وفى صبح الأعشى « وحافظك » أى سندك .

(٥) هذه الجملة ساقطة من المنظوم والمنثور . (٦) هذه ساقطة من صبح الأعشى .

(٧) ساقطة من المنظوم والمنثور . (٨) فى المنظوم والمنثور « فى الرواية » وأسفله ، وهو

تحريف . (٩) النقيبة : النفس . (١٠) ساقطة فى المنظوم والمنثور ، وصدف عنه : أعرض .

(١١) معناه لإيقاعهم فى الخطر .

(١٢) فى صبح الأعشى « ومبارزة » وفيه « وإن ساعدتك طلوق الظفر » والظاهر أنه « وإن ساعدك » بدون تاء التأنيث ، والطلوق معناه الانطلاق ، يقال : أطلقت الناقة فطلقت أى حل عقابها ، وأطلقت الإبل إلى الماء حتى طلقت (كنصر) طلقاً وطلوقاً أى توجهت إلى الماء .

(١٣) يقال : الحرب بينهم سجال : أى نصرتها متداولة بينهم ، وأصلها من السجل بالفتح وهو القلو العظيمة مملوءة : أى سجل منها على هؤلاء وآخر على هؤلاء ، والمقاورة مفاعلة من الإغارة ، وفى حديث قيس بن عاصم « كنت أغاورهم فى الجاهلية » أى أغبر عليهم ويغيرون على ، وتقاور القوم : أغار بعضهم على بعض .

يكون الظفرُ في البديهة ، ومن المغلوبُ بالدولة^(١) ؟ ولعلك أن تكون المطلوبَ بالتمحيص ، فحاول إصابة أبلغهما في سلامة جُندك ورعيّتك ، وأشهرهما صيتاً في بدو تديرك ورأيك^(٢) ، وأجمعيهما لألفة ووليّك وعدوك ، وأعوניהما على صلاح رعيّتك وأهلِ ملكك ، وأقواها شكيمةً في حزمك ، وأبعدهما من وضم عزمك ، وأعلقهما بزمام النجاة في آخرتك^(٣) ، وأجزلهما ثواباً عند ربك ، وابدأ بالإعذار إلى عدوك ، والدُّعاء لهم إلى مراجعة الطاعة ، وأمر الجماعة ، وعز^(٤) الألفة ، آخذاً بالحجة عليهم ، متقدماً بالإندار لهم ، باسماً أمانك لمن لجأ إليك منهم ، داعياً لهم بألین لفظك^(٥) ، وألطف حيّلك ، متعطفاً برأفتك عليهم ، مترقياً بهم في دعائك ، ومُشفقاً عليهم من غلبة الفوابة لهم ، وإحاطة الهلكة بهم ، مُنفذاً رسالتك إليهم بعد الإنذار ، تعدُّم إعطاء كل رغبة يهشُّ إليها طمعهم في موافقة الحق ، وبسط كلِّ أمانٍ سألوه لأنفسهم ومن معهم ومن تبعهم ، موطناً نفسك فيما تبسط لهم من ذلك على الوفاء بوعدك ، والصبر على ما أعطيتهم من وثائق عهدك ، قابلاً توبة نازعهم^(٦) عن الضلالة ، ومراجعة مسيئتهم إلى الطاعة ، مُرصدّاً للمنحاز إلى فئة المسلمين وجماعتهم إجابةً إلى ما دعوته إليه ، وبصيرة إياه من حَقِّك وطاعتك ، بفضل المنزلة ، وإكرام المثوى ، وتشريف الجاه^(٧) وليظهر من أترك عليه وإحسانك إليه ما يرغبُ في مثله الصادفُ عنك ، المُصرُّ على خلافك ومعصيتك ، ويدعو إلى الاعتلاق بحبل النجاة ، وما هو أملاكُ به في الاعتصام عاجلاً ، وأنجى له من العقاب آجلاً ، وأحوط على دينه ومهجته بدءاً وعاقبةً ، فإن ذلك مما تستدعي به من الله عزَّ وجل نصره عليهم ، وتعتضد^(٨) به في تقدمة الحجة إليهم ، مُفدراً ومُنذراً إن شاء الله .

(١) الدولة في الحرب أن تدار إحدى الفئتين على الأخرى ، يقال : كانت لنا عليهم الدولة : أي الغلبة والنصرة . (٢) وفي المنظوم والمنثور « في مدى رأيك » . (٣) ساقطة من المنظوم والمنثور . (٤) فيه « وهمى الألفة » . (٥) فيه « لطفك » . (٦) نزع عن الأمر : كف . (٧) وفيه « الحال » . (٨) فيه « وتعتصم » .

ثم أذك^(١) عيونك على عدوك ، مُتَطَلِّعًا لِعِلْمِ أحوالهم التي يتقلبون فيها ، ومنازلهم التي هم بها ، ومطامعهم التي قد مدُّوا أعناقهم نحوها ، وأى الأمور أَدْعَى لهم إلى الصلح ، وأقوِّدُها لِرِضامِ إلى العافية ، وأسَهِّلُها لاسْتِغْزَالِ طاعتهم^(٢) ، ومن أى الوجوه مَأْتَانِمِ .
أَمِنْ قِبَلِ الشَّدةِ وَالْمَنَافِرَةِ وَالْمَكِيدَةِ وَالْمُبَاعَدَةِ وَالْإِرْهَابِ وَالْإِيْعَادِ ، أَوْ التَّرْغِيبِ وَالْإِطْمَاحِ ؟
مُتَثَبًا^(٣) فِي أَمْرِكَ ، مُتَخَيِّرًا فِي رَوْبَتِكَ ، مُسْتَمَكِّنًا مِنْ رَأْيِكَ ، مُسْتَشِيرًا لِذَوِي النَّصِيحَةِ ،
الَّذِينَ قَدْ حَنَّكَتْهُمُ السَّنُّ ، وَخَبَّطَتْهُمُ التَّجْرِبَةُ^(٤) ، وَنَجَّدَتْهُمُ^(٥) الْحُرُوبُ ، مُنْشِرًا نَا^(٦)
فِي حَرْبِكَ ، آخِذًا بِالْحَزْمِ فِي سُوءِ الظَّنِّ ، مُعِدًّا لِلْحَذَرِ ، مُحْتَرِسًا مِنَ الْفِرَّةِ ، كَأَنَّكَ
- فِي مَسِيرِكَ كَلَّهُ وَنَزْوَلِكَ أَجْمَعَ^(٧) - مُوَاقِفٌ لِعَدُوِّكَ رَأْيَ عَيْنٍ ، تَنْتَظِرُ حَمَلَاتِهِمْ ،
وَتَتَخَوَّفُ كَرَّاتِهِمْ^(٨) ، مُعِدًّا أَقْوَى مَكَائِدِكَ ، وَأَوْهَبَ عِتَادِكَ^(٩) ، وَأَنْكَأَ جَدِّكَ ،
وَأَجَدَّ تَشْمِيرِكَ ، مَعْظَمًا أَمْرَ عَدُوِّكَ لِأَعْظَمِ مِمَّا بَلَغَكَ ، حَذَرًا يَكَادُ يُفْرِطُ ، لِتُعَدَّ لَهُ مِنْ
الْإِحْتِرَاسِ عَظِيمًا ، وَمِنْ الْمَكِيدَةِ قَوِيًّا ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَفْتَأَكَ^(١٠) ذَلِكَ عَنْ إِحْكَامِ أُمُورِكَ ،
وَتُدِيرُ رَأْيَكَ ، وَإِصْدَارَ رَوْبَتِكَ ، وَالتَّأَهَّبَ لِمَا يَحْزُبُكَ^(١١) ، مُصَفِّرًا لَهُ بَعْدَ اسْتِشْهَارِ
الْحَذَرِ ، وَاضْطِّهَارِ^(١٢) الْحَزْمِ ، وَإِعْمَالِ الرُّوْبَةِ ، وَإِعْدَادِ الْأُهْبَةِ ، فَإِنَّ أَلْفَيْتَ عَدُوِّكَ كَلِيلَ

(١) أذكى عليه العيون أرسل عليه الطلائع .

(٢) هذه ساقطة من المنظوم والمنثور . (٣) فيه « مستنا » وهو تحريف .

(٤) فيه « الذين قد حنكتهم التجربة » . وحنكته السن : أحكته التجارب .

(٥) رجل منجد : جرب الأمور وعرفها وأحكمها .

(٦) تشزن للرمى والأمر : استعد له ، وتشزن له : انتصب له في الحصومة وغيرها .

(٧) في المنظوم والمنثور « كأنك منزل كله ومنازلك جمع » وهو تحريف .

(٨) فيه « غاراتهم » .

(٩) العتاد : العدة ، ونكأ العدو ونكاه ونكى فيه نكاية : قتل وجرح ، وفي المنظوم والمنثور

« معدا أقوى مكيدتك ، وأجد تشميرك ، وأرهب عتادك ، معظما لأمر عدوك لأكثرهما . . . بفراط

تبعه له من الاحتراس عظيمًا من المكيدة قويا من غير . . . الخ » وهو تحريف .

(١٠) فتأه : سكنه وكسره ، وفتأ القدر : سكن غليانها .

(١١) حزبه الأمر : اشتد عليه ، وفي المنظوم والمنثور « والتأهب لحربك مصغ له » وهو تحريف

(١٢) اقتطال من الإضمار ، وفي المنظوم والمنثور « واطمان الحزم » .

الجدُّ ، وقم الحزم^(١) ، نَضِيض^(٢) الوافر ، لم يضرك ما اعتدَّت له من قوة ، وأخذت له من حزم ، ولم يزدك ذلك إلا جرأةً عليه ، وتسرعاً إلى لقائه ، وإن ألفتَه متوقِّد الجمر^(٣) مستكثف الجمع ، قوَى التبع ، مُسْتَعْلِي سَوْرَةَ الجهل ، معَه من أعوان الفتنة وتبع إبليس من بوقد لَهَب الفتنة مسعراً ، ويتقدم إلى لقاء أبطالها متسرِّعاً ، كنت لأخذك بالحزم ، واستعدادك بالقوة ، غير مهين الجند ، ولا مفرط في الرأي ، ولا متلهف على إضاعة تدبير ، ولا محتاج إلى الإعداد ، وعجالة التأهب مبادرة تدهشك ، وخوفاً يثقلك ، ومتى تفتَّرَ بترقيق المرققين^(٤) ، وتأخذ بالهوَّيْتِي في أمر عدوك لتصغير المصفرين ، يفتشِر عليك رأبك ، ويكون فيه انتقاض^(٥) أمرك ، ووهنُ تدبيرك ، وإهمالُ الحزم في جندك ، وتضييعُ له ، وهو ممكن الإصحار ، رَحْبُ المطلب ، قوَى العِصمة ، فسبح المضطرب ، مع ما يدخلُ رعيتك من الاغترار والغفلة عن إحكام أحراسهم^(٦) ، وضبط مرا كزم ، لما يروُن فيه من استنمامتك^(٧) إلى الفرّة ، ورُكُونك إلى الأمن ، وتهاوُنك بالتدبير ، فيعود ذلك عليك في انتشار الأطراف ، وضياح الأحكام ، ودخول الوهن ، بما لا يُستقالُ محذورُه ، ولا يُدفعُ مخوفُه .

احفظ من عيونك وجواسيسك ما باتونك به من أخبار عدوك ، وإياك ومعاقبة أحدٍ منهم على خبر إن أتاك به اتهمته فيه ، أو سُوتَ به فلنا ، وأتاك غيرهُ بخلافه ، أو أن تكذِّبه فيه فترده عليه ، ولعله أن يكون قد محضك النصيحةَ وصدقك الخبر ،

(١) وقم مصدر بمعنى المفعول أي موقوف الحزم أي مقهوره ، من وقم الدابة إذا جذب عنانها لتكف ، ووقفه : قهره وكسره وأذله ، وفي المنظوم والمنثور « وقم النجوم » وهو تحريف .
(٢) نضيض : قليل ، يقال : رجل نضيض اللحم أي قليله ، وبس الماء كضرب : مال قليلاً قليلاً أو خرج رشعاً ، والنضيض : الماء القليل ، والوفر من المال والنساع : الكثير الواسع ، أي قليل العدة .

(٣) في صبح الأعشى « متوقد الحرب » .

(٤) رققه وأرقه : ضد غلظه أي جعله رقيقاً ضئيلاً ، وفي المنظوم والمنثور « ومتى نعزم على ترقيق التوقير » وهو تحريف .

(٥) الانتقاض : الانتكاس . (٦) فيه « عن إحكام أسرارهم » .

(٧) استنمام إليه : سكن واطمأن .

وكذبك الأول، أو خرج جاسوسك الأول متقدماً قبل وصول هذا من عند عدوك .
 وقد أبرموا لك أمراً، وحاولوا لك مكيدة، وأرادوا^(١) منك غيرة، فازدلفوا^(٢)
 إليك في الأهبة، ثم انتقض بهم رأيهم، واختلف عنهم جماعتهم، فأوردوا^(٣) رأياً،
 وأحدثوا مكيدة، وأظهروا قوة، وضربوا موعداً، وأموا مسدكاً ليدد^(٤) أتاها،
 أو قوة حدثت لهم، أو بصيرة في ضلالة شفقتهم، فالأحوال بهم متنقلة في الساعات،
 وطوارق الحادثات، ولكن البسم^(٥) جميعاً على الانتصاح، وأرضخ لهم المطامع^(٦)
 فإنك لن تسقيدهم بمثلها، وعدهم جزالة الثاوب^(٧) في غير ما استنامة منك إلى ترقيتهم
 أمر عدوك، والاعتزاز إلى ما يأتونك^(٨) به، دون أن تعمل رويك في الأخذ بالحزم،
 والاستكثار من العدة، واجعلهم أوثق من تقدر عليه، وآمن من تشكن إلى
 ناحيته، ليكون ما يبرم عدوك في كل يوم وليلة عندك، إن استطعت ذلك،
 فتقض عليهم برأيك وتديرك ما أبرموا^(٩)، وتأتيهم من حيث أمنوا^(١٠) وتأخذ لهم
 أهبة ما عليه أقدموا^(١١)، وتستعد لهم بمثل ما حذروا.

واعلم أن جواسيسك وعميونك ربما صدقوك، وربما غشوك، وربما كانوا لك
 عليك، فنصحوا لك وغشوا عدوك، وغشوك ونصحوا عدوك، وكثيراً ما يصدقونك
 ويصدقونه، فلا تبدرن منك فرطة عقوبة إلى أحد منهم، ولا تعجل بسوء الظن

- (١) فيه « وازدادوا » وهو تحريف .
 (٢) أي اقتربوا وتقدموا، ومحل هذه الجملة في المنظوم والمنثور « وإن دفعوا إليك في الأمر » وصوابه
 « واندفعوا » . (٣) في صبح الأعشى « فأرادوا » .
 (٤) في المنظوم والمنثور « لمدد » .
 (٥) أي خالطهم وعاملهم والضمير للجواسيس . لابسه : خالطه .
 (٦) رضخ له من ماله : أعطاه ، والرضيخة : العطية ، وقيل : العطية المقاربة . وقيل القليلة ، وفي
 المنظوم والمنثور « وأن صح لهم المطامع » وهو تحريف .
 (٧) جمع منوبة بالفتح وهي الثواب .
 (٨) وفيه « والاعتزاز بما يأتونك به » .
 (٩) وفيه « ما لم يرموا » ورم الشيء : كنصر وضرب : أصلحه .
 (١٠) فيه « من حيث أقدموا » . (١١) ساقطة من المنظوم والمنثور .

إلى من اتهمته على ذلك ، واستنزِل نصائحهم بالمِياحة والمنالَّة^(١) ، وابسط من آمالهم فيك ، من غير أن تُرى أحداً منهم أنك أخذت من قوله أخذَ العامل به والمتبع له ، أو عملت على رأيه عملَ الصادرِ عنه ، أو ردَّته عليه ردَّ المكذَّب به ، المتهم له ، المستخفِّ بما أتاك منه فنفسدَ بذلك نصيحته ، وتستدعي غشَّه ، وتجتزَّ عداوته ، واحذر أن يُعرفوا في عسكريك ، أو يشار إليهم بالأصابع . وليكن منزِلهم على كاتب رسالتك . وأمين سيرك . ويكون هو الوجه لهم . والمدخلُ عليك من أردت مُشافهته منهم .

واعلم أن لعدوك في عسكريك عيوناً راصدة . وجواسيسَ كامنة^(٢) . وأنه لن يقع رأيه عن مكيدتك بمثل ما تكابده^(٣) به ، ويحتال لك كاحتيالك له . ويعدُّ لك كإعدائك له فيما تراوله منه . ويحاولُك كما حاولتَك إياه فيما تقارعه عنه^(٤) . فاحذر أن يُشهر رجل من جواسيسك في عسكريك . فيبلغ ذلك عدوك . ويعرف موضعه . فيعدُّ له المراصدَ . ويحتال له بالمكابد ، فإن ظنَّ به فأظهر عقوبته . كسرَّ ذلك ثقاتِ عيونك وخذلهم^(٥) عن تطلب الأخبار من معادنها . واستقصائها من عيونها واستعذاب اجتنائها من بنابيعها^(٦) . حتى يصيروا إلى أخذها مما عرض^(٧) من غير الثقة ولا المعاينة قطعاً لها^(٨) بالأخبار الكاذبة . والأحاديث الرُجفة .

واحذر أن يعرفَ بعضُ عيونك بعضاً ، فإنك لا تأمنُ تواطؤهم عليك ، وممالأتهم^(٩)

(١) المياحة والمبيع : الإعطاء ، وفنه كضرب ، وهذه الجملة ساقطة من المنظوم والمنثور .

(٢) وفي صبح الأعشى « متجسِّة » .

(٣) وفي المنظوم والمنثور « وأن رأيه في مكيدتك مثل ما تكابده به » .

(٤) المقارعة . المضاربة ، ومن قوله « فيما تراوله منه ... » إلى قوله « تقارعه عنه » ساقط في

المنظوم والمنثور .

(٥) وفيه « وحوله » وصوابه « وحوولهم » .

(٦) وهذه الجملة ساقطة منه . (٧) فيه « عن عرض » .

(٨) فيه « ولا معاينة لقطا لها » وهو تحريف .

(٩) ماله : شايه وساعده .

عدوك ، واجتماعهم على غشك ، وتطابقهم على كذبك ، وإصفاقهم^(١) على خيانتك ، وأن يورط بعضهم بعضاً عند عدوك ، فأحكيم أمرهم فإنهم رأس مكيدتك ، وقوام تدبيرك ، وعليهم مدار حرك ، وهو أول ظفرك ، فأعمل على حسب ذلك ، وحيث رجائك^(٢) به ، تنزل أملاك من عدوك ، وقوتك على قتاله ، واحتمالك لإصابة غرته^(٣) وانتهاز فرصه إن شاء الله .

فإذا أحكمت ذلك وتقدمت في إتيانه ، واستظهرت بالله وعونه ، فوّل شرطتك وأمر عسرك أوثق قوادك عندك ، وأظهرهم^(٤) نصيحة ، وأنفذهم بصيرة في طاعتك ، وأقوام شكيمة في أمرك ، وأمضاهم صريحة^(٥) ، وأصدقهم عفافاً ، وأجزأهم غناء^(٦) ، وأكفاهم أمانة ، وأصحهم ضميراً ، وأرضاهم في العامة ديناً ، وأحدهم عند الجماعة^(٧) خلقاً ، وأعطفهم على كافتهم رافة ، وأحسنهم لهم نظراً ، وأشدّهم في دين الله وحقه صلابة ، ثم فووض إليه مقويآله ، وابسط من أماله ، مظهرًا عنه الرضا ، حامدًا منه الابتلاء ، وليكن عالماً بما كز الجنود ، بصيراً بتقدم المنازل ، مجرباً ، ذارياً وتجربة وحزم في المكيدة ، له نباهة في الذكر ، وصيت في الولاية ، معروف البيت ، مشهور الحسب ، وتقدم إليه في ضبط معسكره ، وإذ كاء أحراره في آناء ليله ونهاره ، ثم حذره أن يكون منه إذن جنوده في الانتشار والاضطراب والتقدم لطلائعك^(٨) ، فتصاب لهم غيرة يجترئ بها عدوك عليك ، ويسرع إقداما إليك ، ويكسر من إباد^(٩) جندك ،

(١) أصفقوا عليه : أطبقوا واجتمعوا .

(٢) في المنظوم والمشور « وجنب رجاءك به نيل أملاك » وهو تحريف .

(٣) هذه ساقطة منه . (٤) فيه « وآمنهم نصيحة ، وأقدوهم بصيرة » . (٥) الصريحة العريضة .

(٦) يقال : أجزاء عنك جزأ فلان وجزأته بفتح الميم وتضم فيهما ، وأغنيت عنك غناه بفتح العين ومعناه ومعناه بفتح الميم وتضم فيهما : أي كفيت كفايته .

(٧) وفيه « وأرضاهم صبراً . وأحدهم خلقاً ، وأعطفهم على جماعتهم رافة » .

(٨) فيه « لاطائم » وهو تحريف .

(٩) وفيه « من أفئدة جنودك » والإياد ككتاب : ما أبد به من شيء أي قوى ، والعفل

والكتب الجبل الحصين .

ويؤهين من قوتهم ، فإن إصابة^(١) عدوك الرجز الواحد من جنك وعبيدك مُطْمِع لهم فيك ، مقوتهم على شَحْذِ أتباعهم عليك ، وتصغيرم أمرك ، وتوهينهم تديرك ، فحذره ذلك وتقدم إليه فيه ، ولا يكون منه إفراطٌ في التضييق عليهم ، والخصر لهم ، فيقتمهم أزله^(٢) ، ويشملهم ضنكك ، ويسوء عليه حالهم^(٣) ، وتشتد به المؤنة عليهم ، وتخبث له ظنونهم ، وليكن موضع إنزاله إياماً ضاماً لجماعتهم ، مستديراً بهم جامعاً لهم^(٤) ، ولا يكون منبسطة منتشرة متبدداً ، فيشق ذلك على أصحاب الأحراس ، وتكون فيه النهزة^(٥) للعدو ، والبعد من المادة ، إن طرقت طارق في فجآت الليل وبفقاته ، وأوعز إليه في أحراسه ، وتقدم^(٦) إليه فيهم كأشد التقدّم ، وأبلغ الإيعاز ، ومُرّه فليؤل عليهم رجلا ركينا مجرباً جريئاً الإقدام ذا كي^(٧) الصرامة ، جلد الجوارح ، بصيراً بموضع أحراسه . غير مصانع ولا مشقق للناس في التنحي إلى الرفاهية والسعة . وتقدم العسكر أو التأخر عنه . فإن ذلك مما يضعف الوالى ويؤهنه . لا سُنْنامته إلى من ولاء ذلك . وأمنه به على جيشه .

واعلم أن مواضع الأحراس من معسكر . ومكانها من جنك . بحيث الغناه والرد عليهم ، والحنظ لهم . والكلاية لمن بفتحهم طارقا . أو أرادهم مخاتلا . ومراصدها المنسل منها . والآبق^(٨) من أرقائهم وأعبيد . وحفظها من العيون والجواسيس من عدوم . واحذر أن تضرب على يديه أو تشكمه عن الصرامة . بمؤامرتك^(٩) في كل

(١) في صبح الأعشى « فإن الصوت في إصابة عدوك الرجل .. الح » .

(٢) الأزل : الضيق والشدة . (٣) وفي صبح الأعشى « يسوء عليهم حاله » .

(٤) في المنظوم والمنثور « مستديراً ضاماً جامعاً ، ولا يكون منتشرة متبدداً » .

(٥) النهزة : الفرصة .

(٦) من هنا إلى قوله « وأبلغ الإيعاز » ساقط من المنظوم والمنثور .

(٧) أى مشتل . من ذكت النار إذا اشتد لها ، وفي المنظوم والمنثور « ذك الصرامة »

وهو تحريف . (٨) الآبق : الهارب .

(٩) المؤامرة : المشاورة . وفي المنظوم والمنثور « على الصرامة لمواصرتك » وهو تحريف .

(٢٨ - حبرة رسائل العرب - ثان)

أمرٍ حادثٍ وطارىٍّ . إلا فى المهِمِّ النازل والحدِّث العام . فإنك إذا فعلت ذلك به ، دعوتَه إلى نصحك . واستوليت على تَحْضِ (١) ضميره فى طاعتك . وأجهدَ نفسه فى تزيينك (٢) . وأعملَ رأيه فى بلوغ موافقتك وإعانتك (٣) . وكان يُقْتَكِ وِرْدًا (٤) وقوتك ودِعَامَتَكَ . وتفرغت أنت لمكابدة عدوك . مُرِيحًا نفسك من همِّ ذلك والعناية به . مُلْقِيًا عنك مُوْتَةً باهظةً . وَكَلْفَةً (٥) فادِحَةً . إن شاء الله .

ثم اعلم أن القضاء من الله بمكانٍ ليس به شىءٌ من الأحكام : ولا بمثل (٦) محلِّه أحدٌ من الولاية . لما يجرى على يديه من مَعَالِيظِ الأحكامِ وَجَارِيِ الحدودِ . فليكن مَنْ تُوَلِّيَهُ القضاء فى عسكريك من ذوى الخَيْرِ فى القناعة والعفاف والنزاهة والفهم والوقار والعِصْمَةُ والورع . والبصيرِ بوجوه القضايا ومواقعها . قد حنَّكَ السن . وأيدته (٧) التجربة . وأحكمتَه الأمور . ممن لا يتصنع للولاية . ويستعدُّ للفهزة ويجترى على الحجابة فى الحكم . والمداهنة فى القضاء . عدلَ الأمانة . عفيفَ الطعمة (٨) . حسنَ الإنصاف (٩) فهمَ القلب . ورِعَ الضمير . متخشعَ السمْتِ (١٠) . يادى (١١) الوقار . مُحْتَسِبًا (١٢) للخير . ثم أجرِ عليه ما يكفيه ويسعه ويصلحه ، وورِّغْهُ لما حَمَلْتَهُ وأَعِنَهُ على ما وليتَهُ ، فإنك قد عرَّصْتَهُ لِهَلَاكَةِ الدنيا وبوار (١٣) الآخرة ، أو شرفِ العاجلة وحُظُوةِ الآجلة ، إن حَسُنَتْ بَيْتُهُ ، وصدَّقتْ رويته ، وصحَّتْ سريرته ، وسأطَ حُكْمُ الله على رعيته ، مُطْلَقًا عِنَانَهُ (١٤) ، منفَذًا قضاء الله فى خلقه ؛ عاملاً بسنته فى شرائعه ، آخِذًا بمحدوده

(١) فى صبح الأعشى « على محمول ضميره » .

(٢) فى الأصل : « تزيينك » . (٣) هذه الجملة ساقطة من المنظوم والمنثور .

(٤) الردء : العون ، وفيه « وزينك » .

(٥) فيه « وسلفة » وهو تحريف . (٦) فيه « بمثله » . (٧) أى قوته

(٨) الطعمة : الأكل . (٩) وفى صبح الأعشى « الإنصاف » .

(١٠) السمْت : هيئة أهل الخبر . (١١) فى المنظوم والمنثور « هادى الوقار » .

(١٢) احتسب به أجرا عند الله : اعنده ينوى به وجه الله .

(١٣) فى المنظوم والمنثور « وثواب الآخرة » وهو تحريف .

(١٤) ساقطة من المنظوم والمنثور .

وفرائضه ، واعلم أنه من جُندِكَ ومُعسِكَ بِحَيْثُ ولايُتُكُ وفي الموضعِ الجاريةِ
أحكامُهُ^(١) عليهم ، النافِذَةُ أَقْضَيْتُهُ بينهم ، فأعْرِفَ مَنْ تَوَلَّيَهُ ذَلِكَ وتُسَيِّدُهُ إِلَيْهِ
إن شاء الله .

ثم تقدّم في ثلاثك ، فإنها أولُ مكيدتك ، ورأسُ حربِكَ ، ودِعامَةُ أمرِكَ ،
فانتخب لها من كل قَادَةٍ وصَحَابَةٍ : رِجَالًا ذَوِي كِبَرَةٍ وبَأْسٍ ، وصَرَامَةٍ وخُبْرَةٍ ،
حِجَابًا كُفَاءً ، قد صَلَّوْا^(٢) بالحرب ، وتذاوَقُوا سِجَابَهَا ، وشَرِبُوا مِرَارَ كُثُومِهَا ، وتَجَرَّعُوا
غُصَّصَ دِرَّتِهَا^(٣) وَزَبَنَتْهُمْ^(٤) بتكرارِ عواطفها ، وحمَلَتْهُمْ على أصعبِ مَرَاكِبِهَا ،
وذَلَّلَتْهُمْ بِثِقَابِ أَوْدِهَا^(٥) ، ثم انتَقَمْتَهُمْ^(٦) على حَيْنِكَ ، واعْرِضْ كُرَاعَهُمْ^(٧) بنفسك ،
وتَوَخَّ في انتقائِكَ ظُهُورَ الجِلْدِ ، وشَهَامَةَ الخُلُقِ ، وَكَمَالَ الآلَةِ^(٨) ، وإِيَّاكَ أَنْ تَقْبَلَ
من دوابِهِمْ إلا إِنْثَ الخِيُولِ مَهْلُوبَةً^(٩) ، فإنها أسرعُ طلبًا وأنجى مَهْرَبًا ، وألينَ
مَمْطَقًا^(١٠) ، وأبعدُ في اللُّحُوقِ غَايَةً ، وَأَصْبَرُ في معترِكَ الأبطالِ إِفْدَامًا ، وخُذْمٌ^(١١) من
السلاحِ بأبدانِ الدُّرُوعِ ، مازِيَّةِ الحَديدِ ، شَاكَّةً^(١٢) النَّسِجِ ، مَقْقَارِيَةِ الخُلُقِ ، متلَاحِمَةً
المساميرِ وَأَسْوَقَ الحَديدِ ، مُموَّهَةً الرُّكْبِ ، مُحْكَمَةً الطَّبَعِ^(١٣) ، خَفِيفَةَ الصَّوْغِ ،

(١) في صبح الأمتى « بحيث ولايتك ، الجارية أحكامه الخ » .

(٢) صلى النار وبها : قاسى حرها . (٣) الدرة : اللبس .

(٤) أى دفعتهم ، وفي المنظوم والمنثور « وزبنتهم بتكرارها » .

(٥) هذه الجملة ساقطة منه ، والثقاف : ماتسوى به الرماح .

(٦) فيه « ثم انتقمهم » وهو تحريف . (٧) الكراع . اسم يجمع الخيل .

(٨) فيه « وسماحة الماى » وفيه أيضا « وجمال الآلة » .

(٩) الأهل : الذنب المنقطع ، والذي لا شعر عليه (والكثير الشعر ، ضد) .

(١٠) ساقطة من المنظوم والمنثور .

(١١) في المنظوم والمنثور « ونجذم » وهو تحريف ، والأبدان جمع بدن بالتحريك : وهو الدرع

من الزرد ، قيل هى الدرع القصيرة على قدر الجسد ، وقيل هى الدرع عامة ، والإضافة فيه على حد
« حق البقين ، وحب الحصيد » من إضافة الشيء إلى ما بعناه لاختلاف اللفظين ، والمادى والمادية :
الدرع اللينة السهلة .

(١٢) الشك : الاتصال والوصف ، والمعنى محكمة النسج ، والخلق بكسر الميم وفتحها : جمع حلقة بالفتح

وتسكين اللام ، وأسوق جمع ساق . (١٣) من طبع السيف والدرم : أى عملهما .

وَصَوَاعِدَ طَبَعُهَا هِنْدِيٌّ ، وَصَوْنُهَا فَارِسِيٌّ ، رَفَاقُ الْمَاعِطِ بِأَكْفٍ وَاقِيَةٌ (١) ، وَعَمَلُ مُحْكَمٍ ، وَيَلْقُ (٢) الْبَيْضَ مُذْهَبَةً وَمُجَرَّدَةً ، فَارِسِيَّةُ الصَّوْغِ ، خَالِصَةُ الْجَوْهَرِ ، سَابِغَةٌ (٣) الْمَلْبَسِ ، وَاقِيَةُ الْجَنْبِ (٤) ، مُسْتَدِيرَةُ الطَّبَعِ ، مُبْهَمَةٌ السَّرْدِ (٥) ، وَاقِيَةُ الْوِزْنِ ، كَثْرِيكٌ (٦) النَّعَامِ فِي الصَّنْعَةِ ، وَاسْتِدَارَةُ التَّقْيِيبِ ، وَاسْتَوَاءُ الصَّوْغِ (٧) مُعَلِّمَةٌ بِأَصْنَافِ الْحَرِيرِ وَأَلْوَانِ الصَّبْغِ ، فَإِنَّهَا أَهْيَبُ لَعْدُومٍ ، وَأَفْتٌ (٨) لِأَعْضَادٍ مَنْ لَقِيَهُمْ ، وَالْمُعَلِّمُ (٩) مَخْشِيٌّ مَحْذُورٌ لَهُ بَدِيهَةٌ رَادِعَةٌ (١٠) ، وَهَيْبَةٌ هَائِلَةٌ (١١) ، مَعَهُمُ السِّيُوفُ الْهِنْدِيَّةُ ، وَذِكُورٌ (١٢) الْبَيْضِ الْيَمَانِيَّةِ ، رَفَاقُ الشُّفَرَاتِ ، مَسْمُومَةُ الشَّحْدِ غَيْرُ كَلِيلَةِ الْحَدِّ (١٣) ، مُشْطَبَةٌ الضَّرَائِبِ (١٤) ، مَعْتَدَلَةُ الْجَوَاهِرِ ، صَافِيَةُ الصَّفَائِحِ ، لَمْ يَدْخُلْهَا وَهْنُ الطَّبَعِ ، وَلَا عَابَهَا أَمْتُ (١٥) الصَّوْغِ ،

(١) فِي صَبْحِ الْأَعْشَى « وَاقِيَةٌ » .

(٢) الْيَلْقُ : الْأَبْيَضُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ، وَالْبَيْضَةُ مِنَ السَّلَاحِ سَمِيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا عَلَى شَكْلِ بَيْضَةِ النَّعَامِ ، وَفِي صَبْحِ الْأَعْشَى « وَيَلْقَى الْبَيْضَ » وَالْيَلْقَى كَجَعْفَرٍ : الْقَبَاءُ ، وَالْأَوَّلَى أَنْسَبُ .

(٣) دَرَعٌ سَابِغَةٌ : تَامَةٌ طَوِيلَةٌ .

(٤) الْجَنْبُ : جَمْعُ جَنَّةٍ بِالضَّمِّ ، وَهِيَ مَا اسْتَنْزَتْ بِهِ مِنْ سِلَاحٍ ، وَفِي الْمَنْظُومِ وَالْمَشُورِ « وَاقِيَةُ اللَّيْنِ »

(٥) سَرْدُ الدَّرَعِ : نَجْحُهَا ، وَهُوَ تَدَاخُلُ الْحَلْقِ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ . وَالْمَبْهُمُ : الْمَصْمُوتُ .

(٦) الثَّرِيكُ وَالثَّرَائِكُ : جَمْعُ تَرِيكَةٍ كَسْفِينَةٍ ، وَهِيَ الْبَيْضَةُ بَعْدَ أَنْ يَخْرُجَ مِنْهَا الْفَرَخُ ، أَوْ يَخْصُ بِالنَّعَامِ

(٧) قَوْلُهُ « وَاسْتِدَارَةُ التَّقْيِيبِ » ، وَاسْتَوَاءُ الصَّوْغِ « سَاقِطٌ مِنَ الْمَنْظُومِ وَالْمَشُورِ .

(٨) فَتٌ فِي سَاعِدِهِ وَفِي عَضُدِهِ : أَعْضَاهُ .

(٩) أَعْلَمُ الْفَرَسِ : عَلِقَ عَلَيْهَا صَوْفًا مَلُونًا فِي الْحَرْبِ ، وَأَعْلَمَ نَفْسَهُ . وَسَمَّيَا بِسِمَى الْحَرْبِ كَعَلْمَا

(١٠) فِي الْمَنْظُومِ وَالْمَشُورِ « وَادِعَهُ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(١١) هَذِهِ سَاقِطَةٌ مِنْهُ .

(١٢) الذِّكْرُ بِالتَّحْرِيكِ : أَيْبَسُ الْحَدِيدِ وَأَجُودُهُ . وَالشُّفْرَةُ : حَدُّ السَّيْفِ .

(١٣) فِي الْمَنْظُومِ وَالْمَشُورِ « مَسْنُونَةُ الشَّحْدِ » غَيْرُ كَلِيلَةِ الْحَدِّ « وَفِي صَبْحِ الْأَعْشَى وَمِفْتَاحِ الْأَفْكَارِ

« مَسْنُونَةُ الشَّحْدِ » فَقَطْ ، وَأَرَاهُ مَحْرَفًا ، وَصَوَابُهُ كَمَا أُورِدْتَهُ وَسَتَكَرَّرَ الْأَوَّلَى فِي أَوَاخِرِ الرِّسَالَةِ وَشَحْدِ السَّكِينِ : أَحَدَاهَا .

(١٤) سَيْفٌ مُشْطَبٌ وَمَشْطُوبٌ : فِيهِ شَطْبٌ ، وَشَطَبَ السَّيْفُ بِضَمِّ الشَّيْنِ وَالطَّاءِ وَفَتَحَهَا وَشَطُوبُهُ :

طَرَائِقُهُ الَّتِي فِي مَتْنِهِ ، جَمْعُ شَطْبَةٍ كَلِمَةٌ وَهَمْزَةٌ وَرَفْعَةٌ ، وَالضَّرَائِبُ جَمْعُ ضَرْبِيَّةٍ : وَهِيَ مَا ضَرْبَتْهُ بِالسَّيْفِ وَرَبَّاهَا سَمِيَ السَّيْفُ نَفْسَهُ ضَرْبِيَّةً وَهُوَ الْمُرَادُ هُنَا .

(١٥) الْأَمْتُ : الضَّعْفُ وَالْوَهْنُ وَالْعُوجُ وَالِاخْتِلَافُ فِي الشَّيْءِ .

ولا شأنها خِفَّةُ الوزنِ ، ولا فَدَحَ حَامِلِهَا بُهُورٌ^(١) الثَّقَلُ ، قد أَشْرَعُوا لَدُنَّ الْقَنَا^(٢) ،
طِرَاقَ الْهَوَادِي ؛ مُقَوِّمَاتِ الْأَوْدِ^(٣) ، زُرُقِ الْأَسْفَةِ ، مَسْتَوِيَةِ الثَّعَالِبِ^(٤) ، وَمِيضُهَا
مَتَوَقَّدٌ ، وَسِنِّخُهَا^(٥) مَتَلْبٌ ، مَعَاقِصُ عُقْدِهَا مَنْحُوْتَةٌ^(٦) ، وَوُصُومٌ^(٧) أَوْدِهَا مَقْوَمَةٌ ،
وَأَحْبَابُهَا مُخْتَلِفَةٌ ، وَكُؤُوبُهَا جَعْدَةٌ^(٨) ، وَعُقْدُهَا حُبْكَةٌ^(٩) ، شَطْبَةُ الْأَسْنَانِ^(١٠) ، مُخْرَكَةٌ
الْجِلَامِ^(١١) ، مُمَوَّهَةٌ الْأَطْرَافَ ، مَسْتَعْدَةٌ الْجَنَبَاتِ ، دِقَاقُ الْأَطْرَافِ ، لَيْسَ فِيهَا التِّوَاءُ
أَوْدٌ ، وَلَا أَمْتُ وَصَمٌ ؛ وَلَا بِهَا مَسْقَطُ عَيْبٍ ، وَلَا عِنَّا وَقُوعٌ أَمْنِيَّةٌ ، مُسْتَحْقِي^(١٢)
كِنَانِ النَّبْلِ وَقِسِي الشَّوْحَطِ وَالنَّبْعِ ، أَعْرَابِيَّةُ التَّعْقِيْبِ^(١٣) ، رُومِيَّةُ النَّصُولِ ، مَسْمُومَةٌ

(١) فدحه : أثقله ، والبهور والبهير بالفتح : التكليف فوق الطاقة .

(٢) شرع الرمح وأشرعه : سده ، والتنا : الرماح ، جمع قناة ، ولدن بالضم جمع لدن بالفتح :
وهو اللين من كل شيء ، والهادية من كل شيء - أوله وما تقدم منه ، والهادية والهادي : العنق لأنها
تقدم على البدن ، والجمع هواد . (٣) ساقطة من المنظوم والمنثور .

(٤) جمع ثعلب : وهو طرف الرمح الداخل في جبة السنان .

(٥) سنخ النصل : الحديد التي تدخل في رأس السهم ، وفي المنظوم والمنثور ومفتاح الأفكار
« وشعدها متلب » .

(٦) معاقص ، جمع معقص كمنزل ، اسم مكان من العقص ، وأصله : الشعر وإدخال أطرافه في أصوله ،
والمعنى أن عقدها مستوية بحكمة البري ، بدليل قوله بعد « ووصوم أودها ممتومة » (وأما تفسيرها بأنها
جمع معقص كمنبر : وهو السهم المعوج ، وما ينكسر نصله فيبقى سنخه في السهم فيخرج ويضرب حتى
يطول ، فلا يستقيم به المعنى) .

(٧) وصوم : جمع وصم بالفتح ، وهو العقدة في العود والعيب .

(٨) كعوب : جمع كعب بالفتح ، وهو من القصب ، والقنا : الأنبوبة بين العقدتين ، وقيل هو عقدة
ما بين الأنبوبين ، وجعدة : أي قوية متينة ، يقال ناقة جعدة : أي مجتمعة الحلق شديدة ورجل جعد :
أي مجتمعة شديدة .

(٩) الحبكة : الحبل يشد به على الوسط ، والمعنى على التشبيه أي وعقدتها بحكمة قوية ، أو هي
حبكة من الحبك وهو الشد والإحكام وتحسين أمر الصنعة في الثوب ، حبك كنصر وضرب فهو
حبك ومحبوك .

(١٠) أي طويلة . الشطب من الرجال والحيل : الطويل الحسن الحلق ، وفي مفتاح الأفكار « سبطة »
أي طويلة أيضا . (١١) هذه ساقطة من صبح الأعشى .

(١٢) استنقبه واحنقه : احتمله ، والكناين : جمع كنانة بالكسر ، وهي جعبة السهام بفتح الجيم ،
والشوحط : شجر تتخذ منه القسي ، أو صرب من النبع ، والنبع : شجر تتخذ منه القسي أيضا ،
وتتخذ من أغصانه السهام .

(١٣) العقب بالتحريك : العصب الذي تعمل منه الأوتار ، وعقب السهم والقوس عقبا بالفتح : لوى

شيئا من العقب عليه .

للمصوغ ، ولتسكن مهامها على خمس قبضات سوى النصول^(١) ، فإنها أبلغ في الغاية ، وأنفذ في الدروع ، وأشد^(٢) في الحديد ، سامطين حقا^(٣) بهم على متون خيولهم ، مستخفين من الآلة والأمتعة والزاد ، إلا ما لا غناء بهم عنه .

واحذر أن تكيل مباشرة عرضهم وانتخابهم إلى أحد من أعوانك أو كتائبك فإنك إن وكتته إليهم أضعت مواضع الحزم ، وفرطت حيث الرأي ، ووقفت دون عزم الروية^(٤) ، ودخل عملك ضياع الوهن ، وخلص إليك عيب المحاباة ، وناله فساد المداينة ، وغلب عليه من لا يصلح أن يكون طليمة للمسلمين ، ولا عدة ولا حصنا يدرون به ، ويكتفون بموضعه^(٥) . واعلم أن الطلائع حصون المسلمين وعيونهم ، وهم أول مكيدتك ، وعروة أمرك ، وزمام حربك ، فليكن اعتناؤك بهم وانتقاؤك إياهم^(٥) بحيث هم من مهم عملك ، ومكيدة حربك ، ثم انتخب للولاية عليهم رجلا بعيد الصوت^(٦) ، مشهور الأسم ، ظاهر الفضل^(٧) ، نبية الذكر ، له في العدو وقعات معروفة ، وأيام طوال وصولات متقدمات ، قد عرفت نكايته ، وحذرت شوكته ، وهيب صوته ، وتكذب لقاؤه ، أمين السريرة ، ناصح الجيب^(٨) ، قد بلوت منه ما يسكنك إلى ناحيته ، من ابن الطاعة^(٩) ، وخالص المودة ، ونكابة^(١٠) الصرامة ، وغلوب الشهامة ، واستجماع القوة ، وحصافة التدبير ، ثم تقدم إليه في حسن

(١) من قوله « مسمومة إلى سوى النصول » ساقط من المنظوم والمنثور .

(٢) أي أدخل ، وسقط الشيء كضرب ونصر : علقه .

(٣) في المنظوم والمنثور « دون الحزم » . (٤) فيه « ويكتفون » .

(٥) هذه ساقطة منه . (٦) الصوت والصيت والصات : الذكر الحسن .

(٧) فيه « مشهور الفضل » .

(٨) الجيب : طوق القميص ، وفلان ناصح الجيب يعني بذلك قلبه وصدرة : أي أمين ، وفيه

« ناصح الغيب » . (٩) فيه « من لين طباعه » .

(١٠) في سبع المعنى « وركانة الصرامة » وركن إليه ركونا وركانة : سكن إليه ومال والمعنى

يركن إليه في الشدة .

سياستهم ، واستنزال طاعتهم ، واجتلاب مودتهم ، واستعذاب^(١) ضمائرهم ، وأجر عليهم وعليه أرزاقاً تسعهم ، وتمد من أطعاهم ، سوى أرزاقهم في العامة ، فإن ذلك من القوة لك عليهم ، والاستنامة إلى ما قبلهم .

واعلم أنهم في أهم الأما كن لك ، وأعظمها غناء عنك وعمن معك ، وأقنعها كبتاً لجأذك ، وأشجهاها غيظاً لعدوك^(٢) ، ومن يكن في الثقة ، والجلد ، والبأس ، والطاعة ، والقوة ، والنصيحة ، والعدّة والنجدة ، حيث وصّف لك أمير المؤمنين وأمرك^(٣) به ، يضع عنك مؤونة أهم ، ويرشح من خناقك^(٤) روع الخوف ، وتلتجى إلى أمر منيع^(٥) ، وظهر قوى ، ورأى حازم ، تأمن به لجأت عدوك ، وغرات بفتاتهم ، وطوارق أحداثهم^(٦) ، ويصير إليك علم أحوالهم ومقدمات خيولهم ، فانخبهم رأى عين ، وقوم بما يصلحهم من المنال والأطاع والأرزاق ، واجعلهم منك بالمنزل الذي تم به من تحارز علاقتك^(٧) ، وحصانة كهوفك ، وقوة سيارة عسكريك .

وإياك أن تدخل فيهم أحداً بشفاعة ، أو تحمله على هواده ، أو تقدمه لأثرة ، أو أن يكون مع أحد منهم بقل نفل^(٨) ، أو فضل من ظهر ، أو نفل فادح ، فتشدد عليهم مؤونة أنفسهم ، ويدخلهم كلال السامة فيما يعالجون من أفعالهم ، ويشغلون به عن عدوهم ، إن دهمهم منه رافع^(٩) ، أو فجأهم منه طليعة ، فتفقد ذلك محكماله ،

(١) من استعذب القوم ماءهم: إذا استقوه عذبا ، والمعنى استنامة ضمائرهم واستهواؤها ، وفي المنظوم والمنثور « واستعداد » وهو تحريف .

(٢) في المنظوم والمنثور « وأقنعها كتبا ، وأشجى لعدوك » وفيها تحريف .

(٣) وفيه « ومتى يكون في البأس والثقة والجلد والطاعة والقوة والنصيحة حيث وصفت لك وأمرتك

به تضع عنك ... الخ » . (٤) الخناق بالكسر والضم : الحلق .

(٥) فيه « إلى أمر منين » « وأمر حارم » . (٦) قوله « وغرات بفتاتهم ، وطوارق أحداثهم »

ساقط من المنظوم والمنثور . (٧) وحرزه : حفظه ، أو هو لإبدال والأصل حرسه .

(٨) النفل والنافلة : الزيادة ، كذلك ، والنقل : متاع المسافر . (٩) أي أمر رافع .

وَتَقَدَّمَ فِيهِ آخِذًا بِالْحِزْمِ فِي إِمِضَائِهِ ، أُرْشِدَكَ اللَّهُ لِإِصَابَةِ الْحِظِّ ، وَوَقَفَكَ لِيَمُنَّ التَّدِيرُ ،
وَقَصَدَ بِكَ لِأَسْهَلِ الرَّأْيِ وَأَعْوَدِهِ نَفْعًا فِي الْعَاجِلِ وَالْآجِلِ ، وَأَكْتَبَهُ لِعَدُوِّكَ وَأَشْجَاهِ
لَهُمْ ، وَأُرْدَعَهُ لِعَادِيَتِهِمْ ^(١) .

وَأَنَّ دَرَاجَةَ ^(٢) عَسْكَرِكَ وَإِخْرَاجَ أَهْلِهِ إِلَى مَصَافِهِمْ وَمَرَاكِزِهِمْ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ
بِيَوَاتِ الشَّرَفِ ، مَحْمُودِ الْخُبْرَةِ ، مَعْرُوفِ النَّجْدَةِ . ذَا سِنٍّ وَتَجْرِبَةٍ ، لِيَنَّ الطَّلَاعَةَ ، قَدِيمِ
النَّصِيحَةِ ، مَأْمُونِ السَّرِيرَةِ ، لَهُ بَصِيرَةٌ فِي الْحَقِّ نَافِذَةٌ تَقَدَّمُهُ ، وَنِيَّةٌ صَادِقَةٌ عَنِ
الإِدْهَانِ ^(٣) تَحْجِزُهُ ، وَأَضْمَمُ إِلَيْهِ عِدَّةً نَفَرٍ مِنْ ثِقَاتِ جَنْدِكَ وَذَوَى أَسْنَانِهِمْ يَكُونُونَ
شُرُطَةً مَعَهُ ، ثُمَّ تَقَدَّمْ إِلَيْهِ فِي إِخْرَاجِ الْمَصَافِ ، وَإِقَامَةِ الْأَحْرَاسِ ، وَإِذْكَاءِ الْعَيْونِ ،
وَحَفِظِ الْأَطْرَافِ ، وَشِدَّةِ الْحَذَرِ ، وَمُرَّةِ فُلْيُضَعِ الْقَوَادِ بِأَنْفُسِهِمْ مَعَ أَصْحَابِهِمْ فِي مَصَافِهِمْ ،
كُلَّ قَائِدٍ بِإِزَاءِ مَوْضِعِهِ ، وَحَيْثُ مَنَزَلُهُ ، قَدْ شُدَّ ^(٤) مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ صَاحِبِهِ بِالرَّمَّاحِ ^(٥)
شَارِعَةً ، وَالنَّتْرَاسِ مَوْضُوعَةً ^(٦) وَالرَّجَالِ رَاصِدَةً ، ذَا كِيَّةِ الْأَحْرَاسِ ، وَحِلَّةِ الرَّوْعِ ،
خَائِفَةً طَوْرِيًّا الْعَدُوَّ وَبَيَّاتَهُ ^(٧) . ثُمَّ مَرَّةً فُلْيُخْرِجْ كُلَّ لَيْلَةٍ قَائِدًا فِي أَصْحَابِهِ أَوْ عِدَّةً
مِنْهُمْ إِنْ كَانُوا كَثِيرًا ، عَلَى غَلْوَةٍ ^(٨) أَوْ غَلُوتَيْنِ مِنْ عَسْكَرِكَ ، مُنْتَبِذًا ^(٩) عَنْكَ ،
مُحِيطًا بِمَنْزَلِكَ ، ذَا كِيَّةِ أَحْرَاسِهِ ، قَلِقَةً التَّرْدُدِ ، مُفْرِطَةً الْحَذَرِ ، مُعِدَّةً لِلرَّوْعِ ،
مَتَأَهِّبَةً لِلْقِتَالِ ، آخِذَةً عَلَى أَطْرَافِ الْعَسْكَرِ وَنَوَاحِيهِ ، مُتَفَرِّقِينَ فِي اخْتِلَافِهِمْ كُرْدُوسًا
كُرْدُوسًا ^(١٠) ، يَسْتَقْبِلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا فِي الْاِخْتِلَافِ ، وَيَكْتَسِعُ تَائِلًا ^(١١) مُتَقَدِّمًا فِي التَّرْدُدِ

(١) من قوله « وقصد بك ... إلى قوله وأردعه لعاديتهم » ساقط من المنظوم والنثور .

(٢) دراجة عسكرك كقوله قبل « سيارة عسكرك » من درج كنصر: أى مشى، والمصاف جمع مصف وهو

موضع الصف . (٣) الإدهان : الغش وإظهار خلافه . ايضاً . (٤) في المنظوم والنثور « قد صد »

(٥) شرعت الرماح كقطع : تسددت ، فهى شارعة وشوارع ، وشرعها وأشرعها فهى مشروعة

ومشروعة . (٦) وضمن الشيء كوعده فهو موضوع ووضع : ثنى بعضه على بعض وضاعفه ونضده .

(٧) بيت العدو : أوقع بهم ليلاً . (٨) الغلوة : رمية سهم أبعد ما يقدر عليه « قيل هى ثلاثمائة

ذراع إلى أربعمائة . (٩) قوله « منتبذاً عنك » ساقط من المنظوم والنثور وانتبذ عنه : تنحى .

(١٠) الكردوس : القطعة العظيمة من الخيل ، وكردس القائد خيله : جعلها كشيبة كشيبة .

(١١) كدمه كمنه : ضرب دبره بيده أو بصدر قدمه .

وَأَجْعَلْ ذَلِكَ بَيْنَ قَوَادِكِ وَأَهْلِ عَسْكَرِكَ نُوبًا مَعْرُوفَةً ، وَحِصَصًا مَفْرُوضَةً ، لِأَنْعُرِ (١) مِنْهَا مُزْدَلِفًا مِنْكَ بِمُودَّةٍ ، وَلَا تَتَّعَامَلْ فِيهِ عَلَى أَحَدٍ بِمَوْجِدَةٍ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .
فَوُضَّ إِلَى أَمْرَاءِ أَجْنَادِكَ وَقَوَادِكِ خَيْلِكَ أُمُورَ أَصْحَابِهِمْ ، وَالْأَخْذَ عَلَى قَافِيَةِ (٢) أَيْدِيهِمْ ، رِيَاضَةً مِنْكَ لَهُمْ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لِأَمْرَائِهِمْ ، وَالِانْبِاعِ لِأَمْرِهِمْ ، وَالْوُقُوفِ عِنْدَ نَهْيِهِمْ ، وَتَقَدَّمَ إِلَى أَمْرَاءِ الْأَجْنَادِ فِي النَّوَابِغِ الَّتِي أَلْزَمْتَهُمْ إِيَّاهَا ، وَالْأَعْمَالَ الَّتِي اسْتَنْجَدْتَهُمْ لَهَا ، وَالْأَسْلِحَةَ وَالْكَرَاعَ الَّتِي كَتَبْتُمْ عَلَيْهَا ، وَاحْذَرِ اعْتِلَالَ أَحَدٍ مِنْ قَوَادِكِ عَلَيْكَ بِمَا يَحْوُلُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ تَأْدِيبِ جُنْدِكَ ، وَتَقْوِيمِهِمْ لَطَاعَتِكَ ، وَقَمْعِهِمْ عَنِ الْإِخْلَالِ بِمَا كَرِهْتُمْ لَشَيْءٍ مِمَّا وَكَلُّوا بِهِ مِنْ أَعْمَالِهِمْ ، فَإِنَّ ذَلِكَ مَفْسَدَةٌ لِلْجُنْدِ ، مَفْئَاةٌ (٣) لِلْقَوَادِ عَنِ الْجِدِّ وَالْإِبْتَارِ لِلْمَنَاصِحَةِ (٤) ، وَالتَّعَدُّمِ فِي الْأَحْكَامِ .

وَأَعْلَمُ أَنَّ فِي اسْتِخْفَافِهِمْ بِقَوَادِمِهِمْ ، وَتَضْيِيعِهِمْ أَمْرَ رُؤَسَائِهِمْ ، دُخُولًا لِلضَّيَاعِ عَلَى أَعْمَالِكَ ، وَاسْتِخْفَافًا بِأَمْرِكَ الَّذِي يَأْتَمِرُونَ بِهِ ، وَرَأْيِكَ الَّذِي تَرْتَمِي ، وَأَوْعِزْ إِلَى الْقَوَادِ أَنْ لَا يُقَدِّمَ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَلَى عَقُوبَةِ أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِهِ إِلَّا عُقُوبَةً تَأْدِيبَ وَتَقْوِيمَ مِثْلٍ ، وَتَثْقِيفَ أَوْدٍ ، فَأَمَّا عَقُوبَةُ تَبْلُغُ تَلْفَ الْمُهْجِ وَإِقَامَةَ حَدٍّ فِي قَطْعٍ ، أَوْ إِفْرَاطٍ فِي ضَرْبٍ ، أَوْ أَخْذُ مَالٍ ، أَوْ عَقُوبَةُ فِي شَمْرٍ (٥) ، فَلَا يَلِينَنَّ ذَلِكَ مِنْ جُنْدِكَ أَحَدٌ غَيْرُكَ ، أَوْ صَاحِبُ شُرْطَتِكَ ، بِأَمْرِكَ ، وَعَنْ رَأْيِكَ ، وَإِذْنِكَ ، وَمَتَى لَمْ تَذَلِّ الْجُنْدَ لِقَوَادِمِهِمْ ؟ وَتَضْرِعِهِمْ (٥) لِأَمْرَائِهِمْ ، تُوجِبُ عَلَيْكَ لَهُمُ الْحُجَّةَ بِتَضْيِيعِهِمْ - إِنْ كَانَ مِنْهُمْ - لِأَمْرِكَ ، أَوْ خَلَلٍ - إِنْ تَهَاوَنُوا بِهِ - مِنْ عَمَلِكَ ، أَوْ عَجْزٍ - إِنْ فَرَطَ مِنْهُمْ - فِي شَيْءٍ وَكَلَّتَهُمْ بِهِ أَوْ أَسْنَدْتَهُ إِلَيْهِمْ ، وَلَا تَجِدْ إِلَى الْإِقْدَامِ عَلَيْهِمْ بِاللُّومِ وَعَعْضِ الْعُقُوبَةِ كَجَازَا

(١) أَي لَاتَمَحَّلْ ، وَفِي الْمَنْظُومِ وَالْمَشُورِ « لَا يَمُدُّ مِنْهُ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) قَافِيَةُ الرَّأْسِ : مُؤَخَّرُهُ ، وَقَبْلُ وَسَطِهِ ، وَقَافِيَةُ كُلِّ شَيْءٍ آخِرُهُ ، وَمِنْهُ قَافِيَةُ بَيْتِ الشُّعْرِ .

(٣) مَفْئَاةٌ : مَفْعَلَةٌ مِنْ فَنَاءَ إِذَا سَكَنَ وَكَسَرَ ، وَقَفَا الْقَدْرُ : سَكَنَ غَلِيَانَهَا ، وَفِي الْمَنْظُومِ وَالْمَشُورِ

« فَإِنَّ ذَلِكَ مَفْسَدَةٌ لِلْجُنْدِ ، مَعَى الْقَوَادِ عَنِ الْجِدِّ وَالْمَنَاصِحَةِ » وَمَعَى : مَعْجَزٌ .

(٤) أَي جَلْدٌ عَلَى شَعْرِ الْجَسَدِ ، وَفِي الْمَنْظُومِ وَالْمَشُورِ « فِي سَفَرٍ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٥) أَي تَذَلُّلٌ .

تصل به إلى تعنيفهم ، بتفريقتك في تذييل أصحابهم لها ، وإفسادك إياهم عليهم ، فانظر في ذلك نظراً مُحْكَمًا ، وتقدّم فيه برقك تقدماً بليفاً ، وإياك أن يدخل حزمك وهن ، أو يشوب عزمك إشار ، أو يخلط رأيك ضياع ، والله يستودع أمير المؤمنين نفسك ودينك^(١) .

إذا كنت من عدوك على مسافة دانية ، وسنن^(٢) لقاء مختصر ، وكان من عسكري مقرباً ، قد شامت^(٣) طلائعك مقدمات ضلالته ، وحماة فتنته ، فتأهب أهبة المناجز ، وأعدّ إعداد الخدير ، وكتب خيولك ، وعب جنودك ، وإياك والمسير إلا في مقدمة وميمنة وميسرة وساقة^(٤) ، قد شهروا الأسلحة ، ونشروا البنود^(٥) والأعلام ، وعرف جنودك مرا كزيم صائرين تحت ألبتيم ، قد أخذوا أهبة القتال ، واستعدوا للقاء ، ملتجئين^(٦) إلى مواقفهم ، عارفين بمواضعهم في مسيرهم ومعسكرهم ، وليكن ترسلهم وتنزلهم على راياتهم وأعلامهم ومرا كزيم ، قد عرف كل قائد منهم أصحابه مواقفهم ، من الميمنة والميسرة والقلب والساقة والطليعة ، لازمين لها ، غير مخلين بما استنجدتهم له ، ولا متهاونين بما أهبت بهم إليه ، حتى تكون عساكرك في كل منهل تصل إليه ، ومسافة تجتازها^(٧) ، كأنها عسكر واحد في اجتماعها على العدو وأخذها بالحزم ، ومسيرها على راياتها ، ونزولها على مرا كزها ، ومعرفتها بمواضعها ، إن أضلت دابة موضعتها ، عرف أهل العسكر : من أي المرا كز هي ؟ ومن صاحبها ؟ وفي أي المحل حلوا منها ؟ فردت إليه هداية معروفة بسمت صاحب قيادتها^(٨) ، فإن

(١) في المنظوم والنثور « وإياك أن يدخل حزمك وهن أو عزمك أماراً من رأيك ضياع والله استودع ديناً في نفسك » وهو تحريف . (٢) السنن : الطريق .
 (٣) نظرت ، وأصله من شام البرق : إذا نظر إليه أين يقصد وأين يعطر .
 (٤) الساقة : وخرة الجيش . (٥) البنود جمع بند بالفتح وهو العلم الكبير .
 (٦) في المنظوم والنثور « ملحين » وهو تحريف .
 (٧) في صبح الأعشى والمنظوم والنثور « تجتازها » وهو تصحيف ، وفي مفتاح الأفكار « ومفازة تجتازها » . (٨) وفي المنظوم والنثور « هداية ومعرفة ونسبة قيادة صاحبها » .

تقدّمك في ذلك ، وإحكامك له ، طارحٌ عن جندك مَثُونَةَ الطلَبِ ! ، وعناية المعرفة ،
وابتغاء الضالة .

ثم اجعل على ساقَتِكَ أوثقَ أهلِ عسكَرِكَ في نفسك صرامةً ونفاذاً ، ورضاً
في العامة ، وإنصافاً من نفسه للرعية ، وأخذاً بالحق في العدلة ، مستشعراً تقوى الله
وطاعته ، أخذاً بهديك وأدبِكَ ، واقفاً عند أمرِكَ ونهيكَ ، مُتَمَرِّزاً على مناصحتك
وتزيينك ، نظيراً لك في الحال ، وشبيهاً بك في الشرف ، وعديلاً في الموضع ، ومقارباً
في الصيت (١) ، ثم أكتشف (٢) معه الجمع ، وأيدّه بالقوة ، وقوّه بالظهر ، وأعينه
بالأموال ، واعمده (٣) بالصلاح ، ومُرّه بالعطف على ذوى الضعف من جندك ، ومن
أزحفت (٤) به دابته ، وأصابته نكبة من مَرَضٍ أو رُجُلَةٍ (٥) أو آفة ، من غير أن
يأذن لأحد منهم في التنحّي عن عسكروه ، أو التخلف بعد ترحله ، إلا لمجهودٍ سُقْمًا ،
أو لمطروقٍ بآفةٍ جائحةٍ ، ثم تقدّم إليه محذراً ، ومُرّه زاجراً ، وانتهه مغلظاً ، في الشدة
على من مرّ به مُنصرفاً عن معسكرك من جندك بِغَيْرِ جَوَازِكَ ، شاداً لهم أسراً ، وموقراًهم (٦)
حديداً ، ومعاقبهم مُوجِعاً ، وموجههم إليك فتنهمكهم (٧) عقوبةً ، وتجمّلهم لغيرهم
من جندك عِظَةً .

واعلم أنه إن لم يكن بذلك الموضع مَنْ تَسْكُنُ إليه ، واثقاً بنصيحته ، عارفاً
ببصيرته (٨) ، قد بلوت منه أمانةً تُسْكِنُك إليه ، وصرامةً تُؤمِنُك مهانتَه ، ونفاذاً
في أمرِكَ يُرْخِي عنك خِناقَ الخوفِ في إضاعته ، لم يأمن أمير المؤمنين نسل الجند عنك

(١) في صبح الأعشى « في السب » والأولى أنسب .

(٢) أي اجعله كشيء ، وفي المنظوم والمنثور « اكتشف » وهو تحريف .

(٣) عمده كضرب : أقامه بمهاد : أي قوه بالصلاح ، وفي المنظوم والمنثور « وانمره » .

(٤) أزحفت البعير : أعيا ، وفيه « ومن رخفت » ويرخف العجين كنعصر وفرح وكرم : اسرخى

(٥) رجل الرجل كفرح فهو راجل ورجلان : إذا لم يكن له ظهر بركبه .

(٦) أوقره : أثقله .

(٧) نهك عقوبة كسمه وأنهك : بالغ في عقوبته . (٨) هذه ساقطة من صبح الأعشى .

لِوَأِذَا^(١) ، وَرَفَضَهُمْ مَرَّاكَزَهُمْ ، وَإِخْلَافَهُمْ بِمَوَاضِعِهِمْ ، وَتَخَلَّفَهُمْ عَنِ أَعْمَالِهِمْ ، آمَنِينَ
تَغْيِيرَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ ، وَالشَّدَّةَ عَلَى مَنْ اجْتَرَمَهُ^(٢) مِنْهُمْ ، فَأَوْشَكَكَ ذَلِكَ فِي وَهْنِكَ ،
وَخَذَلَكَ مِنْ قُوَّتِكَ ، وَقَلَّلَ مِنْ كَثْرَتِكَ .

اجعل خلف ساقتك رجلاً من وجوه قوادك ، جليداً ماضياً ، عفيفاً صارماً ،
شهم الرأي ، شديد الحذر ، شكيم القوة ، غير مُدَاهِنٍ في عقوبة ، ولا مهين^(٣)
في قوة ، في خمسين فارساً من خيلك ، يحشُرُ إليك جنديك ، ويلحق بك من يتخلف
عنك ، بعد الإبلاغ في عقوبتهم ، والنهك لهم ، والتمكيل بهم ، وليكن بعقوبتك^(٤)
في المنزل الذي ترتحل عنه ، والمنهل الذي تقوض منه ، مُفْرِطاً في النقص له ، والتدبّع
لن تخلف عنك به ، مشتداً في أهل المنزل وساكنيه بالتقدم ، مُوعِزاً إليهم في إزعاج
الجنود عن منازلهم وإخراجهم من مكائهم ، إبعاد العقوبة الموجهة والنكال المُبْدِلِ^(٥)
في الأشعار والأبشار ، واستصفاة الأموال ، وهدم العقار ، لمن آوى منهم أحداً ، أو ستر
موضعه ، وأخفى محله ، وحذره عقوبتك إياه في الترخيص لأحد ، والمحابة لدى قرابة
والاختصاص بذلك لدى أثرة وهوادة ، وليكن فرسانه منتخبين في القوة ، معروفين
بالنجدة ، عليهم سوابغ الدروع ، دونها شعار الحشو وجبب الاستحجان^(٦) ، متقلدين
صيوقهم ، سامطين كئنائهم ، مستعدّين لهييج أن يبدهم ، أو كمين أن يظهر لهم
وإياك أن تقبل في دوابهم إلا فرسا قويا ، أو برذونا وثيجا^(٧) ، فإن ذلك من أقوى القوة

(١) بأن يستتر بعضهم ببعض حتى يخرج ، أو يلوذ بأحد فينطلق معه كأنه تابعه ، وهو منصوب
على الحال مصدر بمعنى اسم الفاعل .

(٢) في المنظوم والمنثور « على من اخترمه منهم ما ... ذلك في وهنك ، وأحدل من قوتك » .

(٣) المهين : الضعيف الحقير . (٤) العقوة : الساعة وما حول الدار والمحلة .

(٥) أبيله : أسلمه لتهاكك ، وفي المنظوم والمنثور « والنكاه المبسل في الأشعار واصفاً الأموال »
وهو تحريف ، واستنصق ماله : أخذ منه صفوه .

(٦) استجن : استتر ، وفي المنظوم والمنثور « وجبب الاستحجان » وهو تحريف .

(٧) البراذين من الجبل : ما كان من غير نتاج العرب ، والوثيج : المكتنز ، وقد وثج

ككرم وثاجة .

هُم ، وَأَعُونَ الظَّهِيرَ ^(١) عَلَى عَدُوِّهِمْ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ .
 لِيَكُن رَحِيلُكَ إِبَانًا ^(٢) وَاحِدًا ، وَوَقْتًا مَعْلُومًا ، لِتَخِفَ الْمُؤْنَةُ بِذَلِكَ عَلَى جُنْدِكَ ،
 وَيَعْلَمُوا أَوَانَ رَحِيلِهِمْ ، فَيَقْدَمُوا فِيهَا يَرِيدُونَ مِنْ مَعَالِجَةِ أَطْعَمَتِهِمْ ، وَأَعْلَافِ دَوَابِّهِمْ ،
 وَتَسْكُنَ أَفْتَدَتُهُمْ إِلَى الْوَقْتِ الَّذِي وَقَفُوا عَلَيْهِ . وَيَطْمَئِنُّ ذُو الرَّأْيِ ^(٣) إِلَى إِبَانِ الرَّحِيلِ
 وَمَتَى يَكُن رَحِيلُكَ مُخْتَلَفًا ، تَعْظُمُ الْمُؤْنَةُ عَايِكَ وَعَلَى جُنْدِكَ ، وَيُخْلُوا بِمَرَاكِزِهِمْ ^(٤) ،
 وَلَا يَزَالُ ذُو السَّفَةِ وَالنَّرْقِ يَتَرَحَّلُونَ بِالْإِرْجَافِ ^(٥) ، وَيَنْزِلُونَ بِالتَّوَهُّمِ ، حَتَّى لَا يَنْتَفِعَ
 ذُو الرَّأْيِ بِتَوْهُمٍ وَلَا طُمَأْنِينَةٍ .

إِيَّاكَ أَنْ تُظْهِرَ اسْتِقْلَالَ ، أَوْ تَنَادَى ^(٦) بِرَحِيلٍ مِنْ مَنْزِلٍ تَكُونُ فِيهِ ، حَتَّى تَأْمَرَ
 صَاحِبَ تَعْيِينِكَ بِالْوُقُوفِ بِأَسْحَابِهِ عَلَى مَعْسُوكِ ، أَخْذًا بِفَوْهَةِ جَنْبَتَيْهِ ^(٧) بِأَسْلِحَتِهِمْ ،
 عُدَّةً لِأَمْرٍ إِنْ حَضَرَ ، أَوْ مَفَاجَأَةٍ مِنْ طَلِيعَةٍ لِّلْعَدُوِّ إِنْ رَأَتْ مِنْكُمْ نُهُزَةً ، أَوْ لَمَحَّتْ عِنْدَكُمْ
 غِرَّةً ، ثُمَّ مَرُّ النَّاسِ بِالرَّحِيلِ ، وَخَيْلِكَ وَاقِفَةً ، وَأَهْبَتِكَ مُعَدَّةً ، وَجَنْتِكَ وَاقِيَةً ، حَتَّى
 إِذَا اسْتَقْلَلْتُمْ ^(٨) مِنْ مَعْسُوكِ ، وَتَوَجَّهْتُمْ مِنْ مَنْزِلِكُمْ ، مَرَّتُمْ عَلَى تَعْيِينَتِكُمْ ، بِسَكُونٍ
 رِيحٍ ، وَهَدُوءِ حَمَلَةٍ ، وَحُسْنِ دَعَاةٍ .

فَإِذَا انْتَهَيْتَ إِلَى مَنْهَلٍ أَرَدْتَ نَزُولَهُ ، أَوْ هَمَمْتَ بِالْمَعْسُوكِ بِهِ ، فَايَّاكَ وَنَزُولَهُ إِلَّا بَعْدَ
 الْعِلْمِ بِأَهْلِهِ ، وَالْمَعْرِفَةِ بِمُرَاقِقِهِ ، وَمَرُّ صَاحِبِ طَلِيعَتِكَ أَنْ يَعْرِفَ ^(٩) لَكَ أَحْوَالَهُ ، وَيَسْتَشِيرَ
 لَكَ عِلْمَ دَفِينِهِ ، وَيَسْتَبْطِنَ عِلْمَ أُمُورِهِ ، ثُمَّ يُنْهِيهَا إِلَيْكَ عَلَى مَا صَارَتْ إِلَيْهِ لِتَعْلَمَ : كَيْفَ
 أَحْمَالُهُ لِمَعْسُوكِ ؟ وَكَيْفَ مَاؤُهُ وَأَعْلَافُهُ ^(١٠) ، وَكَيْفَ مَوْضِعُ عَسْكَرِكَ مِنْهُ ؟ وَهَلْ لَكَ

(١) فِي صَبْحِ الْأَعْيُنِ « وَأَعُونَ الظَّهِيرَى » وَقَدْ تَقَدَّمَ مَعْنَاهُ .
 (٢) أَيْ وَقْتًا . (٣) فِي الْمَنْظُومِ وَالْمَنْتُورِ « ذُو... إِبَانِ الرَّحِيلِ » .
 (٤) هَذِهِ الْجُمْلَةُ سَاقِطَةٌ مِنْ صَبْحِ الْأَعْيُنِ .
 (٥) النَّزْقُ : الطَّيْشُ وَالخُفَّةُ ، وَأَرْجَفَ الْقَوْمُ فِي الشَّيْءِ « وَبِهِ إِرْجَافًا : أَكْثَرُوا مِنَ الْأَخْبَارِ السَّبِيحَةِ
 وَاخْتَلَقَ الْأَقْوَالَ الْكَاذِبَةَ حَتَّى يَضْطَرِبَ النَّاسُ مِنْهَا » (٦) فِي الْمَنْظُومِ وَالْمَنْتُورِ « إِيَّاكَ أَنْ تَنَادَى » .
 (٧) فِي صَبْحِ الْأَعْيُنِ « أَخْذًا بِجَنْبَتَيْ فَوْهَتِهِ » . (٨) اسْتَقْلَى الْقَوْمُ : ذَهَبُوا وَارْتَحَلُوا .
 (٩) فِي الْمَنْظُومِ وَالْمَنْتُورِ « إِلَّا بَعْدَ الْعِلْمِ أَنْ يَعْرِفَ لَكَ أَحْوَالَهُ أَوْ يَسْبِرَ عِلْمَ دَفِينِهِ » .
 (١٠) فِيهِ « وَكَيْفَ مَاؤُهُ وَأَعْلَافُهُ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

— إن أردت مقاما به ، أو مطاولة عدوك ومكابدته فيه — قوة تحملك ، ومدد يأتيه ، فإنك إن لم تفعل ذلك لم تأمن أن تهجم على منزل يعجزك ويزعجك منه ضيق مكانه ، وقلة مياهه ، وانقطاع موائده ، إن أردت بعدوك مكيدة ، أو احتجت من أمرهم إلى مطاولة ، فإن ارتحلت منه كنت غرضا لعدوك ؛ ولم تجد إلى المحاربة والأخطار سبيلا ، وإن أقت به أقت على مشقة وحضر ، وفي أزل وضيق ، فاعرف ذلك وتقدم فيه .

فإذا أردت نزولا أمرت صاحب الخيل التي وكتت بالناس^(١) ، فوقت خيله ، متنجية من معسرك ، عدة لأمر إن غالك^(٢) ، ومفزا لبديهة إن راعتك ، فقد أمنت بحمد الله وقوته^(٣) فجأة عدوك ، وعرفت موقعها من حرزك^(٤) ، حتى يأخذ الناس منازلهم ، وتوضع الأثقال مواضعها ، ويأتيك خبر طلائعك ، وتخرج دبابتك^(٥) من معسرك دراجة ودبابا^(٦) محيطين بمعسرك ، وعدة لك إن احتجت إليهم ، وليكن دباب جندك أهل جليد وقوة ، قائدا أو اثنين أو ثلاثة بأصحابهم ، في كل ليلة ويوم ، نوبا بينهم ، فإذا غربت الشمس ، ووجب^(٧) نورها ، أخرج إليهم صاحب تعبنتك أبداهم ، عسا بالليل في أقرب من مواضع دبابي النهار ، يتعاور ذلك قوادك جميعا ، بلا محاباة لأحد منهم فيه ولا إدهان إن شاء الله .

إياك أن يكون منزلك إلا في خندق وحصن ، تأمن به بيات عدوك ، وتستقيم فيه إلى الخزم من مكيدتك ، إذا وضعت الأثقال ، وحطت أبنية أهل العسكر ، لم يمدد طنبا^(٨) ، ولم يرفع خباء ، ولم ينصب بناء ، حتى تقطع لكل قائد ذرعا معلوما من

(١) في المنظوم والمنثور « التي رحلت الناس » .

(٢) فيه « إن راعتك » . (٣) فيه قد أمنت بإذن الله وحوله . (٤) فيه « من حربك » .

(٥) المراد بالدباب هنا . الجماعة التي تدب حول الجيش لمراسته ، من دب كضرب لإذامشي على هينته وقد تقدم في هذه الرسالة نظيرها وهي سيارة من سار ، ودراجة من درج ، وليس المراد بها الآلة التي اتخذ للحروب فتدفع في أصل الحصن فينبون وهم في جوفها ، كما فسرت بذلك .

(٦) دبابا : جمع داب كعدال جمع عادل . (٧) غاب .

(٨) وفيه « لم يمد خباء ولم تنصب بناء » والطنب : جبل طويل يشد به سرادق البيت .

الأرض بقدر أصحابه ، فيحتفروه عليهم خندقا ، يُطيفون به بعد ذلك بِخَنَادِقِ الْحَسَكِ^(١) ،
طارحين لها دون اشتجار الرماح^(٢) ، ونصبِ التَّرْسَةِ ، لها بابان قد وُكِّتَ بِحَفْظِ كُلِّ
بابٍ منهما رجلا من قوادك ، في مائة رجلٍ من أصحابه ، فإذا فرغ من الخندق كان ذاك
القائدان بمن معهما من أصحابهما أهل ذلك المركز ، وموضع تلك الخيل ، وكانوا هم البوابين
والأحراسَ لَدَيْنِكَ الموضعين^(٣) ، قد كفروها وضبطوها ، وأغفوا من أعمال العسكر
ومكروهه غيرهما .

واعلم أنك إذا كنت على خندق أميت^(٤) بإذن الله وقوته طوارقِ عدوك وبغتائهم ،
فإن راموا تلك منك ، كنت قد أحكمت ذلك وأخذت بالحزم فيه ، وتقدمت
في الإعداد له ، ورتقت مخوفَ الفتق منه ، وإن تكن العافية^(٥) استحققت
حمدَ الله عليها ، وارتبطت شكره بها ، ولم يضررك أخذك بالحزم ، لأن كل
كُفَّةٍ ونصبٍ ومثونةٍ إنفاقٍ ومشقةٍ عملٍ ، مع السلامة ، غنمٌ وغير خطرٍ بالعاقبة ،
إن شاء الله .

فإن ابتليت ببياتِ عدوك ، أو طرقت رائعا^(٦) في ليالك ، فليُفكِكَ حذرا معدا
مشمرا عن ساقك ، حاسرا عن ذراعك ، مُنَشَّرًا للحربك ، قد تقدمت دراجتك

(١) الحسك : نبات له شوك صلب ، ويعمل من الحديد أداة للحرب على مثال شوكه فيلقى حول
العسكر ، ويسمى باسمه (وهذا هو المراد هنا) أى الأسلاك الشائكة .

(٢) اشتجار الرماح : تشابكها في الطعان .

(٣) في المنظوم والمنثور بعد ذلك « فدالى الرفاهة والسمة وتقدم العسكر أو التأخر عنه ، فإن ذلك
كما يضاعف الوالى ويوهنه لاستنائه إلى من ولاء ذلك ، وأمنه به على جيشه » وفي أول العبارة تحريف
وقد تقدمت في صفحة ٤٣٣ وموضعها هنالك ، وقوله « قد كفوها ... إلى غيرهما » ساقط منه .

(٤) فيه « واعلم أنك إذ ... أميت بإذن الله طوارق ... » .

(٥) من قوله « وإن تكن العاقبة ... إلى بالعافية » ساقط من المنظوم والمنثور ، وفي مفتاح
الأفكار « استحققت » بالباء أى احتملت ، وفي صبح الأعشى « استحققت » .

(٦) أى مفرعا لك ، من راعه إذا أقرعه ، وفي المنظوم والمنثور « أو طرقت رائعا في ... حنوا
معدا مشمرا عن ساقك مشرا للحربك » وفيها قس وتحرير .

إلى مواضعها ، على ما وصف^(١) لك أمير المؤمنين ودبابتك في أوقاتها التي قدر لك ،
 وطلاعتك حيث أمرك ، وجندك على ما عبأ لك ، قد خَطَرَتْ عليهم بنفسك ، وتقدّمت
 إلى جندك إن طرَقَهُم طارقٌ ، أو فاجأَهُم عدوٌ ، ألا يتكلم أحد منهم رافعا صوته
 بالتكبير ، مُفْرِقا في الإجلاب ، مُعَلِّنا بالإرهاب لأهل^(٢) الناحية التي يقع بها العدوُّ
 طارقا ، وليُشِرِّعوا رماحَهُم مادّين^(٣) لها في وجوههم ، ويرشُقونَهُم بالنبل مُكْتَنِينَ^(٤)
 بِتَرَسَتِهِمْ ، لازمين أرا كزهم ، غير مُزِيلِي^(٥) قَدَمٍ عن موضعها ، ولا متجاوزين^(٦)
 إلى غير مركزهم ، وليكبرُوا ثلاث تكبيرات متواليات ، وسائرُ الجند هادون ،
 لتعرفَ موضع^(٧) عدوك من معسكرك ، فتُمِدَّ أهل تلك الناحية بالرجال من أعوانك
 وشرطتك ، ومَنْ انتخبْتَ قبل ذلك عُدَّةً للشدائد بحضرتك ، وتدسُّ إليهم
 النَّشَابَ والرماح .

وإياك أن يشهروا سيفا يتجاهلون به ، وتقدّم إليهم أن لا يكون قتالهم في تلك
 المواضع لمن طرَقَهُم إلا بالرماح ، مُسْنِدِينَ لها إلى صدورهم ، والنَّشَابِ راشقين به
 وجوههم ، قَدَّ أَلْبَدُوا^(٨) بالترسة ، واستجَنُّوا بالبَيْضِ ، وألقوا عليهم سوابغَ
 الدروع وجِبابَ الحشو ، فإن صدَّ العدو عنهم حاملين على ناحية أخرى ، كبر أهلُ
 تلك الناحية التي يقع فيها كفعل الناحية الأولى^(٩) ، وبقية المعسكر سكوتٌ ، والناحية
 التي صدَّ عنها العدو لازمة أرا كزها مُنْتَطِقَةُ الهدو ، ساكنة الريح^(١٠) ، ثم عمِلَتْ
 في تقويتهم وإمدادهم بمثل صنيعك ياخوانهم .

(١) فيه « على ما وصفت لك ... التي قدرت لك » وفيها نقص .

(٢) فيه « مفرورا في إجلاب ، مطنا للإرهاب إلا أهل الناحية » وهو تحريف .

(٣) في صبح الأعشى « ناشين بها » .

(٤) في المنظوم والمنتور « ملبدين » وفي صبح الأعشى مسكتين بأترستهم وفي « هامش » قال

ابن السكيت لا يقال أترسة وزان أرغفة ، وإنما جمع الترس ترسة وتروس وتراس وربما قيل أتراس .

(٥) قوله « غير مزيلي ... » ساقط من المنظوم والمنتور . (٦) فيه « ولا متجاوزين » .

(٧) قوله « اتعرف موضع ... » ساقط منه . (٨) أي لصقوا بها .

(٩) فيه « كبر أهل تلك الناحية الأولى » . (١٠) قوله « منتطقه ... إلى الريح » ساقط منه .

وإياك أن تُخمد نارَ رِواقك^(١) ، وإذا وقع العدو في معسكرك ، فأججها ساعرا لها ، وأوقدْها حطبا جزلا ، يعرف بها أهل المعسكر مكانك وموضع رواقك ، فيسكن نافر قلوبهم ، ويقوى واهن قوتهم ، ويشدد مُنخذي ظهورهم ، ولا يرجون بك الظنون ، ويجعلون لك آراء السوء ، ويرجعون بك آناء الخوف^(٢) ، وذلك من فعلك رادَّ عدوك بغيظه . لم يستفيل منك ظفرا^(٣) . ولم يبلغ من نكايتك سرورا إن شاء الله .

فإن انصرف عنك عدوك ، ونكلك عن الإصابة من جنحك ، وكانت بخيلك قوة على طلبه ، أو كانت لك من فرسانك خيل معدة ، وكتيبة منتخبة ، وقدرت أن تركب بهم أكسائهم^(٤) ، وتحملهم على سنانهم ، فأتبعهم جريدة^(٥) خيل عليها الثقات من فرسانك ، وأولو النجدة من حماتك ، فإنك ترهق^(٦) عدوك ، وقد أمن بيأتك ، وشغل بكآلاه عن التحرّز منك . والأخذ بأبواب معسكره ، والضبط لحارسه عليك مؤهنة حماتهم ، لغية^(٧) أبطالهم . لما ألقواكم عاياه من التشمير والجِد قد عقر^(٨) الله فيهم . وأصاب منهم ؛ وجرح من مقاتلتهم ، وكسر من أمانى ضالاهم وردّ من مستعلى جماعهم .

وتقدّم إلى من توجهه في طلبهم ، وتنبهه أكسائهم ، أن يكونوا وهم في سُكون الريح ، وقلة الرفت^(٩) ، وكثرة التسبيح والتلهيل ، وامتنعوا الله عز وجل بقلوبهم

(١) الرواق : بيت كالسطح .

(٢) في المنظوم والنثور : ولا يرجعون بك بالظنون ، ويجعلون لك آراء السوء ، وذلك من فعلك . . . الخ .

(٣) فيه : ولم يستقل منك بظفر . ويقال : استقل غربه : أى كسره .

(٤) الأكساء : الأدبار جم كس . بالضم ، وكس كل شئ : مؤخره .

(٥) الجريدة : خيل لارجاله فيها . (٦) أرهقه عسرا : كلفه إياه ، وحمله على مالا يطيقه .

(٧) وصف من اللغوب ، وهو الثعب والإعباء .

(٨) عقر البعير : ضرب قوائمه بالسيف وهو قائم ، والمعنى قد اندحروا وهزموا .

(٩) الرفت : الفحش .

وَأَسْتَهْمُ سِرًّا وَجَهْرًا ، بَلَا تَلْبَجُ ضَبْجَةً ، وَلَا ارْتِفَاعُ ضَوْضَاءَ ، دُونَ أَنْ يَرِدُوا عَلَى
مَطْلَبِهِمْ ، وَيَنْتَهِزُوا فُرْصَتَهُمْ ، ثُمَّ لَيْشْهَرُوا السَّلَاحَ ، وَيَنْتَضِرُوا السُّيُوفَ ، فَإِنَّ لَهَا
هَيْبَةً رَائِعَةً ، وَبَدِيهَةً مَخُوفَةً ، لَا يَقُومُ لَهَا فِي بَهْمَةٍ (١) اللَّيْلِ وَحِنْدِسِهِ إِلَّا الْبَطْلُ الْمُحَارِبِ ،
وَذُو الْبَصِيرَةِ الْحَامِي ، وَالْمُسْتَمِيتُ الْمُقَاتِلُ ، وَقَلِيلٌ مَا هُمْ عِنْدَ تِلْكَ الْحَمِيَّةِ ، وَفِي ذَلِكَ
الْمَوْضِعِ (٢) .

ليكن أول ما تتقدم به في التهيؤ لعدوك، والاستعداد للقاءه، انتخا بكَ من فرسان
عسكرك، وحماة جنديك، ذوى البأس والحنكة، والجلد (٣)، والصرامة ممن قد اعتاد
طراد الكمأة (٤)، وكشّر (٥) عن ناجذيه في الحرب، وقام على ساق في منازلة الأقران،
ثقف الفروسية (٦)، مستجمع القوة، مستحصد المريرة (٧) صبوراً على أهوال الليل،
عارفاً بمناهز الفرص، لم تُتمهنه (٨) الحنكة ضعفاً، ولا بلغت به السن كلالاً (٩)
ولا أسكرته غيرة الحداثة جهلاً، ولا أبطرته نجدة الأغمار (١٠) صلفاً، جريئاً على
مخاطرة التلف، مقدماً على ادراع الموت، مكابراً المرهوب (١١) الهول، متتحماً مخشياً
الحقوف، خائضاً غمرات المهالك، برأى يؤيده الحزم ونية لا يخالجها الشك، وأهواء
مجتمعة، وقلوب مؤتلفة (١٢)، عارفين بفضل الطاعة وعزها وشرفها، وحيث محل أهلها
من التأييد والظفر والتمكين، ثم اعرضهم رأى عين على كراعهم وأسلحتهم،
ولتكن دوابهم إناث عتاق الخيل، وأسلحتهم سوابغ الدروع وكمال آلة المحارب،

(١) البهمة: السواد، والحنديس: الظلمة والليل المظلم.

(٢) في المنظوم والمنثور « عند تلك المواضع » .

(٣) فيه « واجد » . (٤) الكمأة جمع كمي كفي . وهو الشجاع : المتكفي في سلاحه : أي

المتفعل المنثر بالدرع والبيضة . (٥) الناخذ : أقصى الأضراس ، وكشّر عن أسنانه : أبدى .

(٦) فيه « سقف الفراسة » وهو تحريف .

(٧) المريرة : العزيمة ، وأصلها الحبل الشديد القتل ، واستحصد الحبل : استحجم .

(٨) أمهته : أضعفه . (٩) فيه « دلالة » .

(١٠) الأغمار . جمع غمر كشمس وقفل وسبب وكشف ، وهو من لم يجرب الأمور ، ومضمر أيضاً

كعظم . (١١) وفي صبح الأعشى « لمهيب » .

(١٢) وفي المنظوم والمنثور « موسمة » .

متقلدين سيوفهم المستخلصة من جيد الجواهر وصافي الحديد ، المتخيرة من معادن الأجناس ، هندية الحديد أو تبتيية (١) ، يمانية الطبع ، رفاق المضارب ، مسمومة (٢) الشعد ، مشطبة الضريبة ، ملجدين بالترسة الفارسية . صينيئة التعقيب ، معلمة ، المقابض يخلق الحديد ، أنحاؤها مربعة ، ونحارزها بالتجليد مضاعفة ، ومحملها (٣) مستخف ، وكنائن النبل وجعاب القسي قد استحقبوها ، وقسي الشريان (٤) والنبع ، أعرابية الصنعة ، مختلفة الأجناس ، محكمة العمل ، مقومة الثقيف (٥) ، ونصول النبل مسمومة ، وعملها مصبى (٦) ، وتر كيها عراقى ، وتر يديها بدوى ، مختلفة الصوغ في الطبع ، شتى الأعمال في الشطيب والتجنيح والاستدارة (٧) ، ولتكن الفارسية مقلوبة المقابض ، منبسطة السية (٨) مهلة الانعطاف ، مقربة الانحاء ، ممكنة الرمي ، واسعة الأمام ، قرضها (٩) مهلة الورود ، ومعاطفها غير مقتربة (١٠) المواقاة .

ثم ول على كل مائة رجل منهم رجلاً من أهل خاصتك وثقاتك ونصحائك ، له صيت في الرياسة ، وقدم في السابقة ، وأولية في المشايعة (١١) ، وتقدم إليه في ضبطهم وكف مقررتهم (١٢) ، واستنزال نضائمهم ، واستعداد طاعتهم ، واستخلاص ضمايرهم ، وتعاهد كراعهم وأسلحتهم ، معفياً لهم من النوايب التي تلزم أهل العسكر وعامة

-
- (١) نسبة إلى التبت، وهي الجزء الجنوبي الغربي من الصين ، وهذه الكلمة ساقطة من صبح الأعشى، وفي المنظوم والمنثور « أو بتنية » وهو تحريف .
 (٢) وفيه « مستوية » وهو تحريف . (٣) المحمل : علاقة السيف .
 (٤) الشريان بالفتح ويكسر : شجر لاقسي .
 (٥) هذه ساقطة من المنظوم والمنثور . (٦) وهذه أيضا ساقطة منه ، والمصبصة : بلد بالشام .
 (٧) وفيه « في الشطيب والاستزادة » وفيها نقص وتحريف .
 (٨) سية القوس : معطف من طرفيها ، وفيه « السنة » .
 (٩) الفرض : جمع فريضة كفرصة ، والفريضة من النهر : ثلثة بستقى منها ، ومن البحر : محط السفن :
 (١٠) فيه « معنوية » وهو تحريف .
 (١١) من قوله « له صيت » إلى في المشايعة « ساقط منه .
 (١٢) وهذه الكلمة أيضا ساقطة منه .

جندك ، واجعلهم عدَّةَ لأمرٍ إن حَزَبَكَ^(١) أو طارقٍ إن أتاك^(٢) . ومُرِّم أن يكونوا على أهبة مُعدَّة ، وحَذَرٍ نافٍ لِسِنَّةِ الْغَفْلَةِ عَنْهُمْ^(٣) ، فإنك لا تدري : أىَّ الساعات من ليالك ونهارك تكون إليهم حاجتك؟ فليكونوا كرجل واحدٍ في التَّشْمِيرِ والتَّرَادُفِ^(٤) ومُسرعة الإجابة فإنك عَسَيْتَ أن لا تجدَ عند جماعة جندك في مثل تلك الرَّوْعَةِ والمباغِثَةِ - إن احتجتَ إلى ذلك منهم - مَعُونَةً كافيةً . ولا أهبة مُعدَّة . بل ذلك كذلك . فليكن هؤلاء القومُ الذين تنتخبُ عِدَّتَكَ . وقوتَكَ . بُعوثاً قد وظَّفْتَهَا^(٥) على القواد الذين وليتَهم أمورهم . فسمَّيتَ أوَّلاً . وثانياً . وثالثاً . ورابعاً . وخامساً إلى عشرة : فإن اكتفيتَ فيما يَبْدَهُكَ وَيَطْرُقُكَ بِبِعْثٍ واحدٍ . كان مُعدداً لم تحتجِ إلى انتخابهم^(٦) في ساعتك تلك . فقطعُ البعثَ عليهم عند ما يُرْهِقُكَ . وإن احتجتَ إلى اثنين أو ثلاثة وجَّهتَ منهم إرادتكَ أو ماترى قوتك^(٧) . إن شاء الله .

وَكُلٌّ بِخَزَائِنِكَ ودواوينك رجلاً ناصحاً أميناً^(٨) ذا وَرَعٍ حاجزٍ . ودين فاضلٍ . وطاعة خالصة . وأمانة صادقة^(٩) . واجعل معه خيلاً يكون مسيرُها ومنزلُها وترحُّلُها مع خزائنك وحولها . وتقدِّمُ إليه في حفظها . والتوقُّ^(١٠) عليها . واتَّهامُ كلِّ من تُسْفِدُ إليه شيئاً منها على إضاعته والتهاؤن به ، والشدةِ على من دنا منها في مسير ، أو ضامماً في منزل ، أو خالطها في منهل^(١١) ، وليكن عامَّةُ الجند والجيش - إلا من استتخلصت^(١٢) المسير معها - متفجِّين عنها ، مُجانبين لها في المسير والمنزل ، فإنهما كانت

(١) فيه « إن فاجأك » وحزبه الأمر : اشتد عليه .

(٢) فيه « أو طارق بينك » . (٣) فيه « وحذرهم ، فإنك لا تدري ... » .

(٤) فيه « والتردف » وهو تحريف .

(٥) فيه محل قوله « فليكن ... إلى قد . وظفَّتها » فاذا كرها ولي الدين نبحت عدتك وقوتك

تقويها قد قطعتها على القواد » وهو تحريف .

(٦) فيه « امتعانهم في ساعتهم » وهو تحريف .

(٧) هذه الجملة ساقطة منه . (٨) فيه « رجلاً أميناً صالحاً » .

(٩) قوله « وطاعة ... إلى صادقة » ساقطة منه .

(١٠) فيه « والتوقى عليها واتهام من بسند إليه شيئاً منها » .

(١١) هذه الجملة ساقطة منه . (١٢) فيه « استخلصت » .

الجلوة ، وحدثت الفرعة ، فإن لم يكن للخزائن مَن يُوكَلُ بها أهلُ حفظِها وذَبَّ عنها . وحيطةً دونها . وقوةً على من أراد انتهابها^(١) . أمرع الجندُ إليها . وتداعوا نحوها . حتى يكاد يترامى ذلك بهم إلى انتهاب العسكر . واضطراب الفتنة ، فإن أهل الفتن وسوء السيرة كثير ، وإنما همَّتْهم الشر ، فأياك وأن يكون لأحد في خزائنك ودواوينك وبيوت أموالك مطمَع . أو يجد سبيلاً إلى اغتيالها ومرزنتها^(٢) ، إن شاء الله .

أعلم أن أحسن مكيدتك أثراً في العامة . وأبعدها صيتاً في حُسن القالة . ما نلت الظفر فيه بحزم الروية . وحسن السيرة^(٣) ، ولطف الحيلة ، فلتكن رويتك في ذلك وحرصك على إصابته بالحيل ، لا بالقتال وأخطار التلف ، وادسُّس إلى عدوك ، وكناب رؤسهم وقادتهم ، وعدم المَنالات ، ومنهم الولايات ، وسوء غمهم الثراث^(٤) وضعهم الإحن^(٥) ، واقطع أعناقهم بالمطامع ، واستدعهم بالمشاوب^(٦) واملأ قلوبهم بالترهيب ، إن أمكنتك منهم الدوائر ، وأصارهم^(٧) إليك الرواجع وادعهم إلى الوثوب بصاحبهم أو اعتزله إن لم يكن لهم بالوثوب عليه طاقة ، ولا عليك^(٨) أن تطرح إلى بعضهم كتباً كأنها جوابات كتب لهم إليك ، وتكتب على ألسنتهم كتباً إليك تدفعها إليهم ، وتحمِلُ بها صاحبهم عليهم ، وتُنزِلُهم عنده بمنزلة القهمة ومحل الظنة^(٩) فلعل مكيدتك في ذلك أن يكون فيها افتراقُ كلمتهم ، وتشنيتُ جماعتهم ، وإحن^(١٠) قلوبهم ، وسوء الظن من واليهم بهم ، فيؤحشهم منه خوفهم

(١) من قوله « وحيطة ... إلى انتهابها » ساقط منه .

(٢) فيه « ومربتها » ورزأه ماله كجعل وعلم رزاً ومرزقة . أصاب منه شيئاً .

(٣) فيه « بحسن الروية وحسن التدبير » .

(٤) فيه « التراب » وهو نصيف .

(٥) الإحن: جمع إحنة بالكسر : وهي الحقد . (٦) هذه الجملة ساقطة منه .

(٧) فيه « وأصارهم » وهو تصحيف .

(٨) أي ولا حرج عليك . (٩) قوله « ومحل الظنة » ساقط منه .

(١٠) فيه « واحش » وهو تحريف .

إياه على أنفسهم إذا أيقنوا باتهامه^(١) إياهم ، فإن بسط يده بقتلهم ، وأولغ سيفه في دمائهم ، وأمرع الوثوبَ بهم ، أشعرهم جميعاً الخوفَ ، وشملهم الرعبُ ودعاهم إليك الهربَ ، فتهافتوا نحوك بالنصيحة ، وأمّوك بالطلب^(٢) وإن كان متأنيا محملاً ، رجوت أن نستميلَ إليك بعضهم ، وتستدعى بالطمع ذوى الشرِّ^(٣) منهم ، وتنال بذلك ما تحبُّ من أخبارهم إن شاء الله .

إذا تدانى للصفان ، وتواقف الجمعان ، واحتضرت الحرب ، رعيتات أصحابك لقتال عدوهم ، فأكثر من قول : لا حولَ ولا قوة إلا بالله ، والتوكل على الله عز وجل ، والتفويض إليه ، ومسألتِه توفيقك وإرشادك ، وأن يعزم لك على الرشد المنجى^(٤) ، والعصمة السكائنة ، والحياطة الشاملة .

ومرُّ جنديك بالصمت وقلة التلفت عند المصاولة^(٥) ، وكثرة التكبير في نفوسهم ، والتسبيح بضمائرهم ، وألاً يُظهروا تكبيراً إلا في الكرات والحملات ، وعند كل زلقة يزدلفونها ، فأما وهم وقوفٌ فإن ذلك من الفشل والجنون وليذكروا الله في أنفسهم ، ويسألوه نصرهم وإعزازهم^(٦) وليكثروا من قول : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، حسبنا الله ونعم الوكيل ، اللهم انصرنا على عدوك وعدونا الباغى ، واكفنا شوكته المستعديّة ، وأيدنا بملائكتك الغالبين ، واعصمنا بعونك من الفشل والعجز ، إنك أرحم الراحمين .

وليكن في عسكريك مكبرون بالليل والنهار قبل المواقفة ، وقوم موقوفون^(٧) يحضونهم على القتال ، ويحرّضونهم على عدوهم ، ويصفون لهم منازل الشهداء وثوابهم

(١) فيه « بأنها منايام » وهو تحريف .

(٢) هذه الجملة ساقطة منه . (٣) فيه « ذوى الشر » وهو تحريف .

(٤) هذه الكلمة ساقطة منه ، وفيه « والحيلة » وهو تحريف .

(٥) فيه « وقلة التلفت إلى المشارة » . (٦) قوله « وليذكروا... لك وإعزازهم » ساقط منه .

(٧) فيه « قبل المواقفة يطوفون عليهم يحضونهم » .

ويذكرونهم الجنة ودرجاتها ، ونعيم أهلها^(١) وسكانها ، ويقولون : اذكروا الله
يذكركم ، واستنصروه ينصركم ، والتجئوا إليه يمتنعكم^(٢) ، وإن استطعت أن
تكون أنت المباشر لتعبئة جنك ، ووضعهم مواضعهم من راياتك^(٣) ، ومعك رجال
من ثقات فرسانك ذوو سن وتجربة وتجدة على التعبئة التي أمير المؤمنين واصفها لك
في آخر كتابه هذا فافعل إن شاء الله تعالى .

أيديك الله بالنصر ، وغلب لك على القوة ، وأعانك على الرشد ، وعصمك من
الزيغ ، وأوجب لمن استشهد^(٤) معك ثواب الشهداء ، ومنازل الأصفياء ، والسلام
عليك ورحمة الله وبركاته .

وكتب سنة تسع وعشرين ومائة^(٥) .

(اختيار المنظوم والمشور ١٢ : ٢٠١ ، وصبح الأعشى ١٠ : ١٩٥ ، ومفتاح الأفكار ص ٢٣٠)

٥٠٦ - رسالة عبد الحميد إلى الكتاب

وكتب عبد الحميد رسالة إلى الكتاب بوصيهم فيها ، قال :

« أما بعد ، حافظكم الله يا أهل صناعة الكتابة ، وحاطكم ووقفكم وأرشدكم ،
فإن الله عز وجل جعل الناس بعد الأنبياء والمرسلين ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ،
ومن بعد الملوك المكرمين ، أصنافاً ، وإن كانوا في الحقيقة سواء ، وصرفهم في صنوف
الصناعات وضروب المحاولات ، إلى أسباب معاشهم^(٦) ، وأبواب أرزاقهم ، فجعلكم
معشر الكتاب في أشرف الجهات ، أهل الأدب والمروءة^(٧) والعلم والرواية^(٨) ،

(١) فيه « ويذكرونهم الجنة ودرجاتها وسكانها » . (٢) هذه الجملة ساقطة منه .

(٣) في صبح الأعشى « من رأيك » وهو تحريف .

(٤) استشهد بالبناء للجهدول : فتلى في سبيل الله .

(٥) قدمنا في أول هذه الرسالة أن قتال عبد الله بن مروان وأبيه مع الضحاك بن قيس كان

سنة ١٢٨ هـ . وقال الطبري : وقيل إن الضحاك إنما قتل سنة ١٢٩ هـ - انظر تاريخ الطبري ٦ : ٧٧

(٦) في مقدمة ابن خلدون « معاشهم » . (٧) فيها « والمروءات » .

(٨) فيها « والرزانة » .

بكم تنتظم للخلافة محاسنها ، وتستقيم أمورها ، وبنصائحكم يصلح الله للخلاق سلطانهم
وتعمر بلادهم^(١) ، لا يستغنى الملك عنكم ، ولا يوجد كافي إلا منكم ، فترفعكم
من الملوك موقعا أسماعهم التي بها يسمعون ، وأبصارهم التي بها يبصرون ، وألسنتهم
التي بها ينطقون ، وأيديهم التي بها يبطشون ، فأمتعكم الله بما خصكم من فضل
صناعتكم ، ولا نزع عنكم ما أضفاه^(٢) من النعمة عليكم .

وليس أحد من أهل الصناعات كلها ، أحوج إلى أجماع خلال الخير المحمودة ،
وخصال الفضل المذكورة المعدودة ، منكم أيها الكتاب إذا كنتم على ما يأتي في
هذا الكتاب من صفتكم ، فإن الكاتب يحتاج من نفسه ، ويحتاج منه صاحبه الذي
يتيق به في مهمات أموره . أن يكون حليما في موضع الحلم ، فهيا في موضع الحكم ،
مقداما في موضع الإقدام ، محجاما في موضع الإحجام ، مؤثرا للعفاف ، والعدل
والإنصاف ، كتما للأمرار ، وفيا عند الشدائد ، عالما بما يأتي من النوازل ، يضع
الأمر مواضعها ، والطوارق أما كنها ، قد نظر في كل فن من فنون العلم فأحكاه
فإن لم يحكمه أخذ منه بمقدار ما يكتبني به ، يعرف بغيره عقله ، وحسن أدبه ، وفضل
تجربته ، ما يرد عليه قبل وروده ، وعاقبة ما يصدر عنه قبل صدوره ، فيعد لكل
أمر عُدته وعَتَادَه^(٣) ، ويهيئ لكل وجه هينته وعادته .

فتنافسوا يا معشر الكتاب ، في صنوف الآداب ، وتفقهوا في الدين ؛ وابدؤوا
بعلم كتاب الله عز وجل والفرائض ، ثم العربية ، فإنها ثقاف^(٤) ألسنتكم ، ثم أجيدوا
الخط ؛ فإنه حلية كتبكم ، وارزوا الأشعار ، واعرفوا غريبها ومعانيها ، وأيام العرب
والعجم ، وأحاديثها وسيرها ، فإن ذلك معين لكم على ما تنسوا إليه هممكم ، ولا
تضيّعوا النظر في الحساب ، فإنه قوام كتاب الخراج ، وارغبوا بأنفسكم عن المطامع :

(١) فيها « بلدانهم » . (٢) أسبغه .
(٣) العتاد : العدة . (٤) الثقاف في الأصل : ما تسوى به الرماح .

سَدِّهَا (١) وَدَنِيَّتِهَا ، وَسَفْسَافٍ (٢) الْأُمُورَ وَمَحَاقِرِهَا ، فَإِنَّهَا مَذَلَّةٌ لِلرَّقَابِ ، مَفْسَدَةٌ
لِلْكِتَابِ ، وَنَزَّهُوا صِنَاعَتَكُمْ عَنِ الدَّنَائَاتِ (٣) ، وَارْزَبُوا (٤) بِأَنْفُسِكُمْ عَنِ السَّعَايَةِ
وَالنَّمِيمَةِ ، وَمَا فِيهِ أَهْلُ الْجَهَالَاتِ ، وَإِيَّاكُمْ وَالْكِبَرَ وَالصَّلَفَ (٥) وَالْعِظَامَةَ ، فَإِنَّهَا عِدَاوَةٌ
مُجْتَلِبَةٌ مِنْ غَيْرِ إِحْنَةٍ ، وَتَحَابُّوا فِي اللَّهِ عِزًّا وَجَلًّا فِي صِنَاعَتِكُمْ ، وَتَوَاصَوْا عَلَيْهَا بِالَّذِي
هُوَ أَلْيَقُ بِأَهْلِ الْفَضْلِ وَالْعَدْلِ وَالنُّبْلِ مِنْ سَلَفِكُمْ .

وَإِنْ نَبَأَ الزَّمَانَ بِرَجُلٍ مِنْكُمْ فَاعْظَمُوا عَلَيْهِ وَوَأَسُّوهُ ، حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْهِ حَالُهُ ،
وَيَثُوبَ (٦) إِلَيْهِ أَمْرُهُ ، وَإِنْ أَقْعَدَ أَحَدَكُمْ الْكِبَرَ عَنْ مَكْسَبِهِ وَلِقَاءِ إِخْوَانِهِ . فزُورُوهُ
وَعِظَمُوهُ ، وَشَاوِرُوهُ ، وَاسْتَظْهِرُوا (٧) بِفَضْلِ تَجْرِبَتِهِ ، وَقَدِّمِ (٨) مَعْرِفَتَهُ ، وَليَكُنِ
الرَّجُلُ مِنْكُمْ عَلَى مَنْ اصْطَنَعَهُ وَاسْتَظْهَرَ بِهِ لِيَوْمِ حَاجَتِهِ إِلَيْهِ ، أَحْفَظَ (٩) مِنْهُ عَلَى وَلَدِهِ
وَأَخِيهِ ، فَإِنْ عَرَضَتْ فِي الشَّغْلِ كَمَحْمَدَةَ ، فَلَا يُضَيِّفُهَا (١٠) إِلَّا إِلَى صَاحِبِهِ ، وَإِنْ عَرَضَتْ
مَذَمَّةٌ فَلْيَحْمِلْهَا هُوَ مِنْ دُونِهِ ، وَلْيَحْذَرِ السَّقَطَةَ وَالزَّلَّةَ ، وَالْمَلَلَ عِنْدَ تَغْيِيرِ الْحَالِ ،
فَإِنَّ الْعَيْبَ إِلَيْكُمْ مَعَشَرَ الْكِتَابِ . أَسْرِعْ مِنْهُ إِلَى الْفِرَاءِ . وَهُوَ اسْمُ أَفْدُ
مِنْهُ لَهَا .

فَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ إِذَا صَحِبَهُ الرَّجُلُ (١١) يَبْذُلُ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ مَا يَجِبُ لَهُ عَلَيْهِ
مِنْ حَقِّهِ . فَوَاجِبٌ عَلَيْهِ أَنْ يَعْتَقِدَ لَهُ مِنْ وَقَائِهِ وَشُكْرِهِ . وَاحْتِمَالُهُ وَصَبْرُهُ (١٢) . وَنُصِيحَتُهُ
وَكَتْمَانُ مَسْرِهِ ، وَتَدْبِيرُ أَمْرِهِ ، مَا هُوَ جَزَاءُ لِحَقِّهِ ، وَيَصَدَّقُ ذَلِكَ بِفِعَالِهِ (١٣) عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ ،
وَالِاضْطِرَارِ إِلَى مَالِدِهِ .

فَاسْتَشْعِرُوا ذُلَّكُمْ - وَفَقْرَكُمْ اللَّهُ - مِنْ أَنْفُسِكُمْ فِي حَالَةِ الرِّخَاءِ وَالشَّدَةِ ، وَالْحَرَمَانِ
وَالْمُوَاسَاةِ وَالْإِحْسَانِ ، وَالسَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ ، فَنِعِمَّتِ الشَّيْمَةُ هَذِهِ لِمَنْ وَوَيْمَ بِهَا ، مِنْ أَهْلِ

- (١) أَي رَفِيمِهَا . (٢) الرَّدِيءُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ . (٣) فِي الْمَقْدَمَةِ «الدَّنَائَاتُ» . (٤) رَبًّا: عَلَا وَارْتَفَعَ . (٥) فِيهَا «وَالصَّلَفُ» . (٦) يَرْجِعُ . (٧) تَقَوَّوْا . (٨) فِيهَا «وَقَدِّمِ» . (٩) فِيهَا «أَحْوَطُ» . (١٠) فِيهَا «فَلَا يَصْرِفُهَا» . (١١) فِيهَا «إِذَا صَحِبَهُ مِنْ يَبْذُلُ لَهُ» . (١٢) فِيهَا «وَصَبْرُهُ» . (١٣) فِيهَا «تَبَعًا لَهُ» وَهُوَ تَحْرِيْفٌ .

هذه الصناعة الشريفة ، فإذا ولى الرجلُ منكم ، أو صير إليه من أمر خلق الله وعياله أمرٌ ، فليراقب الله عز وجل ، وليؤثر طاعته وليكن على الضعيف رفيقا ، والمظلوم مُنصفا ، فإن أخلق عيالُ الله ، وأحبهم إليه أرفقهم بعياله ، ثم ليكن بالعدل حاكما ، وللأشراف مُكرِما ، وللأفنيء موفرا ، وللبلاد عامرا وللرعية متألفا ، وعن إبدائهم متخلفا ، وليكن في مجاسه متواضعا حلما ، وفي سجاجات خراجه وأستقضاء حقوقه رفيقا ، وإذا صحب أحدكم رجلا فليختبر خلقة ، فإذا عرّف حسنها وقبيحها ، أعانه على ما يوافق من الحسن ، وأحتال لصرّفه عما يهواه من القبيح ، بالطف حيلة وأجمل وسيلة ، وقد علمتم أن سائس البهيمة إذا كان بصيرا بسياستها ، التمس معرفة أخلاقها ، فإن كانت رموحا^(١) لم يهيجها إذا ركبها ، وإن كانت شبوبا^(٢) أتقها من قبل يديها ، وإن خاف منها شرودا توقاها من ناحية رأسها ، وإن كانت حرّونا قمع برفق هواها في طريقها ، فإن استمرت عطفها يسيرا ، فيسلس له قيادها ، وفي هذا الوصف من السياسة دلائل لمن سأس الناس وعاملهم ، وجرّتهم^(٣) وداخلهم .

والكاتب بفضل أدبه ، وشريف صنفته ، ولطيف حيلته ومعاملته لمن يحاوره من الناس وينظره ، ويفهم عنده أو يخاف سطوته ، أولى بالرفق بصاحبه ، ومداراته ، وتقويم أوده ، من سائس البهيمة التي لا يُخبر^(٤) جوابا ، ولا تعرف صوابا ، ولا تفهم خطابا ، إلا بتدر ما يصيرها إليه صاحبها الركب عليها ، ألا فأمعنوا^(٥) - رحمكم الله - في النظر ، وأعملوا فيه ما أمكنكم من الروية والفكر ، تأمنوا^(٦) بإذن الله ممن صحبتموه النبوة ، والاستئصال والجفوة ، ويصير منكم إلى الموافقة ، وتصيروا منه إلى المواخاة والشفقة ، إن شاء الله تعالى .

(١) ربحه الفرس كرم : رفسه . (٢) شب الفرس كضرب ونصر : رفع يديه ، وفي المقدمة « من بين يديها » . (٣) وفي صبح الأعشى « وخدمهم » . (٤) أي لا ترد . (٥) فيها « فارقوا » . (٦) تأمنوا : مجزوم في جواب الأمر : أو بعبارة أخرى جواب لشرط محذوف مع فعل الشرط أي « إن تعملوا ... تأمنوا » ومن ثم يجوز في « ويصير » ثلاثة أوجه : الجزم والنصب والرفع كما هو مشهور ، فقول بعضهم : « ولعل ثبوت الياء قبل الراء من زيادة الناسخ » مردود .

ولا يجاوزن الرجل منكم - في هيئة مجاسه ، وملبسه ومرز كبه ، ومطعمه ومشربه ،
وبناؤه^(١) ، وخدمه ، وغير ذلك من فنون أمره - قدر حقه ، فإنكم - مع ما فضلكم
الله به من شرف صنعكم - خدمة لا تُحمَلون في خدمتكم على التقصير ، وحفظه لا تُحتمل
منكم أفعال التضييع والتبذير ، واستعينوا على عفافكم بالصدق في كل ما ذكرته لكم ،
وقصصته عليكم ، واحذروا متالف العرف ، وسوء عاقبة الترف ، فإنهما يُعقبان الفقر ،
ويُدلان الرقاب ، ويفضخان أهلها ، ولا سيما الكتاب وأرباب الآداب ، وللأمور
أشباه ، وبعضها دليل على بعض ، فاستدلوا على مؤثنت^(٢) أعمالكم ، بما سبقت
إليه تجربتكم ، ثم أسلكوا من مسالك التدبير أوضحها محجة ، وأصدقها حجة ،
وأحدها عاقبة .

وأعلموا أن للتدبير آفة متلفة ، وهي الوصف الشاغل لصاحبه عن إنفاذ عمله
ورؤيته^(٣) ، فليقصد الرجل منكم في مجلسه قصد الكافي من منطقته ، وليؤجز في ابتدائه
وجوابه ، وليأخذ بمجامع حججه ، فإن ذلك مصلحة لفعله ، ومدفعة للتشاغل عن
إكثاره ، وليضرع إلى الله في صلة توفيقه ، وإمداده بتسديده ، مخافة وقوعه في الغلط
المُضِرَّ ببدنه وعقله وأدبه ، فإنه إن ظن منكم ظان ، أو قال قائل : إن الذي برز من
جميل صنعته ، وقوة حركته ، إنما هو بفضل حيلته ، وحسن تديره ، فقد تعرض
بظنه^(٤) أو مقالته إلى أن يكلاه الله عز وجل إلى نفسه ، فيصير منها إلى غير كافي ،
وذلك على من تأمله غير خاف .

ولا يقل أحد منكم إنه أبصر بالأمور ، وأنحل لعب التدبير ، من مرافقه
في صناعته ، ومُصاحبه في خدمته ، فإن أعقل الرجلين عند ذوى الأبواب ، من رمى

(١) قد يكون المراد به مكنه الذي يبنيه ، وقد يكون المراد زفاه ، من بي على أهله وبها بناء .

وابتنى : زفها .

(٢) مبتدأ . (٣) فيها « علمه ورؤيته » . (٤) فيها « بحسن ظنه » .

بالعُجْبِ وراءَ ظهره ، ورأى أن صاحبه أَعْقَلُ منه ، وأُحَمِّدُ^(١) في طريقته ، وعلى كل واحد من الفريقين أن يعرف فضل نعم الله جل ثناؤه ، من غير اغترارٍ برأيه ، ولا تزكية لنفسه ، ولا تكاثرٍ على أخيه أو نظيره ، وصاحبه وعشيرته ، وحمدُ الله واجب على الجميع ، وذلك بالتواضع لعظمته ، والتذلل لعزته ، والتحدث بنعمته .

وأنا أتول في كتابي هذا ما سبق به المثل : « من يلزم النصيحة^(٢) يلزمه العمل » وهو جوهر هذا الكتاب ، وغرّة كلامه ، بعد الذي فيه من ذكر الله عز وجل ، فلذلك جعلته آخره ، وتممته به ، تولاّنا الله وإياكم يا معشر الطلبة والكتّبة ، بما يتولّى به من سبق علمه بإسعاده وإرشاده ، فإن ذلك إليه وبيده ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

(صبح الأعشى ١ : ٨٥ ، ومقدمة ابن خلدون ص ٢٧٥ ، وكتاب الوزراء والكتاب ص ٧٠)

٥٠٧ - رسالة عبد الحميد في الشطرنج

« أما بعد : فإن الله شرع دينه بإنهاج^(٣) سبيله ، وإيضاح معالمه بإظهار فرائضه ، وبعث رسوله إلى خلقه دلالة لهم على ربوبيته ، واحتجاجاً عليهم برسالاته ، وتقدماً إليهم بإنذاره ووعيده ، ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة ، ثم ختم بنبيه صلى الله عليه وسلم وحيه ، ووفى به رسوله ، وأبتعه لإحياء دينه الدارس^(٤) ، مرتضياً له على حين انطمست الأعلام مخفية ، وتشتت السبل متفرقة ، وعفت آثار الدين دارسة ، وسطع رهج^(٥) الفتن ، واعتلى قتام الظلم ، واستنهد^(٦)

(١) فيها « وأجل » . (٢) في نسخة من صبح الأعشى « الصحة » وذكر الجاحظ في البيان والتبيين (٢ : ٤٦) قال : ومن كلام الأحنف السائر في أيدي الناس « الزم الصحة يلزمك العمل » .
(٣) أنهج : أوضح (ووضح أيضا) وكذا نهج كمنع تستعمل بالمعنيين .
(٤) درس الأثر كدخل : عفا واعمى . (٥) الرهج بالفتح وبالتحريك : أفتار ، وكذا القتام (٦) في كتب اللغة : نهج الرجل : نهض ، وليس فيها الصيغة المزيدة .

الشرك ، وأسدف^(١) الكفر ، وظهر أولياء الشيطان ، لطموس الأعلام ، ونطق
 زعيم الباطل ؛ لسكته الحق ، واستطرق^(٢) الجور ، واستنكح الصدوف عن الحق ،
 واقمطر^(٣) سلهب^(٤) الفتن ، واستضرم^(٥) لقا حها ، وطبقت الأرض ظلمة كفر وغباية
 فساد ، فصدع^(٦) بالحق مأمورا ، وبلغ الرسالة معصوما ، ونصح الإسلام وأهله ،
 دالاً لهم على المرآشد ، وقائداً لهم إلى الهداية ، ومُنيراً لهم أعلام الحق ، صاحبة^(٧) ،
 مُرشداً لهم إلى استفتاح باب الرحمة ، وإعلان عروة النجاة ، موضحاً لهم سبيل الغواية^(٨) ،
 زاجراً لهم عن طريق الضلالة ، محذراً لهم المهلكة ، مُوعِزاً إليهم في التقدمة^(٩) ،
 ضاربا لهم الحدود على ما يتقون من الأمور ومخشون ، وما إليه يسارعون ويطلبون ،
 صابراً نفسه على الأذى والتكذيب ، داعياً لهم بالترغيب والترهيب ، حريصاً عليهم ،
 متحنناً على كافتهم ، عزيزاً عليه عنهم^(١٠) ، رءوفاً بهم رحيماً ، تقدمه شفقتهم عليهم وعنايته
 برشدهم ، إلى تجريد الطلب إلى ربه ، فيما فيه بقائه النعمة عليهم ، وسلامة أديانهم ،
 وتخفيف أواخر^(١١) الأوزار عنهم ، حتى قبضه الله إليه صلى الله عليه وسلم ناصحاً
 مُتفصلاً^(١٢) ، أميناً مأموناً ، قد بلغ الرسالة ، وأدى النصيحة ، وقام بالحق ، وعدل
 عمود الدين . حتى اعتدل ميله ، وأذل الشرك وأهله ، وأنجز الله له وعده ، وأراه
 صدق أسبابه في إكفاله للمسلمين دينه ، واستقامة سنته فيهم ، وظهور شرائعه عليهم ،
 قد أبان لهم موبقات^(١٣) الأعمال ، ومفطحات الذنوب ، ومهبطات الأوزار ، وظلم

(١) أسدف الليل : أظلم . (٢) استطرقه خلا : طالبه منه أن يعيره إياه ليطلق إياه ، وطرق
 الفحل الناقة : قما عليها وضربها ، ومعنى استطرق هنا : استفسر وفتش ، واستنكح المرأة : نكحها .
 والصدوف : الإعراض . (٣) فطر : اشتد ، والسلب : الطويل من الخيل والناس .
 (٤) في كتب اللغة : استضرم النار : أوقدها ، فاضطرت وانضرت ، وطبقه : غطاه .
 (٥) صدع به : جهر . (٦) أي واضحة ظاهرة ، من ضحا إذا برز للشمس .
 (٧) أي موضعاً لهم ما فيها من الضرر والأذى لينكبوا عنها .
 (٨) أي في أن يقدموا العمل الصالح . (٩) العنت : الوقوع في أمر شاق .
 (١٠) الأواخر . جمع آصرة ، وهي جبل صغير يشد به أسفل الحباء .
 (١١) النصيح : كثرة النصح ، ومنه قول أكرم بن صير : إياكم وكثرة النصيح فإنه يورث النهمه .
 (١٢) أي مهلكات ، من أوبقه أي أهلكه ، وفضح الأمر ككرم وأفضح : اشتدت شاعته وجاوز
 المقدار في ذلك ، ومهبطات الأوزار : أي الأوزار التي تهبط صاحبها وتحط قدره .

الشُّبُهَات ، وما يدعو إليه نقصان الأديان ، وتستهويهم به الغوايات ، وأوضح لهم أعلام الحق ، ومنازل المرشد ، وطرق الهدى ، وأبواب النجاة ، ومعالق العِصْمَةِ ، غير مدَّخِر لهم نُصْحًا ، ولا مُبْتَغِر في إرشادهم غُنا .

فكان مما قدَّم إليهم فيه نَهْيَهُ ، وأعلمهم سوء عاقبته ، وحذَّره إصرَهُ (١) وأوعزَ إليهم ناهيا وواعظا وزاجرا ، الاعتكاف على هذه التماثيل من الشُّطْرَنْج (٢) ، والمواصلة عليها ؛ لما في ذلك من عظيم الإثم ، ومُوبِقِ الوزر ، مع مَشغَلَتِهَا عن طلب المعاش ، وإضرارها بالمعقول ، ومنعها من حضور الصَّلوات في موافقتها مع جميع المسلمين .

وقد بلغ أمير المؤمنين أن ناساً ممن قبلك من أهل الإسلام قد ألجَّهْمُ (٣) الشيطان بها ، وجمَّعهم عليها ، وألَّفَ بينهم فيها ، فهم مُعْتَكِفُونَ عليها من لدن صبحهم إلى مُسَاهَمِ (٤) ، مُلَهِيَةً لهم عن الصلوات ، شاغلة لهم عما أمروا به من القيام بِسُنَنِ دِينِهِمْ ، وأفترض عليهم من شرائع أعمالهم ، مع مُدَاعَبَتِهِمْ فيها ، وسوء لفظهم عليها ، وإن ذلك من فملهم ظاهراً في الأندية والمجالس ، غير مُنْكَرٍ ولا معيب ، ولا مستفزع عند أهل الفقه ، وذوى الورع والأديان والأسنان منهم ، فأكبرَ أمير المؤمنين ذلك وأعظمه ، وكرَّهه واستكبره ، وعلم أن الشيطان عندما يتس من بلوغ إرادته في معاصي

(١) الإصر : الذنب . (٢) جاء في المصباح « الشطرنج معرب ، قيل بالفتح وقيل بالكسر وهو المختار قال ابن الجواليقي في كتاب ما تلحن فيه العامة : « ومما يكسر والعامة نفتحته أو نضمه الشطرنج بكسر الشين ، قالوا ولأننا كسر ليكون نظير الأوزان العربية مثل جردحل ، إذ ليس في الأبنية العربية فعمل بالفتح حتى يحمل عليه » - والجردحل : الوادي - وجاء في شفاء القليل « قال الحريري بفتح الشين والقياس كسرهما لأنهم لم يقولوا فعلاً بفتح الفاء ، وقيل إن ابن القطاع نقله عن سيبويه ومثل له برطح ، وهو حزام الدابة ، ويقال بالسين والشين والمعروف فيه الفتح ، وقال الواحدى : الكسر أحسن ليكون كجردحل ، وقيل هو عربي من المشاطرة لأن لكل شطرا ومنهم من جعله أشطراء والصحيح أنه معرب صدرت أى مائة حيلة ، والمقصود التكثير ، وقيل معرب شدرنج أى من اشتغل به ذهب عناؤه باطلا ، أقول : والقول بعربيته إنما هو من جعل بعض الفقهاء اللغويين ؛ وتحليلهم في صبغ الكلمات الأعجمية بصنع عربي .

(٣) أى أغرامهم بها ، من لهج بالأمر كفرح ، أى أغرى به فتأبر عليه .

(٤) المسى : الإمساء .

الله عز وجل بمصر المسلمين ومجمعهم صُراحا^(١) وجهارا ، أقدم بهم على شبهة مُهلكة ،
وزين لهم ورطة موبقة ، وغرهم بمكيدة حيلة ، إرادة لاستهوائهم بالخدع ،
وأجتياهم^(٢) بالشبه والمرصد الخفية المشككة ، وكل مقيم على معصية الله صُغرت
أو كبرت مستحلاً لها مُشيداً^(٣) بها ، مُظهراً لارتكابه إياها ، غير حذر من عقاب الله
عز وجل عليها ، ولا خائف مكروهاً فيها ، ولا رعيب^(٤) من حلول سَطوته عليها ،
حتى تلحقه المنية ، فتختلجه وهو مُصيرٌ عليها ، غير تائب إلى الله منها ، ولا مستغفر من
ارتكابه إياها ، فكم قد أقام على موبقات الآثام وكبائر الذنوب حتى حُدّه
مُحترِم^(٥) أيامه .

وقد أحب أمير المؤمنين أن يتقدم إليهم فيما بلغه عنهم ، ويوعز إليهم ويُعَلِّمهم
ما في أعناقهم عليها ، وما لهم في قبول ذلك^(٦) من الحظ ، وعليهم في تركه من
الوزر ، فأذن^(٧) بذلك فيهم ، وأشدّه في أسواقهم . وجميع أنديتهم ، وأوعز إليهم
فيه ، وتقدّم إلى عامل شرطيك : في إنيهاك^(٨) العتوبة لمن رُفِع إليه من أهل
الاعتكاف عليها ، والإظهار للعب بها ، وإطالة حبه في ضيق وضنك ، وطرح اسمه
من ديوان أمير المؤمنين ، وأفطيمهم عما لهجوا^(٩) به من ذلك ، والتمس بشدتك
عليهم فيه وإنيهاك بالعتوبة عليه ثواب الله وجزاءه ، واتباع أمير المؤمنين ورأيه ،
ولا يجدن أحد عندك هَوادةً في التقصير في حق الله عز وجل ، والتعدي لأحكامه ،

(١) الصراح بالضم والكسر : المصارحة .

(٢) اجتياهم : حولهم عن قصد . (٣) أشاده وأشاد به : أشاعه ورفع ذكره .

(٤) أي مرعوب ، رعبه كنعه خوفاً فهو مرعوب ورعيب ، وفي الأصل « رعب » وهو تحريف

(٥) هو الموت ، اخترمته المنية : أخذته واقتطعت ، وفي الأصل « محزم » ، وحادّه : دفعه ومنعه ،

وفي الأصل « مدبه » وأراه محرفاً وصوابه « حده أو صده » .

(٦) أي وما لهم في قبول ذلك النصح الذي تقدم به إليهم من الحظ ، وما عليهم في تركه من الوزر .

(٧) آذنه الأمر وبه : أعلمه .

(٨) نهك السلطان عقوبة كسم وأنهك : بالغ في عقوبته .

(٩) في الأصل « نهجوا به » وهو تحريف .

فَتَحِلَّ بِنَفْسِكَ مَا يَسُوءُكَ عَاقِبَتُهُ وَمَعَقَّبَتُهُ ، وَتَتَعَرَّضُ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ عِزٍّ وَجَلٍّ وَنِكَالِهِ ،
وَ اَكْتُبْ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَا يَكُونُ مِنْكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ . وَالسَّلَامُ .

(اختيار المنظوم والمنثور ٢ : ٢٢٢)

٥٠٨ - رسالة عبد الحميد في وصف الصيد

ومن رسائله رسالته التي وصف بها الصيد :

« أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مُؤَيِّدًا بِالْعِزِّ ، مَخْصُوصًا بِالْكَرَامَةِ ، مُتَمَتِّعًا بِالنِّعْمَةِ ،
إِنَّهُ لَمْ يُبَلِّغْ أَحَدًا مِنَ الْمُقْتَنِصِينَ ، وَلَا مُنِحَ مَتَطَرِّفٍ مِنَ الْمُتَصَيِّدِينَ ، إِلَّا دُونَ مَا لَقَّانَا
اللَّهُ بِهِ مِنَ الْيُمْنِ وَالْبُرْكَاتِ ، وَمُنْحَنَا مِنَ الظَّفَرِ وَالسَّعَادَةِ فِي مَسِيرِنَا ، مِنْ كَثْرَةِ الصَّيْدِ ،
وَحُسْنِ الْمُتَنَصِّصِ ، وَتَمَكُّنِ الْجَاسِئَةِ (١) وَقُرْبِ الْغَايَةِ ، وَسُهُولَةِ الْمَوْرِدِ ، وَغُمُومِ
الْقُدُورَةِ (٢) ، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ مَحَاوِلَةِ الطَّلَبِ ، وَشِدَّةِ النَّصَبِ ، لِغَايَةِ الصَّيْدِ ، وَقَائِدَةِ (٣)
الطَّرِيدَةِ ، الَّتِي أَمَعْنَا فِي الطَّلَبِ لَهَا ، وَأَعْجَزَنَا الْبَهْرُ عَنْ اللَّحَاقِ بِهَا ، لِتَفَاوُتِ سَبْقِهَا ،
وَمَنْتَطَعِ هَرَبِهَا وَمَتَفَرِّقِ سُبُلِهَا ، ثُمَّ آلَ بِنَا ذَلِكَ إِلَى حُسْنِ الظَّفَرِ ، وَتَنَاوُلِ الْأَرْبِ ،
وَنَهَايَةِ الطَّرِبِ .

وَإِنِّي أَخْبَرْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَا خَرَجْنَا إِلَى الصَّيْدِ بِأَعْدَى الْجَوَارِحِ ، وَأَثَقَفِ
الضَّوَارِي ، أَكْرَمَهَا أَجْنَاسًا ، وَأَعْظَمَهَا أَجْسَامًا ، وَأَحْسَنَهَا أَلْوَانًا ، وَأَحَدَهَا أَطْرَافًا ،
وَأَطْوَلَهَا أَعْضَاءً ، قَدْ تَمَّتْ بِحُسْنِ الْأَدَبِ ، وَعَوَّدَتْ شِدَّةَ الطَّلَبِ ، وَسَبَّرَتْ (٤) أَعْلَامَ
الْمَوَاقِفِ ، وَخَبَّرَتْ الْجَمَائِمَ ، مَجْبُولَةً عَلَى مَاعُودَاتِ ، وَمَقْصُورَةً عَلَى مَا أَدَّبَتْ ، وَمَعْنَا مِنْ

(١) الجاسسة: جمع جاسس (كفافة جمع قائد) من جاسوا خلال الغابات: أي تخللوا فطلبوا ما فيها من
الصيد ، وفي الأصل « الجاسسة » من جس ، والمعنى عليها صحيح أيضا .

(٢) القدورة: القدرة ، وفي الأصل « المقدورة » وهو تحريف .

(٣) في الأصل « وقائده » وهو تحريف ، والبحر: انقطاع النفس من الإعياء .

(٤) السبر: امتحان غور الجرح وغيره ، والمعنى وعرفت ، والأعلام جمع علم بالتحريك: وهو ما ينصب

في الطريق ليهدى به .

فأنس الخليل المحبورة الفَراة^(١) ، من الشهرية^(٢) الموصوفة بالنَّجاسة ، والجري
والصلابة ، فلم نزل بأخضِ سِير ، وأثقفِ طَلَب ، وقد أمطرتنا السماء مطراً متدارِ كما
فرَبَت منه الأرض ، وزَهَرَ البقل ، وسكَن القَتام^(٣) من مُثار السَّنابك ، ومدشَعَبات
الأعاصير ، مُهَلَّة أن مِرْناً غَلَوَاتِ^(٤) ، ثم برزت الشمس طالعةً ، وانكشفت من
السحاب مسفرةً ، فتلاَّات الأشجار ، وضجَّك النُّوار^(٥) ، وانجَلت الأبصار ، فلم تر
منظرًا أحسن حُسنا ، ولا مرْمُوقًا أشبه شكلا ، من ابتسام نورالشمس عن اخضرار
زهرة الرياض ، والخليل تمرْحُ بنا نشاطا ، وتجتذبنا أعنتها انبساطا ، ثم لم نلبث أن
علتْنَا ضبابية تَقْصُر^(٦) طَرْفَ الناظر ، وتُخْفِي^(٧) سُبُلَ السلام ، تفشاننا تارةً وتمكشِف
أخرى ، ونحن بأرض دَمِيثة^(٨) التراب ، أشبَهة الأطراف ، مُغْدِقة^(٩) الفِجَاج ، مملوءة صيدا
من الطباء والتعالِب والأرانِب ، فأدانا السير إلى غابةٍ دونها مَأَلْفُ الصيد ، ومجتمع
الوحش ، ونهاية الطلب ، قد جاوَزناها ونَحْنُ على سبيل الطلب مُتَمَعِنُونَ ، وبكل
حَرَّة^(١٠) جَوْنَة متفرقون ، فرجع بنا العود على البَدْء ، وقد انجَلت الضبابية ، وامتدَّ
البصر ، وأمكن النظر ، فإذا نحن برِعالَةٍ^(١١) من ظباء ، وخِلْفَة^(١٢) آرام يرتعِنَ

- (١) الفاره من الدواب : الجيد السير ، وقد فره ككرم فراهة .
(٢) الشهرية : نوع من البراذين (والبراذين من الخيل : ما كان من غير نتاج العراب) .
(٣) القتام : القبار ، والسنايك جمع سنك كقنفذ : وهو طرف الحافر .
(٤) جمع غلوة بالفتح : وهي قدر روية سهم أهد ما يقدر عليه ، ويقال : هي قدر ثمانية ذراع .
إلى أربعائة . (٥) الزهر أو الأيس منه .
(٦) أى تحبسه ، وفي الأصل « عانتنا صيابة يقتصر » وهو تحريف .
(٧) في الأصل « ويحيى » وهو تحريف .
(٨) دمت المكان كفرح : سهل ولان ، وأشبه الشجر كفرح أيضاً : التث ، وفي الأصل « أسنه » .
(٩) غدقت الأرض كفرح وأغدقت : أخصبت ، وأرض غدقة كفرحة : في غاية الري ، وهي
الندية البتلة الربا الكثيرة الماء .
(١٠) الحررة : أرض ذات حجارة نخرة سود ، وفي الأصل « حر » والجونة : السوداء .
(١١) الرعلة : اللطيم .
(١٢) أى بقية ، يقال : بقى في الحوض خلفة من ماء : أى بقية ، وكل نبي « يحيى » بعد شئ « فهو خلفة .
والآرام جمع رُم بالسكسر : وهو الطي الخالص البياض .
(٣٠ - جهرة رسائل العرب - نان)

آنسات، قد أحالهن الضباية عن شخصنا، وأذهلن أنيق الرباض عن استماع حسنا، فلم نعبج^(١) إلا والضواري لأئحة لمن من بُعد الغاية، ومنتهى نظر الشاخص، ثم مدت الجوارح أجنحتها، واجتذبت الضواري معاودها، فأمرت بإرسالها على الثقة بمحضرها^(٢)، وسرعة الجوارح في طلبها، فمرت تحف حفيف الريح عند هبوبها، تسف الأرض سفا، كاشفة عن آثارها، طالبة لخيارها، حارشة^(٣) بأظفارها، قد مزقتها تمزيق الريح الجراد، فمن صائح بها وناعر، وهاتف بها وناعق، يدعو الكلب باسمه، ويفديه بأبيه وأمه، وراكض تحت مفره، وخافق يطلبه الرمح، وطامح يمنعه، وسائح قد عارضه بارح^(٤)، قد حيرتنا الكثرة، وألهجتنا القدرة حتى امتلأت أيدينا من صنوف الصيد، والله المنعم الوهاب.

ثم ملنا يا أمير المؤمنين بهداية دليل قد أحكمته التجارب، وخبر أعلام المذائب^(٥)، إلى غدبر أقيح^(٦)، وروضة خضرة، مستأجرة بتلاوين الشجر، ملتفة بصنوف الخمر^(٧)، مملوءة من أنواع الطير. لم يدعروهن صائد، ولا اقتنصهن قانص، فحفق لها بطبول، وصفر بنفير الختف، فنار منها ماملأ الأفق كثرتها، وراعت الجوارح خفقات أجنحتها، ثم انبرت البزاة لها صائدة، والصقور كاسرة، والشواهين ضارية، يرفعن الطلب لها ويخفضن الظفر بها، حتى سئمنا من الذبح، وامتلانا من الفضيح^(٨)، كأنا كتيبة ظفرت ببغيتها، وسريرة نصرت على عدوها، وألحقت ضعيفها بقويها، وغابت محسنها بمسيئها لانملك أنفسنا مراحا، ولا نستفيق من أبلذل بها فرحاء بقية يومنا، والله المنعم الوهاب.

(١) أي فلم نعطف ونرجع، وفي الأصل يفتح « وهو تصحيف.

(٢) الإحضار: ارتفاع الفرس في عدوه. (٣) حرشه كضربه: صاده.

(٤) السائح من الصيد: ماهر من مياسرك إلى ميامنك، والبارح: ماهر من ميامنك إلى مياسرك.

(٥) المذائب جمع مذنب كمنبر: وهو مسيل الماء إلى الأرض، ومسيل في الحضيض، والجدول يسيل

عن الروضة بمائها إلى غيرها. (٦) أي واسع.

(٧) الخمر: كل ماواراك من شجر وغيره. (٨) الفضيح: العرق.

ثم غدونا يا أمير المؤمنين إلى أرض وُصِفَ لنا صيدها بالكثرة ، ورياضها
 بالترهة ، فزل واصفها عن الطريقة ، وأعتد بنا على غير الحقيقة ، فأتيناها فلم نرَ صيداً
 ولا عُشباً ، ولا ترهة ولا حسناً ، فجعلنا نسلك منها حزوناً^(١) ووعورا ، وجدوباً
 وقفر ، حتى قصر بنا اليأس عن الطلب ، وقطع بنا عن الطمع النَّصَبُ . فبينما نحن
 كذلك إذ بدا لنا جَابٌ^(٢) قد أوفى بنا على حائل^(٣) بهادلِ غابة ، من ورائها حَمِيرٌ
 وحشٍ كثيرة فأتمناها ، فلما تطرَّفنا مشياً^(٤) وتقريباً إلى عاناته ، توألى نهبه ، وكثر
 شهبه ، فالتفتن إليه ، فرمقن بأعينهن منا ما استكثرن شخصه ، واستهولن أمره ،
 حتى إذا كنا بمرأى ومسمع أنجد بن موليات ، وهر بن مسيبات^(٥) ، فأجهدنا الركض
 في طلبهن ، نتبع آثارهن ، ونكشف^(٦) بلاء بين أحفارٍ ودكادكٍ وخناذيد^(٧) ،
 حتى أشفى^(٨) بنا الطلب لها على وادٍ هائلٍ سائلٍ بجنبتيه غابةٌ أشبهت قد سبقت إليها ،
 وأسحقين فيها ، فنظمتها بالخليل نظم الخرز ، ثم أوغلت عدة فرسان في نفضها
 ومعرفة أحوالها ، والطبول خافقة ، والأصوات شاهقة ، فكان وكان ، والحمد لله على
 كل حال . (اختيار المنظوم والمشور ١٢ : ٢٢٤)

- (١) الحزون : جمع حزن بالفتح ، وهو ما غلظ من الأرض .
 (٢) الجاب : الفليظ من حر الوحش .
 (٣) أي ماء جار ، حال الماء على الأرض يحول : انصب ، وأحلت الماء في الجدول : صبته ، وهادل :
 أي متهدل ، من هدل كفرح إذا استرخى .
 (٤) في الأصل : مسيسا ، وهو تحريف ، والتقريب : ضرب من العدو ، والعانات جمع عانة : وهي
 القطيع من حر الوحش . (٥) جاريات : مسرعات .
 (٦) استشفه : نظر ما وراءه .
 (٧) الأحفار جمع حفر بالتحريك ويسكن : وهو البئر الموسعة والتراب المخرج من المحفور ، والدكادك
 والدكاديك جمع دكدك كجعفر ودكدك : وهو من الرمل ما تكبس واستوى ، أو ما التبذ منه بالأرض ،
 أو أرض فيها غلظ ، والخنازيد : جمع خنذيد بالكسر : وهو رأس الجبل المشرف .
 (٨) أي أشرف .

٥٠٩ - كتابه إلى أخيه

وكتب عبد الحميد في مولود ولده - وهو أول مولود كان - إلى أخ له :
« أما بعد ، فإنني ^(١) ما أتعرّف من مواهب الله نعمةً خُصّيتُ بمزيتها ،
وأُصِفيت ^(٢) بمُخصّيتها ^(٣) ، كانت أسراً لي من هبة الله لي ولداً سمّيته « فلانا » ،
وأملتُ ببقائه بعدى حياة ذكري ، وحسنَ خلافة في حُرمتي ، وإشراكه إياي
في دعائه ، شافعاً لي إلى ربه ^(٤) عند خلواته في صلواته وحججه ، وكل موطن من موطنٍ
طاعته ، فإذا نظرتُ إلى شخصه تحرك به وجدى ، وظهر به سرورى ، وتعطفّت عليه
منى أنسة ^(٥) الولد ، وتولّت عني به وحشة الوحدة ، فأنا به جدل ^(٦) في مغيبي ومشهدى
أحاول مسّ جسده بيدي في الظلم ، وتارة أعانقه وأرشفه . ليس يعدّله عندي عظيماً القوائد
ولا مُنفسات ^(٧) الرغائب ، سرّنى به واهبه لي على حين حاجتي . فشدّ به أزرى ^(٨)
وحملنى من شكره فيه ما قد أدنى ^(٩) بثقل حمل النعم السالفة إلى به ، المقرونة سرّاًؤها
في العجب بتارات ما يدركنى به من رقة الشفقة عليه ، مخافة مجاذبة المنايا إياه ، ووجلا
من عواصف الأيام عليه .

(١) في الأصل « فإن بما » وهو تحريف . (٢) أصفاه بكذا : آثره به .
(٣) لم ترد هذه الكلمة في كتب اللغة ، وفيها : « خصه بالشيء خصاً بالفتح وخصوصاً وخصوصية
بالفتح فيهما وبضمّان وخصيصى بالكسر والفصروعد ، وخصوية بفتح الأول وكسر الثانى مشدداً وتشديد
الثالث ، وتخصه بفتح الأول وكسر الثانى وتشديد الثالث ، واختصه : أفرده به دون غيره ، والاسم
الخصوية بالفتح والضم والخصية بكسر أوله وثانيه مشدداً ، والخاصة والخصيصى والخصيماء بكسراً ولهما ،
وفعلت ذلك به خصية وخاصة وخصوصية » ولم ترد فيها كلمة خصيصة . أقول : وقد شاع في عصرنا هذا
استعمال كلمة « خصائص » ولأبى الفتح بن جنى (وهو من أحذق أهل العلم والأدب ، توفي سنة ٥٣٩٢ هـ)
كتاب جليل في فقه اللغة سماه « الخصائص » وعندى أنها جمع خصيصة ، وأن هذه الكلمة مما فات
مدونى اللغة تدوينها .

(٤) بقوله : « رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ » .

(٥) الأنسة بالتحريك والأنس بالضم وبالتحريك : ضد الوحشة . (٦) أى فرح .
(٧) المنفس : النفيس . (٨) الأزور : القوة والظهور . (٩) آده الأمر : بلغ منه المجهود .

فَأَسْأَلُ اللَّهَ الَّذِي أَمَّنَ عَلَيْنَا بِحَسَنِ صُنْعِهِ فِي الْأَرْحَامِ ، تَأْدِيبِهِ بِالزَّكَاةِ (١) ، وَحَرَسَتِهِ بِالْعَافِيَةِ ، وَأَنْ يَرْزُقَنَا شُكْرَ مَا حَمَلْنَا فِيهِ وَفِي غَيْرِهِ ، وَأَنْ يَجْعَلَ مَا يَهَبُ لَنَا مِنْ سَلَامَتِهِ ، وَالْمَدَّةَ فِي عُمُرِهِ ، مَوْصُولًا بِالزِّيَادَةِ ، مَقْرُونًا بِالْعَافِيَةِ ، مَحْوُطًا مِنَ الْمَكْرُوهِ ، فَإِنَّهُ ائْتَمَّانٌ بِالْمَوَاهِبِ ، وَالْوَاهِبُ لِلْسُنَى ، لَا شَرِيكَ لَهُ ، حَمَلَنِي عَلَى الْكِتَابِ إِلَيْكَ لَعَلَّ مَا سُرَّرتَ بِهِ ، عَلَيَّ بِحَالِكَ فِيهِ ، وَشَرِّكَتِكَ إِيَّايَ فِي كُلِّ نِعْمَةٍ أَسْأَدَاهَا إِلَيَّ وَوَلِيُّ النِّعَمِ ، وَأَهْلُ الشُّكْرِ أَوْلَى بِالزَّيْدِ مِنَ اللَّهِ جَلَّ ذِكْرُهُ ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ .

(اختيار المنظوم والمنثور ١٣ : ٣٠٤)

٥١٠ - تحميد لعبد الحميد

وله تحميد في أبي العلاء الحروري :

« الْحَمْدُ لِلَّهِ النَّاصِرِ لِدِينِهِ وَأَوْلِيَايَاهُ وَخُلَفَايَاهُ ، الْمُظْهِرِ لِلْحَقِّ وَأَهْلِهِ . وَالْمُدِلِّ لِأَعْدَائِهِ أَهْلِ الْبِدْعَةِ وَالضَّلَالَةِ الَّذِي لَمْ يَجْمَعْ بَيْنَ حَقِّ وَبَاطِلٍ ، وَأَهْلِ طَاعَةٍ وَمَعْصِيَةٍ ، إِلَّا جَعَلَ النَّصْرَةَ وَالْفَلَاحَ (٢) وَالْعَاقِبَةَ لِأَهْلِ حَقِّهِ وَطَاعَتِهِ . وَجَعَلَ الْخِزْيَ وَالذَّلَّةَ وَالصَّفَارَ (٣) عَلَى أَهْلِ الْبَاطِلِ وَالْخِلَافِ وَالْمَعْصِيَةِ . حَمْدًا يَتَقَبَّلُهُ وَيَرْضَاهُ وَيُوجِبُ بِهِ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَأَهْلِ طَاعَتِهِ الزِّيَادَةَ الَّتِي وَعَدَ مَنْ شَكَرَهُ (٤) وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا يَقُولِي مِنْ إِعْرَازِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَنَصْرِهِ وَإِفْلَاحِهِ (٥) وَإِظْهَارِ حَقِّهِ . عَلَى مَا وَقَعَ بِأَعْدَائِهِ وَأَهْلِ مَعْصِيَتِهِ وَالْخِلَافِ عَلَيْهِ ، مِنْ سَطَوَاتِهِ وَنِقَمَاتِهِ وَأَسَسِهِ فِيهَا وَتَلَّى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ مُوَالَاةٍ مَنْ وَالَاهُ وَعَدَاوَةٍ مِنْ بَغْيٍ عَلَيْهِ وَعَادَاهُ . لَا يَبْكِيهِ فِي شَيْءٍ مِنَ الْأُمُورِ إِلَى نَفْسِهِ ، وَلَا إِلَى حَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ وَمَكِيدَتِهِ . فَإِنَّهُ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَّا بِهِ . »

(اختيار المنظوم والمنثور ١٣ : ٢٧٤)

(١) زكا يزوك زكاه : نما و صلح وتنعم .

(٢) الفلج : الفوز والظفر . (٣) الصفار : الذل .

(٤) قال تعالى : « لَنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ »

(٥) أفلجه : نصره .

٥١١ - تحميد له في فتح

وله تحميد في فتح :

« الحمد لله العليّ مكانه ، المنير برهانه ، العزيز سلطانه ، الثابتة كلمته ، الشافية آياته ، النافذ قضاؤه ، الصادق وعده ، الذي قدر على خلقه بملكه ^(١) وعزّ في سمواته بعظّمته ، ودبر الأمور بعلمه ، وقدرها بحكمه ، على ما يشاء من عزمه ، مبدعاً لها بإنشائه إياها ، وقدرته عليها ، واستصغاره عظيمها ، نافذاً لإرادته فيها ، لا تجرى إلا على تقديره ، ولا تنتهي إلا إلى تأجيله ، ولا تقع إلا على سبقي من حتمه ، كل ذلك بلطفه وقدرته ونصريف وحيه ، لا معدّل لها عنده ، ولا سبيل لها غيره ، ولا يعلم أحد بخفاياها ومعادها إلا هو ، فإنه يقول في كتابه الصادق : (وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ ، وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا أَعْلَمُهَا ، وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) .

(اختيار المنظوم والمنثور ١٣ : ٢٧٤)

٥١٢ - وله في فتح

ولعبد الحميد في فتح يعظم فيه أمة الإسلام بمحمد صلى الله عليه وسلم :

« أما بعد ، فالحمد لله الذي اصطفى الإسلام ديناً ، رضى شرائعه ، وبين أحكامه ، ونور هداه ، ثم كنفه ^(٢) بالعزّ المؤبد ، وأيده بالظفر القاهر ، وآزره بالسعادة المنتجبة ^(٣) ، وجعل من قام به داعياً إليه ، من جنده الغالبين ، وأنصاره المسطّين ، كلما قهر بهم مناوراً ^(٤) أورثهم رباعهم المأهولة ، وأمواهم النريّة ، ودارهم الفسيحة ، ودواتهم المطوّلة ، أمراً حتمه على نفسه ، ثم جعل من عاندهم ، وابتغى غير سبيلهم مُسَلِّماً ^(٥) .

(١) ملكه ملكاً منك الميم .

(٢) كنفه : صانه وحفظه وحاطه . (٣) آزره : عاونه . واتجبه : اختاره .

(٤) ناواه : عاداه ، والرباع : جمع ربيع بالفتح ، وهو الدار والمنزل . ثرا المال يثرو : كثر ، ومال

ثرى : كثر . (٥) أسلمه : خذله .

قد استهوت ذلة الكفر بظلمها ، وحيرة الجهالة بمحوارها ، وتيه الشقاء بمنآويه ،
وكما ازدادوا للدعوة الحق إباء ، ازداد الحق إليهم ازدلافا ، وعليهم عكوف ، وفيهم
إقامة إلى أن يحل بهم عز الغلبة ، ونجاة المجتاز (١) ، داعين فيما شوقهم إليه ،
محافظة على ما نذبتهم له . قد بذلوا في طاعة الله دماءهم ، وقبوا المعروض عليهم
في مبايعة ربهم لهم بأنفسهم الجنة ، محمود صبرهم ، مهمل بهم عزمهم إلى خير
الدنيا والآخرة .

والحمد لله الذي أكرم محمداً صلى الله عليه وسلم بما حفظ له من أمور أمته ، أن
اختار لموارث نبوته ما أصر إلى أمير المؤمنين من تطويقه ما آهل ، بحسن نهوض به
وشح عليه ، ومناقسة فيه ، أن فعل وفعل .

الحمد لله الذي تم وعده لرسوله ، وخايفته في أمة نبيه ، مسدداً له فيما اعزم عليه
والحمد لله العزيز لدينه ، المتولي نصر أمة نبيه ، المتخلي عن عادتهم ونوائهم ، حذاً
يزيد به من رضا شكره ، وحداً يعلو حمد الحامدين من أوليائه الذين
تسكملت عليهم نعمه فلا توصف ، وجلت أباديه فلا تُحصى ، الذي حملنا مالا
قوة بنا على شكره إلا بعمونه ، وبالله يستعين أمير المؤمنين على ذلك ، وإليه
يرغب ، إنه على كل شيء قدير .

(اختيار المنظوم والمنثور ١٣ : ٢٧٥)

٥١٣ -- تحميد له

وله أيضاً :

« أما بعد ، فالحمد لله الذي اصطفى الإسلام لنفسه ، وارتضاه ديناً للملائكة ،
وأهل طاعته من عباده ، وجعله رحمة وكرامة ونجاة وسعادة لمن هدى به من خلقه
وأكرمهم وفضلهم وجعلهم بما أنعم عليهم منه أولياءه المقربين ، وحزبه الغالبين ،

(١) في الأصل : « المتجاوز » وأرى أنه محرف عن « المجتاز » وهو سالك الطريق .

وجندة المنصورين ، وتوكل لهم بالظهور والفعلج ، وقضى لهم بالعلو والتمكين ، وجعل من خالته وعزب^(١) عنه ، وابتغى سبيل غيره ، أعداءه الأفلين ، وأولياء الشيطان الأخسرين ، وأهل الضلالة الأسفان مع ما عليهم في دنياهم من الذل والصغار فأعجل لهم فيها من الخذلان والانتقام ، إلى ما أعد لهم في آخرتهم من الخزي والهوان المقيم والعذاب الأليم ، إنه عزيز ذو انتقام .

(اختيار المنظوم والمنثور ١٣ : ٢٧٦)

٥١٤ - كتابه إلى مروان في حاجة

وله إلى مروان في حاجة :

« إن الله بنعمته عليّ ، كما رزقني المنزلة من أمير المؤمنين ، جعل معها شكرها مقرونا بها ، فهي تنمي^(٢) بالزيادة ، والشكر مُصاحب لها ، فليست تدخلني وحشة من إنباء^(٣) حاجتي ، وأنا أعلم أنه لو وصل إلى أمير المؤمنين علم حالي أغناني عن استزادته ، ولكنني تكنتفتني مؤن استنفضت^(٤) ما في يدي ، وكنت للخلف من الله منتظراً ، فإني إنما أتقلب في نعمه ، وأتمرغ في فوائده ، وأعتصم بسالف معروفه كان عندي . »

(اختيار المنظوم والمنثور ١٣ : ٣٩٤)

٥١٥ - كتابه في الوصاة بشخص

وكتب إلى بعض الرؤساء في الوصاة بشخص :

« حق موصل كتابي إليك^(٥) كحتمه عليّ ، إذ جعلك مؤضعا لأمله ، ورآني أهلا لحاجته ، وقد أنجزت حاجته ، فصددق أمله . »

(شرح العيون ص ١٦٤ ، ووفيات الأعيان ١ : ٣٠٧ ، ونهاية الأرب ٧ : ٢٦٠)

(١) عزب : بعد . (٢) نما ينمو وينمي : زاد .

(٣) أي من الإخبار بحاجتي ، أنأه إياه وبه : أخبره .

(٤) من قولهم : استنفضا حلائبنا استنفضا ، وذلك إذا استقصوا عليها في حلبها ، فلم يدعوا في ضروعها شيئا من اللبن .

(٥) في وفيات الأعيان « حق موصل كتابي إليك » وفي نهاية الأرب « حق موصل هنا الكتاب عليك » وفيهما « إذ رآك » .

٥١٦ - كتابه في فتنة بعض العمال

وكتب في فتنة بعض العمال من رسالة :

« حتى اعتراني حنادس^(١) جهالة ، ومهاوى سُبُل ضلالة ، ذللاً لسياقه ، وسلماني قيادة إلى نُزُل^(٢) من حَمِيم ، وتَصْلِيَة جَجِيم ، سوى ما أنتجت الحَفِيظَة^(٣) ، في نفسه من عوائد الحسك ، وقدحت الفتنة في قلبه من نار الغضب ، مضادةً لله تعالى بالمناسبة^(٤) ، ومُبَارَزَة لأمير المؤمنين بالحاربة ، ومجاهدة للمسلمين بالخالفَة ، إلى أن أصبح بفلاة قفر ، وتيه صِفْر^(٥) ، بعيدة المناط^(٦) ، يُقطع دونها النياط^(٧) ، وكذلك يفعل الله بالظالمين ، ويستدرجهم من حيث لا يعلمون . »

(شرح العيون ص ١٦٤)

٥١٧ - كتابه عن مروان إلى بعض عماله

وروى صاحب وفيات الأعيان قال :

وقال له مروان يوماً - وقد أهدى إليه بعض العمال عبداً أسود فاستقله - :
اكتب إلى هذا العامل كتاباً مختصراً ، وذمه على ما فعل ، فكتب إليه :
« لو وجدت لوناً شراً من السواد ، وعدداً أقل من الواحد ، لأهديته ، والسلام . »

(١) حنادس : جمع حندس بكسر الحاء والذال ، وهو الظلمة ، والليل المظلم .
(٢) النزل : المنزل ، وماهي للضيف أن ينزل عليه . والحميم : الماء الحار .
(٣) الحفيظة : الغضب ، والحسك : الحقد والعداوة ، وعوائد : راو جمع .
(٤) ناصبه الحرب والعداوة : أظهرها له وأقامها . (٥) التيه : المغازة ، والصفير : الخالي .
(٦) ناط الشيء : علقه ، واسم موضع التعليق مناط بالفتح . وهو منى مناط الأرباب ، أي بعيد ، معنى بعيدة المناط : بعيدة المسافة ، وجاء في القاموس : النياط من المغازة : بعد طريقها كأنها نيطت بمغازة أخرى .
(٧) النياط : عرق غليظ نيط به القلب إلى الوتين ، (والوتين : عرق في القلب إذا انقطع مات صاحبه) .

وروى صاحب العقد الفريد قال :

وبعث إلى مروان بن محمد قائد من قواده بغلام أسود ، فأمر عبد الحميد الكاتب أن يكتب إليه بِلُحاه^(١) ، وَيُعَنِّفه ، فكتب وأكثر ، فاستثقل ذلك مروان ، وأخذ الكتاب فوقع في أسفله :

« أما إنك لو علت عددا أقل من واحد ، ولونا شرًّا من السواد ، لبعثت به » .

وروى صاحب الأغاني قال :

واستهدى حماد الراوية من صديق له نبيذا ، فأهدى إليه دَسْتِيَجَةَ^(٢) نبيذ ، فكتب إليه :

« لو عرّفت في العدد أقل من واحد ، وفي الألوان شرًّا من السواد ، لأهدبته إلى » .

(وفيات الأعيان ١ : ٣٠٧ ، وشرح العيون ص ١٦٣ ،

والعقد الفريد ٢ : ١٦٥ ، والأغاني ٥ : ١٦١)

(١) يلومه . (٢) الدسنيج : آنية تحوله باليد وتنقل ، فارسي معرب .

الدعوة العباسية

٥١٨ - بين محمد بن علي بن عبد الله بن عباس وبين من
استجاب لدعوته من أهل خراسان

بدأت الدعوة العباسية سنة ١٠٠ هـ ، فوجه محمد بن علي بن عبد الله بن عباس
في هذه السنة من أرض الشَّراء^(١) ، مَيْسِرَةَ إلى العراق ، ووجه جماعة من شيعته إلى
خراسان ، وعليها يومئذ الجراح بن عبد الله الحكمي من قِبَل عمر بن عبد العزيز ،
وأمرهم بالدعاء إليه وإلى أهل بيته ، فلقوا مَنْ لَقُوا ، ثم انصرفوا بكتب مَنْ استجاب
لهم إلى محمد بن علي ، فدفعوها إلى مَيْسِرَةَ ، فبعث بها مَيْسِرَةَ إلى محمد بن علي .

وفي سنة ١٠٣ أو سنة ١٠٤ هـ بعث محمد بن علي رسوله إلى خراسان ، فاستجاب
له سبعون رجلاً ، اختار منهم اثني عشر رجلاً نقباء ، منهم سليمان بن كَثِير الخزاعي
وقحطبة بن شبيب الطائي ، فكتب إليهم محمد بن علي كتاباً ، ليكون لهم مثلاً
وسيرةً يسرون بها ، ثم توفي سنة ١٢٦ هـ فدعا الدُّعاة إلى أبنه إبراهيم الإمام^(٢) .
(تاريخ الطبري ٨ : ١٣٥ و ٩ : ٩٨)

(١) الشراء : صقع بالشام في طريق المدينة من دمشق بالقرب من الشوبك وهو من إقليم البلقاء ،
وفي بعض نواحيه القرية للمروفة بالحريمة (كجهينة) ، وكان الوليد بن عبد الملك بن مروان أخرج علي
ابن عبد الله بن عباس من دمشق وأنزله الحريمة سنة ٩٥ هـ ولم يزل ولده بها إلى أن زالت دولة بني أمية -
انظر وفيات الأعيان ج ١ : ص ٣٢٤ في ترجمة علي بن عبد الله بن عباس .

(٢) روى الطبري قال : هـ وفي سنة ١٢٦ هـ وجه إبراهيم بن محمد الإمام أبا هاشم بكبير بن ماهان
إلى خراسان ، وبث معه بالسيرة والوصية ، فقدم مرو وجمع النقباء ومن بها من الدعاة ، فنعى لهم الإمام
محمد بن علي ، ودعاهم إلى إبراهيم ، ودفع إليهم كتاب إبراهيم فقبلوه ، ودفعوا إليه ما اجتمع عندهم من
تفقات الشيعة ، فقدم بها بكبير علي إبراهيم بن محمد هـ - ج ٩ : ص ٤٣ - .

٥١٩ - كتاب إبراهيم بن محمد إلى شيعته بخراسان

وفي سنة ١٢٨ هـ وجه إبراهيم بن محمد أبو مسلم عبد الرحمن بن مسلم الخراساني (١) إلى خراسان ، وكتب إلى أصحابه :

« إني قد أمرته بأمرى ، فاسمعوا منه واقبلوا قوله ، فإني قد أمرته على خراسان وما غلب عليه بعد ذلك .

فأتاهم فلم يقبلوا قوله ، وخرجوا من قابلٍ ، فالتقوا بمكة عند إبراهيم ، فأعلمه

(١) قال ابن أبي الحديد - م ٢ : م ٢١٥ - لم يكن أبو مسلم معلوم النسب ، وقد اختلف فيه : أهر مولى أم عريبي ؟ ، وقال ابن خلكان في ترجمته : وفيات الأعيان ١ : ٢٨٠ ، أبو مسلم عبد الرحمن ابن مسلم ، وقيل عثمان الخراساني القائم بالدعوة العباسية ، وقيل هو إبراهيم بن عثمان بن يسار بن سدوس ابن جودرن ، من ولد بزرجهر بن البختكان الفارسي ، وقد اختلف الناس في نسبه ، فقيل إنه من العرب ، وقيل إنه من العجم ، وقيل من الأكراد ، وفي ذلك يقول أبو دلالة : (حين قتله المنصور في خلافته كما سيأتي في الجزء الثالث إن شاء الله) .

أبا مجرم ما غير الله نعمة على عبده حتى يغيرها العبد

أفي دولة المنصور حاولت غدرة ؟ ألا إن أهل الغدر آباؤك النكرد

وقال ابن طباطبا في الفخرى م ١٢٣ : أما نسبه فقيه اختلاف كثير ، فقيل هو حر من ولد بزرجهر ، وإنه ولد بأصفهان ، ونشأ بالكوفة ، فاتصل بإبراهيم الإمام بن محمد بن علي بن عبد الله ابن عباس ، فغير اسمه وكناه بأبي مسلم ، وثقفه وفقهه ، حتى كان منه ما كان .

وأما هو فإنه لما قويت شوكته ادعى أنه ابن سليط بن عبدالله بن عباس ، وكان لعبد الله بن عباس جارية فوقم عليها مرة ، ثم اعتزلها مدة فاستنكحها عبدا فوطئها ، فولدت منه غلاما سمته سليطاً ، ثم ألصقته بعبد الله بن عباس ، وأنكره عبد الله ولم يعترف به ، ونشأ سليط وهو أكره الخلق إلى عبد الله بن عباس ، فلما مات عبد الله نازع سليط وراثته في ميراثه ، وأعجب ذلك بني أمية ، ليغضوا من علي بن عبد الله بن عباس ، فأعانوه وأوصوا قاضي دمشق في الباطن ، فقال إليه في الحكم وحكم له بالميراث ، فادعى أبو مسلم حين قويت شوكته أنه من ولد سليط هذا .

وقد قرعه المنصور بذنوبه لما أراد قتله ؛ فكان فيما قال له : « ألسنت الكاتب إلى تبتأ بنفسك قبل ؟ ألسنت الكاتب إلى تخطب أمينة بنت علي (عممة المنصور) وتزعم أنك ابن سليط بن عبد الله بن العباس ! لقد ارتقيت - لأمك - مرتقي صعبا ؟ تقر على نفسك أنك دعى ثم ترغب في بنات العباس ! انظر التاريخ الطبري ، ٩ : ١٦٧ ووفيات الأعيان ١ : ٢٨٣ وغرر الخصاص الواضحة م ٧٥ وفي غرر الخصاص أيضاً كان أبو مسلم عبدا لعيسى بن معقل ، فباعه لأخيه إدريس - جد أبي دلف - ثم اشتراه منه بكر بن ماهان بأربعمائة درهم ، وبعث به إلى إبراهيم الإمام ، وما زال قدره يقبل حتى أرسله إبراهيم بالدعوة لبني العباس سنة ١٢٨ ، وقدم إلى خراسان يدعو الناس إلى طاعتهم ، فانطلق فتية من أهل مرو نساك فاتوه في عسكره فسألوه عن نسبه ، فقال : خبري خير لكم من نسي . »

أبو مسلم أنهم لم يُنفذوا كتابه وأمره ، فقال إبراهيم : إني قد عرَضْتُ هذا الأمر على غير واحد ، فأبوه عليٌّ وأعلمهم أنه أجمع رأيه على أبي مسلم ، وأمرهم بالسمع والطاعة^(١) .
(تاريخ الطبري ٩ : ٧٥)

٥٢٠ - كتاب إبراهيم بن محمد إلى أبي مسلم الخراساني وكتابه إلى سليمان بن كثير

وفي سنة ١٢٩ هـ كتب إبراهيم بن محمد إلى أبي مسلم يأمره بالقدوم عليه ، ليسأله عن أخبار الناس ، فخرج في النصف من جمادى الآخرة مع سبعين من النقباء ، فلما بلغ قَوْمِسَ^(٢) أتاه كتاب من إبراهيم إليه ، وكتاب إلى سليمان بن كثير ، وكان في كتاب أبي مسلم :

« إني قد بعثت إليك براية النصر ، فارجع من حيث أفاك كتابي ، ووجه إلى قَحْطَبَةَ بما معك يوافقني به في الموسم » .

فوجه أبو مسلم قَحْطَبَةَ إلى الإمام وانصرف إلى خراسان ، فقدم « مرؤ » في أول يوم من رمضان سنة ١٢٩ هـ ، ودفع كتاب الإمام إلى سليمان بن كثير ، وكان فيه أن :

« أظهر دعوتك ، ولا ترَبِّصْ^(٣) ، فقد آن ذلك » :

(١) ثم قال لأبي مسلم « يا عبد الرحمن إنك رجل منا أهل البيت ، فاحفظ وصيتي ، وانظر هذا الحى من اليمن فأكرمهم وحل بين أظهرهم ، فإن الله لا يتم هذا الأمر إلا بهم ، وانظر هذا الحى من ربيعة فاتهمهم في أمرهم ، وانظر هذا الحى من مضر فإنهم العدو القريب الدار ، فاقتل من شككت في أمره ، ومن كان في أمره شبهة . ومن وقع في نفسك منه شيء ، وإن استطعت أن لاتدع بخراسان لسانا عربيا خافلا ، فأبنا غلام بلغ خمسة أشبار تنهه فائتله ، ولا تخالف هذا الشيخ - يعنى سليمان بن كثير - ولا تعصه ، وذا أشكل عليك أمر فاكف به مني » .

(٢) ضبطه ياقوت في معجمه بكسر الميم وكذا في اللسان ، وضبطه الفيروزا بادى في القاموس بفتحها صقع كبير بين خراسان وبلاد الجبل .
(٣) أى ولا تنتظر . .

فبثَّ أبو مسلم دُعَاةَ فِي النَّاسِ ، وَأَعْلَنَ^(١) بِالْمَدْعُوعَةِ (نَحْسٌ بَقِيْنٌ مِنْ رَمَضَانَ
سَنَةِ ١٢٩ هـ) وَلَيْسُوا السَّوَادُ .
(تَارِيخُ الطَّبْرِيِّ ٧ : ٨٢)

٥٢١ - كِتَابُ أَبِي مُسْلِمٍ إِلَى نَصْرِ بْنِ سِيَارٍ

وَكَانَ أَبُو مُسْلِمٍ إِذَا كَتَبَ إِلَى نَصْرِ بْنِ سِيَارٍ وَالِي خِرَاسَانَ مِنْ قَبْلِ مَرْوَانَ بْنِ
مُحَمَّدِ الْأَمْوِيِّ ، يَكْتُبُ : لِلْأَمِيرِ نَصْرٍ . . . فَلَمَّا قَوِيَ بَيْنَ اجْتِمَاعِ إِلَيْهِ مِنَ الشَّيْعَةِ ، بَدَأَ
بِنَفْسِهِ ، وَكَتَبَ إِلَى نَصْرِ - وَهُوَ أَوَّلُ كِتَابٍ صَدَرَ عَنْ أَبِي مُسْلِمٍ إِلَيْهِ - :

أَمَّا بَعْدُ : فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَتْ أَسْمَاؤُهُ ، وَتَعَالَى ذِكْرُهُ ، عَيَّرَ أَقْوَامًا فِي الْقُرْآنِ^(٢) ،
فَقَالَ : « وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى
الْأُمَمِ ، فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا . اسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرُ السَّيِّئِ
وَلَا يَحْسِبُونَ الْمَكْرُ السَّيِّئِ إِلَّا بِأَهْلِهِ ، فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ الْأَوَّلِينَ ، فَلَنْ تَجِدَ
لِسُنَّةِ اللَّهِ تَجْدِيدًا ، وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا » .

فَلَمَّا وَرَدَ الْكِتَابُ إِلَى نَصْرِ تَعَاظَمَهُ^(٣) أَمْرُهُ ، وَأَنَّهُ بَدَأَ بِنَفْسِهِ ، وَكَسَرَ لَهُ إِحْدَى
عَيْنَيْهِ ، وَقَالَ : هَذَا كِتَابٌ لَهُ جَوَابٌ ، وَكَتَبَ إِلَى مَرْوَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ يَسْتَصْرِخُهُ^(٤) ،
وَالِي يَزِيدَ بْنِ عَمْرِ بْنِ هُبَيْرَةَ وَالِي الْعِرَاقِ يَسْتَنْجِدُهُ ، فَقَعَدَا عَنْهُ حَتَّى أَفْضَى ذَلِكَ إِلَى
خُرُوجِ الْأَمْرِ عَنْ بَنِي أُمِيَّةٍ .

(تَارِيخُ الطَّبْرِيِّ ٩ : ٨٤ ، وَشَرْحُ ابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ م ١ : ص ٣١٣)

(١) أَعْلَنَ الْأَمْرَ وَبِهِ : أَظْهَرَهُ .

(٢) فِي ابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ « فَإِنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ذَكَرَ أَقْوَامًا فَقَالَ . . . » .

(٣) تَعَاظَمَهُ الْأَمْرَ : عَظَمَ عَلَيْهِ . (٤) يَسْتَفِيئُهُ .

٥٢٢ - كتاب نصر بن سيار إلى مروان بن محمد

ولما أظهر أبو مسلم الدعوة بمرّوق كتب نصر إلى مروان :
أَرَى جَدَّعًا ، إِنْ يُثْنِ لَمْ يَقْوَرَايِضُ عَلَيْهِ ، فَبَادِرْ قَبْلَ أَنْ يُثْنِي الْجَدَّعُ (١)
وكان مروان مشغولاً عنه بحروب الخوارج بالجزيرة وغيرها ، فلم يجبه عن كتابه ،
وأبو مسلم يوم ذاك في خمسين رجلاً .
(وفيات الأعيان ١ : ٢٨٢)

٥٢٣ - كتاب نصر إلى مروان

واشتدت شوكة أبي مسلم ، واستمكن أمره ، وفرّق رُسُلَه في كور خراسان ،
يدعو الناس إلى آل الرسول ، فأجابوه ، وكان نصر بن سيار يكتب إلى مروان (٢)
بخبيرهم ، وتنفى كتبه إلى ابن هبيرة لينفذها إلى أمير المؤمنين فكان يحبها ولا
ينفذها ، لئلا يقوم لنصر بن سيار قائمٌ عند الخليفة - وكان في ابن هبيرة حسدٌ
شديد - فلما طال بنصر ذلك ، ولم يأته جواب من مروان ، كتب كتاباً وأمضاه إلى
مروان على غير طريق ابن هبيرة ، يُعلمه بحال أبي مسلم وخروجه ، وكثرة من معه ومن
تبعه ، وأنه كشف عن أمره ويبحث عن حاله ، فوجده يدعو إلى إبراهيم بن محمد بن علي
ابن عبد الله بن عباس (وهو أخو السفاح والمنصور) وضمّن كتابه أبياتاً من
الشعر وهي :

(١) الجدع بالتحريك: الصغير السن ، ويختلف في أسنان الثاء والبقر والخيل والإبل ، يقال : أجدع
ولد الثاء : في السنة الثانية ؛ وأجدع ولد البقرة وذوات الحافر : في الثالثة ، وأجدع البعير : في الخامسة ،
فهو جدع ، والثني كفتى : بعد الجدع ، وأثنى : سار تنيا ، وراض الدابة يروضها روضاً ورياضة : ذلها
أو علمها السير فهو راض .

(٢) في العقد الفريد « فكان يكتب لهشام » وهو خطأ ، لأن ظهور أبي مسلم إنما كان في عهد
مروان لافي عهد هشام - وإن كانت الدعوة العباسية قد بدأت منذ سنة ١٠٠ هـ كما ذكر الطبري
في تاريخه ج ٨ : ص ١٣٥ - أضف إلى ذلك أن ولاية يزيد بن عمر بن هبيرة العراق كانت سنة ١٢٩ هـ
في عهد مروان أيضاً - تاريخ الطبري ٩ : ٩٦ - وكان أبوه عمر بن هبيرة والبا عليها في خلافة يزيد
ابن عبد الملك ثم عزله عنها هشام أول ولايته سنة ١٠٥ هـ كما قدمنا .

أَرَى خِلَالَ الرَّمَادِ وَمِيضَ بَجْرِ
وَيُوشِكُ أَنْ يَكُونَ لَهُ ضِرَامٌ (١)
فَإِنَّ النَّارَ بِالْعُودَيْنِ تَذُكِي
وَإِنَّ الْحَرْبَ أَوَّلَهَا الْكَلَامُ (٢)
فَإِنَّ لَمْ تُظْفِنْتُوها نَجْمَ حَرْبَا
مَشْمُورَةٌ بِشَيْبٍ لَهَا الْغَلَامُ (٣)
أَقُولُ مِنَ التَّعْجُبِ : لَيْتَ شِعْرِي
أَأَيْقَظُ أُمَّيَّةً أَمْ نِيَامٌ ؟ (٤)
فَإِنَّ كَانُوا لِحَيْنِهِمْ نِيَامًا
فَقُلْ : قَوْمُوا قَدْ حَانَ الْقِيَامُ (٥)
فَصَرَّيْ عَنْ رِحَالِكَ ، ثُمَّ قَوْلِي :
عَلَى الْإِسْلَامِ وَالْعَرَبِ السَّلَامُ ! (٦)

٥٢٤ — رد مروان عليه

فكتب إليه مروان :

« إِنَّ السَّاهِدَ يَرَى مَا لَا يَرَى الْغَائِبَ ، فَلْحَسِبْ ذَلِكَ التَّوَلُّولَ (٧) الَّذِي
نَجَّمَ عِنْدَكُمْ . »

(١) في وفيات الأعيان والإمامة والسياسة والفخرى « وميض نار » وفي تاريخ الطبري والمعوى
والفخرى « بين الرماد » ، وفي الطبري أيضاً « فأحج بأن يكون .. » والخلل : الفرجة بين الشيتين والجمع
خلال كجبل وجبال : ووميض البرق كوعده : لمع لما خفيا ، والضرام : اشتعال النار ، وأحج به ، وما أحجاء :
ما أخلفه ، وهو حجب به كغنى ، وحج كحج ، وحجى كفتى : جدير

(٢) أذكى النار : أو قدما ، وذكت تذكو ذكوا وذكا وذكاء : اشتد لهيبها ، وفي العقد الفريد
« تذكو » وفي وفيات الأعيان « بالزندين توري » أي تشعل أيضاً ، وفي الطبري « مبدؤها الكلام » .
(٣) مشمورة : أي مشمرا أصحابها وأبطالها ، وهذا البيت لم يرد في رواية الطبري ، ولا في الإمامة
والسياسة ، وروى في وفيات الأعيان والفخرى :

لئن لم يطفها عتلاء قوم يكون وقودها جث وهام
وهام جمع هامة وهي الرأس .

(٤) في الطبري والعقد والفخرى « فقلت من التعجب » .
(٥) الحين : الهلاك ، وهذا البيت لم يرد في الطبري ولا في الفخرى ، وروى في مروج الذهب « فإن
يك قومنا أضجوا نياما » .

(٦) وهذا البيت لم يرد في الطبري ولا في الفخرى ولا في وفيات الأعيان ، وصري مضعف صراه بصريه .
إذا دفعه ومنعه وحفظه ووقاه ، يقال : صرى الله عنك شر فلان أي دفعه ، وفي الإمامة والسياسة ومروج
الذهب « ففري عن رحالك » .

(٧) التولول : الحبة تظهر في الجلد كالحمصة فادونها ، وقد تتأل جسده بالثآليل ، ونجم : مطلع
وظهر ، وفي الطبري « فاحسم التولول قبلك » وفي الفخرى « إن الحاضر » وفيه « فاحسم أنت هذا
الداء الذي قد ظهر عندك » .

قلما ورد الكتاب على نصر ، قال لخواص أصحابه : أمّا صاحبُكم فقد أعلمكم
أن لا نصرَ عنده .

(العقد الفريد ٢ : ٢٩٧ ، ومروج الذهب ٢ : ٢٠٢ ، ووفيات الأعيان ٢ : ٢٨٢ ،
وتاريخ الطبري ٩ : ٩٢ ، والإمامة والسياسة ٢ : ٩٦ ، والفخرى ص ١٢٨)

٥٢٥ - كتاب نصر إلى يزيد بن عمر بن هبيرة

ولما يئس نصر بن سيار من إنجاد مروان ، كتب إلى يزيد بن عمر بن هبيرة
بستمدّه ، وبساله النصرة على عدوه ، وضمن كتابه أبياتاً من الشعر وهي :
أبلغ يزيد (وخيرُ القول أصدقُه وقد تبينتُ أن لا خيرَ في الكذب)
بأن أرض خراسان رأيتُ بها بيضاً لو أفرخَ قد حدثتَ بالعجب
فراخُ عامين ، إلا أنها كبرتُ لما يطرنَ وقد مُرِبِلنَ بالزغب^(١)
فإن يطرنَ ولم يُحتملَ لمن بها يُلهينَ نيرانَ حربٍ أبا لمب
فلم يجبه يزيد ، وتشاغل بدفع فنن العراق .

(مروج الذهب ٢ : ٢٠٣ ، وتاريخ الطبري ٩ : ٩٢)

٥٢٦ - كتب من أبي مسلم إلى قحطبة بن شبيب

وكتب بين نصر بن سيار ومروان بن محمد وابن هبيرة

ومضى أبو مسلم حتى نزل قصر الإمارة بمروا الذي كان ينزله عمّال خراسان ،
(وذلك لتسع خلون من مجادى الأولى سنة ١٣٠ هـ) وهرب نصر بن سيار عن مرو .
ثم كتب أبو مسلم إلى قحطبة بن شبيب يأمره بقتال تميم بن نصر بن سيار ومن
لجأ إليه من أهل خراسان ، فزحف إليه ، واقتتلوا قتالاً شديداً ، فقتل تميم بن نصر
في المعركة ، وقتل معه منهم مقتلة عظيمة ، واستبيح عكروم .

(١) الزغب : صفار الريش ، وسربلن : ألبن و كين . السربال بالكسر : كل ما لبس ،
وقد سربله .

(٣١ - جبهة رسائل العرب - نان)

وكتب أبو مسلم إلى قحطبة يأمره أن يتبع نصر بن سيار - وكان قد نزل نيسابور - فلما بلغه ذلك ارتحل هاربا حتى نزل قوميس ، وقدم قحطبة نيسابور بجنوده . وكتب نصر وهو نازل في قومس إلى ابن هبيرة يستمده وهو بواسط ، مع ناس من وجوه أهل خراسان يُعظم الأمر عليه ، فحبس بن هبيرة رسله ، فكتب نصر إلى مروان :

« إني وجهتُ إلى ابن هبيرة قوماً من وجوه أهل خراسان ، ليعلموه أمرَ الناس من قبلنا ، وسألته المدد ، فاحتبس رُسلي ولم يُمدني بأحد ، وإنما أنا بمنزلة من أُخرج من بيته إلى حُجرتِه ، ثم أُخرج من حُجرتِه إلى داره ، ثم أُخرج من داره إلى فناء داره ، فإن أدركه من يُعينه فعسى أن يعود إلى داره وتبقى له ، وإن أُخرج من داره إلى الطريق فلا دار له ولا فناء . »

فكتب مروان إلى ابن هبيرة أن يُمد نصرًا ، وكتب إلى نصر يُعلمه ذلك ، وكتب إلى ابن هبيرة « يسأله أن يجعل إليه الجند ، فإن أهل خراسان قد كذبتم حتى ما رجلٌ منهم يصدق لي قولاً ، فأمدني بعشرة آلاف قبل أن تُمدني بمائة ألف ثم لا تُغني شيئاً . »

وتفرق عن نصر أصحابه فسار من قومس إلى نباتة بن حنظلة عامل ابن هبيرة على جرجان ، وأقبل قحطبة إلى جرجان ، فنزل بإزاء نباتة ، وأهل الشام في عِدَّة لم ير الناس مثلها ، فلما رآهم أهل خراسان هابوهم حتى تكلموا بذلك وأظهروه ، وبلغ قحطبة ، فقام فيهم خطيباً وحضهم على الثبات .

وورد إلى قحطبة كتاب أبي مسلم :

« من أبي مسلم إلى قحطبة ، بسم الله الرحمن الرحيم : أما بعد ، فناهض عدوك ، فإن الله عز وجل ناصرُك ، فإذا ظهرت عليهم فأتمخّن في القتل . »

فالتقوا في مستهل ذي الحجة سنة ۱۳۰ هـ ، وصبر بعضهم لبعض ، فقتل نباتة ،

وانهزم أهل الشام وقتل منهم عشرة آلاف ، وبعث قحطبة إلى أبي مسلم برأس نباتة وأبنة حية .

وسار نصر بن سيار حتى أتى الرمي ، وخرج عنها ، فنزل « ساوة » بين همدان والرمي ، فمات بها كعدا في ربيع الأول سنة ١٣١ هـ .

(تاريخ الطبري ٩ : ٩٨ ، ١١٢)

٥٢٧ - كتاب نصر إلى مروان

ولما خرج نصر بن سيار عن خراسان ، وصار بين خراسان والرمي ، كتب كتاباً إلى مروان يذكر فيه خروجه عن خراسان ، وأن هذا الأمر الذي أزعجه سينمو حتى يملأ البلاد ، وضمن ذلك أبياتاً من الشعر وهي :

إِنَّا وَمَا نَكْتُمُ مِنْ أَمْرِنَا كَالثَّوْرِ إِذْ قُرْبَ لِلنَّخِيعِ^(١)

أَوْ كَالْتِي يَحْسِبُهَا أَهْلُهَا عَذْرَاءٌ بَكَرًا وَهِيَ فِي النَّاسِيعِ

كُنَّا نُرْفِيهَا ، فَقَدْ مُزِقَتْ وَأَتَّعَ الْخَرَقَ عَلَى الرَّاقِعِ^(٢)

كَالثَّوْبِ إِذْ أَنْهَجَ فِيهِ الْبَلِيَّ أَعْيَا عَلَى ذِي الْحِيلَةِ الصَّافِعِ^(٣)

فلم يستقم مروان قراءة هذا الكتاب حتى مثل أصحابه بين يديه ممن كان قد وكل بالطريق ، وقد جاءوه برسول من خراسان معه كتاب من أبي مسلم إلى إبراهيم بن محمد الإمام يخبره فيه خبره وما آل إليه أمره ، فلما تأمل مروان كتاب أبي مسلم ، قال للرسول : لا ترع ، كم دفع لك صاحبك ؟ قال : كذا وكذا ، قال : فهذه عشرة آلاف درهم لك ، وإنما دفع إليك شيئاً يسيراً ، وأمض بهذا الكتاب إلى إبراهيم ، ولا تغلته بشيء مما جرى ، وخذ جوابه فأتني به ، ففعل الرسول ذلك ، فتأمل مروان

(١) نخع الذبيحة : جاوز منتهى الذبح فأصاب نخاعها .

(٢) رقى مضعف رفا . ورفا الثوب ورقاء : لأم خرقه وضم بعضه إلى بعض .

(٣) أنهج : وضع (وأنهج الثوب ونهجه كمنعه : أخلقه ، ونهج الثوب مناة الماء وأنهج : بلى) .

جواب إبراهيم إلى أبي مسلم بخطه : يأمره فيه بالجِد والاجتهاد ، والحياة على عدوه ،
وغير ذلك من أمره ونهيه ، وكان فيه أبيات من الرَّجَز منها ؛
دُونَكَ أَمْرًا قَد بَدَتْ أَشْرَاطُهُ إِنْ السَّبِيلَ وَاضِحَ صِرَاطُهُ
• لَمْ يَبْقَ إِلَّا السِّيفُ وَأَخْتِرَاطُهُ^(١) *

فاحتبس مروان الرسول ، وكتب إلى الوليد بن معاوية بن عبد الملك ، وهو على
دمشق : يأمره أن يكتب إلى عامل البلقاء^(٢) فيسير إلى الحَمِيمة ، ليأخذ إبراهيم
ابن محمد ، فيشده وثاقا ، ويبعث به إليه في خيل كثيفة ، وحمل إبراهيم بن محمد إلى
الوليد ، فحمله إلى مروان ، فقرره بما كان من أمره مع أبي مسلم ، فأنكر ، فقال له
مروان : يا منافق : أليس هذا كتابك إلى أبي مسلم جوابا عن كتابه إليك ؟ وأخرج
إليه الرسول ، وقال : أتعرف هذا ؟ فلما رأى ذلك إبراهيم أمسك وعلم أنه أتى من
مأمنه ، وأمر به مروان فحبس شهرين في حران^(٣) .

ثم دخل عليه السجن جماعة من موالى مروان من العجم وغيرهم فقتلوه
سنة ١٣٢ هـ (٤) .
(مروج الذهب ٢ : ٢٠٤)

(١) الأشراط: جمع شرط بالتجريك وهو العلامة ، واخترط السيف : استله .
(٢) البلقاء : كورة من أعمال دمشق بين الشام ووادي القرى ، وكانت قصبها عمان والحمة: قرية
من أعمال عمان في أطراف الشام ، انظر ص ٤٧٥ .
(٣) حران : مدينة عظيمة بالجزيرة على طريق الموصل والشام والروم ، بينها وبين الرها يوم ،
وبين الرقة يومان .
(٤) وقيل إنه لم يقتل ولكنه مات في سجن مروان بالطاعون - انظر تاريخ الزبير ٩ : ١٣٢
ومعجم البلدان ٣ : ٢٤٢ - وقيل إن مروان سم في الحبس فمات - انظر الفخرى ص ١٢٩ .
ولما حبس إبراهيم الإمام بجران خاف أخواه السفاح والمنصور وجماعة من أقاربهم وقصدوا إلى
الكوفة ، وكان لهم بها شيعة منهم أبو سلمة الحلال ، وكان من كبار الشيعة بالكوفة - وقد استوزره
السفاح حينما ولي الخلافة - فأخلى لهم أبواب الكوفة ، وتولى خدمتهم بنفسه ، وكنم أمرهم ، واجتمعت
الشيعة إليه ، وقويت شوكتهم ، ثم وصل أبو مسلم بالجنود من خراسان إلى الكوفة وسلم أهل السفاح
بالخلافة ، وأظهر الدعوة ، وبويح السفاح بالخلافة سنة ١٣٢ هـ .

٥٢٨ - كتاب عبد الحميد عن مروان إلى أبي مسلم الخراساني

وذكروا أن عبد الحميد بن يحيى كتب عن مروان بن محمد إلى أبي مسلم الخراساني كتاباً حَمَلَ عَلَى جَمَلٍ لِكَبِيرِ حِجْمِهِ - وقيل : إنه لم يكن في الطول إلى هذه الغاية ، وقد حمل على جمل تعظيماً لأمره - وقد نَفَثَ فِيهِ حَوَاشِيَّ صَدْرِهِ ، وَضَمَّنَهُ غَرَائِبَ عَجْرِهِ وَبُجْرِهِ (١) ، وَضَمَّنَهُ مَا لَوْ قَرِئَ لِأَوْقَعِ الْاِخْتِلَافِ بَيْنَ أَصْحَابِ أَبِي مُسْلِمٍ ، وَقَالَ لِمَرْوَانَ : قَدْ كَتَبْتُ كِتَابًا مَتَى قَرَأَهُ بَطَلٌ تَدِيرُهُ ، فَإِنْ نَجَّمَ (٢) فَذَاكَ ، وَإِلَّا فَاهْلَاكَ ، وَيُقَالُ : إِنْ أَوَّلَ الْكِتَابَ كَانَ : « لَوْ أَرَادَ اللَّهُ بِالْمَلَّةِ صَلَاحًا لَمَا أَنْبَتَ لَهَا جَنَاحًا » .

٥٢٩ - رد أبي مسلم عليه

فله ورد الكتاب على أبي مسلم ، لم يقرأه ، وأمر بغار فأحرقه بها ، وكتب على جُدَاذَةَ (٣) منه إلى مروان :

سَحَا السِّيفُ أَسْطَارَ الْبِلَاغَةِ وَانْتَحَى عَلَيْكَ لُيُوثُ الْغَابِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
فَإِنْ تَقَدَّمُوا نَعْمَلْ سِيوْفًا شَحِيذَةً يَهْوُونَ عَلَيْهَا الْعَتَبُ مِنْ كُلِّ عَانِبٍ (٤)
وَرَدَّهُ ، فَأَيْسَ النَّاسِ مِنْ مَعَالِجَتِهِ .

(شرح الميون ص ١٦٣ ، وشرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٣١٣ ، ونهاية الأرب ٧ : ٢٥٤)

(١) قال في اللسان : أصل العجر : العروق المتعقدة في الجسد ، والبحر : العروق المتعقدة في البطن خاصة ، وهما جمع عجرة وبجرة كفرصة ، وقال أيضاً : العجرة : نفخة في الظهر ، فإذا كانت في السرة فهي بجرة ، وأفضيت إليه بيجري وبيجري : أي أطلتته على أموري كلها ماظهر منها وما بطن ، أو أظهرته من تقى به على معايبى ومساوى ، وقول على كرم الله وجهه : أشكو إلى الله عجري وبيجري : أي همومي وأحزاني .
(٢) نجم الخطاب فيه : أثر .
(٣) قطعة .

(٤) في ابن أبي الحديد : وانتحت : إليك ليوث وفي نهاية الأرب : وانتحى : ليوث الوغى يقدهن من كل جانب .

٥٣٠ - من رسالة لعبد الحميد عن مروان

ولعبد الحميد من رسالة كتب بها عن مروان لفرق العرب ، حين فاض العجم من خراسان بشعار السواد قائمين بالدولة العباسية :

« فلانمكثوا ناصية الدولة العربية ، من يد القنينة المعجمية ، وأثبتوا ريثما تنجلي هذه الغمرة^(١) ، ونضحوا من هذه السكرة ، فسيفنضب^(٢) السيل ، وتمحى آية الليل ، والله مع الصابرين ، والعاقبة للمتقين » .

وجاء في شرح العيون :

وكتب يعرض بشعار بني العباس الأسود من رسالة :

« فرؤيدا حتى ينضب السيل ، وتمحى آية الليل » .

(رسائل البقاء ص ١٧٢ ، وشرح العيون ص ١٦٤)

٥٣١ - كتاب عبد الحميد إلى أهله

وكتب عبد الحميد من رسالة إلى أهله وهو منهزم مع مروان :

« أما بعد : فإن الله تعالى جعل الدنيا محفوفة بالكربة والسرور ، فمن ساعده الحظ فيها سكن إليها ، ومن عضته بنابها ذمها ساخطا عليها ، وشكاها مستزيدا^(٣) لها ، وقد كانت إذاقتنا أفابوق^(٤) استعليناها ، ثم جمحت^(٥) بنا نافية ، ورحمتنا مؤلّية ، فملح عذبها ، وخشن لئنها ، فأبعدتنا عن الأوطان ، وفرقتنا عن الإخوان ،

(١) الغمرة : الشدة تغمر الواقع فيها بشدتها ، وفي المثل « غمرات ثم ينجلين » .

(٢) نضب الماء : غار ، يعني أن قوة دعاة العباسية ستنهار .

(٣) جاء في لسان العرب « استزاد فلان فلانا : إذا عتب عليه في أمر لم يرضه » .

(٤) الفيقه بالكسر : اسم اللبن يجمع في الضرع بين الحلبتين وجمعها فيق بالكسر وفيق كغيب

وفيات وأفواق ، وجمع الجمع أفابوق .

(٥) جمع الفرس كنع : علب راكبه ، ورمحه الفرس كنع أيضا : رفضه .

قال دارنا راحة^(٢) والطيرو بارحة^(٣) ، وقد كتبت والأيام تزييد فامنكم بعداء ، وإليكم وجداء ، فإن
تم البلية إلى أقصى مدتها ، يكن آخر العهد بكم وبنا ، وإن يلحقنا ظفر جارح من أظفار
من يليك ، نرجع إليكم بذل الإسار^(٣) ، والذل شر جار ، نسأل الله الذي يعز
من يشاء ، ويذل من يشاء ، أن يهب لنا ولكم ألفة جامعة ، في دار آمنة تجمع سلامة
الأبدان والأديان ، فإنه رب العالمين ، وأرحم الراحمين^(٤) .

(شرح العيون ص ١٦٥)

٥٣٢ — كتاب عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر

إلى بعض إخوانه

كتب عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب إلى بعض إخوانه :
« أما بعد ، فقد عاقني الشك في أمرك عن عزيمة الرأي فيك ، وذلك أنك

(١) بعيدة .

(٢) البارح من الطير والوحش : مامر من يمينك إلى ميامرك ، والعرب تطير به لأنه لا يمكنك أن
ترميه حتى تنحرف ، والسائح مامر من مياسرك إلى ميامنك ، والعرب تميمن به لأنه أمكن للرمي والصيد .
(٣) أسره كضرب أسرا وإسارا ، والإسار أيضا : القيد الذي يشد به وجهه أسر ككتب .
(٤) وقد حضر عبد الحميد مع مروان جميع وقائمه عند آخر أمره ، ولما اشتد عليه الطلب وتتابعت
هزائمه ، وأيقن بزوال ملكه ، قال لعبد الحميد : قد احتجت أن تصير مع عدوي ، وتظهر العدوى ، فإن
لعجابهم بأدبك ، وحاجتهم إلى كتابتك ، تدعوهم إلى حسن الظن بك ، فإن استطعت أن تنفني في حياتي ،
وإلا لم تعجز عن حفظ حرمي بعد وفاتي ، فقال له عبد الحميد : إن الذي أشرت به على أتبع الأمرين لك ،
وأبجها بي ، وما عندي إلا الصبر ، حتى يفتح الله عليك ، أو أقتل معك ، وأنشد :
أسر وفاء ثم أظهر غدره ؟ فن لي بعنر يوسع الناس طاهره ؟

فلما قتل مروان استخفى عبد الحميد بالجزيرة ، فغمر عليه ، فطلب ، وكان صديقا لعبد الله بن المقفع ،
فقاهاها الطلب وهما في بيت ، فقال الذين دخلوا عليهما : أيكما عبد الحميد ؟ فقال كل واحد منهما :
أنا ، خوفا من أن ينال صاحبه مكروه ، وخاف عبد الحميد أن يسرعوا إلى ابن المقفع ، فقال : ترققوا
بنا ؛ فإن كلامنا له علامات ، فوكلوا بنا بعضكم ، وبمضى بعض آخر ويذكر تلك العلامات من وجهكم ففعلوا ،
وأخذ عبد الحميد ، فله السفاح إلى عبد الجبار بن عبد الرحمن صاحب شرطته ، فكان يحمي له طسنا
ويضعه على رأسه إلى أن مات سنة ١٣٢ هـ — انظر ترجمته في شرح العيون ص ١٦٢ ووفيات الأعيان
١ : ٣٠٧ ومروج الذهب ٢ : ٢٠٧ ؛ والفهرست لابن النديم ص ١٧٠ ، وغرر الحقائق الواضحة
ص ٣١ وكتاب الوزراء والكتاب للجيشياري ص ٧٨ .

ابتدأتني بلطفٍ عن غير خِبرة ، ثم أعقبتني جفاءً عن غير جريرة^(١) ، فاطمعتني أولئك في إخائك ، وآيسني^(٢) آخرُك من وفائك ، فلا أنا في اليوم^(٣) مجمعٌ لك أطراحا ، ولا أنا في غدٍ وانتظاره منك على ثقة ، فسُبُحانَ من لو شاء كشفَ بإيضاح الرأي في أمرِك عن عزيمة الشك فيك^(٤) ، فاجتمعنا^(٥) على ائتلاف ، أو افترقنا على اختلاف ، والسلام .

(البيان والتبيين ٢ : ٤١ ، وزهر الآداب ١ : ٩٨ ،
والعقد الفريد ٢ : ١٩٤ ، وغرر الحقائق الواضحة ٤٧٠)

٥٣٣ - كتابه إلى أبي مسلم الخراساني

وكتب من الحبس إلى أبي مسلم صاحب الدعوة^(٦) .

« من الأسير في يديه ، بلا ذنبٍ إليه ، ولا خلافٍ عليه ، أمّا بعدُ ، فآتاك الله

(١) الجريرة : الجرعة والذنب ، وفي غرر الحقائق « من غير جريرة » وفي البيان والتبيين والعقد من غير ذنب .

(٢) في زهر الآداب « وآيسني » وآيس مجردة آيس ، وآياس مجردة آيس ، والأول مقلوب عن الثاني .

(٣) في زهر الآداب « فلا أنا في غير الرجاء بجمع لك أطراحا ، ولا أنا في عدم انتظاره منك على ثقة » وأجمع الأمر وعليه ، وأزعم الأمر وعليه أيضا : عزم عليه وثبت .

(٤) في غرر الحقائق « عن ظلمة الشك فيك » وفي زهر الآداب « كشف بإيضاح الشك في أمرِك عن عزيمة الرأي فيك » . (٥) في البيان والتبيين والعقد وغرر الحقائق « فأقنا » .

(٦) وذلك أنه كان قد دعا إلى نفسه بالكوفة سنة ١٢٧ هـ . حرضه على ذلك أهل الكوفة وقالوا له : ادع إلى نفسك ، فبنو هاشم أولى بالأمر من بني مروان ، وقد حاربه بها عبد الله بن عمر ابن عبد العزيز ، فهزمه عبد الله بن عمر ، فخرج ابن معاوية إلى المدائن ، وفي سنة ١٢٩ خرج إلى الجبال فطلب عليها وعلى حلوان وقومس وهمذان وأصبهان والري من بلاد فارس ، وبقي على ذلك مدة ، وكان أبو مسلم الخراساني قد قويت شوكته ، فصار إليه وقبض عليه وسجنه ثم قتله سنة ١٣٠ - انظر تاريخ الطبري ٩ ، ٤٨ ، ٩٣ ومروج الذهب ٢ : ٢٠٣ والفخرى ص ١٢٢ والنجوم الزاهرة ١ : ٣٠٩ ، ٣١٠

وجاء في « فصل ، في الملل والأهواء والنحل » لابن حزم الظاهري الأندلسي في باب « شنع الشيعة » ج ٤ : ص ١٣٨ : « وقال بعض الكيسانية - وهي فرقة من فرق الشيعة ، أصحاب كيسان مولى علي بن أبي طالب - إن عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب حي بجبال أصبهان إلى اليوم ، ولا بد له من أن يظهر ، وهب الله هذا هو القائم بفارس أيام مروان بن محمد ، وقتله أبو مسلم بعد أن سجنه دهرا ، وكان عبد الله هذا رديء الدين معطلا مستصجبا للدهرية » .

حَفِظَ الْوَصِيَّةَ^(١) ، وَمَنْحَكَ نَصِيحَةَ الرَّعِيَّةِ ، وَأَلْهَمَكَ عَدْلَ الْقَضِيَّةِ^(٢) ، فَإِنَّكَ مُسْتَوْدَعُ
 الْوَدَائِعِ ، وَمَوْلَى الصَّنَائِعِ^(٣) ، فَاحْفَظْ وَدَائِعَكَ بِحُسْنِ صِنَائِعِكَ ، فَالْوَدَائِعُ عَارِيَّةٌ ،
 وَالصَّنَائِعُ مَرَعِيَّةٌ ، وَمَا النَّعْمُ عَلَيْكَ وَعَلَيْنَا فَيْكَ بِمَنْزُورٍ^(٤) نَدَاهَا ، وَلَا يَمْلُوحُ مَدَاهَا
 فَنَبَهُ لِاتِّفْكَيرِ قَلْبِكَ ، وَأَتَّقِ اللَّهَ رَبَّكَ ، وَأَعْطِ مِنْ نَفْسِكَ مَنْ هُوَ تَحْتِكَ مَا تُحِبُّ
 أَنْ يَعْطِيَكَ مَنْ هُوَ فَوْقَكَ ، مِنْ الْعَدْلِ وَالرَّأْفَةِ وَالْأَمْنِ مِنَ الْمَخَافَةِ . فَقَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْكَ
 بِأَنْ فَوَّضَ أَمْرَنَا إِلَيْكَ ، فَاعْرِفْ لَنَا إِيْنَ شُكْرِ الْوَدَّةِ ، وَأَغْفِرْ مَسَّ الشَّدَةِ ، وَالرِّضَا
 بِمَا رَضِيتَ ، وَالقِنَاعَةَ بِمَا هَوَيْتَ ، فَإِنَّ عَلَيْنَا مِنْ سَمِّكَ^(٥) الْحَدِيدَ وَثِقَلِهِ أَذَى شَدِيداً
 مَعَ مُعَاجَلَةِ الْأَغْلَالِ ، وَقِلَّةِ رَحْمَةِ الْعُمَالِ ، الَّذِينَ تَسْهِيْلُهُمُ الْغِلْظَةُ ، وَتَيْسِيْرُهُمُ الْفَظَاطَةُ ،
 وَإِيْرَادُهُمْ عَلَيْنَا النُّمُومَ ، وَتَوْجِيْهِهُمُ إِلَيْنَا الْهُمُومَ ، زِيَارَتُهُمْ الْحِرَاسَةَ ، وَبِشَارَتِهِمُ الْإِيْاسَةَ ،
 فَإِلَيْكَ بَعْدَ اللَّهِ نَرْفَعُ كُرْبَةَ الشُّكُوى ، وَنَشْكُو شِدَّةَ الْبَلْوى ، فَتَيُّ كُنْمَلٍ إِلَيْنَا طَرْفَا ،
 وَتُوْلِنَا مِنْكَ عَطْفَا ، تَجِدُ عِنْدَنَا نُصْحَا صَرِيْحَا ، وَوُدًّا صَحِيْحَا ، لَا يُضَيِّعُ مِثْلَكَ مِثْلَهُ ،

(١) يقول الشيعة إن النبي صلى الله عليه وسلم أوصى بالخلافة من بعده لعلي كرم الله وجهه ، فلقبوا
 علياً بالوصي ، وهو أوصى بهما لمن بعده ، وهكذا كل إمام وصى من قبله ، قال الحميري من أبيات :
 إني أدين بما دان الوصي به يوم النخيلة من قتل الحسين
 انظر الكامل للبردج ٢ : ص ١٥٥ ، وقد أورد ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة م ١ :
 ص ٤٧ - ٥٠ طائفة كبيرة من الأشعار التي وردت فيها كلمة الوصي ، منها قول عبد الله بن
 أبي سفيان بن الحرث بن عبد المطلب :

ومنا على ذاك صاحب خير وصاحب بدر يوم سالت كتابه
 وصي النبي المصطفى وابن عمه فن ذا يدانيه ، ومن ذا يقاربه؟
 وقول عبد الرحمن بن جعيل :

لعمري لقد بايعتم ذا حفيظة علي الدين معروف الغفاب موقفا
 عليا وصي المصطفى وابن عمه وأول من صلى أخوا الدين والتقى

وقول أبي الهيثم بن التيهان من أبيات ، وكان بدرياً :

إن الوصي إمامنا وولينا برح الحفاء وباحت الأسرار
 (٢) يقال : قضى عليه قضا وقضاء وقضية .

(٣) جمع صنعة ، وهي المعروف والإحسان . (٤) النزر والنزير والمنزور : القليل .

(٥) يقال سمكة سمكا : أي رفضه ، والمعنى : فإن علينا من الحديد الغايظ المضاعف .

وَلَا يَنْبِي مِثْلِكَ أَهْلَهُ ، فَارْعَ حُرْمَةَ مَنْ أَدْرَكَتَ بِحُرْمَتِهِ ، وَاعْرِفْ حُجَّةَ مَنْ
فَلَجَتْ^(١) بِحُجَّتِهِ فَإِنَّ النَّاسَ مِنْ حَوْضِكَ رِوَا^(٢) ، وَنَحْنُ مِنْهُ ظِلْمَاءٌ ، يَمْشُونَ فِي الْأَبْرَادِ
وَنَحْنُ نَحْجِلُ فِي الْأَقْيَادِ^(٣) ، بَعْدَ الْخَيْرِ وَالسَّعَةِ ، وَالْخَفْضِ وَاللَّعْنَةِ ، وَاللَّهِ الْمُسْتَعَانُ ،
وَعَلَيْهِ التُّسْكُلَانُ ، صَرِيحٌ^(٤) الْأَخْيَارِ ، مُنْجِي الْأَبْرَارِ ، النَّاسُ مِنْ دَوْلَتِنَا فِي رَحَاءِ ،
وَنَحْنُ مِنْهَا فِي بَلَاءِ ، حِينَ أَمِنَ الْخَائِفُونَ ، وَرَجَعَ الْهَارِبُونَ ، رَزَقَنَا اللَّهُ مِنْكَ التَّحَنُّنَ ،
وظَاهَرَ عَلَيْنَا مِنَ التَّمَنُّنِ ، فَإِنَّكَ أَمِينٌ مُسْتَوْدَعٌ ، وَرَائِدٌ مُصْطَفَى^(٥) ، وَالسَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ
(البيان والتبيين ٢ : ٤٢ ، والأغانى ١١ : ٧١)

(١) أى غلبت وامتصرت .

(٢) رواء : جمع ريان ، وظلماء : جمع ظلمان .

(٣) الأبراد والبرود : جمع برد كقفل ، وهو ثوب مخطط ، وحجل المقيد كضرب ونصر : رفع رجلا
وتريث فى . شبه على رجله ، والأقياد والقيود : جمع قيد .

(٤) الصريح : المغيث (والمغِيث أيضا ، ضد) وفى الأصل « صريح الأخبار » وهو تصحيف .

(٥) أصل الرائد : المرسل فى طلب الكلاء ، ومصطفى : أى مختار ، وفى نسخة « مصطنع »

وهى بمعناها .

التوقيعات

معاوية

كتب عبد الله بن عامر^(١) إلى معاوية في أمر عائمة فيه ، فوقع في أسفل كتابه :

« بيت أمية في الجاهلية أشرف من بيت حبيب في الإسلام ، فأنت تراه .
ووقع في كتاب عبد الله بن عامر يسأله أن يقطع ما لا بالطائف :
« عِشْ رَجَبًا تَرَّ عَجَبًا »^(٢) .

وكتب زياد إلى معاوية يخبره بطعن عبد الله بن عباس في خلافته^(٣) ، فوقع في كتابه :

« إن أبا سفيان وأبا الفضل^(٤) كانا في الجاهلية في مِثْلَاخ^(٥) واحد ، وذلك حِيف^(٦) لا يحلُّه سوء رأيك . »

(١) هو عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف ، وهو ابن خال عثمان بن عفان ، استعمله عثمان على البصرة بعد أبي موسى الأشعري ، وولاه أيضا بلاد فارس بعد عثمان ابن أبي العاص ، ولم يزل واليا على البصرة إلى أن قتل عثمان ، وولاه معاوية البصرة ثلاث سنين .

(٢) هو مثل ، قال الميداني في جمع الأمثال (١ : ٣١٢) قالوا من حديثه : إن الحارث بن عباد ابن قيس بن ثعلبة طلق بعض نائه من بعد ما أسن وخرف ، فخلف عليها بعده رجل ، كانت تظهر له من الوجد ما لم تكن تظهر للحارث ، فلقى زوجها الحارث ، فأخبره بمخزاته منها ، فقال الحارث : « عِشْ رَجَبًا تَرَّ عَجَبًا » فأرسلها مثلا ، قال أبو الحسن الطوسي : يريد عِشْ رَجَبًا تَرَّ عَجَبًا ، فحذف ، وقيل رجب كناية عن السنة ، لأنه يحدث بمحدثها . ومن نظر في سنة واحدة ورأى تغير فصولها ، فاس الدهر كله عليها ، فكأنه قال : عِشْ دَهْرًا تَرَّ عَجَبًا ، وعيش الإنسان ليس إليه : فيصح له الأمر به ، ولكنه محمول على معنى الشرط ، أي إن تعش تر ، والأمر يتضمن هذا المعنى في قولك زرنى أكرمك .

(٣) وفي العقد الفريد أيضا (٣ : ٥) « كتب زياد إلى معاوية : إن عبد الله بن عباس يفصد الناس على ، فإن أذنت لي أن أتوعده فعلت ، فكتب إليه . . . » .

(٤) كنية العباس . (٥) المِثْلَاخ : الإهاب (الجلد) .

(٦) الخلف : العهد بين القوم والصدقة .

وكتب إليه ربيعة بن عسل اليربوعي يسأله أن يعينه في بناء داره بالبصرة
بائني عشر ألف جذع :

« أدارك في البصرة أم البصرة في دارك ؟ » .

ووقع معاوية : « نحن الزمان : من رفَعناه ارتفع ، ومن وَضَعناه اتَّضع » .

وكتب إليه الحسن بن علي رضي الله عنهما كتاباً أغلظ له فيه القول ،
فوقع إليه :

« ليت طولِ حِمْلنا عنك لا يدعو جهلَ غيرِنا إليك » .

وكتب زياد إلى سعيد بن العاص يخطب إليه ، فوقع في كتابه :

« كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيْطَغَى أَنْ رَأَاهُ اسْتَفْتَى » .

يزيد بن معاوية

وكتب مسلم بن عقبة المرِّي إلى يزيد بالذي صنَع بأهل الحرَّة ، فوقع في أسفل
كتابه :

« فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ » .

وكتب عبد الله بن جعفر إلى يزيد يستوهِبه جماعةً من أهل المدينة ، فوقع إليه :

« مَنْ عَرَفْتَ فَهُوَ آمِنٌ » .

وكتب إليه يسأله أن يقضي عنه ذِمَامَ نفر من بطانته وخاصته ، فوقع

في كتابه : « احكم لهم بآمالهم إلى مُنتهى آجالهم » ، فحكم لهم بتسعمائة ألف
فأجازها .

ووقع في كتاب مُسلم بن زياد عامله على خراسان ، وقد استبطأه

في الخراج .

« قليل العتاب يُحْكِم مَرَّاتِ الأَسباب ، وكثيره يَقْطَع أَواخِي الأَنْساب (١) » .

(١) المرائر : جمع مريرة : وهي طاقة الجبل (والجبل الشديد القتل أيضا) والأسباب جمع سبب :
وهو الجبل وما يتوصل به إلى غيره ، والأواخي جمع آخية بتشديد الياء فيهما ، والأواخي : جمع آخية
بتخفيفها فيهما ، والآخية : عروة تربط إلى وتدمدق وتتمدق فيها الدابة .

ووقع إلى عبد الرحمن بن زياد وهو عامله على خراسان :
« القِرابَة واشجِجَة ، والأفْعال متبايِنَة ، نَحْد لِرَحِمِك من فَعْلِك ^(١) » .
وإلى عبيد الله بن زياد :

« أنت أحدُ أعضاء ابن عمك ، فأحرِصْ أن تكون كلِّهما » .

عبد الملك بن مروان

ووقع عبد الملك بن مروان في كتاب أتاه من الحجاج يشكو إليه نفرًا من بني هاشم
ويحرضه على قتلهم :

« جُفِّبني دِماءَ بني عبد المطلب ، فليس فيها شِفاء من الطَّلب ^(٢) » .
وكتب إليه الحجاج يخبره بسوء طاعة أهل العراق ، وما يقامى منهم ، ويستأذنه
في قتل أشرفهم ، فوقع له :
« إن من يُمن السائس أن ياتلف به المختلفون ، ومن شوَّمه أن يختلف به
المؤتلفون » .

وكتب الحجاج إلى عبد الملك يشكو إليه أهل العراق ، فوقع :
« أرفق بهم ، فإنه لا يكون مع الرفق ما تكره ، ومع الخرق ما تحب » .
ووقع إليه في أهل السواد :

« أبق لهم لحوما ، يَمُقِدوا بها شحوما » .

ووقع في كتاب مُتَمَصِّح ^(٣) :

« إن كنت صادقًا أنبناك ، وإن كنت كاذبًا عاقبناك ، وإن شئت أقلناك » .

ووقع في كتاب الحجاج يخبره بقوة ابن الأشعث :

« بضعفك قوَى ، وبخوفك خَلَع » .

(١) قرابة واشججة : مشبكة ، وقد وشجت بك قرابته كوعد . (٢) انظر ص ١٤٠ .

(٣) تنصح : تشبه بالنصحاء .

ووقع في كتاب ابن الأشعث :

« فما بال مَنْ أَسْمَى لِأَجْبُرَ عَظْمَهُ حِفَاظًا ، وَيَنْوِي مِنْ سَفَاهَتِهِ كَسْرِي »^(۱)

ووقع أيضاً في كتاب :

« كَيْفَ يَرْجُونَ سِقَاطِي بَعْدَمَا تَشَمِلُ الرَّأْسَ مَشِيبًا وَصَالِحًا ؟ »^(۲)

الوليد بن عبد الملك

وكتب الحجاج إلى الوليد بن عبد الملك لما بلغه أنه خرق^(۳) فيما خلف له عبد الملك،

يُنْكَرُ ذَلِكَ عَلَيْهِ وَيَعْرِفُهُ أَنَّهُ غَيْرُ صَوَابٍ ، فَوَقَعَ فِي كِتَابِهِ :

« لِأَجْمَعَنَّ الْمَالَ جَمْعَ مَنْ يَعِيشُ أَبَدًا ، وَلَأُفَرِّقَنَّه تَفْرِيقَ مَنْ يَمُوتُ غَدًا » .

ووقع إلى عمر بن عبد العزيز :

« قَدْ رَأَى اللَّهُ بِكَ الْإِدَاءَ ، وَأَوْذَمَ بِكَ السَّقَاءَ »^(۴) .

سليمان بن عبد الملك

وكتب قتيبة بن مسلم إلى سليمان بن عبد الملك يتهدده بالخلع ، فوقع في كتابه :

زَعَمَ الْفَرَزْدَقُ أَنَّ سَيَقْتُلُ مِرْبَعًا أَبْشِرْ بِطُولِ سَلَامَةِ يَا مِرْبَعُ^(۵)

ووقع في كتابه أيضاً : « وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ » .

ووقع إلى قتيبة أيضاً جواب وعيده :

« وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا » .

(۱) انظر ص ۱۹۱ .

(۲) السقط بالتحريك والسقاط بالكسر : الخطأ في الحساب والقول وفي الكتاب .

(۳) الخرق بالتحريك : ألا يحسن الرجل العمل والتصرف في الأمور .

(۴) رأب الصدع كتم : أصله ، وأوذم : شد .

(۵) مربيه كعبر : لقب وعوغة بن سعيد رواية جرير .

وكتب مَثلَمَة بن عبد الملك إلى أخيه سليمان من الصَّائِفَة^(۱) بما كان منه من
حُسن الأثر في بلاد الروم ، فوقع في كتابه :
« ذلك بالله لا بمَثلَمَة » .

عمر بن عبد العزيز

وقال صاحب العقد :

كتب بعض العمال إلى عمر بن عبد العزيز يستأذنه في مَرَمَة مدينته فوق
أسفل كتابه :

« أبنها بالعدل ، وثق طرُقها من الظلم^(۲) » .

ووقع إلى بعض عماله في مثل ذلك :

« حصنها ونفسك بتموى الله » .

وقال الثعالبي في خاص الخصاص :

كتب عامل حصن إلى عمر بن عبد العزيز يخبره أنها احتاجت إلى حصن ،
فوقع :

« حصنها بالعدل والسلام » .

* * *

وإلى رجل ولأه الصدقات ، وكان دميًا فعدل وأحسن :

« وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا » .

وكتب إليه صاحب العراق يخبره عن سوء طاعة أهلها ، فوقع له :

« ارض لهم ما ترضى لنفسك ، وخذ بجرائمهم بعد ذلك » .

(۱) الصائفة : غزوة الروم ، لأنهم كانوا يغزون صيفا ، لمكان البرد والثلج .

(۲) انظر ص ۳۰۱ .

وإلى عدی بن أرطاة في أسر عاتبه عليه :

إن آخر آية أنزلت : « وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ » .

وإلى عامله على الكوفة ، وكتب إليه أنه فعل في أمر كافع عمر بن الخطاب :

« أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهِمُ اقْتَدِهْ » .

وإلى الوليد بن عبد الملك - وعمر عامله على المدينة - فوقع في كتابه :

« اللَّهُ أَعْلَمُ ، إِنَّكَ أَوْلُ خَلِيفَةٍ تَمُوتُ » .

وأناه كتاب عدی بن أرطاة يخبره بسوء طاعة أهل الكوفة ، فوقع

في كتابه :

« لَا تَطْلُبُ طَاعَةَ مَنْ خَذَلَ عَلِيًّا ، وَكَانَ إِمَامًا مَرْضِيًّا » .

وإلى عامله بالمدينة ، ومأله أن يعطيه موضعاً يبنيه ، فوقع :

« كُنْ مِنَ الْمَوْتِ عَلَى حَذَرٍ » .

وفي قصة متظلم : « الْمَدْلُ أَمَامَكَ » .

وفي رقعة محبوس : « تَبُّ تَطْلُقُ » .

وفي رقعة رجل قتل : « كِتَابُ اللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكَ » .

وفي رقعة متنصّح : « لَوْ ذَكَرْتَ الْمَوْتَ شَغَلَكَ عَنْ نَصِيحَتِكَ » .

وفي رقعة رجل شكك بعض أهل بيته (١) : « أَتَمَّا فِي الْحَقِّ مَيَّانَ » .

وفي رقعة امرأة حبس زوجها . « الْحَقُّ حَبَسَهُ » .

وفي رقعة رجل تظلم من ابنه : « إِنْ لَمْ أَنْصِفْكَ مِنْهُ فَأَنَا ظَلَمْتُكَ » .

(١) الضمير فيه لعمر بن عبد العزيز .

يزيد بن عبد الملك

ووقع يزيد بن عبد الملك إلى صاحب خراسان :
« لا تترك حسن رأي ، فإنما تفسده عثرة » .

وإلى صاحب المدينة : « عثرت فاستقل » .

وفي قصة متظلم : « وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون » .

وفي قصة متظلم شكوا بعض أهل بيته :

« ما كان عليك لو صفحت عنه وأستوصلتني ^(١) ؟ » .

هشام بن عبد الملك

ووقع هشام بن عبد الملك في قصة متظلم :

« أتاك الفوثن إن كنت صادقاً ، وحل بك النكال إن كنت كاذباً ، فتقدم

أو تأخر » .

وفي قصة قوم شكوا أميرهم :

« إن صح ما ادعيتم عليه عزلناه وعاقبناه » .

« وإلى صاحب خراسان حين أمره بمحاربة الترك :

« احذر ليالي البيات ^(٢) » .

وإلى صاحب المدينة ، وكتب يخبره بوثوب أبناء الأنصار :

« احفظ فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهبهم له » .

ووقع في رقعة محبوس لزمه الهدى :

« نزل بحدك الكتاب » .

(١) أي وطلبت بذلك صلتى .

(٢) بيت العدو : أوقع بهم ليلاً ، وفي المقدم « البيان » وهو تحريف .

(٣٢ - جملة رسائل العرب - نان)

ووقع في قصة رجل شكاً إليه الحاجة وكثرة العيال ، وذكر أن له حرمة :

« إعيالك في بيت مال المسلمين منهم ، ولك بحرمتك منا مثلاً . »

وإلى عامه على العراق في أمر الخوارج :

« ضَعَّ سَيْفَكَ فِي كِلَابِ النَّارِ ، وَتَقَرَّبَ إِلَى اللَّهِ بِقَتْلِ الْكُفَّارِ . »

« وَإِلَى جَمَاعَةٍ يَشْكُونَ تَعَدَّى عَامِلِهِمْ عَلَيْهِمْ . »

« لَنْفَوْضَنَّكُمْ فِي خَصْمِكُمْ دُونَكُمْ . »

وفي كتاب عامه يخبره فيه بقلة الأمطار في بلده :

« مُرِّمٌ بِالِاسْتِغْفَارِ . »

وإلى سهل بن سيار : « خَفِيَ اللَّهُ وَإِمَامُكَ ، فَإِنَّهُ يَأْخُذُكَ عِنْدَ أَوَّلِ زَلَّةٍ »

يزيد بن الوليد بن عبد الملك

ووقع يزيد بن الوليد بن عبد الملك إلى مروان بن محمد :

« أَرَاكَ تَقْدَمُ رِجْلًا وَتُؤَخِّرُ أُخْرَى ، فَإِذَا أَتَاكَ كِتَابِي هَذَا فَاعْتَمِدْ عَلَيَّ

أَيُّهَا شَأْتِ^(١) . »

وإلى صاحب خراسان في المسودة :

« نَجْمٌ أَمْرٌ أَنْتَ عَنْهُ نَائِمٌ ، وَمَا أَرَاكَ مِنْهُ أَوْ مَنِّي بِسَالِمٍ . »

مروان بن محمد

وكتب مروان بن محمد إلى نصر بن سيار في أمر أبي مسلم :

« نَجُومُ الظَّاهِرِ يَدُلُّ عَلَى ضَعْفِ البَاطِنِ ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ . »

ووقع إلى ابن هبيرة :

(١) انظر ص ٣٩٧ .

« الأمر مضطرب ، وأنت نائم ، وأنا ساهر » .

وإلى حوثرَةَ بن سُهَيْلِ الباهليّ حين وجهه إلى قحطبة بن شبيب الطائي^(١) :

« كن من بيّاتِ المارقةِ على حذرٍ » .

وكتب ابن هبيرة إلى مروان أن قحطبة قد غرق ، وأنه واقع أصحابه

فهزيم^(٢) ، فوقّع .

« هذا والله الإدبارُ ، وإلا فنُ سمع بميتٍ هزَمَ حيا ؟ » .

وفي جواب أبيات نصر بن سيار إذ كتب إليه :

أرى خللَ الرمادِ وميضَ جمرٍ ويوشك أن يكون له ضرامُ

« الحاضرُ يرى ما لا يرى الغائبُ ، فاحسبِ الثؤلؤل^(٣) » .

فكتب إليه نصر :

« الثؤلؤلُ قد أشتدت أعضاؤه ، وعظمت نيكابته » .

فوقع إليه : « يداك أو كتفا ، وفوك نفخ^(٤) » .

(١) في العقد الفريد « الحوثرَة بن سهل » وهو تحريف ، وكان مروان بن محمد قد أمد ابن هبيرة به في عشرين ألفاً من أهل الشام ، لقتال قحطبة بن شبيب قائد الجيوش الخراسانية حين أقبل إلى ابن هبيرة - انظر تاريخ الطبري ج ٩ : ص ١١٨

(٢) وذلك أن قحطبة أقبل بمجنوده حتى صار يحذاه ابن هبيرة وبينهما الفرات ، ثم عبر بفرسانه - ليلة الخميس ليال خلون من المحرم سنة ١٣٢ - وحمل أصحابه على جيش ابن هبيرة فهزموهم ، وخلقى ابن هبيرة عسكره وما فيه من الأموال والسلاح والزينة والآنية وغير ذلك ، وأصبح أصحاب قحطبة وقد فقدوه ، فلم يزالوا في رجاء منه إلى نصف النهار ، ثم يثبوا منه وعللوا بفرقه ، فولوا أمرهم ابنه الحسن . وفي العقد « ووقع حين أتاه غزو قحطبة » وهو تحريف وصوابه « غرق قحطبة » وفيه « وإلا فن رأى ميتا هزم حيا » .

(٣) انظر ص ٤٨٠ .

(٤) الوكاء ككساء : رباط القربة وغيرها ، وقد وكأها ووكأها وأكأها وأكأها : شدتها بالوكاء ، وهذا مثل . وأصله أن رجلا كان في جزيرة من جزائر البحر ، فأراد أن يهرب على زق قد نفخ فيه ، فلم يحسن إحكامه ، حتى إذا توسط البحر خرجت منه الريح ففرق ، فلما غشبه الموت استغاث برجل فقال له : يداك أو كتفا وفوك نفخ . يضرب لمن يجنى على نفسه الحين - انظر بحم الأمثال للميداني ج ٢ : ص ٢٤٨ .

عبد الله بن علي

ولما أيسَ مروان من أمره ، كتب إلى عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس
يُوصيه بالحُرْم ، فوقع في كتابه :
« الحقُّ لنا في دَمِك ، وعلينا في حُرْمِك » .

زياد

ووقع زياد إلى بعض عماله :
« قد كنتَ على الذُّعَار ، وإِخَالِك ذَاعِرًا^(١) » .
وكتبت إليه السيدة عائشة في وَصَاةٍ برجل ، فوقع في كتابها :
« هُوَ بَيْنَ أَبَوَيْهِ » .

وإلى صاحب خُرَاسان في أمر خالفه فيه :
استر بعض دِينِك^(٢) ببعض ، وإِلَّا ذَهَبَ كُلُّهُ » .
وإلى عامله بالكوفة :

« أَمِطِ^(٣) الْخُدُودَ عَنْ ذَوَى الْمُرُوءَاتِ » .
وفي قصة متظلم :
« أَنَا مَعَكَ » .

وفي قصة قوم رفعوا^(٤) على عامل :

(١) ذعره كمنه ذعرا بالفتح : خوفه ، كأذعره فهو ذاعر والجمع ذعار : أي قد كنت على الذين يفرعون الناس بسطواتهم ، فأرهبتهم وضربت على أيديهم . ويقيني أنك ستأخذ من ولينك أمرهم بالشدة والقسوة والرغبة ، وجاء في الحديث : « لا يزال الشيطان ذاعرا من المؤمن » أي ذا ذعروخوف ، أو هو فاعل بمعنى مفعول : أي مذعور ، ويجوز أن يكون بهذا المعنى في توقيع زياد : أي وأظنك ستخاف هؤلاء ، وترهب بأسهم وقوتهم ، والمعنى : فلا تجنح إلى ذلك .

(٢) الدين : السلطان والملك والحكم والسيرة والتدبير .

(٣) ماطه وأماطه : نجاه وأبعده . (٤) رفع قصته : قدمها .

« من أماله الباطل قومه الحق » .

وفي قصة مُسْتَمْنِح :

« لك المواساة » .

وإلى عامله في خوارج خرجوا بالبصرة :

« الفداء تحاربهم دونك » .

وفي قصة سارق :

« القطع جزاؤك » .

وفي قصة امرأة حُبِس زوجها :

« حُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ » .

وفي قصة قوم نَقَبُوا :

« تَنْقَبُ ظُهُورُهُمْ » .

وفي قصة نَبَّاش^(۱) :

« يُدْفَن حَيًّا فِي قَبْرِهِ » .

وفي قصة متظلم :

« الْحَقُّ بِسَعْتِكَ » .

وفي قصة متنصح :

« مَهْلًا قَدْ أَبْلَغْتَ أَسْمَاعِي^(۲) » .

وفي قصة متظلم :

« كُفَيْتَ » .

وفي قصة رجل شكَا إليه عقوق ابنه :

(۱) هو الذي ينش القبر ، وفعله كدخل .

(۲) هو عجز بيت لأبي قيس ، ومصدره « قالت ولم تقصد لقبل الحنا » وأسماعى بالفتح جمع سمع وعبر

به عن المثنى مبالغة ، وبالكسر مصدر أسمع ، بمعنى سمى .

« ربما كان عقوق الولد من سوء تأديب الوالد » .

وفي قصة رجل شكوا الحاجة :

« لك في مال الله نصيبٌ أنت آخذُه (۱) » .

وفي قصة رجل جارح :

« والجُرُوحُ قِصَاصٌ » .

وفي قصة محبوس :

« التائب من الذنب كمن لا ذنب له » .

وفي قصة قوم شكوا غرق ضياعهم .

« لا تعرض فيما تفرّد الله به » .

وفي قصة قوم اشتكوا اجتياح الجراد لزروعهم .

« لا حكم فيما استأثر الله به » .

الحجاج بن يوسف

ووقع الحجاج في كتاب أناه من فتية بن مسلم ، يشكو كثرة الجراد وذهاب

الغلال ، وما حلّ بالناس من القحط :

« إذا أزف (۲) خراجك فانظر لرعيّتك في مصالحها ، فبيّتُ المال أشدُّ اطلاعا (۳) »

(۱) قال الله تعالى « وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ

وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ » .

(۲) أزف الشيء : قل .

(۳) جاء في اللسان يقال : فلان مضطلم بهذا الأمر : أي قوى عليه ، وهو مفتعل من الضلعة بالفتح

وهي القوة ، قيل ولا يقال مضلم بالادغام . وقال أبو نصر أحمد بن حاتم : يقال هو مضطلم بهذا الأمر ،

ومضطلم له ، فالاضطلاع من الضلعة وهي القوة ، والاطلاع من العلو من قولهم : اطلعت الثنية أي علوتها ،

كذلك هو حال ذلك الأمر مالمالك له ، وقال الليث : يقال إنى بهذا الأمر مضطلم ومطلم ، الضاد تدغم في التاء =

نظفك من الأرملة واليتيم وذى العيلة^(۱) .

وفي كتاب قتيبة إليه أنه على عبور النهر ومحاربة الترك :

« لا تخاطِرُ بالمسلمين حتى تعرفَ موضعَ قدمك ، ومرّمتي مهيامك » .

وإلى قتيبة :

« خذ أهلَ عسرك بتلاوة القرآن ، فإنه أمانع من حصونك » .

وفي كتاب صاحب الكوفة يخبره بسوء طاعتهم ، وما يقامى من مداراتهم :

« ما ظنُّك بموم قتلوا من كانوا يعبدونه ؟ » .

وفي قصة محبوس ذكروا أنه تاب :

« مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ » .

وفي كتابه إلى بعض عماله :

« إياك والملاهي حتى تستنظف^(۲) خراجك » .

وفي كتاب إلى ابن أخيه :

« ما ركبَ يهودىَ قبلك منبرا » .

وفي كتابه إلى يزيد بن أبي مسلم^(۳) :

« أنت أبو عبدة هذا القرن » .

= أى تاء الافعال التى قلبت طاء - فصيران طاء مشددة ، كما تقول - فى اطنى - اطنى : أى اتهمى - واطلم إذا احتمل الظلم ، وروى أبو الهيثم قول أبي زيد :

أخو المواطن عياف الخنا أنت للنائب ولو أضلعن مظلم

(وأضلعن : أثقلن) ومظلم : هو القوي على الأمر المحتمل له ، أراد مضطلم ، فأدغم ، هكذا رواه

بخطه ، قال ويروى « مضطلم » . (۱) العيلة : الفقر .

(۲) استنظف الوالى ما عليه من الخراج : استوفاه ، واستنظف التى : أخذها كله .

(۳) هو مولى الحجاج وكتابه ، وروى صاحب العقد (۳ : ۲۱) قال . « مات الحجاج فى آخر أيام

الوليد بن عبد الملك ، فتفجع عليه وولى مكانه يزيد بن أبى مسلم كاتب الحجاج فاكتفى (وكفى الرجل

واكتفى : كلاهما اضطلم) وجاوز ، فقال الوليد : « مات الحجاج وولت مكانه يزيد بن أبى مسلم فكنت

كمن سقط منه درهم وأصاب ديناراً » .

أبو مسلم الخراساني

وكتب قحطبة إلى أبي مسلم أن بعض قواده خرج إلى عسكر ابن ضبارة^(۱) واغبا ، فوقع في كتابه :

« أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ . جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ » .

ووقع إلى ابن قحطبة :

« وَلَا تَرَ كُنُوزًا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ » .

وإليه :

« وَلَا تَنَسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا » .

وإليه :

« ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ » .

(العقد الفريد ۲ : ۱۸۵ - ۱۹۰ ، ۳ : ۵ ، وزهر الآداب ۹ : ۲۴۲ ، وخامس الخصال ص ۶۸)

تم الجزء الثاني بحمد الله وتوفيقه

وبليبه الجزء الثالث وأوله :

الباب الرابع في رسائل العصر العباسي الأول

(۱) لما ورد على ابن هبيرة مقتل نباتة بن حنظلة بجرجان كما قدمنا ، كتب إلى عامر بن ضبارة وإلى ابنه داود بن يزيد بن عمر أن يسيرا إلى قحطبة ، وكافا بكرمان ، ونشب القتال بين الفريقين ، فانهزم داود بن يزيد ، وقاتل ابن ضبارة حتى قتل سنة ۱۳۱ - انظر تاريخ الطبري ۹ : ۱۱۳ .

فہرس

الجزء الثاني

من جمهرة رسائل العرب

الباب الثالث

الرسائل في العصر الأموي

الرسالة	رقم الصفحة	رقم الرسالة
خلافة الحسن ومعاوية		
كتاب عبد الله بن عباس إلى الحسن بن علي رضي الله عنهم	٨	١
« الحسن إلى معاوية	١٠	٢
رد معاوية على الحسن	١٠	٣
كتاب ابن عباس إلى معاوية	١١	٤
رد معاوية على ابن عباس	١١	٥
كتاب الحسن إلى معاوية	١٢	٦
رد معاوية على الحسن	١٣	٧
صورة أخرى لكتاب الحسن إلى معاوية	١٤	
صورة أخرى لرد معاوية على الحسن	١٥	
كتاب معاوية إلى الحسن	١٧	٨
رد الحسن على معاوية	١٨	٩
كتاب معاوية إلى عماله	١٨	١٠
الصلح بين الحسن ومعاوية	١٩	١١
كتاب الحسن إلى معاوية بعد الصلح	٢٠	١٢

الرسالة	رقم الرسالة	رقم الصفحة
كتاب معاوية إلى ابن عباس	۱۳	۲۱
رد ابن عباس على معاوية	۱۴	۲۱
كتاب معاوية إلى الحسين بن علي	۱۵	۲۲
رد الحسين على معاوية	۱۶	۲۲
كتاب الحسين بن علي إلى معاوية	۱۷	۲۴
رد معاوية على الحسين	۱۸	۲۴
كتاب الحسين بن علي إلى معاوية	۱۹	۲۵
رد معاوية على الحسين	۲۰	۲۵
كتاب محمد بن الحنفية إلى الحسين	۲۱	۲۶
الحسن بن علي إلى أهل البصرة	۲۲	۲۷
ابن عباس إلى مجبرة الشام	۲۳	۲۸
معاوية إلى عمرو بن العاص	۲۴	۲۸
رد عمرو على معاوية	۲۵	۲۹
كتب بين معاوية وبسر بن أبي أرطاة وبين زياد ابن أبيه	۲۶	۲۹
كتاب معاوية إلى زياد	۲۷	۳۱
رد زياد على معاوية	۲۸	۳۲
رد معاوية على زياد	۲۹	۳۳
رد زياد على معاوية	۳۰	۳۵
كتاب الحسن بن علي إلى زياد ابن أبيه	۳۱	۳۶
رد زياد على الحسن	۳۲	۳۷
رد الحسن على زياد	۳۳	۳۷
كتاب معاوية إلى زياد	۳۴	۳۸
كتاب زياد إلى معاوية	۳۵	۳۹
رد معاوية عليه	۳۶	۳۹
كتاب معاوية إلى زياد	۳۷	۴۰
رد زياد عليه	۳۸	۴۰
كتاب زياد إلى الحكم بن عمرو الغفاري	۳۹	۴۰

الرسالة	رقم الرسالة	رقم الصفحة
رد الحكم عليه	۴۰	۴۰
رد زياد عليه	۴۱	۴۱
كتاب المغيرة بن شعبه إلى معاوية	۴۲	۴۱
رد معاوية عليه	۴۳	۴۲
بين معاوية والمغيرة بن شعبه	۴۴	۴۲
كتاب المستورد بن عافه الخارجي إلى سماك بن عبيد	۴۵	۴۳
كتاب حبيب بن مسلمة إلى أهل تفلين	۴۶	۴۴
عهد حبيب بن مسلمة لأهل تفلين	۴۷	۴۴
كتاب زياد إلى معاوية في شأن حجر بن عدى	۴۸	۴۵
« شريح بن هاني » إلى معاوية	۴۹	۴۷
« معاوية إلى زياد »	۵۰	۴۸
رد زياد على معاوية	۵۱	۴۸
كتاب معاوية إلى زياد	۵۲	۴۸
« « « « »	۵۳	۴۹
« زياد إلى معاوية »	۵۴	۵۰
« السيدة عائشة إلى معاوية »	۵۵	۵۰
« عبد الله بن الزبير إلى معاوية »	۵۶	۵۰
رد معاوية على ابن الزبير	۵۷	۵۱
رد ابن الزبير على معاوية	۵۸	۵۱
كتاب سعيد بن العاص إلى معاوية	۵۹	۵۲
« معاوية إلى مروان بن الحكم »	۶۰	۵۳
« سعيد بن العاص إلى معاوية »	۶۱	۵۳
رد معاوية على سعيد	۶۲	۵۴
كتاب معاوية إلى ابن عباس	۶۳	۵۵
« « « « عبد الله بن جعفر »	۶۴	۵۵
« « « « الحسين »	۶۵	۵۶
« « « « ابن الزبير »	۶۶	۵۶

الرسالة	رقم الرسالة	رقم الصفحة
رد ابن عباس على معاوية	۶۷	۵۷
رد عبد الله بن جعفر على معاوية	۶۸	۵۷
رد عبد الله بن الزبير على معاوية	۶۹	۵۸
رد الحسين على معاوية	۷۰	۵۸
بين معاوية وسعيد بن العاص	۷۱	۶۴
كتاب معاوية إلى ابنه يزيد	۷۲	۶۶
خلافة يزيد بن معاوية		
كتاب يزيد إلى الوليد بن عتبة	۷۳	۶۹
صورة أخرى		۷۰
كتاب أهل الكوفة إلى الحسين بن علي	۷۴	۷۱
» ثان	۷۵	۷۲
» ثالث	۷۶	۷۳
رد الحسين على أهل الكوفة	۷۷	۷۳
كتاب مسلم بن عقيل إلى الحسين	۷۸	۷۴
رد الحسين على مسلم	۷۹	۷۴
كتاب عبد الله بن مسلم الحضرمي إلى يزيد	۸۰	۷۴
» يزيد إلى عبيد الله بن زياد	۸۱	۷۵
» الحسين إلى أهل البصرة	۸۲	۷۵
» مسلم بن عقيل إلى الحسين	۸۳	۷۶
» عبيد الله بن زياد إلى يزيد	۸۴	۷۷
رد يزيد على ابن زياد	۸۵	۷۸
كتاب عبد الله بن جعفر إلى الحسين	۸۶	۷۸
» من عمرو بن سعيد بن العاص إلى الحسين	۸۷	۷۹
رد الحسين على عمرو بن سعيد	۸۸	۸۰
كتاب الحسين إلى أهل الكوفة	۸۹	۸۰
كتاب ابن زياد إلى الحر بن يزيد	۹۰	۸۱
» عمر بن سعد إلى ابن زياد	۹۱	۸۱

الرسالة	رقم الصفحة	رقم الرسالة
رد ابن زياد على عمر بن سعد	۸۲	۹۲
كتاب آخر من ابن زياد إلى عمر بن سعد	۸۲	۹۳
عمر بن سعد إلى ابن زياد	۸۳	۹۴
ابن زياد إلى عمر بن سعد	۸۳	۹۵
عبد الله بن عمر إلى يزيد	۸۴	۹۶
يزيد إلى ابن زياد	۸۵	۹۷
عبد الله بن الزبير إلى يزيد	۸۵	۹۸
يزيد إلى أهل المدينة	۸۶	۹۹
بنو أمية بالمدينة إلى يزيد	۸۷	۱۰۰
مسلم بن عقبة إلى يزيد	۸۷	۱۰۱

بعد موت يزيد

الخوارج وابن الزبير

كتاب نجدة بن عامر إلى نافع بن الأزرق	۹۰	۱۰۲
رد نافع على نجدة	۹۳	۱۰۳
كتاب ابن عباس إلى نجدة بن عامر	۹۴	۱۰۴
نافع إلى خوارج البصرة	۹۵	۱۰۵
عبد الله بن الزبير	۹۶	۱۰۶
من عبد الله بن الزبير إلى المهلب بن أبي صفرة	۹۷	۱۰۷
المهلب إلى الحارث بن عبد الله	۹۸	۱۰۸
رد الحارث بن عبد الله عليه	۹۹	۱۰۹
كتاب المهلب إلى الحارث بن عبد الله	۹۹	۱۱۰
رد الحارث بن عبد الله عليه	۱۰۰	۱۱۱
كتاب مصعب بن الزبير إلى المغيرة بن المهلب	۱۰۲	۱۱۲
عمر بن حبيد الله إلى مصعب بن الزبير	۱۰۲	۱۱۳

الرسالة	رقم الرسالة	رقم الصفحة
طلب التوايين بدم الحسين رضى الله عنه		
كتاب سليمان بن صرد إلى سعد بن حذيفة بن اليمان	۱۱۴	۱۰۳
رد سعد بن حذيفة على ابن صرد	۱۱۵	۱۰۵
كتاب المنى بن مخربة إلى ابن صرد	۱۱۶	۱۰۶
عبد الله بن يزيد إلى ابن صرد	۱۱۷	۱۰۷
رد ابن صرد عليه	۱۱۸	۱۰۸
طلب المختار بن أبي عبيد الثقفي بدم الحسين رضى الله عنه		
كتاب المختار إلى عبد الله بن عمر	۱۱۹	۱۱۰
ابن عمر إلى عبد الله بن يزيد وإبراهيم بن طلحة	۱۲۰	۱۱۱
المختار إلى أصحاب ابن صرد	۱۲۱	۱۱۲
إلى إبراهيم بن مالك الأشتر ، افتعله المختار على محمد بن الحنفية	۱۲۲	۱۱۲
عبد الرحمن بن سعيد بن قيس إلى المختار	۱۲۳	۱۱۴
رد المختار على عبد الرحمن بن سعيد	۱۲۴	۱۱۵
كتاب المختار إلى عبد الرحمن بن سعيد	۱۲۵	۱۱۵
« « « « بالأمان لعمر بن سعد بن أبي وقاص	۱۲۶	۱۱۶
« « « « إلى محمد بن الحنفية	۱۲۷	۱۱۷
« « « « مالك بن مسمع وزباد بن عمرو	۱۲۸	۱۱۷
« « « « الأحنف بن قيس	۱۲۹	۱۱۸
« « « « ابن الزبير	۱۳۰	۱۲۰
« « « « « « « «	۱۳۱	۱۲۱
« « « « « « « «	۱۳۲	۱۲۲
رد ابن الزبير على المختار	۱۳۳	۱۲۲
كتاب المختار إلى ابن الحنفية	۱۳۴	۱۲۴
رد ابن الحنفية على المختار	۱۳۵	۱۲۴
كتاب ابن الحنفية إلى الشيعة بالكوفة	۱۳۶	۱۲۵

الرسالة	رقم الرسالة	رقم الصفحة
كتاب عبد الله بن الزبير إلى عبد الله بن عبد الله بن عباس	١٣٧	١٢٦
رد ابن عباس عليه	١٣٨	١٢٧
خلافة عبد الملك بن مروان		
كتاب عبد الملك إلى عمرو بن سعيد بن العاص	١٣٩	١٢٨
رد عمرو بن سعيد على عبد الملك	١٤٠	١٢٩
حروب الخوارج الأزارقة		
كتاب خالد بن عبد الله بن أسيد إلى عبد الملك بن مروان	١٤١	١٣٠
رد عبد الملك عليه	١٤٢	١٣١
كتاب عبد الملك بن مروان إلى أخيه بشر	١٤٣	١٣٢
» خالد بن عبد الله بن أسيد إلى عبد الملك	١٤٤	١٣٢
» عبد الملك إلى أخيه بشر	١٤٥	١٣٣
» » » » »	١٤٦	١٣٤
» » » » »	١٤٧	١٣٥
» خالد بن عبد الله بن أسيد إلى المرفضين من الجند	١٤٨	١٣٦
» المرفضين إلى عمرو بن حريث	١٤٩	١٣٧
رد عمرو بن حريث عليهم	١٥٠	١٣٧
كتاب عبد الملك بن مروان إلى أخيه عبد العزيز	١٥١	١٣٨
» عبد الله بن عمر إلى عبد الملك بن مروان	١٥٢	١٣٨
» محمد بن الحنفية إلى عبد الملك بن مروان	١٥٣	١٣٩
رد عبد الملك على ابن الحنفية	١٥٤	١٣٩
كتاب عبد الملك إلى الحجاج	١٥٥	١٤٠
» الحجاج إلى عبد الملك	١٥٦	١٤٠
» خالد بن أبان إلى موسى بن نصير	١٥٧	١٤٠
» الحجاج إلى عبد الملك	١٥٨	١٤٠
» موسى بن نصير إلى عبد العزيز بن مروان	١٥٩	١٤١
رد عبد العزيز على موسى	١٦٠	١٤٢

الرسالة	رقم الرسالة	رقم الصفحة
رد موسى على عبد العزيز	۱۶۱	۱۴۳
كتاب عبد الملك إلى عبد العزيز	۱۶۲	۱۴۳
رد عبد العزيز على عبد الملك	۱۶۳	۱۴۳
كتاب عبد العزيز إلى عبد الملك	۱۶۴	۱۴۴
رد عبد الملك على عبد العزيز	۱۶۵	۱۴۴
كتاب الحجاج إلى المهلب	۱۶۶	۱۴۵
» » » »	۱۶۷	۱۴۵
رد المهلب على الحجاج	۱۶۸	۱۴۵
كتاب الحجاج إلى المهلب	۱۶۹	۱۴۶
رد المهلب على الحجاج	۱۷۰	۱۴۶
كتاب الحجاج إلى المهلب	۱۷۱	۱۴۸
رد المهلب على الحجاج	۱۷۲	۱۴۸
كتاب الحجاج إلى المهلب	۱۷۳	۱۵۰
رد المهلب على الحجاج	۱۷۴	۱۵۰
كتاب الحجاج إلى عتاب بن ورقاء	۱۷۵	۱۵۱
» المهلب إلى الحجاج	۱۷۶	۱۵۱
» عبد الملك إلى الحجاج	۱۷۷	۱۵۲
» عبد الملك إلى الحجاج	۱۷۸	۱۵۲
» الحجاج إلى المهلب	۱۷۹	۱۵۳
» أبي خالد القناني إلى قطري بن الفجاءة	۱۸۰	۱۵۳
» قطري إلى سيرة بن الجعد	۱۸۱	۱۵۴
» سيرة بن الجعد إلى الحجاج	۱۸۲	۱۵۵
» الحجاج إلى قطري بن الفجاءة	۱۸۳	۱۵۶
رد قطري بن الفجاءة على الحجاج	۱۸۴	۱۵۷
كتاب عبد الملك إلى الحجاج	۱۸۵	۱۵۹
» المهلب إلى الحجاج	۱۸۶	۱۶۰
رد الحجاج على المهلب	۱۸۷	۱۶۰

الرسالة	رقم الرسالة	رقم الصفحة
رد المهلب على الحجاج	۱۸۸	۱۶۱
كتاب الحجاج إلى المهلب	۱۸۹	۱۶۳
رد المهلب على الحجاج	۱۹۰	۱۶۴
كتاب المهلب إلى الحجاج	۱۹۱	۱۶۴
رد الحجاج على المهلب	۱۹۲	۱۶۵
حروب الخوارج الشيبية		
كتاب شيب بن يزيد إلى صالح بن مسرح	۱۹۳	۱۶۷
رد صالح بن مسرح على شيب	۱۹۴	۱۶۸
كتاب الحجاج إلى سفیان بن أبي العالية	۱۹۵	۱۶۸
سفیان بن أبي العالية إلى الحجاج	۱۹۶	۱۶۹
رد الحجاج على ابن أبي العالية	۱۹۷	۱۷۰
كتاب الحجاج إلى سورة بن أبجر	۱۹۸	۱۷۰
الحجاج إلى الجزل بن سعيد	۱۹۹	۱۷۰
الجزل بن سعيد إلى الحجاج	۲۰۰	۱۷۱
رد الحجاج على الجزل بن سعيد	۲۰۱	۱۷۲
كتاب ماذرواسب إلى عروة بن المغيرة بن شعبة	۲۰۲	۱۷۳
عروة بن المغيرة بن شعبة إلى الحجاج	۲۰۳	۱۷۳
الحجاج إلى جند عبد الرحمن بن الأشعث	۲۰۴	۱۷۴
ابن الأشعث	۲۰۵	۱۷۵
عثمان بن قطن إلى الحجاج	۲۰۶	۱۷۵
رد الحجاج على ابن قطن	۲۰۷	۱۷۵
كتاب مطرف بن المغيرة بن شعبة إلى الحجاج	۲۰۸	۱۷۶
ماذرواسب إلى الحجاج	۲۰۹	۱۷۶
الحجاج إلى عبد الملك بن مروان	۲۱۰	۱۷۷
جند الشام	۲۱۱	۱۷۷
الحكم بن أيوب	۲۱۲	۱۷۸

الرسالة	رقم الرسالة	رقم الصفحة
كتاب عمران بن حطان إلى الحجاج	۲۱۳	۱۷۹
فتنة مطرف بن المغيرة بن شعبة		
كتاب مطرف إلى أخيه حمزة	۲۱۴	۱۸۰
« « « سويد بن سرحان الثقفي وبكير بن هارون البجلي	۲۱۵	۱۸۰
« « « البراء بن قبيصة إلى الحجاج	۲۱۶	۱۸۱
رد الحجاج على البراء	۲۱۷	۱۸۱
كتاب الحجاج إلى قيس بن سعد العجلي	۲۱۸	۱۸۲
« « « قيس بن سعد إلى الحجاج	۲۱۹	۱۸۲
« « « الحجاج إلى عدى بن وثاد	۲۲۰	۱۸۲
« « « « « « «	۲۲۱	۱۸۳
« « « إلى خالد بن عتاب	۲۲۲	۱۸۳
رد خالد على الحجاج	۲۲۳	۱۸۳
فتنة ابن الأشعث		
كتاب الحجاج إلى هبید الله بن أبي بكرة	۲۲۴	۱۸۵
« « « هبید الملك	۲۲۵	۱۸۵
رد هبید الملك على الحجاج	۲۲۶	۱۸۶
كتاب الحجاج إلى ابن الأشعث	۲۲۷	۱۸۸
« « « آخر من الحجاج إلى ابن الأشعث	۲۲۸	۱۸۸
« « « ثالث من الحجاج إليه	۲۲۹	۱۸۸
كتب بين ابن الأشعث والحجاج وصاحب اليمن وعبد الملك	۲۳۰	۱۸۹
كتاب من ابن الأشعث إلى الحجاج - كتبه ابن القرية	۲۳۱	۱۹۱
رد الحجاج على ابن الأشعث	۲۳۲	۱۹۳
كتاب المهلب إلى ابن الأشعث	۲۳۳	۱۹۴
« « « الحجاج	۲۳۴	۱۹۴
« « « الحجاج إلى عبد الملك	۲۳۵	۱۹۵

الرسالة	رقم الرسالة	رقم الصفحة
كتاب الحجاج إلى قتيبة بن مسلم	۲۳۶	۱۹۷
« عبد الملك إلى الحجاج	۲۳۷	۱۹۷
« « « « « «	۲۳۸	۱۹۸
رد الحجاج على عبد الملك	۲۳۹	۱۹۹
كتب الحجاج إلى رتبيل	۲۴۰	۲۰۰
كتاب عبد الملك إلى الحجاج	۲۴۱	۲۰۱
« الحجاج إلى قتيبة بن مسلم	۲۴۲	۲۰۱
رد قتيبة على الحجاج	۲۴۳	۲۰۱
كتاب الحجاج إلى المهلب	۲۴۴	۲۰۲
« المهلب إلى حريث بن قطبة	۲۴۵	۲۰۳
« يزيد بن المهلب إلى الحجاج	۲۴۶	۲۰۳
كتب بين الحجاج وعبد الملك ويزيد والمفضل ابني المهلب	۲۴۷	۲۰۴
كتاب الحجاج إلى أعراب قطعوا الطريق	۲۴۸	۲۰۷
« « « « « عبد الملك	۲۴۹	۲۰۸
« « « « « «	۲۵۰	۲۰۸
« « « « « «	۲۵۱	۲۰۹
« عمر بن عبد العزيز إلى عبد الملك	۲۵۲	۲۱۰
« عبد الملك إلى ابنه مسلمة	۲۵۳	۲۱۰
رد مسلمة عليه	۲۵۴	۲۱۰
كتاب عبد الملك إلى بعض واده	۲۵۵	۲۱۱
« الحجاج إلى عبد الملك	۲۵۶	۲۱۱
رد عبد الملك على الحجاج	۲۵۷	۲۱۲
كتاب عبد الملك إلى الحجاج	۲۵۸	۲۱۳
رد الحجاج على عبد الملك	۲۵۹	۲۱۶
رواية أخرى لكتاب عبد الملك		۲۱۸
كتاب عبد الملك إلى الحجاج	۲۶۰	۲۱۹
رد الحجاج على عبد الملك	۲۶۱	۲۲۵

الرسالة	رقم الرسالة	رقم الصفحة
كتاب الشعبي إلى الحجاج	۲۶۲	۲۳۰
امرأة إلى زوجها وكان مع الحجاج	۲۶۳	۲۳۰
البخاري بن أبي صفرة إلى أخيه المهلب	۲۶۴	۲۳۱
رسالة الحسن البصري إلى الحجاج	۲۶۵	۲۳۳
كتاب بشر بن مروان إلى أخيه عبد العزيز	۲۶۶	۲۳۴
كتب بين عبد الملك وأخيه عبد العزيز	۲۶۷	۲۳۴
بين عبد الملك وهشام بن إسماعيل	۲۶۸	۲۳۶
خلافة الوليد بن عبد الملك		
كتاب الحجاج إلى الوليد	۲۶۹	۲۳۷
» » » »	۲۷۰	۲۳۷
شريح إلى صديق له	۲۷۱	۲۳۸
الحجاج إلى قتيبة بن مسلم	۲۷۲	۲۳۸
بين الحجاج وقتيبة	۲۷۳	۲۳۸
الوليد وعمر بن عبد العزيز	۲۷۴	۲۴۰
كتب بين الحجاج والوليد وسليمان بن عبد الملك	۲۷۵	۲۴۰
كتاب الحجاج إلى قتيبة	۲۷۶	۲۴۴
» » » »	۲۷۷	۲۴۴
رد قتيبة على الحجاج	۲۷۸	۲۴۵
كتاب الحجاج إلى قتيبة	۲۷۹	۲۴۵
» » » »	۲۸۰	۲۴۵
قتيبة إلى الحجاج ورده عليه	۲۸۱	۲۴۶
الحجاج إلى الوليد	۲۸۲	۲۴۶
» » » »	۲۸۳	۲۴۶
رد الوليد على الحجاج	۲۸۴	۲۴۷
كتاب مسلمة بن عبد الملك إلى الوليد	۲۸۵	۲۴۷
سليمان بن عبد الملك إلى الحجاج	۲۸۶	۲۴۷

الرسالة	رقم الرسالة	رقم الصفحة
رد الحجاج على سليمان	٢٨٧	٢٤٩
كتاب الحجاج إلى سليمان	٢٨٨	٢٥٠
بين عمر بن عبد العزيز والوليد والحجاج	٢٨٩	٢٥١
كتاب الحجاج إلى الوليد	٢٩٠	٢٥٢
الوليد إلى قتيبة بن مسلم	٢٩١	٢٥٣
عروة بن الزبير إلى الوليد	٢٩٢	٢٥٣
رد الوليد على عروة	٢٩٣	٢٥٤
كتاب ملك الروم إلى الوليد ورد الفرزدق عليه	٢٩٤	٢٥٤
الوليد إلى أخيه سليمان	٢٩٥	٢٥٥
رد سليمان على الوليد	٢٩٦	٢٥٥
رد الوليد على سليمان	٢٩٧	٢٥٦

خلافة سليمان بن عبد الملك

كتاب سليمان بن عبد الملك إلى عامله بالأردن	٢٩٨	٢٥٧
كتب من قتيبة بن مسلم إلى سليمان بن عبد الملك	٢٩٩	٢٥٨
رواية أخرى	٢٩٩	٢٥٩
كتاب يزيد بن المهلب إلى سليمان بن عبد الملك	٣٠٠	٢٦٠
ماقاضي عليه سليمان بن عبد الملك موسى بن نصير	٣٠١	٢٦١
كتاب سليمان بن عبد الملك إلى نفر بإفريقية	٣٠٢	٢٦٣
سليمان إلى عهد الله بن موسى بن نصير	٣٠٣	٢٦٣
إلى عبد العزيز بن موسى بن نصير	٣٠٤	٢٦٤
عمر بن عبد العزيز للوراق إلى أبي بكر بن حزم	٣٠٥	٢٦٤
عهد سليمان بن عبد الملك لعمر بن عبد العزيز بالخلافة	٣٠٦	٢٦٥
صورة أخرى		٢٦٥

الرسالة	رقم الصفحة	رقم الرسالة
خلافة عمر بن عبد العزيز		
كتاب عدی بن أرطاة والی البصرة إلى عمر بن عبد العزيز	۳۰۷	۲۶۸
رد عمر علی كتابه	۳۰۸	۲۶۸
كتاب عدی بن أرطاة إليه	۳۰۹	۲۶۹
رد عمر علی كتابه	۳۱۰	۲۶۹
كتاب عدی بن أرطاة إليه	۳۱۱	۲۷۰
رد عمر علی كتابه	۳۱۲	۲۷۰
كتابہ إلى عدی بن أرطاة	۳۱۳	۲۷۰
» » » » »	۳۱۴	۲۷۱
» » » » »	۳۱۵	۲۷۱
» » » » »	۳۱۶	۲۷۲
» » » » »	۳۱۷	۲۷۲
» » » » »	۳۱۸	۲۷۲
» » » » »	۳۱۹	۲۷۳
» » » » »	۳۲۰	۲۷۳
» » » » »	۳۲۱	۲۷۳
» » » » »	۳۲۲	۲۷۴
» » » » »	۳۲۳	۲۷۴
» » » » »	۳۲۴	۲۷۵
كتابہ إلى عبد الحمید بن عبد الرحمن والی الكوفة	۳۲۵	۲۷۵
» » » » »	۳۲۶	۲۷۶
» » » » »	۳۲۷	۲۷۶
كتاب عبد الحمید بن عبد الرحمن إليه	۳۲۸	۲۷۸
رد عمر علیه	۳۲۹	۲۷۸
كتابہ إلى عبد الحمید بن عبد الرحمن	۳۳۰	۲۷۸
» » » » »	۳۳۱	۲۷۸

رقم الصفحة	رقم الرسالة	الرسالة
۲۷۹	۳۳۲	كتابه إلى بن أبي الفرات
۲۷۹	۳۳۳	» » ميمون بن مهران عامله بالجزيرة
۲۸۰	۳۳۴	» » أمير الجزيرة
۲۸۰	۳۳۵	» » » »
۲۸۰	۳۳۶	» » يحيى بن يحيى عامله بالموصل
۲۸۱	۳۳۷	» » جماعة من الحرورية
۲۸۲	۳۳۸	» » يحيى بن يحيى
۲۸۳	۳۳۹	» » أبي بكر بن حزم عامله بالمدينة
۲۸۳	۳۴۰	كتاب ابن حزم إليه
۲۸۴	۳۴۱	» » » »
۲۸۴	۳۴۲	» » » »
۲۸۴	۳۴۳	رد عمر على كتب ابن حزم
۲۸۵	۳۴۴	كتابه إلى ابن حزم
۲۸۶	۳۴۵	» إلى أمير مكة
۲۸۶	۳۴۶	» إلى عروة بن محمد عامله باليمن
۲۸۷	۳۴۷	» إلى عامله باليمن
۲۸۷	۳۴۸	كتاب وهب بن منبه إلى عمر
۲۸۷	۳۴۹	رد عمر على كتابه
۲۸۸	۳۵۰	كتابه إلى والي حصص
۲۸۸	۳۵۱	» إلى عامله بإفريقية
۲۸۸	۳۵۲	» إلى يزيد بن المهلب عامل خراسان
۲۸۹	۳۵۳	كتاب الجراح بن عبد الله عامل خراسان إلى عمرو بن عبد العزيز
۲۸۹	۳۵۴	رد عمر عليه
۲۹۰	۳۵۵	كتاب عمر إلى الجراح بن عبد الله
۲۹۰	۳۵۶	كتابه إلى الجراح
۲۹۰	۳۵۷	رد الجراح على كتابه
۲۹۱	۳۵۸	كتابه إلى الجراح

الرسالة	رقم الرسالة	رقم الصفحة
رد الجراح على كتابه	۳۵۹	۲۹۱
كتابه إلى الجراح	۳۶۰	۲۹۱
» » »	۳۶۱	۲۹۲
» » أهل خراسان	۳۶۲	۲۹۲
» » عبد الرحمن بن نعيم عامله بخراسان	۳۶۳	۲۹۲
» » » » »	۳۶۴	۲۹۳
» » » » »	۳۶۵	۲۹۳
» » » » »	۳۶۶	۲۹۳
كتابه إلى عقبه بن زرعة	۳۶۷	۲۹۳
» » صامان بن أبي السرى والى سمرقند	۳۶۸	۲۹۴
» » » » » » »	۳۶۹	۲۹۴
» » حيان بن شريح	۳۷۰	۲۹۵
كتاب حيان بن شريح إليه	۳۷۱	۲۹۴
رده على حيان بن شريح	۳۷۲	۲۹۵
كتابه إلى عماله	۳۷۳	۲۹۶
ردهم عليه	۳۷۴	۲۹۶
رده عليهم	۳۷۵	۲۹۶
كتابه إلى بعض عماله	۳۷۶	۲۹۶
» » » » »	۳۷۷	۲۹۷
كتاب إلى أحد عماله	۳۷۸	۲۹۷
» » عماله	۳۷۹	۲۹۷
» » بعض عماله	۳۸۰	۲۹۷
» » عماله	۳۸۱	۲۹۸
» » زويق بن حيان	۳۸۲	۲۹۸
» » جعفر بن برقان	۳۸۳	۲۹۸
» » ثابت بن ثوبان	۳۸۴	۲۹۹
» » بعض عماله	۳۸۵	۲۹۹

الرسالة	رقم الرسالة	رقم الصفحة
كتاب إلى بعض عماله	٣٨٦	٣٠٠
» » » »	٣٨٧	٣٠٠
» » » »	٣٨٨	٣٠١
» بعض عماله إليه	٣٨٩	٣٠١
رد عمر على كتابه	٣٩٠	٣٠١
كتاب بعض ولاته إليه	٣٩١	٣٠١
رد عمر على كتابه	٣٩٢	٣٠٢
كتاب به إلى بعض عماله	٣٩٣	٣٠٢
» » عماله	٣٩٤	٣٠٢
» » » »	٣٩٥	٣٠٢
كتاب أحد عماله إليه	٣٩٦	٣٠٣
رد عمر عليه	٣٩٧	٣٠٣
كتاب به إلى بعض عماله	٣٩٨	٣٠٣
» إلى عماله	٣٩٩	٣٠٤
كتاب لعمر	٤٠٠	٣٠٤
كتاب به إلى أخ له	٤٠١	٣٠٥
» » بعض أهل بيته	٤٠٢	٣٠٥
» » عمر بن عبد الله بن عتبة يعزیه	٤٠٣	٣٠٥
» رجاء بن حيوة	٤٠٤	٣٠٦
» لأهل العلم	٤٠٥	٣٠٦
» إلى جنده	٤٠٦	٣٠٦
» بعض الأجناد	٤٠٧	٣٠٧
» نفر كذبوا بالقدر	٤٠٨	٣٠٩
» أهل الموسم	٤٠٩	٣١٠
» بشأن كسوة البيت الحرام	٤١٠	٣١١
» إلى الأسارى بقسطنطينية	٤١١	٣١١
رسالته إلى أهل الأمصار في الأنبذة	٤١٢	٣١١

الرسالة	رقم الرسالة	رقم الصفحة
كتاب طاوس بن كيسان إلى عمر بن عبد العزيز	۴۳۹	۳۳۵
» غيلان إلى عمر بن عبد العزيز	۴۴۰	۳۳۵
خلافة يزيد بن عبد الملك		
كتابه إلى العمال	۴۴۱	۳۳۷
» » أخيه هشام	۴۴۲	۳۳۷
رد هشام عليه	۴۴۳	۳۳۸
رد يزيد على هشام	۴۴۴	۳۳۸
رواية أخرى		۳۳۹
خلافة هشام بن عبد الملك		
كتاب هشام إلى يوسف بن عمر	۴۴۵	۳۴۱
» حماد الراوية إلى بعض الرؤساء	۴۴۶	۳۴۳
رد كتاب حماد	۴۴۷	۳۴۳
رد حماد	۴۴۸	۳۴۳
كتاب حماد إلى صديق له	۴۴۹	۳۴۴
» أشروس بن عبد الله إلى ابن أبي العمرطة	۴۵۰	۳۴۴
» عاصم بن عبد الله إلى هشام	۴۵۱	۳۴۴
رسالة هشام إلى خالد بن عبد الله القسري	۴۵۲	۳۴۵
كتاب هشام إلى خالد القسري	۴۵۳	۳۵۱
» » » ابن عمرو	۴۵۴	۳۵۳
» » » خالد	۴۵۵	۳۵۵
» » » »	۴۵۶	۳۵۵
» » » »	۴۵۷	۳۵۶
رد خالد عليه	۴۵۸	۳۵۶
كتاب عقاب بن شبة إلى خالد	۴۵۹	۳۵۷
» هشام إلى يوسف بن عمر الثقفى	۴۶۰	۳۵۷
بين يوسف بن عمرو وهشام	۴۶۱	۳۵۸

الرسالة	رقم الرسالة	رقم الصفحة
بين يوسف بن عمر وهشام	٤٦٢	٣٥٩
كتاب هشام إلى يوسف بن عمر	٤٦٣	٣٦٠
» عبد الله بن الحسن إلى زيد بن علي	٤٦٤	٣٦١
» هشام إلى يوسف بن عمر	٤٦٥	٣٦٢
» سالم بن هشام إلى يوسف بن عمر	٤٦٦	٣٦٤
» يوسف بن عمر إلى هشام	٤٦٧	٣٦٥
» » » » » »	٤٦٨	٣٦٦
رد هشام على يوسف	٤٦٩	٣٦٦
كتاب أحد عمال يوسف بن عمر إليه	٤٧٠	٣٦٧
» رجل من حمص إلى هشام	٤٧١	٣٦٧
» سليمان بن هشام إلى أبيه	٤٧٢	٣٦٨
رد هشام عليه	٤٧٣	٣٦٨
كتاب بعض عمال هشام إليه	٤٧٤	٣٦٨
رد هشام عليه	٤٧٥	٣٦٩
كتابه إلى بعض عماله	٤٧٦	٣٦٩
كتاب سالم إلى بعض إخوانه	٤٧٧	٣٦٩
كتابه في الاعتذار	٤٧٨	٣٧٠
كتاب عبد الحميد بن يحيى عن هشام إلى يوسف بن عمر	٤٧٩	٣٧٠
» » » » » » مروان إلى هشام	٤٨٠	٣٧١
كتابه عن مروان إلى هشام	٤٨١	٣٧١
رسالة عبد الحميد في وصف الإخاء	٤٨٢	٣٧٤
كتاب الوليد بن يزيد بن عبد الملك إلى هشام	٤٨٣	٣٧٥
» أبي شاعر مسلمة بن هشام إلى خالد القسري	٤٨٤	٣٧٦
» هشام إلى الوليد	٤٨٥	٣٧٧
» الوليد إلى هشام	٤٨٦	٣٧٨
رد هشام على الوليد	٤٨٧	٣٧٩
رد للوليد على هشام	٤٨٨	٣٨١

الرسالة	رقم الرسالة	رقم الصفحة
خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك		
كتاب مروان بن محمد إلى الوليد	٤٨٩	٣٨٢
الوليد إلى الأمصار بالبيعة لابنيه	٤٩٠	٣٨٤
يوسف بن عمر إلى نصر بن سيار	٤٩١	٣٩٠
الوليد إلى يوسف بن عمر	٤٩٢	٣٩١
» » » » » »	٤٩٣	٣٩٢
» » » » » »	٤٩٤	٣٩٣
كتاب نصر بن سيار إلى الوليد	٤٩٥	٣٩٣
رد للوليد على نصر	٤٩٦	٣٩٤
كتاب مروان بن محمد إلى سعيد بن عبد الملك إلى مروان	٤٩٧	٣٩٤
خلافة يزيد بن الوليد بن عبد الملك		
كتابه إلى مروان بن محمد	٤٩٨	٣٩٧
كتاب منصور بن جمهور إلى سليمان بن سليم	٤٩٩	٣٩٧
يزيد إلى أهل العراق	٥٠٠	٣٩٨
مروان بن محمد إلى الغمر بن يزيد	٥٠١	٤٠٠
يزيد بالأمان للحارث بن سريج	٥٠٢	٤٠٢
منصور بن عمر إلى نصر بن سيار	٥٠٣	٤٠٣
خلافة مروان بن محمد		
كتابه إلى بعض الخوارج	٥٠٤	٤٠٤
رسالة عبد الحميد بن يحيى عن مروان إلى ابنه عبد الله بن مروان	٥٠٥	٤٠٦
» » » إلى الكتاب	٥٠٦	٤٥٥
» » » في الشطرنج	٥٠٧	٤٦٠
» » » في وصف الصيد	٥٠٨	٤٦٤
كتابه إلى أخيه	٥٠٩	٤٦٨
تحميد لعبد الحميد	٥١٠	٤٦٩

رقم الصفحة	رقم الرسالة	الرسالة
۴۷۰	۵۱۱	تحميد له في فتح
	۵۱۲	وله في فتح
۴۷۰	۵۱۳	محميد له
۴۷۲	۵۱۴	كتابه إلى مروان في حاجة
۴۷۲	۵۱۵	في الوصاة بشخص
۴۷۳	۵۱۶	في فتنة بعض العمال
۴۷۳	۵۱۷	عن مروان إلى بعض عماله
الدعوة العباسية		
۴۷۵	۵۱۸	بين محمد بن علي بن عبد الله بن عباس وبين من استجاب لدعوته من أهل خراسان
۴۷۶	۵۱۹	كتاب إبراهيم بن محمد بن شيعة بن خراسان
۴۷۷	۵۲۰	إبراهيم بن محمد إلى أبي مسلم الخراساني وكتابه إلى سليمان بن كثير
۴۷۸	۵۲۱	كتاب أبي مسلم إلى نصر بن سيار
۴۷۹	۵۲۲	نصر بن سيار إلى مروان بن محمد
۴۷۹	۵۲۳	» » » » » » » »
۴۸۰	۵۲۴	رد مروان عليه
۴۸۱	۵۲۵	كتاب نصر إلى يزيد بن عمر بن هبيرة
۴۸۱	۵۲۶	كتب من أبي مسلم إلى قحطبة بن شبيب ، وكتب بين نصر بن سيار ، ومروان بن محمد وابن هبيرة
۴۸۳	۵۲۷	كتاب نصر إلى مروان
۴۸۵	۵۲۸	عبد الحميد عن مروان إلى أبي مسلم الخراساني
۴۸۵	۵۲۹	رد أبي مسلم عليه
۴۸۶	۵۳۰	من رسالة لعبد الحميد عن مروان
۴۸۶	۵۳۱	كتاب عبد الحميد إلى أهله
۴۸۷	۵۳۲	عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر إلى بعض إخوانه
۴۸۸	۵۳۳	كتابه إلى أبي مسلم الخراساني

الرسالة	رقم الرسالة	رقم المفحة
---------	----------------	---------------

التوقيعات

توقيعات معاوية		٤٩١
» يزيد بن معاوية		٤٩٢
» عبد الملك بن مروان		٤٩٣
» الوليد بن عبد الملك		٤٩٤
» ساجان بن عبد الملك		٤٩٤
» عمر بن عبد العزيز		٤٩٥
» يزيد بن هبذ الملك		٤٩٧
» هشام بن عبد الملك		٤٩٧
» يزيد بن الوليد بن عبد الملك		٤٩٨
» مروان بن محمد		٤٩٨
» عبد الله بن علي		٥٠٠
» زياد		٥٠٠
» الحجاج بن يوسف		٥٠٢
» أبي مسلم الخراساني		٥٠٤

فهرس أعلام الكتاب

مرتب بترتيب الحروف الهجائية

مع إتباع اسم كل كاتب بأرقام الصفحات التي وردت فيها رسائله

الحجاج بن يوسف الثقفي ١٤٠ ، ١٤١

١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥١

١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧

١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٣

١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٠

١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٥

١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨١

١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٨٨

١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩١ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٥

١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٠

٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٧

٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٣

٢١٣ ، ٢١٦ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٥ ، ٢٣٠

الحسن البصري ٢٣٣ ، ٣٣٤ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧

٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٤٢

٣٣٤

الحسن بن علي رضي الله عنه ١٠ ، ١٢ ، ١٨

١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢٧ ، ٣٧

الحسين بن علي رضي الله عنه ٢٢ ، ٢٤ ، ٢٥

٢٥ ، ٧١ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٨٠ ، ٨٠

الحكم بن عمرو ٤٠

ا

ابراهيم الإمام ٤٧٦ ، ٤٧٧

أبو بكر بن حزم ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥

أبو خالد القناني ١٥٣ ، ١٥٤

أبو مسلم الخراساني ٤٧٨ ، ٤٨١ ، ٤٨٥

أشرس بن عبد الله ٣٤٤

أيوب بن القرية ١٩١

ب

البخترى بن أبي صفرة ٢٣١

البراه بن قبيصة ١٨١

بسر بن أبي أرطاة ٢٩

بشر بن مروان ٢٣٤

ج

الجراح بن عبد الله ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٢

٢٩٢

الجزل بن سعيد ١٧١

ح

الحارث بن عهد الله ٩٩ ، ١٠٠

حبيب بن مسلمة ٤٤

شريع بن هاني ٤٧٠
الشعبي ٢٣٠

ص

صالح بن مسرح ١٦٨

ط

طاوس بن كيسان ٣٣٥

ع

السيدة عائشة ٥٥

هاشم بن عبد الله ٣٤٤

عبد الحميد بن عبد الرحمن ٢٧٨

عبد الحميد بن يحيى ٣٧٠ ، ٣٧١ ، ٣٧٢ ،

٤٠٦ ، ٤٥٥ ، ٤٦٠ ، ٤٦٤ ، ٤٦٨ ،

٤٦٩ ، ٤٧٠ ، ٤٧٠ ، ٤٧١ ، ٤٧٢ ،

٤٧٣ ، ٤٧٣ ، ٤٨٥ ، ٤٨٥ ، ٤٨٦ ،

عبد الرحمن بن الأشعث ١٨٩ ، ١٩١

عبد الرحمن بن سعيد بن قيس ١١٤

عبد العزيز بن مروان ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٥

٢٣٤

عبد الله بن جعفر ٥٧ ، ٧٨

» » » الحسن ٣٦١

» » » الزبير ٥٠ ، ٥٧ ، ٨٥ ، ٩٧ ،

١٢٢ ، ١٢٦

عبد الله بن عباس ٨ ، ١١ ، ٢١ ، ٢٨ ،

٥٧ ، ٩٤ ، ١٢٧

عبد الله بن علي ٥٠٠

» » » عمر ٨٤ ، ١١١ ، ١٣٨

» » » معاوية بن عبد الله بن جعفر

٤٨٧ ، ٤٨٨

(٣٤ - جبهة وسائل العرب - ثان)

حماد الراوية ٣٤٣ ، ٣٤٤
حيان بن شريح ٢٩٥

خ

خالد بن أبان ١٤٠

خالد بن عبد الله بن أسيد ١٣٠ ، ١٣٢ ،
١٣٦

خالد بن عبد الله القسري ٣٥١

خالد بن عتاب ١٨٣

ز

زياد بن أبيه ٢٩ ، ٣٢ ، ٣٥ ، ٣٧ ، ٣٩ ،

٤٠ ، ٤١ ، ٤٥ ، ٤٨ ، ٥٠

س

سالم أبو العلاء ٣٦٩ ، ٣٧٠

سالم بن عبد الله بن عمر ٣٢١

سالم بن هشام ٣٦٤

سبرة بن الجعد ١٥٥

سعد بن حديفة ١٠٥

سعيد بن العاص ٥٢ ، ٥٣ ، ٦٤

سفيان بن أبي العالية ١٦٩

سليمان بن صرد ١٠٣ ، ١٠٨

سليمان بن عبد الملك ٢٤٠ ، ٢٤٧ ، ٢٥٥ ،

٢٥٦ ، ٢٦١ ، ٢٦٣ : ٢٦٣ ، ٢٦٥ ،

٤٩٤

سليمان بن هشام بن عبد الملك ٣٦٨

ش

شبيب بن يزيد ١٦٧

شريح بن الحارث ٢٣٨

غ

خیلان ۳۳۵

ف

الفرزدق ۲۵۲

عمرو بن حرب ۱۲۷

عمرو بن سعید بن العاص ۷۹ ، ۲۹

عمرو بن العاص ۲۸

عمران بن حطان ۲۷۰

ق

قتيبة بن مسلم ۲۰۱ ، ۲۴۴ ، ۲۴۵ ، ۲۵۸

قطری بن الفجاءة ۱۵۳ ، ۱۵۷

قیس بن سعد ۲۱۹

م

مادر واسب ۱۷۳ ، ۱۷۶

المنشی بن مخربة ۱۰۶

محمد بن الحنفیة ۲۶ ، ۱۲۴ ، ۱۲۵ ، ۱۳۹

المختار بن أبی عبید الثقفی ۱۱۰ ، ۱۱۲ ، ۱۱۷ ، ۱۱۷ ، ۱۱۵ ، ۱۱۴ ، ۱۱۲

۱۱۸ ، ۱۲۰ ، ۱۲۱ ، ۱۲۲ ، ۱۲۴ ، ۱۱۸

مروان بن محمد ۳۸۲ ، ۳۹۴ ، ۴۰۰ ، ۴۰۴

۴۸۰ ، ۴۸۱ ، ۴۹۸

مسلمة بن عبد الملك ۲۱۰ ، ۲۴۷

مسلمة بن هشام بن عبد الملك ۳۷۶

مصعب بن الزبیر ۱۰۲

مطرف بن المغيرة بن شعبه ۱۷۶ ، ۱۸۰

المغيرة بن شعبه ۴۰۱ ، ۴۲۲

عبد الله بن مسلم الحضرمی ۷۴

» » » » یزید ۱۰۷

عبید الله بن زیاد ۷۷ ، ۸۱ ، ۸۲ ، ۸۳

عبد الملك بن مروان ۱۲۸ ، ۱۳۱ ، ۱۳۲

۱۳۳ ، ۱۳۴ ، ۱۳۵ ، ۱۳۷ ، ۱۳۹

۱۴۰ ، ۱۴۳ ، ۱۴۴ ، ۱۵۲ ، ۱۵۹

۱۸۶ ، ۱۸۹ ، ۱۹۷ ، ۱۹۸ ، ۲۰۱

۲۰۹ ، ۲۱۰ ، ۲۱۰ ، ۲۱۲ ، ۲۱۳

۲۱۹ ، ۲۲۵ ، ۲۳۴ ، ۲۳۶ ، ۴۹۳

عثمان بن قطن ۱۷۵

عدی بن أرطاة ۲۶۸ ، ۲۶۸ ، ۲۷۰

هروة بن الزبیر ۲۵۳

هقال بن شبة ۳۰۷

عمر بن سعد ۸۱ ، ۸۳

عمر بن عبید الله ۱۰۲

عمر بن عبد العزيز ۲۳۰ ، ۲۵۱ ، ۲۶۸

۲۷۰ ، ۲۷۱ ، ۲۷۲ ، ۲۷۳ ، ۲۷۴

۲۷۵ ، ۲۷۶ ، ۲۷۸ ، ۲۷۸ ، ۲۷۹

۲۸۰ ، ۲۸۱ ، ۲۸۲ ، ۲۸۳ ، ۲۸۴

۲۸۵ ، ۲۸۶ ، ۲۸۷ ، ۲۸۸ ، ۲۸۹

۲۹۰ ، ۲۹۱ ، ۲۹۱ ، ۲۹۱ ، ۲۹۳ ، ۲۹۳

۲۹۳ ، ۲۹۴ ، ۲۹۵ ، ۲۹۶ ، ۲۹۷

۲۹۷ ، ۳۰۱ ، ۳۰۱ ، ۳۰۱ ، ۳۰۲

۳۰۲ ، ۳۰۲ ، ۳۰۳ ، ۳۰۴ ، ۳۰۵

۳۰۶ ، ۳۰۹ ، ۳۱۰ ، ۳۱۱ ، ۳۱۱

۳۱۳ ، ۳۱۴ ، ۳۱۵ ، ۳۱۵ ، ۳۱۷

۳۱۹ ، ۳۲۱ ، ۳۳۰ ، ۴۹۴

عمر بن عبد العزيز الوراق ۲۶۴

عمر بن الوليد بن عبد الملك ۳۱۶

هشام بن عبد الملك ٣٣٧ ، ٣٤١ ، ٣٤٥ ،
٣٥١ ، ٣٥٣ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧ ،
٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦٢ ، ٣٦٦ ، ٣٦٨ ،
٣٦٩ ، ٣٧٧ ، ٣٧٩ ، ٤٩٧

و

الوليد بن عبد الملك ٢٤٠ ، ٢٤٠ ، ٢٤٧ ،
٢٥١ ، ٢٥٣ ، ٢٥٣ ، ٢٥٥ ، ٢٩٤ ،
الوليد بن يزيد بن عبد الملك ٣٧٥ ، ٣٧٨ ،
٣٨١ ، ٣٨٤ ، ٣٩١ ، ٣٩٣ ، ٣٩٣ ،
٣٩٤

وهب بن منبه ٢٨٦

ي

يزيد بن عبد الملك ٣٢٧ ، ٣٢٧ ، ٣٣٨ ،
٣٩٣ ، ٤٩٧

يزيد بن معاوية ٦٩ ، ٧٥ ، ٧٨ ، ٨٥ ،
٨٦ ، ٤٩٢

يزيد بن المهلب ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٦٠

يزيد بن الوليد بن عبد الملك ٩٧ ، ٣٩٨ ،
٤٠٢ ، ٤٩٨

يوسف بن عمر الثقفي ٣٥٧ ، ٣٥٩ ، ٣٦٥ ،
٣٦٦ ، ٤٧٣

المفضل بن المهلب ٢٠٤

المستورد بن علفة ٤٣

مسلم بن عقبة ٨٧

مسلم بن عقيل ٧٧ ، ٧٨

معاوية ١٠ ، ١١ ، ١٣ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ،

٢١ ، ٢٢ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣١ ،

٣٢ ، ٣٩ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٧ ،

٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥٣ ، ٥٣ ، ٥٥ ،

٥٥ ، ٥٦ ، ٦٤ ، ٦٦ ، ٤٩١

منصور بن جمهور ٣٩٧

منصور بن عمر ٤٠٣

المهلب بن أبي صفرة ٩٨ ، ٩٩ ، ١٤٥ ،

١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٦٠ ،

١٦٠ ، ١٦٤ ، ١٦٤ ، ١٩٤ ، ١٩٤ ، ٢٠٣ ،

موسى بن نصير ١٤١ ، ١٤٣

ن

نافع بن الأزرق ٩٣ ، ٩٥ ، ٩٦ ،

نجدة بن هاجر ٩٠

نصر بن سيار ٣٩٣ ، ٤٧٩ ، ٤٨٠ ،

٤٨١ ، ٤٨٣

ه

هشام بن إسعيل ٢٣٦

تم فهرس الكتاب

فهرس

بعض ماورد في الهامش من الفوائد التي قد يحتاج القارىء إلى مراجعتها

۱۲۴ حبس ابن الزبير لابن الحنفية وسجن عارم	۳۱ لا أم لك
۱۲۶ العصران	۳۱ لا أبا لك
۱۴۱ تنجيم الدين	۴۵ أبو تراب
۱۴۶ نسب ثقيف	۴۶ السبئية
۱۴۸ متهبم	۴۷ ركبت الصليعاء
۱-۲ حرب خسروس	۴۹ لكمة عبيد الله بن زياد
۱۵۶ طبقات النسب	۵۹ قسط وأقسط
۱۵۶ مزون	۵۹ المحيل
۱۵۷ علماء - بلحارث - بلعنبر	۶۰ عمرو بن الحمق
۱۵۷ أم حكيم	۶۱ اضطهاد بني أمية أهل البيت
۱۶۱ الخلاف بين الأزارقة وكيد المهلب لم	۶۲ رحلتا قريش في الجاهلية
۱۶۷ الحوارج الصفرية	۶۳ مجاعة يزيد بن معاوية
۱۷۸ خزالة الخارجية	۶۷ إثبات هاء السكت في الوصل
۱۷۹ الحرورية	۷۲ الدولة والدولة
۱۹۷ سعيد بن جبير والحجاج	۸۱ جمع به
۲۰۴ الحجاج واللحن	۸۴ مادهرى بكذا ، وما دهرى كذا
۲۰۴ مالت بأبي عذرة	۸۴ هل قول
۲۱۸ أصم الله صداه	۹۱ الشراة
۲۲۱ أول ماظهر من أمر الحجاج	۹۳ المعتزون
۲۲۱ يا ابن اللخناء	۹۵ المحكمة
۲۳۰ الفارعة أم الحجاج	۱۰۲ تفرقوا شذر مذر
۲۳۰ كرم الحجاج	۱۱۸ ويألمه
	۱۱۹ سبع المختار - مذهبه

- ۲۳۶ سعید بن المسيّب
۲۴۵ لله درّه
۲۴۸ الحمراء والبيضاء
۲۵۰ عمل الحجاج قبل أن ينبه شأه
۲۶۱ غضب سليمان بن عبد الملك على موسى
ابن نصير
۲۷۲ القدرية
۲۷۷ درهم في عهد عمر بن الخطاب
۲۷۷ الآبين
۲۷۷ المهرجانات
۲۸۵ قدك
۳۱۱ الطلاء
۳۲۴ الحسن البصرى
۳۳۴ مكحول بن عهد الله
۳۳۵ غيلان القدرى
۳۴۶ أطعمونى ماء
۳۴۷ خالد القسرى واتهامه فى دينه
۳۴۸ خالد القسرى ورأس الحجبنة
۳۴۹ نهر المبارك
۳۵۰ أصل خالد القسرى
۳۵۵ أم هشام بن عبد الملك وحقها
۳۵۸ خندف وليس ، تقبس وتخندف
۳۵۹ بنة
۳۶۱ خلدان أهل الكوفة زيد بن على
- ۳۶۲ إفحام زيد بن على هشام بن عبد الملك
۳۶۵ الرصافة
۳۷۴ الخزر
۳۸۰ اربع على نفسك
۳۸۰ ارقاً على ظلتك
۳۹۳ المسودة والمبيضة
۳۹۵ القشوبش والتوبش
۳۹۷ يزيد الناقص
۴۰۲ كان يزيد الناقص قدربا
۴۲۱ باهناه
۴۳۲ أجزاء مجزأه وأغنى غناه
۴۳۶ سيف مشطب ومشطوب
۴۶۲ الشطرنج
۴۶۸ الخصائص
۴۷۵ الشراة
۴۷۶ أبو مسلم الخراسانى. أوليته ونسبه
۴۷۹ الجذع - أجذع
۴۸۵ أشكو إلى الله عجزى وبجبرى
۳۷۰ ، ۴۰۶ عبد الحميد بن يحيى الكاتب
۴۸۸ دهوة عهد لله بن معاوية بن عهد الله
ابن جعفر إلى الله
۴۸۹ الوصى
۵۰۲ مضطلع بالأمر ومطلع

فہرس

الأمثال التي ورد شرحها في الهامش

۱۷۸	أحق من جهيزة	۱۱	كباحثة عن حثفها بظيلفها
۲۰۰	حتى يرجع الدر في الفسرع	۲۶	أسعد أم سعيدي؟
۲۰۱	قيدح بن مقبيل	۲۶	الحديث ذو شجون
۲۹۰	أم فرشت فأنامت	۲۶	سبق السيف العذل
۳۱۸	التقت حلتقتنا البطان	۷۵	شق فلان العصا
۴۲۶	الحرب سجال	۱۲۷	أحاديث الضبع استها
۴۹۱	عش رجبا تر هجبا	۱۴۴	كل مجر في الخلاء بستر
۴۹۹	يداك أوكتا وفوك نفخ	۱۴۸	قلب له ظهر المجن

